تفسيرالقران باالقران مختصر

تفسيرالفاروق

(مولانا فاروق صاحب مكةالمكرمة)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب وفصله تفصيلا، وأودعه لطائف وأسرارا وآيات وآثارا تذكرة لأولى الألباب، وتبصرة لمن أراد تكميلا، وجعله أجل الكتب قدرا، وأعزها علما، وأعذبها نظما، وأبلغها فى الخطاب وأحسنها تفسيرا وتأويلا قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون، وفرقانا مبينا هدى وبشرى للمؤمنين، نزله بلسان الروح الأمين على سيدنا الأنبياء والمرسلين، ليطلعوا على سرائر الأولين والآخرين، ويقفوا على غيوب السموات والأرض ويستنبطوا العلوم الشرعية كلها أصولها وفروعها، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا مُحَمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فإن الأخ فى الله الشيخ الداعى إلى الله المفسر الفاروق المكى -حفظه الله تعالى-، أكرمنى بإعطاء مسودة كتابه "تفسير الفاروق تفسير القرآن بالقرآن" لتسريح النظر فيه، فسرحت فيه النظر امتثالا لأمره، فوجدته تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن الكريم يفسر بعضه بعضا. جمع المؤلف المفسر فيه الآيات التى تندرج تحت تفسير آية أو مجموعة آيات ذات المضمون الواحد حتى يسهل على من أراد فهم أية أن يصل إلى الآيات التى تندرج تحت تفسير مفهوم تلك الآية لاسيما للطلاب الراغبين فى فهم القرآن وتدبره، وهذا تفسير أرجو فيه النفع الكثير للطلاب فى بلادنا وبلاد العرب.

ورأيت أن المؤلف المفسر حفظه الله تعالى اجتهد فى هذا التفسير جهدا بليغا.

أدعو الله سبحانه أن يجزى المؤلف المفسر خير الجزاء فى الدنيا والآخرة، وأن يوفقه الله تعالى لمثل هذه الخدمات العلمية النافعة. وإن الله تعالى على كل شيء قدير. وبالإجابة جدير.

وكتبه

مُحَمَّد مفيض الرحمن بن أحمد حسين الشاتغامي

قسم البشرى گلستان جوهر كراتشى

1425/7/7هـ

تفسيرالفاروق

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الفاتحة

{الْحَمْدُللهِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (الفاتحة:1)

لم يذكر لحمده هنا ظرفًا مكانيًاولا زمانيًا. وذكر في سورة الروم أن من ظروفه المكانية: السماوات والأرض في قوله[1]: {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمٰوَات والأَرْضِ}، وذكر في سورة القصص أن من ظروفه الزمانية: الدنيا والآخرة في قوله[2]:)وَهُوَاللهُ لاإِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) (القصص:70)

{الْحَمْدُ لله الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوَات وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ) (ســبأ:1)

الألف واللام في {الْحَمْدُ} لاستغراق جميع المحامد. وهو ثناء أثنى به تعالى على نفسه وفي ضمْنه أمَرَ عباده أن يثنوا عليه به. وقوله تعالى: {رب العالمين} لم يبين هنا ما العالمون، وبين ذلك في موضع آخر بقوله[3]: {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا }. قال بعض العلماء: اشتقاق العالم من العلامة، لأن وجود العالم علامة لا شك فيها على وجود خالقه متصفًا بصفات الكمال والجلال، قال تعالئ[4]: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ}، والآية في اللغة: العلامة .

{الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ} (الفاتحة:2)

هما وصفان للَّه تعالى، واسمان من أسمائه الحسنى، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، لأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، و الرحيم ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة. وعلى هذا أكثر العلماء. وفي كلام ابن جرير ما يفهم منه حكاية الاتفاق على هذا. وفي تفسير بعض السلف ما يدل عليه، كما قاله ابن كثير، ويدل له الأثر المروي عن عيسى كما ذكره ابن كثير وغيره أنه قال عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام: الرَّحْمٰنِ رحمن الدنيا والآخرة والرَّحِيم رحيم الآخرة. وقد أشار تعالى إلى هذا الذي ذكرنا حيث قال[5]: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العرش}، وقال[6]: {الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، فذكر الاستواء باسمه الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته. قاله ابن كثير. ومثله قوله تعالى[7]: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُن إِلاَّ الرَّحْمٰنُ}؛ أي: ومن رحمانيته: لطفه بالطير، وإمساكه إياها صافات وقابضات في

[1] الروم 18

[2] سبأ 1

[3] الشعراء 23–24

[4] آل عمران 190

[5] الفرقان 59

[6] طه 5

[7] الملك 19

جو السماء. ومن أظهر الأدلة في ذلك قوله تعالى[8]: {الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْءانَ} إلى قوله[9]: {فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}، وقال[10]: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} فخصهم باسمه الرحيم. فإن قيل: كيف يمكن الجمع بين ما قررتم، وبين ما جاء في الدعاء المأثور من قوله صلى الله عليه وسلم: « رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ». فالظاهر في الجواب، واللَّه أعلم، أن الرحيم خاص بالمؤمنين كما ذكرنا، لكنه لا يختص بهم في الآخرة، بل يشمل رحمتهم في الدنيا أيضًا، فيكون معنى: « رحيمهما » رحمته بالمؤمنين فيهما . والدليل على أنه رحيم بالمؤمنين في الدنيا أيضًا: أن ذلك هو ظاهر قوله تعالى[11]: {هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظلمات إِلَى النور وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا}؛ لأن صلاته عليهم وصلاة ملائكته وإخراجه إياهم من الظلمات إلى النور رحمة بهم في الدنيا. وإن كانت سبب الرحمة في الآخرة أيضًا، وكذلك قوله تعالى[12]: {لقد تَّابَ اللّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِين وَالأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوب فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}، فإنه جاء فيه بالباء المتعلقة بالرحيم الجارة للضمير الواقع على النبيّ صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والأنصار، وتوبته عليهم رحمة في الدنيا وإن كانت سبب رحمة الآخرة أيضًا. والعلم عند اللَّه تعالى.

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} (الفاتحة:3)

لم يبينه هنا، وبينه في قوله[13]: {وَمَآ أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَآ يَوْم الدِّينَ * يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا}. والمراد بالدين في الآية الجزاء. ومنه قوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ}، أي جزاء أعمالهم بالعدل.

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (الفاتحة:4)

أشار في هذه الآية الكريمة إلى تحقيق معنى لا إله إلا اللَّه؛ لأن معناها مركب من أمرين: نفي وإثبات. فالنفي: خلع جميع المعبودات غير اللَّه تعالى في جميع أنواع العبادات، والإثبات: إفراد ربّ السماوات والأرض وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه المشروع. وقد أشار إلى النفي من لا إله إلا اللَّه بتقديم المعمول الذي هو {إِيَّاكَ} وقد تقرر في الأصول، في مبحث دليل الخطاب الذي هو مفهوم المخالفة. وفي المعاني في مبحث القصر: أن تقديم المعمول من صيغ الحصر. وأشار إلى الإثبات منها بقوله: {نَعْبُد}. وقد بيّن معناها المشار إليه هنا مفصلاً في آيات أُخر كقوله[14]: {يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}، فصرح بالإثبات منها بقوله: {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ}، وصرح بالنفي منها في آخر الآية الكريمة بقوله[15]: {فَلاَ تَجْعَلُوا لله أَنْدَادًا وأَنْتُمْ

---

[8] الرحمن 1–2
[9] الرحمن 13
[10] الاحزاب 43
[11] الاحزاب 43
[12] التوبة 117
[13] الانفطار 17–19
[14] البقرة 21
[15] البقرة 22

تَعْلَمُونَ}، وكقوله[16]: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}، فصرح بالإثبات بقوله: {أَنِ اعْبُدُوا اللهَ} وبالنفي بقوله: {وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}، وكقوله[17]: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللهِ، فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}، فصرح بالنفي منها بقوله: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ}، وبالإثبات بقوله: {وَيُؤْمِنْ بِاللهِ}؛ وكقوله[18]: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِمَّا تَعْبُدُون إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي}، وكقوله

وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ)(الزخرف:45) (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)(الانبياء:25)

إلى غير ذلك من الآيات.

{ ايَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} (الفاتحة:4)

أي لا نطلب العون إلا منك وحدك؛ لأن الأمر كله بيدك وحدك لا يملك أحد منه معك مثقال ذرة. وإتيانه بقوله: {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}، بعد قوله: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}، فيه إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يتوكل إلا على من يستحق العبادة؛ لأن غيره ليس بيده الأمر. وهذا المعنى المشار إليه هنا جاء مبينًا واضحًا في آيات أُخر كقوله[19]: {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}، وقوله[20]: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ}، وقوله[21]: {رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً}، وقوله[22]: {قُلْ هُوَ الرَّحْمنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا}، وإلى غير ذلك من الآيات.

{صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } (الفاتحة:6)

لم يبين هنا من هؤلاء الذين أنعم عليهم. وبين ذلك في موضع آخر بقوله[23]: {فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقًا }. يؤخذ من هذه الآية الكريمة صحة إمامة أبي بكر الصدّيق رضي اللّه عنه؛ لأنَّه داخل فيمن أمرنا اللّه في السبع المثاني والقرءان العظيم ـــــ أعني الفاتحة ـــــ بأن نسأله أن يهدينا صراطهم. فدلّ ذلك على أن صراطهم هو الصراط المستقيم. وذلك في قوله: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّآلِّينَ } وقد بيّن الذين أنعم عليهم فعد منهم الصديقين. وقد بيّن صلى الله عليه وسلم أن أبا بكر رضي الله عنه من

[16] النحل 36
[17] البقرة 256
[18] الزخرف 26
[19] هود 123
[20] التوبة 129
[21] المزمل 9
[22] الملك 29
[23] النساء 69

الصديقين، فاتضح أنه داخل في الذين أنعم اللَّه عليهم، الذين أمرنا اللَّه أن نسأله الهداية إلى صراطهم فلم يبق لبس في أن أبا بكر الصديق رضي اللَّه عنه على الصراط المستقيم، وأن إمامته حق . وعلى هذا القول: فمريم غير داخلة في الآية وإلى هذا الخلاف أشار في « مراقي السعود » بقوله: (الرجز)

وما شمول من للانثى جنف وفي شبيه المسلمين اختلفوا

{ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ} (الفاتحة: 7)

قال جماهير من علماء التفسير: {المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ}، اليهود و « الضالون » النصارى. وقد جاء الخبر بذلك عن رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم من حديث عدي بن حاتم رضي اللَّه عنه. واليهود والنصارى وإن كانوا ضالين جميعًا مغضوبًا عليهم جميعًا، فإن الغضب إنما خص به اليهود، وإن شاركهم النصارى فيه، لأنهم يعرفون الحق وينكرونه ويأتون الباطل عمدًا، فكان الغضب أخص صفاتهم. والنصارى جهلة لايعرفون الحق، فكان الضلال أخص صفاتهم. وعلى هذا فقد يبين أن {الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} اليهود، قوله تعالى فيهم[24]: {فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ}، وقوله فيهم أيضا[25]: {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ الله مَنْ لَّعَنَهُ اللهُ وغَضِبَ عَلَيْهِ}، وقوله[26]: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ}؛ وقد يبين أن {الْضَّالِّينَ} النصارى، قوله تعالى[27]: {وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلَّوا مِنْ قَبْلُ، وَأَضَلُّوا كَثِيرا وَضَلُّوا عَنْ سَوَآءِ السَّبِيلِ}.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

[24] البقرة 90

[25] المائدة 60

[26] الاعراف 152

[27] المائدة 77

سورة البقرة

{ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ} (البقرة:2)

صرح في هذه الآية بأن هذا القرءان {هُدًى لِلْمُتَّقِيْنَ}، ويفهم من مفهوم الآية ـــ أعني مفهوم المخالفة المعروف بدليل الخطاب : أن غير المتقين ليس هذا القرءان هدى لهم، وصرح بهذا المفهوم في آيات أخر كقوله[28]: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُو عَلَيْهِمْ عَمًى} وقوله[29]: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِين وَلاَ يَزِيدُ الْظَّالِمِينَ إِ ّ لا خَسَارًا} وقوله[30]: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَض فَزَادَتْهُمْ رِجْسا إِلٰى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} وقوله تعالى[31]: {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرا مِّنْهُمْ مَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانا وَكُفْرا}. ومعلوم أن المراد بالهدى في هذه الآية الهدى الخاص الذي هو التفضل بالتوفيق إلى دين الحق، لا الهدى العام، الذي هو إيضاح الحق.

{ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} (البقرة:3)

عبر في هذه الآية الكريمة «بمن» التبعيضية الدالة على أنه ينفق لوجه الله بعض ماله لا كله. ولم يبين هنا القدر الذي ينبغي إنفاقه، والذي ينبغي إمساكه. ولكنه بيَّن في مواضع أخر أن القدر الذي ينبغي إنفاقه: هو الزائد على الحاجة وسد الخلة التي لا بد منها، وذلك كقوله[32]: {وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ}، والمراد بالعفو: الزائد على قدر الحاجة التي لا بد منها على أصح التفسيرات، وهو مذهب الجمهور . ومنه قوله تعالى[33]: {حَتَّى عَفَوْا}، أي: كثروا وكثرت أموالهم وأولادهم . وقال بعض العلماء: العفو نقيض الجهد، وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع. ومنه قول الشاعر :

خذي العفو مني تستديمي مودتي   ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

وهذا القول راجح إلى ما ذكرنا، وبقية الأقوال ضعيفة. وقوله تعالى[34]: {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلٰى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ}، فنهاه عن البخل بقوله: {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلٰى عُنُقِكَ}. ونهاه عن الإسراف بقوله: {وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ}،

---

[28] فصلت 44
[29] الاسراء 82
[30] التوبة 124–125
[31] المائدة 64
[32] البقرة 219
[33] الاعراف 95
[34] الاسراء 29

فيتعين الوسط بين الأمرين. كما بينه بقوله[35]: {وَآلَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْن ذلِكَ قَوَامًا} فيجب على المنفق أن يفرق بين الجود والتبذير، وبين البخل والاقتصاد. فالجود: غير التبذير، والاقتصاد: غير البخل، فالمنع في محل الإعطاء مذموم. وقد نهى الله عنه نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: {وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ}.

وقد قال الشاعر :

لا تمدحن ابن عباد وإن هطلت يداه كالمزن حتى تخجل الديما

فإنها فلتات من وساوسه يعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرما

وقد بين تعالى في مواضع أخر: أن الإنفاق المحمود لا يكون كذلك، إلا إذا كان مصرفه الذي صرف فيه مما يرضي الله. كقوله تعالى[36]: {قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ}، وصرح بأن الإنفاق فيما لا يرضي الله حسرة على صاحبه في قوله[37]: {فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً}، وقد قال الشاعر :

إن الصنيعة لا تعد صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع

فإن قيل: هذا الذي قررتم يقتضي أن الإنفاق المحمود هو إنفاق ما زاد على الحاجة الضرورية، مع أن الله تعالى أثنى على قوم بالإنفاق وهم في حاجة إلى ما أنفقوا، وذلك في قوله[38]: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. فالظاهر في الجواب ــ والله تعالى أعلم ــ هو ما ذكره بعض العلماء من أن لكل مقام مقالاً، ففي بعض الأحوال يكون الإيثار ممنوعًا، وذلك كما إذا كانت على المنفق نفقات واجبة كنفقة الزوجات ونحوها فتبرع بالإنفاق في غير واجب وترك الفرض لقوله صلى الله عليه وسلم: « وابدأ بمن تعول »، وكأن يكون لا صبر عنده عن سؤال الناس فينفق ماله ويرجع إلى الناس يسألهم مالهم، فلا يجوز له ذلك، والإيثار فيما إذا كان لم يضيع نفقة واجبة وكان واثقًا من نفسه بالصبر والتعفف وعدم السؤال. وأما على القول بأن قوله تعالى: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} يعني به الزكاة. فالأمر واضح، والعلم عند الله تعالى.

{خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (البقرة: 7)

لا يخفى أن الواو في قوله: {وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِم} محتملة في الحرفين أن تكون عاطفة على ما قبلها، وأن تكون استئنافية. ولم يبين ذلك هنا، ولكن بين في موضع آخر أن قوله {وَعَلى سَمْعِهِمْ} معطوف على قوله {عَلَى قُلُوْبِهِمْ}، وأن قوله {وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ} استئناف، والجار والمجرور خبر المبتدأ الذي هو {غِشَاوَةٌ} وسوغ الابتداء بالنكرة فيه اعتمادها على الجار والمجرور قبلها. ولذلك يجب تقديم هذا الخبر، لأنه هو الذي سوغ الابتداء بالمبتدأ كما عقده في (الخلاصة) بقوله :

[35] الفرقان 67

[36] البقرة 215

[37] الانفال 36

[38] الحشر 9

ونحو عندي درهم ولي وطر ملتزم فيه تقدم الخبر

فتحصل أن الختم على القلوب والأسماع، وأن الغشاوة على الأبصار. وذلك في قوله تعالى[39]: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَل عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً}، والختم: الاستيثاق من الشيء حتى لا يخرج منه داخل فيه ولا يدخل فيه خارج عنه، والغشاوة: الغطاء على العين يمنعها من الرؤية. ومنه قول الحارث بن خالد بن العاص :

هويتك إذ عيني عليها غشاوة فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

كما هو معروف في النحو، وأجاز بعضهم كونه معطوفًا على محل المجرور، فإن قيل: قد يكون الطبع على الأبصار أيضًا. كما في قوله تعالى في سورة النحل: {أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ}. فالجواب: أن الطبع على الأبصار المذكور في آية النحل: هو الغشاوة المذكورة في سورة البقرة والجاثية، والعلم عند الله تعالى .

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ} (البقرة:8)

لم يذكر هنا بيانًا عن هؤلاء المنافقين، وصرح بذكر بعضهم بقوله[40]: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ }.

{اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ } (البقرة:15)

لم يبين هنا شيئًا من استهزائه بهم. وذكر بعضه في سورة الحديد في قوله[41]: {قِيلَ ارْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا}.

{صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ} (البقرة:18)

ظاهر هذه الآية أن المنافقين متصفون بالصمم، والبكم، والعمى. ولكنه تعالى بيّن في موضع آخر أن معنى صممهم، وبكمهم، وعميهم، هو عدم انتفاعهم بأسماعهم، وقلوبهم، وأبصارهم وذلك في قوله جلّ وعلا[42]: {وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وأَبْصَارًا وأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاأَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}.

---

[39] الجاثية 23

[40] التوبة 101

[41] الحديد 13

[42] الاحقاف 26

{أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ } (البقرة:19)

الصيِّب: المطر، وقد ضرب الله في هذه الآية مثلاً لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم بالمطر؛ لأن بالعلم والهدى حياة الأرواح، كما أن بالمطر حياة الأجسام . وأشار إلى وجه ضرب هذا المثل بقوله جلّ وعلا[43]: {وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا }. وقد أوضح صلى الله عليه وسلم هذا المثل المشار إليه في الآيتين في حديث أبي موسى متفق عليه، حيث قال صلى الله عليه وسلم: « إن مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضًا. فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها، وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تُنْبتُ كلأً. فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به، فعلم وعلّم ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.

{ فِيهِ ظُلُمَاتٌ } (البقرة:19)

ضرب الله تعالى في هذه الآية الْمثل لما يعتري الكفار والمنافقين من الشبه والشكوك في القرءان، بظلمات المطر المضروب مثلاً للقرءان، وبيّن بعض المواضع التي هي كالظلمة عليهم لأنها تزيدهم عمى في آيات أخر لقوله[44]: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِع الرَّسُول مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِين هَدَى اللهُ }؛ لأن نسخ القبلة يظن بسببه ضعاف اليقين أن النبي صلى الله عليه وسلم، ليس على يقين من أمره حيث يستقبل يومًا جهة، ويومًا آخر جهة أخرى، كما قال تعالى[45]: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنِ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا}. وصرح تعالى بأن نسخ القبلة كبير على غير من هداه الله وقوّى يقينه، بقوله: {وَإِنْ كَانَتْ لَكِبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ }، وكقوله تعالى[46]: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَة الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ}، لأن ما رآه ليلة الإسراء والمعراج من الغرائب والعجائب كان سببًا لاعتقاد الكفار أنه صلى الله عليه وسلم لما قرأ[47]: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ}، قالوا: ظهر كذبه؛ لأن الشجر لا ينبت في الأرض اليابسة فكيف ينبت في أصل النار وكقوله تعالى[48]: {وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُواْ}؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لما قرأ قوله تعالى[49]: {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ }. قال بعض رجال قريش: هذا عدد قليل فنحن قادرون على قتلهم، واحتلال الجنة بالقوة؛ لقلة القائمين على النار التي يزعم محمّد صلى الله عليه وسلم أنّا سندخلها. والله تعالى إنما يفعل ذلك اختبارًا وابتلاءً، وله الحكمة البالغة في ذلك كله سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا .

[43] الاعراف 58
[44] البقرة 143
[45] البقرة 142
[46] الاسراء 60
[47] الصافات 64
[48] المدثر 31
[49] المدثر 30

{ وَرَعْدٌ} (البقرة:19)

ضرب الله المثل بالرعد لما في القرءان من الزواجر التي تقرع الآذان وتزعج القلوب. وذكر بعضًا منها في آيات أخر كقوله[50]: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً}، وكقوله[51]: {مِّنْ قَبْلِ أَنْ نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا}، وكقوله[52]: {إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} . وقد ثبت في صحيح البخاري في تفسير سورة الطور من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقرأ في المغرب بالطور. فلما بلغ هذه الآية {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} إلى قوله {الْمُصَيْطِرُونَ}، كاد قلبي أن يطير. إلى غير ذلك من قوارع القرءان وزواجره، التي خوفت المنافقين حتى قال الله تعالى فيهم: {يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ}، والآية التي نحن بصددها، وإن كانت في المنافقين. فالعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.

{ وَبَرْقٌ } (البقرة:19)

ضرب تعالى المثل بالبرق؛ لما في القرءان من نور الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة. وقد صرح بأن القرءان نور يكشف الله به ظلمات الجهل والشك والشرك. كما تكشف بالنور الحسي ظلمات الدجى كقوله[53]: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا}، وقوله[54]: {وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا}، وقوله[55]: {وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ} .

{ وَاللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ} (البقرة:19)

قال بعض العلماء: {مُحِيْطٌ بالْكَافِرِيْنَ} : أي مهلكهم، ويشهد لهذا القول قوله تعالى[56]: {لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ}، أي تهلكوا عن آخركم. وقيل: تغلبوا. والمعنى متقارب؛ لأن الهالك لا يهلك حتى يحاط به من جميع الجوانب، ولم يبق له منفذ للسلامة ينفذ منه. وكذلك المغلوب، ومنه قول الشاعر :

---

[50] فصلت 13
[51] النساء 47
[52] سبأ 46
[53] لنساء 174
[54] الشورى 52
[55] الاعراف 157
[56] يوسف 66

أحطنا بهم حتى إذا ما تيقنوا بما قد رأوا مالوا جميعًا إلى السلم

ومنه أيضًا: بمعنى الهلاك قوله تعالى[57]: {وأحيط بثمره}، وقوله تعالى[58]: {وظنوا أنهم أحيط بهم}.

{يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ } (البقرة:20)

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـــارَهُمْ أي يكاد نور القرءان لشدة ضوئه يعمي بصائرهم، كما أن البرق الخاطف الشديد النور يكاد يخطف بصر ناظره، ولا سيما إذا كان البصر ضعيفًا؛ لأن البصر كلما كان أضعف كان النور أشد إذهابًا له. كما قال الشاعر :

مثل النهار يزيد أبصار الورى نورًا ويعمي أعين الخفاش وقال الآخر :

خفافيش أعماها النهار بضوئه ووافقها قطع من الليل مظلم

وبصائر الكفار والمنافقين في غاية الضعف. فشدة ضوء النور تزيدها عمى. وقد صرح تعالى بهذا العمى في قوله[59]: {أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى}، وقوله[60]: {وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} إلى غير ذلك من الآيات. وقال بعض العلماء: يكاد البرق يخطف أبصارهم أي: يكاد محكم يدل على عورات المنافقين.

{ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا } (البقرة:20)

ضرب الله في هذه الآية المثل للمنافقين بأصحاب هذا المطر إذا أضاء لهم مشوا في ضوئه وإذا أظلم وقفوا كما أن المنافقين إذا كان القرءان موافقًا لهواهم ورغبتهم عملوا به، كمناكحتهم للمسلمين وإرثهم لهم. والقسم لهم من غنائم المسلمين، وعصمتهم به من القتل مع كفرهم في الباطن، وإذا كان غير موافق لهواهم. كبذل الأنفس والأموال في الجهاد في سبيل الله المأمور به فيه وقفوا وتأخروا. وقد أشار تعالى إلى هذا بقوله[61]: {وَإِذَا دُعُواْ إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُم إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ}. وقال بعض العلماء: {كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ} أي: إذا أنعم الله عليهم بالمال والعافية قالوا: هذا الدين حق ما أصابنا منذ تمسكنا به إلا الخير {وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ} أي: وإن أصابهم فقر أو مرض أو ولدت لهم البنات دون الذكور. قالوا: ما أصابنا هذا إلا من شؤم هذا الدين وارتدوا عنه. وهذا الوجه يدل عليه قوله تعالى[62]: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ الله عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}. وقال بعض العلماء: إضاءته لهم معرفتهم بعض الحق منه وإظلامه عليهم ما يعرض لهم من الشك فيه.

---

[57] الكهف 42

[58] يوسف 22

[59] الرعد 19

[60] فاطر 19

[61] النور 48-49

[62] الحج 11

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (البقرة:21) {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا للهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (البقرة:22)

أشار في هذه الآية إلى ثلاثة براهين من براهين البعث بعد الموت وبيّنها مفصلة في آيات أخر . البرهان الأول: خلق الناس أولاً المشار إليه بقوله اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِىْ خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لأن الإيجاد الأول أعظم برهان على الإيجاد الثاني، وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله[63]: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ}، وقوله[64]: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ}، وكقوله[65]: {فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}، وقوله[66]: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ}، وقوله[67]: {أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَل هُمْ فِي لَبْسٍ}، وكقوله[68]: {يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ}، وكقوله[69]: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى}. ولذا ذكر تعالى أن من أنكر البعث فقد نسي الإيجاد الأول، كما في قوله[70]: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقه}. وقوله[71]: {وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوَ لاَ يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْل وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}، ثم رتب على ذلك نتيجة الدليل بقوله[72]: {فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ} إلى غير ذلك من الآيات. البرهان الثاني: خلق السماوات والأرض المشار إليه بقوله[73]: {الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الاٌّرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً} لأنهما من أعظم المخلوقات، ومن قدر على خلق الأعظم فهو على غيره قادر من باب أحرى. وأوضح الله تعالى هذا البرهان في آيات كثيرة كقوله تعالى[74]: {لَخَلْقُ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}، وقوله[75]: {أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَات وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ}، وقوله[76]: {أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَات وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى}، وقوله[77]: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَات وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ}، وقوله[78]: {ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا} إلى غير ذلك من الآيات.

---

[63] الروم 27
[64]
[65] الاسراء 51
[66] يس 79
[67] ق 15
[68] الحج 5
[69] الواقعة 62
[70] يس 78
[71] مريم 66-67
[72] مريم 68
[73] البقرة 22
[74]
[75] يس 81
[76] الاحقاف 33
[77] الاسراء 99
[78] النازعات 27-28

البرهان الثالث: إحياء الأرض بعد موتها؛ فإنه من أعظم الأدلة على البعث بعد الموت، كما أشار له هنا بقوله[79]: {وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ} وأوضحه في آيات كثيرة كقوله[80]: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، وقوله[81]: {فَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذلِكَ الْخُرُوجُ}، يعني: خروجكم من قبوركم أحياء بعد أن كنتم عظامًا رميمًا. وقوله[82]: {وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذلِكَ تُخْرَجُونَ}، وقوله تعالى[83]: {حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءِ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}، إلى غير ذلك من الآيات .

{وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا} (البقرة:23)

لم يصرح هنا باسم هذا العبد الكريم، صلوات الله وسلامه عليه، وصرح باسمه في موضع آخر وهو قوله[84]: {وَآمَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ}، صلوات الله وسلامه عليه.

{ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} (البقرة:24)

هذه الحجارة قال بعض العلماء: إنها الأصنام التي كانوا يعبدونها. وهذا القول يبيّنه ويشهد له قوله تعالى[85]: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ} .

{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } (البقرة:25)

لم يبيّن هنا أنواع هذه الأنهار، ولكنه بيّن ذلك في قوله[86]: {فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُه وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًى} .

---

[79] البقرة 22

[80] فصلت 39

[81] ق 11

[82] الروم 19

[83] الاعراف 57

[84] محمد 2

[85]

[86] محمد 2

{ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } (البقرة:26)

لم يبيّن هنا صفات تلك الأزواج، ولكنه بين صفاتهن الجميلة في آيات أخر كقوله[87]: {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ}، وقوله[88]: {كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}، وقوله[89]: {وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ}، وقوله[90]: {وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا}، إلى غير ذلك من الآيات المبيّنة لجميل صفاتهن، والأزواج: جمع زوج بلا هاء في اللغة الفصحى، والزوجة بالهاء لغة، لا لحن كما زعمه البعض .

وفي حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إنها زوجتي » أخرجه مسلم. ومن شواهده قول الفرزدق :

وإن الذي يسعى ليفسد زوجتي كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

وقول الآخر :

فبكى بناتي شجوهن وزوجتي والظاعنون إليّ ثم تصدعوا

{ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ } (البقرة:27)

لم يبيّن هنا هذا الذي أمر به أن يوصل، وقد أشار إلى أن منه الأرحام بقوله[91]: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ}. وأشار في موضع آخر إلى أن منه الإيمان بجميع الرسل، فلا يجوز قطع بعضهم عن بعض في ذلك بأن يؤمن ببعضهم دون بعضهم الآخر. وذلك في قوله[92]: {وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ * وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا}.

---

[88] الرحمن 58
[89] الواقعة 22-23
[90] النبأ 33
[91] محمد 22
[92] النساء 150-151

تفسيرالفاروق

{هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} (البقرة:29)

ظاهره أن ما في الأرض جميعًا خلق بالفعل قبل السماء، ولكنه بين في موضع آخر أن المراد بخلقه قبل السماء، تقديره، والعرب تسمي التقدير خلقًا كقول زهير :

ولأنت تفرى ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

وذلك في قوله[93]: {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا}، ثم قال: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَآءِ}.

{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} (البقرة:30)

في قوله: {خَلِيفَةً} وجهان من التفسير للعلماء: أحدهما: أن المراد بالخليفة أبونا ءادم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام؛ لأنه خليفة الله في أرضه في تنفيذ أوامره. وقيل: لأنه صار خلفًا من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض قبله، وعليه فالخليفة: فعيلة بمعنى فاعل. وقيل: لأنه إذا مات يخلفه من بعده، وعليه فهو من فعيلة بمعنى مفعول. وكون الخليفة هو ءادم هو الظاهر المتبادر من سياق الآية . الثاني: أن قوله: {خَلِيفَةً} مفرد أريد به الجمع، أي خلائف، وهو اختيار ابن كثير. والمفرد إن كان اسم جنس يكثر في كلام العرب إطلاقه مرادًا به الجمع كقوله تعالى[94]: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ}؛ يعني وأنهار بدليل قوله[95]: {فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّآءٍ غَيْرِ آسِنٍ}. وقوله[96]: {وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}، وقوله[97]: {فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَىءٍ مِّنْهُ نَفْسًا}؛ ونظيره من كلام العرب قول عقيل بن عُلَّفَة المري :

وكان بنو فزارة شرعم وكنت لهم كشر بني الأخينا

وقول الآخر :

كلوا في بعض بطنكم تعفوا فإن زمانكم زمن خميص. وإذا كانت هذه الآية الكريمة تحتمل الوجهين المذكورين. فاعلم أنه قد دلت آيات أخر على الوجه الثاني، وهو أن المراد بالخليفة: الخلائف من ءادم وبنيه لا ءادم نفسه وحده. كقوله تعالى[98]: {قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ}. ومعلوم أن ءادم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ليس ممن يفسد فيها، ولا ممن يسفك الدماء. وكقوله[99]: {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ}، وقوله[100]: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ}، وقوله[101]:

---

[93] فصلت 101

[94] القمر 54

[95] محمد 15

[96] الفرقان 74

[97] النساء 4

[98] البقرة 30

[99] فاطر 39

[100] الانعام 165

[101] النمل 62

{وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ} ونحو ذلك من الآيات. ويمكن الجواب عن هذا بأن المراد بالخليفة ءادم، وأن الله أعلم الملائكة أنه يكون من ذريته من يفعل ذلك الفساد وسفك الدماء. فقالوا ما قالوا، وأن المراد بخلافة ءادم الخلافة الشرعية، وبخلافة ذريته أعم من ذلك، وهو أنهم يذهب منهم قرن ويخلفه قرن آخر .

{ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ} (البقرة: 31)

يعني مسميات الأسماء لا الأسماء وقد أشار إلى أنها المسميات بقوله[102]: {أَنبِئُونِى بِأَسْمَآءِ هَـؤُلاءِ}.

{ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ}(البقرة:33)

لم يبيّن هنا هذا الذي كانوا يكتمون، وقد قال بعض العلماء: هو ما كان يضمره إبليس من الكبر، وعلى هذا القول فقد بيّنه قوله تعالى[103]: {إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ}.

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ } (البقرة:34)

لم يبيّن هنا هل قال لهم ذلك قبل خلق ءَادم أو بعد خلقه؟ وقد صرح في سورة «الحجر» و «ص» بأنه قال لهم ذلك قبل خلق ءَادم. فقال في «الحجر»: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعوا لَهُ سَاجِدِينَ}، وقال في سورة «ص»: {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِّنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} .

{ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ } (البقرة:34)

لم يبيّن هنا موجب استكباره في زعمه، ولكنه بيّنه في مواضع أُخر كقوله[104]: {قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}، وقوله[105]: {قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ}.

{فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ} (البقرة: 37)

لم يبيّن هنا ما هذه الكلمات، ولكنه بيّنها في سورة «الأعراف»، بقوله: {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

---

[102] البقرة 31

[103] البقرة 34

[104] الاعراف 12

[105] الحجر 33

{يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ} (البقرة:40)

لم يبيّن هنا ما هذه النعمة التي أنعمها عليهم، ولكنه بيّنها في آيات أُخر، كقوله[106] : {وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى}. وقوله[107]: {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} وقوله[108] : {وَنُرِيدُ أَنْ نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا منهمْ مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ}، إلى غير ذلك من الآيات.

{ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ} (البقرة:40)

لم يبيّن هنا ما عهده وما عهدهم، ولكنه بيّن ذلك في مواضع أُخر كقوله[109]: { وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ الله قَرْضًا حَسَنًا لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}، فعهدهم هو المذكور في قوله: {لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ الله قَرْضًا حَسَنًا}، وعهده هو المذكور في قوله[110]: {لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ}. وأشار إلى عهدهم أيضًا بقوله[111]: {وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ}؛ إلى غير ذلك من الآيات.

{وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ} (البقرة:42)

الحق الذي لبسوه بالباطل هو إيمانهم ببعض ما في التوراة. والباطل الذي لبسوا به الحق، هو كفرهم ببعض ما في التوراة وجحدهم له. كصفات رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها مما كتموه وجحدوه وهذا يبيّنه قوله تعالى[112]: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ}، والعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.

{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ} (البقرة:45)

نتيجة الاستعانة بالصلاة، فقد أشار لها تعالى في آيات من كتابه، وذلك في قوله[113]: {إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} وقوله[114]: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْن نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}.

---

[106] البقرة 57
[107] البقرة 49
[108] القصص 5–6
[109] المائدة 12
[110] ال عمران 195
[111] ال عمران 187
[112] البقرة 85
[113] العنكبوت 45

{الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ} (البقرة:46)

المراد بالظن هنا: اليقين كما يدل عليه قوله تعالى[115]: {وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}. وقوله[116]: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ}.

{ وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ} (البقرة:48)

ظاهر هذه الآية عدم قبول الشفاعة مطلقًا يوم القيامة، ولكنه بيّن في مواضع أُخر أن الشفاعة المنفية هي الشفاعة للكفار، والشفاعة لغيرهم بدون إذن رب السماوات والأرض. فنص على عدم الشفاعة للكفار بقوله[117]: {وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى}، وقد قال[118]: {وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ}. وقال تعالى عنهم مقررًا له[119]: {فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ}. وقال[120]: {فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}، إلى غير ذلك من الآيات. وقال في الشفاعة بدون إذنه[121]: {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ}. وقال[122]: {وَكَمْ مِّن مَلَكٍ فِي السَّمٰوَات لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْد أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى}. وقال[123]: {يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنْفَعُ الشَّفَاعَة إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً}، إلى غير ذلك من الآيات. وادعاء شفعاء عند الله للكفار أو بغير إذنه، من أنواع الكفر به جلّ وعلا، كما صرح بذلك في قوله[124]: {وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ الله قُلْ أَتُنَبِّئُونَ الله بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمٰوَات وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَه وتعالي عَمَّا يُشْرِكُونَ}. يستثنى منه شفاعته صلى الله عليه وسلم
لعمه أبي طالب في نقله من محل من النار إلى محل آخر منها، كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح فهذه الصورة التي ذكرنا من تخصيص الكتاب بالسنة.

---

[114] طه 133
[115] البقرة 45
[116] المؤمنون 60
[117] الانبياء 28
[118] الزمر 7
[119] الشعراء 100
[120] مدثر 48
[121] البقرة 255
[122] النجم 26
[123] طه 109
[124] يونس 18

{ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ } (البقرة:49)

بيّنه بقوله بعده[125]: {يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ }

{وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ } (البقرة:50)

لم يبيّن هنا كيفية فرق البحر بهم، ولكنه بيّن ذلك في مواضع أُخر كقوله[126]: {فَأَوْحَيْنَا إِلٰى مُوسٰى أَنِ اضْرِبِ بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُل فِرْقٍ كالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}، وقوله[127]: {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلٰى مُوسٰى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا}.

{ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ } (البقرة:50)

لم يبين هنا كيفية إغراقهم ولكنه بيّنها في مواضع أُخر كقوله[128]: {فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسٰى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلٰى مُوسٰى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثمَّ الآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسٰى وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِينَ}، وقوله[129]: {فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ}. وقوله[130]: {وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ}، وقوله: {رَهْوًا}، أي ساكنًا على حالة انفلاقه حتى يدخلوا فيه إلى غير ذلك من الآيات.

{وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسٰى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً} (البقرة:51)

لم يبيّن هنا هل واعده إياها مجتمعة أو متفرقة ولكنه بيّن في سورة الأعراف أنها متفرقة، وأنه واعده أولاً ثلاثين، ثم أتمها بعشر، وذلك في قوله تعالى[131]: {وَوَاعَدْنَا مُوسٰى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}.

{وَإِذْ آتَيْنَا مُوسٰى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (البقرة:53)

الظاهر في معناه: أن الفرقان هو الكتاب الذي أوتيه موسى، والدليل من القرءان[132] {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسٰى وَهارُون الْفُرْقَان}.

---

[125] البقرة 49
[126] الشعراء 63
[127] طه 77
[128] الشعراء 60–66
[129] طه 78
[130] الدخان 24
[131] الاعراف 142
[132] الانبياء 48

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ } (البقرة:54)

لم يبيّن هنا من أي شيء هذا العجل المعبود من دون الله؟ ولكنه بيّن ذلك في مواضع أُخر كقوله[133]: {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ}، وقوله[134]: {وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ}، ولم يذكر المفعول الثاني للاتخاذ في جميع القرءان وتقديره: باتخاذكم العجل إلهًا؛ كما أشار له في سورة «طه» بقوله: {فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى } .

{ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ} (البقرة:63)

أوضحه بقوله[135]: {وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ}.

{ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} (البقرة:63)

لم يبيّن هنا هذا الذي أتاهم ما هو، ولكنه بيّن في موضع آخر أنه الكتاب الفارق بين الحق والباطل، وذلك في قوله[136]: {وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} .

{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ} (البقرة:65)

أجمل قصتهم هنا وفصلها في سورة «الأعراف»، في قوله[137]: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} .

{قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ} (البقرة:68)

لم يبيّن مقصودهم بقولهم: {مَا هِيَ} إلا أن جواب سؤالهم دل على أن مرادهم بقولهم في الموضع الأول {مَا هِيَ} أي: ما سنها ؟ بدليل قوله[138]: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ} الآية. وأن مرادهم بقولهم {مَا هِيَ} في الموضع الآخر هل هي عاملة أو لا وهل فيها عيب أو لا وهل فيها وشي مخالف للونها أو لا بدليل قوله[139]: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِى الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا}.

---

[133] الاعراف 148

[134] طه 87-88

[135] الاعراف 171

[136] البقرة 53

[137] الاعراف 163

[138] البقرة 68

[139] البقرة 71

{وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا} (البقرة:72)

لم يصرح هل هذه النفس ذكر أو أنثى وقد أشار إلى أنها ذكر بقوله[140]: {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا}.

{كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ} (البقرة:73)

أشار في هذه الآية إلى أن إحياء قتيل بني إسرائيل دليل على بعث الناس بعد الموت؛ لأن من أحيا نفسًا واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس، وقد صرح بهذا في قوله[141]: {ما خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ}.

{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} (البقرة:74)

لم يبين هنا سبب قسوة قلوبهم، ولكنه أشار إلى ذلك في مواضع أُخر كقوله[142]: {فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً}، وقوله[143]: {فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ}.

{وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ} (البقرة:78)

المراد {بالأماني} هنا أنهم لا يعلمون الكتاب، لكن يتمنون أماني باطلة، ويدل لهذا القول: قوله تعالى[144]: {وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ}، وقوله[145]: {لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ}.

{ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ} (البقرة:85)

يعني: تقتلون إخوانكم، ويبيّن أن ذلك هو المراد، كثرة وروده كذلك في القرءان نحو قوله[146]: {وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ}، أي: لا يلمز أحدكم أخاه وقوله[147]: {لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا}، أي بإخوانهم وقوله[148]: {فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}، أي: بأن يقتل البريء من عبادة العجل من عبده منهم إلى غير ذلك من الآيات. ويوضح هذا المعنى قوله صلى الله عليه

[140] بقرة 73
[141] لقمان 28
[142] المائدة 13
[143] الحديد 16
[144] البقرة 68
[145] النساء 123
[146] الحجرات 11
[147] النور 12
[148] البقرة 54

وسلم: « إن مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم، كمثل الجسد الواحد إذا أصيب منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى»

{ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} (البقرة:85)

يتبيّن ممّا قبله أن البعض الذي آمنوا به هو فداء الأسارى منهم، والبعض الذي كفروا به هو إخراجهم من ديارهم وقتلهم ومظاهرة العدو عليهم، وإن كفروا بغير هذا من الكتاب وآمنوا بغيره منه.

{ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ} (البقرة:87)

لم يبيّن هنا ما هذه البينات ولكنه بيّنها في مواضع أُخر كقوله[149]: {وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ الله وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ الله وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ}، إلى غير ذلك من الآيات.

{ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} (البقرة:87)

هو جبريل على الأصح، ويدل لذلك قوله تعالى[150]: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ}، وقوله[151]: {فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا}.

{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ} (البقرة:92)

لم يبيّن هنا ما هذه البيّنات وبيّنها في مواضع أُخر كقوله[152]: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ}، وقوله[153]: {فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ}، وقوله[154]: {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا} (البقرة:93)

قال بعض العلماء هو من السمع بمعنى الإجابة ومنه قولهم سمعًا وطاعة أي: إجابة، وطاعة ومنه: سمع الله لمن حمده في الصلاة.

---

[149] ال عمران 49

[150] الشعراء 193

[151] مريم 17

[152] الاعراف 133

[153] الاعراف 107–108

[154] الشعراء 63

أي: أجاب دعاء من حمده، ويشهد لهذا المعنى قوله[155]: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}، وهذا قول الجمهور وقيل: إن المراد بقوله {وَاسْمَعُواْ} أي: بآذنكم ولا تمتنعوا من أصل الاستماع. ويدل لهذا الوجه: أن بعض الكفار ربما امتنع من أصل الاستماع خوف أن يسمع كلام الأنبياء، كما في قوله تعالى عن نوح مع قومه[156]: {وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم واستغشوا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا}.

{يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ} (البقرة:96)

معنى الآية : أن أحد المذكورين يتمنى أن يعيش ألف سنة وطول عمره لا يزحزحه، أي : لا يبعده عن العذاب فالمصدر المنسبك من أن وصلتها في قوله : {أَن يُعَمَّرَ} فاعل اسم الفاعل الذي هو مزحزحه على أصح الأعاريب وفي لو ، من قوله : {لَوْ يُعَمَّرُ}، وجهان:

الأول : وهو قول الجمهور أنها حرف مصدري ، وهي وصلتها في تأويل مفعول به ليود ، والمعنى : { يَوَدُّ أَحَدُهُمْ} أي : يتمنى تعمير ألف سنة ، ولو : قد تكون حرفًا مصدريًا لقول قتيلة بنت الحرث :

ما كان ضرك لو مننت وربما   من الفتى وهو المغيظ المحنق

أي : ما كان ضرك منه . وقال بعض العلماء : إن { لَوْ } هنا هي الشرطية والجواب محذوف وتقديره : لو يعمر ألف سنة ، لكان ذلك أحبّ شيء إليه ، وحذف جواب { لَوْ } مع دلالة المقام عليه واقع في القرءان ، وفي كلام العرب فمنه في القرءان . قوله تعالى[157] : { كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ } ، أي : لو تعلمون علم اليقين لما { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ } . وقوله[158] : { وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ } ، أي : لكان هذا القرءان أو لكفرتم بالرحمن . ومنه في كلام العرب قول الشاعر :

فأقسم لو شيء أتانا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

أي لو شيء أتانا رسوله سواك لدفعناه . إذا عرفت معنى الآية فاعلم أن الله قد أوضح هذا المعنى مبينًا أن الإنسان لو متع ما متع من السنين ثم انقضى ذلك المتاع وجاءه العذاب أن ذلك المتاع الفائت لا ينفعه ، ولا يغني عنه شيئًا بعد انقضائه وحلول العذاب محله . وذلك في قوله[159] : { أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَآءَهُمْ مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ * مَّا أَغْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ } ، وهذه هي أعظم آية في إزالة الداء العضال الذي هو طول الأمل . كفانا الله والمؤمنين شره .

---

[155] النور 51
[156] نوح 7
[157] التكاثر 5
[158] الرعد 31
[159] الشعراء 205-207

{قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ} (البقرة:97)

ظاهر هذه الآية أن جبريل ألقى القرءان في قلب النبي صلى الله عليه وسلم من غير سماع قراءة ونظيرها في ذلك قوله تعالى[160]: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ} .ولكنه بيّن في مواضع أُخر أن معنى ذلك أن الملك يقرؤه عليه حتى يسمعه منه، فتصل معانيه إلى قلبه بعد سماعه وذلك هو معنى تنزيله على قلبه. وذلك كما في قوله تعالى[161]: {لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}، وقوله[162]: {وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَب زِدْنِي عِلْمًا} .

{أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ } (البقرة:100)

ذكر في هذه الآية أن اليهود كلما عاهدوا عهدًا نبذه فريق منهم وصرح في موضع آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المعاهد لهم وأنهم ينقضون عهدهم في كل مرة، وذلك في قوله[163]: {إِنَّ شَرَّ الدَّوابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدْتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لاَ يَتَّقُونَ}، وصرح في آية أخرى بأنهم أهل خيانة إلا القليل منهم، وذلك في قوله[164]: {وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ} .

{وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ} (البقرة:101)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن كثيرًا من اليهود نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولم يؤمنوا به، وبيّن في موضع آخر أن هؤلاء الذين لم يؤمنوا بالكتاب هم الأكثر، وذلك في قوله تعالى[165]: {وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} .

[160] الشعراء 193–194

[161] القيامة 16–19

[162] طه 114

[163] الانفال 55–56

[164] المائدة 13

[165] ال عمران 110

{أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ} (البقرة:108)

لم يبّين هنا هذا الذي سئل موسى من قبل ما هوولكنه بيّنه في موضع آخر. وذلك في قوله[166]: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَد سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ من ذلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا الله جَهَرَةً}.

{ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ} (البقرة:109)

هذه الآية في أهل الكتاب كما هو واضح من السياق، والأمر في قوله {بِأمرِهِ} . قال بعض العلماء: هو واحد الأوامر. وقال بعضهم: هو واحد الأمور، فعلى القول الأول: بأنه الأمر الذي هو ضد النهي؛ فإن الأمر المذكور هو المصرح به في قوله[167]: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوْا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}. وعلى القول بأنه واحد الأمور: فهو ما صرح الله به في الآيات الدالة على ما أوقع باليهود من القتل والتشريد كقوله[168]: {فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَّمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ * وَلَوْلاَ أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِم الْجَلاَءَ لَعَذَّبَهُمْ}. إلى غير ذلك من الآيات، والآية غير منسوخة على التحقيق.

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا} (البقرة:114)

قال بعض العلماء: نزلت في صد المشركين النبيّ صلى الله عليه وسلم عن البيت الحرام في عمرة الحديبية عام ستّ. وعلى هذا القول: فالخراب معنوي، وهو خراب المساجد بمنع العبادة فيها. وهذا القول يبيّنه ويشهد له قوله[169]: {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} . وقال بعض العلماء: الخراب المذكور هو الخراب الحسيّ. والآية نزلت فيمن خرّب بيت المقدس، وهو بختنصر أو غيره وهذا القول يبيّنه ويشهد له قوله جلّ وعلا[170]: {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِرّوُاْ مَا عَلَواْ تَتْبِيرًا.}

{وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ} (البقرة:116)

هذا الولد المزعوم على زاعمه لعائن الله، قد جاء مفصلاً في آيات أُخر كقوله[171]: {وَقَالَتِ الْيَهُود عُزَيْر ابْنُ الله وَقَالَتِ النَّصارَى

---

166 النساء 153
167 التوبة 29
168 الحشر 2–3
169 الفتح 25
170 الاسراء 7
171 التوبة 30

الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذالِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضاهِئونَ قول الذين كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}، وقوله[172]: {وَيَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَاتِ} .

{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} (البقرة:124)

يفهم من هذه الآية أن الله علم أن من ذريّة إبراهيم ظالمين. وقد صرح تعالى في مواضع أُخر بأنّ منهم ظالمًا وغير ظالم. كقوله[173]: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ}، وقوله[174]: {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ} .

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (البقرة:127)

ذكر في هذه الآية رفع إبراهيم وإسماعيل لقواعد البيت. وبيّن في سورة « الحج » أنه أراه موضعه بقوله: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ}، أي: عينّا له محله وعرفناه به. قيل: دله عليه بمزنة كان ظلها قدر مساحته، وقيل: دلّه عليه بريح تسمى الحجوج كنست عنه حتى ظهر اسمه القديم فبنى عليه إبراهيم وإسماعيل عليهما وعلى نبيّنا الصلاة والسلام .

{رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (البقرة:128) {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (البقرة:129)

لم يبيّن هنا من هذه الأمة التي أجاب الله بها دعاء نبيّه إبراهيم وإسماعيل، ولم يبيّن هنا أيضًا هذا الرسول المسؤول بعثه فيهم من هو ولكنه يبيّن في سورة الجمعة أن تلك الأمة العرب، والرّسول هو سيّد الرسل محمّد
صلى الله عليه وسلم، وذلك في قوله[175]: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِّنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * وَآخَرِينَ مِّنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ}؛ لأن الأميين العرب بالإجماع. والرّسول المذكور نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم إجماعًا. ولم يبعث رسول من ذرية إبراهيم وإسماعيل إلا نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم وحده . وثبت في الصحيح أنه هو الرسول الذي دعا به إبراهيم ولا ينافي ذلك عموم رسالته صلى الله عليه وسلم إلى الأسود والأحمر .

[172] النحل 57
[173] الصافات 113
[174] الزخرف 28
[175] الجمعة 2–3

{وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} (البقرة:130)

لم يبيّن هنا ما ملّة إبراهيم وبينها بقوله[176]: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، فصرح في هذه الآية بأنها دين الإسلام الذي بعث الله به نبيّه محمّدًا صلى الله عليه وسلم. وكذا في قوله[177]: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ}.

{وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتم مسْلِمُونَ} (البقرة:132)

أشار إلى أنه دين الإسلام هنا بقوله[178]: {فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ}، وصرح بذلك في قوله[179]: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الإِسْلاَمُ}، وقوله[180]: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْه وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} .

{قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (البقرة:136)

لم يبيّن هنا هذا الذي أنزل إلى إبراهيم، ولكنه بيّن في سورة «الأعلى» أنه صحف وأن من جملة ما في تلك الصحف: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى *} وذلك في قوله: {إِنَّ هذَا لَفِي الْصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرهِيمَ وَمُوسَى}.

{ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى} (البقرة:136)

لم يبين هنا ما أوتيه موسى وعيسى، ولكنه بيّنه في مواضع أُخر. فذكر أن ما أُوتيه موسى هو التوراة المعبّر عنها بالصحف في قوله[181]: {صُحُفِ إِبْراهِيمَ ومُوسَى}، وذلك كقوله[182]: {ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} وهو التوراة بالإجماع. وذكر أن ما أوتيه عيسى هو الإنجيل كما في قوله[183]: {وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ} .

---

[176] الانعام 161
[177] النحل 123
[178] البقرة 132
[179] ال عمران 19
[180] ال عمران 85
[181] الاعلى 19
[182] الانعام 154
[183] الحديد 27

{وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (البقرة:136)

أمر الله النبيّ صلى الله عليه وسلم والمسلمين في هذه الآية أن يؤمنوا بما أوتيه جميع النبيّين وأن لا يفرقوا بين أحد منهم، حيث قال[184]: {قُولُواْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا} إلى قوله[185]: {وَمَآ أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَنُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ}، ولم يذكر هنا هل فعلوا ذلك أو لا؟ ولم يذكر جزاءهم إذا فعلوه ولكنه بيّن كل ذلك في غير هذا الموضع. فصرّح بأنهم امتثلوا الأمر بقوله[186]: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ ورُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ}، وذكر جزاءهم على ذلك بقوله[187]: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}.

{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قل للهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (البقرة:142)

لم يبيّن هنا الصراط المستقيم. ولكنه بيّنه بقوله[188]: {اهْدِنَا الْصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ}.

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً} (البقرة:143)

أي: خيارًا عدولاً. ويدل لأن الوسط الخيار العدول. قوله تعالى[189]: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَت لِلنَّاسِ}، وذلك معروف في كلام العرب ومنه قول زهير:

هم وسط يرضى الأنام لحكمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

{ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدا} (البقرة:143)

لم يبين هنا هل هو شهيد عليهم في الدنيا أو الآخرة ولكنه بيّن في موضع آخر: أنه شهيد عليهم في الآخرة وذلك في قوله[190]: {فكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هؤُلاَءِ شَهِيدًا * يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَو تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلاَ يَكْتُمُونَ الله حَدِيثًا}.

---

[184] البقرة 136

[185] البقرة 136

[186] البقرة 285

[187] النساء 152

[188] الفاتحة 6–7

[189] ال عمران 110

[190] النساء 41–42

{ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (البقرة:143)

ظاهر هذه الآية قد يتوهم منه الجاهل أنه تعالى يستفيد بالاختبار علمًا لم يكن يعلمه بقوله جلّ وعلا[191]: {وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}، فقوله: {وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}، بعد قوله: {لِيَبْتَلِي}، دليل قاطع على أنه لم يستفد بالاختبار شيئًا لم يكن عالمًا به، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا؛ لأن العليم بذات الصدور غني عن الاختبار وفي هذه الآية بيان عظيم لجميع الآيات التي يذكر الله فيها اختباره لخلقه، ومعنى {إِلاَّ لِنَعْلَمَ} أي علمًا يترتب عليه الثواب والعقاب فلا ينافي أنه كان عالمًا به قبل ذلك، وفائدة الاختبار ظهور الأمر للناس. أما عالم السر والنجوى فهو عالم بكل ما سيكون كما لا يخفى.

{ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ } (البقرة:143)

أشار إلى أن الرسول هو محمّد صلى الله عليه وسلم بقوله مخاطبًا له: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ} لأن هذا الخطاب له إجماعًا.

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (البقرة:143)

أي صلاتكم إلى بيت المقدس على الأصح ويستروح ذلك من قوله قبله: {وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ}، ولا سيما على القول باعتبار دلالة الاقتران، والخلاف فيها معروف في الأصول .

{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} (البقرة:144)

{ فلنولينك قبلة ترضاها } بيّنه قوله بعده[192]: {فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} .

---

[191] ال عمران 154

[192] البقرة 144

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} (البقرة:159)

لم يبيّن هنا ما اللاعنون، ولكنه أشار إلى ذلك في قوله[193]: {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}

{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (البقرة:164)

لم يبيّن هنا وجه كون اختلافهما آية، ولكنّه بيّن ذلك في مواضع أُخر كقوله[194]: {أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَالَهَا مِن فُرُوجٍ * والأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُل زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ}، وقوله[195]: {الَّذِي خَلَقَ سَبْع سَماوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَر خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ * وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ}. وقوله في الأرض[196]: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِّزْقِه وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} .

{ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} (البقرة:164)

لم يبيّن هنا وجه كون اختلافهما آية، ولكنّه بيّن ذلك في مواضع أُخر كقوله[197]: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة مَنْ إِلهٌ غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِضِيَآءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن إِلهٌ غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ * وَمِنْ رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.
إلى غير ذلك من الآيات .

{ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (البقرة:164)

لم يبيّن هنا كيفية تسخيره، ولكنه بيّن ذلك في مواضع أُخر كقوله[198]: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا

[193] البقرة 161
[194] ق 6–8
[195] الملك 3–5
[196] الملك 15
[197] القصص 71–73
[198] الاعراف 57

أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ ميتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}، وقوله: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ }.

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ الله أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لله وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لله جَمِيعاً وَأَنَّ الله شَدِيدُ الْعَذَابِ} (البقرة:165)

المراد بالذين ظلموا الكفار وقد بيّن ذلك بقوله في آخر الآية: {وما هُمْ بِخَارِجِين من النَّارِ}، ويدلّ لذلك قوله تعالى عن لقمان مقررًا له[199]: {يا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِالله إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}، وقوله جلّ وعلا[200]: {وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}، وقوله[201]: {وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ الله مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ }.

{إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} (البقرة:166)

أشار هنا إلى تخاصم أهل النار. وقد بيّن منه غير ما ذكر هنا في مواضع أُخر كقوله :{ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ }:

{قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ

{قَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِالله وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَاداً } (سبأ:33)

إلى غير ذلك من الآيات .

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالاً طَيِّباً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} (البقرة:168)

لم يذكر هنا ما يترتب على اتباع خطواته من الضرر، ولكنه أشار إلى ذلك في سورة «النور»، بقوله[202]: {وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ }.

{إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى الله مَا لا تَعْلَمُونَ} (البقرة:169)

لم يبيّن هنا هذا الذي يقولونه عليه بغير علم، ولكنه فصله في مواضع أُخر فذكر أن ذلك الذي يقولونه بغير علم هو أن الله حرّم

[199] لقمان 13
[200] البقرة 254
[201] يونس 106
[202] النور 21

البحائر والسوائب ونحوها، وأن لهُ أولادًا، وأن له شركاء، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا. فصرح بأنه لم يحرم ذلك بقوله[203]: {مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ ولَكِن الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِب}، وقوله[204]: {وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَاءً عَلَى اللهِ}. وقوله[205]: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِّنْ رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وحَلاَلاً}. وقوله[206]: {وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمْ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ}، إلى غير ذلك من الآيات. ونزه نفسه عن الشركاء المزعومة بقوله[207]: {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}، ونحوها من الآيات ونزّه نفسه عن الأولاد المزعومة بقوله[208]: {قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ}. ونحوها من الآيات فظهر من هذه الآيات تفصيل، {مَا} أجمل في اسم الموصول الذي هو {ما}، من قوله[209]: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}.

{إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (البقرة:173)

ظاهر هذه الآية أن جميع أنواع الميتة والدم حرام، ولكنه بيّن في موضع آخر أن ميتة البحر خارجة عن ذلك التحريم وهو قوله[210]: {أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ}. إذ ليس للبحر طعام غير الصيد إلا ميتته. وما ذكره بعض العلماء من أن المراد بطعامه قديده المجفف بالملح مثلاً، وأن المراد بصيده الطري منه. فهو خلاف الظاهر؛ لأن القديد من صيده فهو صيد جعل قديدًا وجمهور العلماء على أن المراد بطعامه ميتته. منهم: أبو بكر الصديق، وزيد بن ثابت، وعبد الله ابن عمر، وأبو أيوب الأنصاري ــــ رضي الله عنهم أجمعين ــــ وعكرمة، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وإبراهيم النخعي، والحسن البصري وغيرهم. كما نقله عنهم ابن كثير. وأشار في موضع آخر إلى أن غير المسفوح من الدماء ليس بحرام وهو قوله[211]: {إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا}، فيفهم منه أن غير المسفوح كالحمرة التي تعلو القدر من أثر تقطيع اللحم ليس بحرام، إذ لو كان كالمسفوح لما كان في التقييد بقوله: {مَّسْفُوحًا}

{فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (البقرة:173)

لم يبين هنا سبب اضطراره، ولم يبين المراد بالباغى والعادى، ولكنه أشار فى موضع آخر الى ان سبب الاضطرار المذكور

---

[203] المائدة 103
[204] الانعام 140
[205] يونس 59
[206] النحل 116
[207] يونس 18
[208] البقرة 116
[209] البقرة 169
[210] المائدة 96
[211] الانعام 145

المخمصة وهى الجوع وهو قوله[212]: {فمن اضطر فى مخمصة}، وأشار الى ان المراد بالباغى والعادى المتجانف للاثم، وذلك فى قوله[213]: {فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم}، والمتجانف المائل، ومنه قول الاعشى:

تجانف عن حجر اليمامة ناقتى وماقصدت من اهلها لسواتكا

فيفهم من الاية ان الباغى والعادى كلاهما متجاتف لاثم، وهذا غاية مايفهم منها. ونقل القرطبى عن قتادة والحسن والربيع وابن زيد وعكرمة ان المعنى: غير با غ اى فى اكله فوق حاجته، ولاعاد بأن يجد عن هذه المحرمات مندوحة ويأكلها.

{لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ} (البقرة:177)

لم يبيّن هنا هل هذا المصدر مضاف إلى فاعله فيكون الضمير عائدًا إلى {مَنْ آتَى الْمَالَ}، والمفعول محذوفًا، أو مضاف إلى مفعوله فيكون الضمير عائدًا إلى المال ولكنه ذكر في موضع آخر ما يدل على أن المصدر مضاف إلى فاعله، وأن المعنى {عَلَى حُبِّهِ}، أي حب مؤتي المال لذلك المال وهو قوله تعالى[214]: {لَنْ تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ}. ولا يخفى أن بين القولين تلازمًا في المعنى.

{ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (البقرة:177)

لم يبيّن هنا ما المراد بالبأس ولكنه أشار في موضع آخر إلى أن البأس القتال، وهو قوله[215]: {قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً}. كما هو ظاهر من سياق الكلام.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ} (البقرة:184)

قال بعض العلماء هي ثلاثة من كل شهر، وعاشوراء. وقال بعض العلماء هي رمضان، وعلى هذا القول فقد بيّنها تعالى بقوله[216]: {شَهْرُ رَمَضَانَ}.

[212] المائدة 3
[213] المائدة 3
[214] ال عمران 92
[215] الاحزاب 18
[216] البقرة 185

{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} (البقرة:185)

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ لم يبيّن هنا هل أنزل في الليل منه أو النهار؟ ولكنه بيّن في غير هذا الموضع أنه أنزل في ليلة القدر من رمضان وذلك في قوله[217]: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}، وقوله[218]: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ}؛ لأن الليلة المباركة هي ليلة القدر على التحقيق وفي معنى إنزاله وجهان : الأول: أنه أنزل فيها جملة إلى السماء الدنيا، كما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما . والثاني: أن معنى إنزاله فيها ابتداء نزوله كما قال به بعضهم .

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} (البقرة:186)

ذكر في هذه الآية أنه جلّ وعلا قريب يجيب دعوة الداعي وبيّن في آية أخرى تعليق ذلك على مشيئته جلّ وعلا وهي قوله[219]: {فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ} . وقال بعضهم التعليق بالمشيئة في دعاء الكفار كما هو ظاهر سياق الآية، والوعد المطلق في دعاء المؤمنين. وعليه فدعاؤهم لا يرد، إما أن يعطوا ما سألوا أو يدخر لهم خير منه أو يدفع عنهم من السوء بقدره . وقال بعض العلماء: المراد بالدعاء العبادة وبالإجابة الثواب، وعليه فلا إشكال .

{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}
(البقرة:187)

{ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ }

بينه قوله: {مِنَ الْفَجْرِ}، والعرب تسمى ضوء الصبح خيطًا، وظلام الليل المختلط به خيطًا، ومنه قول أبي دواد الإيادي :

فلما أضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط أنارا

وقول الآخر : الخيط الابيض ضوء الصبح منفلق والخيط الاسود جنح الليل مكتوم

---

[217] القدر 1

[218] الدخان 3

[219] الانعام 41

{يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (البقرة:189)

لم يصرح هنا بالمراد بمن اتقى، ولكنه بينه بقوله[220]: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}، والكلام في الآية على حذف مضاف أي ولكن ذا البر من اتقى، وقيل ولكن البر برّ من اتقى، ونظير الآية في ذلك من كلام العرب قول الخنساء :

لا تسأم الدهر منه كلما ذكرت فإنما هي إقبال وإدبار

أي ذات إقبال، وقول الشاعر :

وكيف تواصل من أصبحت خلالته كأبي مرحب

أي كخلالة أبي مرحب. وقول الآخر :

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندى

أي ليس الفتيان فتيان نبات اللحى .

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (البقرة:190)

فيه ثلاثة أوجه للعلماء :

الأول: أن المراد بالذين يقاتلونكم من شأنهم القتال، أي دون غيرهم، كالنساء، والصبيان، والشيوخ الفانية، وأصحاب الصوامع . الثاني: أنها منسوخة بآيات السيف الدّالة على قتالهم مطلقًا . الثالث: أن المراد بالآية تهييج المسلمين وتحريضهم على قتال الكفار، فكأنه يقول لهم: هؤلاء الذين أمرتكم بقتالهم هم خصومكم، وأعداؤكم الذين يقاتلونكم، وأظهرها الأول وعلى القول الثالث فالمعنى يبينه ويشهد له قوله تعالى[221]: {وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} .

{وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ} (البقرة:196)

---

[220] البقرة 177

[221] التوبة 36

اختلف العلماء في المراد بالإحصار في هذه الآية الكريمة فقال قوم : هو صدّ العدو المحرم ومنعه إياه من الطواف بالبيت . وقال قوم : المراد به حبس المحرم بسبب مرض ونحوه . وقال قوم : المراد به ما يشمل الجميع من عدو ومرض ونحو ذلك

{لَيسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّه عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ} (البقرة:198)

لم يبيّن هنا ما هذا الفضل الذي لا جناح في ابتغائه أثناء الحج . وأشار في آيات أُخر إلى أنه ربح التجارة كقوله[222] : { وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّه } ؛ لأن الضرب في الأرض عبارة عن السفر للتجارة ، فمعنى الآية يسافرون يطلبون ربح التجارة . وقوله تعالى[223] : { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُواْ فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّه } ، أي : بالبيع والتجارة ، بدليل قوله قبله[224] : { وَذَرُوا الْبَيْعَ } ، أي : فإذا انقضت صلاة الجمعة فاطلبوا الربح الذي كان محرمًا عليكم عند النداء لها . وقد قدّمنا في ترجمة هذا الكتاب أن غلبة إرادة المعنى المعين في القرءان تدلّ على أنه المراد ؛ لأن الحمل على الغالب أولى ، ولا خلاف بين العلماء في أن المراد بالفضل المذكور في الآية ربح التجارة ، كما ذكرنا

{ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّه إِنَّ اللَّه غَفُورٌ رَحِيمٌ} (البقرة:199)

لم يبيّن هنا المكان المأمور بالإفاضة منه المعبر عنه بلفظة { حَيْثُ } ، التي هي كلمة تدل على المكان ، كما تدل حين على الزمان . ولكنه يبيّن ذلك بقوله[225] : { فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَاتٍ } . وسبب نزولها أن قريشًا كانوا يقفون يوم عرفة بالمزدلفة ، ويقولون : نحن قطان بيت اللَّه ، ولا ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ؛ لأن عرفات خارج عن الحرم وعامة الناس يقفون بعرفات ، فأمر اللَّه النبيّ صلى اللَّه عليه وسلم ، والمسلمين ، أن يفيضوا من حيث أفاض الناس ، وهو عرفات ، لا من المزدلفة كفعل قريش . وهذا هو مذهب جماهير العلماء ، وحكى ابن جرير عليه الإجماع ، وعليه فلفظة ثم للترتيب الذكري بمعنى عطف جملة على جملة ، وترتيبها عليها في مطلق الذكر ، ونظيره قوله تعالى[226] : { فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ } .

وقول الشاعر :

إن من ساد ثم ساد أبوه ثم قد ساد قبل ذلك جده

وقال بعض العلماء المراد بقوله : { ثُمَّ أَفِيضُوا } الآية ، أي : من مزدلفة إلى منى ، وعليه فالمراد بالناس إبرهيم . قال ابن جرير في هذا القول : ولولا إجماع الحجة على خلافه لكان هو الأرجح.

[222] المزمل 20
[223] الجمعة 10
[224] الجمعة 9
[225] البقرة 198
[226] البلد 13–17

{زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا} (البقرة:212)

لم يبيّن هنا سخرية هؤلاء الكفار من هؤلاء المؤمنين ولكنه بيّن في موضع آخر أنها الضحك منهم والتغامز وهو قوله تعالى[227] : {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ} .

{ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (البقرة:212)

لم يبين هنا فوقية هؤلاء المؤمنين على هؤلاء الكفرة ، ولكنه بين ذلك في مواضع أُخر كقوله[228] : { فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الآرَائِكَ يَنْظُرُونَ } . وقوله[229] : { أَهؤُلآءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ } .

{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} (البقرة:216)

لم يصف هذا الخير هنا بالكثرة وقد وصفه بها في قوله[230] : { فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}

{ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} (البقرة:217)

لم يبيّن هنا هل استطاعوا ذلك أو لا ؟ ولكنه بيّن في موضع آخر أنهم لم يستطيعوا ، وأنهم حصل لهم اليأس من ردّ المؤمنين عن دينهم ، وهو قوله تعالى[231] : { الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ } . وبيّن في مواضع أُخر أنه مظهر دين الإسلام على كل دين كقوله في «براءة» ، و «الصف» ، و «الفتح» ، { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ }[232]

{يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ} (البقرة:219)

لم يبيّن هنا ما هذا الإثم الكبير ؟ ولكنه بيّن في آية أُخرى أنه إيقاع العداوة والبغضاء بينهم ، والصدّ عن ذكر الله ، وعن الصلاة ،

---

[227] المطففين 29-30

[228] المطففين 34-35

[229] الاعراف 49

[230] النساء 19

[231] المائدة 3

[232] التوبة 33

وهي قوله[233] : { إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يوقع بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسَرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ } .

{وَلا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبد مؤمِنٌ خَيْرٌ من مشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٓئِكَ يَدْعُونَ إِلٰى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُو إِلٰى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (البقرة: 221)

ظاهر عمومه شمول الكتابيات، ولكنّه بيّن في آية أُخرى أن الكتابيات لسن داخلات في هذا التحريم، وهي قوله تعالى[234]: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}، فإن قيل الكتابيات لا يدخلن في اسم المشركات بدليل قوله[235]: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الكتابِ وَالْمُشْرِكِينَ}، وقوله[236]: {ما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَالْمُشْرِكِينَ}، والعطف يقتضي المغايرة، فالجواب أن أهل الكتاب داخلون في اسم المشركين كما صرح به تعالى في قوله[237]: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ الله وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ الله ذلِكَ قَوْلُهُم بأفواههم يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ الله والْمَسِيح ابْنَ مَرْيَم وَمَا أُمِرُوا إِ ّلا لِيَعْبُدُوا إِلهًا وَاحِدًا لاَّ إِلهَ إِ ّلا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} .

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ الله يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} (البقرة:222)

لم يبيّن هنا هذا المكان المأمور بالإتيان منه المعبر عنه بلفظة حيث ولكنه بين أن المراد به الإتيان في القبل في آيتين . إحداهما: هي قوله هنا: {فَأْتُوا حَرْثَكُمْ}؛ لأن قوله: {فَأْتُواْ} أمر بالإتيان بمعنى الجماع وقوله: {حَرْثَكُمْ}، يبيّن أن الإتيان المأمور به إنما هو في محل الحرث يعني بذر الولد بالنطفة، وذلك هو القبل دون الدبر كما لا يخفى؛ لأن الدبر ليس محل بذر للأولاد، كما هو ضروري . الثانية: قوله تعالى[238]: {فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ}؛ لأن المراد بما كتب الله لكم، الولد، على قول الجمهور وهو اختيار ابن جرير، وقد نقله عن ابن عباس، ومجاهد، والحكم، وعكرمة، والحسن البصري، والسدي، والربيع، والضحاك بن مزاحم، ومعلوم أن ابتغاء الولد إنما هو بالجماع في القبل. فالقبل، إذن هو المأمور بالمباشرة فيه، بمعنى الجماع فيكون معنى الآية فالآن باشروهن ولتكن تلك المباشرة في محل ابتغاء الولد، الذي هو القبل دون غيره، بدليل قوله: {وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ}، يعني الولد . ويتّضح لك من هذا أن معنى قوله تعالى: {أَنَّى شِئْتُمْ}، يعني أن يكون الإتيان في محل الحرث

[233] المائدة 91

[234] المائدة 5

[235] البينة 1

[236] البقرة 105

[237] التوبة 30–31

[238] البقرة 187

على أي حالة شاء الرجل، سواء كانت المرأة مستلقية أو باركة أو على جنب، أو غير ذلك، ويؤيد هذا ما رواه الشيخان وأبو داود والترمذي عن جابر رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت[239] {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} . فظهر من هذا أن جابرًا رضي الله عنه يرى أن معنى الآية، فأتوهن في القبل على أية حالة شئتم ولو كان من ورائها . والمقرر في علوم الحديث أن تفسير الصحابي الذي له تعلق بسبب النزول له حكم الرفع كما عقده صاحب «طلعة الأنوار»، بقوله :

تفسير صاحب له تعلق بالسبب الرفع له محقق

{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} (البقرة:225)

لم يصرح هنا بالمراد بما كسبته قلوبهم، ولم يذكر هنا ما يترتب على ذلك إذا حنث، ولكنه بيّن في سورة «المائدة»، أن المراد بما كسبت القلوب، هو عقد اليمين بالنيّة والقصد، وبيّن أن اللازم في ذلك إذا حنث كفارة، هي: إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة ومن عجز عن واحد من الثلاثة فصوم ثلاثة أيام، وذلك في قوله[240]: {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطَ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَو كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ} .

{وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (البقرة:228)

هذه الآية شمولها لجميع المطلقات، ولكنه بيّن في آيات أُخر خروج بعض المطلقات من هذا العموم، كالحوامل المنصوص على أن عدتهن وضع الحمل، في قوله[241]: {وَأُولاَتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} . وكالمطلقات قبل الدخول المنصوص على أنهنّ لا عدة عليهن أصلاً، بقوله[242]: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُن فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً} . أما اللواتي لا يحضن، لكبر أو صغر فقد بيّن أن عدتهن ثلاثة أشهر في قوله[243]: {وَاللائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِّسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ} .

[239] البقرة 223
[240] المائدة 89
[241] الطلاق 4
[242] الاحزاب 49
[243] الطلاق 4

{ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (البقرة:228)

ظاهر هذه الآية الكريمة أن أزواج كل المطلقات أحق بردهن ، لا فرق في ذلك بين رجعية وغيرها . ولكنه أشار في موضع آخر إلى أن البائن لا رجعة له عليها ، وذلك في قوله تعالى[244] : { يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا } . وذلك لأن الطلاق قبل الدخول بائن ، كما أنه أشار هنا إلى أنها إذا بانت بانقضاء العدة لا رجعة له عليها ، وذلك في قوله تعالى : {وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذلِكَ } ؛ لأن الإشارة بقوله : { ذلِكَ }، راجعة إلى زمن العدة المعبر عنه في الآية بـــــ { ثَلاَثَةِ قُرُوءٍ } . واشترط هنا في كون بعولة الرجعيات أحق بردهن إرادتهم الإصلاح بتلك الرجعة ، في قوله : { إِنْ أَرَادُواْ إِصْلاَحًا } ، ولم يتعرض لمفهوم هذا الشرط هنا ، ولكنه صرح في مواضع أُخر أن زوج الرجعية إذا ارتجعها لا بنية الإصلاح بل بقصد الإضرار بها ؛ لتخالعه أو نحو ذلك ، أن رجعتها حرام عليه ، كما هو مدلول النهي في قوله تعالى[245] : { وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ فَقَدْ ظَلَم نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُواْ آيَاتِ اللهِ هُزُوًّا } . فالرجعة بقصد الإضرار حرام إجماعًا ، كما دلّ عليه مفهوم الشرط المصرّح به في قوله[246] : {وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ } ، وصحة رجعته حينئذ باعتبار ظاهر الأمر ، فلو صرح للحاكم بأنه ارتجعها بقصد الضرر ، لأبطل رجعته كما ذكرنا ، والعلم عند الله تعالى .

{ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (البقرة:228)

لم يبيّن هنا ما هذه الدرجة التي للرجال على النساء ، ولكنه أشار لها في موضع آخر وهو قوله تعالى[247] : {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ } ، فأشار إلى أن الرجل أفضل من المرأة ؛ وذلك لأن الذكورة شرف وكمال والأنوثة نقص خلقي طبيعي ، والخلق كأنه مجمع على ذلك ؛ لأن الأنثى يجعل لها جميع الناس أنواع الزينة والحلي ، وذلك إنما هو لجبر النقص الخلقي الطبيعي الذي هو الأنوثة ، بخلاف الذكر فجمال ذكورته يكفيه عن الحلي ونحوه . وقد أشار تعالى إلى نقص المرأة وضعفها الخلقيين الطبيعيين ، بقوله[248] : { أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ } ؛ لأن نشأتها في الحلية دليل على نقصها ، المراد جبره ، والتغطية عليه بالحلي، ولا عبرة بنوادر النساء ؛ لأن النادر لا حكم له.

وأشار بقوله : { وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ } ، إلى أن الكامل في وصفه وقوته وخلقته يناسب حاله ، أن يكون قائمًا على الضعيف الناقص خلقة . ولهذه الحكمة المشار إليها جعل ميراثه مضاعفًا على ميراثها ؛ لأن من يقوم على غيره مترقب للنقص ، ومن يقوم عليه غيره مترقب للزيادة ، وإيثار مترقب النقص على مترقب الزيادة ظاهر الحكمة . كما أنه أشار إلى حكمة كون الطلاق بيد

---

[244] الاحزاب 49
[245] البقرة 231
[246] البقرة 231
[247] النساء 34
[248] الزخرف 18

الرجل دون إذن المرأة بقوله : { نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ } ؛ لأن من عرف أن حقله غير مناسب للزراعة لا ينبغي أن يرغم على الازدراع في حقل لا يناسب الزراعة .

{الطَّلاقُ مَرَّتَانِ} (البقرة:229)

ظاهر هذه الآية الكريمة أن الطلاق كله منحصر في المرتين، ولكنه تعالى بين أن المنحصر في المرتين هو الطلاق الذي تملك بعده الرجعة لا مطلقًا، وذلك بذكره الطلقة الثالثة التي لا تحل بعدها المراجعة إلا بعد زوج. وهي المذكورة في قوله[249]: {فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ}، وعلى هذا القول فقوله[250]: {أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ}، يعني به عدم الرجعة .

{الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ} (البقرة:229)

لم يبين في هذه الآية ولا في غيرها من آيات الطلاق حكمة كون الطلاق بيد الرجل دون إذن المرأة ، ولكنه بيّن في موضع آخر أن حكمة ذلك أن المرأة حقل تزرع فيه النطفة كما يزرع البذر في الأرض ، ومن رأى أن حقله غير صالح للزراعة فالحكمة تقتضي أن لا يرغم على الازدراع فيه ، وأن يترك وشأنه ؛ ليختار حقلاً صالحًا لزراعته وذلك في قوله تعالى[251] : {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ} ، كما تقدم إيضاحه .

{ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (البقرة:229)

صرح في هذه الآية الكريمة بأن الزوج لا يحل له الرجوع في شيء مما أعطى زوجته ، إلا على سبيل الخلع ، إذا خافا ألا يقيما حدود الله ، فيما بينهما ، فلا جناح عليهما إذن في الخلع . أي : لا جناح عليها هي في الدفع ، ولا عليه هو في الأخذ . وصرح في موضع آخر بالنهي عن الرجوع في شيء مما أعطى الأزواج زوجاتهم ، ولو كان المعطى قنطارًا وبين أن أخذه بهتان وإثم مبين ، وبيّن أن السبب المانع من أخذ شيء منه هو أنه أفضى إليها بالجماع . وذلك في قوله تعالى[252] : { وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * وَكَيْف تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ منكمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا} . وبيّن في موضع آخر أن محل النهي عن ذلك إذا لم يكن عن طيب النفس من المرأة ؛ وذلك في

---

[249] البقرة 230

[250] البقرة 229

[251] البقرة 223

[252] النساء 20–21

قوله[253] : { فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا } . وأشار إلى ذلك بقوله[254] : { وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ } .

{وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} (البقرة: 231)

ظاهر قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ}، انقضاء عدتهن بالفعل، ولكنه بيّن في موضع آخر أنه لا رجعة إلا في زمن العدة خاصة، وذلك في قوله تعالى[255]: {وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ}؛ لأن الإشارة في قوله: {ذَلِكَ} راجعة إلى زمن العدة المعبر عنه بثلاثة قروء في قوله تعالى[256]: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ}. فاتضح من تلك الآية أن معنى {فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ}. أي: قاربن انقضاء العدة، وأشرفن على بلوغ أجلها .

{ وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِتَعْتَدُوا} (البقرة: 231)

صرح تعالى في هذه الآية الكريمة بالنهي عن إمساك المرأة مضارة لها؛ لأجل الاعتداء عليها بأخذه ما أعطاها؛ لأنها إذا طال عليها الإضرار افتدت منه؛ ابتغاء السلامة من ضرره. وصرح في موضع آخر بأنها إذا أتت بفاحشة مبينة جاز له عضلها، حتى تفتدي منه وذلك في قوله تعالى[257]: {وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ، إِ ّلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ}، واختلف العلماء في المراد بالفاحشة المبينة . فقال جماعة منهم هي: الزنا، وقال قوم هي: النشوز والعصيان وبذاء اللسان. والظاهر شمول الآية للكل كما اختاره ابن جرير . وقال ابن كثير: إنه جيد، فإذا زنت أو أساءت بلسانها، أو نشزت جازت مضاجرتها؛ لتفتدي منه بما أعطاها على ما ذكرنا من عموم الآية .

{وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (البقرة:233)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن الرجل إذا أراد أن يطلب لولده مرضعة غير أمه لا جناح عليه في ذلك، إذا سلم الأجرة المعينة في

---

[253] النساء 4
[254] النساء 24
[255] البقرة 228
[256] البقرة 228
[257] النساء 19

العقد، ولم يبيّن هنا الوجه الموجب لذلك، ولكنّه بيّنه في سورة {الطلاق} بقوله تعالى[258]: {وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى}، والمراد بتعاسرهم: امتناع الرجل من دفع ما تطلبه المرأة، وامتناع المرأة من قبول الإرضاع بما يبذله الرجل ويرضى به .

{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (البقرة:234)

ظاهر هذه الآية الكريمة أن كل متوفى عنها تعتد بأربعة أشهر وعشر، ولكنه بيّن في موضع آخر أن محل ذلك مالم تكن حاملاً، فإن كانت حاملاً كانت عدتها وضع حملها، وذلك في قوله[259]: {وَأُولاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ}، ويزيده إيضاحًا ما ثبت في الحديث المتفق عليه من إذن النبيّ صلى الله عليه وسلم لسبيعة الأسلمية في الزواج بوضع حملها بعد وفاة زوجها بأيام، وكون عدة الحامل المتوفى عنها بوضع حملها هو الحق، كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم .

{وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ} (البقرة:241)

ظاهر هذه الآية الكريمة أن المتعة حق لكل مطلقة على مطلقها المتقي، سواء طلقت قبل الدخول أم لا، و سوآء'' فرض لها صداق أم لا ويدل علي هذا العموم قوله تعالى[260]: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً}، مع قوله[261]: {لَقَد كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}، وقد تقرر في الأصول أن الخطاب الخاص به صلى الله عليه وسلم يعم حكمه جميع الأمة إلا بدليل على الخصوص كما عقده في « مراقي السعود » بقوله :

وما به قد خوطب النبي تعميمه في المذهب السني

وهو مذهب الأئمة الثلاثة، خلافًا للشافعي القائل بخصوصه به صلى الله عليه وسلم إلا بدليل على العموم، كما بينّاه في غير هذا الموضع . وإذا عرفت ذلك فاعلم: أن أزواج النبيّ مفروض لهن ومدخول بهن، وقد يفهم من موضع آخر أن المتعة لخصوص المطلقة قبل الدخول، وفرض الصداق معًا؛ لأن المطلقة بعد الدخول تستحق الصداق، والمطلقة قبل الدخول وبعد فرض الصداق تستحق نصف الصداق. والمطلقة قبل الدخول وبعد فرض الصداق تستحق نصف الصداق. والمطلقة قبلهما لا تستحق شيئًا، فالمتعة لها خاصة لجبر كسرها وذلك في قوله تعالى[262]: {لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَآءَ مَا لَم تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ}، ثم قال[263]: {وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ}، فهذه الآية ظاهرة في هذا التفصيل، ووجهه ظاهر معقول .

---

[258] الطلاق 6

[259] الطلاق 4

[260] الاحزاب 28

[261] الاحزاب 21

[262] البقرة 236

[263] البقرة 237

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ} (البقرة:243)

المقصود من هذه الآية الكريمة، تشجيع المؤمنين على القتال بإعلامهم بأن الفرار من الموت لا ينجي، فإذا علم الإنسان أن فراره من الموت أو القتل لا ينجيه، هانت عليه مبارزة الأقران؛ والتقدم في الميدان. وقد أشار تعالى أن هذا هو مراده بالآية حيث أتبعها بقوله[264]: {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ}، وصرح بما أشار إليه هنا في قوله[265]: {قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً}، وهذه أعظم آية في التشجيع على القتال؛ لأنها تبين أن الفرار من القتل لا ينجي منه، ولو فرض نجاته منه فهو ميت عن قريب.

{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (البقرة:245)

لم يبيّن هنا قدر هذه الأضعاف الكثيرة، ولكنه بيّن في موضع آخر أنها تبلغ سبعمائة ضعف وتزيد عن ذلك. وذلك في قوله تعالى[266]مثلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِ سُنْبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ} .

{فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} (البقرة:251)

لم يبيّن هنا شيئًا مما علمه، وقد بيّن في مواضع أُخر أن مما علمه صنعة الدروع كقوله[267]: {وعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأَسِكُمْ}، وقوله[268]: {وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ} .

{تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} (البقرة:252)

يفهم من تأكيده هنا بان واللام أن الكفار ينكرون رسالته كما تقرر في فن المعاني، وقد صرح بهذا المفهوم في قوله[269]: {وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسلاً} .

---

[264] البقرة 190

[265] الاحزاب 16

[266] البقرة 261

[267] الانبياء 80

[268] سبأ 10–11

[269] الرعد 43

{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ } (البقرة:253)

لم يبيّن هنا هذا الذي كلمه الله منهم وقد بيّن أن منهم موسى عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام بقوله[270]: {وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}، وقوله[271]: {إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي } .

{ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ} (البقرة:253)

أشار في مواضع أُخر إلى أن منهم محمّدًا صلى الله عليه وسلم كقوله[272] : {عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا}، أو قوله[273] : {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ }، وقوله[274] : { إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } ، وقوله[275] : {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } ، وأشار في مواضع أُخر إلى أن منهم إبرهيم كقوله[276] : {وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرهِيمَ خَلِيلاً } ، وقوله[277] : {إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا } ، إلى غير ذلك من الآيات . وأشار في موضع آخر إلى أن منهم داود وهو قوله[278] : { وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا} ، وأشار في موضع آخر إلى أن منهم إدريس وهو قوله[279] : { وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا } ، وأشار هنا إلى أن منهم عيسى بقوله[280] : { وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ }. وجوازه في غيرها من زيادة الأحوال والخصوص والكرامات فقد قال ما نصه : وأحسن من هذا قول من قال : إن المنع من التفضيل إنما هو من جهة النبوة هو التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها ، وإنما التفضيل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطاف والمعجزات المتباينات . وأما النبوة في نفسها فلا تتفاضل ، وإنما تتفاضل بأمور أُخر زائدة عليها ، ولذلك منهم رسل وأولو عزم ، ومنهم من اتخذ خليلاً ، ومنهم من كلّم الله ورفع بعضهم درجات . قال الله تعالى[281] : { وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا } ، قلت : وهذا قول حسن ، فإنه جمع بين الآي والأحاديث من غير نسخ ، والقول بتفضيل بعضهم على بعض ، إنما هو بما منح من الفضائل وأعطى من الوسائل ، وقد أشار ابن عباس إلى هذا فقال : إن الله فضل محمّدًا صلى الله عليه فقال : إن الله تعالى قال[282] : { وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلهٌ مِّنْ دُونِهِ

---

[270] النساء 164

[271] الاعراف 144

[272] الاسراء 79

[273] سبأ 28

[274] الاعراف 158

[275] الفرقان 1

[276] النساء 125

[277] البقرة 124

[278] الاسراء 55

[279] مريم 57

[280] البقرة 87

[281] الاسراء 55

[282] الانبياء 29

فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } ، وقال لمحمّد صلى الله عليه وسلم[283] : { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا* لِّيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ } ، قالوا : فما فضله على الأنبياء قال : قال الله تعالى[284] : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ } ، وقال الله عزّ وجلّ لمحمّد صلى الله عليه وسلم[285] : { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ } ، فأرسله إلى الجن والإنس ، ذكره أبو محمد الدارمي في « مسنده » ، وقال أبو هريرة : خير بني ءَادم نوح وإبراهيم وموسى ومحمّد صلى الله عليه وسلم وهم أولو العزم من الرسل ، وهذا نصّ من ابن عباس وأبي هريرة في التعيين ، ومعلوم أن من أرسل أفضل ممن لم يرسل ؛ فإن من أرسل فضل على غيره بالرسالة ، واستووا في النبوة إلى ما يلقاه الرسل من تكذيب أممهم وقتلهم إياهم ، وهذا مما لا خفاء به .
والعلم عند الله تعالى .

{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة:262)

يفهم من هذه الاية ان من اتبع انفاقه المن والاذى لم يحصل له هذا الثواب المذكور هنا في قوله : { لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } . وقد صرح تعالى بهذا المفهوم في قوله[286] : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى } .

{اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة:257)

صرح في هذه الآية الكريمة بأن الله ولي المؤمنين ، وصرح في آية أخرى بأنه وليهم وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليّهم ، وأن بعضهم أولياء بعض ، وذلك في قوله تعالى[287] : { إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ} ، وقال[288] : { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } ، وصرح في موضع آخر بخصوص هذه الولاية للمسلمين دون الكافرين وهو قوله تعالى[289] : { ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ } ، وصرح في موضع آخر بأن نبيّه صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وهو قوله تعالى[290] : { النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ } ، وبيّن في آية « البقرة » هذه ، ثمرة ولايته تعالى

[283] محمد 1–2
[284] ابراهيم 4
[285] سبأ 28
[286] البقرة 264
[287] المائدة 55
[288] التوبة 71
[289] محمد 11
[290] الاحزاب 6

للمؤمنين ، وهي إخراجه لهم من الظلمات إلى النور بقوله تعالى[291] : { اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ } ، وبيّن في موضع آخر أن من ثمرة ولايته إذهاب الخوف والحزن عن أوليائه ، وبيّن أن ولايتهم له تعالى بإيمانهن وتقواهم ، وذلك في قوله تعالى[292] : { أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ } ، وصرّح في موضع آخر أنه تعالى وليّ نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وأنه أيضًا يتولّى الصالحين ، وهو قوله تعالى[293] : { إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ } .

{اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} (البقرة:257)

المراد بالظلمات الضلالة ، وبالنور الهدى ، وهذه الآية يفهم منها أن طرق الضلال متعددة؛ لجمعه الظلمات وأن طريق الحق واحدة ؛ لإفراده النور ، وهذا المعنى المشار إليه هنا بيّنه تعالى في مواضع أُخر كقوله[294] : { وَأَنَّ هذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا الْسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ } . قال ابن كثير في تفسير هذه الآية ، ما نصّه : ولهذا وحد تعالى لفظ النور وجمع الظلمات ؛ لأن الحق واحد والكفر أجناس كثيرة وكلها باطلة كما قال : { وَأَنَّ هذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } ، وقال تعالى[295] : { وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالْنُّورَ } ، وقال تعالى[296] : { عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الْشِّمَالِ عزين } ، إلى غير ذلك من الآيات التي في لفظها إشعار بتفرد الحق وانتشار الباطل وتعدده وتشعبه منه بلفظه

{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة:257)

قال بعض العلماء : { الطَّاغُوت } الشيطان ويدل علي هذا قوله تعالى[297] : { إِنَّمَا ذلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ } ، أي يخوفكم من أوليائه . وقوله تعالى[298] : { الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } ، وقوله[299] : { أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَته أَوْلِيَاءَ مِنْ دُوني وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ } ، وقوله[300] : { إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ } ، والتحقيق أن كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت والحظ الأكبر من ذلك للشيطان ، كما قال تعالى[301] : { أَلَمْ

[291] البقرة 257
[292] يونس 62-63
[293] الاعراف 196
[294] الانعام 153
[295] الانعام 1
[296] ق 17
[297] ال عمران 175
[298] النساء 76
[299] الكهف 50
[300] الاعراف 30
[301] يس 60

أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءَادَمَ أَنْ لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ } ، وقال[302] : { إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلاّ إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلاّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا } ، وقال عن خليله إبرهيم[303] : { يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ } ، وقال[304] : { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ } . إلى غير ذلك من الآيات .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (البقرة:264)

بيّن أن المراد بـــ {الَّذِي} الذين بقوله[305]: {لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا } .

{لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} (البقرة:273)

لم يبيّن هنا سبب فقرهم؛ ولكنه بيّن في سورة « الحشر » أن سبب فقرهم هو إخراج الكفار لهم من ديارهم وأموالهم بقوله[306]: {لِلْفُقَرَآءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِنْ دِيَارِهِم وَأَمْوَالِهِمْ } .

{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة:275)

معنى هذه الآية الكريمة أن من جاءه موعظة من ربه يزجره بها عن أكل الربا فانتهى أي: ترك المعاملة بالربا؛ خوفًا من الله تعالى وامتثالاً لأمره {فَلَهُ مَا سَلَفَ} أي: ما مضى قبل نزول التحريم من أموال الربا، ويؤخذ من هذه الآية الكريمة أن الله لا يؤاخذ الإنسان بفعل أمر إلا بعد أن يحرمه عليه، وقد أوضح هذا المعنى في آيات كثيرة، فقد قال في الذين كانوا يشربون الخمر، ويأكلون مال الميسر قبل نزول التحريم[307]: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ } . وقال في الذين كانوا

[302] **النساء 117**

[303] **مريم 44**

[304] **الانعام 121**

[305] **البقرة 264**

[306] **الحشر 8**

[307] **المائدة 93**

يتزوجون أزواج آبائهم قبل التحريم[308]: {وَلاَ تَنْكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ}، أي: لكن ما سلف قبل التحريم فلا جناح عليكم فيه ونظيره قوله تعالى[309]: {وَأَنْ تَجْمَعُواْ بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ} . وقال في الصيد قبل التحريم[310]: {عَفَا اللهُ عَمَّا سَلَفَ}. وقال في الصلاة إلى بيت المقدس قبل نسخ استقباله[311]: {وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس قبل النسخ . ومن أصرح الأدلة في هذا المعنى أن النبيّ صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما استغفروا لقربائهم الموتى من المشركين وأنزل الله تعالى[312]: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَو كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ}، وندموا على استغفارهم للمشركين أنزل الله في ذلك[313]: {وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ}، فصرح بأنه لا يضلهم بفعل أمر إلا بعد بيان اتقائه .

{يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا} (البقرة:276)

صرح في هذه الآية الكريمة بأنه يمحق الربا أي: يذهبه بالكلية من يد صاحبه أو يحرمه بركة ماله فلا ينتفع به كما قاله ابن كثير وغيره، وما ذكر هنا من محق الربا، أشار إليه في مواضع أُخر كقوله[314]: {وَمَا آتَيْتُمْ مِّنْ رِّبًا لِّيَرْبُواْ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلاَ يَرْبُوا عِنْدَ اللهِ}، وقوله[315]: {قُلْ لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ}، وقوله[316]: {وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَه فِي جَهَنَّمَ}، كما أشار إلى ذلك ابن كثير في تفسير هذه الآية. واعلم أن الله صرح بتحريم الربا بقوله[317]: {وَحَرَّمَ الرِّبَا}، وصرّح بأن المتعامل بالربا محارب الله بقوله[318]: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا اتَّقُواْ الله وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْب مِّنَ الله وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاتُظْلَمُونَ} . وصرح بأن آكل الربا لا يقوم أي: من قبره يوم القيامة إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس بقوله[319]: {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذالِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا}، والأحاديث في ذلك كثيرة جدًا .

---

[308] النساء 22
[309] النساء 23
[310] المائدة 95
[311] البقرة 143
[312] التوبة 113
[313] التوبة 115
[314] الروم 39
[315] المائدة 100
[316] الانفال 37
[317] البقرة 275
[318] البقرة 278–279
[319] البقرة 275

{وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ} (البقرة:276)

ذكر في هذه الآية الكريمة أنه تعالى يربي الصدقات ، وبيّن في موضع آخر أن هذا الإرباء مضاعفة الأجر ، وأنه يشترط في ذلك إخلاص النية لوجه الله تعالى ، وهو قوله تعالى[320] : { وَمَا آتَيْتُمْ مِّنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ } .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ} (البقرة:282)

ظاهر هذه الآية الكريمة أن كتابة الدين واجبة ؛ لأن الأمر من الله يدل على الوجوب . ولكنه أشار إلى أنه أمر إرشاد لا إيجاب بقوله : { وَإِن كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوْا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ } ؛ لأن الرهن لا يجب إجماعًا وهو بدل من الكتابة عند تعذرها في الآية فلو كانت الكتابة واجبة لكان بدلها واجبًا . وصرح بعدم الوجوب بقوله : { فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ } ، فالتحقيق أن الأمر في قوله : { يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ } للندب والإرشاد ؛ لأن لرب الدَّيْنِ أن يهبه ويتركه إجماعًا ، فالندب إلى الكتابة فيه إنما هو على جهة الحيطة للناس ، قاله القرطبي . وقال بعضهم : إن أشهدت فحزم ، وإن ائتمنت ففي حل وسعة ابن عطية ، وهذا القول هو الصحيح قاله القرطبي أيضًا . وحكى المهدوي والنحاس ومكي عن قوم أنهم قالوا : { وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ } ، منسوخ بقوله : { فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا } ، وأسنده النحاس عن أبي سعيد الخدري وأنه تلا : { يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَل مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ } ، إلى قوله : { فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ } ، قال : نسخت هذه الآية ما قبلها . قال النحاس : وهذا قول الحسن والحكم وعبد الرحمن بن زيد . قال الطبري : وهذا لا معنى له ؛ لأن هذا حكم غير الأول وإنما هذا حكم من لم يجد كاتبًا . قال الله عزّ وجلّ : { وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا } ، أي فلم يطالبه برهن ، { فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ } ، قال : ولو جاز أن يكون هذا ناسخًا للأول ، لجاز أن يكون قوله عزّ وجلّ : { وَإِنْ كُنْتُمْ مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِّنَ الْغَآئِطِ } ، ناسخًا لقوله عزّ وجلّ : { يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ } ، ولجاز أن يكون قوله عزّ وجلّ : { فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ } ، ناسخًا لقوله عزّ وجلّ : {فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} . وقال بعض العلماء إن قوله تعالى : { فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا } ، لم يتبين بآخر نزوله عن صدر الآية المشتملة على الأمر بالإشهاد بل وردا معًا ، ولا يجوز أن يرد الناسخ والمنسوخ معًا جميعًا في حالة واحدة ، قال : وقد روي عن ابن عباس أنه لمَّا قيل له إن آية الدَّيْن منسوخة قال : لا والله إن آية الدين محكمة ليس فيها نسخ ، قال : والإشهاد إنما جعل للطمأنينة ، وذلك أن اللهّ تعالى جعل لتوثيق الدين طرقًا منها الكتاب ، ومنها الرهن ، ومنها الإشهاد ، ولا خلاف بين علماء الأمصار أن الرهن مشروع بطريق الندب لا بطريق الوجوب ، فيعلم من ذلك مثله في الإشهاد ، وما زال الناس يتبايعون حضرًا وسفرًا وبرًا وبحرًا وسهلاً وجبلاً من غير إشهاد مع علم الناس بذلك من غير نكير . ولو وجب الإشهاد ما تركوا النكير على تاركه .

---

[320] الروم 39

{رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} (البقرة:286)

لم يبيّن هنا هل أجاب دعاءهم هذا أو لا ؟ وأشار إلى أنه أجابه بقوله في الخطأ[321] : { وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ } ، وأشار إلى أنه أجابه في النسيان بقوله[322] : { وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } ، فإنه ظاهر في أنه قبل الذكرى لا إثم عليه في ذلك ، ولا يقدح في هذا أن آية : { وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الْشَّيْطَانُ } مكيّة ؛ وآية : { لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَّسِينَا } ، مدنية إذ لا مانع من بيان المدني بالمكي كعكسه.

{ رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا} (البقرة:286)

لم يبين هنا هل أجاب دعاءهم هذا أو لا ولم يبين الإصر الذي كان محمولاً على من قبلنا ، وبيّن أنه أجاب دعاءهم هذا في مواضع أُخر كقوله[323] : { وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ } ، وقوله[324] : {لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا } ، وقوله[325] : { وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْدِّينِ مِنْ حَرَجٍ } ، وقوله[326] : { يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ } ، إلى غير ذلك من الآيات. وأشار إلى بعض الإصر الذي حمل على من قبلنا بقوله[327] : {فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنْفُسَكُمْ } ؛ لأن اشتراط قتل النفس في قبول التوبة من أعظم الإصر ، والإصر الثقل في التكليف ومنه قول النابغة :

يا مانع الضيم أن يغشى سراتهم والحامل الإصر عنهم بعدما عرفوا

---

[321] الاحزاب 5

[322] الانعام 68

[323] الاعراف 157

[324] البقرة 286

[325] الحج 87

[326] البقرة 185

[327] البقرة 54

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة آل عمران

{وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاّ اللهُ} (آل عمران: 7)

يحتمل أن المراد بالتأويل في هذه الآية الكريمة التفسير وإدراك المعنى، ويحتمل أن المراد به حقيقة أمره التي يؤول إليها وقد قدمنا في مقدمة هذا الكتاب أن من أنوا ع البيان التي ذكرنا أن كون أحد الاحتمالين هو الغالب في القرءَان. يبيّن أن ذلك الاحتمال الغالب هو المراد؛ لأن الحمل على الأغلب أولى من الحمل على غيره . وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الغالب في القرءَان إطلاق التأويل على حقيقة الأمر التي يؤول إليها كقوله[328]: {هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ}، وقوله[329]: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيله يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ}، وقوله[330]: {بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ، ولَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْويلُهُ}، وقوله[331]: {ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}، إلى غير ذلك من الآيات . قال ابن جرير الطبري: وأصل التأويل من آل الشيء إلى كذا إذا صار إليه، ورجع يؤول أو لا، وأولته أنا صيرته إليه.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ} (آل عمران: 10)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن الكفار يوم القيامة لا تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم شيئًا ، وذكر أنهم وقود النار أي : حطبها الذي تتقد فيه ، ولم يبين هنا هل نفيه لذلك تكذيب لدعواهم أن أموالهم وأولادهم تنفعهم ، وبيّن في مواضع أُخر أنهم ادعوا ذلك ظنًّا منهم أنه ما أعطاهم الأموال والأولاد في الدنيا إلا لكرامتهم عليه واستحقاقهم لذلك ، وأن الآخرة كالدنيا يستحقون فيها ذلك أيضًا فكذبهم في آيات كثيرة ، فمن الآيات الدالة على أنهم ادعوا ذلك قوله تعالى[332]: {وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} ، وقوله تعالى[333]: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وقال لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا}، يعني في الآخرة كما أوتيته في الدنيا. وقوله[334]: {وَلَئِنْ رُّجِعْتُ إِلٰى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى} ، أي : بدليل ما أعطاني في الدنيا ، وقوله[335]: {وَلَئِنْ رُّدِدْتُّ إِلٰى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا} ، قياسًا منه للآخرة على الدنيا ورد الله عليهم هذه الدعوى في آيات كثيرة كقوله هنا[336]: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِي

[328] يوسف 100
[329] الاعراف 53
[330] يونس 39
[331] النساء 59
[332] سبأ 35
[333] مريم 77
[334] فصلت 50
[335] الكهف 36
[336] المؤمنون 55-56

عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ }، وقوله: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لاَّ يَشْعُرُونَ} ، وقوله[337]: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى} ،وقوله[338]: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لاَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُم لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ }، وقوله[339]: {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِن كَيْدِي مَتِينٌ } . إلى غير ذلك من الآيات. وصرح في موضع آخر أن كونهم وقود النار المذكور هنا على سبيل الخلود وهو قوله[340]: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِّنَ الله شَيْئًا وَأُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } .

{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ الله بِذُنُوبِهِمْ} (آل عمران: 11)

لم يبيّن هنا من هؤلاء الذين من قبلهم وما ذنوبهم التي أخذهم الله بها. وبيّن في مواضع أُخر أن منهم قوم نوح، وقوم هود، وقوم صالح، وقوم لوط، وقوم شعيب؛ وأن ذنوبهم التي أخذهم بها هي الكفر بالله ، وتكذيب الرسل وغير ذلك من المعاصي ، كعقر ثمود للناقة وكلواط قوم لوط، وكتطفيف قوم شعيب للمكيال والميزان ، وغير ذلك كما جاء مفصلاً في آيات كثيرة كقوله في نوح وقومه[341]: { فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ }، ونحوها من الآيات وكقوله في قوم هود[342]: { إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيح الْعَقِيمَ }، ونحوها من الآيات. وكقوله في قوم صالح[343]: { وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ}، ونحوها من الآيات. وكقوله في قوم لوط[344]: {فَجَعَلْنَا عَالِيَها سَافِلَهَا}، ونحوها من الآيات. وكقوله في قوم شعيب[345]: {فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}، ونحوها من الآيات .

{قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا} (آل عمران: 13)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن وقعة بدر آية أي: علامة على صحة دين الإسلام إذ لو كان غير حق لما غلبت الفئة القليلة الضعيفة المتمسكة به الفئة الكثيرة القوية التي لم تتمسك به .وصرح في موضع آخر أن وقعة بدر بيّنة أي : لا لبس في الحق معها وذلك في

---

[337] سبأ 37
[338] آل عمران 178
[339] الاعراف 182–183
[340] آل عمران 116
[341] العنكبوت 14
[342] الذاريات 41
[343] هود 67
[344] الحجر 74
[345] الشعراء 189

قوله: {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ }. وصرح أيضًا بأن وقعة بدر فرقان فارق بين الحق والباطل ، وهو قوله[346]: {وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ}

{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}
(آل عمران:14)

لم يبيّن هنا كم يدخل تحت لفظ الأنعام من الأصناف ولكنه قد بيّن في مواضع أُخر أنها ثمانية أصناف هي الجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز كقوله تعالى[347]: {وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا }، ثم بيّن الأنعام بقوله[348]: {ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنْ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ}، يعني الكبش والنعجة: { وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ }، يعني: التيس والعنز إلى قوله: {وَمِنَ الإِبِلِ اثْنَيْنِ} يعني: الجمل والناقة، {وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ}، يعني: الثور والبقرة وهذه الثمانية هي المرادة بقوله[349]: {وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ}، وهي المشار إليها بقوله[350]: {فَاطِرُ السَّموَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا} .

تنبيـــــه: ربما أطلقت العرب لفظ النعم على خصوص الإبل ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «من حمر النعم» يعني: الإبل.

وقول حسان رضي الله عنه:

وكانت لا يزال بها أنيس خلال مروجها نعم وشاء

أي : إبل وشاء .

346 الانفال 41

347 لانعام 142

348 الانعام 144

349 الزمر 61

350 الشورى 11

{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (آل عمران:31)

صرح تعالى في هذه الآية الكريمة : أن اتباع نبيه موجب لمحبته جلّ وعلا ذلك المتبع ، وذلك يدل على أن طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم هي عين طاعته تعالى ، وصرح بهذا المدلول في قوله تعالى[351]: {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ} ، وقال تعالى[352]: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُواْ}.

تنبيـــــــه: يؤخذ من هذه الآية الكريمة أن علامة المحبة الصادقةلله ورسوله صلى الله عليه وسلم هي اتباعه صلى الله عليه وسلم ، فالذي يخالفه ويدعي أنه يحبه فهو كاذب مفتر ؛ إذ لو كان محبًا له لأطاعه ،ومن المعلوم عند العامة أن المحبة تستجلب الطاعة ، ومنه قول الشاعر :

لو كان حبك صادقًا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

وقول ابن أبي ربيعة المخزومي :

ومن لو نهاني من حبه عن الماء عطشان لم أشرب

وقد أجاد من قال :

قالت : وقد سألت عن حال عاشقها بالله صفه ولا تنقص ولا تزد

فقلت : لو كان رهن الموت من ظمأ وقلت : قف عن ورود الماء لم يرد

{قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} (آل عمران:40)

لم يبيّن هنا القدر الذي بلغ من الكبر ، ولكنه بيّن في سورة « مريم » أنه بلغ من الكبر عتيًا. وذلك في قوله تعالى عنه[353]: {وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا}، والعتي: اليبس والقحول في المفاصل والعظام من شدة الكبر . وقال ابن جرير في تفسيره: وكل متناه إلى غايته في كبر أو فساد أو كفر فهو عات وعا

351 النساء 80

352 الحشر 7

353 مريم 8

{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} (آل عمران:41)

لم يبين هل المانع له من كلام الناس بكم طرأ له ، أو آفة تمنعه من ذلك . أو لا مانع له إلا الله وهو صحيح لا علة له . ولكنه بيّن في سورة « مريم » أنه لا بأس عليه . وأن انتفاء التكلم عنه لا لبكم ، ولا مرض وذلك في قوله تعالى[354]: { قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيًّا }؛ لأن قوله {سَوِيًّا} حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفاء التكلم بطريق الإعجاز وخرق العادة ، لا لاعتقال اللسان بمرض ، أي : يتعذر عليك تكليمهم ولا تطيقه، في حال كونك سوي الخلق سليم الجوارح، ما بك شائبة بكم ولا خرس، وهذا ما عليه الجمهور، ويشهد له قوله تعالى[355]: {وَاذْكُرْ رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ} . وعن ابن عباس: أن سويًّا عائد إلى الليالي. أي: كاملات مستويات ، فيكون صفة الثلاث، وعليه فلا بيان بهذه الآية لآية آل عمران.

{إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} (آل عمران:45)

لم يبيّن هنا هذه الكلمة التي أطلقت على عيسى؛ لأنها هي السبب في وجوده من إطلاق السبب وإرادة مسببه، ولكنه بيّن في موضع آخر أما أنها لفظة كن، وذلك في قوله[356]: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ} ، وقيل: الكلمة بشارة الملائكة لها بأنها ستلده واختاره ابن جرير، والأول قول الجمهور.

{وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ} (آل عمران:46)

لم يبيّن هنا ما كلمهم به في المهد. ولكنه بيّنه في سورة « مريم » بقوله[357]: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ * وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَم يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا}

{قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (آل عمران:47)

---

[354] مريم 10

[355] آل عمران 41

[356] آل عمران 59

[357] 29–33

أشار في هذه الآية إلى قصة حملها بعيسى وبسطها مبينة في سورة « مريم » بقوله[358]: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا} . إلى آخر القصة وبين النفخ فيها في سورة « التحريم »و« الأنبياء » ، معبرًا في التحريم بالنفخ في فرجها ، وفي « الأنبياء » بالنفخ فيها

{فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (آل عمران:52)

لم يبيّن هنا الحكمة في ذكر قصة الحواريين مع عيسى، ولكنّه بيّن في سورة « الصف »، أن حكمة ذكر قصتهم هي أن تتأسى بهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم في نصرة الله ودينه، وذلك في قوله تعالى[359]: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُواْ أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ} .

{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} (آل عمران:54)

لم يبيّن هنا مكر اليهود بعيسى ولا مكر الله باليهود، ولكنه بيّن في موضع آخر أن مكرهم به محاولتهم قتله، وذلك في قوله[360]: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ} ، وبيّن أن مكره بهم إلقاؤه الشبه على غير عيسى وإنجاؤه عيسى عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسلام، وذلك في قوله[361]: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ولَكِنْ شُبه لَهُمْ} ، وقوله: {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ} الآية .

{إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (آل عمران:55)

قال بعض العلماء: أي منجيك ورافعك إليَّ في تلك النومة ويستأنس لهذا التفسير بالآيات التي جاء فيها إطلاق الوفاة على النوم، كقوله[362]: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ} ، وقوله: {اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} .

---

[358] 16–17

[359] الصف 14

[360] النساء 157

[361] النساء 157–158

[362] الانعام 60

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ} (آل عمران:70)

لم يبيّن هنا ما وجه محاجتهم في إبرهيم . ولكنه بيّن في موضع آخر أن محاجتهم في إبرهيم هي قول اليهود : إنه يهودي ، والنصارى : إنه نصراني ، وذلك في قوله[363]: {أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرهِيمَ وَإِسْمعِيلَ وَإِسْحقَ وَيَعْقُوب وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ} ، وأشار إلى ذلك هنا بقوله[364]: {وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا} .

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ} (آل عمران:90)

قال بعض العلماء: يعني إذا أخروا التوبة إلى حضور الموت فتابوا حينئذ، وهذا التفسير يشهد له قوله تعالى[365]: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ} . وقد تقرر في الأصول حمل المطلق على المقيد ، ولا سيّما إذا اتحد الحكم والسبب كما هنا وقال بعض العلماء : معنى لن تقبل توبتهم لن يوفقوا للتوبة حتى تقبل منهم ويشهد له قوله تعالى[366]: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً} ، فعدم غفرانه لهم لعدم هدايتهم السبيل الذي يغفر لصاحبه ونظيرها قوله تعالى[367]: {لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طريقًا * إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ} .

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَباً وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} (آل عمران: 91)

صرّح في هذه الآية الكريمة، أن الكفار يوم القيامة لا يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبًا ولو افتدى به. وصرّح في مواضع أخر أنه لو زيد بمثله لا يقبل منه أيضًا كقوله[368]: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ} ، وبيّن فى مواضع أُخر ، أنه لا يقبل فداء في ذلك اليوم منهم بتاتًا كقوله[369]: {فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ

---

[363] البقرة 140

[364] ال عمران 66-67

[365] النساء 18

[366] النساء 137

[367] النساء 168-169

[368] المائدة 36

[369] الحديد 15

الَّذِينَ كَفَرُواْ}، وقوله[370]: {وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَا} ، وقوله[371]: {وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ}، والعدل: الفداء.

{فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (آل عمران: 97)

صرّح في هذه الآية، أنه غني عن خلقه، وأن كفر من كفر منهم لا يضره شيئًا، وبيّن هذا المعنى في مواضع متعددة، كقوله عن نبيّه موسى[372]: {وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُواْ أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ الله لَغَنِيٌّ حَمِيدُ}، وقوله[373]: {إِنْ تَكْفُرُواْ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلايَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ}، وقوله[374]: {فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَاسْتَغْنَى الله وَالله غَنِيٌّ حَمْيدٌ}، وقوله[375]: {قَالُوا اتَّخَذَ الله وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ}، إلى غير ذلك من الآيات. فالله تبارك وتعالى يأمر الخلق وينهاهم؛ لا لأنه تضره معصيتهم ولا تنفعه طاعتهم، بل نفع طاعتهم لهم وضرر معصيتهم عليهم، كما قال تعالى[376]: {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا}، وقال[377]: {من عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا}، وقال[378]: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَآءُ إِلَى الله وَالله هُوَ الْغَنِيُّ الحَمِيدُ}. وثبت في « صحيح مسلم » عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه عن ربه أنه قال: « يا عبادي ، لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا ، يا عبادي ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا » الحديث .

تنبيــه: قوله تعالى[379]: {وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَــلَمِينَ}، بعد قوله[380]: {وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً}، يدلّ على أن من لم يحج كافر، والله غني عنه. وفي المراد بقوله: { وَمَنْ كَفَرَ }، أوجه للعلماء. الأول: أن المراد بقوله: {وَمَنْ كَفَرَ} أي: ومن جحد فريضة الحج، فقد كفر والله غني عنه، وبه قال: ابن عباس ومجاهد وغير واحد قاله ابن كثير. ويدل لهذا الوجه ما روي عن عكرمة ومجاهد من أنهما قالا لما نزلت: {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ} ، قالت اليهود : فنحن مسلمون .فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: « إن الله فرض على المسلمين حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، فقالوا : لم يكتب علينا ، وأبوا أن يحجوا » . قال الله تعالى: {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}. الوجه الثاني : أن المراد بقوله : {وَمَنْ

[370]الانعام 70
[371]البقرة 123
[372]ابراهيم 8
[373]الزمر 7
[374]التغابن 6
[375]يونس 68
[376]الاسراء 7
[377]فصلت 46
[378]فاطر 15
[379]ال عمران 97
[380]ال عمران 97

كَفَرَ}، أي: ومن لم يحجّ على سبيل التغليظ البالغ في الزجر عن ترك الحج مع الاستطاعة كقول المقداد الثابت في « الصحيحين » حين سأله عن قتل من أسلم من الكفار بعد أن قطع يده في الحرب: « لا تقتله ، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله ، وإنك بمنزلته قبل أن يقول الكلمة التي قال » . الوجه الثالث: حمل الآية على ظاهرها وأن من لم يحج مع الاستطاعة فقد كفر . وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من ملك زادًا وراحلة ولم يحج بيت الله فلا يضره ، مات يهوديًا ، أو نصرانيًا؛ وذلك بأن الله قال: { وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ } ». روى هذا الحديث الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، كما نقله عنهم ابن كثير وهو حديث ضعيف ضعفه غير واحد بأن في إسناده هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي، وهلال هذا. قال الترمذي: مجهول، وقال البخاري: منكر الحديث، وفي إسناده أيضًا الحارث الذي رواه عن عليّ رضي الله عنه. قال الترمذي: إنه يضعف في الحديث وقد صحّ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: من أطاق الحج فلم يحج فسواء مات يهوديًا أو نصرانيًا، والعلم عند الله تعالى.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران:102)

أكثر العلماء على أنها منسوخة بقوله[381]: {فَاتَّقُواْ الله مَا اسْتَطَعْتُمْ} . وقال بعضهم : هي مبينة للمراد منها فقوله: {حَقّ تُقَاتِهِ} ، أي: بقدر الطاقة، والله تعالى أعلم .

{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (آل عمران:103)

لم يبيّن هنا ما بلغته معاداتهم من الشدة، ولكنّه بيّن في موضع آخر أن معاداتهم بلغت من الشدة أمرًا عظيمًا حتى لو أنفق ما فى الأرض كله؛ لإزالتها وللتأليف بين قلوبهم لم يفد ذلك شيئًا وذلك في قوله[382]: { وَإِنْ يُرِيدُواْ أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ الله هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلكِنَّ الله أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}

[381] التغابن 16

[382] الانفال 62-63

{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} (آل عمران:106)

بيّن في هذه الآية الكريمة أن من أسباب اسوداد الوجوه يوم القيامة الكفر بعد الإيمان ، وذلك في قوله[383]: {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} . وبيّن في موضع آخر أن من أسباب ذلك الكذب على الله تعالى وهو قوله تعالى[384]: {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى الله وُجُوهُهُمْ مُّسْوَدَّةٌ} . وبيّن في موضع آخر أن من أسباب ذلك اكتساب السيئات، وهو قوله[385]: {وَالَّذِينَ كَسَبُواْ الْسَّيِّئَاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ، مَّا لِهُمْ مِّنْ الله مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا} ، وبيّن في موضع آخر أن من أسباب ذلك الكفر والفجور وهو قوله تعالى[386]: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ} . وهذه الأسباب في الحقيقة شيء واحد عبّر عنه بعبارات مختلفة، وهو الكفر بالله تعالى، وبيّن في موضع آخر شدة تشويه وجوههم بزرقة العيون، وهو قوله[387]: { وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا } ، وأقبح صورة أن تكون الوجوه سودًا والعيون زرقا، ألا ترى الشاعر لما أراد أن يصور علل البخيل في أقبح صورة وأشوهها اقترح لها زرقة العيون ، واسوداد الوجوه في قوله :

وللبخيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود

{لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ الله آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ} (آل عمران:113)

ذكر هنا من صفات هذه الطائفة المؤمنة من أهل الكتاب أنها قائمة ، أي : مستقيمة على الحق وأنها تتلو آيات الله آناء الليل وتصلّي وتؤمن بالله وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . وذكر في موضع آخر أنها تتلو الكتاب حقّ تلاوته وتؤمن بالله ، وهو قوله[388]: { الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُولئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ } . وذكر في موضع آخر أنهم يؤمنون بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إليهم وأنهم خاشعون للّه لا يشترون بآياته ثمنًا قليلا ، وهو قوله[389]: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لله لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ الله ثَمَنًا قَلِيلاً} . وذكر في موضع آخر أنهم يفرحون بإنزال القرءَان ، وهو قوله تعالى[390]: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ} . وذكر في موضع آخر أنهم يعلمون أن إنزال القرءَان من الله حقّ ، وهو قوله[391]:

[383] ال عمران 106
[384] الزمر 60
[385] يونس 37
[386] عبس 40-42
[387] طه 102
[388] البقرة 121
[389] ال عمران 199
[390] الرعد 36
[391] الانعام 114

{وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّنْ رَّبِّكَ بِالْحَقِّ} ، وذكر في موضع آخر أنهم إذا تلي عليهم القرءان خرّوا لأذقانهم سجدًا وسبحوا ربهم وبكوا ، وهو قوله[392]: {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا } . وقال في بكائهم عند سماعه أيضًا[393]: {وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَق }، وذكر في موضع آخر أن هذه الطائفة من أهل الكتاب ، تؤتى أجرها مرتين، وهو قوله[394]: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُواْ آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ} .

{هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (آل عمران:119)

يعني : وتؤمنون بالكتب كلها كما يدل عليه قوله تعالى[395]: { وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ } ،وقوله[396]: {كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ }

{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} (آل عمران:133)

يعني: عرضها كعرض السموات والأرض كما بيّنه قوله تعالى في سورة {الحديد}[397]: {سَابِقُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ}، وآية « آل عمران » هذه تبيّن أن المراد بالسماء في آية «الحديد » جنسها الصادق بجميع السموات كما هو ظاهر .

{إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (آل عمران:140)

المراد بالقرح الذي مسّ المسلمين هو ما أصابهم يوم أُحد من القتل والجرح ، كما أشار له تعالى في هذه السورة الكريمة في مواضع متعددة كقوله[398]: {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ}، وقوله[399]: {وَيَتَّخذ منكُمْ

[392] الاسراء 107–109

[393] المائدة 83

[394] القصص 51–54

[395] الشورى 15

[396] البقرة 285

[397] الحديد 31

شُهَدَاءَ }، وقوله[400]: { حَتى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَّا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ، ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ}، وقوله[401]: {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ}، ونحو ذلك من الآيات. وأما المراد بالقرح الذي مسّ القوم المشركين فيحتمل أنه هو ما أصابهم يوم بدر من القتل والأسر ، وعليه فإليه الإشارة بقوله[402]: { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } . ويحتمل أيضًا أنه هزيمة المشركين أولاً يوم أُحد، كما سيأتي قريبًا إن شاء الله تعالى، وقد أشار إلى القرحين معًا بقوله[403]: {أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا }، فالمراد بمصيبة المسلمين القرح الذي مسهم يوم أُحد، والمراد بمصيبة الكفار بمثليها قبل القرح الذي مسّهم يوم بدر؛ لأن المسلمين يوم أُحد قتل منهم سبعون، والكفار يوم بدر قتل منهم سبعون، وأسر سبعون. وهذا قول الجمهور وذكر بعض العلماء أن المصيبة التي أصابت المشركين هي ما أصابهم يوم أُحد من قتل وهزيمة، وعلى هذا الوجه: فالقرح الذي أصاب القوم المشركين يشير إليه قوله تعالى[404]: { وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ } . ومعنى تحسونهم :تقتلونهم وتستأصلونهم.

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} (آل عمران:142)

أنكر الله في هذه الآية ، على من ظن أنه يدخل الجنة دون أن يبتلى بشدائد التكاليف التي يحصل بها الفرق بين الصابر المخلص في دينه ، وبين غيره وأوضح هذا المعنى في آيات متعددة كقوله[405]: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ}، وقوله[406]: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} ، وقوله[407]: {أَلَمْ * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُواْ أَنْ يَقُولُواْ آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} . وفي هذه الآيات سر لطيف وعبرة وحكمة، وذلك أن أبانا ءَادم كان في الجنة يأكل منها رغدًا حيث شاء في أتم نعمة وأكمل سرور، وأرغد عيش. كما قال له ربه[408]: {إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى * وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلاَ

---

[398] ال عمران 143
[399] ال عمران 140
[400] ال عمران 152
[401] ال عمران 153
[402] الانفال 12–13
[403] ال عمران 165
[404] ال عمران 165
[405] البقرة 214
[406] التوبة 16
[407] العنكبوت 1–3
[408] طه 118–119

تَضْحَى}، ولو تناسلنا فيها لكنا في أرغد عيش وأتم نعمة، ولكن إبليس عليه لعائن الله احتال بمكره وخداعه على أبوينا حتى أخرجهما من الجنة، إلى دار الشقاء والتعب وحينئذ حكم الله تعالى أن جنته لا يدخلها أحد إلا بعد الابتلاء بالشدائد وصعوبة التكاليف. فعلى العاقل منا معاشر بني ءادم أن يتصور الواقع ويعلم أننا في الحقيقة سبي سباه إبليس بمكره وخداعه من وطنه الكريم إلى دار الشقاء والبلاء، فيجاهد عدوه إبليس ونفسه الأمّارة بالسوء حتى يرجع إلى الوطن الأول الكريم، كما قال ابن القيم:

ولكننا سبي العدو فهل ترى نرد إلى أوطاننا ونسلم

ولهذه الحكمة أكثر الله تعالى في كتابه من ذكر قصة إبليس مع ءادم لتكون نصب أعيننا دائمًا .

{وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} (آل عمران:146)

والآيات القرآنية مبينة أن النبيّ المقاتل غير مغلوب بل هو غالب، كما صرّح تعالى بذلك في قوله[409]: {كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي}، وقال قبل هذا: {أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ}، وقال بعده: {إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ}. وأغلب معاني الغلبة في القرءان الغلبة بالسيف والسنان كقوله[410]: {إِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ}، وقوله: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِّنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ}، وقوله: {أَلَمْ * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ}، وقوله: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً}، وقوله[411]: {قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ}، إلى غير ذلك من الآيات .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزّىً لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (آل عمران:156)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن المنافقين إذا مات بعض إخوانهم يقولون لو أطاعونا فلم يخرجوا إلى الغزو ما قتلوا، ولم يبيّن هنا هل يقولون لهم ذلك قبل السفر إلى الغزو ليثبطوهم أو لا ونظير هذه الآية: قوله تعالى: {الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا

---

[409] المجادلة 21

[410] الانفال 66

[411] ال عمران 12

قُتِلُواْ}، ولكنه بيّن في آيات أُخر أنهم يقولون لهم ذلك قبل الغزو ليثبطوهم كقوله[412]: {وَقَالُواْ لاَ تَنْفِرُواْ فِي الْحَرِّ} ، وقوله[413]: {قَدْ يَعْلَمُ الله الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَآئِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا} وقوله[414]: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ} إلى غير ذلك من الآيات .

{وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ الله أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ الله وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} (آل عمران:157)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن المقتول في الجهاد والميت كلاهما ينال مغفرة من الله ورحمة خيرًا له مما يجمعه من حطام الدنيا وأوضح وجه ذلك في آية أخرى بيّن فيها أن الله اشترى منه حياة قصيرة فانية منغصة بالمصائب والآلام بحياة أبدية لذيذة لا تنقطع ولا يتأذى صاحبها بشيء واشترى منه مالاً قليلاً فانيًا بملك لا ينفذ ولا ينقضي أبدًا ، وهي قوله[415]: {إِنَّ الله اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُون وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرءَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ الله فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، وقال تعالى[416]: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْت نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا}، وبيّن في آية أخرى أن فضل الله ورحمته خير مما يجمعه أهل الدنيا من حطامها وزاد فيها الأمر بالفرح بفضل الله ورحمته دون حطام الدنيا ، وهي قوله تعالى[417]: {قُلْ بِفَضْلِ الله وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}، وتقديم المعمول يؤذن بالحصر أعني قوله: {فَبِذلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ}، أي: دون غيره فلا يفرحوا بحطام الدنيا الذي يجمعونه. وقال تعالى[418]: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ} .

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ الله لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}(آل عمران:159)

قد قدمنا في سورة « الفاتحة » في الكلام على قوله تعالى: {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}، أن الجموع المذكرة ونحوها مما يختص بجماعة العقلاء من الذكور إذا وردت في كتاب الله تعالى أو سنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم، اختلف العلماء فيها هل يدخل النساء أو لا يدخلن إلا بدليل على دخولهن وبذلك تعلم أن قوله تعالى: {وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ} يحتمل دخول النساء فيه وعدم دخولهن

412 التوبة 81
413 الاحزاب 18
414 النساء 72
415 التوبة 111
416 الانسان 20
417 يونس 58
418 الزخرف 32

بناء على الاختلاف المذكور ، ولكنّه تعالى بيّن في موضع آخر أنهنّ داخلات في جملة من أمر صلى الله عليه وسلم بالاستغفار لهم ، وهو قوله تعالى[419]: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} .

{أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (آل عمران:162)

ذكر في هذه الآية أن من اتبع رضوان الله ليس كمن باء بسخط منه ؛ لأن همزة الإنكار بمعنى النفي ولم يذكر هنا صفة من اتبع رضوان الله ، ولكن أشار إلى بعضها في موضع آخر وهو قوله[420]: { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشُوهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبنا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} . وأشار إلى بعض صفات من باء بسخط من الله بقوله[421]: {تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} ، وبقوله هنا[422]: {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ} .

{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (آل عمران:165)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن ما أصاب المسلمين يوم أُحد إنما جاءهم من قبل أنفسهم ، ولم يبيّن تفصيل ذلك هنا ولكنه فصله في موضع آخر وهو قوله[423]: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَّا تُحِبُّون مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةِ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ} ، وهذا هو الظاهر في معنى الآية ؛ لأن خير ما يبين به القرءَان القرءَان .

{وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} (آل عمران:169)

نهى الله تبارك وتعالى في هذه الآية عن ظن الموت بالشهداء، وصرح بأنهم {أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} ، وأنهم فرحون {بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} . ولم يبيّن هنا هل حياتهم

[419] محمد 19
[420] ال عمران 173-174
[421] المائدة 80
[422] ال عمران 161
[423] ال عمران 152

هذه في البرزخ يدرك أهل الدنيا حقيقتها أو لا ؟ ولكنه بيّن في سورة «البقرة » أنهم لا يدركونها بقوله[424]: {وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَات بَلْ أَحْيَآءٌ وَلكِنْ لاَّ تَشْعُرُونَ} ؛ لأن نفي الشعور يدل على نفي الإدراك من باب أولى كما هو ظاهر .

{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُم }(آل عمران:173)

قال جماعة من العلماء : المراد بالناس نعيم بن مسعود الأشجعي أو أعرابي من خزاعة. كما أخرجه ابن مردويه من حديث أبي رافع ويدلّ علي هذا توحيد المشار إليه في قوله تعالى[425]: {إِنَّمَا ذلِكُمْ الشَّيْطَانُ} .

{وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} (آل عمران:178)

ذكر في هذه الآية الكريمة أنه يملي للكافرين ويمهلهم لزيادة الإثم عليهم وشدة العذاب . وبيّن في موضع آخر أنه لا يمهلهم متنعمين هذا الإمهال إلا بعد أن يبتليهم بالبأساء والضراء ، فإذا لم يتضرعوا أفاض عليهم النعم وأمهلهم حتى يأخذهم بغتة ، كقوله[426]: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّآءُ وَالسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} ، وقوله[427]: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلاَ إِذْ جَآءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا} إلى قوله {أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُّبْلِسُونَ}. وبيّن في موضع آخر: أن ذلك الاستدراج من كيده المتين، وهو قوله[428]: { سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ } . وبيّن في موضع آخر: أن الكفار يغترون بذلك الاستدراج فيظنون أنه من المسارعة لهم في الخيرات، وأنهم يوم القيامة يؤتون خيرًا من ذلك الذي أوتوه في الدنيا ، كقوله تعالى[429]: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينٍ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لاَّ يَشْعُرُونَ} ، وقوله[430]: {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا} ، وقوله[431]: {وَلَئِنْ رُّدِدْتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا} ، وقوله[432]: { وَلَئِنْ رُّجِعْتَ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى } ، وقوله[433]: { وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا } . كما تقدم، والبأساء: الفقر والفاقة، والضراء: المرض على قول الجمهور، وهما مصدران مؤنثان لفظًا بألف التأنيث الممدودة.

---

[424] البقرة 154
[425] ال عمران 175
[426] الاعراف 94-95
[427] الانعام 42-43
[428] القلم 44-45
[429] المؤمنون 55-56
[430] مريم 77
[431] الكهف 36
[432] فصلت 50
[433] سبأ 35

{لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (آل عمران:186)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن المؤمنين سيبتلون في أموالهم وأنفسهم ، وسيسمعون الأذى الكثير من أهل الكتاب والمشركين، وأنهم إن صبروا على ذلك البلاء والأذى واتقوا الله، فإن صبرهم وتقاهم {من عزم الأمور}، أي: من الأمور التي ينبغي العزم والتصميم عليها لوجوبها. وقد بيّن في موضع آخر أن من جملة هذا البلاء: الخوف والجوع وأن البلاء في الأنفس والأموال هو النقص فيها ، وأوضح فيه نتيجة الصبر المشار إليها هنا بقوله: {فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ}، وذلك الموضع هو قوله تعالى[434]: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}، وبقوله[435]: { مَا أَصَابَ مِّنْ مُّصِيبة إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ }، ويدخل في قوله: {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ}، الصبر عند الصدمة الأولى، بل فسره بخصوص ذلك بعض العلماء، ويدل على دخوله فيه قوله قبله: { مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ }. وبيّن في موضع آخر أن خصلة الصبر لا يُعطاها إلا صاحب حظٍ عظيم وبخت كبير ، وهو قوله[436]: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}، وبيّن في موضع آخر أن جزاء الصبر لا حساب له، وهو قوله[437]: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} .

{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (آل عمران:191)

ذكر في هذه الآية أن من جملة ما يقوله أُولوا الألباب تنزيه ربهم عن كونه خلق السموات والأرض باطلاً، لا لحكمة سبحانه تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا. وصرح في موضع آخر بأن الذين يظنون ذلك هم الكفار ، وهددهم على ذلك الظن السَّيِّيء بالويل من النار، وهو قوله[438]: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِين كَفَرُواْ مِنَ النَّارِ} .

---

[434] البقرة 155–157

[435] التغابن 11

[436] فصلت 35

[437] الزمر 10

[438] ص 27

{لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ} (آل عمران:198)

لم يبيّن هنا ما عنده للأبرار، ولكنه بيّن في موضع آخر أنه النعيم، وهو قوله[439]: {إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ}، وبيّن في موضع آخر أن من جملة ذلك النعيم الشرب من كأس ممزوجة بالكافور، وهو قوله[440]: {إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} .

[439] المطففين 22
[440] الانسان 5

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النساء

{وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} (النساء:2)

أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة بإيتاء اليتامى أموالهم، ولم يشترط هنا في ذلك شرطًا، ولكنه بيّن هذا أن هذا الإيتاء المأمور به مشروط بشرطين: الأول: بلوغ اليتامى. والثاني: إيناس الرشد منهم، وذلك في قوله تعال[441]ى: {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ} وتسميتهم يتامى في الموضعين، إنما هي باعتبار يتمهم الذي كانوا متصفين به قبل البلوغ، إذ لا يتم بعد البلوغ إجماعًا، .

{ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} (النساء:2)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن أكل أموال اليتامى حوب كبير، أي: إثم عظيم، ولم يبيّن مبلغ هذا الحوب من العظم، ولكنه بيّنه في موضع آخر وهو قوله[442]: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا}

{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا} (النساء:3)

المعنى كما قالت أم المؤمنين، عائشة رضي الله عنها : أنه كان الرجل تكون عنده اليتيمة في حجره ، فإن كانت جميلة ، تزوجها من غير أن يقسط في صداقها، وإن كانت دميمة رغب عن نكاحها وعضلها أن تنكح غيره؛ وهذا المعنى الذي ذهبت إليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، يبيّنه ويشهد له قوله تعالى[443] : {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكَحُوهُنَّ}، وقالت رضي الله عنها : إن المراد بما يتلى عليكم في الكتاب هو قوله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِى الْيَتَـمَى}، فتبين أنها يتامى النساء بدليل تصريحه بذلك في قوله:

---

[441] النساء 6

[442] النساء 10

[443] النساء 127

{فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لاَ تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ}، فظهر من هذا أن المعنى وإن خفتم ألا تقسطوا في زواج اليتيمات فدعوهن، وانكحوا ما طاب لكم من النساء سواهن، وجواب الشرط دليل واضح على ذلك؛ لأن الربط بين الشرط والجزاء يقتضيه، وهذا هو أظهر الأقوال؛ لدلالة القرءَان عليه.

{لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً} (النساء: 7)

لم يبيّن هنا قدر هذا النصيب الذي هو للرجال والنساء مما ترك الوالدان والأقربون، ولكنه بيّنه في آيات المواريث كقوله[444]: {يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ}، وقوله في خاتمة هذه السورة الكريمة:[445] {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ}.

{يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ} (النساء: 11)

لم يبيّن هنا حكمة تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث مع أنهما سواء في القرابة . ولكنه أشار إلى ذلك في موضع آخر وهو قوله تعالى:[446][447] {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ}؛ لأن القائم على غيره المنفق ماله عليه مترقب للنقص دائمًا، والمقوم عليه المنفق عليه المال مترقب للزيادة دائمًا ،

{ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ} (النساء: 11)

صرّح تعالى في هذه الآية الكريمة بأن البنات إن كن ثلاثًا فصاعدًا، فلهن الثلثان وقوله:[448][449] {فَوْقَ اثْنَتَيْنِ} يوهم أن الاثنتين ليستا كذلك، وصرّح بأن الواحدة لها النصف، ويفهم منه أن الاثنتين ليستا كذلك أيضًا، وعليه ففي دلالة الآية على قدر ميراث البنتين إجمالا. وقد أشار تعالى في موضعين إلى أن هذا الظرف لا مفهوم مخالفة له ، وأن للبنتين الثلثين أيضًا. الأول قوله تعالى:[450] {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ}، إذ الذكر يرث مع الواحدة الثلثين بلا نزاع، فلا بد أن يكون للبنتين الثلثان في صورة، وإلا لم

---

[444] النساء 34

[445]

[446] النساء 34

[447]

[448] النساء 11

[449]

[450] النساء 11

يكن للذكر مثل حظ الأنثيين؛ لأن الثلثين ليسا بحظ لهما أصلاً، لكن تلك الصورة ليست صورة الاجتماع، إذ ما من صورة يجتمع فيها الابنتان مع الذكر ويكون لهما الثلثان، فتعين أن تكون صورة انفرادهما عن الذكر

. فبهذا يظهر أنه جلّ وعلا ، أشار إلى ميراث البنتين بقوله : {لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ} ، كما بيّنا ، ثم ذكر حكم الجماعة من البنات ، وحكم الواحدة منهنّ بقوله:[451] {فَإِنْ كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ} ، ومما يزيده إيضاحًا، أنه تعالى فرعه عليه بالفاء في قوله: { فَإِنْ كُنَّ } ، إذ لو لم يكن فيما قبله ما يدل على سهم الإناث لم تقع الفاء موقعها كما هو ظاهر .الموضع الثاني: هو قوله تعالى في الأختين: [452]{فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ} ؛ لأن البنت أمس رحمًا، وأقوى سببًا في الميراث من الأخت بلا نزاع.

{وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ} (النساء:12)

المراد في هذه الآية بالإخوة الذين يأخذ المنفرد منهم السدس وعند التعدد يشتركون في الثلث ذكرهم وأنثاهم، سواء أخوة الأم بدليل بيانه تعالى أن الإخوة من الأب أشقاء أو لا، يرث الواحد منهم كل المال، وعند اجتماعهم يرثون المال كله للذكر مثل حظ الأنثيين .

{وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً} (النساء:15)

لم يبيّن هنا هل جعل لهن سبيلاً أو لا؟ ولكنه بيّن في مواضع أُخر أنه جعل لهن السبيل بالحد كقوله في البكر: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا} ، وقوله في الثيب: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم) ؛ لأن هذه الآية باقية الحكم كما صح عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه وإن كانت منسوخة التلاوة . وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن حكم الرجم مأخوذ أيضًا من آية أخرى محكمة غير منسوخة التلاوة ، وهي قوله تعالى :[453] {

---

[451] النساء 11

[452] النساء 176

[453] ال عمران 23

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ } ، فإنها نزلت في اليهودي واليهودية اللذين زنيا وهما محصنان ورجمهما النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فذمه تعالى في هذا الكتاب للمعرض عما في التوراة من رجم الزاني المحصن ، دليل قرءاني واضح على بقاء حكم الرجم ، ويوضح ما ذكرنا من أنه تعالى جعل لهن السبيل بالحد ، قوله صلى الله عليه وسلم في الصحيح : « خذوا عني ، قد جعل الله لهن سبيلاً » الحديث .

{وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً} (النساء:22)

نهى الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن نكاح المرأة التي نكحها الأب ، ولم يبيّن ما المراد بنكاح الأب هل هو العقد أو الوطء ، ولكنّه بيّن في موضع آخر أن اسم النكاح يطلق على العقد وحده ، وإن لم يحصل مسيس وذلك في قوله تعالى :[454] { يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ } ، فصرح بأنه نكاح وأنه لا مسيس فيه . وقد أجمع العلماء على أن من عقد عليها الأب حرمت على ابنه ، وإن لم يمسها الأب ، وكذلك عقد الابن محرّم على الأب إجماعًا ، وإن لم يمسها وقد أطلق تعالى النكاح في آية أخرى مريدًا به الجماع بعد العقد ، وذلك في قوله :[455] { فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} ؛ لأن المراد بالنكاح هنا ليس مجرد العقد ، بل لا بد معه من الوطء ، كما قال صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعة القرظي : « لا ، حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك » ، يعني الجماع ولا عبرة بما يروى من المخالفة عن سعيد بن المسيّب ؛ لوضوح النص الصريح الصحيح في عين المسألة . ومن هنا قال بعض العلماء لفظ النكاح مشترك بين العقد والجماع ، وقال بعضهم هو حقيقة في الجماع مجاز في العقد ؛ لأنه سببه وقال بعضهم بالعكس .

تنبيـــــه: قال بعض العلماء : إن لفظة { مَا } من قوله :[456] { وَلاَ تَنْكَحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ } وأظهر الأقوال في قوله تعالى : { إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ } ، أن الاستثناء منقطع ، أي لكن ما مضى من ارتكاب هذا الفعل قبل التحريم فهو معفو عنه كما تقدم ، والعلم عند الله تعالى .

{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً} (النساء:23)

[454] الاحزاب 49
[455] البقرة 23
[456] النساء 22

يفهم منه أن حليلة دعيه الذي تبناه لا تحرم عليه ، وهذا المفهوم صرّح به تعالى في قوله :[457] { فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً } ، وقوله :[458] { وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَائَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ } ، وقوله :[459] { ماكان مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِّجَالِكُمْ } .

أما تحريم منكوحة الابن من الرضاع فهو مأخوذ من دليل خارج وهو تصريحه صلى الله عليه وسلم بأنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، والعلم عند الله تعالى .

{وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ} (النساء:24)

اعلم أولاً أن لفظ المحصنات أطلق في القرءان ثلاثة إطلاقات :

الأول : المحصنات العفائف ، ومنه قوله تعالى :[460] { مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ } ، أي عفائف غير زانيات .

الثاني : المحصنات الحراير ، ومنه قوله تعالى :[461] { فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ} ، أي على الإماء نصف ما على الحرائر من الجلد .

الثالث : أن يراد بالإحصان التزوج ، ومنه على التحقيق قوله تعالى :[462] { فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ } الآية ، أي : فإذا تزوجن . وقول من قال من العلماء : إن المراد بالإحصان في قوله :[463] { فَإِذَآ أُحْصِنَّ }، الإسلام خلاف الظاهر من سياق الآية ؛ لأن سياق الآية في الفتيات المؤمنات حيث قال : { وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً } .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية ما نصّه : والأظهر والله أعلم أن المراد بالإحصان ها هنا التزويج ؛ لأن سياق الآية يدلّ عليه حيث يقول سبحانه وتعالى : [464]{ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ }، والله أعلم . والآية الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات ، فتعين أن المراد بقوله : { فَإِذَا أُحْصِنَّ } ، أي تزوجن كما فسره ابن عباس وغيره .

---

[457] الاحزاب 37
[458] الاحزاب 4
[459] الاحزاب 40
[460] النساء 25
[461] النساء 25
[462] النسا 25
[463] النساء 25
[464] النساء 25

{ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ } (النساء:24)

يعني : كما أنكم تستمتعون بالمنكوحات فاعطوهن مهورهن في مقابلة ذلك ، وهذا المعنى تدل له آيات من كتاب الله كقوله تعالى :[465] { وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ } ، فإفضاء بعضهم إلى بعض المصرح بأنه سبب لاستحقاق الصداق كاملاً ، هو بعينه الاستمتاع المذكور هنا في قوله : { فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ } ، وقوله :[466] {وَآتُواْ النِّسَآءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً } ، وقوله :[467] {وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا} . فالآية في عقد النكاح ، لا في نكاح المتعة كما قال به من لا يعلم معناها ، فإن قيل التعبير بلفظ الأجور يدل على أن المقصود الأجرة في نكاح المتعة ؛ لأن الصداق لا يسمى أجرًا ، فالجواب أن القرءان جاء في تسمية الصداق أجرًا في موضع لا نزاع فيه ؛ لأن الصداق لما كان في مقابلة الاستمتاع بالزوجة كما صرّح به تعالى في قوله :[468] {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ} ، صار له شبه قوي بأثمان المنافع فسمي أجرًا ، وذلك الموضع هو قوله تعالى :[469] {فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} ، أي : مهورهن بلا نزاع ، ومثله قوله تعالى :[470] {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} . أي : مهورهن فاتّضح أن الآية في النكاح لا في نكاح المتعة ، فإن قيل : كان ابن عباس وأُبي بن كعب ، وسعيد بن جبير ، والسدي يقرأون: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ} إلى أجل مسمى ، وهذا يدلّ على أن الآية في نكاح المتعة ، فالجواب من ثلاثة أوجه :

الأول : أن قولهم إلى أجل مسمى لم يثبت قرءانًا ؛ لإجماع الصحابة على عدم كتبه في المصاحف العثمانية ، وأكثر الأصوليين على أن ما قرأه الصحابي على أنه قرءان ، ولم يثبت كونه قرءانًا لا يستدل به على شيء ؛ لأنه باطل من أصله ؛ لأنه لما لم ينقله إلا على أنه قرءان فبطل كونه قرءانًا ظهر بطلانه من أصله . الثاني : أنا لو مشينا على أنه يحتج به ، كالاحتجاج بخبر الآحاد كما قال به قوم ، أو على أنه تفسير منهم للآية بذلك ،

فهو معارض بأقوى منه ؛ لأن جمهور العلماء على خلافه ؛ ولأن الأحاديث الصحيحة الصريحة قاطعة بتحريم نكاح المتعة ، وصرح صلى الله عليه وسلم بأن ذلك التحريم دائم إلى يوم القيامة ، كما ثبت في « صحيح» مسلم من حديث سبرة بن معبد الجهني رضي الله عنه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة . فقال : « يا أيها الناس إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع في النساء ، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهنّ شيء فليخل سبيله ، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا » . وفي رواية لمسلم في حجة الوداع : ولا تعارض في ذلك ؛ لإمكان أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك يوم فتح مكة ،وفي حجة الوداع أيضًا والجمع واجب إذا أمكن ، كما تقرر في علم الأصول وعلوم الحديث . الثالث : أنّا لو سلمنا تسليمًا جدليًا أن الآية تدلّ على إباحة نكاح المتعة فإن إباحتها منسوخة كما صح نسخ ذلك في الأحاديث

---

[465] النساء 21

[466] النساء 4

[467] البقرة 229

[468] النساء 21

[469] النساء 25

[470] المائدة 5

المتفق عليها عنه صلى الله عليه وسلم ، وقد نسخ ذلك مرتين الأولى يوم خيبر كما ثبت في الصحيح ، والآخرة يوم فتح مكة ، كما ثبت في الصحيح أيضًا . وقال بعض العلماء : نسخت مرة واحدة يوم الفتح ، والذي وقع في خيبر تحريم لحوم الحمر الأهلية فقط ، فظن بعض الرواة أن يوم خيبر ظرف أيضًا لتحريم المتعة .

واختار هذا القول ابن القيم ، ولكن بعض الروايات الصحيحة ، صريحة في تحريم المتعة يوم خيبر أيضًا ، فالظاهر أنها حرمت مرتين كما جزم به غير واحد ، وصحت الرواية به . والله تعالى أعلم . الرابع : أنه تعالى صرّح بأنه يجب حفظ الفرج عن غير الزوجة والسرية في قوله تعالى :[471] {إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} ، في الموضعين ، ثم صرّح بأن المبتغى وراء ذلك من العادين بقوله :[472] {فَمَنِ ابْتَغَى وَرَآءَ ذلِكَ} . ومعلوم أن المستمتع بها ليست مملوكة ولا زوجة ، فمبتغيها إذن من العادين بنص القرءان ، أما كونها غير مملوكة فواضح، وأمّاكونها غير زوجة فلانتفاء لوازم الزوجية عنها كالميراث ، والعدّة ، والطلاق ، والنفقة ، ولو كانت زوجة لورثت واعتدت ووقع عليها الطلاق ووجبت لها النفقة ، كما هو ظاهر ، فهذه الآية التي هي : {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَآءَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} ، صريحة في منع الاستمتاع بالنساء الذي نسخ . وسياق الآية التي نحن بصددها يدلّ دلالة واضحة على أن الآية في عقد النكاح كما بينّا لا في نكاح المتعة ، لأنه تعالى ذكر المحرمات التي لا يجوز نكاحها ، بقوله تعالى :[473] {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ} الخ ... ثم بيّن أن غير تلك المحرمات حلال بالنكاح بقوله :[474] {وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَآءَ ذلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُمْ مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ} ، ثمّ بيّن أن من نكحتم منهن واستمتعتم بها يلزمكم أن تعطوها مهرها ، مرتبًا لذلك بالفاء على النكاح بقوله: {فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ} ، كما بينّاه واضحًا والعلم عند الله تعالى

[471] المومنون6
[472] المومنون5–7
[473] النساء 23
[474] النساء 2

{وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (النساء:25)

لم يبيّن هنا هذا العذاب الذي على المحصنات وهن الحرائر الذي نصفه على الإماء ، ولكنه بيّن في موضع آخر أنه جلد مائة بقوله :[475] {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ} ، فيعلم منه أن على الأمة الزانية خمسين جلدة ويلحق بها العبد الزاني فيجلد خمسين ، فعموم الزانية مخصوص بنص قوله تعالى [476]: {فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ} ، وعموم الزاني مخصوص بالقياس على المنصوص ؛ لأنه لا فارق البتة بين الحرة والأمة إلا الرق ، فعلم أنه سبب تشطير الجلد فأجرى في العبد لاتصافه بالرق الذي هو مناط تشطير الجلد ، وهذه الآية عند الأصوليين من أمثلة تخصيص عموم النص بالقياس ، بناءعلى أن نوع تنقيح المناط المعروف بإلغاء الفارق يسمى قياسًا ، والخلاف في كونه قياسًا معروف في الأصول . أما الرجم فمعلوم أنه لا يتشطر ، فلم يدخل في المراد بالآية .

{ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً} (النساء:34)

،ذكر في هذه الآية الكريمة أن النشوز قد يحصل من النساء ، ولم يبيّن هل يحصل من الرجال نشوز أو لا ؟ ولكنه بيّن في موضع آخر أن النشوز أيضًا قد يحصل من الرجال ، وهو قوله تعالى : [477]{وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا} ، وأصل النشوز في اللغة الارتفاع ، فالمرأة الناشز كأنها ترتفع عن المكان الذي يضاجعها فيه زوجها ، وهو في اصطلاح الفقهاء الخروج عن طاعة الزوج ، وكأن نشوز الرجل ارتفاعه أيضًا عن المحل الذي فيه الزوجة وتركه مضاجعتها ، والعلم عند الله تعالى

[475] النور 2
[476] النساء 25
[477] النساء 128

{إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً} (النساء:40)

لم يبيّن في هذه الآية الكريمة أقل ما تضاعف به الحسنة ، ولا أكثره ولكنه بيّن في موضع آخر أن أقل ما تضاعف به عشر أمثالها ، وهو قوله :[478] {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} . وبيّن في موضع آخر أن المضاعفة ربما بلغت سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله ، وهو قوله : [479] {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ} ، كما تقدم .

{يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ} (النساء:42)

معناه أنهم يتمنون أن يستووا بالأرض، فيكونوا ترابًا مثلها على أظهر الأقوال ، ويوضح هذا المعنى قوله تعالى:[480] {يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} .

{ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً} (النساء:42)

بيّن في موضع آخر أن عدم الكتم المذكور هنا ، إنما هو باعتبار إخبار أيديهم وأرجلهم بكل ما عملوا عند الختم على أفواههم إذا أنكروا شركهم ومعاصيهم وهو قوله تعالى : [481] {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} ، فلا يتنافى قوله :[482] {وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} ، مع قوله عنهم [483][484]{وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}، وقوله عنهم أيضًا :[485] { مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ } ، وقوله عنهم [486]:[487] {بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا} ، للبيان الذي ذكرنا والعلم عند الله تعالى .

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ} (النساء:44)

---

[478] الانعام 160

[479] البقرة 261

[480] النبأ 40

[481] يسين 65

[482]

[483] الانعام 23

[484]

[485] النحل 28

[486]

[487] غافر 74

ذكر في هذه الآية الكريمة أن الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب مع اشترائهم الضلالة يريدون إضلال المسلمين أيضًا . وذكر في موضع آخر أنهم كثير ، وأنهم يتمنون ردة المسلمين ، وأن السبب الحامل لهم على ذلك إنما هو الحسد وأنهم ما صدر منهم ذلك إلا بعد معرفتهم الحق وهو قوله تعالى:[488] {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَاب لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ}. وذكر في موضع آخر أن هذا الإضلال الذي يتمنونه للمسلمين لا يقع من المسلمين ، وإنما يقع منهم أعني المتمنين الضلال للمسلمين
قوله:[489] {وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوْنَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ}

{أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـــبَ السَّبْتِ }(النساء:47)

لم يبيّن هنا كيفية لعنه لأصحاب السبت ، ولكنه بيّن في غير هذا الموضع أن لعنه لهم هو مسخهم قردة ومن مسخه الله قردًا غضبًا عليه ملعون بلا شك ، وذلك قوله تعالى :[490] {وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ الَّذِينَ اعْتَدَوْاْ مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ} ، وقوله :[491] {فَلَمَّا عَتَوْاْ عَنْ مَّا نَهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ} ، والاستدلال على مغايرة اللعن للمسخ بعطفه عليه في قوله: [492]{قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَر مِّنْ ذلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ الله مِنْ لَّعَنَهُ الله وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ} ، لا يفيد أكثر من مغايرته للمسخ في تلك الآية ، كما قاله الألوسي في «تفسيره» وهو ظاهر واللعنة في اللغة: الطرد والإبعاد ، والرجل الذي طرده قومه وأبعدوه لجناياته تقول له العرب رجل لعين ، ومنه قول الشاعر :

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين

وفي اصطلاح الشرع: اللعنة: الطرد والإبعاد عن رحمة الله ، ومعلوم أن المسخ من أكبر أنواع الطرد والإبعاد.

{إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِالله فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً()}النساء:48)

ذكر في هذه الآية الكريمة أنه تعالى لا يغفر الإشراك به وأنه يغفر غير ذلك لمن يشاء وأن من أشرك به فقد افترى إثمًا عظيمًا . وذكر في مواضع أُخر : أن محل كونه لا يغفر الإشراك به إذا لم يتب المشرك من ذلك ، فإن تاب غفر له كقوله :[493] {إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا} ، فإن الإستثناء راجع لقوله :[494] {وَالَّذِينَ لاَ

[488] البقرة 109
[489] ال عمران 69
[490] البقرة 65
[491] الاعراف 166
[492] المائدة 60
[493] الفرقان 70
[494] الفرقان 68

يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ} ، وما عطف عليه ؛ لأن معنى الكل جُمع في قوله :[495] {وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} ، وقوله :[496] {قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ يَنْتَهُواْ يُغْفَرُ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ} . وذكر في موضع آخر: أن من أشرك بالله قد ضلّ ضلالاً بعيدًا عن الحق ، وهو قوله في هذه السورة الكريمة أيضًا :[497] {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا} ، وصرّح بأن من أشرك بالله فالجنة عليه حرام ومأواه النار بقوله :[498] {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ} ، وقوله :[499] {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُواْ إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ} . وذكر في موضع آخر أن المشرك لا يرجى له خلاص ، وهو قوله :[500] {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} ، وصرّح في موضع آخر : بأن الإشراك ظلم عظيم بقوله عن لقمان مقررًا له :[501] {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} . وذكر في موضع آخر أن الأمن التام والاهتداء ، إنما هما لمن لم يلبس إيمانه بشرك ، وهو قوله :[502] {الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ} ، وقد صحّ عنه صلى الله عليه وسلم أن معنى

Form 9 Back HL

{بظلم} بشرك .

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً} (النساء:49)

أنكر تعالى عليهم في هذه الآية تزكيتهم أنفسهم بقوله :[503] {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ} ، وصرّح بالنهي العام عن تزكية النفس وأحرى نفس الكافر التي هي أخس شيء وأنجسه بقوله :[504] {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّواْ أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} ،ولم يبيّن هنا كيفية تزكيتهم أنفسهم . ولكنّه بيّن ذلك في مواضع أُخر ، كقوله عنهم :[505] {نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} ، وقوله :[506] {وَقَالُواْ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى} ، إلى غير ذلك من الآيات .

متعددة، وهو قوله:[507]{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلاَلٍ وعُيُونٍ}. وذكر في موضع آخر أنهم في تلك الظلال متكئون مع أزواجهم على الأرائك وهو قوله:[508] {هُمْ وَأَزْوَجُهُمْ فِي ظِلاَلٍ عَلَى الآرَائِكِ مُتَّكِئُونَ}، والأرائك: جمع أريكة وهي السرير في الحجلة،

---

[495] الفرقان 68
[496] الانفال 38
[497] النساء 116
[498] المائدة 72
[499] الاعراف 50
[500] الحج 31
[501] لقمان 13
[502] الانعام 82
[503] النساء 49–50
[504] النجم 32
[505] المائدة 18
[506] البقرة 111
[507] المرسلات 41

والحجلة بيت يزين للعروس بجميع أنواع الزينة، وبين أن ظل أهل النار ليس كذلك بقوله: {انْطَلِقُواْ إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ، انْطَلِقُواْ إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاَثِ شُعَبٍ لاَّ ظَلِيلٍ وَلاَ يُغْنِي مِنَ اللهَبِ}، وقوله: {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ * لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ}.

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً} (النساء:57)

وصف في هذه الآية الكريمة ظل الجنة بأنه ظليل ، ووصفه في آية أخرى بأنه دائم ، وهي قوله : {أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا} ، ووصفه في آية أخرى بأنه ممدود ، وهي قوله : {وَظِلٌ مَّمْدُودٍ} ، وبيّن في موضع آخر أنها ظلال متعددة ، وهو قوله : {إِنَّ} ، وبيّن في موضع آخر أنها ظلال متعددة ، وهو قوله : {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلاَلٍ وعُيُونٍ} وذكر في موضع آخر أنهم في تلك الظلال متكئون مع أزواجهم على الأرائك وهو قوله : {هُمْ وَأَزْوَجُهُمْ فِي ظِلاَلٍ عَلَى الآرَائِكِ مُتَّكِئُونَ} ، والأرائك : جمع أريكة وهي السرير في الحجلة ، والحجلة بيت

يزين للعروس بجميع أنواع الزينة ، وبين أن ظل أهل النار ليس كذلك بقوله : [509] {انْطَلِقُواْ إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ، انْطَلِقُواْ إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاَثِ شُعَبٍ لاَّ ظَلِيلٍ وَلاَ يُغْنِي مِنَ اللهَبِ} ، وقوله :[510] {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ * لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ} .

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلاًّ ظَلِيلاً} (النساء:57)

أمر الله في هذه الآية الكريمة ، بأن كل شيء تنازع فيه الناس من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه تعالى قال :[511] {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ} ،واوضح هذا المأمور به هنا بقوله:[512] {وَمَااخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ} ، ويفهم من هذه الآية الكريمة أنه لا يجوز التحاكم إلى غير كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وقد أوضح تعالى هذا المفهوم موبخًا للمتحاكمين إلى غير كتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وسلم مبيّنًا أن الشيطان أضلهم

---

[508] يسين 56

[509] المرسلات 29–31

[510] الواقعة 41–44

[511] النساء 80

[512] الشورى 10

ضلالاً بعيدًا عن الحق بقوله :[513] {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَنْ يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا} ، وأشار إلى أنه لا يؤمنْ أحد حتى يكفر بالطاغوت بقوله :[514] {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} . ومفهوم الشرط أن من لم يكفر بالطاغوت لم يستمسك بالعروة الوثقى وهو كذلك ، ومن لم يستمسك بالعروة الوثقى

فهو بمعزل عن الإيمان ؛ لأن الإيمان بالله هو العروة الوثقى ، والإيمان بالطاغوت يستحيل اجتماعه مع الإيمان بالله ؛ لأن الكفر بالطاغوت شرط في الإيمان بالله أو ركن منه ، كما هو صريح قوله : {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ} .

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً} (النساء:61)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن المنافقين إذا دعوا إلى ما أنزل الله ، وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم يصدون عن ذلك صدودًا أي يعرضون إعراضًا . وذكر في موضع آخر أنهم إذا دعوا إليه صلى الله عليه وسلم ليستغفر لهم لووا رءوسهم ، وصدوا واستكبروا ، وهو قوله : {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ الله لَوَّواْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُّسْتَكْبِرُونَ}

{فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} (النساء:65)

أقسم تعالى في هذه الآية الكريمة بنفسه الكريمة المقدسة ، أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور ، ثم ينقاد لما حكم به ظاهرًا وباطنًا ويسلمه تسليمًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة ، وبيّن في آية أخرى أن قول المؤمنين محصور في هذا التسليم الكلي ، والانقياد التام ظاهرًا وباطنًا لما حكم به صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله تعالى :[515]
{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُواْ إِلَى الله وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا }

{وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً} (النساء:72)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن المنافقين إذا سمعوا بأن المسلمين أصابتهم مصيبة أي: من قتل الأعداء لهم، أو جراح أصابتهم، أو نحو ذلك يقولون إن عدم حضورهم معهم من نعم الله عليهم. وذكر في مواضع أُخر أنهم يفرحون بالسوء الذي أصاب

---

[513] النساء 60
[514] البقرة 256
[515] النور 51

المسلمين، كقوله تعالى:[516] {وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا}، وقوله: [517]{وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَّهُمْ فَرِحُونَ} .

{فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} (النساء:74)

ذكر في هذه الآية الكريمة ، أنه سوف يؤتي المجاهد في سبيله أجرًا عظيمًا سواء أقتل في سبيل الله ، أم غلب عدوه ، وظفر به . وبيّن في موضع آخر أن كلتا الحالتين حسنى ، وهو قوله :[518] { قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ } ، والحسنى صيغة تفضيل ؛ لأنها تأنيث الأحسن.

{فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً} (النساء:84)

لم يصرح هنا بالذي يحرض عليه المؤمنين ، ما هو ، وصرّح في موضع آخر بأنه القتال ، وهو قوله : [519]{ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ } ، وأشار إلى ذلك هنا بقوله في أول الآية : [521][520]{ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ } ، وقوله في آخرها :[522] { عَسَى اللهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ } .

{فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً} (النساء:88)

أنكر تعالى في هذه الآية الكريمة على من أراد أن يهدي من أضله الله وصرّح فيها بأن من أضله الله لا يوجد سبيل إلى هداه ، وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله :[523] { وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا

---

[516] العمران 120

[517] التوبة 50

[518] التوبة 52

[519] الانفال 65

[520] النساء 84

[521]

[522] النساء 84

[523] المائدة 41

أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ } ، وقوله : {[524] مَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ } ، ويؤخذ من هذه الآيات أن العبد ينبغي له كثرة التضرع والابتهال إلى الله تعالى أن يهديه ولا يضله ، فإن من هداه الله لا يضل ، ومن أضله لا هادي له ، ولذا ذكر عن الراسخين في العلم أنهم يقولون :[525] { رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا }

Form 10 Front HL

{لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً} (النساء:95)

ذكر في هذه الآية الكريمة أنه فضل المجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وأجرًا عظيمًا، ولم يتعرض لتفضيل بعض المجاهدين على بعض ، ولكنه بيّن ذلك في موضع آخر وهو قوله :[526] { لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُواْ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُواْ وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى } ، وقوله في هذه الآية الكريمة[527] { غَيْرُ أُوْلِى الضَّرَرِ } ، يفهم من مفهوم مخالفته أن من خلفه العذر إذا كانت نيته صالحة يحصل ثواب المجاهد.

وهذا المفهوم صرّح به النبيّ صلى الله عليه وسلم في حديث أنس الثابت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه »، قالوا وهم بالمدينة يا رسول الله ؟ قال : « نعم حبسهم العذر » ، وفي هذا المعنى قال الشاعر :

يا ظاعنين إلى البيت العتيق لقد سرتم جسومًا ، وسرنا نحن أرواحا

إنا أقمنا على عذر وعن قدر ومن أقام على عذر فقد راحا

تنبيـــــــه: يؤخذ من قوله في هذه الآية الكريمة: { وَكُـــلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى } ، أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين ؛ لأن القاعدين لو كانوا تاركين فرضًا لما ناسب ذلك وعده لهم الصادق بالحسنى ؛ وهي الجنة والثواب الجزيل

{وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوّاً مُبِيناً} (النساء:101)

قال بعض العلماء : المراد بالقصر في قوله : { أَن تَقْصُرُواْ } في هذه الآية قصر كيفيتها لا كميتها قال بعض العلماء : المراد بالقصر في قوله : { أَن تَقْصُرُواْ } في هذه الآية قصر كيفيتها لا كميتها ومعنى قصر كيفيتها أن

[524] الاعراف 186

[525] ال عمران8

[526] الحديد 10

[527] النساء 95

يجوز فيها من الأمور ما لا يجوز في صلاة الأمن ، كأن يصلي بعضهم مع الإمام ركعة واحدة ، ويقف الإمام حتى يأتي البعض الآخر فيصلي معهم الركعة الأخرى وكصلاتهم إيماء رجالاً وركبانًا وغير متوجهين إلى القبلة ، فكل هذا من قصر كيفيتها ويدل على أن المراد هو هذا القصر من كيفيتها . قوله تعالى بعده يليه مبينًا له : { وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ ، وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ } ، وقوله تعالى : { فَإِنْ [528] خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا } ، ويزيده إيضاحًا أنه قال هنا : [529] { فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُم فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ } ، وقال في آية البقرة : { فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُواْ الله كَمَا عَلَّمَكُمْ مَّا لَم تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ } ؛ لأن معناه فإذا أمنتم فأتموا كيفيتها بركوعها وسجودها وجميع ما يلزم فيها مما يتعذر وقت الخوف . وعلى هذا التفسير الذي دلّ عليه القرءان ، فشرط الخوف في قوله : [530] { إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ } ، معتبر أي : وإن لم تخافوا منهم أن يفتنوكم فلا تقصروا من كيفيتها ، بل صلوها على أكمل الهيئات ، كما صرح به في قوله : { فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ } ، وصرّح باشتراط الخوف أيضًا لقصر كيفيتها بأن يصليها الماشي والراكب بقوله : { فَإِن خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا } ، ثم قال : { فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُواْ الله كَمَا عَلَّمَكُمْ } ، يعني : فإنه أمنتم فأقيموا صلاتكم كما أمرتكم بركوعها وسجودها ، وقيامها وقعودها ، على أكمل هيئة وأتمها ، وخير ما يبيّن القرءان القرءان ، ويدلّ على أن المراد بالقصر في هذه الآية القصر من كيفيتها كما ذكرنا ، أن البخاري صدر باب صلاة الخوف بقوله : باب صلاة الخوف وقوله الله تعالى : [531] { وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا * وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّنْ مَّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَّرْضَى أَنْ تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ، إِنَّ الله أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا } ،وما ذكره ابن حجر وغيره من أن البخاري ساق الآيتين في الترجمة ليشير إلى خروج صلاة الخوف عن هيئة بقية الصلوات بالكتاب قولاً ، وبالسنة فعلاً ، لا ينافي ما أشرنا إليه من أنه ساق الآيتين في الترجمة لينبه على أن قصر الكيفية الوارد في أحاديث الباب هو المراد بقصر الصلاة في قوله : [532] { فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ ، إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُواْ } ، ويؤيّده أيضًا أن قصر عددها لا يشترط فيه الخوف ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقصر هو وأصحابه في السفر وهم في غاية الأمن ، كما وقع في حجة الوداع وغيرها ، وكما قال صلى الله عليه وسلم لأهل مكة : « أتموا فإنا قوم سفر »

Form 10 Back HL

[528] البقرة 339

[529] النساء 103

[530] النساء 101

[531] النساء 101– 103

[532] النساء 101

{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً} (النساء:103)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن الصلاة كانت ولم تزل على المؤمنين كتابًا ، أي : شيئًا مكتوبًا عليهم واجبًا حتمًا موقوتًا ، أي : لها أوقات تحب بدخولها ولم يشر هنا إلى تلك الأوقات ، ولكنه أشار لها في مواضع أُخر كقوله :[533] { أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا } ، فأشار بقوله : { لِدُلُوكِ الشَّمْسِ } وهو زوالها عن كبد السماء على التحقيق إلى صلاة الظهر والعصر ؛ وأشار بقوله : { إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ } وهو ظلامه إلى صلاة المغرب والعشاء ؛ وأشار بقوله : { وَقُرْءانَ الْفَجْرِ } إلى صلاة الصبح ، وعبّر عنها بالقرءان بمعنى القراءة ؛ لأنها ركن فيها من التعبير عن الشيء بإسم بعضه . وهذا البيان أوضحته السنة إيضاحًا كليًا ، ومن الآيات التي أشير فيها إلى أوقات الصلاة كما قاله جماعة من العلماء، قوله تعالى :[534] { فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ } ، قالوا : المراد بالتسبيح في هذه الآية الصلاة ، وأشار بقوله :[535] { حِينَ تُمْسُونَ } إلى صلاة المغرب والعشاء ، وبقوله : { وَحِينَ تُصْبِحُونَ } إلى صلاة الصبح ، وبقوله : { وَعَشِيًّا } إلى صلاة العصر ، وبقوله : { وَحِينَ تُظْهِرُونَ } إلى صلاة الظهر . وقوله تعالى : { وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَي النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ } ، وأقرب الأقوال في الآية أنه أشار بطرفي النهار إلى صلاة الصبح أوله وصلاة الظهر والعصر آخره أي : في النصف الأخير منه وأشار بزلف من الليل إلى صلاة المغرب والعشاء .

{لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً} (النساء:123)

لم يبيّن هنا شيئًا من أمانيهم ، ولا من أماني أهل الكتاب، ولكنّه أشار إلى بعض ذلك في مواضع أُخر كقوله في أماني العرب الكاذبة:[536] {وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} ، وقوله عنهم:[537] {إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} ، ونحو ذلك من الآيات. وقوله في أماني أهل الكتاب: {وَقَالُواْ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كَانَ هُودًا ، أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ} ، وقوله:[538] {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَأَحِبَّاؤُهُ} ، ونحو ذلك من الآيات. وما ذكره بعض العلماء من أن سبب نزول الآية أن المسلمين وأهل الكتاب تفاخروا ، فقال أهل الكتاب: نبيّنا قبل نبيّكم ، وكتابنا قبل كتابكم، فنحن أولى بالله منكم، وقال

[533] الاسراء 78
[534] الروم 17– 18
[535] هود 114
[536] البقرة 111
[537] الانعام 29
[538] المائدة 18

المسلمون: نحن أولى بالله منكم ، ونبيّنا خاتم النبيّين ، وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله ، فأنزل الله: {لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ}، لا ينافي ما ذكرنا؛ لأن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.

{وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً} (النساء:125)

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه لا أحد أحسن دينًا ممن أسلم وجهه للَّه في حال كونه محسنًا؛ لأن استفهام الإنكار متضمن معنى النفي، وصرّح في موضع آخر أن من كان كذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى ، وهو قوله تعالى:[539] {وَمَنْ يُسْلِمَ وَجْهَهُ إِلى الله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}، ومعنى إسلام وجهه للَّه إطاعته وإذعانه، وانقياده للّه تعالى بامتثال أمره، واجتناب نهيه في حال كونه محسنًا، أي: مخلصًا عمله للَّه لا يشرك فيه به شيئًا مراقبًا فيه للهِ كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فالله تعالى يراه، والعرب تطلق إسلام الوجه، وتريد به الإذعان والإنقياد التامّ، ومنه قول زيد بن نفيل العدويّ:

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبًا زلالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرًا ثقالا

{وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ } (النساء:127)

لم يبيّن هنا هذا الذي يتلى عليهم في الكتاب ما هو، ولكنّه بيّنه في أول السورة وهو قوله تعالى: [540]{وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُواْ مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ}، كما قدّمناه عن أُمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقوله هنا:[541] {وَمَا يُتْلَى}، في محل رفع معطوفًا على الفاعل الذي هو لفظه الجلالة، وتقرير المعنى: {قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ}، أيضًا:[542] {مَا يُتْلَى عَلَيْكُم فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ}، وذلك قوله تعالى:[543] {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى}، ومضمون ما أفتى به هذا الذي يتلى علينا في الكتاب هو تحريم هضم حقوق اليتيمات فمن خاف أن لا يقسط في اليتيمة التي في حجره فيتركها ولينكح ما طاب له سواها، وهذا هو التحقيق في معنى الآية كما قدمنا، وعليه فحرف الجر المحذوف في قوله: [544]{وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ}، هو عن أي:

---

[539] لقمان 22
[540] النساء 3
[541] النساء 127
[542] النساء 127
[543] النساء 3
[544] النساء 127

ترغبون عن نكاحهن لقلة مالهنّ وجمالهنّ، أي: كما أنكم ترغبون عن نكاحهن إن كن قليلات مال وجمال، فلا يحلّ لكم نكاحهن إن كن ذوات مال وجمال إلا بالإقساط إليهن في حقوقهن، كما تقدم عن عائشة رضي الله عنها.

وقال بعض العلماء : إن المراد بقوله: {وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ}، آيات المواريث؛ لأنهم كانوا لا يورثون النساء فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، فأنزل الله آيات المواريث. وعلى هذا القول، فالمبين لقوله:[545] {وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ}، هو قوله:[546] {يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلَادِكُمْ}. وقوله في آخر السورة:[547] {يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلاَلَةِ}، والظاهر أن قول أم المؤمنين أصح وأظهر

{ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِهِ عَلِيماً} (النساء:127)

القسط: العدل، ولم يبيّن هنا هذا القسط الذي أمر به لليتامى، ولكنه أشار له في مواضع أُخر كقوله: [548]{وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، وقوله:[549] {قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوانِكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ}، وقوله:[550] {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ}، وقوله:[551] {وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى}، ونحو ذلك من الآيات، فكل ذلك فيه القيام بالقسط لليتامى .

{وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلا جُنَاحَ عَلَيهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} (النساء:128)

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الأنفس أحضرت الشح ، أي : جعل شيئًا حاضرًا لها كأنه ملازم لها لا يفارقها ؛ لأنها جبلت عليه . وأشار في موضع آخر أنه لا يفلح أحدًا إلا إذا وقاه الله شح نفسه وهو قوله تعالى: [552]{ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ }، ومفهوم الشرط أن من لم يوقَ شحّ نفسه لم يفلح وهو كذلك، وقيده بعض العلماء بالشحّ المؤدي إلى منع الحقوق التي يلزمها الشرع، أو تقتضيها المروءة، وإذا بلغ الشحّ إلى ذلك، فهو بخل وهو رذيلة، والعلم عند الله تعالى.

---

[545] النساء 127
[546] النساء 11
[547] النساء 176
[548] الانعام 152
[549] البقرة 220
[550] الضحى 9
[551] البقرة 177
[552] الحشر 9

{وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً} (النساء:129)

هذا العدل الذي ذكر تعالى هنا أنه لا يستطاع هو العدل في المحبة ، والميل الطبيعي ؛ لأنه ليس تحت قدرة البشر بخلاف العدل في الحقوق الشرعية فإنه مستطاع ، وقد أشار تعالى إلى هذا بقوله:[553] {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ} ، أي: تجوروا في الحقوق الشرعية، والعرب تقول: عال يعول إذا جار ومال، وهو عائل، ومنه قول أبي طالب :

بميزان قسط لا يخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل

وقول جرير :

الله نزل في الكتاب فريضة لابن السبيل وللفقير العائل

وقوله تعالى: [554]{وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى} ، فكل ذلك من العيلة، وهي الفقر، ومنه قوله تعالى:[555] {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً} ، فعال التي بمعنى جار واوية العين ، والتي بمعنى افتقر يائية العين .

{وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللهُ وَاسِعاً حَكِيماً} (النساء:130)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن الزوجين إن افترقا أغنى الله كل واحد منهما من سعته وفضله الواسع، وربط بين الأمرين بأن جعل أحدهما شرطا والآخر جزاء. وقد ذكر أيضًا أن النكاح سبب للغنى، بقوله:[556] { وَأَنْكِحُواْ الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِيهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ}

{إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيراً} (النساء:133)

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أنه إن شاء أذهب الناس الموجودين وقت نزولها ، وأتي بغيرهم بدلاً منهم، وأقام الدليل على ذلك في موضع آخر، وذلك الدليل هو أنه أذهب من كان قبلهم وجاء بهم بدلاً منهم، وهو قوله تعالى:[557] {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَّا يَشَآءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِّنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ} . وذكر في موضع آخر أنهم إن تولوا أبدل غيرهم وأن أولئك المبدلين لا يكونون مثل المبدل منهم بل يكونون خيرًا منهم ، وهو قوله تعالى:[558] {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُواْ أَمْثَالَكُمْ} .

[553] النساء 3

[554] الضحى 8

[555] التوبة 28

[556] النور 32

[557] الانعام 133

[558] محمد 38

وذكر في موضع آخر أن ذلك هين عليه غير صعب، وهو قوله تعالى:[559] {إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ}، أي: ليس بممتنع ولا صعب .

{الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً(}النساء:139)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن جميع العزة له جلّ وعلا. وبيّن في موضع آخر أن العزة التي هي له وحده أعزّ بها رسوله، والمؤمنين، وهو قوله تعالى:[560] {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ}، أي: وذلك بإعزاز الله لهم والعزة الغلبة، ومنه قوله تعالى:[561] {وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ}، أي: غلبني في الخصام، ومن كلام العرب من عزَّ برَّ يعنون من غلب استلب، ومنه قول الخنساء :

كأن لم يكونوا حمى يختشى إذ الناس إذ ذاك من عزيزاً

{وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً(}النساء:140)

هذا المنزل الذي أحال عليه هنا هو المذكور في سورة «الأنعام»، في قوله تعالى: [562]{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} ، وقوله هنا: [563]{فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ} ، لم يبيّن فيه حكم ما إذا نسوا النهي حتى قعدوا معهم ، ولكنه بيّنه في « الأنعام » بقوله:[564] {وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} .

{الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً} (النساء:141)

في معنى هذه الآية أوجه للعلماء: منها: أن المعنى ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين يوم القيامة سبيلاً، وهذا مروي عن علي بن أبي طالب، وابن عباس رضي الله عنهم ويشهد له قوله في أول الآية: [565]{فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ

[559] ابراهيم 19- 20
[560] المنافقون 8
[561] ص 23
[562] الانعام 68
[563] الانعام 68
[564] الانعام 68

لِلْكَافِرِينَ}، وهو ظاهر. . ومنها: أن المراد بأنه لا يجعل لهم على المؤمنين سبيلاً، كما ثبت في «صحيح مسلم» وغيره عنه صلى الله عليه وسلم من حديث ثوبان، أنه قال: «وإني سألت ربي ألا يهلك أمتي بسنة بعامة وألا يسلط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن الله قد أعطاني لأمتي ذلك حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا »، وتدلّ علي هذا الوجه آيات كثيرة كقوله: [566]{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، وقوله: [567]{وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}، وقوله:[568] {وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُم وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا}، إلى غير ذلك من الآيات. ومنها: أن المعنى أنه لا يجعل لهم عليهم سبيلاً إلا أن يتواصوا بالباطل ولا يتناهوا عن المنكر، ويتقاعدوا عن التوبة فيكون تسليط العدو عليهم من قبلهم، كما قال تعالى: [569]{وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}. قال ابن العربي : وهذا نفيس جدًا وهو راجع في المعنى إلى الأول ؛ لأنهم منصورون لو أطاعوا ، والبلية جاءتهم من قبل أنفسهم في الأمرين. ومنها: أنه لا يجعل لهم عليهم سبيلاً شرعًا، فإن وجد فهو بخلاف الشرع. ومنها: أن المراد بالسبيل الحجّة، أي: ولن يجعل لهم عليهم حجة، ويبيّنه قوله تعالى:[570] {وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا} والعلم عند الله تعالى.

{الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً} (النساء: 141)

بيّن في هذه الآية الكريمة صفة صلاة المنافقين بأنهم يقومون إليها في كسل ورياء، ولا يذكرون الله فيها إلا قليلاً، ونظيرها في ذمهم على التهاون بالصلاة، قوله تعالى:[571] {وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى}، وقوله: [572]{فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ}، ويفهم من مفهوم مخالفة هذه الآيات أن صلاة المؤمنين المخلصين ليست كذلك، وهذا المفهوم صرح به تعالى في آيات كثيرة بقوله:[573] {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ} ، وقوله :[574] { وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ

[565] النساء 141
[566] غافر 51
[567] الروم 47
[568] النور 55
[569] الشورى 30
[570] الفرقان 33
[571] التوبة 54
[572] الماعون 4–5
[573] المو منون 1–2
[574] الومنون 9

يُحَافِظُون}، وقوله:[575] {يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ* رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله وَإِقَامِ الصَّلاَةِ}، إلى غير ذلك من الآيات.

{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا} (النساء:145)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن المنافقين في أسفل طبقات النار، عياذًا بالله تعالى. وذكر في موضع آخر أن آل فرعون يوم القيامة يؤمر بإدخالهم أشدّ العذاب، وهو قوله:[576] {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}

{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا الله قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً} (النساء:103)

أي: شيئًا مكتوبًا عليهم واجبًا حتمًا موقوتًا، أي: له أوقات يجب بدخولها ولم يشر هنا إلى تلك الأوقات، ولكنه أشار لها في مواضع أُخر كقوله:[577] {أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا}وقوله تعالى:[578]{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ} وقوله تعالى:[579]{فَسُبْحَانَ الله حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّموَاتِ وَالأَرْضِ وعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ}

{وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ الله مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ الله عَلِيماً حَكِيماً} (النساء:104)

نهى الله تعالى المسلمين في هذه الآية الكريمة عن الوهن، وهو الضعف في طلب أعدائهم الكافرين ،وأخبرهم بأنهم إن كانوا يجدون الألم من القتل والجراح فالكفار كذلك، والمسلم يرجو من الله من الثواب والرحمة ما لا يرجوه الكافر، فهو أحق بالصبر على الآلام منه، وأوضح هذا المعنى في آيات متعددة كقوله:[580] {وَلاَ تَهِنُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ* إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ}، وكقوله:[581] {فَلاَ تَهِنُواْ وَتَدْعُواْ إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ}، إلى غير ذلك من الآيات.

[575] النور 36– 37
[576] غافر 46
[577] الاسراء 78
[578] هود 114
[579] الروم 17
[580] ال عمران 139140–
[581] محمد 35

{وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً} (النساء:111)

ذكر في هذه الآية أن من فعل ذنبًا فإنه إنما يضر به خصوص نفسه لا غيرها، وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله:[582] {وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَاوَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى }، وقوله:[583] {وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا} ، إلى غير ذلك من الآيات.

{وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً(}النساء:113)

ذكر في هذه الآية الكريمة أنه علّم نبيّه صلى الله عليه وسلم ما لم يكن يعلمه ، وبيّن في مواضع أُخر أنه علّمه ذلك عن طريق هذا القرءان العظيم الذي أنزله عليه، كقوله:[584] {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِن عِبَادِنَا}، وقوله:[585] {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْءانَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} الى غير ذلك من الآيات.

{لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} (النساء:114)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن كثيرًا من مناجاة الناس فيما بينهم لا خير فيه. ونهى في موضع آخر عن التناجي بما لا خير فيه، وبيّن أنه من الشيطان ليحزن به المؤمنين ، وهو قوله تعالى:[586] {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْاْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْاْ بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَيْس بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } . وقوله في هذه الآية الكريمة:[587] {أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ}، لم يبيّن هنا هل المراد بالناس المسلمون دون الكفار أو لا. ولكنه أشار في مواضع أُخر أن المراد بالناس المرغب في الإصلاح بينهم هنا المسلمون خاصة كقوله تعالى:[588] {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ}، وقوله:[589] {وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا }، فتخصيصه المؤمنين بالذكر يدلّ على أن غيرهم ليس كذلك كما هو ظاهر، وكقوله تعالى:[590] {فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَصْلِحُواْ

[582] الانعام 164
[583] الجاثية 15
[584] الشورى 52
[585] يوسف 3
[586] المجادلة 9– 10
[587] النساء 114
[588] الحجرات 10
[589] الحجرات 9
[590] الانفال 1

ذَاتَ بَيْنِكُمْ}. وقال بعض العلماء : إن الأمر بالمعروف المذكور في هذه الآية في قوله: {إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ}، يبيّنه قوله تعالى:[591] {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ، وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ ، وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ}، وقوله:[592] {إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمنُ وَقَالَ صَوَابًا}، والآية الأخيرة فيها أنها في الآخرة، والأمر بالمعروف المذكور إنما هو في الدنيا، والعلم عند الله تعالى.

{إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثاً وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً} (النساء:117)

المراد في هذه الآية بدعائهم الشيطان المريد عبادتهم له، ونظيره قوله تعالى: [593] {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي ءادَمَ أَنْ لاَّ تَعْبُدُواْ الشَّيْطَانَ}، وقوله عن خليله إبراهيم مقررًا له:[594] {يَا أَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ}، وقوله عن الملائكة: {بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الجِنَّ}، وقوله:[595] {وَكَذلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلاَدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ} ، ولم يبيّن في هذه الآيات ما وجه عبادتهم للشيطان ،ولكنّه بيّن في آيات أُخر أن معنى عبادتهم للشيطان إطاعتهم له واتباعهم لتشريعه وإيثاره على ما جاءت به الرسل من عند الله تعالى ، كقوله:[596] {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} ، وقوله:[597] {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ الله } ، فإن عدي بن حاتم رضي الله عنه لما قال للنبيّ صلى الله عليه وسلم : كيف اتخذوهم أربابًا ؟ قال له النبيّ صلى الله عليه وسلم: « إنهم أحلوا لهم ما حرّم الله، وحرّموا عليهم ما أحلّ الله فاتبعوهم »، وذلك هو معنى اتخاذهم إياهم أربابًا. ويفهم من هذه الآيات بوضوح لا لبس فيه أن من اتبع تشريع الشيطان مؤثرًا له على ما جاءت به الرسل، فهو كافر بالله، عابد للشيطان، متّخذ الشيطان ربًّا، وإن سمّى أتباعه للشيطان بما شاء من الأسماء؛ لأن الحقائق لا تتغير بإطلاق الألفاظعليها، كماهومعلوم.

{وَقَالَ لاَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً}(النساء:118)

بيّن هنا فيما ذكر عن الشيطان كيفية اتخاذه لهذا النصيب المفروض ، بقوله: {وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأَمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ الله}، والمراد بتبتيك آذان الأنعام شق أذن البحيرة مثلاً وقطعها ليكون ذلك سمة وعلامة لكونها

---

[591] العصر 1–3
[592] النبأ 38
[593] يسين 60
[594] مريم 44
[595] الانعام 137
[596] الانعام 121
[597] التوبة 31

بحيرة أو سائبة ، كما قاله قتادة والسدي وغيرهما ، وقد أبطله تعالى بقوله:[598] {مَا جَعَلَ اللهُ مِنْ بَحِيرَةٍ} ، والمراد ببحرها شقّ أذنها كما ذكرنا، والتبتيك في اللغة: التقطيع، ومنه قول زهير :

حتى إذا ما هوت كف الوليد لها طارت وفي كفه من ريشها بتك

أي : قطع ، كما بيّن كيفية اتخاذه لهذا النصيب المفروض في آيات أُخر كقوله: [599]{لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ* ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} ، وقوله:[600] {أَرَأَيْتَكَ هذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ} ، ولم يبيّن هنا هل هذا الظن الذي ظنّه إبليس ببني ءادم أنه يتخذ منهم نصيبًا مفروضًا وأنه يضلهم تحقق لإبليس أو لا، ولكنّه بيّن في آية أخرى أن ظنه هذا تحقق له، وهي قوله:[601] {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ} ، ولم يبيّن هنا الفريق السالم من كونه من نصيب إبليس، ولكنّه بيّنه في مواضع أُخر كقوله:[602] {لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} ، وقوله:[603] {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} ، إلى غير ذلك من الآيات ولم يبيّن هنا هل نصيب إبليس هذا هو الأكثر أو لا، ولكنّه بيّن في مواضع أُخر أنه هو الأكثر، كقوله: [604]{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ} ، وقوله:[605]{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} ، وقوله:[606] {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ} ، وقوله:[607] {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ} . وقد ثبت في الصحيح أن نصيب الجنة واحد من الألف والباقي في النار.

{وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً} (النساء:119)

قال بعض العلماء: معنى هذه الآية أن الشيطان يأمرهم بالكفر وتغيير فطرة الإسلام التي خلقهم الله عليها ، وهذا القول يبيّنه ويشهد له قوله تعالى:[608] {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ} ، إذ المعنى على التحقيق لا تبدلوا فطرة الله التي خلقكم عليها بالكفر. فقوله: {لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ} ، خبر أريد به الإنشاء إيذانًا بأنه لا ينبغي ألا أن يمتثل، حتى كأنه خبر واقع بالفعل لا محالة، ونظيره قوله تعالى:[609] {فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ} ، أي: لا ترفثوا، ولا تفسقوا، ويشهدا لهذا ما ثبت في « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة

---

[598] المائدة 103
[599] الاعراف 161– 17
[600] الاسراء 62
[601] سبا 20
[602] الحجر 39–40
[603] النحل 100
[604] هود 17
[605] يوسف 103
[606] الانعام 116
[607] الصافات 71
[608] الروم 30
[609] البقرة 197

فأبواه يهوّدانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء، هل تجدون فيها من جدعاء »، وما رواه مسلم في « صحيحه » عن عياض بن حمار بن أبي حمار التميمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللت لهم ». وأما على القول بأن المراد في الآية بتغيير خلق الله خصاء الدواب، والقول بأن المراد به الوشم، فلا بيان في الآية المذكورة، وبكل من الأقوال المذكورة. قال جماعة من العلماء: وتفسير بعض العلماء لهذه الآية بأن المراد بها خصاء الدواب يدل على عدم جوازه؛ لأنه مسوق في معرض الذم واتباع تشريع الشيطان، أما خصاء بني ءادم فهو حرام إجماعًا؛ لأنه مثلة وتعذيب وقطع عضو، وقطع نسل من غير موجب شرعي، ولا يخفى أن ذلك حرام. وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمنتمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله عزّ وجلّ، ثم قال: ألا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله عزّ وجلّ ،يعني قوله تعالى:[610] {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُواْ} . وقالت طائفة من العلماء: المراد بتغيير خلق الله في هذه الآية هو أن الله تعالى خلق الشمس والقمر والأحجار والنار وغيرها من المخلوقات للاعتبار وللانتفاع بها ، فغيرها الكفار بأن جعلوها آلهة معبودة. وقال الزجاج: إن الله تعالى خلق الأنعام لتركب وتؤكل، فحرموها على أنفسهم وجعل الشمس والقمر والحجارة مسخرة للناس، فجعلوها آلهة يعبدونها، فقد غيروا ما خلق الله.

{وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً} (النساء:119)

يدلّ على أن تقيطع آذان الأنعام لا يجوز وهو كذلك . أما قطع أذن البحيرة والسائبة تقربًا بذلك للأصنام فهو كفر بالله إجماعًا، وأما تقطيع آذان البهائم لغير ذلك فالظاهر أيضًا أنه لا يجوز، ولذا أمرنا صلى الله عليه وسلم: « أن نستشرف العين، والأذن، ولا نضحى بعوراء، ولا مقابلة، ولا مدابرة، ولا خرقاء، ولا شرقاء ». أخرجه أحمد، وأصحاب السنن الأربع، والبزار، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي من حديث علي رضي الله عنه وصححه الترمذي، وأعلّه الدارقطني، والمقابلة المقطوعة طرف الأذن، والمدابرة المقطوعة مؤخر الأذن، والشرقاء مشقوقة الأذن طولاً، والخرقاء التي خرقت أذنها خرقًا مستديرًا، فالعيب في الأذن مراعى عند جماعة العلماء. قال مالك: والليث المقطوعة الأذن لا تجزىء، أو جلّ الأذن قاله القرطبي، والمعروف من مشهور مذهب مالك أن الذي يمنع الإجزاء قطع ثلث الأذن فما فوقه لا ما دونه فلا يضر، وإن كانت سكاء وهي التي خلقت بلا أذن. فقال مالك، والشافعي: لا تجزىء، وإن كانت صغيرة الأذن أجزأت، وروي عن أبي حنيفة مثل ذلك، وإن كانت مشقوقة الأذن للميسم أجزأت عند الشافعي، وجماعة الفقهاء، قاله القرطبي في تفسير هذه الآية، والعلم عند الله تعالى.

[610] الحشر 7

{يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَاناً مُبِيناً} (النساء:153)

لم يبيّن هنا سبب عفوه عنهم ذنب اتخاذ العجل إلهًا، ولكنّه بّينه في سورة «البقرة» بقوله:[611] {فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنْفُسَكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُو التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}

{وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً} (النساء:154)

لم يبيّن هنا هل امتثلوا هذا الأمر، فتركوا العدوان في السبت أو لا، ولكنه بيّن في مواضع أُخر أنهم لم يمتثلوا وأنهم اعتدوا في السبت، كقوله تعالى: [612]{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْاْ مِنْكُمْ فِي الْسَّبْتِ}، وقوله: {وَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ}.

{وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً} (النساء:154)

لم يبيّن هنا هذا البهتان العظيم الذي قالوه على الصديقة مريم العذراء، ولكنّه أشار في موضع آخر إلى أنه رميهم لها بالفاحشة وأنها جاءت بولد لغير رشده في زعمهم الباطل لعنهم الله وذلك في قوله:[613] {فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُواْ يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا}، يعنون ارتكاب الفاحشة، [614]{يَا أُخْتَ هرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا}، أي: زانية، فكيف تفجرين ووالداك ليسا كذلك، وفي القصة أنهم رموها بيوسف النجار وكان من الصالحين، والبهتان أشدّ الكذب الذي يتعجب منه

[611] البقرة 65

[612] البقرة 54

[613] مريم 27

[614] مريم 28

{فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللهِ كَثِيراً} (النساء:160)

لم يبيّن هنا ما هذه الطيّبات التي حرّمها عليهم بسبب ظلمهم، ولكنّه بيّنها في سورة «الأنعام» بقوله:[615]{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَادِقُونَ}.

{رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً} (النساء:165)

لم يبيّن هنا ما هذه الحجة التي كانت تكون للناس عليه لو عذبهم دون إنذارهم على ألسنة الرسل، ولكنّه بيّنها في سورة « طه » بقوله: [616]{وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّنْ قَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَّذِلَّ وَنَخْزَى}، وأشار لها في سورة « القصص » بقوله: [617]{وَلَوْلاَ أَنْ تُصِيبَهُمْ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}.

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ} (النساء:171)

هذا الغلو الذي نهوا عنه هو وقول غير الحق هو قول بعضهم: إن عيسى ابن الله، وقول بعضهم: هو الله، وقول بعضهم: هو إله مع الله سبحانه وتعالى عن ذلك كله علوًّا كبيرًا، كما بيّنه قوله تعالى[618]: {وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ}، وقوله: [619]{لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}، وقوله: [620]{لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ}، وأشار هنا إلى إبطال هذه المفتريات بقوله: [621]{إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ}، وقوله:[622] {لَّن يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ}، وقوله:[623] {ما الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَم إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمَّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ}، وقوله:[624]

---

[615] الانعام 146

[616] طه 134

[617] القصص 47

[618] التوبة 30

[619] المائدة 17

[620] المائدة 73

[621] الملئدة 171

[622] المائدة 172

[623] المائدة 75

[624] المائدة 17

{قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا}. وقال بعض العلماء: يدخل في الغلو وغير الحق المنهي عنه في هذه الآية ما قالوا من البهتان على مريم أيضًا، واعتمده القرطبي وعليه فيكون الغلو المنهي عنه شاملا للتفريط والإفراط. وقد قرر العلماء أن الحق واسطة بين التفريط والإفراط، وهو معنى قول مطرف بن عبد الله: الحسنة بين سيئتين وبه تعلم أن من جانب التفريط والإفراط فقد اهتدى، ولقد أجاد من قال:

ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور ذمي

وقد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال: « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى، وقولوا عبد الله ورسوله».

{ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً(} النساء: 171)

ليست لفظة «مِن» في هذه الآية للتبعيض، كما يزعمه النصارى افتراء على الله، ولكن «مِن» هنا لابتداء الغاية، يعني: أن مبدأ ذلك الروح الذي ولد به عيسى حيًّا من الله تعالى؛ لأنه هو الذي أحياه به، ويدلّ على أن من هنا لابتداء الغاية.[625] {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّموَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ}، أي: كائنًا مبدأ ذلك كله منه جلّ وعلا ويدلّ لما ذكرنا ما روي عن أُبيّ بن كعب، أنه قال: « خلق الله أرواح بني آدم لما أخذ عليهم الميثاق، ثم ردّها إلى صلب آدم، وأمسك عنده روح عيسى عليه الصلاة والسلام »؛ فلما أراد خلقه أرسل ذلك الروح إلى مريم، فكان منه عيسى عليه السلام، وهذه الإضافة للتفضيل؛ لأن جميع الأرواح من خلقه جلّ وعلا، كقوله:[626] {وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ}، وقوله:[627] {نَاقَةَ اللهِ}. وقيل: قد يسمى من تظهر منه الأشياء العجيبة روحًا ويضاف إلى الله، فيقال : هذا روح من الله، أي: من خلقه، وكان عيسى يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، فاستحقّ هذا الاسم، وقيل: سمي روحًا بسبب نفخة جبريل عليه السلام المذكورة في سورة «الأنبياء» «والتحريم»، والعرب تسمي النفخ روحًا؛ لأنه ريح تخرج من الروح، ومنه قول ذي الرمة:

فقلت له: ارفعها إليك وأحيها بروحك واقتته لها قيتة قدرا

وعلى هذا القول، فقوله : {وَرُوحٌ} معطوف على الضمير العائد إلى الله الذي هو فاعل ألقاها، قاله القرطبي، والله تعالى أعلم. وقال بعض العلماء: {وَرُوحٌ مِنْهُ}، أي: رحمة منه، وكان عيسى رحمة من الله لمن اتبعه، قيل ومنه: {وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ}، أي: برحمة منه، حكاه القرطبي أيضًا، وقيل، {رَوُحٌ مِنْهُ}، أي: برهان منه وكان عيسى برهانًا وحجة على قومه، والعلم عند الله تعالى.

[625] الجاثية 13
[626] الحج 26
[627] الاعراف 73

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً} (النساء:174)

المراد بهذا النور المبين القرءان العظيم؛ لأنه يزيل ظلمات الجهل والشكّ كما يزيل النور الحسي ظلمة الليل، وقد أوضح تعالى ذلك بقوله:[628] {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ، وَلكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا}، وقوله:[629] {وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ}، ونحو ذلك من الآيات .

[628] الشورى 52

[629] الاعراف 157

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المائدة

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ} (المائدة:1)

لم يبين هنا ما هذا الذي يتلى عليهم المستثنى من حلية بهيمة الأنعام. ولكنه بينه بقوله[630]: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ}، إلى قوله: {وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ}، فالمذكورات في هذه الآية الكريمة كالموقوذة والمتردية، وإن كانت من الأنعام. فإنها تحرم بهذه العوارض. والتحقيق أن الأنعام هي الأزواج الثمانية، كما قدمنا في سورة آل عمران، وقد استدل ابن عمر، وابن عباس، وغير واحد من العلماء بهذه الآية على إباحة أكل الجنين إذا ذكيتْ أمه ووجد في بطنها ميتاً. وجاء عن النَّبي صلى الله عليه وسلم «أن ذكاة أمه ذكاة له» كما أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه من حديث أبي سعيد. وقال الترمذي: إنه حسن، ورواه أبو داود عن جابر عن النَّبي صلى الله عليه وسلم.

{وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا} (المائدة:2)

يعني إن شئتم، فلا يدل هذا الأمر على إيجاب الاصطياد عند الإحلال، ويدل عليه الاستقراء في القرآن، فإن كل شيء كان جائزاً، ثمَّ حرِّم لموجب، ثم أمر به بعد زوال ذلك الموجب، فإن ذلك الأمر كله في القرآن للجواز نحو قوله هنا: {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَـٰدُواْ} وقوله[631]: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَوٰةُ فَانتَشِرُواْ فِى الْأَرْضِ}، وقوله[632]: {فَالْـَٔـٰنَ بَاشِرُوهُنَّ}، وقوله[633]: {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ}. ولا ينقض هذا بقوله تعالى[634]: {فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ الزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}. فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ لأن قتلهم كان واجباً قبل تحريمه العارض بسبب الأشهر الأربعة سواء قلنا: إنها أشهر الإمهال المذكورة في قوله[635]: {فَسِيحُواْ فِى الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ}، أو قلنا: إنها الأشهر الحرم المذكورة في قوله تعال[636]ى: {مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ}. وبهذا تعلم أن التحقيق الذي دل عليه الاستقراء التام في القرآن أن الأمر بالشيء بعد تحريمه يدل على رجوعه إلى ما كان عليه قبل

[630] المائدة 3

[631] الجمعة 10

[632] البقرة 187

[633] البقرة 222

[634] التوبة 5

[635] التوبة 2

[636] التوبة 36

التحريم من إباحة أو وجوب، فالصيد قبل الإحرام كان جائزاً فمُنع للإحرام، ثم أُمر به بعد الإحلال بقوله: {وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَــــادُواْ} فيرجع لما كان عليه قبل التحريم، وهو الجواز، وقتل المشركين كان واجباً قبل دخول الأشهر الحرم، فمنع من أجلها، ثم أمر به بعد انسلاخها في قوله: {فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ}، فيرجع لما كان عليه قبل التحريم، وهو الوجوب. وهذا هو الحق في هذه المسألة الأصولية. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: وهذا أمر بعد الحظر، والصحيح الذي يثبت على السبر أنه يرد الحكم إلى ما كان عليه قبل النهي، فإن كان واجباً رده، واجباً، وإن كان مستحباً فمستحب، أو مباحاً فمباح.

Form 11 Back HL

{ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (المائدة:2)

نهى الله المسلمين في هذه الآية الكريمة أن يحملهم بغض الكفار لأجل أن صَدوهم عن المسجد الحرام في عمرة الحديبية أن يعتدُوا على المشركين بما لا يحل لهم شرعاً. كما روى ابن أبي حاتم في سبب نزول هذه الآية عن زيد بن أسلم، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحديبية حين صدهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم، فمرَّ بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال أصحابالنَّبي صلى الله عليه وسلم: نصد هؤلاء كما صدَّنا أصحابُهم، فأنزل الله هذه الآية»، بلفظه من ابن كثير. ويدل علي هذا قوله قبل هذا[637]: {وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ}، وصرح بمثل هذه الآية في قوله: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ} ، وقد ذكر تعالى في هذه الآية أنهم صدوهم عن المسجد الحرام بالفعل على قراءة الجمهور {أن صدوكم} بفتح الهمزة، لأن معناها: لأجل أن صدوكم. وفي هذه الآية دليل صريح على أن الإنسان عليه أن يعامل من عصى الله فيه، بأن يطيع الله فيه. وفي الحديث: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك». وهذا دليل واضح على كمال دين الإسلام، وحسن ما يدعو إليه من مكارم الأخلاق، مبين أنه دين سماوي لا شك فيه. وقوله في هذه الآية الكريمة {ولاَ يَجرِمَنَّكمْ} معناه: لا يحملنكم شنآن قوم على أن تعتدوا، ونظيره من كلام العرب قول الشاعر:

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

أي حملتهم على أن يغضبوا. وقال بعض العلماء: {ولاَ يَجرِمَنَّكمْ} أي لا يكسبنكم، وعليه فلا تقدير لحرف الجر في قوله: {أن تَعتَدُوا} أي لا يكسبنكم بغضهم الاعتداء عليهم. وقرأ بعض السبعة {شنآن} بسكون النون، ومعنى الشنآن على القراءتين، أي بفتح النون، وبسكونها: البغض. مصدر «شنأه» إذا أبغضه. وقيل على قراءة سكون النون يكون وصفاً كالغضبان، وعلى قراءة {إن صَدُّوكُم} بكسر الهمزة. فالمعنى إن وقع منهم صدهم لكم عن المسجد الحرام، فلا يحملنكم ذلك على أن تعتدوا عليهم بما لا يحل لكم. وإبطال هذه القراءة ـــ بأن الآية نزلت بعد صد المشركين النَّبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحديبية، وأنه لا وجه لاشتراط الصد بعد وقوعه ـــ مردود من وجهين:

[637] المائدة 2

الأول منهما: أن قراءة {إن صَدُّوكُم} بصيغة الشرط قراءة سبعية متواترة لا يمكن ردها، وبها قرأ ابن كثير، وأبو عمرو من السبعة. الثاني: أنه لا مانع مِن أن يكون معنَى هذه القراءة: إن صدوكم مرة أخرى على سبيل الفرض والتقدير، كما تدلُّ عليه صيغة {إن}، لأنها تدل على الشك في حصول الشرط، فلا يحملنكم تكرر الفعل السيىء على الاعتداء عليهم بما لا يحل لكم، والعلم عند الله تعالى.

{الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْأِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (المائدة:5)

ظاهر هذه الآية الكريمة أن المُرتد يحبط جميع عمله بردته من غير شرط زائد، ولكنه أشار في موضع آخر إلى أن ذلك فيما إذا مات على الكفر، وهو قوله[638]: {وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ} . ومقتضى الأصول حمل هذا المطلق على هذا المقيد، فيقيد إحباط العمل بالموت على الكفر، وهو قول الشافعي ومن وافقه، خلافاً لمالك القائل بإحباط الردة العمل مطلقاً، والعلم عند الله تعالى.

{ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ } (المائدة:6)

في قوله {وَأَرْجُلَكُمْ} ثلاث قرآت: واحدة شاذة، واثنتان متواترتان. أما الشاذة: فقراءة الرفع، وهي قراءة الحسن. وأما المتواترتان: فقراءة النصب، وقراءة الخفض. أما النصب: فهو قراءة نافع. وابن عامر، والكسائي، وعاصم في رواية حفص من السبعة، ويعقوب من الثلاثة. وأما الجر: فهو قراءة ابن كثير، وحمزة، وأبي عمرو، وعاصم، في رواية أبي بكر. وقراءة النصب: فلا إشكال فيها لأن الأرجل فيها معطوفة على الوجوه، وتقريرالمعنى عليها: {فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين} .

[638] البقرة 217

{ فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ} (المائدة:6)

اعلم أن لفظة {من} في هذه الآية الكريمة محتملة، لأن تكون للتبعيض، فيتعين في التيمم التراب الذي له غبار يعلق باليد. ويحتمل أن تكون لابتداء الغاية، أي مبدأ ذلك المسح كائن من الصعيد الطيِّب، فلا يتعين ماله غبار، وبالأول قال الشافعي، وأحمد، وبالثاني قال مالك، وأبو حنيفة رحمهم الله تعالى جميعاً. فإذا علمت ذلك، فاعلم أن في هذه الآية الكريمة إشارة إلى هذا القول الأخير، وذلك في قوله تعالى: {مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ.}

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} (المائدة:15)

لم يبين هنا شيئاً من ذلك الكثير وبين كثيراً منه في مواضع أخر. فمما كانوا يخفون من أحكام التوراة رجم الزاني المحصن، وبينه القرآن في قوله تعالي:[639] {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَـــبِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَـــبِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ}. وإنكارهم أنهم يعرفون أنه هو الرسول، كما بينه تعالى بقوله[640]: {وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَـــفِرِينَ} . ومن ذلك إنكارهم أن الله حرم عليهم بعض الطيبات كما قال تعالى[641]: {فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـــتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ}، وقوله[642]: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَم حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ الْحَوَايَآ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَـــهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَـــدِقُونَ} ومن ذلك كتم النصارى بشارة عيسى ابن مريم لهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقد بينها تعالى بقوله[643]: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يبَنِى إِسْرَءِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ} إلى غير ذلك من الآيات المبينة لما أخفوه من كتبهم.

[639] ال عمران 23
[640] البقرة 89
[641] النساء 160
[642] الانعام 146
[643] الصف 6

{مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ} (المائدة:32)

لم يتعرض هنا لحكم من قتل نفساً بنفس، أو بفساد في الأرض، ولكنه بين ذلك في مواضع أخر، فبين أن قتل النفس بالنفس جائز، في قوله[644]: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ}، وفي قوله[645]: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ}، وقوله[646]: {وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَـناً}. ومفهوم قوله: {أَوْ فَسَادٍ فِى الأَرْضِ}، هو المذكور في قوله تعالى: {إِنَّمَا جَزَآءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَـفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ}. والإفساد في الأرض، يطلق على أنواع من الشر، وقد قال الله تعالى[647]: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِى الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (المائدة:35)

أصل الوسيلة: الطريق التي تقرب إلى الشيء، وتوصل إليه وهي العمل الصالح بإجماع العلماء، وعلى هذا فالآيات المبينة للمراد من الوسيلة كثيرة جداً كقوله تعالى[648]: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}، وكقوله[649]: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى}، وقوله[650]: {قُلْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ}، إلى غير ذلك من الآيات. وهو معناها أيضاً في قوله تعالى[651]: {أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ}.

---

[644] المائدة 45
[645] البقرة 178
[646] الاسراء 33
[647] البقرة 205
[648] الحشر 7
[649] ال عمران 31
[650] النور 54
[651] الاسراء 57

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (المائدة: 41)

المراد بقوله {هذا} وقوله: {فخذوه}، وقوله: {وإن لم تؤتوه} هو الحكم المحرف الذي هو الجلد والتحميم وأشار إلى ذلك هنا بقوله: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ} يعني المحرف والمبدل الذي هو الجلد والتحميم، وذكر تعالى هذا أيضاً في قوله[652]: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ اللهِ}، يعني التوراة ليحكم بينهم يعني في شأن الزانيين المذكورين[653] {ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ} أي عما في التوراة من حكم رجم الزاني المحصن.

{ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ} (المائدة:44)

ولم يبين هنا هل امتثلوا الأمر في ذلك وحفظوه ولكنه بين في مواضع أخر أنهم لم يمتثلوا الأمر، ولم يحفظوا ما استحفظوه، بل حرفوه وبدلوه عمداً كقوله[654]: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ}، وقوله[655]: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَضِعِهِ}، وقوله[656]: {تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً}، وقوله[657]: {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ اللهِ}، وقوله جل وعلا[658]: {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَـٰبِ}، إلى غير ذلك من الآيات.

Form 12 Front HL

{ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} (المائدة:44)

اختلف العلماء في هذه الآية الكريمة: هل هي في المسلمين، أو في الكفّار، والظاهر المتبادر من سياق الآيات أن آية {هُمُ الْكَـٰفِرُونَ} نازلة في المسلمين، لأنه تعالى قال قبلها مخاطباً لمسلمي. هذه الأمة {فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ

[652] ال عمران 23
[653] ال عمران 23
[654] النساء 46
[655] المائدة 41
[656] الانعام 91
[657] البقرة 79
[658] ال عمران 78

بِـــايَـــتِى ثَمَناً قَلِيلاً}، ثم قال: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـــئِكَ هُمُ الْكَفِرُونَ} فالخطاب للمسلمين كما هو ظاهر متبادر من سياق الآية، وعليه فالكفر إما كفر دون كفر، وإما أن يكون فعل ذلك مستحلاً له، أو قاصداً به جحد أحكام الله وردها مع العلم بها.

{وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْأَنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (المائدة:47)

لم يبين هنا شيئاً مما أنزل في الإنجيل وبين في مواضع أخر أن من ذلك البشارة بمبعث نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ووجوب اتباعه. والإيمان به كقوله[659]: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يبَنِى إِسْرَءِيلَ إِنِّى رَسُولُ الله إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ} ، وقوله تعالى[660]: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ}، إلى غير ذلك من الآيات.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (المائدة:57)

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض، ولكنه بين في مواضع أخر أن ولاية بعضهم لبعض زائفة ليست خالصة، بقوله[661]: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَـــرَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِرُواْ بِه فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَـــمَةِ} ، وبين مثل ذلك في اليهود أيضاً، حيث قال فيهم[662]: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ الله مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـــناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَـــمَةِ}، وصرح تعالى بعدم اتفاق اليهود معللاً له بعدم عقولهم في قوله[663]: {تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ}.

[659] الصف 6
[660] الاعراف 157
[661] المائدة 14
[662] المائدة 64
[663] الحشر 14

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (المائدة: 51)

ذكر في هذه الآية الكريمة، أن من تولى اليهود، والنصارى، مِن المسلمين، فإنه يكون منهم بتوليه إياهم. وبين في موضع آخر أن {يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَـكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ}. ونهى في موضِع آخر عن تَوليهم مبيناً سبب التنفير منه. وهو قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} وبين في موضع آخر: أن محل ذلك، فيما إذا لم تكن الموالاة بسبب خوف، وتقية، وإن كانت بسبب ذلك فصاحبها معذور، وهو قوله تعالى: {لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً}

Form 12 Back HL

{فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُواْ أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَاسِرِينَ}(المائدة:52 – 53)

وبيّن تعالى في موضع آخر أن سبب حلفهم بالكذب للمسلمين، أنهم منهم، إنما هو الفرق أي الخوف، وهو قوله[664]:

{وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ. لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ}

ففي هذه الآية بيان سبب أيمان المنافقين، ونظيرها قوله: {اتَّخَذْواْ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً} . وبين تعالى في موضع آخر، أنهم يحلفون تلك الأَيمان ليرضى عنهم المؤمنون، وهو قوله[665]: {يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} وبين في موضع آخر: أنهم يريدون بأيمانهم إرضاء المؤمنين، وإن الله ورسوله أحق بالإرضاء، وهو قوله[666]: {يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ} وبين في موضع آخر أنهم يحلفون لهم ليرضوا عنهم، بسبب أن لهم عذراً صحيحاً، وأن الله أمرهم بالإعراض عنهم، لا لأن لهم عذراً صحيحاً، بل مع الإعلام بأنهم رجس، ومأواهم النار بسبب ما كسبوا من النفاق، وهو قوله: {سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} . وبيّن في موضع آخر أن أيمانهم الكاذبة سبب لإهلاكهم أنفسهم وهو قوله[667]: {وَسَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} .

[664] التوبة 56-57

[665] التوبة 96

[666] التوبة 62

[667] التوبة 95

{ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ } (المائدة:66)

بين في مواضع أُخَر أن ذلك ليس خاصّاً بهم، كقوله عن نوح وقومه[668] { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا} وقوله عن هود وقومه[669]: {وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} وقوله عن نبينا عليه الصلاة والسلام وقومه[670] {وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى} وقوله تعالى[671] {مَنْ عَمِلَ صَـــلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً} . على أحد الأقوال وقوله[672]: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـــتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ}. وقوله[673]: {وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاًوَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ} وقوله[674]: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}

{مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ} (المائدة:66)

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة، أن أهل الكتاب قسمان بينما قسّم هذه الأمة إلى ثلاثة أقسام في قوله[675]: {فَمِنْهُمْ ظَـــلِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَتِ بِإِذْنِ الله ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ}. ووعد الجميع بالجنة بقوله[676]: {جَنَّـــتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} وذكر القسم الرابع: وهو الكفّار منها بقوله[677] {وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ} .

---

[668] نوح 10-12
[669] هود 52
[670] هود 3
[671] النحل 97
[672] الاعراف 96
[673] الطلاق 2-3
[674] طه 132
[675] فاطر 32
[676] فاطر 33
[677] فاطر 36

{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} (المائدة:67)

أمر تعالى في هذه الآية نبيه صلى الله عليه وسلم بتبليغ ما أُنزل إليه، وشهد له بالامتثال في آيات متعدِّدة كقوله[678]: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}، وقوله[679]: {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلَـٰغُ}، وقوله[680]: {فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ}.

{وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} (المائدة: 71)

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن بني إسرائيل عموا وصموا مرتين، تتخللهما توبة مِن الله عليهم، وبيَّن تفصيل ذلك في قومه[681]: {وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِى إِسْرَٰٓءِيلَ فِى الْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ} فبين جزاء عَماهم وصَمَمِهم في المرة الأولى بقوله[682]: {فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَـٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ} ، وبين جَزاء عماهم، وصَمَمِهم في المرة الآخرة بقوله[683] {فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الأَخِرَةِ لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا} ، وبين التوبة التي بينهما بقوله[684]: {ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا} . ثم بين أنهم إن عادوا إلى الإفساد عاد إلى الانتقام منهم بقوله[685]: {وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا}

{مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} (المائدة:75)

ذكر في مواضع أخر، أن جميع الرسل كانوا كذلك كقوله[686]: {وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ}، وقوله[687]: {وَمَا جَعَلْنَـٰهُمْ جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ}، وقوله[688]: {وَقَالُواْ مَا لِهَـٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ}.

678 البقرة
679 النور 54
680 الذاريات 54
681 الاسراء 4
682 الاسراء 5
683 الاسراء 7
684 الاسراء 6
685 الاسراء 6
686 الفرقان 20
687 الانبياء 8
688 الفرقان 7

{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} (المائدة:78)

الذين لُعنوا على لسان داود هم الذين اعتدوا في السبت كما بينه تعالى بقوله[689]: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِى السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ}، وقوله[690]: {فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـسِئِينَ}، والذين لعنوا على لسان عيسى ابن مريم، هم الذين كفروا مِن أهل المائدة، وهو المذكور في قوله[691]: {فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّى أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ}

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} (المائدة:95)

يفهم من دليل خطابها أي مفهوم مخالفتها أنهم إن حلوا من إحرامهم، جاز لهم قتل الصيد، وهذا المفهوم مصرح به في قوله تعالى: {وإذا حللتم فاصطادوا}

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (المائدة:105)

قد يتوهم الجاهل من ظاهر هذه الآية الكريمة عدم وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن نفس الآية فيها الإشارة إلى أن ذلك فيما إذا بلغ جهده فلم يقبل منه المأمور، وذلك في قوله {إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} لأن من ترك الأمر بالمعروف لم يهتد، ومما يدل على أن تارك الأمر بالمعروف غير مهتد، أن الله تعالى أقسم أنه في خسر قوله تعالى[692]: {وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّلِحَتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ} وقد دلت الآيات كقوله تعالى[693]: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً}. وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية {يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُم أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن رأى الناس الظالم فلم يأخذوا على يده، أو شك أن يعمهم الله بعقاب منه»، رواه أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر داخل في قوله {إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}، ويؤيده كثرة الآيات الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كقوله تعالى[694]:

---

[689] البقرة 65
[690] الاعراف 166
[691] المائدة 115
[692] العصر 1-3
[693] الانفال 25
[694] ال عمران 104

{وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، وقوله[695] {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}. وقوله[696]: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِى إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يَتَنَـــهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ}، وقوله[697]: {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ}، وقوله[698]: {فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ}، وقوله[699]: {أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ}، وقوله[700]: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ} (المائدة:106)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن كاتم الشهادة آثم، وبين في موضع آخر أن هذا الإثم من الآثام القلبية، وهو قوله[701]: {وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ}

{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْأِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي} (المائدة:110)

كما أوضحه بقوله[702]: {وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ}

---

[695] ال عمران 110
[696] المائدة 78-79
[697] الكهف 29
[698] الحجر 49
[699] الاعراف 165
[700] الانفال 25
[701] البقرة 283
[702] ال عمران 49

{وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرائيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} (المائدة:110)

لم يذكر هنا كيفية كفه إياهم عنه، ولكنه بينه في مواضع أخر، كقوله[703] {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـــكِن شُبِّهَ لَهُمْ}، وقوله[704]: {وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناًبَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ}، وقوله[705]: {وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ}، إلى غير ذلك من الآيات.

{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} (المائدة: 111)

المراد بالإيحاء إلى الحواريين الإلهام، ويدل عليه ورود الإيحاء في القرآن بمعنى الإلهام كقوله[706]: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ} يعني ألهمها، قال بعض العلماء: {وَأَوْحَيْنَآ إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ}

[703] النساء 157

[704] النساء 157-158

[705] ال عمران 55

[706] النحل 68

تفسير الفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الانعام

{الْحَمْدُ لله الَّذي خَلَقَ السَّمٰوَات وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} (الأنعام: 1)

معنى يعدلون يجعلون له نظيراً في العبادة ويدل له القرآن، كقوله تعالى عن الكفار الذين عدلوا به غيره: [707] {تَاللهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} ، وقوله تعالى: [708] {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ الله أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله} ، وأشار تعالى في آيات كثيرة إلى أن الكفار ساووا بين المخلوق والخالق قبحهم الله تعالى كقوله: [709] {أَمْ جَعَلُواْ للهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ الله خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهارُ} ، وقوله: [710] {أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} ، وقوله: [711] {ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَهُوَ اللهُ فِي السَّمٰوَات وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} (الأنعام: 3)

في هذه الآية الكريمة ثلاثة أوجه للعلماء من التفسير وكل واحد منها له مصداق في كتاب الله تعالى:

الأول: أن المعنى، وهو الله في السَّمٰوَات وفي الأرض، أي وهو الإله المعبود في السَّمٰوَات والأرض،ويشهد له قوله تعالى: [712] {وَهُوَ الَّذِى فِى السَّمآءِ إِلَٰهٌ وَفِى الأَرْضِ إِلَٰهٌ} . الوجه الثاني: أن قوله [713] {فِى السَّمٰوَات وَفِى الأَرْضِ} يتعلق بقوله {وَهُوَ اللهُ فِى السَّمٰوَات وَفِى الأَرْضِ يَعْلَم سِرَّكُمْ} أي وهو الله يعلم سركم في السَّمٰوَات وفي الأرض ويبين هذا القول ويشهد له قوله تعالى: {قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمٰوَات وَالأَرْضِ} . الوجه الثالث: أن الوقف تام على قوله في {السَّمٰوَات} وقوله {وَفي الأرض} يتعلق بما بعده، أي يعلم سركم وجهركم في الأرض، ومعنى هذا القول: إنه جل جلاله مستوي على عرشه كما يليق بشانه، مع أنه يعلم سر أهل الأرض وجهرهم لا يخفى عليه شيء من ذلك. ويبين هذا القول، ويشهد له قوله تعالى: [714] {أَءَمِنتُمْ مَّن

[707] الشعراء 97- 98

[708] البقرة 170

[709] الرعد 16

[710] النحل 17

[711] الروم 28

[712] الزخرف 84

[713] الفرقان 6

[714] الملك 16-17

فِى السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُأَمْ أَمِنتُم مِّن فِى السَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً} الآية، وقوله:[715] {الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوٰى}، مع قوله: [716]{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ}، وقوله: [717]{فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ}.

{وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} (الأنعام:7)

كما قال تعالى عنهم: [718]{وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَءُهُ}وهذا العناد بينه تعالى في آيات كثيرة كقوله:[719] {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُون لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ} وقوله: [720]{وَإِن يَرَوْاْ كِسْفاً مِّنَ السَّمَآءِ سَاقِطاً يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ} وقوله:[721] {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ الْمَلٰئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللهُ}، وقوله {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَت رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءايَةٍ}، وقوله [722]{وَمَا تُغْنِى الآيَتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ}، وقوله [723]{وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا} إلى غير ذلك من الآيات، وذكر تعالى نحو هذا العناد واللجاج عن فرعون وقومه في قوله:[724] {وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ}

{وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ} (الأنعام:8)

بين في موضع آخر أنهم يريدون بإنزال الملك أن يكون نذيراً آخر مع النّبي صلى الله عليه وسلم، وذلك في قوله:[725] {وَقَالُواْ مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَك فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً}

{وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ} (الأنعام:8)

يعني أنه لو نزل عليهم الملائكة وهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصي، لجاءهم من الله العذاب من غير إمهال ولا إنظار، كما بينه تعالى بقوله:[726] {مَا نُنَزِّلُ الْمَلٰئِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذًا مُّنظَرِينَ}.وقوله[727] {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلٰئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ}.

---

[715] طه 5

[716] الحديد 4

[717] الاعراف 7

[718] الاسراء 93

[719] الحجر 10- 14

[720] الطور 44

[721] الانعام 111

[722] يونس 101

[723] الانعام 25

[724] الاعراف 132

[725] الفرقان 7

[726] الحجر 8

{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ} (الأنعام:9)

كما أشار تعالى إلى ذلك أيضاً بقوله:[728] {قُل لَّوْ كَانَ فِى الأَرْضِ مَلَئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً}.

{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ} (الأنعام:10)

فمن استهزائهم بنوح قول الله تعالى عن نوح: [729] {إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} ، وذكر ما حاق بهم بقوله: [730] {فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} وأمثالها من الآيات. ومن استهزائهم بهود ما ذكره الله عنهم من قولهم: [731] {إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ} وقوله عنهم أيضاً:[732] {قَالُواْ يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِى ءالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ}. وذكر ما حاق بهم من العذاب في قوله. [733] {إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ}، وأمثالها من الآيات. ومن استهزائهم بصالح، قولهم فيما ذكر الله عنهم [734] {يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} وقولهم [735] {ياصَلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا}، وذكر ما حاق بهم بقوله[736] {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ}، ونحوها من الآيات. ومن استهزائهم بلوط قولهم فيما حكى الله عنهم:[737] {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُواْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ} . وقولهم له أيضاً:[738] {لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ} ، وذكر ما حاق بهم بقوله [739] {فَجَعَلْنَا عَـــالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ} ،ونحوها من الآيات. ومن استهزائهم بشعيب قولهم فيما حكى الله عنهم: [740] {قَالُواْ يشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} ، وذكر ما حاق بهم بقوله[741] {فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم } ونحوها من الآيات.

---

[727] الفرقان 22
[728] الاسراء 95
[729] هود 38
[730] العنكبوت 14
[731] هود 54
[732] هود 53
[733] الذريات 41
[734] الاعراف 77
[735] هود 62
[736] هود 67
[737] النحل 56
[738] الشعراء 167
[739] الحجر 74
[740] هود 91
[741] الشعراء 189

{قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ } (الأنعام:14)

وقد بين تعالى هذا بقوله:[742] {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}

{ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (الأنعام:14)

يعني أول من أسلم من هذه الأمة التي أُرسلت إليها، وليس المراد أول من أسلم من جميع الناس كما بينه تعالى بآيات كثيرة تدل على وجود المسلمين. قبل وجوده صلى الله عليه وسلم، ووجود أمته كقوله عن إبراهيم: [743]{إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَلَمِينَ} ، وقوله عن يوسف: [744] {تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِالصَّلِحِينَ} ، وقوله [745] {يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ} ، وقوله عن لوط وأهله،[746] {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ} ، إلى غير ذلك من الآيات.

{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الأنعام:17)

ولقد صرح بذلك في قوله: [747] {وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ} .

{قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} (الأنعام:19)

عموم إنذاره لكل من بلغه، فقد دلت عليه آيات أخر أيضاً كقوله[748] {قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} ، وقوله [749]{وَمَآ أَرْسَلْنَكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ} ، وقوله [750]{تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَلَمِينَ نَذِيراً} .وأما دخول من لم يؤمن به النار، فقد صرح به تعالى في قوله[751] {وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} .

---

[742] الذاريات 56-58

[743] البقرة 131

[744] يوسف 101

[745] المائدة 44

[746] الذاريات 36

[747] يونس 107

[748] الاعراف 158

{بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} (الأنعام:28)

وهذا المعنى جاء مصرحاً به في آيات أخر. كما صرح به في قوله [752] {وَلَكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَعِدِينَ} وقوله تعالى[753] {وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ} (الأنعام:33)

صرح تعالى في هذه الآية الكريمة، بأنه يعلم أن رسوله صلى الله عليه وسلم يحزنه ما يقوله الكفار من تكذيبه صلى الله عليه وسلم،وقد نهاه تعالى عن هذا الحزن المفرط في مواضع أخر كقوله:[754] {فلا تذهب نفسك عليهم حسرات}،وقوله: [755]{فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَفِرِينَ} ، وقوله:[756] {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى ءَاثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً} ، وقوله:[757] {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}

{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} (الأنعام:36)

المراد بالموتى في هذه الآية: الكفار، وتدل لذلك آيات من كتاب الله، كقوله تعالى[758] {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} وقوله[759] {وَمَا يَسْتَوِى الأَحْيَآءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ} ، وقوله: {وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى الْقُبُورِ} إلى غير ذلك من الآيات.

---

[749] سبا 28

[750] الفرقان 1

[751] هود 17

[752] التوبة 46

[753] المومنون 75

[754] فاطر 7

[755] المائدة 68

[756] الكهف 6

[757] الشعراء 3

[758] الانعام 122

[759] فاطر 22

{وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} (الأنعام:37)

وبين في موضع آخر أن حكمة عدم إنزالها وذلك في قوله [760] {وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا} وبين في مواضع أخر أنه لا داعي إلى ما اقترحوا من الآيات، لأنه أنزل عليهم آية أعظم من جميع الآيات وذلك في قوله [761] {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ}

{قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الأنعام:40)

لم يبين هنا نوع العذاب الدنيوي الذي يحملهم على الإخلاص لله،ولكنه بين كل ذلك في مواضع أخر. كقوله تعالى[762] {حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّآ أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ}، وقوله [763] {وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِى الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَ إِيَّاهُ}، وقوله[764] {فَإِذَا رَكِبُواْ فِى الْفُلْكِ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}، وقوله [765] {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}، إلى غير ذلك من الآيات. وبين أنهم إذا كشف الله عنهم ذلك الكرب، رجعوا إلى ما كانوا عليه من الشرك في مواضع كثيرة كقوله [766] {فَلَمَّا نَجَّـاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا} وقوله [767] {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ}، وقوله [768] {قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ}، وقوله [769] {فَلَمَّآ أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} (الأنعام:52)

وهي قوله: [770] {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} كما أمره هنا بالسلام عليهم، وبشارتهم برحمة ربهم جل وعلا

---

[760] الاسراء 59
[761] العنكبت 51
[762] يونس 22-23
[763] الاسراء 67
[764] العنكبوت 65
[765] لقمان 32
[766] الاسراء 67
[767] العنكبوت 65
[768] الانعام 64
[769] يونس 23
[770] الكهف 28

في قوله:[771] {وَإِذَا جَآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِئاياتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} وبين في آيات أخر أن طرد ضعفاء المسلمين الذي طلبه كفار العرب من نبينا صلى الله عليه وسلم فنهاه الله عنه، طلبه أيضاً قوم نوح من نوح، فأبى كقوله تعالى عنه:[772] {وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ ءامَنُواْ} ، وقوله:[773] {وَيَاقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ اللهِ إِن طَرَدتُّهُمْ} ، وقوله: [774] {وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ} ، وهذا من تشابه قلوب الكفار المذكور في قوله تعالى: [775] {تَشَـــابَهَتْ قُلُوبُهُمْ}

{وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ} (الأنعام:53)

أوضح هذا المعنى في آيات أخر كقوله تعالى: [776] {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ}، وقوله: [777] {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بِيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَىُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً} . ورد الله افتراءهم هذا بقوله:[778] {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِءْياً}، [779]وقوله: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَتِ بَل لاَّ يَشْعُرُون }، إلى غير ذلك من الآيات.

{قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ} (الأنعام:57)

وهى كقوله: [780] {قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِىَ الأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ} وبين في مواضع أخر أنهم ما حملهم على استعجال العذاب إلا الكفر والتكذيب، كقوله:[781] {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ}، وقوله:[782] {يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا} ، وقوله: [783] {يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَـــفِرِينَ}، وقوله:[784] {قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ

---

[771] الانعام 53
[772] هود 29
[773] هود 30
[774] الشعراء 114
[775] البقرة 118
[776] الاحقاف 11
[777] مريم 73
[778] مريم 74
[779] الوئمنون 55-56
[780] الانعام 58
[781] هود 8
[782] الشورى 18
[783] اللعنكبوت 54
[784] يونس 50

مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ}. وبين في موضع آخر أنه لولا أن الله حدد لهم أجلاً لا يأتيهم العذاب قبله لعجله عليهم، وهو قوله:[785] {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ العذاب}.

{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (الأنعام:59)

بين تعالى المراد بمفاتح الغيب بقوله:[786] {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}

{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمّىً ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (الأنعام:60)

ذكر في هذه الآية الكريمة أن النوم وفاة، وأشار في موضع آخر إلى أنه وفاة صغرى وأن صاحبها لم يمت حقيقة، وذلك في قوله تعالى:[787] {اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مِوْتِـهَا وَالَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِـهَا فَيُمْسِكُ الَّتِى قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}

{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ} (الأنعام:61)

لم يبين هنا ماذا يحفظون وبينه في مواضع أخر بقوله:[788] {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ} ،وبقوله:[789] {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـافِظِينَ كِرَاماً كَـاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} ، وقوله:[790] {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} ، وقوله:[791] {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}.

---

[785] العنكبوت 53

[786] لقمان 34

[787] الزمر 42

[788] الرعد 11

[789] النفطار 10– 12

[790] ق 17– 18

[791] الزخرف 80

{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (الأنعام:68)

لم يذكر حكم مجالستهم هنا، وبين ذلك كله في موضع آخر فبين أن خوضهم فيها بالكفر والاستهزاء بقوله:[792] {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ اللهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ} وبين أن من جالسهم في وقت خوضهم فيها مثلهم في الإثم بقوله: {إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ} ، وبين حكم من جالسهم ناسياً، ثم تذكر بقوله هنا: [793]{وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَـٰنُ فَلاَتَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}

{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} (الأنعام:75)

كونه جازماً موقناً بعدم ربوبية غير الله، فقد دل عليه ترتيب قوله تعالى:[794] {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـٰذَا رَبِّى} إلى آخره «بالفاء» على قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ} فدل على أنه قال ذلك موقناً مناظراً ومحاجاً لهم، كما دل عليه قوله تعالى: [795]{وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ}، وقوله:[796] {وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ} والعلم عند الله تعالى.

{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ} (الأنعام:82)

المراد بالظلم هنا الشرك كما ثبت عن النَّبي صلى الله عليه وسلم في صحيح البخاري وغيره من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقد بينه قوله تعالى:[797] {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}، وقوله: [798]{وَالْكَـٰفِرُونَ هُمُ الظَّـٰلِمُونَ}، وقوله: [799]{وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَيَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّـٰلِمِينَ}.

{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} (الأنعام:83)

قال مجاهد وغيره هي قوله تعالى:[800] {وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلاَتَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰناً فَأَىُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ}، وقد صدقه الله، وحكم له بالأمن والهداية،فقال:[801] {الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَـٰنَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ}.

---

[792] النساء 140

[793] الا نعام 68

[794] الانعام 75

[795] الانعام 80

[796] الانعام 83

[797] لقمان 13

[798] البقرة 254

[799] يونس 106

{ذَلِكَ هُدَى اللہ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأنعام:88)

وهو قوله:[802] {وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ}،وهذا شرط، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع، لقوله:[803] {قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ}

.{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللہ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللہ } (الأنعام:93)

ونظيرها قوله تعالى:[804] {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَـاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَآ}

{ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللہ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} (الأنعام:93)

لم يصرح هنا بالشيء الذي بسطوا إليه الأيدي،ولكنه أشار إلى أنه التعذيب بقوله:[805] {أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}وصرح بذلك في قوله:[806] {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلَـائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـارَهُمْ}، وبين في مواضع أخر أنه يراد ببسط اليد التناول بالسوء كقوله:[807] {وَيَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ}، وقوله:[808] {لَئِن بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى} .

---

[800] **الانعام 81**

[801] **الانعام 82**

[802] **الزمر 65**

[803] **الزخرف 81**

[804] **الانفال 31**

[805] **الانعام 93**

[806] **الانفال 50**

[807] **الممتحنة 2**

[808] **المائدة 28**

{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} (الأنعام:94)

صرح تعالى بأن كل واحد يأتي فرداً فيقوله:[809] {وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً} ،وقوله في هذه الآية {كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}

{ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ } (الأنعام:94)

أوضح هذا المعنى في آيات كثيرة جداً كقوله [810] {وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـافِرِينَ}، وقوله [811] {كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَـادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً}، وقوله [812] {إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّن دُونِ اللهِ أَوْثَـاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَـامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّـاصِرِينَ}، وقوله {أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَو يَنتَصِرُونَ}، وقوله هنا[813] {وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ} .

{فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} (الأنعام:96)

كما بينه قوله تعالى:[814] {هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَار مُبْصِراً}، وقوله [815] {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَـامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ قُل أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَـامَةِ مَن إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفلاَ تُبْصِرُونَ وَمِن رَّحْمَته جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبتَغُواْ مِن فَضْلِهِ}

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (الأنعام:97)

كقوله {وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} بين في غير هذا الموضع أن لها حكمتين أخريين غير الاهتداء بها كقوله [816] {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ}.وقوله[817] {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بزِينَة الْكَوَاكِبِ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍلاَّ

---

[809] مريم 95
[810] الاحقاف 6
[811] مريم 82
[812] الليل 92- 93
[813] الانعام 94
[814] يونس 67
[815] القصص 17- 37
[816] الملك 5
[817] الصافات 6-10

يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً وَلَهُمْ عَذابٌ وَاصِبٌ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ }وقوله [818]{وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} .

{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} (الأنعام:98)

كقوله [819]{يَـــأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً } وقوله : [820]{هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} .

{لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (الأنعام:103)

أشار في مواضع أخر: إلى أن نفي الإدراك المذكور هنا لا يقتضي نفي مطلق الرؤية كقوله [821]{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌإِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، وقوله [822]{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} والحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم، وقوله [823]{كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} يفهم منه أن المؤمنين ليسوا بمحجوبين عنه.

{وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ} (الأنعام:105)

وقد أوضح الله تعالى بطلان افترائهم هذا في آيات كثيرة كقوله[824] {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ}، وقوله [825]{فَقَالَ إِنْ هَذَآ إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَآ إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ}، وقوله:[826] {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْماً وَزُوراً وَقَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا قلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَٰوَات وَالأَرْضِ}.

{وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (الأنعام:105)

وهو قوله {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ} وصرح بذلك في قوله {وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَـــاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ}.

[818] فصلت 12

[819] النساء 1

[820] الاعراف 189

[821] القيلمة 22– 23

[822] يونس 26

[823] الممطففين 15

[824] النحل 103

[825] المدثر 24– 26

[826] الفرقان 4–6

{اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ} (الأنعام:106)

كقوله [827] {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ} وقوله [828] {وَمَآ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ}، وقوله [829] {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ}، وقوله[830] {إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} إلى غير من الآيات.

{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ} (الأنعام:119)

التحقيق أنه فصله لهم بقوله: [831] {قُل لاَ أَجِدُ فِى مَآ أُوْحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَ أَن يَكُونَ مَيْتَةً}

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} (الأنعام:123)

لم يبين المراد بالأكابر هنا، وبين ذلك في مواضع أخر بقوله: [832] {وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَـافِرُونَ}، وقوله: [833] {وَكَذَلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَارِهِم مُّقْتَدُونَ}. ونحو ذلك من الآيات. وبين كيفية مكرهم بقوله: [834] {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنداداً}، وقوله: [835] {وَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ}.

{وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ} (الأنعام:124)

بينه تعالى في آيات أخر، كقوله: [836] {وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلاَئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا}. وقوله: [837] {أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلاَئِكَةِ قَبِيلاً}، إلى غير ذلك من الآيات.

---

[827] الرعد 1

[828] يوسف 103

[829] الصافات 71

[830] الشعراء 8

[831] الانعام 145

[832] سبا 34

[833] الزخرف 23

[834] سبا 33

[835] نوح 22– 23

[836] الفرقان 21

{فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ} (الأنعام:125)

ويدل لهذا قوله تعالى: [838]{أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ} .

{يٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ} (الأنعام:130)

يشهد لهذا قوله:[839] {وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُواْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ} . وقال بعض العلماء: {رُسُلٌ مِّنْكُمْ} أي من مجموعكم الصادق بخصوص الإنس: لأنه لا رسل من الجن، ويستأنس لهذا القول بأن القرآن ربما أطلق فيه المجموع مراداً بعضه، كقوله: [840]{وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً}، وقوله: [841]{فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا}، مع أن العاقر واحد منهم، كما بينه بقوله: [842]{فَنَادَوْاصَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ} .

{ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ} (الأنعام: 131)

بين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله:[843] {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}، وقوله [844]{رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}، وقوله [845]{وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ}،[846] وقوله {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} (الأنعام:132)

وهو قوله:[847] {انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَـاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً} .

---

[837] الاسراء 92
[838] الزمر 22
[839] الاحقاف 29
[840] نوح 16
[841] الشمس 14
[842] القمر 29
[843] الاسراء 15
[844] النساء 165
[845] فاطر 24
[846] النحل 36
[847] الاسراء 21

{وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُها وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (الأنعام:138)

وذكر في غير في هذا الموضع أنهم قالوا ذلك بالفعل، كقوله في النحل:[848] {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ اللهُ مَا عَبَدْنَا}[849] {وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ الرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُمْ}. وكذبهم هنا بقوله:[850] {قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاالظَّنَّ}، وكذبهم في الزخرف بقوله: {مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ}، وقال في الزمر[851] {وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} .

{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (الأنعام:151)

ولقد نهى في سورة الإسراء عن قتلهم خشية الفقر المترقب المخوف منه، مع أنه غير واقع في الحال بقوله: [852]{وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ}

{وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (الأنعام:152)

كما بينه تعالى بقوله: [853]{فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ}والمراد بالأشد في هذه الآية البلوغ، بدليل قوله تعلى: [854]{إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ}

{أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ} (الأنعام:157)

---

[848] النحل 35
[849] الزخرف 20
[850] الزخرف 20
[851] الزمر 7
[852] الاسراء 31
[853] النساء 6
[854] النساء 6

وهو قوله تعالى: [855]{وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـانِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِير لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلا نُفُوراً اسْتِكْبَاراً فِى الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّىءِ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّىءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ} .

{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ} (الأنعام:157)

وهو قوله تعالى: {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ}. وقوله:[856] {الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ زِدْنَـاهُمْ عَذَابًا فَوْق الْعَذَابِ} .
ونظيره قوله تعالى:[857] {فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى وَلَـكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى}

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} (الأنعام:158)

وهو قوله تعالى:[858] {وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً} وذكره في موضع آخر بقوله تعالى:[859] {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلاَئِكَةُ} .

{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الأنعام:162)

ويدل لهذا قوله تعالى:[860] {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

[855] فاطر 42– 43
[856] النحل 88
[857] القيامة 31– 32
[858] الفجر 22
[859] البقرة 210
[860] الكوثر 2

سورة الأعراف

{الٓمٓصٓ * كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ} (الأعراف 1:-3)

قوله تعالى: {فَلاَ يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ}.

قال مجاهد، وقتادة، والسدي: {حرج} أي شك. أي لا يكن في صدرك شك في كون هذا القرآن حقاً، وعلى هذا القول فالآية، كقوله تعالى: {الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} وقوله: {الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِّن الْمُمْتَرِينَ} ، وقوله: {فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} . والممتري: هو الشاك. لأنه مفتعل من المرية وهي الشك، وعلى هذا القول فالخطاب للنبي ﷺ. والمراد نهى غيره عن الشك في القرآن، كقول الراجز:* إياك أعني واسمعي يا جارة * وكقوله تعالى: {وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً} ، وقوله: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} ، وقوله: {وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم} . ومعلوم أنه ﷺ لا يفعل شيئاً من ذلك، ولكن الله يخاطبه ليوجه الخطاب إلى غيره في ضمن خطابه ﷺ. وجمهور العلماء: على أن المراد بالحرج في الآية الضيق. أي لا يكن في صدرك ضيق عن تبليغ ما أمرت به لشدة تكذيبهم لك، لأن تحمل عدواة الكفار، والتعرض لبطشهم مما يضيق به الصدر، وكذلك تكذيبهم له ﷺ مع وضوح صدقه بالمعجزات الباهرات مما يضيق به الصدر. وقد قال ﷺ: «إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة»، أخرجه مسلم. والثلغ: الشدخ وقيل ضرب الرطب باليابس حتى ينشدخ، وهذا البطش مما يضيق به الصدر. ويدل لهذا الوجه الأخير في الآية قوله تعالى: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ} ، وقوله: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} ، وقوله: {فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً} وقوله: {لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ إِلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ} . ويؤيد الوجه الأخير في الآية أن الحرج في لغة العرب: الضيق. وذلك معروف في كلامهم، ومنه قوله تعالى: {لَّيْسَ عَلَى الأَعْمَىٰ حَرَجٌ} ، وقوله: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} ، وقوله: {يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً} أي شديد الضيق إلى غير ذلك من الآيات، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة، أو جميل:

فخرجت خوف يمينها فتبسمت فعلمت أن يمينها لم تحرج

وقول العرجي:

عوجي علينا ربة الهودج إنك إلا تفعلي تحرجي

والمراد بالإحراج في البيتين: الإدخال في الحرج. بمعنى الضيق كما ذكرنا.

قوله تعالى: {لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ} .لم يبين هنا المفعول به لقوله لتنذر، ولكنه بينه في مواضع أخر كقوله: {وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً} ، وقوله: {لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ} ، إلى غير ذلك من الآيات. كما أنه بين المفعول الثاني للإنذار في آيات أخر، كقوله {لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ} ، وقوله: {فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّىٰ} ، وقوله: {إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَاباً قَرِيباً} ، إلى غير ذلك من الآيات.

وقد جمع تعالى في هذه الآية الكريمة بين الإنذار والذكرى في قوله: {لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ} فالإنذار للكفار، والذكرى للمؤمنين، ويدل لذلك قوله تعالى: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلَسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً} ، وقوله: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} ، وقوله: {فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ} .

ولا ينافي ما ذكرنا من أن الإنذار للكفار، والذكرى للمؤمنين. أنه قصر الإنذار على المؤمنين دون غيرهم في قوله تعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخشِىَ الرَّحْمَـٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} . لأنه لما كان الانتفاع بالإنذار مقصوراً عليهم، صار الإنذار كأنه مقصور عليهم، لأن ما نفع فيه فهو كالعدم.

ومن أساليب اللغة العربية: التعبير عن قليل النفع بأنه لا شيء.

وحاصل تحرير المقام في هذا المبحث: أن الإنذار يطلق في القرآن إطلاقين.

أحدهما: عام لجميع الناس كقوله: {يٰأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ} ، وقوله: {تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيراً }
.

وهذا الإنذار العام: هو الذي قصر على المؤمنين قصراً إضافياً في قوله: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ} الآية. لأنهم هم المنتفعون به دون غيرهم.

والثاني: إنذار خاص بالكفار لأنهم هم الواقعون فيما أنذروا به من النكال والعذاب، وهو

أحدهما: عام لجميع الناس كقوله: {يٰأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ} ، وقوله: {تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيراً } .

وهذا الإنذار العام: هو الذي قصر على المؤمنين قصراً إضافياً في قوله: {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ} الآية. لأنهم هم المنتفعون به دون غيرهم.

والثاني: إنذار خاص بالكفار لأنهم هم الواقعون فيما أنذروا به من النكال والعذاب، وهو الذي يذكر في القرآن مبيناً أنه خاص بالكفار دون المؤمنين كقوله: {لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً}، وقوله هنا: {لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ} اهـ.

والإنذار في اللغة العربية: الإعلام المقترن بتهديد، فكل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذاراً.

أحدهما: عام لجميع الناس كقوله: {يٰأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ} ، وقوله: {تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيراً }
.

وهذا الإنذار العام:هوالذي قصر على المؤمنين قصراً إضافياً في قوله:{إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ}الآية.لأنهم هم المنتفعونبه دون غيرهم.

والثاني: إنذار خاص بالكفار لأنهم هم الواقعون فيما أنذروا به من النكال والعذاب، وهو الذي يذكر في القرآن مبيناً أنه خاص بالكفار دون المؤمنين كقوله: {لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً}، وقوله هنا: {لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ} اهـ.

والإنذار في اللغة العربية: الإعلام المقترن بتهديد، فكل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذاراً.

{وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ * فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ * فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ} (الأعراف4:-7)

قوله تعالى: {وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ}.

خوف الله تعالى في هذه الآية الكريمة الكفار الذين كذبوه ﷺ، بأنه أهلك كثيراً من القرى بسبب تكذيبهم الرسل، فمنهم من أهلكها بياتاً أي ليلاً، ومنهم من أهلكها وهم قائلون، أي في حال قيلولتهم، والقيلولة: الاستراحة وسط النهار. يعني: فاحذروا تكذيب رسولي ﷺ لئلا أنزل بكم مثل ما أنزلت بهم، وأوضح هذا المعنى في آيات أخر كقوله: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُمْ مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ} ، وقوله: {فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ} ، وقوله: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَـٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَٰرِثِينَ} ، وقوله: {أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ} ، ثم بين أنه يريد تهديدهم بذلك بقوله: {وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا} إلى غير ذلك من الآيات.

وقد هدد تعالى أهل القرى بأن يأتيهم عذابه ليلاً في حالة النوم، أو ضحى في حالة اللعب، في قوله تعالى: {أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتاً وَهُمْ نَآئِمُونَأَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ} . وهدد أمثالهم من الذين مكروا السيئات بقوله تعالى: {أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُواْ السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَأَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَأَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} .

قوله تعالى: {فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلاَ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ} .

وبين تعالى في هذه الآية الكريمة أن تلك القرى الكثيرة التي أهلكها في حال البيات، أو في حال القيلولة، لم يكن لهم من الدعوى إلا اعترافهم بأنهم كانوا ظالمين.

وأوضح هذا المعنى في قوله: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَـٰلِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَفَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَلاَ تَرْكُضُواْ وَارْجِعُواْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَـٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَقَالُواْ يٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَفَمَا زَالَت تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَـٰهُمْ حَصِيداً خَـٰمِدِينَ} .

قال ابن جرير رحمه الله في هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ «ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم» حدثنا بذلك ابن حميد. حدثنا جرير عن أبي سنان عن عبد الملك بن ميسرة الزراد قال: قال عبد الله بن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «ما هلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم» قال: قلت لعبد الله كيف يكون ذلك؟ قال: فقرأ هذه الآية {فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلاَ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ} .

قوله تعالى: {فَلَنَسْـــئلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـــئلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} .

لم يبين هنا الشيء المسؤول عنه المرسلون، ولا الشيء المسؤول عنه الذين أرسل إليهم.

وبين في مواضع أخر أنه يسأل المرسلين عما أجابتهم به أممهم، ويسأل الأمم عما أجابوا به رسلهم.

قال في الأول: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ} .

وقال في الثاني: {وَيَوْمَ يُنَـــٰدِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ} .

وبين في موضع آخر أنه يسأل جميع الخلق عما كانوا يعلمون، وهو قوله تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْـــئلَنَّهُمْ أَجْمَعِينعَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} .

وهنا إشكال معروف: وهو أنه تعالى قال هنا: {فَلَنَسْـــئلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـــئلَنَّ الْمُرْسَلِينَ}، وقال أيضاً: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْـــئلَنَّهُمْ أَجْمَعِينعَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}، وقال: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْئُولُونَ} ، وهذا صريح في إثبات سؤال الجميع يوم القيامة، مع أنه قال: {وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} ، وقال: {فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْـــئلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَآنٌّ} .

اعلم أولاً: أن السؤال المنفي في الآيات المذكورة. أخص من السؤال المثبت فيها. لأن السؤال المنفي فيها مقيد بكونه سؤالاً عن ذنوب خاصة. فإنه قال: {وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} فخصه بكونه عن الذنوب، وقال: {فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْـــئلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَآنٌّ} فخصه بذلك أيضاً. فيتضح من ذلك أن سؤال الرسل والمؤودة مثلاً ليس عن ذنب فعلوه فلا مانع من وقوعه. لأن المنفي خصوص السؤال عن ذنب، ويزيد ذلك إيضاحاً قوله تعالى: {لِّيَسْأَلَ الصَّـــٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ} ، وقوله بعد سؤاله لعيسى المذكور في قوله: {وَإِذْ قَالَ اللهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَءَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـــٰهَيْنِ مِن دُونِ اللهِ} . {قَالَ اللهُ هَـــٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّـــٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ} ، والسؤال عن الذنوب المنفي في الآيات: المراد به سؤال الاستخبار والاستعلام. لأنه جل وعلا محيط علمه بكل شيء، ولا ينافي نفي هذا النوع من السؤال ثبوت نوع آخر منه هو سؤال التوبيخ والتقريع. لأنه نوع من أنواع العذاب، ويدل لهذا أن سؤال الله للكفار في القرآن كله توبيخ وتقريع كقوله: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْئُولُونَمَا لَكُمْ لاَ تَنَـــٰصَرُونَ} . وقوله: {أَفَسِحْرٌ هَـــٰذَا أَمْ أَنتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ} . إلى غير ذلك من الآيات وباقي أوجه الجمع مبين في كتابنا المذكور ـــ والعلم عند الله تعالى ـــ.

قوله تعالى: {فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ} .

بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه يقص على عباده يوم القيامة ما كانوا يعملونه في الدنيا، وأخبرهم بأنه جل وعلا لم يكن غائباً عما فعلوه أيام فعلهم له في دار الدنيا، بل هو الرقيب الشهيد على جميع الخلق، المحيط علمه بكل ما فعلوه من صغير وكبير، وجليل وحقير، وبين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله: {مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـــٰثَةٍ إِ ّ َلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِ ّ َلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَىٰ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِ ّ َلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُواْ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ الْقِيـــٰمَةِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} ، وقوله: {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} وقوله: {مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِ ّ َلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِى السَّمَآءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذٰلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِ ّ َلا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ} .تنبيه

في هذه الآية الكريمة الرد الصريح على المعتزلة النافين صفات المعاني، القائلين: إنه تعالى عالم بذاته، لا بصفة قامت بذاته، هي العلم، وهكذا في قولهم: قادر مريد، حي سميع، بصير متكلم، فإنه هنا أثبت لنفسه صفة العلم بقوله: {فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ} ونظيره قوله تعالى: {أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ} . وهي أدلة قرآنية صريحة في بطلان مذهبهم الذي لا يشك عاقل في بطلانه وتناقضه. قوله تعالى: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوٰزِينُهُ فأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوٰزِينُهُ} .

بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن وزنه للأعمال يوم القيامة حق أي لا جور فيه، ولا ظلم، فلا يزاد في سيئات مسيء، ولا ينقص من حسنات محسن.

وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر كقوله: {وَنَضَعُ الْمَوٰزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ} ، وقوله: {إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـٰعِفْهَا} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوٰزِينُهُ فَأُوْلٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوٰزِينُهُ فَأُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوۤاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ} (الأعراف8:-9)

قوله تعالى: {فَمَن ثَقُلَتْ مَوٰزِينُهُ فأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ.

بين تعالى في هذه الآية الكريمة: أن من ثقلت موازينهم أفلحوا، ومن خفت موازينهم خسروا بسبب ظلمهم، ولم يفصل الفلاح والخسران هنا.

وقد جاء في بعض المواضع ما يدل على أن المراد بالفلاح هنا كونه في عيشة راضية في الجنة، وأن المراد بالخسران هنا كونه في الهاوية من النار، وذلك في قوله: {فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوٰزِينُهُ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍوَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوٰزِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌوَمَآ أَدْرَاكَ مَانَارٌ حَامِيَةٌ} .

وبين أيضاً خسران من خفت موازينة بقوله: {وَمَنْ خَفَّتْ مَوٰزِينُهُ فأُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَالِدُونَتَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى الاَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ * وَلَقَدْ خَلَقْنٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلٰئِكَةِ اسْجُدُواْ لأَدَمَ فَسَجَدُوۤاْ إِلاَ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السٰجِدِينَ} (الأعراف10:-11)

قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ} . لم يبين هنا كيفية هذه المعايش التي جعل لنا في الأرض، ولكنه بين ذلك في مواضع أخر كقوله: {فَلْيَنظُرِ الإنسَـٰنُ إِلَى طَعَامِهِ} {ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاًفَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاًوَعِنَباً وَقَضْباًوَزَيْتُوناً وَنَخْلاًوَحَدَآئِقَ غُلْباًوَفَـٰكِهَةً وَأَبّاًمَّتَـٰعاً لَّكُمْ وَلاَنْعَـٰمِكُمْ} .

وقوله: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ الْمَآءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ } ، وقوله: {وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَـٰتٍ شَتَّىٰ كُلُواْ وَارْعَوْاْ أَنْعَـٰمَكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لأَيَـٰتٍ لأُوْلِى النُّهَىٰ} .

وذكر كثيراً من ذلك في سورة النحل كقوله: {وَالأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّـٰغِرِينَ * قَالَ أَنظِرْنِى إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ * وَيَـٰأَدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّـٰلِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَـٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَـٰلِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّـٰصِحِينَ * فَدَلَّـٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ * يَـٰبَنِىۤ آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَـٰتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} (الأعراف 12 :-26)

قوله تعالى: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} .

قال بعض العلماء، معناه: ما منعك أن تسجد، و «لا» صلة، ويشهد لهذا قوله تعالى: في سورة «ص» {قَالَ يَٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ} (ص: 57) الآية. وقد أوضحنا زيادة لفظة «لا» وشواهد ذلك من القرآن، ومن كلام العرب في سورة البلد. والعلم عند الله تعالى. قوله تعالى: {قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} .

ذكر في هذه الآية الكريمة: أن إبليس ـــ لعنه الله ـــ خلق من نار، وعلى القول بأن إبليس هو الجان الذي هو أبو الجن. فقد زاد في مواضع أخر أوصافاً للنار التي خلقه منها. من ذلك أنها نار السموم. كما في قوله: {وَالْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ} ،

ومن ذلك أنها خصوص المارج. كما في قوله: {وَخَلَقَ الْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ} ، والمارج أخص من مطلق النار لأنه اللهب الذي لا دخان فيه.

وسميت نار السموم: لأنها تنفذ في مسام البدن لشدة حرها. وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً «خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم» ورواه عنها أيضاً الإمام أحمد.

قوله تعالى: {قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّـٰغِرِينَ} .

بين تعالى في هذه الآية الكريمة: أنه عامل إبليس اللعين بنقيض قصده حيث كان قصده التعاظم والتكبر، فأخرجه الله صاغراً حقيراً ذليلا، متصفاً بنقيض ما كان يحاوله من العلو والعظمة، وذلك في قوله: {فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّـٰغِرِينَ}، والصغار: أشد الذل والهوان، وقوله: {اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا} ، ونحو ذلك من الآيات، ويفهم من الآية أن المتكبر لا ينال ما أراد من العظمة والرفعة، وإنما يحصل له نقيض ذلك. وصرح تعالى بهذا المعنى في قوله: {إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَـٰلِغِيهِ} . وبين في مواضع أخر كثيراً من العواقب السيئة التي تنشأ عن الكبر ــ أعاذنا الله والمسلمين منه ــ فمن ذلك أنه سبب لصرف صاحبه عن فهم آيات الله، والاهتداء بها كما في قوله تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} . ومن ذلك أنَه من أسباب الثواء في النار كما في قوله تعالى: {أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} ، وقوله: {إِنَّهُمْ كَانُواْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ} ، ومن ذلك أن صاحبه لا يحبه الله تعالى كما في قوله: {لاَ جَرَمَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ} ، ومن ذلك أن موسى استعاذ من المتصف به ولا يستعاذ إلا مما هو شر. كما في قوله: {وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُـمْ مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ} إلى غير ذلك من نتائجه السيئة، وعواقبه الوخيمة، ويفهم من مفهوم المخالفة في الآية: أن المتواضع لله جل وعلا يرفعه الله.

وقد أشار تعالى إلى مكانة المتواضعين له عنده في مواضع أخر كقوله: {وَعِبَادُ الرَّحْمَـٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً} ، وقوله: {تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةِ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «إنه أوحي إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد»، وقد قال الشاعر:

تواضع تكن كالبدر تبصر وجهه

على صفحات الماء وهو رفيع

ولا تك كالدخان يعلو بنفسه

إلى صفحات الجو وهو وضيع

وقال أبو الطيب المتنبي:

ولو لم يعل إلا ذو محل

تعالى الجيش وانحط القتام

قوله تعالى: {قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَقَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ}.

لم يبين هنا في سورة الأعراف الغاية التي أنظره إليها، وقد ذكرها في «الحجر» و «ص» مبيناً أن غاية ذلك الإنظار هو يوم الوقت المعلوم. لقوله: في سورة «الحجر» و «ص» {فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَإِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} فقد طلب الشيطان الإنظار إلى يوم البعث، وقد أعطاه الله الإنظار إلى يوم الوقت المعلوم. وأكثر العلماء يقولون: المراد به وقت النفخة الأولى، والعلم عند الله تعالى.

قوله تعالى: {وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ}. هذا الذي ذكر إبليس أنه سيوقع بين آدم فيه قاله ظناً منه أنهم سيطيعونه فيما يدعوهم إليه حتى يهلكهم، وقد بين تعالى في سورة «سبأ» أن ظنه هذا صدق فيهم بقوله {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ} . كما تقدمت الإشارة إليه.

قوله تعالى: {قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ}.

بين في هذه الآية الكريمة أنه قال لإبليس: أخرج منها في حال كونك مذءوماً مدحوراً. والمذءوم: المعيب أو الممقوت، والمدحور: المبعد عن الرحمة، المطرود، وأنه أوعده بملء جهنم منه، وممن تبعه. وأوضح هذا المعنى في آيات أخر كقوله تعالى: {قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُلأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} وقوله: {قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاءً مَّوفُورًاوَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى الأَمْوَٰلِ وَالأَوْلَـٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَـٰنُ إِلاَّ غُرُورًا} ، وقوله: {فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَوَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{يَـٰبَنِىۤ آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِمَا لاَ تَعْلَمُونَ * قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ}

(الأعراف27 -29)

قوله تعالى: {يَـٰبَنِى آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ}.

حذر تعالى في هذه الآية الكريمة بني آدم أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم، وصرح في موضع آخر. أنه حذر آدم من مكر إبليس قبل أن يقع فيما وقع فيه، ولم ينجه ذلك التحذير من عدوه وهو قوله تعالى: {فَقُلْنَا يٰآدَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ} .

قوله تعالى: {وَإِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَاءَنَا} .

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة: أن الكفار إذا فعلوا فاحشة. استدلوا على أنها حق وصواب، بأنهم وجدوا آباءهم يفعلونها، وأنهم ما فعلوها، إلا لأنها صواب ورشد. وبين في موضع آخر: أن هذا واقع من جميع الأمم، وهو قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ} . ورد الله عليهم هذا التقليد الأعمى في آيات كثيرة، كقوله: {أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ} ، وقوله: {أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ} ، وقوله: {قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ} ، وقوله: {إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَفَهُمْ عَلَىٰ ءَاثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ.}

في هذه الآية الكريمة للعلماء وجهان من التفسير: الأول: أن معنى {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} أي كما سبق لكم في علم الله من سعادة أو شقاوة، فإنكم تصيرون إليه. فمن سبق له العلم بأنه سعيد صار إلى السعادة، ومن سبق له العلم بأنه شقي صار إلى الشقاوة، ويدل لهذا الوجه قوله بعده: {فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَـٰلَةُ} . وهو ظاهر كما ترى، ومن الآيات الدالة عليه أيضاً قوله تعالى: {هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ} ، وقوله: {وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ} ، أي ولذلك الاختلاف إلى شقي، وسعيد خلقهم. الوجه الثاني: أن معنى قوله: {كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} ، أي كما خلقكم أولاً، ولم تكونوا شيئاً، فإنه يعيدكم مرة أخرى. ويبعثكم من قبوركم أحياء بعد أن متم وصرتم عظاماً رميماً، والآيات الدالة على هذا الوجه كثيرة جداً، كقوله: {كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَآ} ، وقوله: {وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} ، وقوله: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ} ، وقوله: {يٰأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُمْ مِّن تُرَابٍ} إلى غير ذلك من الآيات. وقد قدمنا في هذا الكتاب أنه قد يكون في الآية وجهان، وكل واحد منهما حق، ويشهد له القرآن، فنذكر الجميع، لأنه كله حق، والعلم عند الله تعالى.

{فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَـٰلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اللهِوَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * يٰبَنِىۤ آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوۤاْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِالَّتِىۤ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَـٰتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِى لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللهِمَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـٰناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللهِمَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ * يٰبَنِىۤ آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ

يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِأايَـٰتِهِ أُوْلَـٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَـٰبِ حَتَّىٰ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِقَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَـٰفِرِينَ}(الأعراف30 :-37)

{فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَـٰلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اللهِوَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}(الأعراف30 :)

وبين تعالى في هذه الآية الكريمة، أن الكفار اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، ومن تلك الموالاة طاعتهم لهم فيما يخالف ما شرعه الله تعالى، ومع ذلك يظنون أنفسهم على هدى. وبين في موضع آخر: أن من كان كذلك فهو أخسر الناس عملاً، والعياذ بالله تعالى، وهو قوله جل وعلا: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلاًالَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}.

{قَالَ ادْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِى النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولَـٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰؤُلآءِ أَضَلُّونَا فَأاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لاَّ تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أُولَـٰهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ السَّمَآءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ * لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الظَّـٰلِمِينَ * وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـٰلِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا أُوْلَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ}(الأعراف-42 38)

قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولَـٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ}.

لم يبين هنا السبب الذي مكنهم من إضلالهم، ولكنه بين في موضع آخر: أن السبب الذي مكنهم من ذلك هو كونهم سادتهم وكبراءهم، ومعلوم أن الأتباع يطيعون السادة الكبراء فيما يأمرونهم به، وهو قوله تعالى: {وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا

فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْرَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ} . وبسط ذلك في سورة «سبأ» بقوله: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَقَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ أَنَحْنُ صَدَدنَـٰكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُّجْرِمِينوَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً} .

قوله تعالى: {فَـئاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ} .

وبين تعالى في هذه الآية الكريمة، وأمثالها من الآيات: أن الأتباع يسألون الله يوم القيامة أن يضاعف العذاب للمتبوعين، وبين في مواضع أخر: أن مضاعفة العذاب للمتبوعين لا تنفع الأتباع، ولا تخفف عنهم من العذاب، كقوله: {وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} ، وقوله هنا: {قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ}، وقوله: {وَقَالَتْ أُولَـٰهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ}، وقوله: {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَـٰرُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لله الَّذِى هَدَانَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلآ أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَنَادَىٓ أَصْحَـٰبُ الْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللهِعَلَى الظَّـٰلِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِوَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالآخِرَةِ كَـٰفِرُونَ} (الأعراف43 -45:)

قوله تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَـٰرُ} .

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة: أنه جل وعلا، ينزع ما في صدور أهل الجنة من الحقد، والحسد الذي كان في الدنيا، وأنهم تجري من تحتهم الأنهار في الجنة، وذكر في موضع آخر أن نزع الغل من صدورهم يقع في حال كونهم إخواناً على سرر متقابلين آمنين من النصب، والخروج من الجنة. وهو قوله تعالى في «الحجر»: {وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينلاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ} .

قوله تعالى: {وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ} .

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة: أن بين أهل الجنة، وأهل النار حجاباً يوم القيامة، ولم يبين هذا الحجاب هنا، ولكنه بينه في سورة الحديد بقوله: {فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَـٰهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ}

{وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَـٰهُمْ وَنَادَوْاْ أَصْحَـٰبَ الْجَنَّةِ أَن سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَـٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَـٰبِ النَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ} (الأعراف46 :-47)

قوله تعالى: {يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَـٰهُمْ}.

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن أصحاب الأعراف، يعرفون كلا من أهل الجنة، وأهل النار بسيماهم، ولم يبين هنا سيما أهل الجنة، ولا أهل النار، ولكنه أشار لذلك في مواضع أخر، كقوله: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ} . فبياض الوجوه وحسنها. سيما أهل الجنة، وسوادها وقبحها، وزرقة العيون، سيما أهل النار، كما قال أيضاً في سيما أهل الجنة: {تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ} ، وقال: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ} ، وقال في سيما أهل النار: {كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ الَّيْلِ مُظْلِماً} . وقال {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ} ، وقال: {وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقاً} .

{وَنَادَىٰ أَصْحَـٰبُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَـٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَـٰؤُلآءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * وَنَادَىٰ أَصْحَـٰبُ النَّارِ أَصْحَـٰبَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ قَالُوۤاْ إِنَّ اللهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَـٰفِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَـٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـآيَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُمْ بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الأعراف48 :-52)

قوله تعالى: {قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ}.

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة: أن أصحاب الأعراف قالوا لرجال من أهل النار: يعرفونهم بسيماهم لم ينفعكم ما كنتم تجمعونه في الدنيا من المال، ولا كثرة جماعتكم وأنصاركم، ولا استكباركم في الدنيا. وبين في مواضع أخر وجه ذلك: وهو أن الإنسان يوم القيامة، يحشر فرداً، لا مال معه، ولا ناصر، ولا خادم، ولا خول. وأن استكباره في الدنيا يجزىء به عذاب الهون في الآخرة، كقوله. {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ} ، وقوله: {وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً} ، وقوله: {وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ فَرْداً}، وقوله: {فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} .

{هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ}(الأعراف53 :)

قوله تعالى: {يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ}. بين تعالى في هذه الآية الكريمة: أن الكفار، إذا عاينوا الحقيقة يوم القيامة يقرون بأن الرسل جاءت بالحق، ويتمنون أحد أمرين: أن يشفع لهم شفعاء فينقذوهم، أو يردوا إلى الدنيا ليصدقوا الرسل، ويعملوا بما يرضي الله، ولم يبين هنا هل يشفع لهم أحد؟ وهل يردون؟ وماذا يفعلون لو ردوا؟ وهل اعترافهم ذلك بصدق الرسل ينفعهم؟ ولكنه تعالى بين ذلك كله في مواضع أخر، فبين: أنهم لا يشفع لهم أحد بقوله: {فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ} ، وقوله: {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ الشَّـٰفِعِينَ} ، وقوله: {وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ} مع قوله: {وَلاَ يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} ، وقوله: {فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَـٰسِقِينَ} ، وبين أنهم لا يردون في مواضع متعددة، كقوله: {وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَـٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} رضي الله عنه

فقوله: {وَلَـٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ}.

دليل على أن النار وجبت لهم، فلا يردون، ولا يعذرون، وقوله {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحاً غَيْرَ الَّذِى كُـنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ} . فصرح بأنه قطع عذرهم في الدنيا. بالإمهال مدة يتذكرون فيها. وإنذار الرسل، وهو دليل على عدم ردهم إلى الدنيا مرة أخرى، وأشار إلى ذلك بقوله: {أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ} جواباً لقولهم: {أَخِّرْنَآ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ} ، وقوله: {ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِىَ اللهُ وَحْدَهُ كَـفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُواْ} بعد قوله تعالى عنهم: {فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ} ، وقوله: {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ} ، بعد قوله: {وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِىٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّـٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ} ، وقوله هنا: {قَدْ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ} بعد قوله: {يَحْزَنُونَ}. فكل ذلك يدل على عدم الرد إلى الدنيا، وعلى وجوب العذاب، وأنه لا محيص لهم عنه. وبين في موضع آخر أنهم لو ردوا لعادوا إلى الكفر والطغيان. وهو قوله: {وَلَوْ رُدُّواْ لَعَـٰدُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ} ، وفي هذه الآية الكريمة دليل واضح على أنه تعالى يعلم المعدوم الممكن الذي سبق في علمه أنه لا يوجد كيف يكون لو وجد، فهو تعالى يعلم أنهم لا يردون إلى الدنيا مرة أخرى ويعلم هذا الرد الذي لا يكون لو وقع كيف يكون كما صرح به في قوله: {وَلَوْ رُدُّواْ لَعَـٰدُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ} ، ويعلم أن المتخلفين من المنافقين عن غزوة تبوك لا يحضرونها لأنه هو الذي ثبطهم عنها لحكمة كما بينه بقوله: {وَلَـٰكِن كَرِهَ اللهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ} . وهو يعلم هذا الخروج الذي لا يكون لو وقع كيف يكون كما صرح به في قوله: {لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ

خِلـــٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} ، ونظير ذلك قوله تعالى: {وَلَوْ رَحِمْنَـــٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِى طُغْيَـــٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ} إلى غير ذلك من الآيات. وبين في مواضع أخر أن اعترافهم هذا بقولهم: {جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ} لا ينفعهم كقوله تعالى: {فَاعْتَرَفُواْ بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لاَِصْحَـــٰبِ السَّعِيرِ} ، وقوله: {قَالُواْ بَلىٰ وَلَـــٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى} ، ونحو ذلك من الآيات.

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَمٰـــوٰتِ وَالاٌّرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرٰتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالاٌّمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَـــٰلَمِينَ * ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} (الأعراف54 :-55)

قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَمٰـــوٰتِ وَالاَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} .
لم يفصل هنا ذلك، ولكنه فصله في سورة «فصلت» بقوله: {قُلْ أَءِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الاٌّرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنداداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَـــٰلَمِينوَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـــٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوُتَهَا فِى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلاٌّرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينفَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمٰـــوٰتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا} .
قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ} .
هذه الآية الكريمة وأمثالها من آيات الصفات كقوله {يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} ونحو ذلك. أشكلت على كثير من الناس إشكالاً ضل بسببه خلق لا يحصى كثرة، فصار قوم إلى التعطيل وقوم إلى التشبيه ـــ سبحانه وتعالى علواً كبيراً عن ذلك كله ـــ والله جل وعلا أوضح هذا غاية الإيضاح، ولم يترك فيه أي لبس ولا إشكال، وحاصل تحرير ذلك أنه جل وعلا بين أن الحق في آيات الصفات متركب من أمرين: أحدهما: تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الحوادث في صفاتهم سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. والثاني: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله ﷺ. لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله {ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللهُ} ، ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ﷺ الذي قال فيه: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰإِنْ هُوَ إِ ّ لا وَحْىٌ يُوحَىٰ} فمن نفى عن الله وصفاً أثبته لنفسه في كتابه العزيز، أو أثبته له رسوله ﷺ زاعماً أن ذلك الوصف يلزمه ما لا يليق بالله جل وعلا، فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله بما يليق بالله جل وعلا. {سُبْحَـــٰنَكَ هَـــٰذَا بُهْتَـــٰنٌ عَظِيمٌ} . ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق، فهو مشبه ملحد ضال، ومن أثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ مع تنزيهه جل وعلا عن مشابهة الخلق، فهو مؤمن جامع بين الإيمان بصفات الكمال والجلال، والتنزيه عن مشابهة الخلق، سالم من ورطة التشبيه والتعطيل، والآية التي أوضح الله بها هذا. هي قوله تعالى: {جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوٰجاً وَمِنَ الاٌّنْعَـــٰمِ أَزْوٰجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} فنفى عن نفسه جل وعلا مماثلة الحوادث بقوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ} وأثبت لنفسه صفات الكمال والجلال بقوله: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} فصرح في هذه الآية الكريمة بنفي المماثلة مع الإتصاف بصفات الكمال والجلال. والظاهر أن السر في تعبيره بقوله: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} دون أن يقول مثلاً: وهو العلي العظيم أو نحو ذلك من الصفات الجامعة. أن السمع والبصر يتصف

بهما جميع الحيوانات. فبين أن الله متصف بهما، ولكن وصفه بهما على أساس نفي المماثلة بين وصفه تعالى، وبين صفات خلقه. ولذا جاء بقوله: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} بعد قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} ففي هذه الآية الكريمة إيضاح للحق في آيات الصفات لا لبس معه ولا شبهة البتة، وسنوضح إن شاء الله هذه المسألة إيضاحاً تاماً بحسب طاقتنا، وبالله جل وعلا التوفيق. .

وسنبين لك أن جميع الصفات على تقسيمهم لها جاء في القرآن وصف الخالق والمخلوق بها، وهم في بعض ذلك يقرون بأن الخالق موصوف بها، وأنها جاء في القرآن أيضاً وصف المخلوق بها، ولكن وصف الخالق مناف لوصف المخلوق، كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق، ويلزمهم ضرورة فيما أنكروا مثل ما أقروا به لأن الكل من باب واحد، لأن جميع صفات الله جل وعلا من باب واحد، لأن المتصف بها لا يشبهه شيء من الحوادث. فمن ذلك: الصفات السبعالمعروفة عندهم بصفات المعاني وهي: القدرة، والإدارة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام. فقد قال تعالى في وصف نفسه بالقدرة: {وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} . وقال في وصف الحادث بها: {إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ} فأثبت لنفسه قدرة حقيقية لائقة بجلاله وكماله، وأثبت لبعض الحوادث قدرة مناسبة لحالهم من الضعف والافتقار والحدوث الفناء، وبين قدرته، وقدرة مخلوقه من المنافاة ما بين ذاته وذات مخلوقه. وقال في وصف نفسه بالإرادة: {فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ} ، {إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} ، {يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} ، ونحو ذلك من الآيات.

وقال في وصف المخلوق بها: {تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا} {إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً} ، {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ اللهِ} ، ونحو ذلك من الآيات.

فله جل وعلا إرادة حقيقية لائقة بكماله وجلاله، وللمخلوق إرادة أيضاً مناسبة لحاله، وبين إرادة الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

وقال في وصف نفسه بالعلم: {وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ، {لَـٰكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ} {فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ} .

وقال في وصف الحادث به: {قَالُواْ لاَ تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ} ، وقال: {وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ} ونحو ذلك من الآيات.

فله جل وعلا علم حقيقي لائق بكماله وجلاله، وللمخلوق علم مناسب لحاله، وبين علم الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

وقال في وصف نفسه بالحياة: {اللهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} {هُوَ الْحَيُّ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ} . {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ} ، ونحو ذلك من الآيات.

وقال في وصف المخلوق بها: {وَسَلَـٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَياً} ، {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} ، {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ} .

فله جل وعلا حياة حقيقية تليق بجلاله وكماله، وللمخلوق أيضاً حياة مناسبة لحاله. وبين حياة الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

وقال في وصف نفسه بالسمع والبصر: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ، {وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} ونحو ذلك من الآيات.

وقال في وصف الحادث بهما: {إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعاً بَصِيراً} ، {أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا} ونحو ذلك من الآيات.

فله جل وعلا سمع وبصر حقيقيان يليقان بكماله وجلاله، وللمخلوق سمع وبصر مناسبان لحاله. وبين سمع الخالق وبصره، وسمع المخلوق وبصره من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

وقال في وصف نفسه بالكلام {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً} ، {إِنْى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِي وَبِكَلَـٰمِي} ، {فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ} ونحو ذلك من الآيات.

وقال في وصف المخلوق به: {فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ} . {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ} {قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى الْمَهْدِ صَبِيّاً} ، ونحو ذلك من الآيات.

فله جل وعلا كلام حقيقي يليق بكماله وجلاله. وللمخلوق كلام أيضاً مناسب لحاله. وبين كلام الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

وقد بينا في اتصاف الخالق والمخلوق بالمعاني المذكورة منافاة صفة الخالق للمخلوق، وبه تعلم مثله في الإتصاف بالمعنوية فإذا عرفت ذلك فاعلم أن القدم. والبقاء اللذين يصف المتكلمون بهما الله تعالى زاعمين، أنه وصف بهما نفسه في قوله تعالى: {هُوَ الأَوَّلُ وَالاخِرُ} ، جاء في القرآن الكريم وصف الحادث بهما أيضاً، قال في وصف الحادث بالقدم: {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرجُونِ الْقَدِيمِ} ، وقال: {قَالُواْ تَاللهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ الْقَدِيمِ} ، وقال: {أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَأَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ} ، وقال في وصف الحادث بالبقاء: {وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَـٰقِينَ} ، وقال: {مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ} ، وكذلك وصف الحادث بالأولية والآخرية المذكورتين في الآية. قال: {أَلَمْ نُهْلِكِ الأَوَّلِينثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الأَخِرِينَ} ، ووصف نفسه بأنه واحد، قال: {وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ} ، وقال في وصف الحادث بذلك. {يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ} وقال في وصف نفسه بالغني، {وَاللهُ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ} ، {وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِى الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ} ، وقال في وصف الحادث بالغني: {وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ} ، {إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللهُ} ، فهو جل وعلا موصوف بتلك الصفات حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله، والحادث موصوف بها أيضاً على الوجه المناسب لحدوثه وفنائه، وعجزه وافتقاره، وبين صفات الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين الخالق والمخلوق، كما بيناه في صفات المعاني.

.

.

وأما الصفات الفعلية، فإن وصف الخالق والمخلوق بها كثير في القرآن، ومعلوم أن فعل الخالق مناف لفعل المخلوق كمنافاة ذاته لذاته، فمن ذلك وصفه جل وعلا نفسه بأنه يرزق خلقه، قال: {إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ} ، {وَمَآ أَنفَقْتُمْ مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} ، وقال: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا} . وقال في وصف الحادث بذلك: {وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَـٰمَىٰ وَالْمَسَـٰكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِّنْهُ} ، وقال: {وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ} ، ووصف نفسه بالعمل، فقال: {أَوَلَمْ

يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعـــٰماً} ، وقال في وصف الحادث به: {جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} ووصف نفسه بتعليم خلقه فقال: {الرَّحْمـــٰنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانخَلَقَ الإِنسَـــٰنَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ} .

وقال في وصف الحادث به: {هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايــٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتـــٰبَ وَالْحِكْمَةَ} .

وجمع المثالين في قوله تعالى: {تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ} ، ووصف نفسه بأنه ينبىء، ووصف المخلوق بذلك، وجمع المثالين في قوله تعالى: {وَإِذَ أَسَرَّ النَّبِىُّ إِلىٰ بَعْضِ أَزْوٰجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هـــٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} . ووصف نفسه بالإيتاء، فقال: {ألم تر إلي الذي حَاجَّ إبراهيم في ربه أن أتاه الله الملك}، وقال: {يؤتي الحكمة من يشاء}، وقال: {وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ} ، وقال: {ذٰلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ} .

وقال في وصف الحادث بذلك: {وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً} ، {وَءَاتُواْ الْيَتـــٰمىٰ أَمْوٰلَهُمْ} ، {وَءَاتُواْ النِّسَآءَ صَدُقـــٰتِهِنَّ نِحْلَةً} . وأمثال هذا كثيرة جداً في القرآن العظيم.

ومعلوم أن ما وصف به الله من هذه الأفعال فهو ثابت له حقيقة على الوجه اللائق بكماله وجلاله. وما وصف به المخلوق منها فهو ثابت له أيضاً، على الوجه المناسب لحاله، وبين وصف الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق.

وأما الصفات الجامعة، كالعظم والكبر والعلو، والملك والتكبر والجبروت، ونحو ذلك. فإنها أيضاً يكثر جداً وصف الخالق والمخلوق بها في القرآن الكريم.

ومعلوم أن ما وصف به الخالق منها مناف لما وصف به المخلوق، كمنافاة ذات الخالق لذات المخلوق. قال في وصف نفسه جلا وعلا بالعلو والعظم والكبر: {وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِىُّ الْعَظِيمُ} ، {إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً} ، {عـــٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهـــٰدَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} .

وقال في وصف الحادث بالعظم: {فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} {إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا} ، {وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ} ، {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} إلى غير ذلك من الآيات.

وقال في وصف الحادث بالكبر: {لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} ، وقال: {إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا} ، وقال: {إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} ، وقال: {وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ} ، وقال: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخـــٰشِعِينَ} .

وقال في وصف الحادث بالعلو: {وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً} ، {وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً} إلى غير ذلك من الآيات.

وقال في وصف نفسه بالملك: {يُسَبِّحُ لله مَا فِى السَّمـــٰوٰتِ وَمَا فِى الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ} {هُوَ اللهُ الَّذِى لاَ إِلـــٰهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ} .

وقال: {فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ} .

وقال في وصف الحادث به: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّى أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ} ، {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِى بِهِ} ، {وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً} ، {أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ} ، {تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ} إلى غير ذلك من الآيات.

وقال في وصف نفسه بالعزة: {فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ الْبَيِّنَـٰتُ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} ، {يُسَبِّحُ لله مَا فِى السَّمـَٰوٰتِ وَمَا فِى الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} ، {أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ} .

وقال في وصف الحادث العزة {قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ} ، {فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى الْخِطَابِ} .

وقال في وصف نفسه جل وعلا بأنه جبار متكبر {هُوَ اللهُ الَّذِى لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَـٰمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ} .

وقال في وصف الحادث بهما: {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَىٰ كُـلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} ، {أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ} ، {وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

وقال في وصف نفسه بالقوة: {إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} {وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ} .

وقال في وصف الحادث بها: {وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ اللهَ الَّذِى خَلَقَهُمْ} {وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ} {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَـئـجَرْتَ الْقَوِىُّ الأَمِينُ} . {اللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةٍ} إلى غير ذلك من الآيات.

وأمثال هذا من الصفات الجامعة كثيرة في القرآن، ومعلوم أنه جل وعلا متصف بهذه الصفات المذكورة حقيقة على الوجه اللائق بكماله، وجلاله. وإنما وصف به المخلوق منها مخالف لما وصف به الخالق، كمخالفة ذات الخالق جل وعلا لذوات الحوادث، ولا إشكال في شيء من ذلك، . أنها صفات معان أثبتها الله، جل وعلا، لنفسه، كالرأفة والرحمة.

قال في وصفه جل وعلا بهما: {إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} وقال في وصف نبينا ﷺ بهما: {لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} وقال في وصف نفسه بالحلم: {لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ} .

وقال في وصف الحادث به: {فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ} . {إِنَّ إِبْرٰهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} .

وقال في وصف نفسه بالمغفرة: {إِنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ} . {لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ} ونحو ذلك من الآيات.

وقال في وصف الحادث بها: {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} . {قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ الله} . {قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى} ونحو ذلك من الآيات.

ووصف نفسه جل وعلا بالرضى ووصف الحادث به أيضاً فقال: {رَّضِىَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ} ووصف نفسه جل وعلا بالمحبة، ووصف الحادث بها، فقال: {فَسَوْفَ يَأْتِى اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ الله وَلاَ يَخَـٰفُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ} ، {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ} .

ووصف نفسه بأنه يغضب إن انتهكت حرماته فقال {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّن ذٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ الله مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ} ، {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ} .

وقال في وصف الحادث بالغضب {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا} وأمثال هذا كثيرة جداً.

والمقصود عندنا ذكر أمثلة كثيرة من ذلك، مع إيضاح أن كل ما اتصف به جل وعلا من تلك الصفات بالغ من غايات الكمال والعلو والشرف ما يقطع علائق جميع أوهام المشابهة بين صفاته جل وعلا، وبين صفات خلقه، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

فإذا حققت كل ذلك علمت ذلك أنه جل وعلا وصف نفسه بالاستواء على العرش، ووصف غيره بالاستواء على بعض المخلوقات، فتمدح جل وعلا في سبع آيات من كتابه باستوائه على عرشه، ولم يذكر صفة الاستواء إلا مقرونة بغيرها من صفات الكمال، والجلال. القاضية بعظمته وجلاله جل وعلا، وأنه الرب وحده، المستحق لأن يعبد وحده.

الموضع الأول: بحسب ترتيب المصحف الكريم. قوله هنا في سورة الأعراف {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَـٰلَمِينَ} .

الموضع الثاني: قوله تعالى في سورة يونس: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَإِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ الله حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ} .

الموضع الثالث: قوله تعالى في سورة الرعد: {اللهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَـٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُّسَمًّـى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَـٰتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَوَهُوَ الَّذِى مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَـٰراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَوَفِى الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ وَجَنَّـٰتٌ مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَٰنٌ وَغَيْرُ صِنْوَٰنٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى الأُكُلِ إِنَّ فِى ذٰلِكَ لآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} .

الموضع الرابع: قوله تعالى في سورة طه: {مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰإِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰتَنزِيلاً مِّمَّنْ خَلَق الأَرْضَ وَالسَّمَـٰوٰتِ الْعُلَىٰالرَّحْمَـٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰلَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتوَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ} .

الموضع الخامس: قوله في سورة الفرقان {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَىِّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراًالَّذِى خَلَقَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَافِىسِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِالرَّحْمَـٰنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً} .

الموضع السادس: قوله تعالى في سورة السجدة {اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَيُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الأَرْضِ} .

الموضع السابع: قوله تعالى في سورة الحديد {هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} .

وقال جل وعلا في وصف الحادث بالاستواء على بعض المخلوقات: {لِتَسْتَوُواْ عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ} ، {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ} ، {وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِىِّ} ونحو ذلك من الآيات.

وقد علمت مما تقدم أنه لا إشكال في ذلك، وأن للخالق جل وعلا استواء لائقاً بكماله وجلاله، وللمخلوق أيضاً استواء مناسب لحاله، وبين استواء الخالق والمخلوق من المنافاة ما بين ذات الخالق والمخلوق. على نحو {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} كما تقدم إيضاحه.

وينبغي للناظر في هذه المسألة التأمل في أمور:

الأمر الأول: أن جميع الصفات من باب واحد، لأن الموصوف بها واحد، ولا يجوز في حقه مشابهة الحوادث في شيء من صفاتهم، فمن أثبت مثلاً أنه: سميع بصير، وسمعه، وبصره مخالفان لأسماع الحوادث وأبصارهم، لزمه مثل ذلك في جميع الصفات. كالاستواء، واليد، ونحو ذلك من صفاته جل وعلا، ولا يمكن الفرق بين ذلك بحال.

الأمر الثاني: أن الذات والصفات من باب واحد أيضاً، فكما أنه جل وعلا، له ذات مخالفة لجميع ذوات الخلق، فله تعالى صفات مخالفة لجميع صفات الخلق.

الأمر الثالث: في تحقيق المقام في الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من آيات الصفات. كالاستواء واليد مثلاً.

. قلنا: أعرفت كيفية الذات المقدسة المتصفة بتلك الصفات؟ فلا بد أن يقول: لا. فتقول: معرفة كيفية الإتصاف بالصفات متوقفة على معرفة كيفية الذات، فسبحان من لا يستطيع غيره أن يحصي الثناء عليه هو، كما أثنى على نفسه: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً} ، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ، {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} ، {فَلاَ تَضْرِبُواْ للهِ الأَمْثَالَ} .

فتحصل من جميع هذا البحث أن الصفات من باب واحد، وأن الحق فيها متركب من أمرين:

الأول: تنزيه الله جل وعلا عن مشهابهة الخلق.

والثاني: الإيمان بكل ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ إثباتاً، أو نفياً. وهذا هو معنى قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، والسلف الصالح، رضي الله عنهم ما كانوا يشكون في شيء من ذلك، ولا كان يشكل عليهم. ألا ترى إلى قول الفرزدق وهو شاعر فقط، وأما من جهة العلم، فهو عامي:

وكيف أخاف الناس والله قابض

على الناس والسبعين في راحة اليد

ومراده بالسبعين: سبع سماوات، وسبع أرضين. فمن علم مثل هذا من كون السماوات والأرضين في يده جل وعلا أصغر من حبة خردل، فإنه عالم بعظمة الله وجلاله لا يسبق إلى ذهنه مشابهة صفاته لصفات الخلق، ومن كان كذلك زال عنه كثير من الإشكالات وهذا الذي ذكرنا من تنزيه الله جل وعلا عما لا يليق به، والإيمان بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ. هو معنى قول الإمام مالك ــــ رحمه الله ــــ: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة.

ويروى نحو قول مالك هذا عن شيخه ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وأم سلمة رضي الله عنها ــــ والعلم عند الله تعالى ــــ.

{وَلاَ تُفْسِدُواْ فِى الاَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ * وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرىً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ * لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّىَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (الأعراف56 :-63)

قوله تعالى: {إِنَّ رَحْمَتَ الله قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ}.

ذكر في هذه الآية الكريمة: أن رحمته جل وعلا قريب من عباده المحسنين، وأوضح في موضع آخر صفات عبيده الذين سيكتبها لهم في قوله: {وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـوٰةَ}.

ووجه تذكير وصف الرحمة مع أنها مؤنثة في قوله: {قَرِيبٌ} ولم يقل قريبة، فيه للعلماء أقوال تزيد على العشرة. نذكر منها إن شاء الله بعضاً، ونترك ما يظهر لنا ضعفه أو بعده عن الظاهر.

منها: أن الرحمة مصدر بمعنى الرحم، فالتذكير باعتبار المعنى.

ومنها أن من أساليب اللغة العربية أن القرابة إذا كانت قرابة نسب تعين التأنيث فيها في الأنثى فتقول: هذا المرأة قريبتي أي في النسب ولا تقول: قريب مني. وإن كانت قرابة مسافة جاز التذكير والتأنيث. فتقول: داره قريب وقريبة مني، ويدل لهذا الوجه قوله تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ} ، وقوله تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً} وقول امرىء القيس:

له الويل إن أمسى ولا أم هاشم

قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا

ومنها: أن وجه ذلك إضافة الرحمة إلى الله جل وعلا.

ومنها: أن قوله {قَرِيبٌ} صفة موصوف محذوف أي شيء قريب من المحسنين.

ومنها: أنها شبهت بفعيل بمعنى مفعول الذي يستوي فيه الذكر والأنثى.

ومنها: أن الأسماء التي على فعيل ربما شبهت بالمصدر الآتي على فعيل، فأفردت لذلك. قال بعضهم: ولذلك أفرد الصديق في قوله: {أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ} ، وقول الشاعر: وهن صديق لمن لم يشب اهـــ

والظهير في قوله: {وَالْمَلَـٰئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ} إلى غير ذلك من الأوجه.

قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرىً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ}.

قراءة عاصم {بُشْراً} بضم الباء الموحدة، وإسكان الشين: جمع بشير، لأنها تنتشر أمام المطر مبشرة به، وهذا المعنى يوضحه قوله تعالى: {وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَـٰحَ مُبَشِّرَٰتٍ} ، وقوله: {بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ}، يعني برحمته المطر كما جاء مبيناً في غير هذا الموضع كقوله: {وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ} ، وقوله: {فَانظُرْ إِلىٰ ءَاثَـٰرِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِ الْارْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ} . {وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرىً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقالاً سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ كَذٰلِكَ نُخْرِجُ الْموْتىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ }

قوله تعالى: {حَتَّىٰ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ} .

بين في هذه الآية الكريمة أنه يحمل السحاب على الريح، ثم يسوقه إلى حيث يشاء من بقاع الأرض، وأوضح هذا المعنى بآيات كثيرة كقوله: {وَاللهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَـٰباً فَسُقْنَاهُ إِلىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ} . وقوله: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ الْمَآءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ } إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: {أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلىٰ رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ} .

أنكر تعالى في هذه السورة الكريمة على قوم نوح، وقوم هود عجبهم من إرسال رجل. وبين في مواضع أخر أن جميع الأمم عجبوا من ذلك. قال في عجب قوم نبينا ﷺ من ذلك: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ} ، وقال: {بَلْ عَجِبُواْ أَن جَآءَهُمْ مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ} ، وقال عن الأمم السابقة: {ذٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ فَقَالُواْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّاسْتَغْنىٰ اللهُ وَاللهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ} ، وقال: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ} {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ } ، وقال: {وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـٰسِرُونَ} ، وصرح بأن هذا العجب من إرسال بشر مانع للناس من الإيمان بقوله: {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَّسُولاً} .

ورد الله عليهم ذلك في آيات كثيرة كقوله: {وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً} ، وقوله: {وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ} ، وقوله: {وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلاً} ، إلى غير ذلك من الآيات.

{فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنٰهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِأَايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ * وِإِلٰى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَٰذِبِينَ * قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعٰلَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسٰلٰتِ رَبِّى وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوٓاْ ءَالآءَ اللهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ} (الأعراف64 :-70)

قوله تعالى: {وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـئايَـتِنَآ}.

لم يبين هنا كيفية إغراقهم، ولكنه بينها في مواضع أخر كقوله: {فَفَتَحْنَآ أَبْوَبَ السَّمَآءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ} ، وقوله: {فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـلِمُونَ} .

{قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَـدِلُونَنِي فِىۤ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ مَّا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَنٍ فَانتَظِرُوۤاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ} (الأعراف 71 :)

قوله تعالى: {أَتُجَـدِلُونَنِي فِى أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ}.

لم يبين هنا شيئاً من هذا الجدال الواقع بين هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وبين عاد. ولكنه أشار إليه في مواضع أخر كقوله: {قَالُواْ يٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِى ءالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينإِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءالِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّى أُشْهِدُ اللهُ وَاشْهَدُواْ أَنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَمِن دُونِهِ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِإِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ ءاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ} .

{فَأَنجَيْنٰهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِأايٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ * وإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِحًا قَالَ يَـقَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللهلَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىۤ أَرْضِ اللهوَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوۤءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَاذْكُرُوۤاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوۤاْ ءَالآءَ اللهوَلاَ تَعْثَوْاْ فِى الاَرْضِ مُفْسِدِينَ * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـلِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوۤاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوۤاْ إِنَّا بِالَّذِىۤ ءَامَنتُمْ بِهِ كَفِرُونَ * فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَاصَٰحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}
(الأعراف72 :-77)

قوله تعالى: {وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـئايَـتِنَا}.

لم يبين هنا كيفية قطعه دابر عاد، ولكنه بينه في مواضع أخر كقوله: {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} ، وقوله: {وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ} ، ونحو ذلك من الآيات.

قوله تعالى: {فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ}.

ظاهر هذه الآية الكريمة أن عقرها باشرته جماعة، ولكنه تعالى بين في سورة القمر: أن المراد أنهم نادوا واحداً منهم. فباشر عقرها، وذلك في قوله تعالى: {فَنَادَوْاْ صَـٰحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ} . {فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَاصَـٰـلِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} قوله تعالى: {وَقَالُواْ يَاصَـٰـلِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ} .

لم يبين هنا هذا الذي يعدهم به، ولكنه بين في مواضع أخر أنه العذاب كقوله: {وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ} ، وقوله هنا {بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ} ، وقوله: {تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ} ، ونحو ذلك من الآيات.

{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ* فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّـٰصِحِينَ} (الأعراف78 :-79)

قوله تعالى: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ} . لم يبين هنا سبب رجفة الأرض بهم، ولكنه بين في موضع آخر أن سبب ذلك صيحة الملك بهم، وهو قوله: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ} . والظاهر أن الملك لما صاح بهم رجفت بهم الأرض من شدة الصيحة، وفارقت أرواحهم أبدانهم، ـــ والله جل وعلا أعلم ـــ.

قوله تعالى: {فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى} .

وبين تعالى هذه الرسالة التي أبلغها نبيه صالح إلى قومه في آيات كثيرة كقوله: {وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ الله لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِى أَرْضِ الله وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} .

{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَٰلَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِى الاٌّرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ} (الأعراف80 :-85)

قوله تعالى: {أَتَأْتُونَ الْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَٰلَمِينَ} .

بين تعالى أن المراد بهذه الفاحشة اللواط بقوله بعده: {إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَآءِ} ، وبين ذلك أيضاً بقوله: {أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَـٰلَمِينَ} ، وقوله: {وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ} .

قوله تعالى: {فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ} .

ظاهر هذه الآية الكريمة أنه لم ينج مع لوط إلا خصوص أهله، وقد بين تعالى ذلك في «الذاريات» بقوله: {فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينفَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ} ، وقوله هنا: {إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَـٰبِرِينَ} أوضحه في مواضع أخر. فبين أنها خائنة، وأنها من أهل النار، وأنها واقعة فيما أصاب قومها من الهلاك، قال فيها: هي امرأة نوح {ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِينَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ } ، وقال فيها وحدها: أعني امرأة لوط {إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ} ، وقوله هنا في قوم لوط: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} .

لم يبين هنا هذا المطر ما هو، ولكنه بين في مواضع أخر أنه مطر حجارة أهلكهم الله بها كقوله: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ} وأشار إلى أن السجيل الطين بقوله في «الذاريات»: {لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ} ، وبين أن هذا المطر مطر سوء لا رحمة بقوله: {وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِى أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ} ، وقوله تعالى في «الشعراء»: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَآءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ} .

{وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِمَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءامَنُواْ بِالَّذِىَ أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَـٰكِمِينَ * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يـٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـٰرِهِينَ * قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلاَ أَن يَشَآءَ اللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللهِتَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَـٰتِحِينَ * وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـٰسِرُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جـٰثِمِينَ* الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ الْخَـٰسِرِينَ}(الأعراف86 :-92)

قوله تعالى: {وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا} .

الضمير في قوله: {وَتَبْغُونَهَا} راجع إلى السبيل وهو نص قرآني على أن السبيل مؤنثة، ولكنه جاء في موضع آخر ما يدل على تذكير السبيل أيضاً. وهو قوله تعالى: في هذه السورة الكريمة {وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً} .

قوله تعالى: {وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءامَنُواْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَـٰكِمِينَ}.

بين تعالى حكمه الذي حكم به بينهم بقوله: {وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ} : وقوله {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ} ، وقوله: {الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ الْخَـٰسِرِينَ} ، وقوله: {فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ} . فإن قيل: الهلاك الذي أصاب قوم شعيب ذكر تعالى في الأعراف أنه رجفة، وذكر في هود أنه صيحة، وذكر في الشعراء أنه عذاب يوم الظلة.

فالجواب: ما قاله ابن كثير رحمه الله في تفسيره قال: وقد اجتمع عليهم ذلك كله أصابه عذاب يوم الظلة وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم. ثم جاءتهم صيحة من السماء، ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم. فزهقت الأرواح، وفاضت النفوس، وخمدت الأجسام اهـ. منه.،

{فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ * وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلاَ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّآءُ وَالسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَـٰهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالاَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللهفَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِإِلاَّ الْقَوْمُ الْخَـٰسِرُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ} (الأعراف : 93-100)

قوله تعالى: {فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ}.

بين جل وعلا الرسالات التي أبلغها رسوله شعيب إلى قومه في آيات كثيرة كقوله: {وِإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ} ونحوها من الآيات، وبين نصحه لهم في آيات كثيرة كقوله: {وَيٰقَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِى أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَـٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ} ، وقوله تعالى: {فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ} أنكر نبي الله شعيب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام الأسى أي الحزن على الكفار إذا

أهلكهم الله بعد إبلاغهم، وإقامة الحجة عليهم مع تماديهم في الكفر والطغيان لجاجاً وعناداً، وإنكاره لذلك يدل على أنه لا ينبغي، وقد صرح تعالى بذلك فنهى نبينا ﷺ عنه في قوله: {وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَـٰفِرِينَ} ومعنى لا تأس: لا تحزن، وقوله: {وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ}

{تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَـٰفِرِينَ * وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ} (الأعراف 101 :-102)

قوله تعالى: {تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا} .

ذكر أنباءهم مفصلة في مواضع كثيرة. كالآيات التي ذكر فيها خبر نوح وهود، وصالح ولوط، وشعيب وغيرهم، مع أممهم صلوات الله وسلامه عليهم.

قوله تعالى: {فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ} . في هذه الآية الكريمة للعلماء أوجه من التفسير: بعضها يشهد له القرآن.

منها: أن المعنى فما كانوا ليؤمنوا بما سبق في علم الله يوم أخذ الميثاق أنهم يكذبون به، ولم يؤمنوا به، لاستحالة التغير فيما سبق به العلم الأزلي، ويروى هذا عن أبي بن كعب وأنس، واختاره ابن جرير، ويدل لهذا الوجه لآيات كثيرة كقوله: {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ} ، وقوله: {وَمَا تُغْنِى الآيَـٰتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ} ونحو ذلك من الآيات.

ومنها: أن المعنى الآية أنهم أخذ عليهم الميثاق، فآمنوا كرهاً، فما كانوا ليؤمنوا بعد ذلك طوعاً. ويروى هذا عن السدي وهو راجع في المعنى إلى الأول.

ومنها: أن معنى الآية أنهم لو ردوا إلى الدنيا مرة لكفروا أيضاً، فما كان ليؤمنوا في الرد إلى الدنيا بما كذبوا به من قبل أي في المرة الأولى.

ويروى هذا عن مجاهد. ويدل لمعنى هذا القول قوله تعالى: {وَلَوْ رُدُّواْ لَعَـٰدُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ} . لكنه بعيد من ظاهر الآية.

ومنها: أن معنى الآية. فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل بسبب تكذيبهم بالحق أول ما ورد عليهم، وهذا القول حكاه ابن عطية، واستحسنه ابن كثير، وهو من أقرب الأقوال لظاهر الآية الكريمة. ووجهه ظاهر، لأن شؤم المبادرة إلى تكذيب الرسل سبب للطبع على القلوب والإبعاد عن الهدى، والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة. كقوله تعالى: {بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} ، وقوله: {فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ} ، وقوله: {فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا} ، وقوله: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ} إلى غير ذلك من الآيات.

وقد قدمنا في هذا الكتاب أن الآية قد تكون فيها أوجه من التفسير كلها يشهد له قرآن، وكلها حق. فنذكر جميعها ـــ والعلم عند الله تعالى.

{ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُوسٰى بِأايـٰـتِنَآ إِلٰى فِرْعَوْنَ وَمَلإِيهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عـٰـقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَقَالَ مُوسٰى يٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعـٰـلَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَ أَقُولَ عَلَى اللهِإِ ّلا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرائيلَ* قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِأايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ الصّـٰـدِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ} (الأعراف103 :-107)

قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسىٰ بِأايـٰـتِنَآ إِىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلإِيهِ فَظَلَمُواْ بِهَا} .

بين تعالى هنا أن فرعون وملأه ظلموا بالآيات التي جاءهم بها موسى، وصرح في النمل بأنهم فعلوا ذلك جاحدين لها، مع أنهم مستيقنون أنها حق لأجل ظلمهم وعلوهم. وذلك في قوله: {فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ بِأايـٰـتِنَآ مُبْصِرَةً قَالُواْ هـٰـذَا سِحْرٌ مُّبِينٌوَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً} .

{وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّظِرِينَ} (الأعراف108 :)

وقوله تعالى: {وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنّـٰـظِرِينَ} .

ذكر تعالى هنا أن موسى نزع يده فإذا هي بيضاء، ولم يبين أن ذلك البياض خال من البرص، ولكنه بين ذلك في سورة «النمل» و «القصص» في قوله فيهما: {تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} أي من غير برص.

{قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هـٰـذَا لَسـٰـحِرٌ عَلِيمٌ *يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى الْمَدَآئِنِ حـٰـشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سـٰـحِرٍ عَلِيمٍ * وَجَآءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالْوٓاْ إِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغـٰـلِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالُواْ يٰمُوسٰى إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقَوْاْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَآ إِلٰى مُوسٰى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صـٰـغِرِينَ * وَأُلْقِىَ السَّحَرَةُ سـٰـجِدِينَ * قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعـٰـلَمِينَ * رَبِّ مُوسٰى وَهـٰـرُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هـٰـذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلٰى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلاَ أَنْ ءَامَنَّا بِأايـٰـتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ * وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ

فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِى الاَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِـى نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ * قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُواْ بِاللَّهِوَاصْبِرُوۤاْ إِنَّ الأَرْضَ للَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوۤاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى الاَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَآءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلآ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِوَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يٰمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىۤ إِسْرائيلَ* فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَـٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ * فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـآيَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ} (الأعراف:109-136)

قوله تعالى: {قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ} .

بين هنا أن موسى لما جاء بآية العصا واليد قال الملأ من قوم فرعون إنه ساحر، ولم يبين ماذا قال فرعون: ولكنه بين في «الشعراء» أن فرعون قال مثل ما قال الملأ من قومه، وذلك في قوله تعالى: {قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ} .

قوله تعالى: {فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} .

لم يبين هنا هذا السحر العظيم ما هو؟ ولم يبين هل أوجس موسى في نفسه الخوف منه؟ ولكنه بين كل ذلك في «طه» بقوله: {فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰفَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَىٰوَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُواْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّـٰحِرُ حَيْثُ أَتَى} ولم يبين هنا أنهم تواعدوا مع موسى موعداً لوقت مغالبته مع السحرة، وأوضح ذلك في سورة «طه» في قوله عنهم: {فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لاَّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنتَ مَكَاناً سُوًىقَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى } .

قوله تعالى: {ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} .

لم يبين هنا الشيء الذي توعدهم بأنهم يصلبهم فيه، ولكنه بينه في موضع آخر. كقوله في «طه» {وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ} .

قوله تعالى: {وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ} .

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة: أن فرعون وقومه إن أصابتهم سيئة أي قحط وجدب ونحو ذلك، تطيروا بموسى وقومه فقالوا: ما جاءنا هذا الجدب والقحط إلا من شؤمكم، وذكر مثل هذا عن بعض الكفار مع نبينا ﷺ في قوله: {وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِ مِنْ عِندِ اللهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِ مِنْ عِندِكَ} . وذكر نحوه أيضاً عن قوم صالح مع صالح في قوله: {قَالُواْ اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ} . وذكر نحو ذلك أيضاً عن القرية التي جاءها المرسلون في قوله: {قَالُواْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ} . وبين تعالى أن شؤمهم من قبل كفرهم، ومعاصيهم. لا من قبل الرسل قال في «الأعراف»: {أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللهِ} وقال في سورة «النمل» في قوم صالح: {قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ} وقال في «يس»: {قَالُواْ طَـٰئِرُكُم مَّعَكُمْ} .

{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ الارْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنىٰ عَلَىٰ بَنِىۤ إِسْرائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ * وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىۤ إِسْرائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يٰمُوسىٰ اجْعَلْ لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَـٰؤُلآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَـٰلَمِينَ * وَإِذْ أَنْجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوۤءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذٰلِكُمْ بَلآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَوٰعَدْنَا مُوسىٰ ثَلَـٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَـٰتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسىٰ لأَخِيهِ هَـٰرُونَ اخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} (الأعراف :137-142)

قوله تعالى: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ الأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا} .

لم يبين هنا من هؤلاء القوم، ولكنه صرح في سورة «الشعراء»: بأن المراد بهم بنو إسرائيل لقوله في القصة بعينها {كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِى إِسْرَٰءِيلَ} ، وأشار إلى ذلك هنا بقوله بعده: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنىٰ عَلَىٰ بَنِى إِسْرائِيلَ} .

قوله تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنىٰ عَلَىٰ بَنِى إِسْرائِيلَ} .

لم يبين هنا هذه الكلمة الحسنى التي تمت عليهم، ولكنه بينها في القصص بقوله: {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِى الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينوَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَحْذَرونَ}

{وَلَمَّا جَآءَ مُوسىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِىۤ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِى وَلَـٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ

سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يٰمُوسٰى إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِي وَبِكَلَـٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُنْ مِّنَ الشَّـٰكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَـٰسِقِينَ * سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِأايَـٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (الأعراف:143-147)

قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِى} .

استدل المعتزلة النافون لرؤية الله بالأبصار يوم القيامة بهذه الآية على مذهبهم الباطل، وقد جاءت آيات تدل على أن نفي الرؤية المذكور، إنما هو في الدنيا، وأما في الآخرة فإن المؤمنين يرونه جل وعلا بأبصارهم. كما صرح به تعالى في قوله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌإِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} ، وقوله في الكفار: {كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} فإنه يفهم من مفهوم مخالفته أن المؤمنين ليسوا محجوبين عنه جل وعلا.

وقد ثبت عن النَّبي ﷺ أنه قال في قوله تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنىٰ وَزِيَادَةٌ} الحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم، وذلك هو أحد القولين في قوله تعالى: {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} ، وقد تواترت الأحاديث عن النَّبي ﷺ: أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم، وتحقيق المقام في المسألة: أن رؤية الله جل وعلا بالأبصار: جائزة عقلاً في الدنيا والآخرة، ومن أعظم الأدلة على جوازها عقلا في دار الدنيا: قول موسى {رَبِّ أَرِنِى أَنظُرْ إِلَيْكَ} لأن موسى لا يخفى عليه الجائز والمستحيل في حق الله تعالى، وأما شرعاً فهي جائزة وواقعة في الآخرة كما دلت عليه الآيات المذكورة، وتواترت به الأحاديث الصحاح، وأما في الدنيا فممنوعة شرعاً كما تدل عليه آية «الأعراف» هذه، وحديث «إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»

{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسٰى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَـٰلِمِينَ} (الأعراف148:)

قوله تعالى: {أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَـٰلِمِينَ} . بين في هذه الآية الكريمة سخافة عقول عبدة العجل، ووبخهم على أنهم يعبدون ما لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً، وأوضح هذا في «طه» بقوله: {أَفَلاَ يَرَوْنَ إِلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلاَ يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً} ، وقد قدمنا في سورة «البقرة» أن جميع آيات اتخاذهم العجل إلاهاً حذف فيها المفعول

الثاني في جميع القرآن كما في قوله هنا: {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً} . أي اتخذوه إلاها، وقد قدمنا أن النكتة في حذفه دائماً التنبيه: على أنه لا ينبغي التلفظ بأن عجلاً مصطنعاً من جماد إله، وقد أشار تعالى إلى هذا المفعول المحذوف دائماً في «طه» بقوله: {فَقَالُواْ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمْ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ } .

{وَلَمَّا سُقِطَ فَىِ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ} (الأعراف:149)

قوله تعالى: {وَلَمَّا سُقِطَ فَى أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ} .
بين تعالى في هذه الآية الكريمة أن عبدة العجل اعترفوا بذنبهم، وندموا على ما فعلوا، وصرح في سورة «البقرة» بتوبتهم ورضاهم بالقتل وتوبة الله جل وعلا عليهم بقوله: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَـٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} .

{وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِن بَعْدِىَ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلاَ تُشْمِتْ بِىَ الأَعْدَآءَ وَلاَ تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرٰحِمِينَ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَكَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُفْتَرِينَ * وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ * وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَـٰتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَآءُ مِنَّآ إِنْ هِىَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَـٰفِرِينَ * وَاكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىَ أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـآيَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـٰهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَـٰئِثَ

وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلَـٰلَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِىَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (الأعراف150 :-157)

قوله تعالى: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِن بَعْدِى أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ} .

أوضح الله ما ذكره هنا بقوله في «طه» {قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِىقَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا} .

قوله تعالى: {وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى} .

أشار تعالى في هذه الآية الكريمة إلى ما اعتذر به نبي الله هارون لأخيه موسى عما وجهه إليه من اللوم، وأوضحه في «طه» بقوله: {قَالَ يَبْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلاَ بِرَأْسِى إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِى إِسْرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى} ، وصرح الله تعالى ببراءته بقوله: {وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَـٰنُ فَاتَّبِعُونِى وَأَطِيعُواْ أَمْرِىقَالُواْ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ} .

قوله تعالى: {قُلْ يٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} .

هذه الآية الكريمة فيها التصريح بأنه ﷺ رسول إلى جميع الناس، وصرح بذلك في آيات كثيرة كقوله: {وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ} ، وقوله: {تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيراً} وقوله: {وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ} ، وقيد في موضع آخر: عموم رسالته ببلوغ هذا القرآن، وهو قوله تعالى: {وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا الْقُرْءَانُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ} ، وصرح بشمول رسالته لأهل الكتاب مع العرب بقوله: {وَقُلْ لِّلَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَـٰبَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَـٰغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} إلى غير ذلك من الآيات.

{قُلْ يٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِإِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَاتوَالأَرْضِ لآ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِ وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللهِوَرَسُولِهِ النَّبِىِّ الأُمِّىِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِوَكَلِمَـٰتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ * وَقَطَّعْنَـٰهُمُ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَـٰهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيۤئَـٰتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ * وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ

يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ * وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوٓءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ * فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَـٰسِئِينَ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِي الاَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَـٰهُمْ بِالْحَسَنَـٰتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا الاَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَـٰبِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَـٰبِ وَأَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ * وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىٓ آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِىٓ ءاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ} (الأعراف :158-175)

قوله تعالى: {فَـَٔامِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِى يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَـٰتِهِ} .

لم يبين هنا كثرة كلماته ولكنه بين ذلك في مواضع أخر كقوله: {قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً} ، وقوله: {وَلَوْ أَنَّمَا فِى الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ اللهِ} .

قوله تعالى: {أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَـٰبِ أَن لاَّ يِقُولُواْ عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ} .

هذا الميثاق المذكور يبينه قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَـٰقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} .

قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِى آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} .

في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير معروفان عند العلماء:

أحدهما: أن معنى أخذه ذرية بني آدم من ظهورهم: هو إيجاد قرن منهم بعد قرن، وإنشاء قوم بعد آخرين كما قال تعالى: {كَمَآ أَنشَأَكُمْ مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ} ، وقال: {هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰئِفَ فِى الأَرْضِ} وقال: {وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ} ، ونحو ذلك من الآيات: وعلى هذا القول فمعنى قوله: {وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ} أن إشهادهم على أنفسهم إنما هو بما نصب لهم من الأدلة القاطعة بأنه ربهم المستحق منهم لأن يعبدوه، وحده، وعليه فمعنى قالوا بلى، أي قالوا ذلك: بلسان حالهم لظهور الأدلة عليه ونظيره من إطلاق الشهادة على شهادة لسان الحال قوله تعالى: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ} أي بلسان حالهم على القول بذلك، وقوله تعالى: {إِنَّ الإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌوَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ} أي بلسان حاله أيضاً على القول بأن ذلك هو المراد في الآية أيضاً.

{وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الاٌّرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَآءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ * مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ * وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَـٰئِكَ كَالأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْغَـٰفِلُونَ * وَللهِ الأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىۤ أَسْمَـٰئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ * أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ السَّمَـٰوَاتِوَالاٌّرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ * مَن يُضْلِلِ اللهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَـٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّمَـٰوَاتِوَالاٌّرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِوَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}(الأعراف 176-187)

قوله تعالى: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ} .

ضرب الله تعالى المثل لهذا الخسيس الذي آتاه آياته فانسلخ منها بالكلب، ولم تكن حقارة الكلب مانعة من ضربه تعالى المثل به، وكذلك ضرب المثل بالذباب في قوله: {يٰأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ الله لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} ، وكذلك ضرب المثل ببيت العنكبوت في قوله: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ الله أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} ، وكذلك ضرب المثل بالحمار في قوله: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُواْ التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـئَايَـٰتِ الله وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ} ، وهذه الآيات تدل على أنه تعالى لا يستحي من بيان العلوم النفيسة عن طريق ضرب الأمثال بالأشياء الحقيرة، وقد صرح بهذا المدلول في قوله: {إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} .

قوله تعالى: {وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَـٰئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} .

هدد تعالى في هذه الآية الذين يلحدون في أسمائه بتهديدين:

الأول: صيغة الأمر في قوله: {وَذَرُوْا} فإنها للتهديد.

والثاني: في قوله: {سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} ، وهدد الذين يلحدون في آياته في سورة حم «السجدة» بأنهم لا يخفون عليه في قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى ءَايَـٰتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ} ، ثم اتبع ذلك بقوله: {أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى النَّارِ} . وأصل الإلحاد في اللغة: الميل. ومنه اللحد في القبر، ومعنى إلحادهم في أسمائه هو ما كاشتقاقهم اسم اللات من اسم الله، واسم العزى من اسم العزيز. واسم مناة من المنان، ونحو ذلك والعرب تقول لحد وألحد بمعنى واحد، وعليهما القراءتان يلحدون بفتح الياء والحاء من الأول، وبضمها وكسر الحاء من الثاني.

قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ} .

هذه الآية الكريمة تدل على أن وقت قيام الساعة لا يعلمه إلا الله جل وعلا، وقد جاءت آيات أخر تدل على ذلك أيضاً كقوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَـٰهَافِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَاإِلَى رَبِّكَ مُنتَهَـٰهَآ} ، وقوله: {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ} ، وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنها الخمس المذكورة في قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} .

{قُل لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَآءَ اللهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ السُّوٓءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّـٰكِرِينَ * فَلَمَّآ ءَاتَـٰهُمَا صَـٰلِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَـٰهُمَا فَتَعَـٰلَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ * إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن

دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ * إِنَّ وَلِيِّىَ اللهُ الَّذِى نَزَّلَ الْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّـٰلِحِينَ * وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ}

(الأعراف188 - 198)

قوله تعالى: {وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ} .

وهذه الآية تدل على أنه ﷺ لم يكن يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، وقد أمره تعالى أن يقول إنه لا يعلم الغيب في قوله في «الأنعام»: {قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ الله وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} ، وقال: {عَـٰلِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ} ، وقال: {قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِى السَّمَـٰوٰتِ والأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ} . إلى غير ذلك من الآيات.

والمراد بالخير في هذه الآية الكريمة قيل: المال، ويدل على ذلك كثرة ورود الخير بمعنى المال في القرآن كقوله تعالى: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} ، وقوله: {إِن تَرَكَ خَيْرًا} ، وقوله: {قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ} . إلى غير ذلك من الآيات.

وقيل: المراد بالخير فيها العمل الصالح كما قاله مجاهد وغيره، والصحيح الأول لأنه ﷺ مستكثر جداً من الخير الذي هو العمل الصالح، لأن عمله ﷺ كان ديمة، وفي رواية كان إذا عمل عملاً أثبته.

قوله تعالى: {وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} .

ذكر في هذه الآية الكريمة أنه خلق حواء من آدم ليسكن إليها، أي: ليألفها ويطمئن بها، وبين في موضع آخر أنه جعل أزواج ذريته كذلك، وهو قوله: {وَمِنْ ءايَـٰتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوٰجاً لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} .

قوله تعالى: {فَلَمَّآ ءَاتَـٰهُمَا صَـٰلِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَـٰهُمَا فَتَعَـٰلَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} .

في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير معروفان عند العلماء، والقرآن يشهد لأحدهما.

الأول: أن حواء كانت لا يعيش لها ولد، فحملت. فجاءها الشيطان، فقال لها سمي هذا الولد عبد الحارث فإنه يعيش، والحارث من أسماء الشيطان، فسمته عبد الحارث فقال تعالى: {فَلَمَّآ ءَاتَـٰهُمَا صَـٰلِحاً} أي ولداً إنساناً ذكراً جعلا له شركاء بتسميته عبد الحارث، وقد جاء بنحو هذا حديث مرفوع وهو معلول كما أوضحه ابن كثير في تفسيره.

الوجه الثاني: أن معنى الآية أنه لما آتى آدم وحواء صالحاً كفر به بعد ذلك كثير من ذريتهما، وأسند فعل الذرية إلى آدم وحواء، لأنهما أصل لذريتهما كما قال: {وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ} أي بتصويرنا لأبيكم آدم لأنه أصلهم بدليل قوله بعده: {ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰئِكَةِ اسْجُدُواْ لأَدَمَ} ، ويدل لهذا الوجه الأخير أنه تعالى قال بعده: {فَتَعَـٰلَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَأَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ

شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ} ، وهذا نص قرآني صريح في أن المراد المشركون من بني آدم، لا آدم وحواء، واختار هذا الوجه غير واحد لدلالة القرآن عليه، وممن ذهب إليه الحسن البصري، واختاره ابن كثير ـــ والعلم عند الله تعالى ـــ.

{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِض عَنِ الْجَـٰهِلِينَ * وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِإِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ * وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى الْغَىِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ * وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِأايَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يوحَىٰ إِلَىٰ مِن رَّبِّى هَـٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالاٌّصَالِ وَلاَ تَكُنْ مِّنَ الْغَـٰفِلِينَ * إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} (الأعراف199 :- 206)

قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِض عَنِ الْجَـٰهِلِينوَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِالله إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} .

بين في هذه الآية الكريمة ما ينبغى أن يعامل به الجهلة من شياطين الإنس والجن. فبين أن شيطان الإنس يعامل باللين، وأخذ العفو، والإعراض عن جهله وإساءته. وأن شيطان الجن لا منجى منه إلا بالاستعاذة بالله منه. قال في الأول: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِض عَنِ الْجَـٰهِلِينَ} وقال في الثاني: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِالله إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ، وبين هذا الذي ذكرنا في موضعين آخرين.

أحدهما: في سورة {قد أفلح المؤمنون} قال فيه في شيطان الإنس: {ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ} وقال في الآخر: {وَقُلْ رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيـٰطِينوَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ} .

والثاني: في حم «السجدة» قال فيه في شيطان الإنس: {وَلاَ تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ} وزاد هنا أن ذلك لا يعطاه كل الناس، بل لا يعطيه الله إلا لذي الحظ الكبير والبخت العظيم عنده فقال: {وَمَا يُلَقَّاهَا إِ ّلا الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِ ّلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} ثم قال في شيطان الجن: {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِالله إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} .

قوله تعالى: {وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى الْغَىِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ} .

ذكر في هذه الآية الكريمة أن إخوان الإنس من الشياطين يمدون الإنس في الغي، ثم لا يقصرون، وبين ذلك أيضاً في مواضع أخر كقوله: {أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا الشَّيـٰطِينَ عَلَى الْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً} ، وقوله: {يَـٰمَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنْسِ} ، وبين في موضع آخر أن بعض الإنس إخوان للشياطين وهو قوله: {إِنَّ الْمُبَذِرِينَ كَانُواْ إِخْوَٰنَ الشَّيـٰطِينِ} .

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الانفال

{يَسْأَلونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (الأنفال:1)

اختلف العلماء في المراد بالأنفال هنا فمنهم من قال هو المسمى عند الفقهاء فيئا، وهو الآتي بيانه في قوله تعالى: {وَمَآ أَفَآءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ}. وأظهر الأقوال أن قوله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم}. ناسخ لقوله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ}.

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (الأنفال:2)

وقد صرح تعالى بذلك في مواضع أخر كقوله: {وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ إِيمَـٰناً فَأَمَّا الَّذِينَ ءامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}، وقوله: {هُوَ الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُواْ إِيمَـٰناً مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ}، وقوله: {لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءامَنُواْ إِيمَـٰناً} وقوله: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى} .

{إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ } (الأنفال:11)

وذكر في سورة آل عمران أن النعاس غشيهم أيضاً يوم أحد، وذلك في قوله تعالى: {ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاساً} .

{إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللهَ مَعَ الْمُؤْمِنِين} (الأنفال:19)

المراد بالفتح هنا الحكم وبين ذلك إطلاق الفتح بمعنى الحكم في القرآن في قوله عن شعيب وقومه: {عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنت خَيْرُ الْفَاتِحِينَ} وقوله {وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءامَنُواْ بِالَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ}

{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} (الأنفال:28)

وذلك في قوله في التغابن: {ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ إِنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}. قوله تعالى: {ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (الأنفال:29)

قال البعض ان المراد بالفرقان المخرج ويشهد له قوله تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً}. لكن الذي يدل القرآن واللغة على صحته في تفسير الآية المذكورة هي قول ابن إسحاق، وذلك في قوله: {تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ} وقوله: {وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ}، وقوله: {وَإِذْ ءاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ}، وقوله: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ}، ويدل على أن المراد بالفرقان هنا: العلم الفارق بين الحق والباطل. قوله تعالى في الحديد: {ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَءامِنُواْ بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ}.

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} (الأنفال: 31)

رد الله عليهم كذبهم وافتراءهم هذا في آيات كثيرة كقوله تعال: {وَقَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً}

{وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّإِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}(الأنفال:32)

وجاء في آيات أخر ما يدل على ذلك أيضاً كقوله عنهم: {وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ}، وقوله: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ}، وقوله: {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ} وذكر عن بعض الأمم السالفة شبه ذلك كقوله في قوم شعيب: {فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ السَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـادِقِينَ} وقوله عن قوم صالح: {يَاصَـالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}

{وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} (الأنفال:34)

وأوضح هذا المعنى في قوله: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَـاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـالُهُمْ وَفِى النَّارِ هُمْ خَـالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـاجِدَ اللهِ مَنْ ءَامَنَ بِالله وَالْيَوْمِ الاٌّخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَوةَ وَءاتَى الزَّكَوةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ} .

{وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}(الأنفال:35)

ويدل عليهذا قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} .

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}(لأنفال:45)

وقد صرح تعالى بهذا المدلول في قوله: {يَـاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ} إلى قوله: {وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (الأنفال:46)

نهى الله جل وعلا المؤمنين عن التنازع، والفرقة أيضاً في مواضع أخر، كقوله: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ}

{وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (الأنفال:48)

وهذه هي عادة الشيطان مع الإنسان كما بينه تعالى في آيات كثيرة، كقوله: {كَمَثَلِ الشَّيْطَـانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَـانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِّنكَ}. وقوله: {وَقَالَ الشَّيْطَـانُ لَمَّا قُضِىَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ إلى قوله: {إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ}. وكقوله: {يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَـانُ إِلاَّ غُرُوراً}،

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (الأنفال:53)

وأوضح هذا المعنى في آيات أخر كقوله: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ}، وقوله: {وَمَآ أَصَـابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ}، وقوله: {مَّآ أَصَـابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَآ أَصَـابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (الأنفال:64)

كقوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَآ ءَاتَـاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّآ إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ}، فجعل الإيتاء لله ورسوله، كما قال: {وَمَآ ءَاتَـاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ} وجعل الحسب له وحده، وقال: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} وقوله: {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}، وقال تعالى: {وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} وقال تعالى: {فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ اللَّهُ}

سورة التوبة

اعلم أولاً أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكتبوا سطر {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ} في سورة «براءة» هذه في المصاحف العثمانية، واختلف العلماء في سبب سقوط البسملة منها على أقوال:

منها: أن البسملة رحمة وأمان و«براءة» نزلت بالسيف. فليس فيها أمان، وهذا القول مروي عن علي رضي الله عنه، وسفيان بن عيينة.

ومنها: أن ذلك على عادة العرب إذا منها: أن البسملة رحمة وأمان و«براءة» نزلت بالسيف. فليس فيها أمان، وهذا القول مروي عن علي رضي الله عنه، وسفيان بن عيينة.

ومنها: أن ذلك على عادة العرب إذا كتبوا كتاباً فيه نقض عهد أسقطوا منه البسملة، فلما أرسل النَّبي ﷺ علياً رضي الله عنه ليقرأها عليهم في الموسم. قرأها، ولم يبسمل على عادة العرب في شأن نقض العهد، نقل هذا القول بعض أهل العلم، ولا يخفى ضعفه.

ومنها: أن الصحابة لما اختلفوا: هل «براءة» و«الأنفال» سورة واحدة أو سورتان. تركوا بينهما فرجة لقول من قال: إنهما سورتان، وتركوا البسملة لقول من قال: هما سورة واحدة، فرضي الفريقان وثبتت حجتاهما في المصحف.

ومنها: أن سورة «براءة» نسخ أولها فسقطت معه البسملة، وهذا القول رواه ابن وهب، وابن القاسم، وابن عبد الحكم، عن مالك، كما نقله القرطبي.

وعن ابن عجلان، وسعيد بن جبير، أنها كانت تعدل سورة «البقرة». وقال القرطبي: والصحيح أن البسملة لم تكتب في هذه السورة. لأن جبريل لم ينزل بها فيها. قاله القشيري. اهـ.

أظهر الأقوال في هذه المسألة. أن سبب سقوط البسملة في هذه السورة. هو ما قاله عثمان رضي الله عنه لابن عباس.

فقد أخرج النسائي، والترمذي، وأبو داود، والإمام أحمد، وابن حبان، في (صحيحه) والحاكم في (المستدرك) وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال ـ وهي من المثاني ـ وإلى براءة ـ وهي من المائين ـ فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ} ووضعتموهما في السبع الطول فما حملكم على ذلك؟

فقال عثمان رضي الله عنه: إن رسول الله ﷺ، كان إذا أنزل عليه شيء يدعو بعض من يكتب عنده، فيقول: ضعوا هذا في السورة التي فيها كذا وكذا، وتنزل عليه الآيات فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت «الأنفال» من أوائل ما أنزل بالمدينة، و«براءة» من آخر ما أنزل من القرآن، وكانت قصتهما شبيهة بقصتها، وقبض رسول الله ﷺ، ولم يبين لنا أنها منها فظننت أنها منها، فمن ثم قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ}، ووضعتها في السبع الطول. اهـ.تنبيهان

الأول: يؤخذ من هذا الحديث أن ترتيب آيات القرآن بتوقيف من النَّبي ﷺ. وهو كذلك بلا شك، كما يفهم منه أيضاً: أن ترتيب سورة بتوقيف أيضاً فيما عدى سورة «براءة»، وهو أظهر الأقوال، ودلالة الحديث عليه ظاهرة.

التنبيه الثاني: قال أبو بكر بن العربي المالكي ـــ رحمه الله تعالى ـــ: في هذا الحديث دليل على أن القياس أصل في الدين: ألا ترى إلى عثمان وأعيان الصحابة كيف لجئوا إلى قياس الشبه عند عدم النص، ورأوا أن قصة «براءة» شبيهة بقصة «الأنفال» فألحقوها بها، فإذا كان القياس يدخل في تأليف القرآن، فما ظنك بسائر الأحكام.

{بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ * وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ} (التوبة: 1-4)

قوله تعالى: {بَرَآءَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ} إلى قوله تعالىٰ: {أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ}.

ظاهر هذه الآية الكريمة العموم في جميع الكفار المعاهدين، وأنه بعد انقضاء أشهر الإمهال الأربعة المذكورة في قوله: {فِى الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} لا عهد لكافر.

وفي هذا اختلاف كثير بين العلماء. والذي يبينه القرآن، ويشهد له من تلك الأقوال، هو أن محل ذلك إنما هو في أصحاب العهود المطلقة غير الموقتة بوقت معين، أو من كانت مدة عهده الموقت أقل من أربعة أشهر، فتكمل له أربعة أشهر. أما أصحاب العهود الموقتة الباقي من مدتها أكثر من أربعة أشهر، فإنه يجب لهم إتمام مدتهم، ودليله المبين له من القرآن. هو قوله تعالى: {إِلاَّ الَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} وهو اختيار ابن جرير، وروي عن الكلبي، ومحمد بن كعب القرظي، وغير واحد، قاله ابن كثير ويؤيده حديث علي رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ، بعثه حين أنزلت «براءة» بأربع: ألا يطوف بالبيت عريان. ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا. ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فهو إلى مدته.

ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة.

قوله تعالى: {فَسِيحُوا فِى الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ}.

قال بعض العلماء: كان ابتداء التأجيل بالأشهر الأربعة المذكورة من شوال. وآخره سلخ المحرم، وبه قال الزهري ـــ رحمه الله تعالى ـــ ولكن القرآن، يدل على أن ابتداءها من يوم النحر على الأصح من أنه يوم الحج الأكبر، أو يوم عرفة على القول بأنه هو يوم الحج الأكبر، وذلك في قوله تعالى: {وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ}. وهو صريح في أن ابتداء الإعلام المذكور من يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، ولا يخفى انتهاؤها في العشر من ربيع الثاني.

قال ابن كثير: ـــ في تفسير هذه الآية ـــ وقال الزهري: كان ابتداء التأجيل من شوال، وآخره سلخ المحرم، وهذا القول غريب، وكيف يحاسبون بمدة لم يبلغهم حكمها، وإنما ظهر لهم أمرها يوم النحر، حين نادى أصحاب رسول الله ﷺ بذلك، ولهذا قال تعالى: {وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ}.

قوله تعالى: {إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَداً فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ}.

يفهم من مفهوم مخالفة هذه الآية: أن المشركين إذا نقضوا العهد جاز قتالهم، ونظير ذلك أيضاً، قوله تعالى: {فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ} وهذا المفهوم في الآيتين صرح به جل وعلا في قوله: {وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ} ***.

{فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَٰوةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلاَمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ * كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ ٱلَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ * ٱشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ * فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَٰوةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخوَانُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَنُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَإِن نَّكَثُوۤاْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَاتِلُوۤاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ * أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُوۤاْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُوْلَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَالِدُونَ * إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَٰوةَ وَءَاتَىٰ

ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ * أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَاجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} (التوبة:5-22)

قوله تعالى: {فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ}.

اختلف العلماء في المراد بالأشهر الحرم في هذه الآية.

فقال ابن جرير: إنها المذكورة في قوله تعالى. {مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ} قاله أبو جعفر الباقر.

ولكن قال ابن جرير: آخر الأشهر الحرم في حقهم المحرم، وحكى نحو قوله هذا علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وإليه ذهب الضحاك.

ولكن السياق يدل على أن المراد بها أشهر الإمهال المذكورة في قوله: {فَسِيحُواْ فِى الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ}.

قال ابن كثير: في تفسير هذه الآية: والذي يظهر من حيث السياق، ما ذهب إليه ابن عباس، في رواية العوفي عنه، وبه قال مجاهد، وعمرو بن شعيب، ومحمد بن إسحاق، وقتادة، والسدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أن المراد بها، الأشهر الأربعة المنصوص عليها بقوله: {فَسِيحُواْ فِى الأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} ثم قال: {فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ} أي: إذا انقضت الأشهر الأربعة التي حرمنا عليكم قتالهم فيها، وأجلناهم فيها، فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم لأن عود العهد على مذكور أولى من مقدر، مع أن الأشهر الأربعة المحرمة سيأتي بيان حكمها في آية أخرى ـــ اهـ.

قوله تعالى: {وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ}.

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة: أن كفار مكة هموا بإخراجه ﷺ من مكة، وصرح في مواضع أخر بأنهم أخرجوه بالفعل، كقوله {يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّـٰكُمْ}، وقوله: {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِى أَخْرَجَتْكَ} وقوله: {إِلاَّ تنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ}، وذكر في مواضع أخر: محاولتهم لإخراجه قبل أن يخرجوه، كقوله: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ}، وقوله: {وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا}.

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلإِيمَـٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ * قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ * لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِـي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ ٱلَّـذِينَ كَفَرُواْ وَذٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِن بَعْدِ ذٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوۤاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلاَ بِٱلْيَوْمِ ٱلآخِـرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ * وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِئُونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ * ٱتَّخَذُوۤاْ أَحْبَـٰرَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوۤاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُوۤاْ إِلَـٰهاً وَٰحِداً لاَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَـٰنَهُ عَمَّـا يُشْرِكُونَ * يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَىٰ ٱللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ * هُـوَ ٱلَّذِيۤ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ}(التوبـة:23-33)

قوله تعالى: {يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَـٰنِ}.

نهى الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن موالاة الكفار، ولو كانوا قرباء، وصرح في موضع آخر: بأن الاتصاف بوصف الإيمـان مانع من موادة الكفار ولو كانوا قرباء، وهو الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَـا نِ}.

نهى الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن موالاة الكفار، ولو كانوا قرباء، وصرح في موضع آخر: بأن الاتصاف بوصف الإيمـان مانع من موادة الكفار ولو كانوا قرباء، وهو الأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ ءَابَـآءَهُمْ أَوْ أَبْنَـآءَهُمْ أَوْ إِخْـوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}.

قوله تعالى: {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ}.

ذكر تعالى ما أصاب المسلمين يوم حنين في هذه الآية الكريمة، وذكر ما أصابهم يوم أحد بقوله: {إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَـىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِى أُخْرَاكُمْ}، وصرح بأنه تاب على من تولى يوم أحد بقوله: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَـانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَـٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ}، وأشار هنا إلى توبته على من تولى يوم حنين بقوله: {ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} كما أشار بعض العلماء إليه.

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ ٱلأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ
ٱللهِ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا
فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ
تَكْنِزُونَ * إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَـٰبِ ٱللهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوٰت وَٱلأَرْضَ مِنْهَآ
أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً
وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ
عَامًا لِّيُوَاطِئُواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ وَٱللهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ
ٱلْكَـٰفِرِينَ * يٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلأَرْضِ أَرَضِيتُم
بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا
وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَٱللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ ٱللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ
وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا وَٱللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ *
ٱنْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللهِ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * لَوْ
كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاَّتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا
لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ * عَفَا ٱللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ
ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَـٰذِبِينَ * لاَ يَسْتَأْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ وَٱللهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ
فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللهُ ٱنبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ
مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ * لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُواْ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ
سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ وَٱللهُ عَلِيمٌ بِٱلظَّـٰلِمِينَ * لَقَدِ ٱبْتَغَوُاْ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ
وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ * وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّى أَلاَ فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ

لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَـٰفِرِينَ * إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ * قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَـٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلاَّ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوۤاْ إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ * قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَـٰسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ ٱلصَّلَٰوةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ * فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلاَ أَوْلَـٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي ٱلْحَيَٰوةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ * وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئاً أَوْ مَغَـٰرَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ * وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوْاْ مَآ ءَاتَـٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ * إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْعَـٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَـٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ * أَلَمْ يَعْلَمُوۤاْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذٰلِكَ ٱلْخِزْيُ ٱلْعَظِيمُ * يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ ٱسْتَهْزِءُوۤاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ * ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ * وَعَدَ الله ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَاتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوۤاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلاً وَأَوْلَـٰداً فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَـٰقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَـٰقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ بِخَلَـٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِي خَاضُوۤاْ أُوْلَـٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآَخِرَةِ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ * أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ

وأَصْحَـٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَـٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * يٰأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّـارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْراً لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ * وَمِنْهُمْ مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءاتَـٰنَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ * فَلَمَّآ ءَاتَاهُمْ مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ * ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱللَّهُ لاَ يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ} (التوبة: 34-80)

قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ}.

أظهر الأقوال وأقربها للصواب في معنى {يَكْنِزُونَ} في هذه الآية الكريمة، أن المراد بكنزهم الذهب والفضة وعدم إنفاقهم لها في سبيل الله، أنهم لا يؤدون زكاتهما.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: وأمَّا الكنز؟ فقال مالك: عن عبد الله بن دينار. عن ابن عمر. هو المال الذي لا تؤدى زكاته.

وروى الثوري، وغيره، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين، وما كان ظاهراً لا تؤدى زكاته فهو كنز، وقد روي هذا عن ابن عباس، وجابر، وأبي هريرة، موقوفاً ومرفوعاً.

وقال عمر بن الخطاب نحوه: أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً في الأرض، وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه، وإن كان على وجه الأرض اهـ.

{فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ} (التوبة: 81-82)

قوله تعالى: {قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ}.

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة شدة حر نار جهنم ــ أعاذنا الله والمسلمين منها ــ وبين ذلك في مواضع أخر كقوله: {نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ} وقوله: {كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ} . وقوله: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا} . وقوله: {يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ} . وقوله: {وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوجُوهَ} : وقوله: {وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ} إلى غير ذلك من الآيات. تنبيه

{فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ * وَلاَ تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ * وَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ} (التوبة: 83-85)

قوله تعالى: {فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا} إلى قوله {الْخَـٰلِفِينَ}. عاقب الله.

في هذه الآية الكريمة: المتخلفين عن غزوة تبوك بأنهم لا يؤذن لهم في الخروج مع نبيه، ولا القتال معه ﷺ لأن شؤم المخالفة يؤدي إلى فوات الخير الكثير.

وقد جاء مثل هذا في آيات أخر كقوله: {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ} إلى قوله: {كَـٰذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ} وقوله: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} إلى غير ذلك من الآيات. والخالف هو الذي يتخلف عن الرجال في الغزو فيبقى مع النساء والصبيان، ومنه قول الشنفرى:

ولا خالف داريه متربب

يروح ويغدو داهنا يتكحل

{وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُنْ مَّعَ
ٱلْقَـٰعِدِينَ * رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَٰلِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ * لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ مَعَهُ جَـٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَـٰئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَاتُ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ ٱللَّهُ
لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ
ٱلأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * لَّيْسَ عَلَى
ٱلضُّعَفَآءِ وَلاَ عَلَىٰ ٱلْمَرْضَىٰ وَلاَ عَلَى ٱلَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ للَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى
ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلاَ عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ
عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنْفِقُونَ * إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ
أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ
إِلَيْهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ
عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ
عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ
فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ * ٱلأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ
حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَمِنَ ٱلأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ
ٱلدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَمِنَ ٱلأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ
قُرُبَـٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ أَلاَ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ *
وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلأَنْصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ
عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ذٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ
ٱلأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ
يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ * وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَـٰلِحاً وَءَاخَرَ سَيِّئاً عَسَى ٱللَّهُ أَن
يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ
سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُوۤاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ

وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ ٱللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللهَ
وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ * لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ
أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ *
أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِ فِى
نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللهُ لاَ يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ
قُلُوبُهُمْ وَٱللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ ٱللهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَـٰتِلُونَ فِى
سَبِيلِ ٱللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوْرَاةِ وَٱلإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ ٱللهِ
فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * ٱلتَّـٰئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ
ٱلسَّـٰئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدونَ ٱلآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللهِ
وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ * مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا
تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ
لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ * وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا
يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * إِنَّ ٱللهَ لَهُ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللهِ
مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ * لَقَدْ تَابَ ٱللهُ عَلَىٰ ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِن
بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰ
إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ ٱللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ
عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ * يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ * مَا
كَانَ لأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللهِ وَلاَ يَطَأُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلاَ
يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ ٱللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ * وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً
صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَمَا كَانَ
ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ

إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ * يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَاتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوۤاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ * وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ إِيمَـٰناً فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ * أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ }(التوبة:86-127)

قوله تعالى: {وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِاللهِ وَجَـٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُنْ مَّعَ الْقَـٰعِدِينَ}.
ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة، أنه إذا أنزل سورة فيها الأمر بالإيمان، والجهاد مع نبيه ﷺ، أستأذن الأغنياء من المنافقين في التخلف عن الجهاد مع القدرة عليه، وطلبوا النَّبي ﷺ أن يتركهم مع القاعدين المتخلفين عن الغزو.

وبين في موضع آخر أن هذا ليس من صفات المؤمنين، وأنه من صفات الشاكين الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وذلك في قوله: {لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ أَن يُجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَإِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الأَخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ}، وبين أن السبيل عليهم بذلك، وأنهم مطبوع على قلوبهم. بقوله: {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ}: وبين في مواضع أخر شدة جزعهم من الخروج إلى الجهاد، كقوله: {فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}، وقوله: {فَإِذَا جَآءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ} إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: {وَالسَّـٰبِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَـٰجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِىَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ}.
صرح تعالى في هذه الآية الكريمة بأن الذين اتبعوا السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار بإحسان، أنهم داخلون معهم في رضوان الله تعالى، والوعد بالخلود في الجنات والفوز العظيم، وبين في مواضع أخر. أن الذين اتبعوا السابقين بإحسان يشاركونهم في الخير كقوله جل وعلا: {وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ}، وقوله: {وَالَّذِينَ جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَٰنِنَا}، وقوله: {وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مِن بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَـٰئِكَ مِنكُمْ}.

ولا يخفى أنه تعالى صرح في هذه الآية الكريمة، أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، وهو دليل قرآني صريح في أن من يسبهم ويبغضهم، أنه ضال مخالف لله جل وعلا، حيث أبغض من رضي الله عنه. ولا شك أن بغض من رضي الله عنه مضادة له جل وعلا، وتمرد وطغيان.

قوله تعالى: {وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ}.

صرح في هذه الآية الكريمة أن من الأعراب، ومن أهل المدينة، منافقين لا يعلمهم رسول الله ﷺ، وذكر تعالى نظير ذلك عن نوح في قوله عنه. {قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} .

وذكر نظيره عن شعيب ــ عليهم كلهم صلوات الله وسلامه ــ في قوله: {بَقِيَّتُ الله خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ} اهــ.

وقد أطلع الله نبيه على بعض المنافقين كما تقدم في الآيات الماضية، وقد أخبر صاحبه حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، بشيء من ذلك، كما هو معلوم.

قوله تعالى: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ} .

لم يبين هنا هذه الموعدة التي وعدها إياه، ولكنه بينها في سورة «مريم» بقوله: {قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيّاً} .

{لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لآ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ} (التوبة:128-129)

قوله تعالى: {لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} .

هذه الآية الكريمة تدل على أن بعث هذا الرسول الذي هو من أنفسنا الذي هو متصف بهذه الصفات المشعرة بغاية الكمال، وغاية شفقته علينا هو أعظم منن الله تعالى، وأجزل نعمه علينا، وقد بين ذلك في مواضع أخر، كقوله تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ} : وقوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ الله كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} وقوله: {وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

قوله تعالى: {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} .

أمر تعالى في هذه الآية الكريمة نبيه ﷺ، بالتوكل عليه جل وعلا.

ولا شك أنه ممتثل ذلك، فهو سيد المتوكلين عليه صلوات الله وسلامه، والتوكل على الله تعالى، هو شأن إخوانه من المرسلين صلوات الله عليهم وسلامه.

كما بين تعالى ذلك في آيات أخر، كقوله عن هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام {قَالَ إِنِّى أُشْهِدُ الله وَاشْهَدُواْ أَنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَمِن دُونِهِ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِإِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى الله رَبِّى وَرَبِّكُمْ} : وقوله تعالى عن نوح: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِآيَاتِ الله فَعَلَى الله تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُواْ إِلَىَّ وَلاَ تُنظِرُونَ} وقوله تعالى عن جملة الرسل: {وَمَا لَنَآ أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى الله وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ آذَيْتُمُونَا} :

ومن أوضح الأدلة على عظم توكل نبينا ﷺ على الله، قوله يوم حنين، وهو على بغلة في ذلك الموقف العظيم.

أنا النَّبي لا كذب

أنا ابن عبد المطلب

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة يونس

{إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللهِ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} (يونس:4)

وذكر أوصاف هذا الحميم في آيات أخر، كقوله: :[861] {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ}، وقوله: [862]{وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ}، وقوله:[863] {يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ} وقوله:[864] {وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوجُوهَ}، وقوله: [865]{فَشَـارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَـارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ} وقوله تعالى:[866] {مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ} وكقوله:[867] {هَـذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ} وقوله:[868] {لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَاباً إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً}

{دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ} (يونس:10)

بين تعالى هذا في مواضع أخر، كقوله:[869] { تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا }،وقوله: [870]{وَالمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ } وقوله:[871] { لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا } وقوله: [872]{لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً} وقوله [873]{ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا } وقوله:[874] {سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ} إلى غير ذلك من الآيات.

---

[861] الرحمن 44
[862] محمد 15
[863] الحج 19–20
[864] الكهف 29
[865] الواقعة 54–55
[866] ابراهيم 16–17
[867] ص 57–58
[868] النباء 24–25
[869] الاحزاب 44
[870] الرعد 23–24
[871] مريم 62
[872] الواقعة 25

{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (يونس:12)

وبين هذا في مواضع أخر كقوله:[875] {وَإِذَا مَسَّ الإِنسَـانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ} : وقوله:[876] {فَإِذَا مَسَّ الإِنسَـانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ} : وقوله: [877]{وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَـانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ} والآيات في مثل ذلك كثيرة. إلا أن الله استثنى من هذه الصفات الذميمة عباده المؤمنين، بقوله في سورة هود:[878] {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌإِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحَاتِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} ، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء، إلا كان خيراً له، إن أصابته ضراء فصبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء فشكر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن».

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (يونس:15)

وصرح بهذا المفهوم في مواضع أخر كقوله:[879] {وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ} : وقوله:[880] {مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا} : وقوله [881]{سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى إِلاَّ مَا شَآءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى} .

[873] الواقعة 26
[874] يسين 58
[875] الزمر 8
[876] الزمر 49
[877] فصلت 51
[878] هود 10-11
[879] النحل 101
[880] البقرة 106
[881] الاعلى 6-7

{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الارْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالاَنْعَامُ حَتّٰى إِذَآ أَخَذَتِ الارْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (يونس:24)

ضرب لها أيضاً المثل المذكور في «الكهف» في قوله: {وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ} إلى قوله:[882] {وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا}، وأشار لهذا المثل بقوله في «الزمر»:[883] {ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِى ذَلِكَ لَذِكْرٰى لأُوْلِى الاَلْبَابِ}، وقوله في «الحديد»: {كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً}.

{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ} (يونس:28)

صرح في «الكهف» بأنه لا يترك منهم أحداً، بقوله:[884] {وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُم أَحَداً}

{هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (يونس:30)

بين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله:[885] {يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} وقوله:[886] {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ} وقوله:[887] {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} وقوله: [888] {وَيَقُولُونَ ياوَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا}

[882] الزمر 21
[883] الحديد 20
[884] الكهف 47
[885] القيامة 13
[886] الطارق 9
[887] الاسراء 13–14
[888] الكهف 49

{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُفَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ} (يونس: 31)

والآيات الدالة على أن المشركين مقرون بربوبيته جل وعلا كثيرة، كقوله:[889] {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} وقوله:[890] {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَـاوَاتِ وَالارْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} وقوله: {قُل لِّمَنِ الارْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} {سَيَقُولُونَ للهِ} إلى قوله: [891] {فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات، ولذا قال تعالى: [892] {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ} . أما تجاهل فرعون لعنه الله لربوبيته جل وعلا، في قوله: {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَـالَمِينَ} فإنه تجاهل عارف لأنه عبد مربوب، كما دل عليه قوله تعالى :[893] {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰؤُلآءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَـاوَاتِ وَالارْضِ بَصَآئِرَ} : وقوله:[894] {وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً} .

{وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (يونس: 37)

وبين هذا في مواضع أخر كقوله:[895] {لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لاوْلِى الأَلْبَـابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيل كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} . وقوله:[896] {وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَـاطِينُ وَمَا يَنبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ} وقوله: [897] {وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ} والآيات في مثل ذلك كثيرة. ثم إنه تعالى صرح هنا بأن هذا القرآن ما كان أن يفترى على الله، كما قال جل وعلا في هذه السورة: [898] {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ إِن كُنتُمْ صَـادِقِينَ} بقوله: {وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ} وتحداهم في «هود» بعشر سور مثله بقوله: {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ} : وتحداهم في «الطور» به كله بقوله : {فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُواْ

[889] الزخرف 87
[890] الزخرف 9
[891] المنو منون 89
[892] يوسف 106
[893] الاسراء 102
[894] النحل 14
[895] يوسف 111
[896] الشعراء 210–211
[897] الاسراء 105
[898] يونس 38

صَـــادِقِينَ} . وصرح في سورة «بني إسرائيل» بعجز جميع الخلائق عن الإتيان بمثله بقوله: {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـــذَا الْقُرْءَانِ لايَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}

{بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ} (يونس:39)

التحقيق أن تأويله هنا، هو حقيقة ما يؤول إليه الأمر يوم القيامة، ويدل لصحة هذا قوله في «الأعراف»:[899] {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ} . ونظير الآية قوله تعالى: [900]{بْل هُمْ فَى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ} .

{وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ} (يونس:40)

صرح بمثل هذا في آيات كثيرة كقوله:[901] {اللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُمْ مِّن شَيْءٍ سُبْحَـــانَهُ وَتَعَـــالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} ، وقوله تعالى:[902] {وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لاَّ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلايَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلاَ حَيَـــوةً وَلانُشُوراً} وقوله: [903]{ياأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَـــالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ وَالارْضِ} . وقوله:[904] {أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّيَخْلُقُ} : وقوله:[905] {أَمْ جَعَلُواْ للهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ}وقوله[906]: {قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِىَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـــاشِفَـــاتُ ضُرِّهِ} . وقوله:[907] {أَمَّنْ هَـــذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ} .وقوله:[908] {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُواْ عِندَ اللهِ الرِّزْقَ} .

---

[899] الاعراف 53
[900] ص 8
[901] الروم 40
[902] الفرقان 3
[903] فاطر 3
[904] النحل 17
[905] الرعد 16
[906] الزمر 38
[907] الملك 21
[908] العنكبوت 17

{وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ} (يونس:41)

وبين هذا المعنى في قوله: [909] {قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَـــافِرُونَ}، إلى قوله: {وَلِيَ دِينِ} ونظير ذلك، قول إبراهيم الخليل ـــ وأتباعه ـــ لقومه: [910] {إِنَّا بُرَءآؤاْ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله} . وبين تعالى في موضع آخر فوائد اعتزال الكفار، وهو قوله في «مريم»: [911] {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـــاقَ وَيَعْقُوبَ} إلى قوله: {وَوَهَبْنَا لَهْمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً} .

كقوله في آخر «الأحقاف». [912] {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ}، وقوله في آخر «النازعات»: [913] {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَـــاهَا}، وقوله في آخر «الرُّوم»: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ} .

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} (يونس:45)

فمن الآيات المماثلة لهذه الآية، قوله تعالى في «الأنعام»: [914] {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ الله حَتَّىٰ إِذَا جَآءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا ياحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا}، وقوله تعالى في «البقرة»: [915] {الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ الله مِن بَعْدِ مِيثَـــاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الاَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَـــاسِرُونَ}، وقوله في «البقرة» أيضاً: [916] {الَّذِينَ آتَيْنَـــاهُمُ الْكِتَـــابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَـــاسِرُونَ}، وقوله في «الأعراف»: [917] {أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ الله فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ الله إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَـــاسِرُونَ}، وقوله في «الأعراف» أيضاً: [918] {مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَـــاسِرُونَ}،

[909] الكافرون 1–6
[910] الممتحنة 4
[911] مريم 50
[912] الاحقاف 35
[913] النازعات 46
[914] الانعام 31
[915] البقرة 27
[916] البقرة 121
[917] الاعراف 99
[918] الاعراف 178

وقوله في «الزمر»:[919] {لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَـــاوَاتِ وَالا َرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَيَـــاتِ الله أُوْلَٓئك هُمُ الْخَـــاسِرُونَ} . وبين في مواضع أخر، أن المفعول المحذوف الواقع عليه الخسران هو أنفسهم، كقوله في «الأعراف»:[920] {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَٓئك الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَـــاتِنَا يَظْلِمُونَ}، وقوله في «المؤمنون»:[921] {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فأُوْلَٓئك الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـــالِدُونَ} وقوله في «هود»: [922]{أُوْلَٓئك الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} . وزاد في مواضع أخر خسران الأهل مع النفس، كقوله في [923]«الزمر»: {قُلْ إِنَّ الْخَـــاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَـــامَةِ أَلآ إِنَّ الظَّـــالِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ} وبين في موضع آخر أن خسران الخاسرين قد يشمل الدنيا والآخرة، وهو قوله: [924]{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ الله عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالأَّخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}

{وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ} (يونس:46)

كقوله في سورة «المؤمن»: [925]{فَـــإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ}، وقوله في «الزخرف»: [926]{فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِى وَعَدْنَـــاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} (يونس:47)

وبين هذا في مواضع أخر، كقوله: [927]{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً} وقوله:[928] {وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ}، وقوله: [929]{وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} إلى غير ذلك من الآيات،

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} (يونس:47)

[919] الزمر 63
[920] الاعراف 9
[921] المومون 103
[922] هود 21
[923] الزمر 15
[924] الحج 11
[925] غافر 77
[926] الزخرف 41–42
[927] النحل 36
[928] فاطر 24
[929] الرعد 7

أوضح الله تعالى معنى هذه الآية: الكريمة في سورة «الزمر» بقوله : [930]{وَأَشْرَقَتِ الا َرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَـــابُ وَجِـــىءَ بِالنَّبِيِّيْنَ وَالشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ} .

{قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرّاً وَلا نَفْعاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ} (يونس:49)

وبين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله: [931]{مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأخِرُونَ} وقوله: [932]{إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَآءَ لاَ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} وقوله: [933]{وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ}، إلى غير ذلك من الآيات.

{أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ} (يونس:51)

وأوضح هذا المعنى في آيات أخر، كقوله: [934]{فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُواْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَـــفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـــانُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّةَ الله الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَـــافِرُونَ} وقوله:[935] {حَتَّىٰ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُ لآ إِلِـــهَ إِلاَّ الَّذِى ءَامَنَتْ بِهِ بَنواْ إِسْرَاءِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ءاأنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} وقوله: [936]{وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَـــاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ آلْنَ}، إلى غير ذلك من الآيات، واستثنى الله تعالى قوم يونس دون غيرهم بقوله: [937]{فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْىِ فِى الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ} .

{فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} (يونس:81)

---

[930] الزمر 69–70
[931] الحجر 5
[932] نوح 4
[933] المنافون 11
[934] غافر 84–85
[935] يونس 98
[936] النساء 18
[937] يونس 98

تفسيرالفاروق

كقوله: [938]{فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَـاغِرِينَ} ونحوها من الآيات:

{وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرائيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} (يونس:93)

وبين ذلك في آيات أخر كقوله: [939]{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـارِقَ الارْضِ وَمَغَـارِبَهَا الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا}، وقوله: [940]{فَأَخْرَجْنَـاهُمْ مِّن جَنَّـاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ} إلى قوله: [941]{كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَـاهَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ} وقوله: {كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّـاتٍ وَعُيُونٍ} {وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ}[942] إلى قوله: {كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَـاهَا قَوْماً ءَاخَرِينَ}

{وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} (يونس:97)

وذكر هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله تعالى: [943]{وَمَا تُغْنِى الآيَـاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ}[944] وقوله: {وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ}، وقوله: [945]{وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ} وقوله: {وَكَأَيِّن مِّن ءَايَةٍ فِى السَّمَـاوَاتِ وَالارْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} وقوله: [946]{سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} .

{فَلَوْلا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ} (يونس:98)

---

[938] الاعراف 118–119
[939] الاعراف 137
[940] الشعراء 57–58
[941] الشعراء 59
[942] الدخان 26–28
[943] يونس 101
[944] القمر 2
[945] الانعام 4
[946] البقرة 6

ويفهم من مفهوم المخالفة في قوله: {فِى الْحَيَوةَ الدُّنْيَا} أن الآخرة ليست كذلك، ولكنه تعالى أطلق عليهم اسم الإيمان من غير قيد في سورة «الصافات» بين في «الصافات» أيضاً كثرة عددهم وكل ذلك في قوله تعالى:[947] {وَأَرْسَلْنَـــاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَأامَنُواْ فَمَتَّعْنَـــاهُمْ إِلَى حِينٍ}.

{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} (يونس:99)

وبين ذلك أيضاً في آيات كثيرة كقوله تعالى: [948]{وَلَوْ شَآءَ اللَّهُمَآ أَشْرَكُواْ}، وقوله: [949]{وَلَوْ شِئْنَا لاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا}، وقوله:[950] {وَلَوْ شَآءَ اللَّهُلَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} (يونس:99)

وأوضح ذلك المعنى في آيات كثيرة كقوله:[951] {وَمَن يُرِدِ اللَّهُفِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ الله شَيْئاً}، وقوله: [952]{إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ الله لاَ يَهْدِى مَن يُضِلُّ}، وقوله:[953] {إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ} وقوله: [954]{مَن يُضْلِلِ اللَّهُفَلاَ هَادِيَ لَهُ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

{قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ} (يونس:101)

وأشار لمثل ذلك بقوله: [955]{سَنُرِيهِمْ ءَايَـــاتِنَا فِى الآفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}، ووبخ في سورة «الأعراف» من لم يمتثل هذا الأمر في قوله تعالى:[956] {أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ السَّمَـــاوَاتِ وَالارْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُمِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَى أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ}.

---

[947] الصافات 147–148

[948] الانعام 107

[949] السجدة 13

[950] الانعام 35

[951] المائدة 41

[952] النحل 37

[953] القصص 56

[954] الاعراف 186

{وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (يونس:105)

أوضح هذا المعنى في قوله:[957] {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ الله الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}

{وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ الله مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّالِمِينَ} (يونس:106)

أوضح معناه أيضاً بقوله: [958]{وَلاَ تَدْعُ مَعَ الله إِلَـهاً ءَاخَرَ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} .

{وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ} (يونس:109)

كقوله: [959]{إِذَا جَآءَ نَصْرُ الله وَالْفَتْحُ} إلى آخر السورة وقوله: [960]{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً} إلى آخرها، وقوله:[961] {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى الارْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ} . إلى غير ذلك من الآيات.

---

[955] فصلت 53

[956] الاعراف 185

[957] الروم 30

[958] القصص 88

[959] النصر 1

[960] الفتح 1

[961] الرعد 41

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة هود

{ الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} (هود: 1)

السور التي افتتحت بالحروف المقطعة يذكر فيها دائماً عقب الحروف المقطعة الانتصار للقرآن وبيان إعجازه، وأنه الحق الذي لا شك فيه. وذكر ذلك بعدها دائماً دليل استقرائي على أن الحروف المقطعة قصد بها إظهار إعجاز القرآن، وأنه حق. قال تعالى في البقرة: {الم} واتبع ذلك بقوله [962]{ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ} وقال في آل عمران {الم} واتبع ذلك بقوله:[963] {اللّهُ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَـابَ بِالْحَقِّ}. وقال في الأعراف: {المص} ثم قال: {كِتَـابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ} الآية. وقال في سورة يونس: {الٓر } ثم قال: [964]{تِلْكَ ءايَـاتُ الْكِتَـابِ الْحَكِيمِ} وقال في هذه السورة الكريمة التي نحن بصددها ـــ أعني سورة هود {الٓر } ثم قال: [965]{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءايَـاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}، وقال في يوسف: {الٓر } ثم قال: [966]{تِلْكَ ءايَاتُ الْكِتَـابِ الْمُبِينِ} [967]{إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}. وقال في الرعد: {الٓمٓر} ثم قال: [968]{تِلْكَ آيَـاتُ الْكِتَـابِ وَالَّذِى أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ}، وقال في سورة إبراهيم {الٓر } ثم قال: [969]{كِتَابٌ أَنزَلْنَـاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَى النُّورِ}. وقال في الحجر: {الٓر } ثم قال {تِلْكَ ءايَـاتُ الْكِتَـابِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ} وقال في سورة طه {طه} ثم قال: [970]{مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰ} وقال في الشعراء: [971]{طسٓمٓ} ثم قال [972]{تِلْكَ ءَايَـاتُ الْكِتَـابِ الْمُبِينِ لَعَلَّكَ بَـاخِعٌ نَّفْسَكَ}. وقال في النمل: [973]{طسٓ} ثم قال {تِلْكَ ءَايَـاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَـابٍ مُّبِينٍ} وقال في القصص [974]{طسٓمٓ} ثم قال [975]{تِلْكَ ءَايَـاتُ الْكِتَـابِ الْمُبِينِ} [976]{نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ}. وقال في لقمان [977]{الٓـمٓ} ثم قال [978]{تِلْكَ

[962] البقرة 2
[963] العمران 2-3
[964] يونس 1
[965] هود 1
[966] يوسف 1
[967] يوسف 2
[968] الرعد 1
[969] ابراهيم 1
[970] طه 2
[971] الشعراء 1
[972] الحجر 1
[973] النمل 1-2
[974] القصص 1
[975] القصص 2
[976] القصص 3
[977] لقمان 1

ءايَـــاتُ الْكِتَـــابِ الْحَكِيمِ} [979]{هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ وقال في السجدة [980]{الٓــمٓ} ثم قال[981] {تنزِيلُ الْكِتَـــابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَـــالَمِينَ} وقال في يس [982]{يس} ثم قال [983]{وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ} وقال في ص [984]{وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ} وقال في سورة المؤمن {حٰــمٓ} ثم قال [985]{تَنزِيلُ الْكِتَـــابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}. وقال في فصلت [986]{حٰــمٓ} ثم قال[987]{تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَـــنِ الرَّحِيمِ كِتَـــابٌ فُصِّلَتْ ءَايَـــاتُهُ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} وقال في الشورى[988] {حٰــمٓعٓسٓق} ثم قال[989] {كَذَلِكَ يُوحِى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ} وقال في الزخرف [990]{حٰــمٓ} ثم قال [991]{وَالْكِتَـــابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَـــاهُ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً} وقال في الدخان [992]{حٰــمٓ} ثم قال [993]{وَالْكِتَـــابِ الْمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلْنَـــاهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـــارَكَةٍ} وقال في الجاثية [994]{حٰــمٓ} ثم قال {تنزِيلُ الْكِتَـــابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ إِنَّ فِى السَّمَـــاوَاتِ وَالاَرْضِ لآيَـــاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ} وقال في الأحقاف [995]{حٰــمٓ} ثم قال: [996]{تنزِيلُ الْكِتَـــابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَـــاوَاتِ وَالأٌّرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِالْحَقِّ}. وقال في سورة ق {ق} ثم قال [997]{وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ}.

{أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ} (هود:2)

ونظير هذا المعنى قوله تعالى في سورة الأنبياء: [998]{قُلْ إِنَّمَآ يُوحَى إِلَى أَنَّمَآ إِلَـــهُكُمْ إِلَـــهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ} والآيات الدالة على أن إرسال الرسل، وانزال الكتب لأجل أن يعبد الله وحده كثيرة جداً، كقوله: [999]{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ

[978] لقمان 2
[979] لقمان 3
[980] السجدة 1
[981] السجدة 2
[982] يسن 1
[983] يسن 2
[984] ص 1
[985] المئمنون 2
[986] حم 1
[987] فصلت 23
[988] الشوراى 1–2
[989] الشوراى 3
[990] الزخرف 1
[991] الزخرف 2–3
[992] الدخان 1
[993] الدخان 2–3
[994] الجاثية 1
[995] الاحقاف 1
[996] الاحقاف 2–3
[997] سورة ق 1
[998] الانبياء 108
[999] النمل 36

اعْبُدُواْ اللہ وَاجْتَنِبُواْ الْطَّـاغُوتَ}، وقوله: [1000] {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ}، وقوله: [1001] {وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَـانِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} (هود:3)

ويدل لذلك قوله تعالى في هذه السورة الكريمة عن نبيه هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام:[1002] {وَيٰقَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} وقوله تعالى عن نوح: [1003] {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراًيُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مُدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً} وقوله تعالى: [1004] {مَنْ عَمِلَ صَـالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً}، وقوله: [1005] {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـاتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالاٌّرْضِ}. وقوله: [1006] {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَ الإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لاّكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم} وقوله [1007] {وَمَن يَتَّقِ اللہ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاًوَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} (هود:3)

معنى {يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ} يغطون رؤوسهم لأجل كراهتهم استماع كلام الله، وهى كقوله تعالى عن نوح: {وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُواْ أَصَـابِعَهُمْ فِى ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ}. والآيات المبينة لهذا كثيرة جداً، كقوله: [1008] {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} وقوله: {فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ}، وقوله: [1009] {وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الاٌّرْضِ وَلاَ فِى السَّمَآءِ}.

[1000] الانبياء 25
[1001] الزخرف 45
[1002] هود 52
[1003] نوح 10-12
[1004] النمل 97
[1005] الاعراف 96
[1006] المائدة 66
[1007] الطلاق 32
[1008] ق 16
[1009] يونس 61

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} (هود:7)

قال تعالى: [1010]{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَآءَ وَ الأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النَّارِ} وقال تعالى:[1011] {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَتُرْجَعُونَ فَتَعَـالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} وقال [1012]{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}، وقال: [1013]{الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفاً عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (هود:8)

ونظيره قوله تعالى:[1014] {وَقَالَ الَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ}. استعمل لفظ {الأمَّة} في القرآن أربعة استعمالات: الأول: هو ما ذكرنا هنا من استعمال الأمة في البرهة من الزمن. الثاني: استعمالها في الجماعة من الناس، وهو الاستعمال الغالب، كقوله [1015]{وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ}، وقوله: [1016]{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ}، وقوله [1017]{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً}، إلى غير ذلك من الآيات. الثالث: استعمال {الأُمَّة} في الرجل المقتدى به. كقوله: [1018]{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً}. الرابع: استعمال {الأُمَّة} في الشريعة والطريقة. كقوله: [1019]{إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ}، وقوله: [1020]{إِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً}، إلى غير ذلك من الآيات.

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ} (هود:15)

[1010] ص27
[1011] المئمنون 115-116
[1012] الذاريات 56
[1013] الملك 2
[1014] يوسف 45
[1015] ص 32
[1016] يونس 47
[1017] البقرة 213
[1018] صف 120
[1019] الزخرف 22
[1020] الانبياء 92

ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الشورى: [1021] {وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِى الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ} ولكنه تعالى يبين في سورة بني إسرائيل تعليق ذلك على مشيئته جل وعلا بقوله: [1022] {مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَـاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ}

{وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ}

والآيات الدالة على ذلك كثيرة، كقوله تعالى [1023] {وَأُوحِيَ إِلَى هَـذَا الْقُرْءَانُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ}، وقوله: [1024] {تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَـالَمِينَ نَذِيراً}، وقوله: [1025] {وَمَآ أَرْسَلْنَـاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ}. وقوله: [1026] {قُلْ ياأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}.

{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ} (هود:17)

والآيات الموضحة لهذا المعنى كثيرة جداً كقوله [1027] {الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ} وقوله: [1028] {الۤـمۤ تَنزِيلُ الْكِتَـابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَـالَمِينَ} ونحو ذلك من الآيات.

{وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ}

وبين ذلك أيضاً في مواضع كثيرة، كقوله [1029] {وَمَآ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ} وقوله [1030] {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى الأَرْضِ يُضِلُّوكَ}، وقوله: [1031] {وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ}، وقوله: [1032] {إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

[1021] الش 20
[1022] الاسراء 18
[1023] الانعام 19
[1024] الفرقان 1
[1025] سبأ 28
[1026] الاعراف 158
[1027] البقرة 1–2
[1028] التوبة 1–2
[1029] يوسف 103
[1030] الانعام 116
[1031] الصافات 71
[1032] الشعراء 8

{يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ}

كما أوضحه تعالى بقوله: [1033]{الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ زِدْنَـاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ}. وهو قوله في الأعراف [1034]{حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولَـاهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ}.

{أُولَـئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ} (هود:20)

في هذه الآية الكريمة للعلماء أوجه، بعضها يشهد له القرآن: الأول ـــ أن معنى {مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ} ـــ أنهم لا يستطيعون أن يسمعوا الحق سماع منتفع، ولا أن يبصروه إبصار مهتد، ويدل عليههذا قوله تعالى: [1035]{وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَـاراً وَأَفْئِدَةً فَمَآ أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَـارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُمْ مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُواْ يَجْحَدُونَ بِأايَـاتِ اللّهِ}. الثاني ـــ أن عدم الاستطاعة المذكور في الآية إنما هو للختم الذي ختم الله على قلوبهم وأسماعهم، ويشهد لهذا القول قوله تعالى: [1036]{خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَـارِهِمْ غِشَـاوَةٌ}، وقوله:[1037] {إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِى ءَاذَانِهِمْ وَقْراً} ونحو ذلك من من الآيات. كما دلت عليه آيات كثيرة كقوله: [1038]{بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} وقوله [1039]{فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} وقوله [1040]{فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا}. وقوله: [1041]{وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ} وقوله [1042]{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} ـــ إلى غير ذلك من الآيات. الثالث ـــ أن المعنى ما كانوا يستطيعون السمع أي لشدة كراهيتهم لكلام الرسل ويشهد لهذا القول قوله تعالى: [1043]{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَـاتُنَا بَيِّنَـاتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمُنْكَرَ يَكَـادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـاتُنَا} وقوله تعالى [1044]{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـذَا الْقُرْءَانِ} وقوله [1045]{وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُواْ أَصَـابِعَهُمْ فِى ءَاذَانِهِمْ}. الرابع: أن قوله {مَا

[1033] النمل 88
[1034] الاعراف 34
[1035] الاحقاف 26
[1036] البقرة 7
[1037] الكهف 75
[1038] النساء 155
[1039] الصف 5
[1040] البقرة 10
[1041] التوبة 125
[1042] الانعام 110
[1043] الحج 27
[1044] فصلت 26
[1045] نوح 7

كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ} من صفة الأصنام التي اتخذوها أولياء من دون الله، ويشهد لمعنى هذا القول قوله تعالى في الأعراف [1046] {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا}، ونحوها من الآيات.

{مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَكَّرُونَ} (هود:24)

وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة: قوله [1047] {وَمَا يَسْتَوِى الأَعْمَى وَالْبَصِيرُوَلاَ الظُّلُمَاتُ وَلاَ النُّورُوَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ وَمَا يَسْتَوِى الأَحْيَآءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى الْقُبُورِإِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ}. وقوله: [1048] {أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى}. وقوله: [1049] {إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ} (هود:27)

وذكر في سورة الشعراء، أن اتباع الأراذل له في زعمهم مانع لهم من اتباعه بقوله [1050] {قَالُواْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ}.

{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ} (هود:28)

وهذا المعنى صرح به جل وعلا عن نوح أيضاً في هذه السورة الكريمة بقوله: [1051] {وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِى إِنْ أَرَدْتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ}.

[1046] الاعرف 195
[1047] فاطر 19-23
[1048] الرعد 19
[1049] النمل 80
[1050] الشعراء 111
[1051] هود 34

{وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ} (هود:29)

وبين في آيات كثيرة: كقوله في سبأ عن نبينا صلى الله عليه وسلم :[1052] {قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّن أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى اللهِ}. وقوله فيه أيضاً في آخر سورة ص: [1053] {قُلْ مَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَآ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}. وقوله في الطور والقلم [1054] {أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ}. وقوله في الفرقان [1055] {قُلْ مَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً}. وقوله في الأنعام: [1056] {قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَـالَمِينَ}. وقوله عن هود في سورة هود: [1057] {ياقَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى الَّذِى فَطَرَنِى}. وقوله في الشعراء عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام: [1058] {وَمَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَـالَمِينَ}. وقوله تعالى عن رسل القرية المذكورة في يس {اتَّبِعُواْ الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُواْ مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً}.

{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} (هود:40)

ولم يبين هنا من سبق عليه القول منهم، ولكنه بين بعد هذا [1059] {وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يابُنَىَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَـافِرِينَ} ــ إلى قوله ــ [1060] {وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ} وقال فيه أيضاً: [1061] {قَالَ يانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَـالِحٍ} وقال في امرأته: [1062] {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَتَ نُوحٍ} ــ إلى قوله [1063] {الدَّاخِلِينَ}.

[1052] سبأ 47
[1053] ص 86
[1054] الطور 40
[1055] الفرقان 57
[1056] الانعام 90
[1057] هود 51
[1058] الشعراء 109
[1059] هود 42
[1060] هود 43
[1061] هود 46
[1062] التحريم 10
[1063] التحريم 10

{وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (هود:41)

وذلك في قوله:[1064] {فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِى نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّـالِمِينَ} {وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ}. وبين في سورة الزخرف ما ينبغي أن يقال عند ركوب السفن وغيرها بقوله [1065]{وَالَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَـامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُواْ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَـانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّآ إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ}.

{وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ} (هود:42)

كقوله: [1066]{إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَآءُ حَمَلْنَـاكُمْ فِى الْجَارِيَةِ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ} وقوله: [1067]{فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ السَّمَآءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى المَآءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ وَلَقَدْ تَّرَكْنَـاهَا ءايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}.

{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} (هود:58)

لم يبين هنا أمره الذي جاء الذي نجى منه هوداً والذين آمنوا معه عند مجيئه. ولكنه بين في مواضع أخر: أنه الإهلاك المستأصل بالريح العقيم. التي أهلكهم الله بها فقطع دابرهم. كقوله: [1068]{وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ}. وقوله: [1069]{وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً}. وقوله: [1070]{إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ تنزِعِ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ}. وقوله: [1071]{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْىِ}.

[1064] المومنون 29
[1065] الذاريات29
[1066] الحاقة 11-12
[1067] القمر 11-15
[1068] الذاريات 41-42
[1069] الحاقة 6-7
[1070] القمر 19-20
[1071] فصلت 16

{فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} (هود:66)

وبين هذا الأمر الذي جاء بقوله: [1072]{وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَارِهِمْ جَـاثِمِينَ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ} ونحوها من الآيات.

{وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} (هود:69)

لم يبين هنا ما المراد بهذه البشرى ولكنه أشار اليه في قوله: [1073]{وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَـاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـاقَ يَعْقُوبَ} كما يدل لذلك قوله: [1074]{وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَـاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّـالِحِينَ}. وقوله: [1075]{قَالُواْ لاَ تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلَيمٍ} وقوله: [1076]{قَالُواْ لاَ تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ}

{وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} (هود:69)

وبين في الذاريات تفصيل ذلك في قوله: [1077]{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً}.

{قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ} (هود:72)

بين ما فعلت في الذاريات بقوله [1078]{فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ}

[1072] هود 67–68
[1073] هود 71
[1074] الصفات 112
[1075] الذاريات 28
[1076] الحجر 53
[1077] الذاريات 24–28
[1078] الذاريات 29

{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ} (هود:74)

أشار إلي هذا الجدل في العنكبوت بقوله [1079] {قَالُواْ إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَالِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ}. ونظير ذلك قوله [1080] {فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ}.

{يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ} (هود:76)

كقوله في هذه السورة الكريمة [1081] {فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}. وقوله في الحجر [1082] {فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ}. وقوله [1083] {وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِى أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ}. وقوله [1084] {ثُمَّ دَمَّرْنَا الأٌّخَرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَسَآءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ}. [1085] وقوله {لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} (هود: 77)

فمن ذلك قوله هنا [1086] {وَجَآءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ ياقَوْمِ هَـؤُلاءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِى ضَيْفِى أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ}. وقوله في الحجر: [1087] {وَجَآءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ قَالَ إِنَّ هَـؤُلآءِ ضَيْفِى فَلاَ تَفْضَحُونِ وَاتَّقُواْ اللهَ وَلاَ تُخْزُونِ قَالُواْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ قَالَ هَـؤُلآءِ بَنَاتِى إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ}.

[1079] العنكبوت 31–32
[1080] الذاريات 35–36
[1081] هود 78–79
[1082] الحجر 47–57
[1083] الفرقان 40
[1084] الشعراء 40
[1085] الذاريات 33–34
[1086] هود 78–79
[1087] الحجر 67–72

{قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} (هود:80)

وذلك في قوله:[1088] {وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى}

{قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ} (هود:81)

بين في القمر أن ذلك من آخر الليل ، وذلك في قوله: [1089] : {إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَـــاهُم بِسَحَرٍ} . أمره أن يكون من ورائهم وهم أمامه وبين ذلك في الحجر بقوله: [1090] {فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَـــارَهُمْ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَد وَامْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ} .

{مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} (هود:83)

هناك وجهان للتفسير يشهد لكل واحد منهما قرآن فالأول منهما: أن ديار قوم لوط ليست ببعيدة من الكفار المكذبين لنبينا. فكان عليهم أن يعتبروا بما وقع لأهلها إذا مروا عليهاوالآيات الدالة على هذا كثيرة جداً. كقوله: [1091] {وَإِنَّكُمْ لَّتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ وَبِالَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} ، وقوله:[1092] {وَإِنَّهَا لَبِسَبِيل مُّقِيم إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ} ، وقوله: [1093] {وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِين يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ} وقوله:[1094] {وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْم يَعْقِلُونَ} إلى غير ذلك من الآيات. الوجه الثاني ـــ أن المعنى: وما تلك الحجارة التي أمطرت على قوم لوط ببعيد من الظالمين للفاعلين مثل فعلهم، فهو تهديد لمشركي العرب ومن الآيات الدالة على هذا الوجه قوله تعالى:[1095] {أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الاَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـــاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَـــافِرِينَ أَمْثَـــالُهَا}

[1088] القمر 37

[1089] القمر 37

[1090] الحجر 65

[1091] الصافات 137 –138

[1092] الحجر 76 –77

[1093] الذاريات 37

[1094] العنكبوت 35

[1095] محمد 10

{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْأِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (هود:88)

كقوله:[1096] {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ}. وقوله: [1097] {كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لاَ تَفْعَلُونَ}.

{قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيراً مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفاً وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} (هود:91)

كقوله في صالح وقومه:[1098] {قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ}.

[1096] البقرة 44

[1097] الصف 3

[1098] النمل 49

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة يوسف

{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ} (يوسف:4)

بينه في هذه السورة الكريمة في قوله: [1099] {فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَآءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَاأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا}.

{وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} (يوسف:21)

وصرح بذلك أيضاً في قوله: [1100] {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ}. وقوله: [1101] {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ}. واختلف العلماء في المراد بتأويل الأحاديث. فذهب جماعة من أهل العلم إلى أن المراد بذلك: تعبير الرؤيا، ويدل لهذا الوجه الآيات الدالة على خبرت سيدنا يوسف بتأويل الرؤيا، كقوله: [1102] {ياصَاحِبَىِ السِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِىَ الأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} وقوله: [1103] {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعُ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنبُلِهِ} إلى قوله: [1104] {يَعْصِرُونَ}. وقال بعض العلماء: المراد بتأويل الأحاديث معرفة معاني كتب الله وسنن الأنبياء، وسميت أحاديث، لأنها يحدث بها عن الله ورسله، قوله تعالى: [1105] {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}. وقوله: [1106] {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ}. ويدل لهذا الوجه قوله تعالى: [1107] {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا} وقوله: [1108] {قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّى}.

[1099] يوسف 99– 100

[1100] يوسف 21

[1101] يوسف 101

[1102] يوسف 41

[1103] يوسف 47

[1104] يوسف 49

[1105] الاعراف 185

[1106] الزمر 23

{فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} (يوسف:15)

صرح في هذه السورة الكريمة بأنه جل وعلا أنجز ذلك الوعد في قوله: {قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ}. وصرح بعدم شعورهم بأنه يوسف في قوله: {وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ}.

{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} (يوسف:24)

حزم يوسف بأنه بريء من تلك المعصية فذكره تعالى في قوله: {هِىَ رَاوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى} وقوله: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِى إِلَيْهِ}.وأما اعتراف المرأة بذلك ففي قولها للنسوة: {وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاستَعْصَمَ} وقولها: { **ألآنَ** حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ}. وأما اعتراف زوج المرأة ففي قوله: {قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِى لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ}.وأما اعتراف الشهود بذلك ففي قوله: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ}. وأما شهادة الله جل وعلا ببراءته ففي قوله: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}. وأما إقرار إبليس بطهارة يوسف ونزاهته ففي قوله تعالى: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}

{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ} (يوسف:102)

وذلك في قوله: {فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَابَةِ الْجُبِّ} إلى قوله {وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}.

{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} (يوسف:106)

[1107] يوسف 22
[1108] يوسف 37

كقوله: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَٱلا َرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ}، وكقوله:{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}، وقوله:{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَٱلا َرْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ}، وقوله: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَٱلا َرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ}، وقوله: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلا َرْضِ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ}، وقوله: {قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (يوسف:111)

كقوله في قوم لوط:[1109] {وَإِنَّكُمْ لَّتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ وَبِالَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}، كما تقدمت الإشارة إليه مراراً.

[1109] الصافات 138

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الرعد

{اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰوَات بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمّىً يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} (الرعد:2)

ونظير هذه الآية قوله أيضاً في أول سورة «لقمان»: [1110]{خَلَقَ السَّمٰوَات بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيد بِكُمْ}

[1110] لقمان 10

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ} (الرعد:6)

وقد بين هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله:[1111] {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ}، وكقوله:[1112] {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ}، وكقوله:[1113] {يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَـافِرِينَ}، وقوله: [1114] {سَأَلَ سَآئِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِّلْكَـافِرِينَ}، وقوله: {وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ}. وقوله:[1115] {يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ}، وقوله: [1116] {وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ} إلى غير ذلك من الآيات. وسبب طلبهم لتعجيل العذاب هو العناد، كما قال تعالى: [1117] {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ}، وكقوله: [1118] {فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَاصَـالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}، وقوله:[1119] {قَالُواْ يانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـادِقِينَ}

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ} (الرعد:6)

[1111] الحج 47
[1112] العنكبوت 53
[1113] العنكبوت 54
[1114] المعارج 2
[1115] الشورى 18
[1116] ص 16
[1117] هود 8
[1118] الاعراف 77
[1119] هود 32

كقوله تعالى:[1120] {فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ}، وقوله: [1121]{إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}، وقوله جلا وعلا: [1122]{نَبِّىءْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الأٌّلِيمُ}، وقوله: {غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ}. إلى غير ذلك من الآيات.

{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} (الرعد:7)

كقوله: {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَـكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ}، وقوله:[1123] {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} ونحو ذلك من الآيات.

{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} (الرعد:7)

والمراد بالهادي الرسول، كما يدل له قوله تعالى: [1124]{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ}. وقوله: [1125]{وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ}، وقوله: [1126]{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً}.

{اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} (الرعد:8)

وقد دلت على هذا المعنى آيات من كتاب الله، كقوله: [1127]{وَيَعْلَمُ مَا فِى الأٌّرْحَامِ}. وكقوله:[1128] {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأٌّرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـاتِكُمْ}، وقوله: [1129]{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأٌّرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ}. ويحتمل أيضاً: يعلم حمل كل انثى بالمعنى المصدري، وقد جاءت آيات تدل أيضاً على هذا المعنى، كقوله: [1130]{وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِى كِتَـابٍ}، وقوله: [1131]{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ}.

[1120] الانعام 147
[1121] الانعام 165
[1122] الحجر 49-50
[1123] الرعد 40
[1124] يونس 47
[1125] فاطر 24
[1126] النحل 37
[1127] لقمان 34
[1128] النجم 32
[1129] ال عمران 6
[1130] فاطر 11
[1131] فصلت 47

{سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ} (الرعد:10)

وقد أوضح هذا المعنى في آيات أخر كقوله: [1132] {وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُواْ بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِأَلاَيَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} وقوله: [1133] {وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} وقوله: [1134] {أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَايُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} وقوله: [1135] {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} ـــ إلى غير ذلك من الآيات.

{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ} (الرعد:11)

وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله: [1136] {ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}. وقوله: [1137] {وَمَآ أَصَـــابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ}. وقد بين في هذه الآية أيضاً: أنه إذا أراد قوماً بسوء فلا مرد له، وبين ذلك أيضاً في مواضع أخر كقوله: [1138] {وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} ونحوها من الآيات.

{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ} (الرعد:12)

وذلك في قوله: [1139] {وَمِنْ ءايَـــاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً}.

{وَلِلهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} (الرعد: 15)

[1132] الملك 13–14

[1133] طه 7

[1134] هود 5

[1135] ق 16

[1136] الانفال 53

[1137] الشورى 30

[1138] الاعراف 147

[1139] الروم 24

وذكر أيضاً سجود الظلال، وسجود أهل السموات والأرض في قوله [1140] {أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَـــالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لله وَهُمْ وَلله يَسْجُدُ مَا فِى السَّمٰوَات وَمَافِى الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلَـــائِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ} إلى قوله {يُؤْمَرُونَ}والكفار يسجدون كرهاً أعني المنافقين لأنهم كفار في الباطن ولايسجدون لله إلا كرهاً كما قال تعالى: [1141]{وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلَوةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ} وقال تعالى: [1142]{وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـــاتُهُمْ إِلاَ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِالله وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلَوةَ إِلاَّ وَهُم كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَـــارِهُونَ} والدليل على أن سجود أهل السموات والأرض من العام المخصوص، قوله تعالى في سورة الحج: [1143]{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِى السَّمٰوَات وَمَن فِى الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ}.

{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلا ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لله شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (الرعد:16)

ويبين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله: {يَـــأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ} وقوله {وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لاَّ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ} وقوله {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ} وقوله {هَـــذَا خَلْقُ الله فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ} (الرعد:27)

وبين هذ المعنى في مواضع متعددة كقوله [1144] {فَلْيَأْتِنَا بِأَيَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ الأَوَّلُونَ} إلى غير ذلك من الآيات وبين تعالى في موضع آخر أن في القرآن العظيم كفاية عن جميع الآيات في قوله: [1145] {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ} وبين في

[1140] النمل 49
[1141] النساء 142
[1142] التوبة 54
[1143] الحج 18
[1144] الانبياء 5
[1145] العنكبوت 51

موضع آخر حكمة عدم إنزال آية كناقة صالح ونحوها بقوله[1146] {وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالآَيات ِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ}

{وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ} (الرعد:37)

كما قال تعالى:[1147] {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَّسُولاً} كقوله [1148] {وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَام وَيَمْشُونَ فِى الأَسْوَاقِ} وقوله[1149] {وَمَا جَعَلْنَـــاهُمْ جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ} (الرعد:43)

ويدل عليه قوله تعالى [1150] {شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَــٰهِ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ} وقوله [1151] {فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ} وقوله [1152] {فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُم لاَ تَعْلَمُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

[1146] **الاسراء 59**
[1147] **الاسراء 94**
[1148] **الفرقان 20**
[1149] **الانبياء 8**
[1150] **ال عمران 18**
[1151] **يونس 94**
[1152] **النحل 43**

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة ابراهيم

{الٓر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (ابراهيم:1)

أوضح هذا المعنى في آيات أخر كقوله [1153]{هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰعَبْدِهِ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ} وقوله [1154]{اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ} إلى غير ذلك من الآيات.

{بِإِذْنِ رَبِّهِمْ}

أوضح ذلك في آيات أخر كقوله: [1155]{وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ} وقوله: [1156]{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (ابراهيم:4)

بين في مواضع أخر أن نبينا صلى الله عليه وسلم أرسل جميع الخلائق دون اختصاص بقومه ولا بغيرهم كقوله تعالى: [1157] {قُلْ يآ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} وقوله: [1158] {تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيراً} وقوله: [1159] {وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ} إلى غير ذلك من الآيات

{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} (ابراهيم:9)

[1153] الحديد 9
[1154] البقرة 257
[1155] النساء 64
[1156] يونس 100
[1157] الاعراف 158
[1158] الفرقان 1
[1159] سبأ 28

معناها أن أولئك الكفار جعلوا أيدي أنفسهم في أفواههم واستدل له بقوله تعالى [1160]{وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} وقيل ان معنى الآية أنهم ردوا على الرسل قولهم وكذبوهم بأفواههم وهو قوله تعالى: [1161]{وَقَالُو اْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ}.

{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ} (ابراهيم:9)

كقول قوم صالح له. [1162]{أَتَنْهَانَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءابَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ} وصرحوا بالكفر به في قوله: [1163]{قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُو اْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُو اْ إِنَّا بِأَلَّذِى ءَامَنتُمْ بِهِ كَـافِرُونَ}

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ} (ابراهيم:13)

كقوله من قوم شعيب [1164]{لَنُخْرِجَنَّكَ يـاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ امَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـارِهِينَ قَدِافْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُمْ} وقوله عن قوم لوط[1165] {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُو اْ أَخْرِجُو اْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} وقوله عن مشركي قريش [1166]{وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلا فَكَ إِلاَّ قَلِيلاً} وقوله: [1167]{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَ اللهُ خَيْرُ الْمَـاكِرِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ} (ابراهيم:13)

[1160] العمران 119
[1161] ابراهيم 9
[1162] هود 62
[1163] الاعارف 75-76
[1164] الاعراف 88- 89
[1165] النمل 56
[1166] الاسراء 76
[1167] الانفال 30

وبين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله:[1168] {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَإِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَوَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَـالِبُونَ} وقوله: [1169]{كَتَبَ اللهُ لاَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِى إِنَّ اللهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ} وقوله [1170]{إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى الْحَيَوةِ الدُّنْيَا}. وقوله: [1171]{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُواْ بِاللهِ وَا صْبِرُو اْ إِنَّ الأَرْضَ للَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ الْعَـاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} وقوله: [1172]{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـارِقَ الاٌّرْضِ وَمَغَـارِبَهَا الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا} إلى غير ذلك من الآيات .

{وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} (ابراهيم:15)

أشار إلى معنى خيبته وبعض صفاته القبيحة في قوله في سورة «ق » [1173] {أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍمَّنَّـاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهاً ءَاخَرَ فَأَلْقِيَـاهُ فِى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ}

{مِنْ وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ} (ابراهيم:16)

وراء بمعنى إمام فمنه في القرآن قوله تعالى:[1174] {وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً}.

{مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ} (ابراهيم:18)

وضرب أمثالاً أخر في آيات أخر لأعمال الكفار بهذا المعنى كقوله: [1175]{وَ الَّذِينَ كَفَرُو اْ أَعْمَـالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَآءً حَتَّى إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً} وقوله[1176] {مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِى هَذِهِ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُو اْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ} وقوله [1177]{يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَ الاٌّذَى كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الاٌّخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَه صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَ اللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَـافِرِينَ} وقوله:[1178] {وَقَدِمْنَآ إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مَّنْثُوراً} إلى غير ذلك من الآيات. وبين في موضع

[1168] الصافات 171– 173

[1169] المجادلة 21

[1170] غافر 51

[1171] الاعراف 137

[1172] الاعراف 137

[1173] سورة ق 24–26

[1174] الكهف 79

[1175] النور 39

[1176] ال عمران 117

[1177] البقرة 264

[1178] الفرقان 23

آخر أن الحكمة في ضربه للأمثال أن يتفكر الناس فيها فيفهموا الشيء بنظرة وهو قوله:[1179] {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} ونظيره قوله [1180]{وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} وبين في موضع آخر أن الأمثال لا يعقلها إلا أهل العلم وهو قوله تعالى: [1181]{وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ} وبين في موضع آخر أن المثل المضروب بجعله الله سبب هداية لقوم فهموه وسبب ضلال لقوم لم يفهموا حكمته وهو قوله: [1182]{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ} وبين في موضع آخر أنه تعالى لا يستحي أن يضرب مثلاً ما ولو كان المثل المضروب بعوضة فما فوقها قيل فما هو أصغر منها لأنه يفوقها في الصغر وقيل فما فوقها أي فما هو أكبر منها هو قوله: [1183]{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} ولذلك ضرب المثل بالعنكبوت في قوله [1184]{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} وضربه بالحمار في قوله [1185]{كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً} وضربه. بالكلب في قوله {وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث} إلى غير ذلك والعلم عند الله تعالى.

{وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ} (ابراهيم: 21)

كقوله: [1186]{وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِّنَ النَّارِ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ}

{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (ابراهيم:22)

وبين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله في وعد الله[1187] {وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً} وقوله: [1188]{إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} وقوله في وعد الشيطان [1189]{يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً} ونحو ذلك من الآيات.

[1179] الحشر 21

[1180] ابراهيم 25

[1181] العنكبوت 43

[1182] البقرة 26

[1183] البقرة 26

[1184] العنكبوت 41

[1185] الجمعة 5

[1186] غافر 47-48

{وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ} (ابراهيم:23)

قال في تحية الملآئكة لهم: [1190]{وَ الملآئكةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍسَلا مٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ} وقال:[1191] {وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ} وقال: [1192]{وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً} وقال في تحية بعضهم بعضاً: [1193]{دَعْوَ اهُمْ فِيهَا سُبْحَـــانَكَ اللهُ مَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ}

{جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ} (ابراهيم:29)

وبين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله: [1194]{قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـــابِ النَّارِ} وقوله: [1195]{نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} وقوله [1196]{مَتَـــاعٌ فِى الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ} وقوله: [1197]{لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِين كَفَرُواْ فِى الْبِلَادِمَتَـــاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} إلى ذلك من الآيات.

{قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ} (ابراهيم:31)

وبين هذا المعنى في آيات كثيرة كقوله:[1198] {يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُو اْ أَنفِقُواْمِمَّا رَزَقْنَـــاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَشَفَـــاعَةٌ}. وقوله: [1199]{فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ} وقوله: [1200]{وَ اتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا}. ونحو ذلك من الآيات

[1187] النساء 122
[1188] ال عمران 9
[1189] النساء 120
[1190] الدعد 23–34
[1191] الزمر 73
[1192] الفرقان 75
[1193] يونس 10
[1194] الزمر 8
[1195] لقمان 24
[1196] يونس 70
[1197] ال عمران 196–197
[1198] البقرة 254
[1199] الحديد 15
[1200] البقرة 123

{وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} (ابراهيم:34)

بين في مواضع أخر أنه أجاب دعائه في بعض ذريته دون بعض كقوله: [1201]{وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَـالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ} وقوله: {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَـاقِيَةً فِى عَقِبِهِ}.

{رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (ابراهيم:36)

ذكر نحو هذا عن عيسى ابن مريم في قوله: [1202]{إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِر لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} وذكر عن نوح إنه قال: [1203] {رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الاٌّرْضِ مِنَ الْكَـافِرِينَ دَيَّاراً} إلى قوله: {فَاجِراً كَفَّاراً} وقال عن موسى إنه قال: [1204]{رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ الْعَذَابَ الاٌّلِيمَ}

{رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ} (ابراهيم:37)

وبين في سورة البقرة أن إبراهيم خص بهذا الدعاء المؤمنين منهم، وذلك بقوله: [1205]{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِاللهِ وَ الْيَوْمِ الاٌّخِرِ قَالَ وَمَن كَفَر فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً}.

{رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} (ابراهيم:41)

إبراهيم طلب المغفرة لوالديه وبين في آيات أخر أن طلبه الغفران لأبيه إنما كان قبل أن يعلم أنه عدو لله فلما علم ذلك تبرأ منه كقوله: [1206] {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لاًّبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ} ونحو ذلك من الآيات.

{وَلا تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} (ابراهيم:42)

وأوضح ذلك في قوله تعالى: [1207] {وَ اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَـاخِصَةٌ أَبْصَـارُ الَّذِينَ كَفَرُواْ}.

[1201] الصافات 113
[1202] المائدة 118
[1203] نوح 26
[1204] يونس 88
[1205] البقرة 126
[1206] التوبة 114
[1207] الانبياء 97

{مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ} (ابراهيم:43)

كقوله تعالى: [1208]{يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌمُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ}. وقوله: [1209]{يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍيُوفِضُونَ} وقوله: [1210]{يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ}إلى غير ذلك من الآيات.

{وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ} (ابراهيم:49)

وبين تعالى هذا المعنى في مواضع أخر كقوله:[1211] {وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاًمُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً} ونحو ذلك من الآيات.

{سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ} (ابراهيم:50)

وأوضح ذلك في مواضع أخر كقوله:[1212] {تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـالِحُونَ} وقوله: [1213]{لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَنظُهُورِهِمْ}. إلى غير ذلك من الآيات.

{هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (ابراهيم:52)

وأوضح هذا المعنى في قوله: [1214]{وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَـذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ}

{هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (ابراهيم:52)

بين في هذه الآية الكريمة أن من حكم إنزال القرآن العظيم العلم بأنه تعالى إله واحد، في قوله: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءايَـاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنلَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍأَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللهَ}،أن يتعظ أصحاب العقول في قوله: [1215]{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَـارَكٌ لِّيَدَّبَّرُواْءَايَـاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْلأَلْبَابِ}

[1208] القمر 7-8
[1209] المعارج 43
[1210] ق 44
[1211] الفرقان 13
[1212] الفرقان 13
[1213] الانبياء 39
[1214] الانعام 19
[1215] سورة ص 29

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الحجر

{رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ} (الحجر:2)

كقوله[1216] {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِأايَـاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} وقوله:[1217] {حَتَّى إِذَا جَآءَتْهُمُ السَّاعَة بَغْتَةً قَالُواْ ياحَسْرَتَنَا عَلَىمَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ} وقوله:[1218] {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّـالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يالَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً} إلى غير ذلك من الآيات،

{ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} (الحجر:3)

كقوله {كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ} وقوله:[1219] {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـابِ النَّارِ} وقوله: {فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّى يُلاقُواْ يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ} وقوله[1220] {فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُواْ يَوْمَهُمُ الَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ} (الحجر:6)

كقوله تعالى عن فرعون مع موسى قال:[1221] {إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ} وقوله عن قوم شعيب {إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ}

{لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (الحجر:7)

كقوله عن فرعون مع موسى:[1222] {فَلَوْلاَ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلَـئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ} وقوله:[1223] {وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَـئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُواْ فِى أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً} وقوله: {وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ

[1216] الانعام 27
[1217] الانعام 31
[1218] الفرقان 27
[1219] ابراهيم 30
[1220] الطور 45
[1221] الشعراء 27
[1222] الزخرف 53
[1223] الفرقان 21

مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِىَ الأَمْرُ} وقوله: [1224] {لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً} وقوله [1225] {تَأْتِىَ بِاللهِ وَالْمَلَـٰئِكَةِ قَبِيلاً} إلى غير ذلك من الآيات.

{مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ} (الحجر:8)

ومثل هذا قوله تعالى: [1226] {وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالارْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلا بِالْحَقِّ}

{وَمَا كَانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ} (الحجر:8)

كقوله: [1227] {يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَـٰئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ} وقوله: {وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِىَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ}

{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر:9)

كقوله: [1228] {وَإِنَّهُ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ لاَّ يَأْتِيهِ الْبَـٰطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} وقوله: [1229] {لاَتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ}

{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ} (الحجر:16)

كقوله: [1230] {تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَآءِ بُرُوجاً} وقوله تعالى: [1231] {وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ}

{وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ} (الحجر:16)

كقوله: [1232] {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} وقوله: [1233] {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ}

[1224] الفرقان 7
[1225] الاساء92
[1226] الحجر85
[1227] الفرقان 22
[1228] فصلت 42
[1229] القيامة 16–17
[1230] الفرقان 61
[1231] البروج 1
[1232] الملك 5
[1233] الصافات 6

{وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ} (الحجر:17)

كقوله:[1234] {وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَـانٍ مَّارِدٍ}وقوله: [1235]{وَجَعَلْنَـاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ} وقوله:[1236] {فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً} وقوله: {إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} وقوله: [1237]{إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ} وقوله:[1238] {أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَـانٍ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} (الحجر:22)

لواقح لأنها حوامل تحمل المطر كما قال تعالى [1239]{حَتَّى إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً} كما أن الريح التي لا خير فيها يقال لها عقيم كما قال تعالى: [1240]{وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ} ووصفها في مواضع أخر بأوصاف أخر في قوله: [1241]{وَمِنْ ءَايَـاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَـاحَ مُبَشِّرَاتٍ} وقوله:[1242] {وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرىً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ} كقوله: [1243]{اللَّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَـاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً}

[1234] الصافات 7
[1235] الملك 5
[1236] الجن 9
[1237] الشعراء 212
[1238] الطور 38
[1239] الاعراف 57
[1240] الذاريات 41
[1241] الروم 46
[1242] الاعراف 57
[1243] الروم 48

{فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} (الحجر:22)

كقوله [1244]{أَفَرَءَيْتُمُ الْمَآءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ أَءَنتُمْ أَنزلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ}وقوله:[1245]{هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً لَّكُم مَّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ} وقوله [1246]{وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهِ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـامـاً وَأَنَاسِىَّ كَثِيراً} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} (الحجر:22)

فيه للعلماء وجهان كلاهما يشهد له قرآن الأول:ليست خزائنه عندكم بل نحن الخازنون له كقوله [1247]{وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ}وقوله: [1248]{وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضِ} ونحو ذلك من الآيات،الوجه الثاني:بعد أن أنزلناه عليكم لا تقدرون على حفظه في الآبار والعيون والغدران ويدل لهذا الوجه قوله تعالى [1249]{وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِى الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَـادِرُونَ} وقوله:[1250] {قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَّعِينٍ} وقوله: {أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا}وقوله: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِى الأَرْضِ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ} (الحجر:23)

وأوضح ذلك في آيات كثيرة كقوله: [1251]{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ} وقوله تعالى:**[1252]**{رَبِّيَ الَّذِى يُحْيِ وَيُمِيتُ} وقوله [1253]{لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّهُوَ يُحْيِ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الأَوَّلِينَ}

[1244] **الواقعة 68– 70**
[1245] **النحل 10–11**
[1246] **الفرقان 48–49**
[1247] **الحجر**
[1248] **المنافقون 7**
[1249] **المئومنون18**
[1250] **الملك 30**
[1251] **ق 43**
[1252] **البقرة 258**
[1253] **الدخان 8**

{وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ} (الحجر:23)

كقوله: [1254]{إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الا َرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} وقوله: [1255]{وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً}

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} (الحجر:26)

بدليل قوله تعالى: [1256]{خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} وأوضح عز وجل في كتابه أطوار هذا الطين فبين أنه أولاً تراب بقوله: [1257]{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ الله كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ}وقوله:[1258]{ياأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ}وقوله:[1259]{هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ}ثم أشار إلى أن ذلك التراب بل فصار طيناً في مواضع أخر كقوله:[1260]{إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ} وقوله [1261]{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ} وقوله: [1262]{وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِن طِينٍ}وبين أن ذلك الطين أسود وأنه متغير بقوله هنا{مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} وبين أيضاً أنه يبس حتى صار صلصالاًوقوله: [1263]{خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ}

[1254] مريم 40
[1255] مريم 80
[1256] الرحمن 14
[1257] ال عمران 59
[1258] الحج 5
[1259] غافر 67
[1260] الصافات 11
[1261] التومنون 12
[1262] السجدة 7
[1263] الرحمن 14

{ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} (الحجر: 31)

كقوله في البقرة: [1264] {إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ} وقوله في ص [1265] {إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}

{قَالَ يَا إِبلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} (الحجر: 32)

قال في الأعراف [1266] {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ} وقال في ص: [1267] {قَالَ يَاإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ}

{قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} (الحجر: 33)

كما يوضحه قوله تعالى: [1268] {قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}

{ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ} (الحجر :34)

كقوله: [1269] {قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ}

{وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ} (الحجر: 35)

كقوله: {وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ}

{قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} (الحجر: 39)

وبيانها في قوله {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ}

[1264] البقرة 34

[1265] ص 73

[1266] الاعراف 12

[1267] ص 75

[1268] الاعراف 12

[1269] الاعراف 13

{قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} (الحجر:39)

كقوله: [1270]{لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـاكِرِينَ} وقوله: [1271]{وَقَالَ لاَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً} وقوله: [1272]{قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـذَا الَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَـامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً}

{إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} (الحجر):40

ونظيره قوله في ص أيضاً [1273]{قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ} وهم المرادون بالاستثناء في قوله في بني إسرائيل [1274]{لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً} وقوله في سبأ [1275]{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ} وبين تعالى في مواضع أخر أن الشيطان لا سلطان له على أولئك المخلصين كقوله [1276]{إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـانٌ} وقوله: [1277]{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَـانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ} وقوله [1278]{وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَـانٍ إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالاٌّخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ} وقوله: [1279]{وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَـانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى}

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} (الحجر:45) {ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ} (الحجر:46)

كقوله في الذاريات: [1280]{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـاتٍ وَعُيُونٍ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَـاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُواْ قَلِيلاً مِّن الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالاٌّسْحَـارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لَّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ} وقوله في الدخان: [1281]{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ فِى جَنَّـاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـابِلِينَ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَـاهُم بِحُورٍ عِينٍ يَدْعُونَ فِيهَا بِكلِّ فَـاكِهَةٍ ءَامِنِينَ} وقوله في الطور: [1282]{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـاتٍ وَنَعِيمٍ فَـكِهِينَ بِمَآ ءَاتَـاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَـاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ كُلُواْ

[1270] الاعراف 13
[1271] النساء 118
[1272] الاسراء 62
[1273] ص 82-84
[1274] الاسراء 62
[1275] سبأ 20
[1276] الحجر 42
[1277] الصف 99-100
[1278] سبأ 21
[1279] ابراهيم 22
[1280] الحجر 15-19
[1281] الدخان 51-57
[1282] الطور 17-20

وَاشْرَبُواْ هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ}وقوله في القمر: [1283] {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ} وقوله في المرسلات: [1284] {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} (الحجر: 47)

في قوله: [1285] {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا}

{ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ} (الحجر: 47)

قال في الواقعة: [1286] {ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ} كقوله: [1287] {مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ}كقوله في الغاشية: [1288] {فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ}وقوله في الواقعة: [1289] {وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ} وقوله: [1290] {مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ} إلى غير ذلك من الآيات

{لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ} (الحجر: 48)

قوله تعالى: [1291] {الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}

{لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ} (الحجر: 48)

كقوله: [1292] {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً}وقوله: [1293] {وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا}وقوله: [1294] {عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}وقوله: [1295] {إِنَّ هَـذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ} إلى غير ذلك من الآيات.

[1283] القمر 54-55
[1284] المرسلات 41-42
[1285] الاعراف 43
[1286] الواقعة 13-16
[1287] الطور 20
[1288] الغاشعة 13
[1289] الواقعة 24
[1290] الرحمن 76
[1291] فاطر 35
[1292] الكهف 107-108
[1293] الكهف 2-3
[1294] هود 108

{وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ} (الحجر:51)

كقوله في هود:[1296] {وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُـــشْرَى قَالُواْ سَلاماً قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ وقوله:[1297] {قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُواْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ} (الحجر:52)

بقوله في هود [1298] {قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ} وقوله في الذاريات: [1299] {قَالَ سلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ} في هود: [1300] {وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ} وقولهفي الذاريات:[1301] {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَتَخَفْ}

{قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ} (الحجر:53)

ونظير ذلك قوله تعالى أيضاً في الذاريات: [1302] {قَالُواْ لاَ تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلَيمٍ} قوله في الذاريات [1303] {وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلَيمٍ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّت وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ قَالُواْ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ قوله تعالى [1304] {وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـــاهَا بِإِسْحَـــاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـــاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ ياوَيْلَتَا ءَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـــذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَـــذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ}

{قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ} (الحجر:54)

وذلك قوله تعالى: [1305] {الْحَمْدُ للهِ الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَـــاعِيلَ وَإِسْحَـــاقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ الدُّعَآءِ}

[1295] ص 54
[1296] هود 69
[1297] الحجر 57– 58
[1298] هود 69
[1299] الذاريات 25–26
[1300] هود 70
[1301] الذاريات 28
[1302] الحجر 28
[1303] الذاريات 28–30
[1304] هود 71–72
[1305] ابراهيم 39

{قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلٰى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ} (الحجر:54)

ومثيله قول زكريا: [1306]{رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ}

{قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ} (الحجر:56)

قوله: [1307]{يابَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ الله إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ الله إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَـافِرُونَ}

[1306] ال عمران 40

[1307] يوسف 87

{قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ} (الحجر:58) {إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ} (الحجر:59)

قوله: [1308]{ إِلاَّ آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ } وقوله : {إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ}قوله: [1309]{قَالُواْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ}قوله تعالى: [1310]{وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَالِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطاً قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا}وقوله: [1311]{وَقَالُواْ لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِّنَ السَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ} وقوله: {إِلاَ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ}قوله: [1312]{قَالُواْ يالُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ الَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ}وقوله في العنكبوت: [1313]{وَقَالُواْ لاَ تَخَفْ وَلاَ تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلاَّ امْرَأَتَكَ} وقوله [1314]{فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} وقوله: [1315]{فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عَجُوزاً فِى الْغَابِرِينَ} وقوله: [1316]{فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ}

{فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ} (الحجر:61) {قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} (الحجر:62)

كقوله في هود: [1317]{وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِىءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَـذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ}وقوله في العنكبوت: [1318]{وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِىءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً}قوله: [1319]{فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً}

{وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ} (الحجر:67)

قوله تعالى: [1320]{إِنَّ هَـؤُلآءِ ضَيْفِى فَلاَ تَفْضَحُونِ} وقوله تعالى: [1321]{وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ} وقوله:[1322] {وَجَآءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ} إلى غير ذلك من الآيات.

[1308] الحجر 59-60
[1309] الذاريات 33
[1310] العنكبوت 31-32
[1311] العنكبوت 33-34
[1312] هود 81
[1313] العنكبوت 33
[1314] الاعراف 83
[1315] الشعراء 170-171
[1316] النمل 57
[1317] هود 77
[1318] العنكبوت 33
[1319] هود 70
[1320] الحجر 68

{وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ} (الحجر:67)

وبين هذا المعنى في مواضع أخر كقوله في العنكبوت: [1323]{وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}وقوله في الذاريات: {وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ}وقوله في الشعراء [1324]{إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ}

{وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ} (الحجر:76)

كقوله: [1325]{وَإِنَّكُمْ لَّتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ وَبِالَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ}وقوله: [1326]{أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَـافِرِينَ أَمْثَـالُهَا} [1327]{وانَّهُمَ لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ} (الحجر:78) {فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ} (الحجر:79)

كقوله في الشعراء [1328]{كَذَّبَ أَصْحَـابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ وَمَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَـالَمِينَ أَوْفُواْ الْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُواْ مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُواْ بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِى الأَرْضِ مُفْسِدِينَ وَ اتَّقُواْ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ قَالُواْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَآ أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَـاذِبِينَ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ السَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـادِقِينَ قَالَ رَبِّى أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ}

{وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ} (الحجر:80)

كقوله: [1329]{كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَـالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ} وقوله: [1330]{فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا} وقوله: [1331]{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ فَقَالُو ابَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّآ إِذاً لَّفِى ضَلاَلٍ وَسُعُرٍ} وقوله: [1332]{فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَاصَـاحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

[1321] القمر 37
[1322] هود 78
[1323] العنكبوت 35
[1324] الشعراء 8
[1325] الصافات 137– 138
[1326] محمد 10
[1327] الحجر 79
[1328] الشعراء 176–190
[1329] الشعراء 141–142

{وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} (الحجر:81)

قوله: [1333]{فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـادِقِين قَالَ هَـذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ} وقوله:[1334] {قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ} وقوله: [1335]{وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً} وقوله: [1336]{إِنَّا مُرْسِلُواْ النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ} وقوله: [1337]{وَياقَوْمِ هَـذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ}إلى غير ذلك من الآيات. وبين إعراض قوم صالح عن تلك الآيات في مواضع كثيرة. كقوله: [1338]{فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَاصَـالِحُ ائْتِنَابِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} وقوله [1339]{فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ} وقوله: [1340]{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَآ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَـاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ نَاقَةَ اللّهِ وَسُقْيَـاهَا فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا} وقوله: [1341]{فَنَادَوْاْ صَـاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ} وقوله: [1342]{وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا} وقوله: [1343]{قَالُواْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ مَآ أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِينَ} (الحجر:82)

كقوله تعالى: [1344]{أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَآ ءَامِنِينَ فِى جَنَّـاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيم وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً فَـارِهِينَ} وقوله تعالى:[1345] {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُواْ ءَالآءَ اللّهِ} وقوله: [1346]{وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُواْ الصَّخْرَ بِالْوَادِ} أي قطعوا الصخر بنحته بيوتاً.

[1330] الشمس 14
[1331] القمر 23-34
[1332] الاعراف 77
[1333] الشعراء 154-155
[1334] الاعراف 73
[1335] الاسراء 59
[1336] القمر 27
[1337] هود 64
[1338] الاعراف 77
[1339] هود 75
[1340] الشمس 11-14
[1341] القمر 29
[1342] الاسراء 59
[1343] الشعراء 153-154
[1344] الشعراء 146-147
[1345] الاعراف 74
[1346] الفجر 9

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} (الحجر:85)

كقوله: [1347]{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَآءَ وَالاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـاطِلاً ذَالِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفرُواْ مِنَ النَّارِ} وقوله[1348] {رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذا بَـاطِلاً سُبْحَـانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}وقوله: [1349]{وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ مَا خَلَقْنَـاهُمَآ إِلاَّ بِالْحَقِّ}، وقوله: [1350]{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ فَتَعَـالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} وقوله: [1351]{وَلله مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الأٌّرْضِ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَاءُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيِجْزِى الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى} وقوله: [1352]{أَيَحْسَبُ الإِنسَـانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَى} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ} (الحجر:85)

بين أن الساعة آتية لا محالة في مواضع كثيرة كقوله: [1353]{إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا} وقوله [1354]{وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لاَّرَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَن فِى الْقُبُورِ}وقوله: [1355]{إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا} وقوله: [1356]{وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وعْدَ الله حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا السَّاعَةُ} وقوله: [1357]{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِس الْمُجْرِمُونَ} وقوله: [1358]{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ} وقوله: [1359]{قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالأٌّرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً} والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً وبين جل وعلا إنكار الكفار لها في مواضع آخر. كقوله: [1360]{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ} وقوله: [1361]{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ} وقوله: [1362]{إِنَّ هَـٰؤُلاَءِ لَيَقُولُونَ إِنْ هِىَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأٍّوْلَى وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ}والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً

[1347] ص 27
[1348] ال عمران 191
[1349] الدخان 38–39
[1350] المئومنون 115–116
[1351] فاطر 31
[1352] القيامة 36–37
[1353] طه 15
[1354] الحج 7
[1355] الحج 1–2
[1356] الجاثية 32
[1357] الروم 12
[1358] الروم 55
[1359] الاعراف 187
[1360] سبأ 3
[1361] التغابن 7
[1362] الدخان 35

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} (الحجر:85)

كقوله: [1363]{فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [1364]{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَـاهِلُونَ قَالُواْ سَلاَماً} وقوله:[1365] {وإذاسَمِعُواْ اللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَـالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِى الْجَـاهِلِينَ} وقوله: [1366]{فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتّٰى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} (الحجر:85)

وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله تعالى: [1367]{قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} وقوله:[1368] {أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} وقوله: [1369]{ثُمَّ اسْتَوٰى إِلَى السَّمَآءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} وقوله: [1370]{اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِّتَعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمَا}

{لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلٰى مَامَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ} (الحجر:88)

كقوله في (طٰه): [1371]{فَاصْبِرْ عَلٰى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآءِ الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلٰى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَـاقِبَةُ لِلتَّقْوَى}

[1363] الزخرف 89

[1364] الفرقان 63

[1365] القصص 55

[1366] البقرة 109

[1367] يسين 79

[1368] الملك 14

[1369] البقرة 29

[1370] الطلاق 12

[1371] طه 130–132

{وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} (الحجر:88)

كقوله: [1372]{وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ} وقوله: [1373]{فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ} وقوله: [1374]{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ} وقوله: [1375]{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً} وقوله: [1376]{وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ مَّآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} (الحجر:88)

كقوله في الشعراء: [1377]{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَالْمُؤْمِنِينَ} وكقوله: [1378]{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى الأَمْرِ} إلى غير ذلك من الآيات

{كَمَآ أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ} (الحجر:90)

في المراد بالمقتسمين أقوال للعلماءو كل واحد منها يشهد له قرآن. الأول ـــ أن المراد بالمقتسمين: الذين يحلفون على تكذيب الرسل ومخالفتهم،ومنالآيات التي ترشد لهذا الوجه قوله تعالى عن قوم صالح: [1379]{قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ} وقوله: [1380]{وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ} وقوله: [1381]{أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَالَكُمْ مِّن زَوَالٍ} وقوله: [1382]{أَهَـؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ} إلى غير ذلك من الآيات. القول الثاني أن المراد بالمقتسمين: اليهود والنصارى. ويدل لهذا القول قوله تعالى: [1383]{أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} وقوله:[1384]{وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ} القول الثالث ـــ أن المراد بالمقتسمين: جماعة من كفار مكة اقتسموا القرآن كقوله تعالى: [1385]{وَمَا هُوَ بِقَوْلِ

[1372] النحل 127
[1373] فاطر 8
[1374] الشعراء 3
[1375] الكهف 6
[1376] المائد 68
[1377] الشعراء 215
[1378] ال عمران 159
[1379] النحل 49
[1380] النحل 38
[1381] ابراهيم 44
[1382] الاعراف 49
[1383] البقرة 23
[1384] النساء 150
[1385] الحاقة 41–42

شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّاتُؤْمِنُونَ وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ} وقوله: {فَقَالَ إِنْ هَـــذَآ إِلاَّ[1386]سِحْرٌ يُؤْثَرُ} وقوله: [1387]{إِنْ هَـــذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ} وقوله: [1388]{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَـــاطِيرُ الأَوَّلِينَ} وقوله:[1389] {وَقَالُواْ أَسَـــاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} إلى غير ذلك من الآيات

{فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ }(الحجر:94)

كقوله [1390]{يَـــأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ}

{وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ }

أنه كان في أول الأمر مأموراً بالإعراض عن المشركين، ثم نسخ ذلك بآيات السيف. ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى:[1391]{اتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لاإِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}وقوله: [1392]{فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ} وقوله: {فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىعَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا} وقوله:[1393]{وَلاَتُطِعِ الْكَـــافِرِينَ وَالْمُنَـــافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ} إلى غير ذلك من الآيات.

{إِنَّا كَفَيْنَـــاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ }(الحجر:95)

وذكر في مواضع أخر أنه كفاه غيرهم. كقوله في أهل الكتاب: [1394]{فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ } وقوله: [1395]{أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ}إلى غير ذلك من الآيات.

[1386] المدثر 24
[1387] ص 7
[1388] النحل 24
[1389] الفرقان 5
[1390] المائدة 67
[1391] الانعام 106
[1392] النجم 29
[1393] الاحزاب 48
[1394] البقرة 137
[1395] الزمر 36

{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ } (الحجر: 97)

كقوله: [1396]{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ }وقوله:[1397] {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُ} وقوله [1398]{فَلَعَلَّكَ بَـاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى ءَاثَـارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً} وقوله:[1399] {لَعَلَّكَ بَـاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِّنَ السَّـاجِدِينَ } (الحجر: 98)

كقوله في الأول: [1400]{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوابًا}،وقوله: [1401]{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا} وقوله:[1402]{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالابْكَارِ} والآيات بمثل ذلك كثيرة

{وَاعْبُدْ رَبَّكَ } (الحجر: 99)

قال تعالى: [1403]{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}،وقال [1404]{فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ}وقال: [1405]{وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً} وقال[1406]{فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِاسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}وقال: [1407]{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ} والآيات في مثل ذلك كثيرة جداً

[1396] الانعام 33
[1397] هود 12
[1398] الكهف 6
[1399] الشعراء 3
[1400] النصر 3
[1401] طه 130
[1402] غافر 55
[1403] هود 123
[1404] مريم 65
[1405] النساء 36
[1406] البقرة 256
[1407] يوسف 106

{حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}(الحجر:99)

قالت جماعة من أهل العلم، منهم سالم بن عبد الله بن عمر، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيدويدل لذلك قوله تعالى: [1408]{قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَآئِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ}

[1408] المدثر 43-47

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النحل

{أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (النحل:1)

كقوله: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ} وقوله جل وعلا: [1409]{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ} وقوله: [1410]{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً} وقوله: [1411]{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ} وقوله جل وعلا: [1412]{أَزِفَتِ الآزِفَةُ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ} إلى غير ذلك من الآيات.

{أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (النحل:1)

كقوله جل وعلا: [1413]{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} وقوله: [1414]{يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشْفِقُونَ مِنْهَا} وقوله: [1415]{وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ} وقوله: [1416]{وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ} وقوله: [1417]{قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} (النحل:2)

معنى الروح في هذه الآية الكريمة: الوحي ويدل لهذا قوله تعالى: [1418]{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ} وقوله: [1419]{رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلاَقِ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} ومما يدل على أن المراد بالروح

[1409] قمر 1
[1410] الاحزاب 63
[1411] الشورى 17
[1412] النجم 57–58
[1413] العنكبوت 53–54
[1414] الشورى 18
[1415] هود 8
[1416] ص 16
[1417] يونس 50
[1418] الشورى 52
[1419] غافر 15–16

الوحي إتيانه بعد قوله:[1420] {يُنَزِّلُ الْمَلَـئِكَةَ بِالْرُّوحِ}[1421] بقوله: {أَنْ أَنْذِرُواْ} لأن الإنذار إنما يكون بالوحي، بدليل قوله: [1422]{قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ}

{يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} (النحل:2)

كما بينه تعالى بقوله: [1423]{اللهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلَـئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ} وقوله: [1424]{اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} وقوله: [1425]{يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ} وقوله: [1426]{بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ}

{يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ} (النحل:2)

كقوله: [1427] {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} وقوله: [1428]{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّـاغُوتَ} وقوله [1429]{وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَـنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ} وقوله: [1430]{قُلْ إِنَّمَا يُوحَي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (النحل:3)

كقوله: [1431]{يَـأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِىْ خَلَقَكُمْ} وقوله: [1432]{أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} وقوله: [1433]{أَمْ جَعَلُواْ للهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِم قُلِ اللهُ خَـالِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّـارُ}،

[1420] النحل2
[1421] النحل 2
[1422]
[1423] الحج 75
[1424] الانعام 124
[1425] غافر 15
[1426] البقرة 90
[1427] الانبياء 25
[1428] النحل 36
[1429] الزخرف 45
[1430] الانبياء 108
[1431] البقرة 21

وقوله: [1434] {تبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَـالَمِينَ نَذِيراً الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالارْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى المُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ ءالِهَةً لاَّ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرّاً وَلاَ نَفعاً وَلاَ يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلاَ حَيَـوةً وَلاَ نُشُوراً} وقوله جل وعلا: [1435] {هَـذَا خَلْقُ ٱللهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّـالِمُونَ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ}، وقوله: [1436] {قُلْ أَرَءيْتُمْ شُرَكَاءكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الارْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمَـاوَات وقوله: [1437] {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الارْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمٰوَاتِ ايتُونِى بِكِتَـابٍ مِّن قَبْلِ هَـذَآ أَوْ أَثَـارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـادِقِينَ} وقوله جل وعلا: [1438] {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ} وقوله تعالى: [1439] {ياأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ} وقوله: [1440] {أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ الْخَـالِقُونَ أَمْ خَلَقُواْ السَّمٰوَاتِ وَالارْضِ} وقوله: [1441] {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ} إلى غير ذلك من الآيات.

{خَلَقَ الْأِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} (النحل:4)

نطفة، وهي مني الرجل ومني المرأة. بدليل قوله تعالى: [1442] {إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَـانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ} وذلك في قوله جل وعلا: [1443] {فَلْيَنظُرِ الإِنسَـانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ}

{وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} (النحل:5)

ويدل لهذا قوله تعالى: [1444] {وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّن جُلُودِ الانْعَـامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَـامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـاثاً وَمَتَـاعاً إِلَى حِينٍ} كقوله: [1445] {وَإِنَّ لَكُمْ فِى الانْعَـامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُمْ مِّمَّا

[1432] الانعام 17
[1433] الرعد 16
[1434] الفرقان 1–2
[1435] لقان 11
[1436] فاطر 40
[1437] الاحقاف 4
[1438] الاعراف 191
[1439] الحج 73
[1440] الطور 35–36
[1441] النحل 20–21
[1442] الانسان 2
[1443] الطارق 5–7
[1444] النحل 80
[1445] المؤمنون 21–22

فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـــافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ} وقوله: [1446]{اللهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَـــامَ لِتَرْكَــبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـــافِعُ وَلِتَــبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ وَيُرِيكُمْ ءَايَــاتِهِ فَأَىَّ ءَايَــاتِ اللهِ تُنكِرُونَ}، وقوله: [1447]{أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعــاماً فَهُمْ لَهَا مَــالِكُونَ وَذَلَّلْنَــاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـــافِعُ وَمَشَـــارِبُ } وقوله: [1448]{وَالَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَــامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُواْ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَــانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَــذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّآ إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ} وقوله: {وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ الأَنْعَــامِ ثَمَــانِيَةَ أَزْوَاجٍ} إلى غيرذلك من الآيات.

{وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ} (النحل:8)

وذلك في قوله[1449] {سُبْحَــانَ الَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ}

[1446] غافر 79–81
[1447] يسين 71–73
[1448] الزخرف 12–14
[1449] يسين 37

{وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} (النحل:9)

أى أن طريق الحق التي هي قصد السبيل على الله، أي موصلة إليه، وأن من الطريق جائر لا يصل إلى الله، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: [1450] {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} وقوله: [1451] {وَأَنِ اعْبُدُونِى هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ}

{وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} (النحل:9)

كقوله: [1452] {وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَـاهِلِينَ} وقوله: [1453] { وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا} وقوله: [1454] {وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ} وقوله: [1455] {وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِى الاَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا} وقوله: [1456] {وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً} إلى غير ذلك من الآيات.

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ} (النحل:10)
{يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (النحل:11)

كقوله: [1457] {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ الْمَآءَ إِلَى الاَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ} وقوله: [1458] {الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الاَرْضِ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَـاتٍ شَتَّىكُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَـامَكُمْ إِنَّ فِى ذلِكَ لأيَـاتٍ لأُوْلِى النُّهَى} وقوله: [1459] {وَالاَرْضِ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَـاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَـاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَـاهَا مَتَـاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَـامِكُمْ} وقوله: [1460] {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآء مُّبَـارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِّزْقاً لِّلْعِبَادِ} وقوله: [1461] {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَـوَاتِ وَالاَرْضِ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنبَتْنَا بِهِ

[1450] الانعام153
[1451] يسين 61
[1452] الانعام 35
[1453] السجدة 13
[1454] الانعام 107
[1455] يونس 99
[1456] هود 11
[1457] السجدة 27
[1458] طه 54
[1459] النازعات 30-33
[1460] ق 9-11
[1461] النمل 60

حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا أَإِلَـهٌ مَّعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} وقوله: [1462] {وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاء ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا} والآيات بمثل هذا كثيرة جداً.

{وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (النحل:12)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه سخر لخلقه خمسة أشياء عظام وهي: الليل، والنهار، والشمس، والقمر، والنجوم. وكرر في القرآن ذكرها كقوله تعالى: [1463] {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالارْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَـالَمِينَ} وقوله: [1464] {وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ} وقوله: [1465] {وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَـا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَـاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرجُونِ الْقَدِيمِ} وقوله: [1466] {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَـابِيحَ وَجَعَلْنَـاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَـاطِينِ} وقوله: [1467] {وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}

{وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} (النحل:13)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة امتنانه على خلقه بما سخر لهم مما خلق لهم في الأرض منبهاً على أن خلقه لما خلق لهم في الأرض مع ما فيه من من النعم العظام ـــ فيه الدلالة الواضحة لمن يذكر ويتعظ على وحدانيته واستحقاقه لأن يعبد وحده. وكرر هذا المعنى في مواضع كثيرة، كقوله: [1468] {هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الارْضِ جَمِيعاً} وقوله: [1469] {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الارْضُ جَمِيعاً مِّنْهُ} وقوله: [1470] {وَالارْضِ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ فِيهَا فَـاكِهَة وَالنَّخْلُ ذَاتُ الأَكْمَامِ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ فَبِأَىِّ ءَالاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} وقوله: [1471] {هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الارْضِ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} وأوضح هذا في آيات أخر كقوله في «سورة فاطر»: [1472] {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَد بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَآب وَالانْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ

[1462] النبأ 14–17
[1463] الاعراف 54
[1464] ابراهيم 33
[1465] يسين 37–39
[1466] الملك 5
[1467] النحل 61
[1468] البقرة 29
[1469] الجاثية 13
[1470] الرحمن 10–13
[1471] الملك 15
[1472] فاطر 27–28

كَذَلِكَ} وقوله: [1473] {وَمِنْ ءَايَـاتِهِ خَلْقُ السَّمَـوَاتِ وَالاٌّرْضُ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ} كما أوضح ذلك في قوله: [1474] {وَفِى الاٌّرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـاوِرَاتٌ وَجَنَّـاتٌ مِّنْ أَعْنَـابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَآءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِى الاٌّكُلِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَـاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}

{وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (النحل:14)

فتسخير البحر للركوب من أعظم آيات الله كما بينه في مواضع أخر، كقوله: [1475] {وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} وقوله: [1476] {اللَّهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُم تَشْكُرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

وذكر في هذه الآية أربع نعم من نعمه على خلقه بتسخير البحر لهم. الأولى: قوله [1477] {لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا} وكرر الامتنان بهذه النعمة في القرآن. كقوله: {أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَـاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ} وقوله: [1478] {وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً} الثانية: قوله {وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} وكرر الامتنان بهذه النعمة أيضاً في القرآن كقوله [1479] {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ فَبِأَىِّ ءَالاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} واللؤلؤ والمرجان هما الحلية التي يستخرجونها من البحر للبسها، وقوله: {وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} الثالثة: قوله تعالى {وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ} وكرر في القرآن الامتنان بشق أمواج البحر على السفن، كقوله: {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} {وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يُنقَذُونَ} وقوله: {وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ}. الرابعة: الابتغاء من فضله بأرباح التجارات بواسطة الحمل على السفن وكرر في القرآن الامتنان بهذه النعمة أيضاً كقوله في «سورة البقرة»: {وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ} وقوله في «فاطر»: [1480] {وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} وقوله في«الجاثية»: [1481] {اللَّهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

[1473] الروم 22
[1474] الرعد 4
[1475] يسين 41-42
[1476] الجاثية 12
[1477] النحل 14
[1478] فاطر 12
[1479] الرحمن 22-23
[1480] فاطر 12
[1481] الجاثية 12

{وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} (النحل:15)

ذكر جل وعلا في هاتين الآيتين أربع نعم من نعمه على خلقه، مبيناً لهم عظيم منته عليهم بها. الأولى: إلقاؤه الجبال في الأرض لتثبت ولا تتحرك وكرر الامتنان بهذه النعمة في القرآن كقوله:[1482] {أَلَمْ نَجْعَلِ الارْضِ مِهَـاداً وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً} وقوله:[1483] {وَجَعَلْنَا فِى الارْضِ رَوَاسِىَ} وقوله:[1484] {وَجَعَلْنَا فِيهَارَوَاسِىَشَامِخَاتٍ} وقوله جل وعلا:[1485] {خَلَقَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِى الارْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ}، وقوله:[1486] {وَالْجِبَالَ أَرْسَـاهَا} والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً. ومعنى تميد: تميل وتضطرب. الثانية: إجراؤه الأنهار في الأرض وكرر تعالى في القرآن الامتنان بتفجيره الماء في الأرض لخلقه كقوله:[1487] {وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَـارَ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ} وقوله:[1488] { أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَأَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ} وقوله:[1489] {وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُواْ مِن ثَمَرِهِ} إلى غير ذلك من الآيات. الثالثة: جعله في الأرض سبلاً يسلكها الناس، ويسيرون فيها من قطر إلى قطر في طلب حاجاتهم وكرر الامتنان بذلك في القرآن. كقوله:[1490] {وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} وقوله:[1491] {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الارْضِ بِسَاطاً لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً}،وقوله:[1492] {قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّى وَلاَ يَنسَى الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الارْضِ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً} وقوله:[1493] {هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الارْضِ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا} وقوله:[1494] {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالارْضِ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الارْضِ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} إلى غير ذلك من الآيات. الرابعة: جعله العلامات لبني آدم ليهتدوا بها في ظلمات البر والبحر وقد ذكر الامتنان بنحو ذلك في القرآن في قوله:[1495] {وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَـاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ}

{وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} (النحل:18)

[1482] النبأ 6–7
[1483] الانبياء 31
[1484] المرسلات 27
[1485] لقمان 10
[1486] النازعات 32
[1487] ابراهيم 32–33
[1488] الواقعة 68– 70
[1489] يسين 34–35
[1490] الانبياء 31
[1491] نوح 19–20
[1492] طه 52–53
[1493] الملك 15
[1494] الزخرف 9–10
[1495] الانعام 95

وبين هذا الفهوم المشار إليه هنا بقوله: [1496] {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} وبين في موضع آخر: أن كل النعم على بني آدم منه جل وعلا، وذلك في قوله: [1497] {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ}

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} (النحل:24)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الكفار إذا سئلوا عما أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قالوا: لم ينزل عليه شيء وإنما هذا الذي يتكلم به من أساطير الأولين، نقله من كتبهم. والأساطير: جمع أسطورة أو إسطارة، وهي الشيء المسطور في كتب الأقدمين من الأكاذيب والأباطيل. أصلها من سطر: إذا كتب. ومنه قوله تعالى: [1498] {وَكِتَـٰبٍ مُّسْطُورٍ} وأوضح هذا المعنى في آيات أخر. كقوله: [1499] {وَقَالُواْ أَسَـٰطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} وقوله: [1500] {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْل هَـٰذَآ إِنْ هَـٰذَآ إِلاَّ أَسَـٰطِيرُ الأَوَّلِينَ} إلى غير ذلك من الآيات. وبين جل وعلا كذب الكفار في دعواهم أن القرآن أساطير الأولين بقوله: [1501] {قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ} وبقوله هنا: [1502] {لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْم الْقِيَـٰمَةِ}

{لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} (النحل:25)

وأوضح تعالى هذا المعنى في قوله: [1503] {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ}

{قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ} (النحل:26)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الكفار الذين كانوا قبل كفار مكة قد مكروا. وبين ذلك في مواضع أخر، كقوله: [1504] {وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَـلله الْمَكْرُ جَمِيعًا} وقوله: [1505] {وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُول مِنْهُ

[1496] ابراهيم 34
[1497] النحل 53
[1498] الطور 2
[1499] الفرقان 5
[1500] الانفال 31
[1501] الفرقان 6
[1502] النحل 25
[1503] العنكبوت 13
[1504] الرعد 42
[1505] ابراهيم 46

الْجِبَالُ}.وبين بعض مكر كفار مكة بقوله: [1506]{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوِيَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ}.وذكر بعض مكر اليهود بقوله: [1507]{وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ}.وبين بعض مكر قوم صالح بقوله: [1508]{وَمَكَرُواْ مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُم وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ}.وذكر بعض مكر قوم نوح بقوله: [1509]{وَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً وَقَالُواْ لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ}.وبين مكر رؤساء الكفار في قوله:[1510] {بَلْ مَكْرُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ} المكر السيىء لا يرجع ضرره إلا على فاعله. وذلك في قوله:[1511] {وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّىءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ}

[1506] الانفال 30

[1507] ال عمران 54

[1508] النمل 50– 51

[1509] نوح 22– 23

[1510] سبأ 33

[1511] فاطر 43

{قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ} (النحل:26)

كقوله:[1512] {وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ} وقوله: [1513] {كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ} وقوله [1514] {اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُون بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُواْ يأُوْلِى الأَبْصَـــارِ} إلى غير ذلك من الآيات.

{ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ} (النحل:27)

وبين هذا المعنى في مواضع أخر، كقوله:[1515] {أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِى الصُّدُورِ} وقوله: [1516] {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ} وقد بين جل وعلا في موضع آخر أن من أدخل النار فقد ناله هذا الخزي المذكور، وذلك في قوله: [1517] {رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ}

{ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ} (النحل:27)

وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر، كقوله:[1518] {وَيَوْمَ يُنَـــادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآئِى الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} وقوله: [1519] {وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ} وقوله:[1520] {ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُم تُشْرِكُونَ مِن دُونِ اللهِ قَـــالُواْ ضَـــلُّواْ عَنَّا} وقوله:[1521] {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِأيَـــاتِهِ أُوْلَـــئِكَ يَنَالُهُم نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَـــابِ حَتَّى إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا} إلى غير ذلك من الآيات.

[1512] الاعراف 137
[1513] المائدة 64
[1514] الحشر 2
[1515] العاديات 9-10
[1516] الطارق 9
[1517] العمران 192
[1518] القصص 62
[1519] الشعراء 92- 93
[1520] غافر 74
[1521] الاعراف 37

{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (النحل:28)

ومما يدل من القرآن على أن المراد بإلقاء السلم: الخضوع والاستسلام قوله: [1522]{ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} وقوله:[1523] {فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ}، وقوله: [1524]{فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُواْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ} وقوله: [1525]{وَأَلْقَوْاْ إِلَى اللهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ}فكله بمعنى الاستسلام والخضوع والانقياد. والانقياد عند معاينة الموت لا ينفع، وكما دلت عليه آيات كثيرة. كقوله: [1526]{وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ} وقوله: [1527]{فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا} وقوله:[1528]{ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} إلى غير ذلك من الآيات

{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (النحل:28)

يعني أن الذين تتوفاهم الملائكة في حال كونهم ظالمي أنفسهم إذا عاينوا الحقيقة ألقوا السلم وقالوا: ماكنا نعمل من سوء. وقد بين الله كذبهم بقوله: {بَلَى إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} وبين في مواضع أخر: أنهم ينكرون ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي كما ذكر هنا. وبين كذبهم في ذلك أيضاً. كقوله:[1529] {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ}وقوله: [1530]{قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُنْ نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ} وقوله: [1531]{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ} وقوله [1532]{وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً} أي حراماً محرماً أن تمسونا بسوء. لأنا لم نفعل ما نستحق به ذلك، إلى غير ذلك من الآيات

[1522] النساء 94

[1523] النساء 90

[1524] النساء 91

[1525] النحل 87

[1526] النساء 18

[1527] غافر 85

[1528] يونس 91

[1529] الانعام 23-24

[1530] غافر 74

[1531] المجادلة 18

[1532] الفرقان 22

{فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} (النحل:29)

لم يبين هنا عدد أبوابها، ولكنه بين ذلك في «سورة الحجر» في قوله جل وعلا: [1533]{لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ}

{وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ} (النحل:30)

وقد صرح تعالى بهذا المفهوم في قوله عن غير المتقين وهم الكفار: [1534]{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَـٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ} كما تقدم

{وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ} (النحل:30)

وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة. كقوله: [1535]{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ} والحسنى: الجنة والزيادة: النظر إلى وجه الله الكريم. وقوله: [1536]{وَيِجْزِى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} وقوله: [1537]{هَلْ جَزَآءُ الإِحْسَـٰنِ إِلّا الإِحْسَـٰنُ} وقوله: [1538]{مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا} وقوله في هذه الآية {حسنة} أي مجازاة حسنة بالجنة ونعيمها. والآيات في مثل ذلك كثيرة}

{وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ} (النحل:30)

وكرر هذا المعنى في مواضع كثيرة، كقوله: [1539]{وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ} وقوله:[1540] {وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ} وقوله: [1541]{بَلْ تُؤْثِرُون الْحَيَوةَ الدُّنْيَاو الأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} وقوله: [1542]{وَلَلأَخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى} وقوله:[1543]{زُيِّنَ

[1533] الحجر 44
[1534] النحل 24
[1535] يونس 26
[1536] النجم 31
[1537] الرحمن 55
[1538] النمل 89
[1539] القصص 80
[1540] العمران 198
[1541] الاعلى 16- 17

لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَآءِ وَ الْبَنِينَ وَالْقَنَـــاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الأَنْعَـــامِ وَ الْحَرْثِ ذلِكَ مَتَـــاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْن الْمَأبِقْلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِّن ذالِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِم جَنَّـــاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَـــالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَة وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ}

{وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ} (النحل:30)

كما قال تعالى: [1544]{فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ} وقال: [1545]{وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً} والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً.

{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللهُ الْمُتَّقِينَ} (النحل:31)

وبين في آيات كثيرة: أنهم مقيمون في الجنة على الدوام، كما أشار له هنا بلفظة «عدن» كقوله: [1546]{لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً} وقوله:[1547] { الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَالْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ} والمقامة: الإقامة. وقوله:[1548] {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ} وقوله:[1549] {وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّـــالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا} إلى غير ذلك من الآيات. وقوله في هذه الآية الكريمة: {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَـــارُ} بين أنواع تلك الأنهار في قوله: [1550]{فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ}ـــ إلى قوله ـــ {مِنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى} وقوله هنا: {لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ} أوضحه في مواضع أخر. كقوله: [1551]{لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} وقوله: [1552]{وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُن وَأَنتُمْ فِيهَا خَـــالِدُونَ}وقوله: [1553]{لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَـــالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَّسْئُولاً} وقوله: [1554]{لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ} وقوله: {وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ} [1555]{نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ} إلى غير ذلك من الآيات

[1542] الضحى4
[1543] العمران 14- 15
[1544] السجدة 17
[1545] الانسان 20
[1546] الكهف 108
[1547] فاطر 35
[1548] الدخان 51
[1549] الكهف 2- 3
[1550] محمد 15
[1551] ق 35
[1552] الزخرف 71
[1553] الفرقان 16
[1554] الزمر 34
[1555] فصلت 32

{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } (النحل: 31)

يدل على أن تقوى الله هو السبب الذي به تنال الجنة. وقد أوضح تعالى هذا المعنى في مواضع أخر. كقوله:[1556] {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً} وقوله:[1557] {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} وقوله:[1558] {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّات وَعُيُونٍ} وقوله:[1559] {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـاتٍ وَنَعِيمٍ} إلى غير ذلك من الآيات.

{الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (النحل: 32)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن المتقين الذين كانوا يمتثلون أوامر ربهم، ويجتنبون نواهيه تتوفاهم الملائكة: أي يقبضون أرواحهم في حال كونهم طيبين: أي طاهرين من الشرك والمعاصي ــ على أصح الفسيرات ــ ويبشرونهم بالجنة، ويسلمون عليهم. وبين هذا المعنى أيضاً في غير هذا الموضع. كقوله: [1560] {إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُم اسْتَقَـامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَـئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُواْ وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ} وقوله: [1561] {وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُـمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَـالِدِينَ} وقوله: [1562] {وَالمَلَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُم فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} (النحل: 36)

وأوضح هذا المعنى كثيراً في القرآن عن طريق العموم والخصوص. فمن النصوص الدالة عليه مع عمومها قوله تعالى: [1563] {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لاإِلَهَ إِلَّا أَنَاْ فَعْبُدُونِ} وقوله: [1564] {وَاسْئلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَـنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ} ونحو ذلك من الآيات. ومن النصوص الدالة عليه مع الخصوص في أفراد الأنبياء وأممهم قوله تعالى:[1565] { لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَـاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلاهٍ غَيْرُهُ}وقوله تعالى:[1566] {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ

[1556] مريم 63
[1557] ال عمران 133
[1558] الذاريات 15
[1559] الطور 17
[1560] فصلت 30
[1561] الزمر 13
[1562] الرعد 23– 24
[1563] الانبياء 25
[1564] الزخرف 45
[1565] الاعراف 59
[1566] الاعراف 65

يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلاهٍ غَيْرُهُ} وقوله تعالى: [1567] {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} وقوله: [1568] {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} إلى غير ذلك من الآيات}

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} (النحل:36)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الأمم التي بعث فيها الرسل بالتوحيد منهم سعيد، ومنهم شقي. فالسعيد منهم يهديه الله إلى اتباع ما جاءت به الرسل، والشقي منهم يسبق عليه الكتاب فيكذب الرسل، ويكفر بما جاؤوا به. فالدعوة إلى دين الحق عامة، والتوفيق للهدى خاص. كما قال تعالى: [1569] {وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}. وقوله: {وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ} أي وجبت عليه ولزمتهوقد بين تعالى هذا المعنى في آيات أخر. كقوله: [1570] {هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ} وقوله: [1571] {فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ} وقوله: [1572] {فَرِيقٌ فِى الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ} إلى غير ذلك من الآيات}

{إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} (النحل:37)

وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر. كقوله: [1573] {إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـكِنَّ اللهيَهْدِى مَن يَشَآءُ} وقوله: [1574] {وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى الاٌّخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} وقوله: [1575] {مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـانِهِمْ يَعْمَهُونَ} وقوله: [1576] {وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَآءِ} إلى غير ذلك من الآيات}

[1567] الاعراف 73

[1568] الاعراف 82

[1569] يونس 25

[1570] التغابن 2

[1571] هود 105

[1572] الشورى 7

[1573] القصص 56

[1574] المائدة 41

[1575] الاعراف 186

[1576] الانعام 125

{وَأَقْسَمُوا بِ اللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} (النحل:38)

وكذبهم الله جل وعلا في ذلك بقوله: {بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا} وكرر في آيات كثيرة هذا المعنىالمذكور هنا من إنكارهم للبعث وتكذيبه لهم في ذلك كقوله: [1577]{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ} وقوله: [1578]{كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـاعِلِينَ} وقوله: [1579]{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحىِ الْعِظَـامَ وَهِىَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} وقوله: [1580]{فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} والآيات بمثل هذا كثيرة جداً}

{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (النحل:40)

وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر. كقوله في الرد علىمن قال [1581]{مَن يُحىِ الْعِظَـامَ وَهِىَ رَمِيمٌ}: [1582]{إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}.وبين أنه لا يحتاج أن يكرر قوله: «كن» بل إذا قال للشيء «كن» مرة واحدة، كان في أسرعمن لمح البصر ـــ في قوله: [1583]{وَمَآ أَمْرُنَآ إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ}،ونظيره قوله: [1584]{وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} وقال تعالى: [1585]{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} وقال: [1586]{مَا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} (النحل:43)

كما بينه تعالى في آيات كثيرة، كقوله: [1587]{أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ} وقوله: [1588]{بَلْ عَجِبُوا أَن جَآءَهُمْ مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ} وقوله: [1589]{وَقَالُوا مَا لِهَـذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى الأَسْوَاقِ} وقوله: [1590]{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن

[1577] التغابن 7
[1578] يوسف 104
[1579] يسين 79
[1580] الاسراء 51
[1581] يسين 78
[1582] يسين 82
[1583] القمر 50
[1584] النحل 77
[1585] ال عمران 59
[1586] لقمان 28
[1587] يونس 2
[1588] ق 2
[1589] الفرقان 7
[1590] الاسراء 95

يُؤْمِنُواْ إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولاً} وقوله: [1591] {ذَالِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُواْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّ اسْتَغْنَى اللّهُ} وقوله [1592] {أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ} وقوله: [1593] {فَقَالَ الْمَلَؤُا الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ اللّهُ لَأَنزَلَ مَلَـئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـذَا فِى ءَابَآئِنَا الْأَوَّلِينَ} وقوله: [1594] {وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ الأَخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـاهُمْ فِى الْحَيَـاةِ الدُّنْيَا مَا هَـذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـاسِرُونَ} وقوله: [1595] {قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا} إلى غير ذلك من الآيات. وقد بين الله جل وعلا في آيات كثيرة: أن الله ما أرسل لبني آدم إلا رسلاً من البشر، كقوله: [1596] {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِى إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى} وقوله: {وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الْأَسْوَاقِ} وقوله: [1597] {وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَا رِجَالاً نُّوحِى إِلَيْهِمْ فَاسْئَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ وَمَا جَعَلْنَـاهُمْ جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَـالِدِينَ} وقوله: [1598] {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً} وقوله: {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ} إلى غير ذلك من الآيات }

{بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (النحل:44)

المراد بالذكر القرآن. كقوله: [1599] {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـافِظُونَ}وقد ذكر جل وعلا في هذه الآية حكمتين من حكم إنزال القرآن على النبيصلى الله عليه وسلمإحداهما ـــ أن يبين للناس ما نزل إليهم في هذا الكتاب من الأوامروالنواهي، والوعد والوعيد، ونحو ذلك. وقد بين هذهالحكمة في غير هذا الموضع أيضاً. كقوله: [1600] {وَمَآ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَـابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُواْ فِيهِ} وقوله[1601] {إِنَّآ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَـابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ} الحكمة الثانية ـــ هي التفكر في آياته والاتعاظ بها. كما قال هنا: {وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} .وقد بين هذه الحكمة في غير هذا الموضع أيضاً. كقوله: كقوله: [1602] {كِتَـابٌ أَنزَلْنَـاهُ إِلَيْكَ مُبَـارَكٌ لِّيَدَّبَّرُواْ ءَايَـاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَـابِ}، وقوله: [1603] {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً}وقوله: [1604] {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ}إلى غير ذلك منالآيات

[1591] التغابن 6
[1592] القمر 24
[1593] المؤمنون 24
[1594] المؤمنون 33– 34
[1595] ابراهيم 10
[1596] يوسف 109
[1597] انبياء 7–8
[1598] الرعد38
[1599] الحجر 9
[1600] النحل 24
[1601] النساء 105
[1602] ص 29
[1603] النساء 82
[1604] محمد 24

{أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ} (النحل:45)

كما فعل الله بقارون، قال الله تعالى فيه:[1605] {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الاَرْضِ} وبين هذا المعنى في مواضع كثيرة. كقوله: [1606] {أَءَمِنتُمْ مَّن فِى السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الاَرْضِ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ أَمْ أَمِنتُمْ مِّن فِى السَّمَآءِ} وقوله: { أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلاً (إسراء :68) } وقوله: [1607] {أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَـاسِرُونَ}

{وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَـٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} (النحل: 51)

وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة. كقوله: [1608] {فَفِرُّواْ إِلَى اللَّهِ إِنِّى لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ وَلاَ تَجْعَلُواْ مَعَ اللَّهِ إِلهاً ءَاخَرَ إِنِيِّ لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} وقوله: [1609] { الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ} وقوله: [1610] {لا تَجْعَل مَعَ اللهِ إِلَهًاءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً} وقوله: [1611] {وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلاهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَى فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا}.وبين جل وعلا في مواضع أخر: استحالة تعدد الآلهة عقلاً. كقوله: [1612] {لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا} وقوله: [1613] {وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـٰهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَـانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَـالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَـادَةِ فَتَعَـالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} وقوله: [1614] {قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِى الْعَرْشِ سَبِيلاً}

{وَلَهُ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ} (النحل:52)

الدين هنا: الطاعة. ومنه سميت أوامر الله ونواهيه ديناً. كقوله: [1615] {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ} وقوله: [1616] {وَرَضِيتُ لَكُمُ الأِسْلاَمَ دِيناً} وقوله:[1617] {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ} وهذا المعنى الذي أشار إليه مفهوم الآية بينه جل وعلا في مواضع أخر.

[1605] القصص 81

[1606] الملك 16– 17

[1607] الاعراف 99

[1608] الذاريات 50– 51

[1609] ق 26

[1610] الاسراء 22

[1611] الاسراء 39

[1612] الانبياء 22

[1613] المومنون 91– 92

[1614] الاسراء 42

[1615] ال عمران 19

[1616] المائدة 3

كقوله: [1618]{قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ} وقوله: [1619]{لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} ونظير هذه الآية المذكورة قوله: [1620]{وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراًوَلَهُمْ عَذابٌ وَاصِبٌ}وعليه فالآية كقوله [1621]{أَفَغَيْرَ دِينِ الله يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِى السَّمَاوَات وَالارْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} وقوله [1622]{أَلاَ لله الدِّينُ الْخَالِصُ} وقوله: [1623]{وَمَآ أُمِرُواْ إِلّا لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}

{وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَفَغَيْرَ الله تَتَّقُونَ} (النحل:52)

ومنه قوله تعالى: [1624]{حَتَّىٰ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ لاَ تَجْأَرُواْ الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِّنَّا لاَ تُنصَرُونَ} وقد أشار إلى هذا المعنى في مواضع أخر. كقوله: [1625]{وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدُيرٌ} وقوله: [1626]{وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ} وقوله: [1627]{مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ} وقوله: [1628]{قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا} وقوله: [1629]{قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله إِنْ أَرَادَنِىَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْأَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ} إلى غير ذلك من الآيات

{ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} (النحل:54)

كقوله في «يونس»: [1630]{حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}إلى قوله [1631]{إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى الارْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} وقوله [1632]«في الإسراء» {وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِى الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الإِنْسَانُ كَفُورًا} وقوله

[1617] ال عمران 85
[1618] ال عمران 26
[1619] غافر 16
[1620] الصافات 8-9
[1621] ال عمران 83
[1622] الزمر 3
[1623] البينة 5
[1624] المومنون 64-65
[1625] الانعام 17
[1626] يونس 107
[1627] فاطر 5
[1628] التوبة 51
[1629] الزمر 38
[1630] يونس 22
[1631] يونس 23
[1632] الاسراء 67

فيآخر «العنكبوت»: [1633] {فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} وقوله في «الأنعام»: [1634] { قُلِ اللّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ} إلى غير ذلك من الآيات

{لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} (النحل:55)

بكقوله. [1635] {قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} وقوله: [1636] {قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} وقوله: [1637] {ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} وقوله: [1638] {فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّى يُلاقُواْ يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ} وقوله: [1639] {كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ} وقوله: [1640] {فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُواْ يَوْمَهُمُ الَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ} (النحل:56)

في قوله {لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ} وجهان: أحدهما ـــ أنه عائد إلى الكفار. أي ويجعل الكفار للأصنام التي لا يعلمونأن الله أمر بعبادتها، ولا يعلمون أنها تنفع عابدهاأو تضر عاصيها ـــ نصيباً الخ. كقوله تعالى: [1641] {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ} ونحو ذلك من الآيات. الوجه الثاني: أنها واقعة على الأصنام. فهي جماد لا يعلم شيئاً أي ويجعلون للأصنام الذين لا يعلمون شيئاً لكونهم جماداً ـــ نصيباً إلخ. وهذا الوجه كقوله: [1642] {أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} وقوله: [1643] {فَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ} وقوله: [1644] {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْلَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ} إلىغير ذلك من الآيات. هذا المعنى المذكور في هذه الآية الكريمة بينه تعالى في غير هذا الموضع. كقوله: [1645] {وَجَعَلُواْ لِلّهِ مِمِّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللّهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ}

{وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيباً مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ} (النحل:56)

[1633] العنكبوت 65
[1634] الانعام 64
[1635] الزمر 8
[1636] ابراهيم 30
[1637] الحجر 3
[1638] الزخرف 83
[1639] المرسلات 46
[1640] الطور 45
[1641] الحج 71
[1642] النحل 21
[1643] يونس 29
[1644] الاعراف 195
[1645] الانعام 136

{وَيَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ} (النحل:57)

{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ} (النحل:58)

{يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (النحل:59)

كما بينه تعالى بقوله: [1646]{وَجَعَلُواْ الْمَلَـئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَـنِ إِنَـاثاً} ويأنفون منها كما قال تعالى عنهم:[1647] {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَىظَلَّ وَجْهُهُمُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} وبين تعالى كذبهم في ذلك، وشدة عظم ما نسبوه إليه كقوله:[1648]{أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىتِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى}، وقوله: [1649]{أَلاَ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـاذِبُونَ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} وقوله:[1650] {أَفَأَصْفَـاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَـئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا} وقوله:[1651] {أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَـاكُم بِالْبَنِينَ} وقوله: [1652]{لَّوْ أَرَادَ اللهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً لاَّصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَـانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} وقوله: [1653]{أَمْ لَهُ الْبَنَـاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ} وقال جل وعلا:[1654] {وَيَجْعَلُونَ للهِ مَا يَكْرَهُونَ} وقال: [1655]{أَوَمَن يُنَشَّأُ فِىالْحِلْيَةِ وَهُوَ فِىالْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} وقال: [1656]{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ} وبين شدة عظم هذا الافتراء بقوله: [1657]{وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَـنُ وَلَداً لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً تَكَادُ السَّمَٰوَاتِ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأٌّرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَـنِ وَلَداً وَمَا يَنبَغِى لِلرَّحْمَـنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً إِن كُلُّ مَن فِى السَّمَٰوَاتِ وَالاٌّرْضِ إِلاَّ آتِى الرَّحْمَـنِ عَبْداً} وقوله: [1658]{إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا} إلى غير ذلك من الآيات}

{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً} (النحل: 61)

وذكر هذا المعنى في غير هذا الموضع. كقوله في «آخر سورة فاطر»: [1659]{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ}وقوله:[1660]{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ}وأشار بقوله: {وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى

[1646] الزخرف 19
[1647] الزخرف 17
[1648] النجم 21– 22
[1649] الصافات 151 –154
[1650] الاسراء 40
[1651] الزخرف 16
[1652] الزمر 4
[1653] الطور 39
[1654] النحل 62
[1655] الزخرف 18
[1656] الزخرف 17
[1657] مريم 88– 93
[1658] الاسراء 17
[1659] فاطر 45

أَجَلٍ مُّسَمًّى} وكقوله: [1661]{وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَـافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّـالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَـارُ} وقوله : [1662]{وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ الْعَذَابُ}

{ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ} (النحل:61)

وأوضح ذلك في مواضع أخر. كقوله: [1663]{إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَآءَ لاَ يُؤَخَّرُ} وقوله: [1664]{وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَيَجْعَلُونَ للهِ مَا يَكْرَهُونَ} (النحل:62)

أبهم جل وعلا في هذه الآية الكريمة هذا الذي يجعلونه لله ويكرهونه ولكنه بين في مواضع أخر: كقوله:[1665] {وَيَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَـاتِ} وقوله [1666]{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى} كقوله [1667]{وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ} وبين كراهيتهم للشركاء في رزقهم بقوله: [1668]{ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـانُكُمْ مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الأَيَـاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} و قوله: [1669]{وَجَعَلُواْ للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الأَنْعَـامِ نَصِيباً} وقوله: [1670]{وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَـاهُمْ}

{ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى} (النحل:62)

المراد بالحسنى: هو زعمهم أنه إن كانت الآخرة حقاً فسيكون لهم فيها أحسن نصيب كما كان لهم في الدنيا. ويدل على صحة هذا القول الأخير دليلان: أحدهما ــ كثرة الآيات القرآنية المبينة لهذا المعنى كقوله تعالى عن الكافر: [1671]{وَلَئِن رُّجِّعْتُ إِلَى رَبِّى إِنَّ لِى عِندَهُ لَلْحُسْنَى} وقوله: [1672] {وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّى لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً} وقوله : [1673]{وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً}

[1660] الكهف 58
[1661] ابراهيم 42
[1662] الاعنكبوت 53
[1663] نوح 4
[1664] المنافقون 11
[1665] النحل 57
[1666] النحل 58
[1667] الانعام 100
[1668] الروم 28
[1669] الانعام 136
[1670] النحل 56
[1671] فصلت 50
[1672] الكهف 36
[1673] مريم 77

وقوله: [1674]{وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَـــرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} وقوله: [1675]{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَنُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ} إلى غير ذلك من الآيات. والدليل الثاني ـــ أن الله أتبع قوله: {أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى} بقوله: {لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُم الْنَّارَ}

{ لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ} (النحل:62)

{مفرطون} أي متروكون منسيون في النار. ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى: [1676]{فَالْيَوْمَ نَنسَـــاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـــذَا} وقوله: [1677]{فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـــذَآ إِنَّا نَسِينَـــاكُمْ وَذُوقُـــواْ عَذَابَ الْخُلْدِ} وقوله: [1678]{وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـــذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ} فالنسيان في هذه الآيات معناه: الترك في النار. أما النسيان بمعنى زوال العلم: فهو مستحيل على الله. كما قال تعالى: [1679]{وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً} وقال: [1680]{قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـــابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّى وَلاَ يَنسَى}

{وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ} (النحل:66)

كقوله: [1681]{وَإِنَّ لَكُمْ فِى الاَنْعَـــامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُمْ مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـــافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} وقوله: [1682]{وَالأَنْعَـــامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـــافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} وقوله: [1683]{أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـــاماً فَهُمْ لَهَا مَـــالِكُونَ وَذَلَّلْنَـــاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ.

{وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ} (النحل:72)

[1674] سبأ 35
[1675] المؤمنون 55– 56
[1676] الاعراف 51
[1677] السجدة 14
[1678] الجاثية 34
[1679] مريم 64
[1680] طه 52
[1681] المؤمنون
[1682] النحل 5
[1683] يسين 71– 73

كقوله: [1684]{وَمِنْ ءايَــاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً)وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللهِ هُمْ يَكْفُرُونَ) (النحل:72)وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَلِكَ لأَيَــاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} وقوله: {أَيَحْسَبُ الإِنسَــانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى} وقوله تعالى: {هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا}

{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ شَيْئاً وَلا يَسْتَطِيعُونَ} (النحل:73)

كقوله: [1685]{إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُواْ عِندَ اللهِ الرِّزْقَ وَ اعْبُدُوهُ وَاشْكُرُواْ لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} وقوله: [1686]{أَمَّنْ هَــذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ} وقوله:[1687] {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} وقوله: [1688]{قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ} وقوله [1689]{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلواةِ وَ اصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَــاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} وقوله: [1690]{هَلْ مِنْ خَــالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ} وقوله: [1691]{قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَ الأَرْضُ} إلى غير ذلك من الآيات

{فَلا تَضْرِبُوا للهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} (النحل:74)

كقوله: [1692]{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ} وقوله: [1693]{وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} إلى غير ذلك من الآيات..

{وَللهِ غَيْبُ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (النحل:77)

[1684] الروم 21

[1685] العنكبوت 17

[1686] الملك 21

[1687] الذاريات 56– 58

[1688] الانعام 14

[1689] طه 132

[1690] فاطر 3

[1691] يونس 31

[1692] الشورى 11

[1693] الاخلاص 4

المعنى أن الله إذا أراد الإتيان بها فهو قادر على أن يأتي بها في أسرع من لمح البصر ويدل لهذا المعنى قوله تعالى:[1694] {وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} وقال بعض العلماء: المعنى هي قريب عنده تعالى كلمح البصر وإن كانت بعيداً عندكم. كما قال تعالى: [1695] {إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً} وقال: [1696] {وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ}

{وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (النحل:78)

بين في مواضع أخر: أن أكثرهم لم يشكروا. كما قال تعالى: [1697] {فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ} وقال:[1698] {قُلْ هُوَ الَّذِى أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَـارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (النحل:79)

كقوله: [1699] {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَـنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ بَصِيرٌ}

{وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ} (النحل:81)

كقوله: [1700] {يَـابَنِى آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا} وقوله: [1701] {يَـابَنِى ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ} وكقوله:[1702] {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُم شَاكِرُونَ}

{يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} (النحل:83)

[1694] القمر 50

[1695] المعارج 6-7

[1696] الحج 47

[1697] البقرة 243

[1698] الملك 23

[1699] الملك 19

[1700] الاعراف 26

[1701] الاعراف 31

[1702] الانبياء 80

وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في آيات كثيرة. كقوله: [1703]{قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالاَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ و الأَبْصَـــارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ}

{وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} (النحل:84)

لم يبين تعالى في هذه الآية الكريمة متعلق الإذن في قوله {لاَ يُؤْذَنُ} ولكنه بين في (المرسلات) وذلك في قوله: [1704]{هَـــذَا يَوْمُ لاَ يَنطِقُونَ وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ}.

{وَإِذَا رَأى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ} (النحل:85)

كقوله تعالى: [1705]{لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَن ظُهُورِهِمْ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ} وقوله: [1706]{وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّواْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا} وقوله: [1707]{إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً} وقوله: [1708]{إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ} وقوله: [1709]{وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعًا} إلى غيرذلك من الآيات

{وَإِذَا رَأى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ} (النحل:86)

وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة. كقوله: [1710]{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَـــامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـــافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـــافِرِينَ} وقوله: [1711]{وَاتَّخَذُوامِن دُونِ اللهِ ءالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزّاً كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَـــادَتِهِمِ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً} وقوله: [1712]{ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَـــامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّاصِرِينَ} وقوله: [1713]{وَقِيلَ ادْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ} وقوله: [1714]{فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُمْ مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

[1703] يونس 31
[1704] المرسلات 35-36
[1705] الانبياء 39-40
[1706] الكهف 53
[1707] الفرقان 12
[1708] الملك 7-8
[1709] البقرة 170
[1710] الاحقاف 5-6
[1711] مريم 81-82
[1712] العنكبوت 25
[1713] القصص 64

{وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ} (النحل:87)

إلقاؤهم إلى الله السلم: هو انقيادهم له وخضوعهمكما تقدم في قوله:[1715] {فَأَلْقَوُاْ السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ}. والآيات الدالة على ذلك كثيرة. كقوله: [1716] {بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ} وقوله: [1717] {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ} ونحو ذلك من الآيات.

{ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (النحل:87)

أي غاب عنهم واضحمل ما كانوا يفترونه. من أن شركاءهم تشفع لهم وتقربهم إلىالله زلفى. كما قال تعالى:[1718] {وَيَقُولُونَ هَـؤُلاءِ شُفَعَـاؤُنَا عِندَ اللَّهِ} وكقوله: [1719] {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} وضلال ذلك عنهم مذكور في آيات كثيرة. كقوله تعالى:[1720] {وَرُدُّواْ إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} وقوله: [1721] {فَعَلِمُو أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ}

{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ} (النحل:88)

كقوله تعالى: [1722] {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}

{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ} (النحل:89)

كقوله: [1723] {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاءِ شَهِيداً يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ} وكقوله: [1724] {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ} وكقوله:[1725] {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} إلى غير ذلك من الآيات

[1714] يونس 28

[1715] النحل 28

[1716] الصافات 26

[1717] طه 111

[1718] يونس 18

[1719] الزمر 3

[1720] يونس 30

[1721] القصص

[1722] الفتح 25

[1723] النساء 41- 42

[1724] المائدة 109

[1725] الاعراف 6

{ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ} (النحل:89)

كقوله: [1726]{مَّا فَرَّطْنَا فِى الكِتَـــابِ مِن شَىْءٍ}

{ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} (النحل:89)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن هذا القرآن العظيم هدى ورحمة وبشرى للمسلمين. ويفهم منديل خطاب هذه الآية الكريمة ـــ أي مفهوم مخالفتها ـــ: أن غير المسلمين ليسوا كذلكوهذا المفهوم من هذه الآية صرح به جل وعلا في مواضع أخر. كقوله: [1727]{قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِى ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} وقوله:[1728]{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَيَزِيدُ الظَّـــالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا} وقوله جل وعلا: [1729]{وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـــذِهِ إِيمَـــانا فَأَمَّا الَّذِينَ ءامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـــاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـــافِرُونَ}وقوله: [1730]{وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـــاناً وَكُفْراً}في الموضعين

{إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْأِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (النحل:90)

ومن الآيات التي أمر فيها بالعدل قوله تعالى: [1731]{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}، وقوله: [1732]{إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ}.ومن الآيات التي أمر فيها بالإحسان قوله تعالى: [1733]{وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُواْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} وقوله[1734]{وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} وقوله: [1735]{وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الاَرْضِ} وقوله: [1736]{وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا} وقوله: [1737]{مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ}.ومن الآيات التي أمر فيها بإيتاء ذي القربى قوله تعالى: [1738]{فَأَاتِذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ

[1726] الانعام 38

[1727] فصلت 44

[1728] الاسراء 82

[1729] التوبة 124– 125

[1730] المائدة 64

[1731] المائدة 8

[1732] النساء 58

[1733] البقرة 190

[1734] البقرة 83

[1735] القصص 77

[1736] البقرة 83

[1737] التوبة 91

ابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}وقوله [1739] {وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ والْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا}وقوله: [1740] {وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى} وقوله: [1741] {أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ} إلى غير ذلك من الآيات. ومن الآيات التي نهى فيها عن الفحشاء والمنكر والبغي قوله: [1742] {وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} وقوله: [1743] {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَ الإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} وقوله: [1744] {وَذَرُواْ ظَـاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ} ومن الآيات التي جمع فيها بين الأمر بالعدل والتفضل بالإحسان قوله: [1745] {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـابِرينَ}وقوله [1746] {وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ}وقوله: [1747] {وَ الْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ} وقوله [1748] {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَـئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ [1749] وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأمُورِ} وقوله [1750] {لاَ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلّا مَن ظُلِمَ [1751] إِن تُبْدُواْ خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً}

{وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} (النحل: 91)

وكرر هذا في مواضع أخر. كقوله (في الأنعام) [1752] {وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُواْ ذالِكُمْ وَصَّـاكُمْ بِهِ} وقوله في (الإسراء): [1753] {وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً}

{مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ} (النحل:96)

[1738] الروم 38
[1739] الاسراء 26
[1740] البقرة 177
[1741] البلد 14– 15
[1742] الانعام 151
[1743] الاعراف 33
[1744] الانعام 120
[1745] النحل 126
[1746] الشورى 40
[1747] المائدة 45
[1748] الشورى 41
[1749] الشورى 43
[1750] النساء 148
[1751] النساء 149
[1752] الانعام 152
[1753] الاسراء 34

كقوله: [1754]{عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}، وقوله: [1755]{إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ} وقوله: [1756]{وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّـٰلِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا}إلى غير ذلك من الآيات.

{ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النحل:96)

وبين في مواضع آخر: أنه جزاء بلا حساب. كما في قوله: [1757]{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}

{مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النحل:97)

القرآن العظيم دل على أن العمل الصالح هو ما استكمل ثلاثة أمور: الأول ـــ موافقته لما جاء به النَّبيصلى الله عليه وسلملأن الله يقول: [1758]{وَمَآ ءَاتَـٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ}. الثاني ـــ أن يكون خالصاً لله تعالى. لأن الله جل وعلا يقول: [1759]{وَمَآ أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [1760]{قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِىفَاعْبُدُواْ مَا شِئْتُمْ مِّن دُونِهِ} الثالث ـــ أن يكون مبنياً على أساس العقيدة الصحيحة. لأن الله يقول {مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ}وقد أوضح جل وعلا هذا المفهوم في آيات كثيرة كقوله في عمل غير المؤمن: [1761]{وَقَدِمْنَآ إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مَّنثُوراً} وقوله: [1762]{أُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الأٌّخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} وقوله: [1763]{أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} وقوله: [1764]{أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ} إلى غير ذلك من الآيات.

{فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} (النحل:98)

أظهر القولين في هذه الآية الكريمة: أن الكلام على حذف الإرادة. أي فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله كقوله: [1765]{يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَىالصَّلواةِ}،وقوله:[1766] {إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَـٰجَوْاْ بِالإِثْمِ}

[1754] هود 108
[1755] ص 54
[1756] الكهف 2– 3
[1757] الزمر 10
[1758] الحشر 7
[1759] البينة 5
[1760] الزمر 14– 15
[1761] الفرقان 23
[1762] هود 16
[1763] النور 39
[1764] ابراهيم 18
[1765] المائدة 6

{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (النحل:99)

{إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} (النحل:100)

كقوله: [1767]{إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} وقوله:[1768] {لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} وقوله: [1769]{إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً} وقوله: [1770]{وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ} وقوله:[1771]{وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى}

{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ} (النحل:101)

وقد أشار جل وعلا إلى علمه بزوال المصلحة من المنسوخ، وتمحضها في الناسخ بقوله هنا: {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ} وقوله: {نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} وقوله: { سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى } فقوله: {إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى} بعد قوله: {إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ}يدل على أنه أعلم بما ينزل. والدليل على أن قوله: [1772]{بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ} معناه: نسخنا آية وأنسيناها ـــ قوله تعالى: {مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا} وقوله: [1773]{سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ} أي أن تنساه. والدليل على أنه إن نسخ آية أو أنساها، لا بد أن يأتي ببدل خبر منها أو مثلها ـــ قوله تعالى: [1774]{نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا} وقوله هنا {بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ}

{قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} (النحل:102)

وأوضح هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله:[1775] {قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ}، وقوله:[1776] {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ} وقوله: [1777]{وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْءانِ مِن

[1766] المجادلة 9

[1767] الحجر 42

[1768] ص 83

[1769] الاسراء 65

[1770] سبأ 21

[1771] ابراهيم 22

[1772] البقرة 106

[1773] الاعلى 6– 7

[1774] البقرة 1–6

[1775] البقرة 97

[1776] الشعراء 192– 195

[1777] طه 114

قَبْلِ إَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}، وقوله: [1778]{لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأْنَـــاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} (النحل:103)

كقوله: [1779]{وَقَالُو ا أَسَـــاطِيرُ الْأَوَّلِينَ كْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} وقوله: [1780]{إِنْ هَـــذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ} وقوله: [1781]{وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ} وقد بين جل وعلا كذبهم وتعنتهم في قولهم: [1782]{إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} بقوله: {لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـــذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ} وبين شدة تعنتهم أيضاً بأنه لو جعل القرآن أعجمياً لكذبوه أيضاً وذلك في قوله [1783]{وَلَوْ جَعَلْنَـــاهُ قُرْءَاناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتْ ءَايَـــاتُهُ ءَاعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ}

{وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} (النحل:112)

{وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ} (النحل:113)

وهذه الصفات المذكورة التي اتصفت بها هذه القرية ـــ تتفق مع صفات أهل مكة المذكورةفي القرآن. فقوله عن هذه القرية {كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً} قال نظيره عن أهل مكة كقوله: [1784]{أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً ءَامِناً} وقوله: [1785]{أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءامِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِن حَوْلِهِمْ} وقوله: [1786]{ وَآمَنَهُم مِّنْ خوْفٍ} وقوله: [1787]{وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِناً} وقوله: [1788]{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً} وقوله: {يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ}قال نظيره عن أهل مكة أيضاً. كقوله: [1789]{يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ} وقوله:[1790] { لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـــذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ

[1778] القيامة 16– 18
[1779] الفرقان 5
[1780] المدثر 24
[1781] الانعام 105
[1782] الانعام 103
[1783] فصلت 44
[1784] القصص 57
[1785] العنكبوت 67
[1786] قريش 4
[1787] ال عمران 97
[1788] البقرة 125
[1789] القصص 57
[1790] قريش 1– 4

وَءَامَنَهُم مِّنْ خوْفٍ}وقوله في دعوة إبراهيم: [1791]{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَدًا آمِنًا وَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ} وقوله: [1792]{فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ} وقوله: {فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ِاللهِ} ذكر نظيره عن أهل مكة في آيات كثيرة. كقوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ِاللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} وقوله: {فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ}وقع نظيره قطعاً لأهل مكة. لما لجوا في الكفر والعناد، ودعاعليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسنين يوسف» فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء، حتى أكلواالجيف والعلهز (وهو وبر البعير يخلط بدمه إذا نحروه) وأصابهم الخوف الشديد بعد الأمن. وذلك الخوف من جيوش رسول الله صلى الله عليه وسلم

{وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى ِاللهِ الْكَذِبَ} (النحل:116)

وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في آيات كثيرة. كقوله: [1793]{قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ هَـذَا فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ} وقوله: [1794]{قُلْ أَرَأَيْتُم مَّآ أَنزَلَ اللهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ِاللهِ تَفْتَرُونَ} وقوله: [1795]{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَآءً عَلَى ِاللهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ} وقوله: [1796]{وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَـذِهِ الأَنْعَـامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا} وقوله: [1797]{وَقَالُواْ هَـذِهِ أَنْعَـامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَآ إِلاَّ مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ}

{ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ِاللهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ} (النحل:116)

وأوضح هذا المعنى في مواضع أخر. كقوله في يونس: [1798]{قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ِاللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ مَتَـاعٌ فِى الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُم الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ} وقوله:[1799] {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} وقوله: [1800]{قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}إلى غير ذلك من الآيات

[1791] البقرة 126

[1792] ابراهيم 37

[1793] الانعام 150

[1794] يونس 59

[1795] الانعام 140

[1796] الانعام 139

[1797] الانعام 138

[1798] يونس 79–70

[1799] لقمان 24

[1800] البقرة 126

{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (النحل:118)

هذا المحرم عليهم، المقصوص عليه من قبل المحال عليه هنا هو المذكور في (سورة الأنعام) في قوله [1801]{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَ الْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ الْحَوَايَآ أَوْ مَا اخْتَلَط بِعَظْمٍ ذلِكَ جَزَيْنَــاهُم بِبَغْيِهِمْ وِإِنَّا لَصَــادِقُونَ}

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لله حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (النحل:120)
{شَاكِراً لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (النحل:121)

أثنى الله جل وعلا على نبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا الصّلاة والسلام: بأنه أمة. أي إمام مقتدى به يعلم الناس الخير. كما قال تعالى: [1802]{إِنِّى جَــاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا}وكرر هذا الثناء عليه في مواضع أخر كقوله: [1803]{وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِى وَفَّى} وقوله: [1804]{وَإِذِ بْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَــاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّىجَــاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} وقوله: [1805]{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُمِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَــالِمِينَ} وقوله: {وَكَذَلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمْوَاتِ وَالاَرْضِ وَلِيَكُونَ مِن الْمُوقِنِينَ} وقوله عنه:[1806] {إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمْوَاتِ وَ الاَرْضِ حَنِيفاً وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} وقوله: [1807]{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} وقوله: [1808]{وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَإِذْ جَآءَرَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} (النحل:122)

قال بعض العلماء: الحسنة التي آتاه الله في الدنيا: الذرية الطيبة، والثناء الحسنوأشار أيضاً لأنه جعل له ثناءً حسناً باقياً في الدنيا. قال تعالى: [1809]{فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيّاً وَوَهَبْنَا لَهْم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُم لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً} وقال: [1810]{وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَــابَ} وقال: [1811]{وَجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الآخِرِينَ}

[1801] الانعام 146
[1802] البقرة 124
[1803] النجم 37
[1804] الابقرة 124
[1805] الانبياء 51
[1806] الانعام 79
[1807] ال عمران 67
[1808] الاصافات 83–84
[1809] مريم 49–50
[1810] اللعنكبوت 27

{ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (النحل:123)

وبين هذا أيضاً في غير هذا الموضع كقوله:[1812] {قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} وقوله: [1813] {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ ارْكَعُواْ وَاسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَافْعَلُواْ الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}وقوله: [1814] {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ} إلى غير ذلك من الآيات

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (النحل:125)

أى أعرض عن أذاهم. وقد أشار إلى هذا المعنى في قوله: [1815] {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} ومن ذلك القول اللين: قول موسى له [1816] {هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى}

{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (النحل:125)

كقوله في القلم [1817] {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَم بِالْمُهْتَدِينَ فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ}، وقوله (في الأنعام): {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}وقوله (في النجم): [1818] {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى} والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً.

{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} (النحل:126)

نزلت هذه الآية الكريمة من سورة النحل بالمدينة، في تمثيل المشركين بحمزة ومن قتل معه يوم أحد. فقالالمسلمون: لئن أظفرنا الله بهم لنمثلن بهم. فنزلت الآية الكريمة، فصبروا لقوله تعالى: {لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـــابرينَ} مع أن سورة النحل مكية، إلا هذه الآيات الثلاث من آخرها. وقد ذكر تعالى هذا المعنى في القرآن كقوله: [1819] {وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَىاللهِ} وقوله:[1820] {وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ} وقوله: [1821] {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِه فَأُوْلَــئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن

[1811] الشعراء 84

[1812] الانعام 161

[1813] الحج 78

[1814] الاممتحنة 4

[1815] طه 44

[1816] النازعات 18–19

[1817] القلم 7–8

[1818] النجم 30

[1819] الشورى 40

[1820] المائدة 45

سَبِيلٍ} إلى قوله[1822] {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ} وقوله [1823] {لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاّ مَن ظُلِمَ} إلى قوله { أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً }

{إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} (النحل:128)

كقوله: [1824] {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}، وقوله: [1825] {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَـئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ} وقوله: [1826] {لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا} وقوله: [1827] {قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّى سَيَهْدِينِ} إلى غير ذلك من الآيات

[1821] الشورى 41

[1822] اللشورى 43

[1823] اللنساء 149

[1824] طه 46

[1825] الانفال 12

[1826] التوبة 40

[1827] الشعراء 62

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الاسراء

{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الاسراء: 1)

ظاهر القرآن يدل على أنه بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم يقظةً لا مناماً لأنه قال {بعبده} والعبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، ويؤيده قوله تعالى: [1828]{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى} لأن البصر من آلات الذات لا الروح، وقوله هنا {لنريه من آياتنا} ومن أوضح الأدلة القرآنية على ذلك قوله جل وعلا: [1829]{وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِى أَرَيْنَـٰكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْءَانِ} فإنها رؤيا عين يقظة.

{الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} (الاسراء: 1)

أظهر التفسيرات فيه: أن معنى {باركنا حوله} أكثرنا حوله الخير والبركة بالأشجار والثمار والأنهار وقد وردت آيات تدل على هذا. كقوله تعالى: [1830]{وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ} وقوله: [1831]{وَلِسُلَيْمَـٰنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ}

{لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الاسراء: 1)

كقوله تعالى في سورة النجم: [1832]{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}

{وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرائيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً} (الاسراء: 2)

كقوله: [1833]{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـٰبَ فَلاَ تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِ وَجَعَلْنَـٰهُ هُدًى لِّبَنِى إِسْرَاءِيلَ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِأايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ} وقوله: [1834]{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـٰبَ مِن بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأٌّولَى بَصَآئِرَ

[1828] النجم 17
[1829] الاسراء 60
[1830] الانبياء 71
[1831] الانبياء 81
[1832] النجم 17– 18
[1833] السجدة 23– 24
[1834] القصص 43

لِلنَّاسِ} وقوله: [1835]{ثُمَّ ءاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَىْءٍ} وقوله: {وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيءٍ} إلى غير ذلك من الآيات.

{أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً} (الاسراء:2)

وكرر هذا المعنى في موضع كثيرة. كقوله: [1836]{رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَإِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً} وقوله: [1837]{قُلْ هُوَ الرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا} وقوله: [1838]{فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ اللَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} وقوله: [1839]{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} وقوله: [1840]{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُمْ بِسُلْطَـانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَمَا لَنَآ أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}، وقوله: [1841]{إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ ءاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَآ} وقوله: [1842]{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ} وقوله:[1843] {وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً} وقوله: [1844]{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَىِّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ} وقوله: [1845]{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ}، وقوله: [1846]{فَزَادَهُمْ إِيمَـاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً.

{ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً} (الاسراء:3)

وأشار إلى هذا المعنى في قوله: [1847]{أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّيْنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ}.وبين في مواضع أخر الذين حملهم مع نوح في قوله: [1848]{قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ} قال في امرأته: [1849]{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَتَ نُوحٍ}وقال في ابنه: [1850]{وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ

[1835] الانعام 154
[1836] المزمل 9
[1837] الملك 29
[1838] التوبة 129
[1839] الطلاق 3
[1840] ابراهيم 11– 12
[1841] هود 56
[1842] يونس 71
[1843] الاحزاب 3
[1844] الفرقان 58
[1845] هود 123
[1846] ال عمران 173
[1847] مريم 58
[1848] هود 40
[1849] التحريم 10

الْمُغْرَقِينَ} وقال فيه أيضاً: [1851] {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَـــالِحٍ} وقوله: {لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} وبين أن ذرية من حمل مَعَ نوح لم يبق منها إلا ذرية نوح في قوله: [1852] {وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَــاقِينَ}

{وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً} (الاسراء:4)

ونظير ذلك في القرآن قوله تعالى: [1853] {وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَــؤُلآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ}

{إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً} (الاسراء:7)

وبين هذا المعنى في مواضع أخر. كقوله: [1854] {مَّنْ عَمِلَ صَـــالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا} وقوله: [1855] {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْـــمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} وقوله: [1856] {مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَـــالِحاً فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً} (الاسراء:8)

فمن الآيات الدالة على أنهم عادوا للإفساد قوله تعالى [1857] {وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـــابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَـــافِرِينَ بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنزَلَ اللهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ فَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ} وقوله: [1858] {أَوَكُلَّمَا عَـــاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ} وقوله: [1859] {وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ} ونحو ذلك من الآيات. ومن الآيات الدالة على أنه عاد للانتقام منهم قوله تعالى: [1860] {هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَـــابِ مِن دِيَـــارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللهِ فَأَتَـــاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُواْ يأُوْلِى الأَبْصَـــارِ وَلَوْلاَ أَن كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الأَخِرَةِ عَذَابُ

[1850] هود 43
[1851] هود 46
[1852] صافات 77
[1853] الحجر 66
[1854] فصلت 46
[1855] الزلزلة 7–8
[1856] الروم 44
[1857] البقرة 88–90
[1858] البقرة 100
[1859] الامائدة 13
[1860] الحشر 2–4

النَّارِذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّو اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيد الْعِقَابِ} وقوله تعالى: [1861]{وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَاهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَئُوهَا} ونحو ذلك من الآيات.

{وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً} (الاسراء:8)

في قوله: {حَصِيرًا} في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير وكلها صحيح ويشهد له قرآن الأول ـــ أن الحصير: المحبس والسجن. من الحصر وهو الحبس. وهذا الوجه يدل له قوله تعالى: {وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً} ونحو ذلك من الآيات. الوجه الثاني ـــ أن معنى {حصيراً} أي فراشاً ومهاداً. من الحصير الذي يفرش. ويدل لهذا الوجه قوله تعالى: {لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} ونحو ذلك من الآيات.

{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً} (الاسراء:9)

وهذه الآية الكريمة أجمل الله جلّ وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها. فمن ذلك توحيد الله جلّ وعلا: فقد هدى القرآن فيه للطريق التي هي أقوم الطرق وأعدلها، وقد دل استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول ـــ توحيده في ربوبيته، قال تعالى: [1862]{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ} وقال: [1863]{قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ} وإنكار فرعون لهذا النوع من التوحيد في قوله: [1864]{قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} تجاهل من عارف أنه عبد مربوب. بدليل قوله تعالى: [1865]{قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ} وقوله: [1866]{وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً} وهذا النوع من التوحيد لا ينفع إلا بإخلاص العبادة لله. كما قال تعالى: [1867]{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِالله إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ} والآيات الدالة على ذلك كثيرة جداً. الثاني ـــ توحيده جلّ وعلا في عبادته. وضابط هذا النوع من التوحيد هو تحقيق معنى «لا إله إلاّ الله» وهي متركبة من نفي وإثبات. فمعنى النفي منها: خلع جميع أنواع المعبودات غير الله كائنة ما كانت في جميع أنواع العبادات كائنة ما كانت. ومعنى الإثبات منها: إفراد الله جلّ وعلا وحده بجميع أنواع العبادات بإخلاص، على الوجه الذي شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام. وأكثر آيات القرآن في

[1861] الاحزاب 26-27

[1862] الزخرف 87

[1863] يونس 31

[1864] الشعراء 23

[1865] الاسراء 102

[1866] النمل 14

[1867] يوسف 106

هذا النوع من التوحيد، وهو الذي فيه المعارك بين الرسل وأممهم [1868]{أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهاً وَاحِداً إِنَّ هَـٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} ومن الآيات الدالة على هذا النوع من التوحيد قوله تعالى: [1869]{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} وقوله: [1870]{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الْطَّاغُوتَ} وقوله: [1871]{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلَّا أَنَاْ فَاعْبُدُونِ}،وقوله: [1872]{وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ} وقوله: [1873]{قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} النوع الثالث ــ توحيده جلَّ وعلا في أسمائه وصفاته. وهذا النوع من التوحيد ينبني على أصلين: الأول ــ تنزيه الله جلَّ وعلا عن مشابهة المخلوقين في صفاتهم. كما قال تعالى: **[1874]**{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}.والثاني ــ الإيمان بما وصفه الله به نفسه. أو وصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوجه اللائق بكماله وجلاله. كما قال بعد قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعِ الْبَصِيرُ} مع قطع الطمع عن إدراك كيفية الاتصاف، قال تعالى: **[1875]**{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً} ويكثر في القرآن العظيم الاستدلال على الكفار باعترافهم بربوبيته جلَّ وعلا ــ على وجوب توحيده في عبادته. ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير. فإذا أقروا بربوبيته احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لأن يعبد وحده. ووبَّخهم منكراً عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: [1876]{قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ و الأَبْصَـٰرَ} إلى قوله [1877]{فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ}.فلَّما أقروا بربوبيته وبخهم منكراً عليهم شركهم به غيره بقوله: [1878]{فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ}ومنها قوله تعالى: [1879]{قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لله}فلمّا اعترفوا وبخهم منكراً عليهم شركهم بقوله: **[1880]**{قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} ثم قال: [1881]{قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لله} فلما أقرُّوا وبخهم منكراً عليهم شركهم بقوله: [1882]{قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ} ثم قال: [1883]{قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجْيِرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لله} فلما أقروا وبخهم منكراً عليهم شركهم بقوله: [1884]{قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} ومنها قوله

[1868] ص 5
[1869] محمد 19
[1870] النحل 26
[1871] الانبياء 25
[1872] الزخرف 45
[1873] الانبياء 108
[1874] الشورى 11
[1875] طه 110
[1876] يونس 31
[1877] يونس 31
[1878] يونس 25
[1879] المومنون 84- 85
[1880] المومنون 85
[1881] المومنون 86- 87
[1882] المومنون 87
[1883] المومنون 89
[1884] الومنون 89

تعالى: [1885]{قُلْ مَن رَّبُّ السَّمٰوَاتِ وَ الأَرْضِ قُلِ اللهُ} فلما صح الاعتراف وبخهم منكراً عليهم شركهم بقوله: [1886]{قُلْ أَفَتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا}ومنها قوله تعالى:[1887]{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ}فلماصح إقرارهم وبخهم منكراً عليهم بقوله: [1888]{فَأَنَّىٰيُؤْفَكُونَ}ومنها قوله تعالى: [1889]{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَـــاوَات وَالاَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ} فلما صح اعترافهم وبخهم منكراً عليهم شركهم بقوله:[1890]{فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} [1891]{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنَنَّزَّلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ الاَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللهُ}فلما صح إقرارهم وبخهم منكراً عليهم شِركهم بقوله: [1892]{قُلِ الْحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ} وقوله تعالى[1893] {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ} فلما صح اعترافهم وبخهم منكراً عليهم بقوله: [1894]{قُلِ الْحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} وقوله تعالى: [1895]{ءَاللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالاَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَات بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُواْ شَجَرَهَا}فلما تعين اعترافهم وبخهم منكراً عليهم بقوله. [1896]{أَإِلَـــهٌ مَّعَ الله بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} ثم قال تعالى: [1897]{أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلاَلَهَآ أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً}فلما تعين اعترافهم وبخهم منكراً عليهم بقوله: [1898]{أَءِلَٰـــهٌ مَّعَ الله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} ثم قال جلَّ وعلا: [1899]{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ الأَرْضِ}فلما تعين إقرارهم بذلك وبخهم منكراً عليهم بقوله: [1900]{أَءِلَـــهٌ مَّعَ الله قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ} ثم قال تعالى: [1901]{أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـــاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًى بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ} فلما تعين إقرارهم بذلك وبخهم منكراً عليهم بقوله: [1902]{أَءِلَـــهٌ مَّعَ الله تَعَالَىالله عَمَّا يُشْرِكُونَ} ثم قال جلَّ وعلا:[1903] {أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ و الأَرْضِ}فلما تعين الاعتراف وبخهم منكراً عليهم بقوله:[1904] {أَإِلَـــهٌ مَّعَ الله قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـــانَكُمْ إِن

[1885] الرعد 16

[1886] الرعد 16

[1887] الزخرف 87

[1888] الزخرف 87

[1889] العنكبوت 61

[1890] الزخرف 87

[1891] العنكبوت 63

[1892] العنكبوت 63

[1893] لقمان 25

[1894] الرعد 25

[1895] النمل 59– 60

[1896] النمل 60

[1897] النمل 61

[1898] النمل 61

[1899] النمل 62

[1900] النمل 62

[1901] النمل 63

[1902] النمل 63

[1903] النحل 64

[1904] النمل 64

كُنتُمْ صَـــادِقِينَ} وقوله: [1905] {اللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُمْ مِّن شَيْءٍ} فلما تعين اعترافهم وبخهم منكراً عليهم بقوله: [1906] {سُبْحَـــانَهُ وَتَعَـــالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

{وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً} (الاسراء:11)

معنى الآية {وَيَدْعُ الإِنْسَـــانُ بِالشَّرِّ} كان يدعو على نفسه أو ولده بالهلاك عند الضجر من أمر ولو استجاب الله دعاءه بالشر لهلك. ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: [1907] {وَلَوْ يُعَجِّلُ اللهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ}

{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً} (الاسراء:12)

كرر تعالى هذا المعنى في مواضع كثيرة. كقوله تعالى: [1908] {وَمِنْ ءَايَـــاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ} وقوله: [1909] {وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ} وقوله تعالى: [1910] {إِنَّ فِى اخْتِلافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِى السَّمٰوَاتِ وَ الأَرْضِ لآيَـــاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ} وقوله: [1911] {إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَ اخْتِلافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَـــاتٍ لأُوْلِى الأَلْبَـــابِ}، وقوله: [1912] {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ} وقوله: [1913] {وَهُوَ الَّذِى يُحىِ وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} وقوله: [1914] {وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً} وقوله: [1915] {خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالارْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ الَّيْـــلَ عَلَى النَّهَـــارِ وَيُكَوِّرُ النَّـــهَارَ عَلَى الَّيْلِ وَسَخَّـــرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُـــلٌّ يَجْرِى لأَجَـــلٍ مُّسَـــمًّى أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ} وقوله: [1916] {فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ الَّيْلَ سَكَناً وَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذالِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ}، وقوله [1917] {وَالشَّمْسِ وَضُحَـــاهَاوَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَاوَ النَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَـــاهَا} وقوله {وَ الَّيْلِ إِذَا يَغْشَىوَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} وقوله: [1918] {وَالضُّحَىوَالَّيْلِ إِذَا سَجَى} إلى غير ذلك من الآيات

[1905] الروم 40
[1906] الروم 40
[1907] يونس 11
[1908] فصلت 37
[1909] يسين 37
[1910] يونس 6
[1911] ال عمران 190
[1912] البقرة 164
[1913] المومنون 80
[1914] الفرقان 62
[1915] الزمر 5
[1916] الانعام 96
[1917] الشمس 1–4
[1918] الضحى 1–2

{فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً} (الاسراء:12)

وبين هذا المعنى المشار إليه هنا في مواضع أخر، كقوله: [1919] {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَــامَةِ مَنْ إِلَـــهٌ غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِضِيَآءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَــامَةِ مَنْ إِلَـــهٌ غَيْرُ الله يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} . وقوله: [1920] {وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاًوَجَعَلْنَا الَّيْلَ لِبَاساًوَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً}، وقوله: [1921] {وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً} وقوله: [1922] {وَمِنْ ءايَــاتِهِ مَنَامُكُم بِالَّيْلِ والنَّهَارِ وَ ابْتِغَآؤُكُمْ مِّن فَضْلِهِ}، وقوله: [1923] {وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّـــاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ}، إلى غير ذلك من الآيات. كقوله: [1924] {هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذالِكَ إِ ّلا بِالْحَق يُفَصِّلُ الآيَــاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} . وقوله جلّ وعلا: [1925] {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً} (الاسراء:13)

في هذه الآية الكريمة وجهان معروفان من التفسير: الأول ـــ أن المراد بالطائر: العمل كقوله تعالى: [1926] {لَّيْسَ بِأَمَــانِيِّكُمْ وَلاَ مَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَـــابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} وقوله [1927] {إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} وقوله تعالى: [1928] {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ} وقوله: [1929] {مَّنْ عَمِلَ صَـــالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا} الثاني ـــ أن المراد بالطائر ما سبق له في علم الله من شقاوة أو سعادة كقوله: [1930] {هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ}وقوله: [1931] {وَلِذلِكَ

[1919] القصص 71– 73
[1920] النبأ 9– 11
[1921] الفرقان 47
[1922] الروم 23
[1923] الانعام 60
[1924] يونس 5
[1925] البقرة 189
[1926] النساء 123
[1927] الطور 16
[1928] الانشقاق 6
[1929] فصلت 46
[1930] التغابن 2
[1931] هود 119

خَلَقَهُمْ} أي للاختلاف إلى شقي وسعيد وقوله: [1932] {فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَــالَةُ} وقوله: [1933] {فَرِيقٌ فِى الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً} (الاسراء:13)

وذلك في قوله جلَّ وعلا: [1934] {وَوُضِعَ الْكِتَــابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ ياوَيْلَتَنَا مَا لِهَــاذَا الْكِتَــابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} وبين في موضع آخر: أن بعض الناس يؤتى هذا الكتاب بيمينه قال تعالى: [1935] {فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَــابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً} وقال تعالى: [1936] {فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَــابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَؤُاْ كِتَــابيَهْ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلاقٍ حِسَابِيَهْ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ} وبين في موضع آخر: أن بعض الناس يؤتى هذا الكتاب بشماله وذلك في قوله: [1937] {وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَــابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يالَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَــابِيَهْ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَه يليتهاكانت القاضية مَآ أَغْنَى عَنِّى مَالِيَهْ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَــانِيَهْ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاْسْلُكُوهُ} وبين في موضع آخر: أن بعض الناس يؤتى كتابه وراء ظهره وذلك في قوله: [1938] {وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَــابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً وَيَصْلَى سَعِيراً} وقوله تعالى: [1939] {اقْرَأْ كَتَــابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} وقد بين تعالى في مواضع أخر: أنه إن أنكر شيئاً من عمله شهدت عليه جوارحه. كقوله تعالى: [1940] {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} وقوله: [1941] {وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُواْ أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَــارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَــكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُون وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِّنَ الْخَــاسِرِينَ} وقوله جلَّ وعلا [1942] {بَلِ الإِنسَــانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}

[1932] الاعراف 30

[1933] الشورى 7

[1934] الكهف 49

[1935] الانشقاق 7– 9

[1936] الحاقة 19– 23

[1937] الحاقة 25– 32

[1938] الانشقاق 10– 12

[1939] الاسراء 14

[1940] يسين 65

[1941] فصلت 21– 23

[1942] القيامة 14– 15

{مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} (الاسراء:15)

وبين هذا المعنى في مواضع كثيرة. كقوله: [1943]{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ }، وقوله: [1944]{مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ}، وقوله: [1945]{قَدْ جَآءَكُمْ بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ}، وقوله: [1946]{ فَمَنُ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} والآيات بمثل هذا كثيرة جداً

{وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} (الاسراء:15)

وهذا المعنى جاء في آيات أخر. كقوله: [1947]{وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} وقوله: [1948]{وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَّرْجِعُكُمْ} وقوله: [1949] {تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُم وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} (الاسراء:15)

وقد أوضح جلَّ وعلا هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله تعالى: [1950]{رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} وهذه الحجة بينها في آخر سورة طه بقوله [1951]{وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى} وأشار لها في سورة القصص بقوله: [1952]{وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} وقوله جلَّ وعلا: [1953]{ذالِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ} وقوله: [1954]{يَأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُم عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن

[1943] فصلت 46
[1944] الروم 40
[1945] الانعام 104
[1946] يونس 108
[1947] فاطر 18
[1948] النعام 164
[1949] البقرة 134
[1950] النساء 165
[1951] طه 134
[1952] القصص 47
[1953] الانعام 131
[1954] المائدة 19

تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ} وكقوله: [1955] {وَهَـذَا كِتَـابٌ أَنزَلْنَـاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَن تَقُولُواْ إِنَّمَآ أُنزِلَ الْكِتَـابُ عَلَى طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَـافِلِينَأَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَـابُ لَكُنَّآ أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ} إلى غير ذلك من الآيات. ويوضح ما دلت عليه هذه الآيات المذكورة وأمثالها في القرآن العظيم من أن الله جلَّ وعلا لا يعذب أحدا إلا بعد الإنذار والإعذار على ألسنة الرسل عليهم الصلاة والسلام قوله جلَّ وعلا: [1956] {كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌقَالُواْ بَلَى قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَىْءٍ} ومن ذلك قوله جلَّ وعلا: [1957] {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَي جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّي إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَي وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَي الْكَافِرِينَ} ونظيره أيضاً قوله تعالى: [1958] {وَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِم فَيَمُوتُواْ وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍوَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَـالِحاً غَيْرَ الَّذِى كُـنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ}. ونظير ذلك قوله تعالى: [1959] {وَقَالَ الَّذِينَ فِى النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ قَالُواْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَـاتِ قَالُواْ بَلَىقَالُواْ فَادْعُواْ وَمَا دُعَاءُ الْكَـافِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلاَلٍ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً} (الاسراء:16)

الأمر في قوله {أَمرنا} هو الأمر الذي هو ضد النهي، والمعنى: {أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا} بطاعة الله وتوحيده، وتصديق رسله وأتباعهم فيما جاؤوا به {فَفَسَقُواْ} أي خرجوا عن طاعة أمر ربهم، وعصوه وكذبوا رسله {فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ} أي وجب عليها الوعيد {فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} أي أهلكناها إهلاكاً مستأصلاً وهذا القول تشهد له آيات كثيرة كقوله: **[1960]** {وَإِذَا فَعَلُواْ فَـاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِا لْفَحْشَآءِ} قوله تعالى: [1961] {وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَـافِرُونَ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَـرُ أَمْوَلاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}.

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً} (الاسراء:17)

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة أوضحته آيات أخر من أربع جهات: الأولى ـــ أن في الآية تهديداً لكفار مكة، وتخويفاً لهم من أن ينزل بهم ما نزل بغيرهم من الأمم التي كذبت رسلها والآيات التي أوضحت هذا المعنى كثيرة. كقوله في قوم لوط

[1955] الانعام 155–157

[1956] الملك 8–9

[1957] الزمر 71

[1958] فاطر 36–37

[1959] غافر 49–50

[1960] الاعراف 28

[1961] سبأ 34–35

[1962]{وَإِنَّكُمْ لَّتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ وَبِالَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} وكقوله فيهم أيضاً: [1963]{إِنَّ فِى ذَالِكَ لآيَـاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ} وقوله فيهم أيضاً: [1964]{وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}، وقوله: [1965]{أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَـافِرِينَ أَمْثَـالُهَا} وقوله في سورة الشعراء: [1966]{إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ} وقوله في قوم موسى: [1967]{إِنَّ فِى ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ} وقوله: [1968]{إِنَّ فِى ذالِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الأٌّخِرَةِ} وقوله: [1969]{أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَـاهُمْ} إلى غير ذلك من الآيات. الجهة الثانية ـــ أن هذه القرون تعرضت لبيانها آيات أخر وذلك مذكور في مواضع متعددة معلومة من كتاب الله تعالى وبين أن تلك القرون كثيرة في قوله: [1970]{وَعَاداً وَثَمُودَاْ وَأَصْحَـابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَالِكَ كَثِيراً} وبين في موضع آخر: أن منها ما لا يعلمه إلا الله جل وعلا، وذلك في قوله في سورة إبراهيم[1971] {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ} وبين في موضعين آخرين أن رسلهم منهم من قص خبره ومنهم من لم يقصصه وهما قوله في سورة النساء: {وَرُسُلاً قَدْ قَصَصنَـاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَىٰتَكْلِيماً} وقوله في سورة المؤمن: [1972]{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِأايَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ} الجهة الثالثة ـــ أن قوله [1973]{مِن بَعْدِ نُوحٍ} يدل على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح أنها على الإسلام وهذا المعنى تدل عليه آيات أخر. كقوله [1974]{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} وقوله. **[1975]**{وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَخْتَلَفُواْ}. ويدل على هذا قوله: [1976]{إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ}. الجهة الرابعة ـــ أن قوله [1977]{وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} فيه أعظم زجر عن ارتكاب ما لا يرضي الله تعالى. والآيات الموضحة لذلك كثيرة جداً. كقوله: [1978]{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} وقوله: [1979]{أَلا

[1962] **الصافات 75– 76**

[1963] **لحجر 75– 76**

[1964] **العنكبوت 35**

[1965] **محمد 10**

[1966] **الشعراء 8**

[1967] **النازعات 26**

[1968] **هود 103**

[1969] **الدخان 37**

[1970] **الفرقان 38**

[1971] **ابراهيم 9**

[1972] **غافر 78**

[1973] **الاسراء 17**

[1974] **البقرة 213**

[1975] **يونس 19**

[1976] **النساء 163**

[1977] **الاسراء 17**

[1978] **ق 16**

[1979] **هود 5**

إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} وقوله: [1980]{وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً} (الاسراء:19)

وقد أوضح تعالى هذا في آيات كثيرة. كقوله: [1981]{وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً} وقوله: [1982]{مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} وقوله : [1983]{مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ } إلى غير ذلك من الآيات. ومفهوم هذه الآيات ـــ أن غير المؤمنين إذا أطاع الله بإخلاص لا ينفعه ذلك. لفقد شرط القبول الذي هو الإيمان بالله جل وعلا كقوله في أعمال غير المؤمنين: [1984]{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً} وقوله: [1985]{مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ} وقوله: [1986]{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً} إلى غير ذلك من الآيات. وقد بين جل وعلا في مواضع أخر: أن عمل الكافر الذي يتقرب به إلى الله يجازى به في الدنيا، ولاحظّ له منه في الآخرة. كقوله: [1987]{مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} وقوله تعالى: [1988]{مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ}

{وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً} (الاسراء:23)

كقوله في سورة «النساء»: [1989]{وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً} وقوله في البقرة: [1990]{وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً} وقوله في سورة لقمان: [1991]{أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}

[1980] البقرة 235
[1981] النساء 124
[1982] النحل 97
[1983] غافر 40
[1984] الفرقان 23
[1985] ابراهيم 18
[1986] النور 39
[1987] هود 16
[1988] الشورى 20
[1989] النساء 36
[1990] البقرة 83

وبين في مواضع أخر أن برهما لازم ولو كانا مشركين داعيين إلى شركهما كقوله في «لقمان»: [1992]{وَإِن جَـــاهَدَاكَ عَلٰى أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَـــاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفاً} وقوله في «العنكبوت»: [1993]{وَوَصَّيْنَا الإِنْسَـــانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَـــاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَآ إِلَى مَرْجِعُكُمْ} وقوله جل وعلا {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَـــاناً} بينه بقوله تعالى: [1994]{وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَـــاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَتَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا}

{وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً} (الاسراء:28)

كما في قوله: [1995]{قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى}

{وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً}(الاسراء:33)

كما فى قوله تعالى:[1996] {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى} إلى قوله {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاص حَيَوةٌ ياأُولِي الأَلْبَـــابِ}

[1991] لقمان 14

[1992] لقمان 15

[1993] العنكبوت 8

[1994] الاسراء 23– 24

[1995] البقرة 263

[1996] البقرة 178– 179

{وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} (الاسراء:36)

كقوله: [1997]{إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَىٰ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} وقوله: [1998]{إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـاناً وَأَن تَقُولُواْ عَلَىٰ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} وقوله: [1999]{يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} وقوله: [2000]{قُلْ ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ} وقوله: [2001]{وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً} وقوله: [2002]{مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ}

{إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً} (الاسراء:36)

كقوله: [2003]{وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} وقوله [2004]{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} ونحو ذلك من الآيات.

{وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً} (الاسراء:37)

كقوله عن لقمان مقرراً له [2005]{ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} وقوله:[2006] {وَعِبَادُ الرَّحْمَـنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَىٰ الأَرْضِ هَوْناً} إلى غير ذلك من الآيات

[1997] **البقرة 169**

[1998] **الاعراف 33**

[1999] **الحجرات 12**

[2000] **يونس 59**

[2001] **النجم 28**

[2002] **النساء 157**

[2003] **النحل 93**

[2004] **الحجر 92– 93**

[2005] **لقمان 18– 19**

[2006] **الفرقان 63**

{أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثاً} (الاسراء:40)

كقوله [2007] {أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىتِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى} وقوله: [2008] {أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ} وقوله: [2009] {لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً لاَّصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ} والآيات بمثل هذا كثيرة جداً

{ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً} (الاسراء:40)

وقد بين شدة عظمه بقوله تعالى: [2010] {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا }

{قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً} (الاسراء:42)

في معنى هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير: الأول: أن معنى الآية الكريمة: لو كان مع الله آلهة أخرى كما يزعم الكفار لابتغوا ــ أي لطلبوا إلى ذي العرش ــ أي إلى الله سبيلاً ــ أي إلى مغالبته وإزالة ملكه، ومن الآيات الشاهدة لهذا المعنى قوله تعالى: [2011] {مَااتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَـهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىعَمَّا يُشْرِكُونَ} وقوله: [2012] {لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} الثاني: أن المعنى [2013] {لاَّبْتَغَوْاْ إِلَىذِى الْعَرْشِ سَبِيلاً} أي طريقاً ووسيلة تقربهم إليه لاعترافهم بفضله. ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ}

{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً} (الاسراء:45)

في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير: الأول ــ أن المعنى: وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً يمنعهم من تفهم القرآن وإدراكه لئلا يفقهوه فينتفعوا به كقوله: [2014] {وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِى ءَاذانِنَا وَقْرٌ

[2007] النجم 21- 22
[2008] الطور 39
[2009] الزمر 4
[2010] مريم 88- 95
[2011] المومنون 91- 92
[2012] الانبياء 22
[2013] الاسراء 57
[2014] الصف 5

وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَـــامِلُونَ} وقوله:[2015] {خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} وقوله: [2016]{إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ} إلى غير ذلك من الآيات. الثاني: أن المراد بالحجاب المستور أن الله يستره عن أعين الكفار فلا يرونه.

{وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً} (الاسراء:46)

وبين في مواضع أخر سبب الحيلولة بين القلوب وبين الانتفاع به، كقوله تعالى:[2017] {فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ} وقوله:[2018]{بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} وقوله: [2019]{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـــارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} وقوله: [2020]{فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضًا} وقوله: [2021]{وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـــافِرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً} (الاسراء:46)

كقوله: [2022]{وَإِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَحْدَهُ شْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالاْخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} وقوله:[2023] {ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِىَ اللّهُ وَحْدَهُ كَـــفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُواْ فَالْحُكْمُ لله الْعَلِـــىِّ الْكَبِيرِ}، وقوله: [2024]{إِنَّهُمْ كَانُواْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَـــٰهَ إِلاَّ اللّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ أَءِنَّا لَتَارِكُو ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ} وقوله: [2025]{كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} وقوله : [2026]{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَـــاتُنَا بَيِّنَـــاتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ لْمُنْكَرَ يَكَـــادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِم ءَايَاتِنَا} وقوله: [2027]{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـــاذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ}

{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلا تَحْوِيلاً} (الاسراء:56)

[2015] البقرة 7
[2016] الكهف 57
[2017] الصف 5
[2018] النساء 155
[2019] الانعام 110
[2020] البقرة 10
[2021] التوبة 125
[2022] الزمر 45
[2023] غافر 12
[2024] الصافات 35– 36
[2025] الشورى 13
[2026] الحج 72
[2027] فصلت 6– 2

{أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً} (الاسراء:57)

كقوله «في سبإ» [2028] {قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} وقوله «في الزمر»: [2029] {أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً} (الاسراء:58)

كقوله [2030] {وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ} وقوله: [2031] {ذالِكَ أَن لَّمْ يَكُنْ رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ} وقوله [2032] {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} وقوله [2033] {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً} إلى غير ذلك من الآيات

{وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً} (الاسراء:59)

لم يبين ظلمهم بها ها هنا، ولكنه أوضحه في مواضع أخر، كقوله: [2034] {فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ} وقوله [2035] {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا} وقوله [2036] {فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ} (الاسراء:60)

ومن الآيات التي فصلت بعض التفصيل هذه الإحاطة قوله تعالى: [2037] {سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّون الدُّبُرَ}

[2028] سبأ 22– 23
[2029] الزمر 38
[2030] القصص 59
[2031] الانعام 131
[2032] هود 117
[2033] الطلاق 8– 9
[2034] الاعراف 77
[2035] الشمس 14
[2036] القمر 29
[2037] القمر 45

{ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً} (الاسراء:60)

بين أن هذا هو المراد من كون الشجرة المذكورة فتنة لهم بقوله: [2038]{أَذَالِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَم شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَـــاهَا فِتْنَةً لِّلظَّـــالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ} وأشار في مواضع آخر إلى الرؤيا التي جعلها فتنة لهم، وهو قوله: [2039]{أَفَتُمَـــارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَـــاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً} (الاسراء: 61)

فصرح بالإباء والاستكبار معاً «في البقرة» في قوله [2040]{إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى} في قوله {إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَـــافِرِينَ} وصرح بإبائه «في الحجر» بقوله [2041]{إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّـــاجِدِينَ} وباستكباره «في ص» بقوله [2042]{إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَـــافِرِينَ} وبين سبب استكباره بقوله {قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}

{قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً} (الاسراء:62)

كقوله [2043]{لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـــانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـــاكِرِينَ} وقوله: [2044]{فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} إلى غير ذلك من الآيات وقوله في هذه الآية {إِلاَّ قَلِيلاً} بين المراد بهذا القليل في مواضع أخر. كقوله : [2045]{وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} وقوله: [2046]{لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُم الْمُخْلَصِينَ} وقول إبليس في هذه الآية. {لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ} كما قال تعالى: [2047]{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقاً مِّن الْمُؤْمِنِينَ}

[2038] الصافات 62- 64
[2039] النجم 12-18
[2040] البقرة 34
[2041] الحجر 31
[2042] ص 74
[2043] الاعراف 16- 17
[2044] ص 82
[2045] الحجر 39- 40
[2046] الحجر 39- 40
[2047] سبأ 20

{قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً} (الاسراء:63)

كقوله: [2048]{قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} وقوله: [2049]{فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ وَعِدْهُمْ} (الاسراء:64)

كقوله: [2050]{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُواْ أَوْلادَهُمْ سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ اللهُ افْتِرَآءً عَلَى اللهِ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ} وكقوله [2051]{وَجَعَلُواْ للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُواْ هَذَا للهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا} وكقوله: [2052]{وَقَالُواْ هَـذِهِ أَنْعَـامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَآ إِلاَّ مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَـامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَـامٌ لاَّ يَذْكُرُونَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا افْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} وقوله: [2053]{قُلْ أَرَأَيْتُم مَّآ أَنزَلَ اللهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ ءَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات

{ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً} (الاسراء:64)

كقوله: [2054]{يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَـانُ إِلاَّ غُرُوراً}، وقوله: [2055]{وَلَـكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَآءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ} وقوله: [2056]{وَقَالَ الشَّيْطَـانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ} إلى غير ذلك من الآيات

{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً} (الاسراء:65)

[2048] ص 84- 85

[2049] الشعراء 94- 95

[2050] الانعام 140

[2051] الانعام 136

[2052] الانعام 138

[2053] يونس 59

[2054] النساء 120

[2055] الحديد 14

[2056] ابراهيم 22

كقوله: [2057]{إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} وقوله: [2058]{إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} وقوله: [2059]{إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْأِنْسَانُ كَفُوراً} (الاسراء:67)

{أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً} (الاسراء:68)

{أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعاً} (الاسراء:69)

كقوله: [2060]{هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّـاكِرِينَ فَلَمَّآ أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} وقوله: [2061] {قُلْ مَن يُنَجِّيكُمْ مِّن ظُلُمَـاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَـانَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّـاكِرِين قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ}، وقوله: [2062]{فَإِذَا رَكِبُواْ فِى الْفُلْكِ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ} وقوله: [2063]{وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّـاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِأايَـاتِنَآ إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} وقوله: [2064]{وَإِذَا مَسَّ الإِنسَـانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ} إلى غير ذلك من الآيات. وأما قدرته على إهلاكهم في غير البحر بخسف أو عذاب من السماء فهىكقوله: [2065]{إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِّنَ السَّمَآءِ} وقوله: [2066]{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} وقوله: [2067]{أَءَمِنتُمْ مَّن فِى السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ أَمْ أَمِنتُمْ مِّن فِى السَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ

[2057] الحجر 40

[2058] النحل 99- 100

[2059] الحجر 42

[2060] يونس 22- 23

[2061] الانعام 63- 64

[2062] العنكبوت 65

[2063] لقمان 23

[2064] الزمر 8

[2065] سبأ 9

[2066] الانعام 65

[2067] اللملك 16- 17

عَلَيْكُمْ حَـــاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} وقوله «في قوم لوط»: [2068]{إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَـــاصِباً} وقوله:[2069] {لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ} إلى غير ذلك من الآيات. وقوله في هذه الآية [2070]{ثُمَّ لاَ تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا} كقوله {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَاوَلاَ يَخَافُ عُقْبَـــاهَا}

{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} (الاسراء:70)

كقوله تعالى: [2071]{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـــانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} وقوله:[2072] {وَصَوَّرَكُـــمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُـــمْ}

{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} (الاسراء:70)

كقوله:[2073] {وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ}، وقوله: [2074]{وَالَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْفُلْكِ وَ الأنْعَـــامِ مَا تَرْكَبُونَ}

{يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً} (الاسراء:71)

قال بعض العلماء: المراد «بإمامهم» هنا كتاب أعمالهم. ويدل لهذا قوله تعالى: [2075]{وَكُلَّ شىْءٍ أَحْصَيْنَـــاهُ فِى إِمَامٍ مُّبِينٍ} وقوله: [2076]{وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَـــابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} وقوله: [2077]{وَوُضِعَ الْكِتَـــابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ} وقوله: [2078]{وَكُلَّ إِنْسَـــانٍ أَلْزَمْنَـــاهُ طَـــا ئِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَـــامَةِ كِتَابًا يَلْقَـــاهُ مَنْشُوراً} و قال بعض العلماء أن المراد «بإمامهم» نبيهم. ويدل لهذا القول قوله تعالى:[2079] {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ

[2068] القمر 34

[2069] الذاريات 33

243 اسراء 69

[2071] التين 4

[2072] غافر 64

[2073] المومنون 22

[2074] الزخرف 12

[2075] يسين 12

[2076] الجاثية 28

[2077] الكهف 49

[2078] الاسراء 13

[2079] يونس 47

قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ}، وقوله: [2080]{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىهَــؤُلاءِ شَهِيداً}، وقوله [2081]{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَــؤُلآءِ}، وقوله: [2082]{وَأَشْرَقَتِ الاَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَــابُ وَجِــىءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَآءِ}

{وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً} (الاسراء:72)

المراد بالعمى عمى القلب ويدل لهذا قوله تعالى: [2083]{فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الاٌّبْصَــارُ وَلَــكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ} {فَهُوَ فِى الاٌّخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً}

{وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلاً} (الاسراء:73)

وذلك في قوله: {قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَــذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىأَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآءِ نَفْسِى إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَى إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}

{وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً} (الاسراء:74)

{إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً} (الاسراء:75)

كقوله: [2084]{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الاٌّقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} وهذا الذي دلت عليه هذه الآية من أنه إذا كانت الدرجة أعلى كان الجزاء عند مخالفة أعظم بينه في موضع آخر كقوله: [2085]
{يا نِسَآءَ النَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَــاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ}

{أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً} (الاسراء:78)

كقوله: [2086]{وَأَقِمِ الصَّلَوةَ طَرَفَىِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ الَّيْلِ} وقوله: [2087]{فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ}

[2080] النساء 41
[2081] النحل 89
[2082] الزمر 69
[2083] الحج 46
[2084] الحاقة 44– 46
[2085] الاحزاب 30
[2086] هود 114
[2087] الروم 17

{وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً} (الاسراء:81)

كقوله: [2088]{قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلامُ الْغُيُوبِ قُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِىءُ الْبَـاطِلُ وَمَا يُعِيدُ} وقوله: [2089]{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَـاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ}

{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً} (الاسراء:82)

كقوله: [2090]{فَأَمَّا الَّذِينَ ءامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـافِرُونَ} وقوله: [2091]{قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِى ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى}

{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوساً} (الاسراء:83)

كقوله «في سورة هود»[2092] {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَـانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ وقوله في «آخر فصلت»: {لاَّ يَسْأم الانْسَـانُ مِن دُعَآءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ وَلَئِنْ أَذَقْنَـاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِّعْتُ إِلَى رَبِّى إِنَّ لِى عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَىالإِنسَـانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ}، وقوله: «في سورة الروم» [2093]{وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُمْ مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ}، وقوله فيها أيضاً: [2094]{وَإِذَآ أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُواْ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ}، وقوله «في سورة يونس»: [2095]{وَإِذَا مَسَّ الإِنسَـانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ}، وقوله «في سورة الزمر»: [2096]{وَإِذَا مَسَّ الإِنسَـانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لله أَنداداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ}، وقوله فيها أيضاً: [2097]{فَإِذَا مَسَّ الإِنسَـانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ} إلى غير ذلك من الآيات. وقد استثنى الله من

[2088] سبأ 48-49

[2089] الانبياء 18

[2090] التوبة 124-125

[2091] فصلت 44

[2092] هود 9-10

[2093] الروم 33

[2094] الروم 36

[2095] يونس 12

[2096] الزمر 8

[2097] الزمر 49

هذه الصفات عباده المؤمنين في قوله «في سورة هود»: [2098]{إِ ّ َلا الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّــالِحَاتِ أُولَـئِكَ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}

{وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً} (الاسراء:85)

كقوله تعالى: [2099]{قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَــاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَــاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً} وقوله: [2100]{وَلَوْ أَنَّمَا فِى الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَــاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}

{ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا }

كقوله: [2101]{وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً}، وقوله: [2102]{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً لِّيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَطاً مُّسْتَقِيماً وَيَنصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً} وقوله: [2103]{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ الَّذِى أَنقَضَ ظَهْرَكَ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً} (الاسراء:90) {أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً} (الاسراء:91) {أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً} (الاسراء:92)

{أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَأُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً} (الاسراء:93)

كقوله تعالى: [2104]{وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَــاباً فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَــذَآ إِ ّ َلا سِحْرٌ مُّبِينٌ} وقوله: [2105]{وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ الْمَلَــئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِ ّ َلا أَن يَشَآءَ اللهُ} وقوله: [2106]{وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَــارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ} وقوله: [2107]{وَمَا

[2098] هود 11

[2099] الكهف 109

[2100] لقمان 28

[2101] النساء 113

[2102] الفتح 1–3

[2103] الشرح 1–4

[2104] الانعام 7

[2105] الانعام 111

[2106] الحجر 14–15

[2107] الانعام 109

يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ} وقوله: [2108]{إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءايَة حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ} والآيات بمثل هذا كثيرة. وقوله في هذه الآية {كِتَابًا نَّقْرَءُهُ} أي كتاباً من الله إلى كل رجل منا. ويوضح هذا قوله تعالى «في المدثر»: [2109]{بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفاً مُّنَشَّرَةً} كما يشير إليه قوله تعالى: [2110]{وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ اللهِ}. وقوله في هذه الآية الكريمة: {قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً} كقوله:[2111] { قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } وكقوله تعالى عن جميع الرسل: [2112]{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَراً رَسُولاً} (الاسراء:94)

كقوله: [2113]{قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا} وقوله: [2114]{أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا} وقوله: [2115]{أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّآ إِذاً لَّفِى ضَلَالٍ وَسُعُرٍ} وقوله: [2116]{ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـاتِ فَقَالُواْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا} وقوله: [2117]{وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـاسِرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات. و صرح بمانع آخر غير هذا «في سورة الكهف» وهو قوله: [2118]{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً}

{قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً} (الاسراء:95)

كقوله: [2119]{وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِىَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَـاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَـاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ}، وقوله: [2120]{وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِى إِلَيْهِمْ} وقوله: [2121]{وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الأَسْوَاقِ}

[2108] يونس 96– 97
[2109] المدثر 52
[2110] الانعام 124
[2111] الكهف 110
[2112] ابراهيم 11
[2113] ابراهيم 10
[2114] المومنون 47
[2115] القمر 24
[2116] التغابن 6
[2117] المومنون 34
[2118] الكهف 55
[2119] الانعام 8– 9
[2120] الانبياء 7
[2121] الفرقان 20

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلٰى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً} (الاسراء:99)

كقوله: [2122]{لَخَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} وقوله: [2123]{أَوَلَيْسَ الَذِى خَلَقَ السَّمٰوَات وَالارْضَ بِقَادِرٍ عَلٰى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى} وقوله:[2124] {أَوَلَمْ يرَوْاْ أَنَّ اللهَ الَّذِى خَلَقَالسَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ}، وقوله: [2125]{أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالارْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ}

{قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْأِنْفَاقِ وَكَانَ الْأِنْسَانُ قَتُوراً} (الاسراء:101)

كقوله تعالى: [2126]{أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً}، وقوله: [2127]{إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً إِلاَّ الْمُصَلِّينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرائيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُوراً} (الاسراء:101)

كقوله: [2128]{فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّاظِرِينَ}، وقوله: [2129]{وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ} وقوله: {فَأَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} وقوله: [2130]{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَاتٍ مّفَصَّلاَتٍ} إلى غير ذلك من الآيات.

{قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً} (الاسراء:102)

[2122] غافر 57

[2123] يسين 81

[2124] الاحقاف 33

[2125] النازعات 27 – 33

[2126] النساء 53

[2127] العارج 19– 22

[2128] الاعراف 107– 108

[2129] الاعراف 130

[2130] الاعراف 133

وقد أوضح جل وعلا هذا المعنى مبيناً سبب جحوده لما علمه «في سورة النمل» بقوله: [2131]{وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِى تِسْعِ ءَايَـاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَـاسِقِينَ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَـذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً}

{وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً} (الاسراء:105)

كما قال تعالى: [2132]{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً} كما قال تعالى: [2133]{لَّكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ} وقوله: {وَبِالْحَقِّ نَزَلَ} كما أشار إلى هذا بقوله: [2134]{نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ} وقوله: [2135]{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ مُّطَـعٍ ثَمَّ أَمِينٍ}

[2131] النمل 12– 14
[2132] الانعام 115
[2133] النساء 166
[2134] الشعراء 193 – 194
[2135] التكوير 19– 21

{وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً} (الاسراء:106)

ومن إطلاق فرق بمعنى بين وفصل قوله تعالى: [2136]{فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} على مكث، أي مهل وتؤدة وتثبت، يدل على ذلك قوله: [2137]{وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً} و قوله: [2138]{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً}

{قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً} (الاسراء:110)

كقوله: [2139]{وَلِلَّهِ الأَسْمَآءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَـآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} وقوله: [2140]{هُوَ اللَّهُ الَّذِى لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَـادَةِ هُوَ الرَّحْمَـنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَـانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَـالِقُ الْبَارِىءُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَآءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً} (الاسراء:111)

كقوله: [2141]{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} وقوله: [2142]{وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَـاحِبَةً وَلاَ وَلَداً} وقوله: [2143]{بَدِيعُ السَّمَـوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَّهُ صَـاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ}، وقوله: [2144]{وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَـنُ وَلَداً لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً تَكَادُ السَّمَـوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الارْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَـنِ وَلَداً وَمَا يَنبَغِى لِلرَّحْمَـنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً}

{ وَلَم يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ }

[2136] الدخان 4
[2137] المزمل 4
[2138] الفرقان 23
[2139] الاعراف 180
[2140] الحشر 22–24
[2141] الاخلاص 1
[2142] الجن 3
[2143] الانعام 101
[2144] مريم 88– 92

كقوله: [2145]{وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ} وقوله: [2146]{لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} وقوله: [2147]{تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلٰىكُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} وقوله:[2148] {قُلِ اللّٰهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ} والآيات بمثل ذلك كثيرة

{ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِىٌّ مِّنَ الذُّلِّ }

كقوله: [2149]{وَ اللهُ غَالِبٌ عَلٰى أَمْرِهِ} وقوله: [2150]{إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} وقوله: [2151]{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ} والآيات بمثل ذلك كثيرة

{ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا }

كقوله تعالى: [2152]{وَلِتُكَبِّرُواْ اللهَ عَلٰى مَا هَدَاكُمْ} ونحوها من الآيات،

[2145] سبأ 22

[2146] غافر 16

[2147] الملك 1

[2148] ال عمران 26

[2149] يوسف 21

[2150] البقرة 220

[2151] الانعام 18

[2152] البقرة 185

تفسير الفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الكهف

{الْحَمْدُ لله الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا} (الكهف: 1)

كقوله: [2153]{يَــاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُم نُوراً مُّبِيناً فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً}، وقوله: [2154]{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَــابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}، وقوله: [2155]{إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَى بَنِى إِسْرَاءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}، وقوله: [2156]{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}، وقوله: [2157]{قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ}، وقوله تعالى [2158]{ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينوَمَآ أَرْسَلْنَــاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَــالَمِينَ}، وقوله: [2159]{وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَــابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ}، وقوله: [2160]{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَــابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَــالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ}.

{وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا} (الكهف: 1)

كقوله: [2161]{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَــذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُم يَتَّقُونَ}، وقوله: [2162]{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلِ لِكَلِمَــاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}. وكقوله تعالى: [2163]{ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا}.

{قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً} (الكهف: 2)

[2153] النساء 174- 175

[2154] العنكبوت 51

[2155] النمل 77

[2156] الاسراء 82

[2157] فصلت 44

[2158] الانبياء 106- 107

[2159] القصص 86

[2160] فاطر 32

[2161] الزمر 27- 28

[2162] الانعام 110

[2163] النساء 82

كقوله [2164]{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَـابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىتَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِّنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}، وقوله تعالى: [2165]{إِنَّ هَـذَا الْقُرْءَانَ يِهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ}، وقوله: [2166]{وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىمِن دُونِ اللهِ وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَـالَمِينَ}. وقوله تعالى: [2167]{مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىوَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} وقوله [2168]{الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}، وقوله [2169]{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءايَـاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} وقوله: [2170]{وَلَـكِن جَعَلْنَـاهُ نُوراً نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا} إلى غير ذلك من الآيات.

{قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ} (الكهف:2)

كما في قوله تعالى: [2171]{فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى}، وقوله [2172]{إِنَّآ أَنذَرْنَـاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً}.

{قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ} (الكهف:2)

كقوله:[2173]{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـاهُ بِلَسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ}. وقوله في هذه الآية الكريمة: {الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّـالِحَاتِ} بينت المراد به آيات أخر، فدلت على أن العمل لا يكون صالحاً إلا بثلاثة أمور: الأول: أن يكون مطابقاً لما جاء به النَّبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى: [2174]{وَمَآ ءَاتَـاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ}، وقال:[2175] {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ} وقال: [2176]{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ}، وقال: [2177]{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُواْ لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللهُ}. إلى غير ذلك من الآيات. الثاني: أن يكون العامل مخلصاً في عمله لله فيما بينه وبين الله، قال تعالى [2178]{وَمَآ أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}، وقال: [2179]{قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ قُلْ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ

[2164] البينة 1– 3
[2165] الاسراء 9
[2166] يونس 37
[2167] يوسف 111
[2168] البقرة 1–2
[2169] هود 1
[2170] الشورى 52
[2171] اليل 14
[2172] النبأ 40
[2173] مريم 97
[2174] الحشر 7
[2175] النساء 80
[2176] ال عمران 31
[2177] الشورى 21
[2178] البينة 5
[2179] الزمر 11– 15

رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِى فَاعْبُدُواْ مَا شِئْتُمْ مِّن دُونِهِ} إلى غير ذلك من الآيات. الثالث: أن يكون العمل مبنياً على أساس الإيمان والعقيدة الصحيحة، لأن العمل كالسقف، والعقيدة كالأساس، قال تعالى: [2180]{مَنْ عَمِلَ صَـالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ}، فجعل الإيمان قيداً في ذلك.

{أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً} (الكهف:2)

ووصف أجرهم هنا بأنه حسن، وبين أوجه حسنه في آيات كثيرة. كقوله [2181]{ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الاٌّخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَـابِلِينَ} إلى قوله [2182]{ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الاٌّخِرِينَ}، وكقوله: [2183]{فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

{مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً} (الكهف:3)

وقد بين هذا المعنى في مواضع أخر كثيرة، كقوله: [2184]{وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى الْجَنَّةِ خَـالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَـوَاتُ وَالاٌّرْضُ إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}، وقوله: [2185]{إِنَّ هَـذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ} وقوله: [2186]{مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ}، وقوله: [2187]{وَالاٌّخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً} (الكهف:4)

وكقوله تعالى: [2188]{وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَـانُ وَلَداً لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً تَكَادُ السَّمَـوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَـنِ وَلَداًوَمَا يَنبَغِى لِلرَّحْمَـنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً}، وقوله: [2189]{أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلاٌّئِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا} والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة. ولقد بين القرآن أن الذين نسبوا الولد لله سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً ثلاثة أصناف من الناس اليهود، والنصارى، قال تعالى: [2190]{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَـارَى الْمَسِيحُ ابْنُ

[2180] النحل 97
[2181] الواقعة 13-16
[2182] الواقعة 39-40
[2183] السجدة 17
[2184] هود 10
[2185] ص 54
[2186] النحل 96
[2187] الاعلى 17
[2188] مريم 88-92
[2189] الاسراء 40
[2190] التوبة 30

الله ذلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ}. والصنف الثالث مشركو العرب. كما قال تعالى عنهم: [2191]{وَيَجْعَلُونَ لله الْبَنَـــاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ}، والآيات بنحوها كثيرة معلومة.

[2191] النحل 57

{مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لِآبَائِهِمْ } (الكهف:5)

والآية تدل دلالة واضحة على أن نفي الفعل لا يدل على إمكانه. ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى:[2192] {وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} . ولقد بينه في مواضع أخر، كقوله: [2193]{وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ}، وقوله في آبائهم: {أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً} (الكهف:5)

كقوله: [2194]{إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا}، وقوله: [2195]{تَكَادُ السَّمَـوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً} .

وقال ابن كثير في تفسيره {تخرج من أفواههم} أي ليس لها مستند سوى قولهم ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم وافتراؤهم، ولذا قال: {إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا} . وهذا المعنى الذي ذكره ابن كثير له شواهد في القرآن كقوله: [2196]{يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ} ونحو ذلك من الآيات.

{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً} (الكهف:6)

كقوله: [2197]{فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ}، وقوله: [2198]{وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ}، وقوله: [2199]{فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَـافِرِينَ} وكقوله: [2200]{لَعَلَّكَ بَـاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}، وكقوله: [2201]{وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} وكقوله: [2202]{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ} وكقوله [2203]{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

[2192] البقرة 57
[2193] الانعام 100
[2194] الاسراء 40
[2195] مريم 90
[2196] ال عمران 167
[2197] فاطر 8
[2198] الحجر 88
[2199] المائدة 680
[2200] الشعراء 3
[2201] الحجر 88
[2202] الانعام 33
[2203] الحجر 97

{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} (الكهف:7)

قوله {زِينَةً لَّهَا} كقوله تعالى: [2204]{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا}، وقوله: [2205]{وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً}، إلى غير ذلك من الآيات. وقوله في هذه الآية الكريمة {لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُم أَحْسَنُ عَمَلاً} بين في مواضع أخر أنها هي الحكمة في خلق الموت والحياة والسموات والأرض، كما قال تعالى: [2206]{تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}، وقال تعالى: [2207]{وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمْوَات وَالاَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَن عَمَلاً}.

{وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً} (الكهف:8)

كما قال تعالى: [2208]{أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ الْمَآءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ} وكقوله: [2209]{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَـامُ حَتَّى إِذَآ أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآيَـاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}، وكقوله تعالى: [2210]{وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَـاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا} إلى غير ذلك من الآيات.

{أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً} (الكهف:9)

وبين هذا المعنى في مواضع أخر، كقوله تعالى: [2211]{لَخَلْقُ السَّمْوَات وَالأَرْضِ أَكْـبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} وكقوله: [2212]{أَءَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَآءُ بَنَـاهَا} إلى قوله {مَتَـاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَـامِكُمْ}.

{فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً} (الكهف:11)

ولم يبين قدر هذا العدد هنا، ولكنه بينه في موضع آخر. وهو قوله: [2213]{وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُواْ تِسْعًا}.

[2204] الكهف 46
[2205] النحل 8
[2206] الملك 1– 2
[2207] هود 7
[2208] السجدة 27
[2209] يونس 24
[2210] الكهف 45
[2211] غافر 57
[2212] النازعات 33

{ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً} (الكهف:12)

والذي يدل عليه القرآن: أن الحزبين كليهما من أصحاب الكهف. وذلك في قوله تعالى: [2214]{وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَم لَبِثْتُمْ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ}. وكأن الذين قالوا {فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَى طَعَامًا} هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول.

{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً} (الكهف:13)

كقوله تعالى: [2215]{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}، وقوله: [2216]{وَالَّذِينَ جَاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}، وقوله تعالى: [2217]{يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِن تَتَّقُواْ اللهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا}، وقوله: [2218]{فَأَمَّا الَّذِينَ ءامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}، وقوله تعالى: [2219]{هُوَ الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُواْ إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ}، وقوله تعالى: [2220]{ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ}، إلى غير ذلك من الآيات.

{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً} (الكهف:14)

وقد أشار تعالى إلى وقائع من هذا المعنى في مواضع أخر، كقوله في أهل بدر [2221]{إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}، وكقوله في أم موسى: [2222]{وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}.

[2213] الكهف 25
[2214] الكهف 25
[2215] محمد 17
[2216] العنكبوت 69
[2217] الانفال 29
[2218] التوبة 124
[2219] الفتح 4
[2220] الحديد 28
[2221] الانفال 11– 12
[2222] القصص 10

{وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً} (الكهف:14)

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء مبيناً في آيات أخر كثيرة، كقوله: [2223]{يَـاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِىْ خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الارْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لله أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}،وقوله تعالى: [2224]{أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ}،وقوله تعالى: [2225]{أَمْ جَعَلُواْ لله شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَـالِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّـارُ}وقوله جل وعلا: [2226] {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ}، وقوله تعالى: [2227]{وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ}، إلى غير ذلك من الآيات.

{هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً} (الكهف:15)

كقوله تعالى: [2228]{قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ}، وقوله تعالى: [2229]{قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمٰوَاتِ ائْتُونِى بِكِتَـابٍ مِّن قَبْلِ هَـذَآ أَوْ أَثَـارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـادِقِينَ}، وقوله تعالى منكراً عليهم: [2230]{أَمْ ءَاتَيْنَـاهُمْ كِتَـابا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ}، وقوله جل وعلا: [2231]{أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَـاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِ يُشْرِكُونَ}، وقوله تعالى: [2232]{قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمٰوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَـاهُمْ كِتَـاباً فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّـالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضاً إِلاَّ غُرُوراً}، وقوله تعالى: [2233]{وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَـهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَـافِرُونَ}.

[2223] البقرة 22
[2224] النحل 17
[2225] الرعد 17
[2226] الاعراف 191
[2227] الفرقان 3
[2228] الانعام 148
[2229] الاحقاف 4
[2230] الزخرف 21
[2231] الروم 35
[2232] فاطر 40
[2233] المومنون 117

{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً} (الكهف:15)

كقوله: [2234]{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ علَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُ}،وقوله: [2235]{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الاَشْهَادُ هَـؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّـالِمِينَ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً.

{وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً} (الكهف:16)

المعنى: ولأجل اعتزالكم قومكم الكفار ومايعبدونه من دون الله، فاتخذوا الكهف مأوى ومكان اعتصام، ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً، وهذا المعنى يدل عليه أيضاً قوله تعالى في نبيه إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام [2236]{وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّى عَسَى أَلاَ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيّاً وَوَهَبْنَا لَهْمْ مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً}. ومعنى {يَنْشُرْ لَكُمْ} يبسط لكم كقوله: [2237]{وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَاقَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ}.

{وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ} (الكهف:17)

أصحاب الكهف كانوا في فجوة من الكهف على سمت تصبيه الشمس وتقابله. إلا أن الله منع ضوء الشمس من الوقوع عليهم على وجه خرق العادة. كرامة لهؤلاء القوم الصالحين، الذين فروا بدينهم طاعة لربهم جل وعلا. والقرينة الدالة على ذلك هي قوله تعالى: {ذلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللهِ}. والآية تطلق في اللغة العربية إطلاقين، وتطلق في القرآن العظيم إطلاقين أيضاً. أما إطلاقاها في اللغة فالأول منهما أنها تطلق بمعنى العلامة، وهو الإطلاق المشهور، ومنه قوله تعالى: [2238]{إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ} وأما الثاني منهما فهو إطلاق الآية بمعنى الجماعة، وإما إطلاقاها في القرآن فالأول منهما إطلاقها على الآية الكونية القدرية، كقوله تعالى: [2239]{إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالاٌّرْضِ وَاخْتِلَـافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَـاتٍ لاٌّوْلِى الاٌّلْبَـابِ} وأما إطلاقها الثاني في القرآن فهو إطلاقها على الآية الشرعية الدينية، كقوله {رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ}.

[2234] الزمر 32
[2235] هود 18
[2236] مريم 48- 50
[2237] الشورى 28
[2238] البقرة 248
[2239] ال عمران 190

{مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً} (الكهف:17)

وقد أوضح هذا المعنى في آيات كثيرة جداً، كقوله تعالى: [2240]{وَمَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَـامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا}، وقوله: [2241]{مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَـاسِرُونَ}،وقوله: [2242]{إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ}، وقوله: [2243]{وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً}، وقوله: [2244]{إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّـاصِرِينَ}، وقوله تعالى: [2245]{فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَـامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَآءِ}

{وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْباً} (الكهف:18)

والآيات بمثل هذا كثيرة.

الذي يشهد له القرآن أن الوصيد هو الباب لأن الله يقول: [2246]{إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ} أي مغلقة مطبقة وذلك بإغلاق كل وصيد.

{وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ} (الكهف:19)

لم يبين هنا قدر المدة التي تساءلوا عنها، ولكنه بين في موضع آخر وذلك في قوله تعالى: [2247]{وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُواْ تِسْعًا}.

{فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً} (الكهف:19)

[2240] الاسراء 97
[2241] الاعراف 178
[2242] القصص 56
[2243] المائدة 41
[2244] النحل 37
[2245] الانعام 125
[2246] الهمزة 8
[2247] الكهف 25

المراد بكونه «أزكى» أطيب لكونه حلالاً ليس مما فيه حرام ولا شبهة ويدل له القرآن، لأن أكل الحلال والعمل الصالح أمر الله المؤمنين كما أمر المرسلين قال [2248]{ياأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ الطَّيِّبَـاتِ وَاعْمَلُواْ صَـالِحاً}، وقال: [2249]{يـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَـاكُمْ وَاشْكُرُواْ لله إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}. ويكثر في القرآن إطلاق مادة الزكاة على الطهارة كقوله: [2250]{قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى} وقوله: [2251]{قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّـاهَا}، وقوله: [2252]{وَلَوْلاَ فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً}، وقوله: [2253]{فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَـوةً وَأَقْرَبَ رُحْماً} وقوله: [2254]{أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ}، إلى غير ذلك من الآيات..

{إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً} (الكهف:20)

وهذا الذي ذكره هنا من فعل الكفار مع المسلمين ذكر في مواضع أخر كقوله جل وعلا: [2255]{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّـكُمْ مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا}، وقوله تعالى: [2256]{قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يـاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَـارِهِينَ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى الله كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلاَ أَن يَشَآءَ اللهُ}، وقوله تعالى: [2257]{وَلاَ يَزَالُونَ يُقَـاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ} إلى غير ذلك من الآيات.

{إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً} (الكهف:24)

إذا وقع منك النسيان لشيء فاذكر الله. لأن النسيان من الشيطان. كما قال تعالى عن فتى موسى [2258]{وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَـانُ أَنْ أَذْكُرَهُ}وكقوله: [2259]{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَـانُ فَأَنسَـاهُمْ ذِكْرَ الله}،وقال تعالى: [2260]{وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَـانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّـالِمِينَ} وذكر الله تعالى يطرد الشيطان، كما يدل لذلك قوله تعالى: [2261]{وَمَن

[2248] المئومنون 51
[2249] البقرة 172
[2250] الاعلى 14
[2251] الشمس 9
[2252] النور 21
[2253] الكهف 81
[2254] الكهف 74
[2255] ابراهيم 13
[2256] الاعراف 89
[2257] البقرة 217
[2258] الكهف 63
[2259] المجادلة 19
[2260] الانعام 68
[2261] الزخرف 36

يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـــنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} وقوله تعالى:[2262] {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَـــهِ النَّاسِ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ}. وقال بعضهم: {وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} أي صل الصلاة التي كنت ناسياً لها عند ذكرك لها، كما قال تعالى: [2263]{وَأَقِمِ الصَّلَوةَ لِذِكْرِى}

{قُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً} (الكهف:26)

وذكر هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: [2264]{قُل لاَ يَعْلَمُ مَن فِى السَّمَـــاوَاتِ والأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}وقوله تعالى: [2265]{عَـــالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَـــادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ}،وقوله تعالى: [2266]{مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} وقوله تعالى: [2267]{وَللهِ غَيْبُ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ}، وقوله تعالى: [2268]{وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـــاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِى كِتَـــابٍ مُّبِينٍ}، وقوله تعالى: [2269]{وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِى السَّمَآءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ}، وقوله تعالى: [2270]{عَـــالِمِ الْغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمٰوَات وَلاَ فِى الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِى كِتَـــابٍ مُّبِينٍ}، وقوله تعالى: [2271]{إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَىْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِى السَّمَآءِ}. وبين في مواضع أخر: أنه يطلع من شاء من خلقه على ما شاء من وحيه، كقوله تعالى: [2272]{عَـــالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ}. وقد أشار إلى ذلك بقوله: [2273]{وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَآءُ} إلى غير ذلك من الآيات.

[2262] الناس 1– 4
[2263] طه 14
[2264] النمل 65
[2265] الرعد 9
[2266] ال عمران 179
[2267] هود 123
[2268] الانعام 59
[2269] يونس 61
[2270] سبأ 3
[2271] ال عمران 5
[2272] الجن 26– 27
[2273] ال عمران 179

{أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ} (الكهف:26)

كقوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} وقوله: [2274]{قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمآ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} وقوله تعالى: [2275]{اللهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلَـائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ}. والآيات بذلك كثيرة جداً.

{مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً} (الكهف:26)

كقوله تعالى: [2276]{اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَـاتِ إِلَى النُّورِ}، وقوله تعالى: [2277]{أَلا إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} فبين أنه ولي المؤمنين، وبين في مواضع أخر: أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، كقوله: [2278]{وَالْمُؤْمِنَـاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ}. وبين في مواضع أخر: أن نبينا صلى الله عليه وسلم أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو قوله تعالى: [2279]{النَّبِىُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَـاتُهُمْ}. وبين في مواضع أخر: أنه تعالى مولى المؤمنين دون الكافرين، وهو قوله تعالى: [2280]{ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ الْكَـافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ}، وهذه الولاية المختصة بالمؤمنين هي ولاية الثواب والنصر والتوفيق والإعانة، فلا تنافي أنه مولى الكافرين ولاية ملك وقهر ونفوذ مشيئة، كقوله: [2281]{وَرُدُّواْ إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ}.

{وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً} (الكهف:26)

كقوله تعالى: [2282]{إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ} وقوله تعالى: {وَقَالَيَا بَنِيَّلاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ}، وقوله تعالى: [2283]{وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ}، وقوله تعالى: [2284]{ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِىَ اللهُ وَحْدَهُ كَـفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُواْ فَالْحُكْمُ للهِ الْعَلِـىِّ الْكَبِيرِ} وقوله تعالى: [2285]{كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}، وقوله تعالى: [2286]{لَهُ الْحَمْدُ فِى الأُولَى وَالاٌّخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}، وقوله: [2287]{أَفَحُكْمَ الْجَـاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}. وقوله تعالى: [2288]{أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِى حَكَماً وَهُوَ الَّذِى أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَـابَ مُفَصَّلاً}، إلى غير ذلك من الآيات. ويفهم من هذه الآيات أن متبعي أحكام غير ما شرعه الله مشركون بالله. كقوله [2289]{وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَـاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} قوله تعالى: [2290]{أَلَمْ

[2274] المجادلة 1

[2275]

[2276] البقرة 257

[2277] يونس 62

[2278] التوبة 71

[2279] الاحزاب 6

[2280] محمد 11

[2281] يونس 30

أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يابَنِى ءَادَمَ أَن لاَ تَعْبُدُواْ الشَّيطَـانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِى هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ}، وقوله تعالى عن نبيه إبراهيم: [2291]{ياأَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشَّيْطَـانَ إِنَّ الشَّيْطَـانَ كَانَ لِلرَّحْمَـنِ عَصِيّاً}، وقوله تعالى: [2292]{إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَـاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَـاناً مَّرِيداً}

{وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً} (الكهف: 27)

كقوله تعالى في سورة «العنكبوت»: [2293]{اتْلُ مَا أُوْحِىَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَـابِ وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ}، وكقوله تعالى في آخر سورة «النمل»: [2294]{إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَىءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْءَانَ}، [2295]{وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً} إلى غير ذلك من الآيات الدالة على الأمر بتلاوته، وكقوله تعالى على الأمر باتباعه [2296]{اتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ}، وقوله تعالى: [2297]{فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}، وقوله تعالى: [2298]{قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلاَ بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَآ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ}، وقوله تعالى: [2299]{قُلْ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآءِ نَفْسِى إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على الأمر باتباع هذا القرآن العظيم. وقد بين في مواضع أخر بعض النتائج التي تحصل بسبب تلاوة القرآن واتباعه. كقوله تعالى: [2300]{إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـابَ اللهِ وَأَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـاهُمْ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَـارَةً لَّن تَبُورَ}، وقوله تعالى: [2301]{الَّذِينَ آتَيْنَـاهُمُ الْكِتَـابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَـئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَـاسِرُونَ}.

[2282] يوسف 40
[2283] الشورى 10
[2284] غافر 12
[2285] القصص 88
[2286] القصص 70
[2287] المائدة 50
[2288] الانعام 114
[2289] الانعام 121
[2290] يسين 60- 61
[2291] مريم 44
[2292] النساء 117
[2293] العنكبوت 45
[2294] النمل 91- 92
[2295] المزمل 4
[2296] الانعام 106
[2297] الزخرف 43
[2298] الاحقاف 9
[2299] يونس 15
[2300] فاطر 29
[2301] البقرة 121

{لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً} (الكهف:27)

كقوله تعالى: [2302]{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لاَ مُبَدِّلِ لِكَلِمَـــاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}. وكقوله: [2303]{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَـــاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَـــاتِ الله وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ} . وقد بين تعالى في مواضع أخر، أنه هو يبدل ما شاء من الآيات مكان ما شاء منها. كقوله تعالى: [2304]{وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ}. وقوله: [2305]{مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}، وقوله تعالى: [2306]{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَــاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـــذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآءِ نَفْسِى}.

{وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً} (الكهف:27)

ومنه قوله تعالى: [2307]{إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى ءَايَــاتِنَا لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ}، وقوله: [2308]{وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَـــائِهِ}، وهذا الذي ذكره هنا من أن نبيه صلى الله عليه وسلم لا يجد من دونه ملتحداً. جاء مبيناً في مواضع أخر. كقوله: [2309]{قُلْ إِنِّى لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ رَشَداً قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ الله أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً إِلاَّ بَلاَغاً مِّنَ الله وَرِسَـــالَـــاتِهِ}،وقوله: [2310]{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الاَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـــاجِزِينَ}.

{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} (الكهف:28)

الله أمره هنا بأن يصبر نفسه معهم كما أمره بألا يطردهم، وأنه إذا رآهم يسلم عليهم، وذلك في قوله: [2311]{وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّـــالِمِينَ}إلى قوله ـــ {وَإِذَا جَآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِأايَــاتِنَا فَقُلْ سَلَـــامٌ عَلَيْكُمْ}وقال عن نوح في امتناعه من طردهم: [2312]{وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ}، وقوله تعالى عنه: [2313]{وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الَّذِينَ ءامَنُوا إِنَّهُمْ مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَلَـــكِنِّى أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَياقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ الله إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} .

[2302] الانعام 115
[2303] الانعام 34
[2304] النحل 101
[2305] البقرة 106
[2306] يونس 15
[2307] فصلت 40
[2308] الاعراف 180
[2309] الجن 21– 23
[2310] الحاقة 44– 47
[2311] الانعام 52– 54
[2312] الشعراء 114– 115

{وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً} (الكهف:28)

كقوله [2314]{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآءِ الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا}، وقوله تعالى: [2315] {وَلَقَدْ ءاتَيْنَـاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ لاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ}.

{وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً} (الكهف:28)

كقوله تعالى: [2316]{فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً}،وقوله: [2317]{وَلاَ تُطِعِ الْكَـافِرِينَ وَالْمُنَـافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ}، وقوله تعالى: [2318]{وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ هَمَّازٍ مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ} إلى غير ذلك من الآيات. قوله تعالى: [2319]{فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ}.

{وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ} (الكهف:29)

كقوله في سورة «البقرة»: [2320]{الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ}، وقوله في «آل عمران»: [2321]{الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُنْ مِّن الْمُمْتَرِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ} (الكهف:29)

المراد من الآية الكريمة ليس هو التخيير، وإنما المراد بها التهديد والتخويف. والدليل أنه أتبع ذلك بقوله [2322]{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا}.

[2313] هود 29- 30
[2314] طه 130- 131
[2315] الحجر 87- 88
[2316] الانسان 24
[2317] الاحزاب 48
[2318] القلم 9- 13
[2319] النجم 29- 30
[2320] البقرة 147
[2321] ال عمران 60
[2322] الكهف 29

{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا} (الكهف:29)

والمراد بالظالمين هنا الكفار بدليل قوله قبله {وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ} و الظلم يطلق على الكفر في القرآن. كقوله: {وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لاِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يابُنَىَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}، وقوله تعالى: [2323]{وَالْكَـافِرُونَ هُمُ الظَّـالِمُونَ}، وقوله تعالى: [2324]{وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّـالِمِينَ} ونحو ذلك من الآيات. وقد جاء في القرآن إطلاق الظلم على النقص في قوله: [2325]{وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا}.

{وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً} (الكهف:29)

كقوله تعالى: {الَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ}، وقوله تعالى: [2326]{وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ}، وقوله تعالى: [2327]{تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ}، وقوله تعالى: [2328]{يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ} وقوله تعالى: [2329]{وَيُسْقَى مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ}، وقوله تعالى: [2330]{ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ}، وقوله تعالى: [2331]{فَشَـارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ فَشَـارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ}. وقوله تعالى: [2332]{لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَاباً إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً}، وقوله تعالى: [2333]{هَـذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ} إلى غير ذلك من الآيات.

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً} (الكهف:30)

كقوله تعالى: [2334]{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنْكُمْ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى}. وقوله تعالى: [2335]{يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} وقوله [2336]{هَلْ جَزَآءُ الإِحْسَـانِ إِلاَّ الإِحْسَـانُ}.

[2323] البقرة 254
[2324] يونس 106
[2325] الكهف 33
[2326] محمد15
[2327] الغاشية 5
[2328] الرحمن 44
[2329] ابراهيم 16– 17
[2330] الصافات 67
[2331] الواقعة 54– 55
[2332] النبأ 24– 25
[2333] ص 57– 58
[2334] ال عمران 195
[2335] ال عمران 171
[2336] الرحمن 60

{أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ} (الكهف: 31)

كقوله تعالى في سورة «الإنسان»: [2337]{إِنَّ الاَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً} ــ إلى قوله ــ {وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً}، وكقوله في سورة «الواقعة»،[2338] {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَـئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ} ــ إلى قوله ــ {لأَِصْحَابِ الْيَمِينِ} وأمثال ذلك كثيرة في القرآن.

{وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقاً} (الكهف: 31)

يبين معناه قوله تعالى: [2339]{ أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً}.

{وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً} (الكهف: 35) {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً} (الكهف: 36)

كقوله في «فصلت»:[2340] {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِّعْتُ إِلَى رَبِّى إِنَّ لِى عِندَهُ لَلْحُسْنَى}، وقوله في «مريم»: [2341]{أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِأيَاتِنَا وَقَالَ لأوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً} وقوله في «سبأ»:[2342] {وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}. وقوله في هذه السورة الكريمة: [2343]{فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَاْ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً} . وبين جل وعلا كذبهم واغترارهم فيما ادعوه كقوله: [2344]{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ}، وقوله [2345]{سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ}، وقوله [2346]{وَلاَ يَحْسَبَنَّ

[2337] الانسان 22
[2338] الواقعة 10– 38
[2339] الفرقان 75– 76
[2340] فصلت 50
[2341] مريم 77
[2342] سبأ 35
[2343] الكهف 34
[2344] المو منو ن55– 56
[2345] الاعراف 182– 183
[2346] ال عمران 178

الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ}[2347]، وقوله: {وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلَـادُكُمْ بِالَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى}، وقوله تعالى: [2348]{مَآ أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً} (الكهف:37) {لَكِنَّا هُوَ اللهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً} (الكهف:38)

كقوله تعالى: [2349]{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَـاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}، وقوله تعالى: [2350]{وَمَا لِىَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} وقوله تعالى: [2351]{قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِى إِلاَّ رَبَّ الْعَـالَمِينَ الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ}، وقوله تعالى: [2352]{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} إلى غير ذلك من الآيات. ونظير قوله في هذه الآية الكريمة: {بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ} قوله تعالى [2353]{يأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـاكُمْ مِّن تُرَابٍ}. وقوله: {ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ} كقوله تعالى في «السجدة»: [2354]{ذلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَـادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَـانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَـارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ}. وقوله في هذه الآية: [2355]{ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً} كقوله {خَلَقَ الإِنْسَـانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ}، وقوله: [2356]{أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَـانُ أَنَّا خَلَقْنَـاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} وقوله {سواك} كقوله تعالى: [2357]{وَصَوَّرَكُـمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُـمْ}، وقوله: [2358]{يأَيُّهَا الإِنسَـانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِى أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ} ونظير قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {لَّكِنَّ هُوَ اللهُ رَبِّى وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّى أَحَدًا} هو قوله تعالى: [2359]{وَمَا لِىَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنِى} و قوله: [2360]{فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِى إِلاَّ رَبَّ الْعَـالَمِينَ الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ}، وقوله: [2361]{إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِى فَطَرَنِى} وقوله في هذه الآية الكريمة: [2362]{أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن

[2347] سبأ 37
[2348] المسد 2
[2349] البقرة 28
[2350] يسين 22
[2351] الشعراء 75- 81
[2352] الزخرف 26- 27
[2353] الحج 5
[2354] السجدة 7- 9
[2355] الكهف37
[2356] يسين 77
[2357] غافر 64
[2358] الانفطار 8
[2359] يسين 22
[2360] اللشعراء 77- 78
[2361] الزخرف 26- 27

تُرَابٍ} بعد قوله: [2363]{وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً} يدل على أن الشك في البعث كفر بالله تعالى وقد صرح بذلك في أول سورة «الرعد» في قوله تعالى: [2364]{وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ}

{أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَباً} (الكهف: 41)

وأشار إلى نحو هذا المعنى في قوله تعالى: [2365]{قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَّعِينٍ}.

{وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً} (الكهف: 43)

كقوله في قارون: [2366]{فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ}، وقوله: [2367]{فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلاَ نَاصِرٍ}.

{هُنَالِكَ الْوَلايَةُ للهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَاباً وَخَيْرٌ عُقْباً} (الكهف: 44)

في معنى الآية وجهان: الأول ــ أن معنى {هُنَالِكَ الْوَلَـايَةُ للهِ} أي في ذلك المقام، وتلك الحال تكون الولاية من كل أحد لله، لأن الكافر إذا رأى العذاب رجع إلى الله. كقوله تعالى: [2368]{فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُواْ ءَامَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَـفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ}، وقوله في فرعون: [2369]{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّي إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} ونحو ذلك من الآيات. الوجه الثاني ــ أن الولاية في مثل ذلك المقام وتلك الحال لله وحده، فيوالى فيه المسلمين ولاية رحمة، كما في قوله تعالى: [2370]{اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءامَنُواْ}، وقوله: [2371]{ذَلِكَ بِأَن اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ الْكَـافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ}. وله على الكافرين ولاية الملك والقهر، كما في قوله:

[2362] الكهف 37
[2363] الكهف 36
[2364] الرعد 5
[2365] الملك 30
[2366] القصص 81
[2367] الطارق 10
[2368] غافر 84
[2369] يونس 90– 91
[2370] البقرة 257
[2371] محمد 11

[2372]{هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّواْ إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ }.

{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً} (الكهف:46)

كقوله تعالى: [2373]{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذلِكَ مَتَاعُ الْحَيَواةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَأَبِ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ}، وقوله: [2374]{يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}، وقوله: [2375]{إِنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}، وقوله: [2376]{وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلَادُكُم بِالَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً}، وقوله: [2377]{يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} إلى غير ذلك من الآيات. ونظير هذه الآية الكريمة قوله تعالى في «مريم»: [2378]{وَيَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهْتَدَواْ هُدًى وَالْبَـٰقِيَـٰتُ الصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَّرَدّاً}.

{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ} (الكهف:47)

كقوله: [2379]{يَوْمَ تَمُورُ السَّمَآءُ مَوْراً وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً}، وقوله: [2380]{وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً}، وقوله: [2381]{وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ}، وقوله: [2382]{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} . ذكر في مواضع أخر ـــ أنه جل وعلا فتتها حتى تذهب صلابتها الحجرية وتلين، كقوله تعالى: [2383]{يَوْمَ تَكُونُ السَّمَآءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ}، وقوله تعالى: [2384]{يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ} وقوله تعالى: [2385]{يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً}، وقوله تعالى: {وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً}.

[2372] يونس 30
[2373] ال عمران 14– 15
[2374] المنافقون 9
[2375] التغابن 15
[2376] سبأ 37
[2377] الشعراء 88– 89
[2378] مريم 76
[2379] الطور 10
[2380] النبأ 20
[2381] التكوير 3
[2382] النمل 88
[2383] المعارج 8–9
[2384] القارعة 4– 5
[2385] المزمل 14

{وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً} (الكهف:47)

كقوله تعالى: [2386]{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفاً فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً لاَ تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً} . وبروز ما في بطنها من الأموات والكنوز دلت عليه آيات أخر. كقوله تعالى: [2387]{وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ}، وقوله تعالى: [2388]{أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى الْقُبُورِوَحُصِّلَ مَا فِى الصُّدُورِ}، وقوله: [2389]{وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا}، وقوله: [2390]{وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ} .

{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً} (الكهف:47)

كقوله تعالى: [2391]{قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالاٌّخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَـاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ}، وقوله تعالى: [2392]{اللَّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَـامَةِ}، وقوله تعالى:[2393] {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ}، وقوله تعالى: [2394]{ذلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ} . وقوله: [2395]{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً}، إلى غير ذلك من الآيات. وقوله تعالى: [2396]{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَـالُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِى الكِتَـابِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} . وما ذكره في هذه الآية الكريمة ــ من أنه حشرهم ولم يترك منهم أحداً ــ جاء مبيناً في مواضع أخر، كقوله: [2397]{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً}، ونحوها من الآيات.

{وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً} (الكهف:48)

قال بعض العلماء «صفاً» أي جميعاً، كقوله [2398]{ثُمَّ ائْتُواْ صَفّاً}وعلى القول أن «صفا» في هذه الآية يراد به صفوفاً، كقوله في الملائكة: [2399]{وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً} فنظيرها قوله في الملائكة: [2400]{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَـائِكَةُ صَفّاً لاَ يَتَكَلَّمُونَ

[2386] طه 105– 107

[2387] للانشقاق 4

[2388] العاديات 9– 10

[2389] الزّلزَلة 2

[2390] الانفطار 4

[2391] الواقعة 49– 50

[2392] النساء 87

[2393] التغابن 9

[2394] هود 103

[2395] الانعام 22

[2396] الانعام 38

[2397] الانعام 22

[2398] طه 64

[2399] الفجر 22

إِ ّ َلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَـــانُ وَقَالَ صَوَاباً} . وبين في مواضع أخر أحوال عرضهم عليه. كقوله: [2401]{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ} . وبين في مواضع أخر ما يلاقيه الكفار، كقوله: [2402]{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى الله كَذِبًا أُوْلَـــئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَـــؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّـــالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ الله وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالاَ خِرَةِ هُمْ كَـــافِرُونَ} .

{لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} (الكهف:48)

كقوله: [2403]{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَـــاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَّا خَوَّلْنَـــاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ}، وقوله:[2404] {لَّقَدْ أَحْصَـــاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَـــامَةِ فَرْداً} وقوله تعالى: [2405]{كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَآ}، وقوله: [2406]{كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} .

{بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً} (الكهف:48)

وقد بين الله تعالى كذبهم في إنكارهم للبعث في آيات كثيرة كقوله [2407]{قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ}، وقوله: [2408]{وَأَقْسَمُواْ بِالله جَهْدَ أَيْمَـــانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ الله مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا}، وقوله:[2409] {كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـــاعِلِينَ} والآيات بمثل هذا كثيرة جداً.

{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا} (الكهف:49)

كقوله: [2410]{وَكُلَّ إِنسَـــانٍ أَلْزَمْنَـــاهُ طَـــائِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَـــامَةِ كِتَابًا يَلْقَـــاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كَتَـــابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} . قال: [2411]{وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـــابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يالَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـــابِيَهْ}، وقال تعالى: [2412]{فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ

[2400] النبأ 38
[2401] الحاقة 18
[2402] هود 18- 19
[2403] الانعام 94
[2404] مريم 94- 95
[2405] الانبياء 104
[2406] الاعراف 29
[2407] التغابن 7
[2408] النحل 38
[2409] الانبياء 104
[2410] الاسراء 13- 14
[2411] الحاقة 25

كِتَــابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَــابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً وَيَصْلَى سَعِيراً}.

{وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً} (الكهف:49)

كقوله: [2413]{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدَا بَعِيدًا}، وقوله تعالى: [2414]{هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ}، وقوله: [2415]{يُنَبَّأُ الإِنسَــانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ}، وقوله: [2416]{يَوْمَ تُبْلَى السَّرَآئِرُ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً} (الكهف:49)

كقوله: [2417]{إِنَّ اللہَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَــكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}، وقوله تعالى: [2418]{إِنَّ اللہَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَــاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً}، وقوله تعالى: [2419]{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَــامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَــاسِبِينَ} وقوله: [2420]{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} وقوله: [2421]{وَمَا ظَلَمَهُمُ اللہُ وَلَــكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}، وقوله: [2422]{وَمَا ظَلَمْنَــاهُمْ وَلَــكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} والآيات بمثل ذلك كثيرة

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} (الكهف:50)

بين جل وعلا في سورة «الحجر» وسورة «ص» أن أصل الأمر بالسجود متقدم على خلق آدم معلق عليه. قال في «الحجر» وسورة «الحجر»: [2423]{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَــائِكَةِ إِنِّى خَــالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَــالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن

[2412] الانشقاق 7– 12
[2413] ال عمران 30
[2414] يونس 30
[2415] القيامة 13
[2416] الطارق 9
[2417] يونس 44
[2418] النساء 40
[2419] الانبياء 47
[2420] فصلت 47
[2421] النحل 33
[2422] النحل 118
[2423] الحجر 28– 29

رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَــاجِدِينَ} وقال في «ص»: [2424]{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَــائِكَةِ إِنِّى خَــالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُ سَــاجِدِينَ} . وبين في مواضع أخر أنهم سجدوا كلهم، كقوله: [2425]{فَسَجَدَ الْمَلَــائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} .

{أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً} (الكهف:50)

كقوله: [2426]{إِنَّ الشَّيْطَــانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً} . كما قال تعالى: [2427]{فَقُلْنَا ياآدَمُ إِنَّ هَــذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} وكقوله تعالى: [2428]{إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَــاطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الله وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} . كقوله تعالى: [2429]{وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَــاتِلُونَ فِى سَبِيلِ الطَّــاغُوتِ فَقَــاتِلُواْ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَــانِ} ، وقوله تعالى: [2430]{إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَــاطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} ، وقوله تعالى: [2431]{وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّــاغُوتُ} ،وقوله: [2432]{إِنَّمَا ذلِكُمُ الشَّيْطَــانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَتَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ} ، إلى غير ذلك من الآيات.

{مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً} (الكهف:51)

كقوله: [2433]{أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} ،وقوله: [2434]{أَمْ جَعَلُواْ لله شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَــالِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّــارُ} ،وقوله: [2435]{ هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} ،وقوله تعالى: [2436]{قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ الله أَرُونِىمَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمٰوَات} ،وقوله تعالى: [2437]{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ الله أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمٰوَات} ،إلى غير ذلك من الآيات.

[2424] ص 71– 72
[2425] الحجر 30
[2426] فاطر 6
[2427] طه 117
[2428] الاعراف 30
[2429] النساء 76
[2430] الاعراف 27
[2431] البقرة 257
[2432] ال عمران 175
[2433] النحل 17
[2434] الرعد 16
[2435] لقمان 11
[2436] فاطر 40
[2437] الاحقاف 4

{وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً} (الكهف:52)

كقوله تعالى في سورة «القصص»: [2438]{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَـؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُواْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ وَقِيلَ ادْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ}، وقوله تعالى: [2439]{ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا اسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}، وقوله: [2440]{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ}، وقوله: [2441]{وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللهِ ءالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزّاً كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً}، وقوله تعالى: [2442]{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَآءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} وخطبة الشيطان المذكورة في سورة إبراهيم في قوله تعالى: [2443]{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ} إلى قوله {إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ} من قبيل المعنى المذكور في الآيات.

{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقاً} (الكهف:52)

التحقيق أن الموبق المهلك، ومن هذا المعنى قوله تعالى: [2444]{أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا}. وقوله «بينهم» راجع للمشركين وما كانوا يعبدونه من دون الله، وهذا المعنى كقوله: [2445]{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ}. أي فرقنا بينهم.

{وَرَأى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفاً} (الكهف:53)

كقوله عنهم: [2446]{وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ}، وكقوله: [2447]{فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}، وقوله تعالى: [2448]{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا}. ومن إطلاق الظن على اليقين قولهتعالى: [2449]{وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم

[2438] القصص 62-64
[2439] فاطر 13-14
[2440] الاحقاف 5-6
[2441] مريم 81-82
[2442] الانعام 94
[2443] ابراهيم 22
[2444] الشورى 34
[2445] يونس 28

مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُون} وقوله تعالى:[2450] {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُواْ اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ}. وقوله تعالى: [2451]{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ}.

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً} (الكهف:54)

أي رددنا وكثرنا تصريف الأمثال بعبارات مختلفة، وأساليب متنوعة في هذا القرآن للناس. ليهتدوا إلى الحق. كقوله في «الإسراء»: [2452]{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا}، وقوله تعالى: [2453]{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ نُفُورًا}، وقوله: [2454]{وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً}، وقوله: [2455]{وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}، وقوله: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ مُبْطِلُونَ}. والآيات بمثل ذلك كثيرة. وضرب الأمثال كثير في القرآن جداً كما قال تعالى: [2456]{إِنَّ اللّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} وقوله [2457]{يَاأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ}، وقوله: [2458]{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ}، وقوله: [2459]{ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}، وكقوله: [2460]{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ}، وقوله: [2461]{وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ}، وقوله: [2462]{ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً عَبْدًا مَّمْلُوكًا لاَّ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ

[2446] السجدة 12
[2447] ق 22
[2448] مريم 38
[2449] البقرة 45- 46
[2450] البقرة 249
[2451] الحاقة 19- 20
[2452] الاسراء 89
[2453] الاسراء 41
[2454] طه 113
[2455] الزُمَر 28-27
[2456] االبقرة 26
[2457] الحج 73
[2458] العنكبوت 41
[2459] الاعراف 177
[2460] الجمعة 5
[2461] الكهف 45
[2462] النحل 75

الْحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ}، وقوله: [2463] {وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لاَ يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}، وقوله: [2464] {ضَرَبَ لَكُمْ مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـانُكُمْ مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَـاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُم كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ}. والآيات بمثل هذا كثيرة جداً. كما قال تعالى: [2465] {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلا الْعَـالِمُونَ}. ومن حكم ضرب المثل: أن يتذكر الناس. كما قال تعالى: [2466] {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ}. وقد بين تعالى في مواضع أخر: أن الأمثال مع إيضاحها للحق يهدي بها الله قوماً، ويضل بها قوماً آخرين. كما في قوله تعالى: [2467] {إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْىِ أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَـاسِقِينَ}، وأشار إلى هذا المعنى في سورة «الرعد». لأنه لما ضرب المثل بقوله: [2468] {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ} أتبع ذلك بقوله: [2469] {لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَـابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}.

{وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً} (الكهف:54)

ومن الآيات الدالة على خصومة الإنسان بالباطل لإدحاض الحق قوله تعالى: {والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم}، وقوله تعالى: {أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين}، وقوله تعالى: {خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين}، إلى غير ذلك من الآيات. ومن الجدل الخصومة، خصومة القوم لأنبيائهم وردهم عليهم ما جاؤوا به كقوله [2470] {مَا هَـذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ}، وقوله: [2471] {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَـاباً فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِين كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ} وقوله: [2472] {وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَلَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ}.

[2463] النحل 76

[2464] الروم 28

[2465] العنكبوت 43

[2466] الحشر 21

[2467] البقرة 26

[2468] الرعد 17

[2469] الرعد 18

[2470] المومنون 33

[2471] الانعام 7

[2472] الحجر 14-15

{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً} (الكهف:55)

في هذه الآية الكريمة وجهان من التفسير. الأول: أن معنى الآية: وما منع الناس من الإيمان والاستغفار إذ جاءتهم الرسل بالبينات الواضحات، إلا ما سبق في علمنا: من أنهم لا يؤمنون، كقوله تعالى: [2473]{إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءايَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ}، وقوله: [2474]{وَمَا تُغْنِى الآيَـاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ}، وقوله تعالى: [2475]{إِن تَحْرِصْ عَلَىهُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّـاصِرِينَ}، وكقوله تعالى: [2476]{وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى الدُّنْيَا خِزْى وَلَهُمْ فِى الأَخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ}. الثاني: وما منع الناس من الإيمان والاستغفار إلا طلبهم أن تأتيهم سنة الأولين، أو يأتيهم العذاب قبلاً. كقوله عن قوم شعيب: [2477]{فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ السَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـادِقِينَ}، وكقوله عن قوم هود: [2478]{قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـادِقِينَ}، وكقوله عن قوم صالح: [2479]{وَقَالُواْ يَاصَـالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}، وكقوله عن قوم لوط: [2480]{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـادِقِينَ}، وكقوله عن قوم نوح: [2481]{قَالُواْ يا انُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـادِقِينَ}. وكقوله عن كفار هذه الأمة كمشركي قريش [2482]{وَإِذْ قَالُواللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}، وقوله: [2483]{وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ}.

{وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُواً} (الكهف:56)

كقوله: [2484]{وَالَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى اللهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ}. وقوله جل وعلا: [2485]{يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُواْ نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَـافِرُونَ} وكقوله تعالى: [2486]{وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـاتِنَا شَيْئاً

[2473] يونس 96- 97
[2474] يونس 101
[2475] النحل 37
[2476] المائدة 41
[2477] الشعراء 187
[2478] الاحقاف 22
[2479] الاعراف 77
[2480] العنكبوت 29
[2481] هود 32
[2482] الانفال 32
[2483] ص 16
[2484] الشورى 16
[2485] التوبة 32

اتَّخَذَهَا هُزُواً}، وكقوله تعالى: [2487]{ياحَسْرَةً عَلَىالْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ}، وقوله تعالى: [2488]{وَلَقَدِ اسْتُهْزِىءَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُمْ مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ}، وقوله تعالى: [2489]{وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَءَايَـاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُمْ}، إلى غير ذلك من الآيات. وقد بين تعالى في مواضع أخر أن ما أراده الكفار من إدحاض الحق بالباطل لا يكون، كما قال تعالى: [2490]{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}. وكقوله: [2491]{وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَـافِرُونَ}، وقوله: {وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَـافِرُونَ}، وقوله تعالى: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَـاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ}، وقوله تعالى: [2492]{وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَـاطِلُ إِنَّ الْبَـاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}، وقوله تعالى: [2493]{أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَـاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} (الكهف:57)

كما قال تعالى: [2494]{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُواْ أَحْصَـاهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَىكُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ} وقال تعالى: [2495]{وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذالِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً}، وقال تعالى: [2496]{قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّى وَلاَ يَنسَى}. وما ذكره في هذه الآية الكريمة من إن الإعراض عن التذكرة بآيات الله من أعظم الظلم، قد زاد عليه في مواضع أخر بيان أشياء من النتائج السيئة، كما قال تعالى [2497]{إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىقُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِى ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَىالْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُواْإِذاً أَبَداً} وكما قال تعالى: [2498]{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِأايَـاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ}وكما قال تعالى: [2499]{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينكَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ} وكما قال تعالى:

[2486] الجاثية
[2487] يسين 30
[2488] الانعام 10
[2489] التوبة 65- 66
[2490] التوبة 33
[2491] التوبة 32
[2492] الاسراء 81
[2493] الرعد 17
[2494] المجادلة 6
[2495] مريم 64
[2496] طه 52
[2497] الكهف 57
[2498] السجدة 22
[2499] المدثر 49- 50

[2500]{فإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـاعِقَةً مِّثْلَ صَـاعِقَة عَادٍ وَثَمُودَ}. وكما قال تعالى: [2501]{وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيـامَةِ أَعْمَى}. وكما قال تعالى: [2502]{وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً} وكما قال تعالى: [2503]{وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـانِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} وقوله تعالى: [2504]{فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىعَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَوةَ الدُّنْيَاذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ} إلى غير ذلك من النتائج السيئة.

{إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً} (الكهف: 57)

كقوله: [2505]{خَتَمَ اللّهُ عَلَىقُلُوبِهمْ وَعَلَىسَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَـارِهِمْ غِشَـاوَةٌ}، وقوله: [2506]{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}، وقوله تعالى: [2507]{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالاٌّخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًاوَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِى ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَّوْاْ عَلَى أَدْبَـارِهِمْ نُفُوراً}، وقوله: [2508]{أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}، وقوله: [2509]{مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ}. والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً.

{وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً} (الكهف: 57)

كقوله: [2510]{إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ وَلَوْجَآءَتْهُمْ كُلُّ ءايَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ}، وقوله تعالى: [2511]{كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ}، وقوله تعالى: [2512]{وَمَا تُغْنِى الآيَـاتُ وَالنُّذُرُ

[2500] فصلت 13
[2501] طه 124
[2502] الجن 17
[2503] الزخرف 36
[2504] النجم 29– 30
[2505] البقرة 7
[2506] الجاثية 23
[2507] الاسراء 45– 46
[2508] محمد 23
[2509] هود 20

[2510] يونس 96– 97
[2511] الشعراء 200– 201
[2512] يونس 101

عَن قَوْمٍ لاَ يُؤْمِنُونَ}، وقوله تعالى: [2513]{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ}، وقوله تعالى: [2514]{إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ}.

{وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً} (الكهف:58)

كقوله: {إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ}، وقوله: {إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً}. وبين في موضع آخرأن هذه المغفرة شاملة لجميع الذنوب بمشيئته جل وعلا إلا الشرك كقوله: {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ}،وقوله: {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ} وقوله: {وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ}وبين في مواضع أخر أنه مع سعة رحمته ومغفرته ـــ شديد العقاب. كقوله: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَي ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ} وقوله: {غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِالْعِقَابِ}، وقوله تعالى: {نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُوَأَنَّعَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ}، إلى غير ذلك من الآيات..

{لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً} (الكهف:58)

كقوله: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ}، وقوله: {وَلَوْ يُؤَاخِذ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ}.

{بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلاً} (الكهف:58)

كقوله في «النحل»: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ}، وقوله في آخر سورة «فاطر»: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً}، وكقوله: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَـافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّـالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَـارُ}، وكقوله: {وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ الْعَذَابُ} . كقوله: {وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ}،}.

{وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً} (الكهف:63)

[2513] يونس 100

[2514] النحل 37

كقوله تعالى: {وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَـانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّـالِمِينَ} وقوله تعالى: {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَـانُ فَأَنسَـاهُمْ ذِكْرَ اللهِ}.

{فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً} (الكهف:65)

من إطلاق الرحمة على النبوة قوله تعالى في «الزخرف»: {وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ هَـذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ} أي نبوته. وقوله تعالى في سورة «الدخان»: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ}، وقوله تعالى في آخر «القصص»: {وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَـابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ}. ومن إطلاق إيتاء العلم على النبوة قوله تعالى: {وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً}، وقوله: {وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ}، إلى غير ذلك من الآيات.

{فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً} (الكهف:77)

وقد دلت آيات من كتاب الله على أنه لا مانع من كون إرادة الجدار حقيقة، كما صرح تعالى {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} وقوله تعالى: {وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَـارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ}. وقوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَـانُ}.

{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً} (الكهف:79)

ظاهر هذه الآية الكريمة ـــ أن ذلك الملك يأخذ كل سفينة، ولكنه يفهم من آية أخرى أنه لا يأخذ المعيبة، وهي قوله: {فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا} أي لئلا يأخذها،

{قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً} (الكهف:98) {وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً} (الكهف:99)

ويبينها قوله فى الانبياء {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَـاخِصَةٌ أَبْصَـارُ الَّذِينَ كَفَرُواْ}. وهذا البيان بهذه الآيات ليس وافياً بتمام الإيضاح إلا بضميمة السنة له لأنها مبينة للقرآن. فعن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه

عرف ذلك فينا فقال: «ما شأنكم»؟ قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت، حتى ظنناه في طائفة النخل؟ فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم! إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤا حجيج نفسه، والله خليفتي هل كل مسلم. إنه شاب قطط، عينه طائفته، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة «الكهف» إنه خارج خلة بين الشام والعراق، فعاث يميناً وعاث شمالاً. «يا عباد فاثبتوا» قلنا: يا رسول الله، وما لبثه في الأرض قال: «أربعون يوماً، يوم، كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم» قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنه، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، أقدروا له قدره» قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح». فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له: فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً وأسبغه ضروعاً، وأمده خواصر ـــ ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله. فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعون فيقبل ويتهلل وجهه يضحك. فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ. فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله. ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون. فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم. فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة. ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم. فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله. ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض: انبتي ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، يبارك في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس. واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس. واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس. فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم. فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم. ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمرفعليهم تقوم الساعة» انتهى بلفظه من صحيح مسلم رحمه الله تعالى.

{وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضاً} (الكهف:100)

كقوله تعالى: [2515]{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى النَّارِ}، وقوله: [2516]{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً}، وقوله تعالى: [2517]{وَعُرِضُواْ عَلَى رَبِّكَ صَفَا}،

{الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً} (الكهف:101)

كقوله في تغطية أعينهم: [2518]{وَعَلَى أَبْصَـارِهِمْ غِشَـاوَةٌ}، وقوله [2519]{وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَـاوَةً}، وقوله: [2520] {أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى}، وقوله: [2521]{وَمَا يَسْتَوِى الأَعْـمَىوَالْبَصِيرُ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً. وقال في عدم استطاعتهم السمع: [2522]{أَوْلَـائِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىأَبْصَـارَهُمْ}، وقال: [2523]{إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىقُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوه وَفِى ءَاذَانِهِمْ وَقْراً}.

{أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً} (الكهف:102)

كقوله في أول سورة «الأعراف»: [2524]{اتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ}. كقوله: [2525]{وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ}، وقوله: [2526]{وَلاَتَرْكَنُواْ إِلَىالَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ}، وقوله: [2527]{وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ}، وقوله [2528]{وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَىرَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ}، وقوله: {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ وَلِيٌّ}، ونحو ذلك من الآيات

[2515] الاحقاف 20

[2516] غافر 46

[2517] الكهف 48

[2518] الاحقاف 20

[2519] الجاثية 14

[2520] الرعد 19

[2521] غافر 58

[2522] محمد 23

[2523] الكهف 57

[2524] الاعراف 3

[2525] الكهف 26

[2526] هود 113

[2527] الشورى 44

[2528] الانعام 51

{الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً} (الكهف:104)

كما في قوله تعالى: [2529]{وَقَدِمْنَآ إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءًمَّنثُوراً}، وقوله: [2530]{وَالَّذِينَ كَفَرُو أَعْمَـالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} وقوله: [2531]{مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ} وقوله تعالى في الكفار: [2532]{إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَـاطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الله وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} وقوله: [2533]{وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}. والضلال يطلق في القرآن واللغة العربية ثلاثة إطلاقات: الأول ـــ الضلال بمعنى الذهاب عن طريق الحق إلى طريق الباطلومنه قوله تعالى: [2534]{غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّآلِّينَ}،وقوله: [2535]{وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْكَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ} . الثاني ـــ الضلال بمعنى الهلاك والغيبة والاضمحلال، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: [2536]{وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ}وقوله هنا: {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ}ومن هذا المعنى قوله تعالى: [2537]{وَقَالُواْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِىالأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ}يعني دفنا في الارض. الثالث ـــ الضلال بمعنى الذهاب عن علم حقيقة الأمر المطابقة للواقع، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: [2538]{وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَى}وقوله تعالى عن أولاد يعقوب: [2539]{قَالُواْ تَاللهِإِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ }وقوله تعالى: [2540]{فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌوَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا}وقوله تعالى: [2541]{قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَـابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّى وَلاَ يَنسَى}

{أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً} (الكهف:105)

كقوله تعالى في «العنكبوت» [2542]{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً،

[2529] الفرقان 23
[2530] النور 39
[2531] ابراهيم 18
[2532] الاعراف 30
[2533] الزخرف 37
[2534] الفاتحة 7
[2535] المائدة 77
[2536] القصص 75
[2537] السجدة 10
[2538] الضحى 7
[2539] يوسف 90
[2540] البقرة 282
[2541] طه 52
[2542] العنكبوت 23

{فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً} (الكهف:105)

المعنى أنهم ليس لهم حسنات توزن في الكفة الأخرى في مقابلة سيئاتهم، كما قال تعالى: [2543]{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـالِحُونَ}. وقال: [2544]{وَ الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}. [2545]{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواأَنفُسَهُم}، وقال: [2546]{وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌوَمَآ أَدْرَاكَ مَاهِيَه}. إلى غير ذلك من الآيات.

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً} (الكهف:107)

كقوله تعالى: [2547]{وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّـالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًامَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا}، وقوله: [2548] {أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}وقوله تعالى: [2549]{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى أُورِثْتُمُوهَابِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}. وقوله تعالى: [2550]{إِلاَّ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـالِحاًفَأُولَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئاًجَنَّـاتِ عَدْنٍ الَّتِى وَعَدَ الرَّحْمَـانُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ}، إلى غير ذلك من الآيات..

{خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً} (الكهف:108)

كقوله: [2551]{الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ} وقوله: [2552]{وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّـالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًامَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا}، وقوله: [2553]{إِنَّ هَـاذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ}، وقوله: [2554]{عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}، إلى غير ذلك من الآيات.

{قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً} (الكهف:109)

[2543] المئومنون 103– 104
[2544] الاعراف 8
[2545] الاعراف 9
[2546] القارعة 8– 11
[2547] الكهف 2– 3
[2548] الاعراف 43
[2549] الزخرف 72
[2550] مريم 61
[2551] فاطر 35
[2552] الكهف 2– 3
[2553] ص 54
[2554] هود 108

كقوله تعالى: [2555]{وَلَوْ أَنَّمَا فِى الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـــاتُ اللهِ}.

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً} (الكهف:110)

كقوله في أول «فصّلت»: [2556]{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَهُمْ بِالأَخِرَةِ هُمْ كَـــافِرُونَ}،وقوله تعالى: [2557]{قُلْ سُبْحَـــانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إَلاَ بَشَرًا رَّسُولاً} وقوله: [2558]{قُل لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِ لاّ مَا يُوحَى إِلَيَّ}.
وقد جاء مثله عن الرسل في قوله تعالى: [2559]{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَي مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَعلَي اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}.

{ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـــالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا }(**الكهف:110**)

ويفهم من مفهوم مخالفة الآية الكريمة: أن الذي يشرك أحداً بعبادة ربه، ولا يعمل صالحاً أنه لا يرجو لقاء ربه، كقوله تعالى [2560]{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أُوْلَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي}، وقوله في «الأعراف»: [2561] {وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَلِقَاء الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} وقوله في «الأنعام»: [2562]{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَآءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ ياحَسْرَتَنَا عَلَىمَا فَرَّطْنَا فِيهَا}، وقوله تعالى في «يونس»: [2563]{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ اللهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ}، وقوله في «الفرقان»: {وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَائنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَي رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا }، وقوله في «الروم»: [2564]{وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاء الْآخِرَةِ فَأُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ } إلى غير ذلك من الآيات.

[2555] لقمان 27
[2556] فصلت 6 – 7
[2557] الاسراء 93
[2558] الانعام 50
[2559] ابراهيم 11
[2560] العنكبوت 23
[2561] الاعراف 147
[2562] الأنعَام 31
[2563] الفرقان 21
[2564] الروم 16

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة مريم

{إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً} (مريم:3)

كقوله تعالى: {قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً} وقوله تعالى: {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} لم يبين الله في هذا الموضع مكان دعاء زكريا ولا وقته،ولكنه أشار إلى ذلك في سورة «آل عمران» في قوله: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ الله إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً}

{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً} (مريم:4)

كقوله هنا: {وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً}، وقوله في «آل عمران»: {وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ}

{يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً} (مريم:6)

معنى قوله «يرثني» أنه إرث وعلم ونبوة، ويدل لذلك أمران:أحدهما ـــ قوله {وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ} و كذلك قوله: {وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُودَ} والأمر الثاني ـــ ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عنالنبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا نورث، ما تركنا صدقة».والوراثة قد تطلق في الكتاب والسنة على وراثة العلم والدين، كقوله تعالى: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَـٰبَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} وقوله: {وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُواْ الْكِتَـٰبَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ}، وقوله: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَـٰبَ}، إلى غير ذلك من الآيات.

{ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً} (مريم:5)

يعني بهذا الولي الولد خاصة بدليل قوله تعالى في القصة نفسها {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً} وبقوله {وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِى فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ}.

{يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً} (مريم:7)

وقد أوضح جل وعلا في موضع آخر هذا الذي أجمله هنا،وذلك قوله تعالى: {فَنَادَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّى فِى الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَبِيَحْيَـىٰ مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ الله وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّـٰلِحِينَ}

{قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً} (مريم:8)

كقوله {قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِى عَاقِرٌ}

{قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً} (مريم:9)

كقوله: {قَالَ كَذَالِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ} وكقوله: {أَوَلاَ يَذْكُرُ إلإِنْسَـــانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً} وقوله تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَـــانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً}

{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً} (مريم:10)

المراد بالآية هنا ـــ العلامة، ونظيره على هذا القول قوله تعالى عن إبراهيم: {قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـــكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى} وذكر الأيام في «آل عمران»، في قوله {قَالَ ءَايَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَـــاثَةَ أَيَّامٍ}. وقوله تعالى في هذه الآية: {أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ} يعني إلا بالإشارة أو الكتابة كما دل عليه هنا: {فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً} وقوله في «آل عمران»: {قَالَ ءَايَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ} والإيحاء في قوله: {فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ}

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً} (مريم:16)

قال في بيان كونها ابنة عمران: {وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} وذكر قصة ولادتها في «آل عمران» في قوله: {إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللهِ إنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}

{فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً} (مريم:17)

المراد بقوله «روحنا» جبريل. ويدل لذلك قوله: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ} وقوله: {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ}

{فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً} (مريم:17)

تمثله لها بشراً سوياً المذكور في الآية يدل على أنه ملك كقوله: {إِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} وهذا الذي بشرها به هو الذي قال لها هنا {إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِيّاً}

{قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً} (مريم:19)

كقوله: {إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَم وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ} وقوله: {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَرَسُولاً إِلَى بَنِى إِسْرَاءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِى أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِىءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ}

{قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً} (مريم:20)

كما قال تعالى: {قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ}

{قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً} (مريم:21)

كقوله تعالى: {قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ}

{وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْراً مَقْضِيّاً} (مريم:21)

كقوله: {وَجَعَلْنَـاهَا وَابْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـالَمِينَ} وفي «الفلاح» بقوله: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً}

{فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً} (مريم:22) {فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِيّاً} (مريم:23)

هذا المكان القصي قد وصفه الله تعالى في غير هذا الموضع بقوله: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ ءَايَةً وَءَاوَيْنَـاهُمَآ إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} وقد بين تعالى في مواضع أخر، أن ذلك الذي خافت منه، وهو قذفهم لها بالفاحشة، وقع كقوله عنهم: {قَالُواْ يامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً} وقوله عنهم، {ياأُخْتَ هَـارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً} وكقوله تعالى {وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَـاناً عَظِيماً}

{فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً} (مريم:24)

قوله «فناداها»: الذي يظهر ويتبادر من السياق أنه عيسى والقرينة أنها لما جاءت به قومها تحمله، وقالوا لها ما قالوا أشارت إلى عيسى ليكلموه. كما قال تعالى عنها: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى الْمَهْدِ صَبِيّاً} وإشارتها إليه ليكلموه قرينة على أنها عرفت قبل ذلك أنه يتكلم على سبيل خرق العادة لندائه لها عندما وضعته.

{قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً} (مريم:30) {وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً} (مريم:31) {وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً} (مريم:32)

كقوله تعالى: {وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِى إِسْرَاءِيلَ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ} وقوله في «آل عمران»: {إِنَّ اللهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ} وقوله في «الزخرف» {فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ}، وقوله هنا في سورة «مريم»: {وَإِنَّ اللهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ} وقوله: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَآ أَمَرْتَنِى بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ} إلى غير ذلك من الآيات.

{مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (مريم:35)

والآية كقوله تعالى: {وَمَا يَنبَغِى لِلرَّحْمَـنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً}. كقوله تعالى: {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَـاهَا إِلَى مَرْيَمَ} ـــ إلى قوله ـــ {إِنَّمَا اللَّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَـانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ}. كقوله تعالى: {وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَـنُ وَلَداً لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً تَكَادُ السَّمَـاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأٌّرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَـنِ وَلَداً وَمَا يَنبَغِى لِلرَّحْمَـنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً}

{فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (مريم:37)

والظاهر أن المشهد في الآية معناه شهود ذلك اليوم أي حضوره لما سيلاقونه فيه من العذاب. وهذا فى قوله تعالى: {وَلَمَّا جَآءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَـاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ} وما أشار إليه من أنه لم يعاجل الذين كفروا بالإفراط أو التفريط في عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، أشار له في مواضع أخر. كقوله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَـافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّـالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَـارُ}، وقوله تعالى: {وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ} وقوله: {وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ}

{أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (مريم:38)

كقوله في سمعهم وإبصارهم يوم القيامة: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ} وقوله تعالى: {لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَـذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} وكقوله في غفلتهم في الدنيا وعدم إبصارهم وسمعهم: {اقْتَرَبَ لِلنَّاس حِسَـابُهُم وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ} وقوله: {يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الأَخِرَةِ هُمْ غَـافِلُونَ}، وقوله: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ}، وقوله: {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ}

{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} (مريم:39)

كقوله: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الازِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَـاظِمِينَ}، وقوله {إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} وكقوله: {أَن تَقُولَ نَفْسٌ ياحَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطَتُ فِى جَنبِ اللهِ}، وقوله تعالى: {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ اللهِ حَتَّى إِذَا جَآءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ ياحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا} وقوله: {كَذَالِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَـالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَـارِجِينَ مِنَ النَّارِ} إلى غير ذلك من الآيات.

{إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} (مريم:40)

وقد أشار إلى هذا المعنى في مواضع أخر. كقوله: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ} وقوله تعالى: {وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً} (مريم:41)

وكرر هذا المعنى المذكور في هذه الآيات في آيات أخر من كتابه جل وعلا فهذا الذي أمر به نبيه هنا من ذكره في الكتاب إبراهيم {إِذْ قَالَ لابِيهِ ياأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ تُبْصِرُ} ـ أوضحه في سورة «الشعراء» في قوله: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ} وكقوله: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً ءَالِهَةً إِنِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلاَلٍ مُّبِينٍ}، وقوله تعالى: {إِذْ قَالَ لابِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَـاكِفِينَ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُم تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِىۤ إِلاَّ رَبَّ الْعَـالَمِينَ} وقوله تعالى: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَـالِمِينَ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَـذِهِ التَّمَـاثِيلُ الَّتِى أَنتُمْ لَهَا عَـاكِفُونَ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلالٍ مُّبِينٍ قَالُواْ أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّـعِبِينَ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَٰوَات وَالأَرْضِ الَّذِى فطَرَهُنَّ وَأَنَاْ عَلَى ذالِكُمْ مِّنَ الشَّـاهِدِينَ}وقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} وقوله تعالى: {وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَآءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَئِفْكاً ءَالِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَـالَمِينَ} وقوله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءآؤاْ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُواْ بِاللهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ} إلى غير ذلك من الآيات..

ومن صدقه في معاملته مع ربه: صبره على الإلقاء في النار، كما قال تعالى: {قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَانصُرُواْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـاعِلِينَ}، وقال: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ} ومن صدقه في معاملته ربه: صبره على مفارقة الأهل والوطن فراراً لدينه. كما قال تعالى: {فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّى}

{قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً} (مريم:46)

{قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً} (مريم:47)

كما قال تعالى: {فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} وقد قال تعالى: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيم لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ} والموعدة المذكورة هي قوله هنا {سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي} وبين في سورة «الممتحنة» أن الاستغفار للمشركين مستثنى من الإسوة بإبراهيم، وذلك في قوله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَمَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءآؤاْ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِاللهِ كَفَرْنَا} ـ إلى قوله ـ {إِلاَّ قَوْلَإِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ}

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً} (مريم:51)

كقوله تعالى: {قَالَ يامُوسَى إِنْى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَــالاتِي وَبِكَلَــامِي}

{وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً} (مريم:52)

كما قال تعالى {فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ} وقوله في «طه»: {فَلَمَّآ أَتَاهَا نُودِىَ يامُوسَى} وبينها فى القصص بقوله {فَلَمَّآ أَتَــاهَا نُودِىَ مِن شَاطِىءِ الْوَادِى الأَيْمَنِ فِى الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِن الشَّجَرَةِ} كما قال تعالى: {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَى مُوسَى الأَمْرَ} فهذا مما يرشد إلى أن موسى قصد النار إلى جهة القبلة والجبل الغربي عن يمينه.

{وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً} (مريم:53)

والمعنى أنه سأله ذلك فآتاه سؤله. كقوله في سورة «طه» عنه: {وَاجْعَل لِّى وَزِيراً مِّنْ أَهْلِىهَــارُونَ أَخِى اشْدُدْ بِهِ أَزْرِى وَأَشْرِكْهُ فِى أَمْرِى} ــ إلى قوله ــ {قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يامُوسَى} وقوله في «القصص»: {قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ وَأَخِى هَــرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَاناً فَأَرْسِلْهِ مَعِىَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِى إِنِّى أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَــاناً فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَــاتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَــالِبُونَ} وقوله في سورة «الشعراء»: {وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّــالِمِينَ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّى أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ وَيَضِيق صَدْرِى وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَى هَــارُونَ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِأايَــاتِنَآ إِنَّا مَعَكُمْ مُّسْتَمِعُونَ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَــالَمِينَ}

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً} (مريم:54)

صدقه في وعده أنه وعد أباه بصبره له على ذبحه ثم وفى بهذا الوعد. قال تعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يابُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ ياأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِى إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّــابِرِينَ}

{وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً} (مريم:55)

قد بين في مواضع أخر ــ أن نبينا صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك الذي أثنى الله به على جده إسماعيل، كقوله تعالى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلوةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا}

{أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرائيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً} (مريم:58)

المراد بهذه الآية جنس الأنبياء كقوله تعالى في سورة «الأنعام»: {وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـاهَآ إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَـاتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَـانَ} ــ إلى قوله ــ {أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} وزاد على هذا في سورة «النساء» بيان جميع من أنعم عليهم من غير الأنبياء في قوله: {وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَآءِ وَالصَّـالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً}

{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً} (مريم:59)

{إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً} (مريم:60)

أشار إلى هذا المعنى في مواضع أخر كقوله في ذم الذين يضيعون الصلاة ولا يحافظون عليها وتهديدهم: {فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَـاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} وقوله في ذم المنافقين: {وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلَوةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلاً} وقوله فيهم أيضاً: {وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلَوةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَـارِهُونَ}. وأشار في مواضع كثيرة إلى ذم الذين يتبعون الشهوات وتهديدهم، كقوله تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَـامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ} وقوله تعالى: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} وقوله تعالى: {كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً} (مريم:61)

كقوله: {وَعْدَ اللهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ} وقوله: {إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} وقوله {رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَـامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ فَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ} وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً} وقوله تعالى: {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَا نشِيباً السَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً} وقوله تعالى: {أَذالِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِى وَعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيراً لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَـالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَّسْئُولاً} إلى غير ذلك من الآيات.

{لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً} (مريم:62)

كما يدل عليه قوله تعالى: {تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ} وقوله: {وَالمَلَـئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ} كقوله في «الواقعة»: {لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً إِلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً}

{تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً} (مريم:63)

كقوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِى صَلاَتِهِمْ خَـشِعُونَ} ـــ إلى قوله ـــ {أُوْلَـئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـلِدُونَ} وقوله: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} وقوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى الّجَنَّةِ زُمَراً} وقوله {وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً} (مريم:68)

قوله: {احْشُرُواْ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ}

{ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيّاً} (مريم:68)

قوله: {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَـابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}

{ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيّاً} (مريم:69)

كقوله تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ الله زِدْنَـاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ} وقوله تعالى: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَـامَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} وقوله: {لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَـامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ} ولأجل هذا كان في أمم النار أولى وأخرى كما قال تعالى: {قَالَ ادْخُلُواْ فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِى النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولَـهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَأَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ أُولَـهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ}

{وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً} (مريم:71) {ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً} (مريم:72)

ورود النار جاء في القرآن في آيات متعددة، والمراد في كل واحدة منها الدخول. كقوله تعالى: {يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَـامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ} وكقوله: {لَوْكَانَ هَـؤُلاءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَـالِدُونَ} وكقوله: {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً} وقوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ} وقال البعض بأن الورود الإشراف والمقاربة كقوله تعالى: {وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ} وكذا قوله تعالى: {فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ}

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً} (مريم:73) {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً} (مريم:74)

كقوله تعالى عنهم: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَـذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ} وقوله تعالى: {وَكَذالِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَـؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَآ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّـاكِرِينَ}، وقوله تعالى: {وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَـرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} وقوله تعالى: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِن مَّال وَبَنِين نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ} وقوله {أَفَرَأَيْتَ الَّذِىكَفَرَ بِأَيَـاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً} وقوله {قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـذِهِ أَبَداً وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّى لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً} وقوله: {وَلَئِن رُّجِّعْتُ إِلَى رَبِّى إِنَّ لِى عِندَهُ لَلْحُسْنَى} إلى غير ذلك من الآيات. وقد أبطل الله تعالى دعواهم هذه في آيات كثيرة كقوله تعالى {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِءْياً} وكقوله تعالى: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لأَّنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمَاً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} وقوله: {وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـالِحاً فَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى الْغُرُفَـاتِ ءَامِنُونَ} وقوله: {فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَـذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ} وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ} وقوله تعالى: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُواْ أَخَذْنَـاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُّبْلِسُونَ}. والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً.

{قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضْعَفُ جُنْداً} (مريم:75)

في معنى هذه الآية الكريمة وجهان: الأول ـــ أن الله جل وعلا أمر نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية الكريمة أن يقول هذه الكلمات كدعاء المباهلة ونظير هذا المعنى في القرآن قوله تعالى: {فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتُ الله عَلَى الْكَـاذِبِينَ}. الوجه الثاني ـــ المعنى: أن

الله أجرى العادة بأنه يمهل الضال ويملي له فيستدرجه بذلك حتى يرى ما يوعده، وهو في غفلة. وتشهد لهذا الوجه آيات كثيرة، كقوله: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْأَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لأَّنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمَاً}وقوله: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَىْءٍحَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُواْ أَخَذْنَـاهُمْ بَغْتَةً}

{وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدىً وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مَرَدّاً} (مريم:76)

والآيات الدالة على هذا المعنى كثيرة، كقوله في الضلال {فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} وقوله: {بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} وقوله: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ} وقوله تعالى: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} ،وقال في الهدى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَـاهُمْ تَقُواهُمْ} وقال: {هُوَ الَّذِى أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُواْ إِيمَـاناً مَّعَ إِيمَـانِهِمْ}، وقال: {وَالَّذِينَ جَـاهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}: وقد جمع بينهما في آيات أخر. كقوله: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّـالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا} وقوله تعالى: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِى ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} وقوله تعالى: {وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَـاناً فَأَمَّا الَّذِينَ ءامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَـافِرُونَ}

{أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً}(مريم:78)

وذلك في قوله تعالى: {وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُل أَتَّخَذْتُمْ عِندَ الله عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى الله مَا لاَ تَعْلَمُونَ}

{كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً}(مريم:79)

كقوله تعالى: {قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ} وقوله تعالى: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}، وقوله تعالى: {هَـذَا كِتَـابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّ كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} وقوله تعالى: {سَتُكْتَبُ شَهَـادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ} وقوله تعالى: {سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ} وقوله تعالى: {كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـافِظِينَ كِرَاماً كَـاتِبِين يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} وقوله تعالى : {وَوُضِعَ الْكِتَـابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ ياوَيْلَتَنَا مَالِ هَـذَا الْكِتَـابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا} وقوله تعالى: {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَـامَةِ كِتَابًا يَلْقَـاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كَتَـابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}: إلى غير ذلك من الآيات.

{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً}(مريم:81) {كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً} (مريم:82)

كقوله: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـافِرِينَ} وقوله تعالى: {ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا اسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَـامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِـكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} إلى غير ذلك من الآيات.

{أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً} (مريم:83)

كقوله تعالى: {وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} وقوله تعالى: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـانِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ} وقوله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنْسِ} وقوله: {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات

{فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً} (مريم:84)

كقوله تعالى: {وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ} وقوله تعالى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ الْعَذَابُ} وقوله: {وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ} وقوله: {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ} وقوله: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَـافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّـالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَـارُ}، قوله تعالى: {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ} وقوله: {قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ}، وقوله: {فَمَهِّلِ الْكَـافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً} إلى غير ذلك من الآيات

{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً}(مريم:85) {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً} (مريم:86) {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً} (مريم:86)

كقوله تعالى في سورة «الزمر»: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَـفَرُواْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَـآءَ يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُواْ بَلَى وَلَـكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكُافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَـالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَـبِّرِينَ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُـمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَـالِدِينَ}.

{لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً} (مريم:87)

كقوله تعالى: {مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} وقوله {وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِى السَّمَٰوَات لاَ تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَى}، وقوله: {وَلاَ تنفعُ الشَّفَـٰعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} وقوله: {يَوْمَئِذٍ لاَّ تنفعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَـٰنُ}

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً} (مريم:96)

وقد صرح في موضع آخر بدخول نبيه موسى عليه وعلى نبينا والسلام في هذا العموم، وذلك في قوله {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى}

{فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُدّاً} (مريم:97)

ما ذكر هنا من تيسير هذا القرآن العظيم فقد أوضحه في مواضع أخر، كقوله في سورة «القمر»: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}، وقوله في آخر «الدخان»: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَـٰنِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} وأما ما ذكر فيها من كونه بلسان هذا النَّبي العربي الكريم فقد ذكره في مواضع أخر، كقوله: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَمِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ} وقوله تعالى: {الرتِلْكَ ءايَاتُ الْكِتَـٰبِ الْمُبِينِ إِنَّآ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، وقوله تعالى: {حـم وَالْكِتَـٰبِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} وقوله تعالى: {لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ} إلى غير ذلك من الآيات.

{ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُم رِكْزاً }(مريم:98)

كقوله في عاد: {فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ} وقوله فيهم: {فَأَصْبَحُواْ لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَـٰكِنُهُمْ} وقوله: {فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ} إلى غير ذلك من الآيات.

تفسير الفاروق

0بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَــٰنِ الرَّحِيمِ

سورة طه

{مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} (طـــه:2)

فيها وجهان من التفسير، وكلاهما يشهد له قرآن: الأول ـــ أن المعنى: ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. أي لتتعب التعب الشديد بفرط تأسفك عليهم وعلى كفرهم. وتحسرك على أن يؤمنوا. وهذا الوجه جاءت بنحوه آيات كثيرة، كقوله تعالى: [2565]{فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ}، وقوله تعالى [2566]{فَلَعَلَّكَ بَـــاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى ءَاثَـــارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـــاذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً} وقوله [2567]{لَعَلَّكَ بَـــاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}. والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً. الوجه الثاني ـــ أنه صلى الله عليه وسلم صلى بالليل حتى تورَّمتْ قدماه، فأنزل الله {مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى} أي تنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة. كقوله: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} وقوله [2568]{يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}.والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

{إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى} (طـــه:3)

كقوله تعالى: [2569]{فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ} وقوله: [2570]{إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخشِىَ الرَّحْمَـــانَ بِالْغَيْبِ} وقوله: {إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَـــاهَا}. وما ذكره هنا من أنه ما أنزل القرآن إلا للتذكرة ـــ بينه في غير هذا الموضع كقوله: [2571]{إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَـــالَمِينَ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ} وقوله تعالى: [2572]{قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَـــالَمِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى} (طـــه:4)

أي فليس بشعر ولا كهانة، ولا سحر ولا أساطير الأولين، كما دل لهذا المعنى قوله تعالى:{وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّاتَذَكَّرُون تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَـــالَمِينَ}والآيات المصرحة بأن القرآن منزل من رب العالمين كقوله

[2565] فاطر 8

[2566] الكهف 6

[2567] الشعراء 3

[2568] البقرة 185

[2569] ق 45

[2570] يسين 11

[2571] التكوير 27– 28

[2572] الانعام 90

[2573]{وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَـالَمِينَ}،وقوله: [2574]{تَنزِيلُ الْكِتَـابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}وقوله: [2575]{تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَـانِ الرَّحِيمِ} والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً.

{وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} (طـه:7)

كقوله: [2576]{وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُواْ بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} وقوله: [2577]{وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} وقوله تعالى: [2578]{وَاللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ} وقوله تعالى: [2579]{قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ} إلى غير ذلك من الآيات. وفي المراد بقوله في هذه الآية {وَأَخْفَى} أوجه معروفة كلها حق ويشهد لها قرآن. قال بعض أهل العلم {يَعْلَمُ السِّر}: أي ما قاله العبد سراً {وَأَخْفَى} أي ويعلم ما هو أخفى من السر، وهو ما توسوس به نفسه. كما قال تعالى: [2580]{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}.وقال بعض أهل العلم: {فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ}: أي ما توسوس به نفسه {وَأَخْفَى} من ذلك،كما قال تعالى: [2581]{وَلَهُمْ أَعْمَـالٌ مِّن دُونِ ذالِكَ هُمْ لَهَا عَـامِلُونَ}،وكما قال تعالى: [2582]{هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: [2583]{وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ} أي فلا أي فلا حاجة لك إلى الجهر بالدعاء ونحوه، كما قال تعالى: [2584] {ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً}، وقال تعالى: [2585]{وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ}

{اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} (طـه:8)

كقوله: [2586]{اللهُ لاَ إِلَـاهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ}وقوله: [2587]{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لآ إِلَـاهَ إِلاَّ اللهُ} وزاد في بعض المواضع الأمر بدعائه بها، كقوله تعالى: [2588] {وَللهِ الأَسْمَآءُ الْحُسْنَىفَادْعُوهُ بِهَا} وقوله: [2589]{قُلِ ادْعُواْ اللهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَـانَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ

[2573] الشعراء 192
[2574] الزمر 1
[2575] فصلت 2
[2576] الملك 13
[2577] النحل 19
[2578] محمد 26
[2579] الفرقان 6
[2580] ق 16
[2581] المومنون 63
[2582] النجم 32
[2583] طه 7
[2584] الاعراف 55
[2585] الاعراف 205
[2586] البقرة 255
[2587] محمد 19

فَلَهُ الأَسْمَآءَ} وزاد في موضع آخر تهديد من ألحد في أسمائه. وهو قوله:[2590] {وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَـائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}

{وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي} (طــه:27) {يَفْقَهُوا قَوْلِي} (طــه:28)

دل قوله {عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى} بالتنكير والإفراد، وإتباعه لذلك بقوله {يَفْقَهُواْ قَوْلِي} على أنه لم يسأل إزالة جميع ما بلسانه من العقد، بل سأل إزالة بعضها الذي يحصل بإزالته فهم كلامه مع بقاء بعضها. وهذا المفهوم دلت عليه آيات أخر، كقوله تعالى عنه:[2591] {وَأَخِى هَـرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَاناً} وقوله تعالى عن فرعون [2592] {أَمْ أَنَآ خَيْرٌ مِّنْ هَـذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ}

{وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى} (طــه:37) {إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى} (طــه:38) {أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ} (طــه:39)

قوله {وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى} كقوله: {وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىمُوسَى وَهَـارُونَ} والاية كقوله في «القصص»: [2593]{وَأَوْحَيْنَآ إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِى وَلاَ تَحْزَنِى إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَـاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً} وقد بين تعالى شدة جزع أمه عليه لما ألقته في البحر، في قوله تعالى: [2594]{وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}

{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} (طــه:39)

من آثار هذه المحبة التي ألقاها الله على عبده ونبيه موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـــ ما ذكره جل وعلا في «القصص» في قوله:[2595] {وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ}

[2588] الاعراف 180

[2589] الاسراء 110

[2590] الاعراف 180

[2591] القصص 43

[2592] الزخرف 52

[2593] القصص 7–8

[2594] القصص 10

[2595] القصص 9

{إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلا تَحْزَنَ} (طـــه:40)

أوضحه جل وعلا في سورة «القصص» وذلك في قوله تعالى: [2596]{وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَـــاصِحُونَ فَرَدَدْنَـــاهُ إِلَى أُمِّهِ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَـــكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ}

{وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسٰى } (طـــه:40)

بين في سورة «القصص» خبر القتيل المذكور في قوله تعالى: [2597]{وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَـــذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَـــذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَـــاثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسٰى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَـــذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَـــانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِين قَالَ رَب إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} وقوله: [2598]{قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْساً فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ} وهو المراد بالذنب في قوله تعالى عن موسى: [2599]{فَأَرْسِلْ إِلَى هَـــارُونَ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ} وهو مراد فرعون بقوله لموسى فيما ذكره الله عنه: [2600]{وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ} وقد أشار تعالى في «القصص» أيضاً إلى غم موسى، في قوله: [2601]{وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يامُوسٰى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ النَّـــاصِحِينَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّـــالِمِينَ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّى أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ السَّبِيلِ} إلى قوله ـــ {قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّـــالِمِينَ}

{فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسٰى } (طـــه:40)

السنين التي لبثها في مدين هي المذكورة في قوله تعالى: [2602]{قَالَ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَىَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِى ثَمَانِىَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ}. وأظهر الأقوال في قوله تعالى: {ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يامُوسٰى} أي جئت على القدر الذي

[2596] القصص 11–13
[2597] القصص 15–16
[2598] القصص 33
[2599] الشعراء 13–14
[2600] الشعراء 19
[2601] القصص 20–25
[2602] القصص 27

قدرتهوسبق في علميكما قال تعالى: [2603]{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَـــاهُ بِقَدَرٍ}وقال: [2604]{وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ} وقال [2605]{وَكَانَ أَمْرُ اللهقَدَراً مَّقْدُوراً}.

{اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآياتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي} (طـــه:42) {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ} (طـــه:43)

قال بعض أهل العلم: المراد بالآيات في قوله هناالآيات التسع المذكورة في قوله تعالى: [2606]{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسٰى تِسْعَ ءَايَـــاتٍ بَيِّنَاتٍ}، وقوله: [2607]{وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِى تِسْعِ ءَايَـــاتٍ} وقوله هنا: {وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي} أي لا تضعفا ولا تفترا في ذكري. وقد أثنى الله على من يذكره في جميع حالاته في قوله: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَـــاماً وَقُعُوداً وَعَلَىجُنُوبِهِمْ}، وأمر بذكر الله عند لقاء العدو في قوله {إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللَّهَ كَثِيراً} وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره هذه الآية الكريمة: والمراد أنهما لا يفتران في ذكر الله في حال مواجهة فرعون. ليكون ذكر الله عوناً لهما عليه، وقوة لهما وسلطاناً كاسراً له، كما جاء في الحديث: «إن عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو مُناجز قِرْنه»

[2603] قمر 49
[2604] الرعد 8
[2605] الاحزاب 28
[2606] الاسراء 101
[2607] النمل 12

{ إِنَّهُ طَغَى } (طـــه:43)

أصل الطغيان: مجاوزة الحد، ومنه: [2608]{إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَآءُ حَمَلْنَـــاكُمْ فِىالْجَارِيَةِ} وقد بين تعالى شدة طغيان فرعون ومجاوزته الحد في قوله عنه: [2609]{فَقَالَ أَنَاْ رَبُّكُمُ الأّعْلَى}، وقوله عنه [2610]{مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرِ ى} وقوله عنه أيضاً: [2611]{لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلاهاً غَيْرِى لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ}.

{فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } (طـــه:44)

كقوله تعالى: [2612] {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى وَأَهْدِيَك إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} وهى كقوله[2613] { ادْعُ إِلِىسَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَــادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ}

{فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرائيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى} (طـــه:47)

قوله هنا" فَقُولا إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ" كقوله في سورة «الشعراء»: [2614] {فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَـــالَمِينَ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ }. العذاب الذي نهى الله فرعون أن يفعله ببني إسرائيل: هو المذكور في سورة «البقرة» في قوله: [2615]{وَإِذْ نَجَّيْنَـــاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُواءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَالِكُمْ بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ} وفي سورة «إبراهيم» في قوله تعالى: [2616]{وَإِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُواءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ} وفي سورة «الأعراف» في قوله تعالى: [2617]{وَإِذْ أَنْجَيْنَـــاكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُواءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ} وفي سورة «الدخان» في قوله:[2618] {وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِّنَ الْمُسْرِفِينَ} وفي سورة «الشعراء» في قوله: {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِى إِسْرَاءِيلَ }

[2608] الحاقة 11

[2609] النازعات 24

[2610] القصص 38

[2611] الشعراء 29

[2612] النازعات 17- 19

[2613] النحل 125

[2614] الشعراء 30- 31

[2615] البقرة 6

[2616] ابراهيم 6

[2617] الاعراف 141

[2618] الدخان 30-31

{إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} (طـــه:48)

كقوله:[2619] {فَأَمَّا مَن طَغَى وَءاثَرَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِىَ الْمَأْوَى} وقوله تعالى:[2620] {فَأَنذَرْتُكُمْ ناراً تَلَظَّى لاَ يَصْلاهَآ إِلاَّ الأَشْقَى الَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّى} وقوله تعالى: [2621] {فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى وَلَـكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى} إلى غير ذلك من الآيات}

{قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى} (طـــه:49)

كما قال: [2622] {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرِى} وقال:[2623] {قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ}. وبين جل وعلا في غير هذا الموضع أن قوله {مَنْ رَبُّكُمَا} تجاهلعارف بأنه عبد مربوب لرب العالمين، وذلك في قوله تعالى: [2624] {قَالَ لَقَدْعَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَات وَالأَرْضِبَصَآئِرَ} وقوله:[2625] {فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَـذَا سِحْرٌ مُّبِينٌوَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً} وسؤال فرعون عن رب موسى، وجواب موسى له جاء موضحاً في سورة «الشعراء»في قوله: [2626] {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَـالَمِينَقَالَ رَبُّالسَّمَوَاتوَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ مُّوقِنِينَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ الأَوَّلِينَقَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِىأُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّالْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْتَعْقِلُونَ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَـهَاً غَيْرِى لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَقَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىءٍ مُّبِينٍ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـادِقِينَفَأَلْقَى عَصَـاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌوَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـاظِرِينَ}

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى} (طـــه:53)

بين جل وعلا في هاتين الآيتين أربع آيات من آياته الكبرى الدالة على أنه المعبود وحده. وهي من النعم العظمى على بني آدم.أما الأولى ــ التي هي جعله الأرض مهداً ــكقوله تعالى: [2627] {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَات وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّالْعَزِيزُ الْعَلِيمُ

[2619] النازعات 37- 39
[2620] الليل 14- 16
[2621] القيامة 31-35
[2622] القصص 38
[2623] الشعراء 29
[2624] الاسراء 102
[2625] النمل 13- 14
[2626] الشعراء 23-33
[2627] الزخرف 10

الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً}وقوله تعالى: [2628]{أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَـاداً وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً}وقوله تعالى: [2629]{ وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ }، وقوله تعالى: [2630]{وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَارَوَاسِىَ وَأَنْهَـاراً} والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً.وأما الثانية ــ التي هي جعله فيها سبلاً كقوله في «الزخرف»: [2631] {وَلَئِنسَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَات وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّخَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَتَهْتَدُونَ}، وقوله تعالى: [2632]{وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}في سورة «النحل» في الكلام على قوله: [2633] {وَأَنْهَـاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } .وأما الثالثة والرابعة ــ وهما إنزال الماء من السماء وإخراج النبات به من الأرضكقوله تعالى: [2634] {هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً لَّكُم مَّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌفِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَوَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَـابَ} وقد قدمنا الآيات الدالة على ذلك.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا} التفات من الغيبةالتكلم بصيغة التعظيم. ونظيره في القرآن قوله تعالى في «الأنعام»: [2635] {وَهُوَ الَّذِىأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَامِنْهُ خَضِراً نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً}، وقوله في «فاطر»: [2636]{أَلَمْتَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاأَلْوَانُهَا}، وقوله في «النمل»: [2637] {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَات وَالأَرْضَوَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ} .وهذا الالتفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة التعظيم في هذه الآيات كلها في إنبات النباتيدل على تعظيم شأن إنبات النبات.

وقوله في هذه الآية: {أَزْوَاجاً مِّن نَّبَـاتٍ شَتَّى}أي أصنافاً مختلفة من أنواع النباتكما قال تعالى في سورة «الحج»: [2638]{وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَاالْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}وقال تعالى في سورة «لقمان»: [2639]{خَلَقَ السَّمَٰوَات بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاوَأَلْقَىفِى الأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍوَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍكَرِيمٍ}وقال تعالى في سورة «يس»: [2640]{سُبْحَـانَ الَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُالأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

[2628] النبا 6– 7

[2629] الزاريات 48

[2630] الرعد 3

[2631] الزخرف 9– 10

[2632] الانبياء 31

[2633] النحل 15

[2634] النحل 10– 11

[2635] الانعام 99

[2636] فاطر 27

[2637] النمل 60

[2638] الحج 5

[2639] لقمان 10

[2640] يسين 36

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً} كقوله في «الأنبياء»: [2641] {وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} وقوله في «الزخرف»: [2642] {الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} وكقوله في «النحل»: [2643] {وَأَلْقَى فِى الأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}

{كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى} (طــه:54)

وما ذكره في هذه الآية الكريمة: من الامتنان على بني آدم بأرزاقهم وأرزاق أنعامهم جاء موضحاً في مواضع أخر. كقوله في سورة «السجدة»: [2644] {فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ} وقوله في «النازعات»: [2645] {أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ} وقوله في «عبس»: [2646] {ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً وَعِنَباً وَقَضْباً وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً وَحَدَآئِقَ غُلْباً وَفَاكِهَةً وَأَبّاً مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ} وقوله في «النحل»: [2647] {هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} (طــه:55)

وقد ذكر في هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل: خلقه إياهم من الأرض ــ كقوله [2648] {ياأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ} وقوله تعالى: [2649] {وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ}، وقوله في سورة «المؤمن»: {هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ} والتحقيق أن معنى خلقه الناس من تراب ــ أنه خلق أباهم آدم منها. كما قال تعالى: [2650] {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}. ولما خلق أباهم من تراب وكانوا تبعاً له في الخلق صدق عليهم أنهم خُلقوا من تراب. كقوله تعالى: [2651] {ذالِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ}. وأما المسألة الثانية أنه يعيدهم فيها فقد ذكرها تعالى أيضاً في غير هذا الموضع. وذلك في قوله تعالى: [2652] {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً أَحْيَآءً وَأَمْوَاتاً} وأما المسألة الثالثة ــ وهي إخراجهم من الأرض أحياء يوم

[2641] الانبياء 31

[2642] الزخرف 10

[2643] النحل 15

[2644] السجدة 27

[2645] النازعات 31 – 33

[2646] عبس 25 – 32

[2647] النحل 10

[2648] الحج 5

[2649] الروم 20

[2650] ال عمران 59

[2651] السجدة 6 – 7

[2652] المرسلات 26 – 26

القيامة فقد جاءت موضحة في آيات كثيرة. كقوله:[2653] {وَيُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} وقوله تعالى:[2654] {وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَالِكَ الْخُرُوجُ} وقوله تعالى: [2655]{ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ} وقوله تعالى:[2656] {حَتَّى إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَـاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذالِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} وقوله تعالى: [2657]{يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ} وقوله تعالى:[2658] {يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ} وقوله في هذه الآية الكريمة: {مِنْهَا خَلَقْنَـاكُمْ} كقوله تعالى: [2659]{قَالَ فِيهَا تَحْيَوْن وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ}

{وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا} (طــه:56)

والمراد بآياتنا المعهودة لموسى كلها وهي التسع المذكورة في قوله:[2660] {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسٰى تِسْعَ ءَايَـاتٍ بَيِّنَاتٍ}، وقوله تعالى:[2661]{وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِسُوءٍ فِى تِسْعِ ءَايَـاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ}.وقد بين جل وعلاأن الآيات التي أراها فرعون وقومه بعضها أعظم من بعض، كما قال تعالى فيسورة «الزخرف»: [2662]{وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُمِنْ أُخْتِهَا}، وقوله: [2663]{لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَـاتِنَا الْكُبْرَى}وقوله:[2664] {فَأَرَاهُ الأَيَةَ الْكُبْرَى}

{ فَكَذَّبَ وَأَبَى} (طــه:56)

كقوله: [2665]{وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} وقوله تعالى: [2666]{فَلَمَّا جَآءَهُم بِأيَـا تِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ} وقوله: [2667]{قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} وقوله تعالى: [2668]{وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِ قَالَ يٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ الأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِى أَفَلاَ تُبْصِرُونَ أَمْ أَنَآ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ

[2653] الروم 19
[2654] ق 11
[2655] الروم 25
[2656] الاعراف 57
[2657] المعارج 43
[2658] ق 42
[2659] الاعراف 25
[2660] الاسراء 101
[2661] النمل 12
[2662] الزخرف 48
[2663] طه 23
[2664] النازعات 20
[2665] الاعراف 132
[2666] الزخرف 47
[2667] الشعراء 29
[2668] الزخرف 51– 53

يُبِينُ فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلَـٰئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ} وقد بين جل وعلا: أن فرعون كذب وأبى، وهو عالم بأن ما جاء به موسى حق، وذلك في قوله تعالى: [2669] {وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً} وقوله [2670] { قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هؤُلاءِإلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا } إلى غير ذلك من الآيات.

{قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسٰى } (طــه:57)

كقوله تعالى في هذه السورة: {أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يامُوسٰى } وقوله في «الأعراف»: [2671] {قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} وقوله في «الشعراء»: [2672] {قَالَ لِلْمَلإِحَوْلَهُ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} وقوله في «يونس»: [2673] {قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَآءُ فِى الأَرْضِ} وقال سحرة فرعون: [2674] {إِنْ هَـٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى} وكقوله: {فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} وقوله: {فَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ} وقوله: {إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ} وقوله: {وَقَالُواْ ياأَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ} إلى غير ذلك من الآيات.

[2669] النمل 14

[2670] الاسراء 102

[2671] الاعراف 109– 112

[2672] الشعراء 34–37

[2673] يونس 78

[2674] طه 63

{فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ} (طــه:58)

وقد بين في غير هذا الموضع: أن إتيانهم بالسحر وجمعهم السحرة كان عن اتفاق ملئهم على ذلك كقوله في «الأعراف»:[2675] {قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى الْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ} وقوله فيالشعراء»: {قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِىالْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ}

{فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَاناً سُوَىً} (طــه:58)
{قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحىً} (طــه:59)

كقوله تعالى في «الشعراء» [2676] {فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَـٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُمْ مُّجْتَمِعُونَ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ الْغَـٰلِبِينَ}

{فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ} (طــه:60)

قال بعض العلماء: معناه انصرف مدبراً من ذلك المقام ليهيىء ما يحتاج إليه مما تواعد عليه هو وموسى ويدل لهذا الوجه قوله تعالى في سورة [2677]«النازعات» {ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىفَحَشَرَ فَنَادَى} وقال بعض العلماء: معناه أعرض عن الحق الذي جاء به موسى. ومن معنى هذا الوجه قوله تعالى: [2678]{إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى}

{ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى} (طــه:60)

الظاهر أن المراد بــ{كَيْدَهُ} ما جمعه من السحر ليغلب به موسى في زعمه. ويدل على هذا أمران: أحدهما ــ تسمية السحر في القرآن كيداً. كقوله [2679]{إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَاحِرٍ}، وقوله تعالى عن السحرة: {فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ}. الثاني ــ أن الذي جمعه

[2676] الشعراء 38– 40
[2677] النازعات 22–23
[2678] طه 48
[2679] طه 69

فرعون هو السحرة كما دلت عليه آيات من كتاب الله. كقوله تعالى في «الأعراف»: [2680]{وَأَرْسِلْ فِى الْمَدَآئِنِ حَـاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـاحِرٍ عَلِيمٍ} وقوله في «الشعراء»: [2681] {وَابْعَثْ فِى الْمَدَآئِنِ حَـاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَـاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ}وقوله في «يونس»: [2682]{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِى بِكُلِّ سَـاحِرٍ عَلِيمٍ}

{قَالُوا يَا مُوسٰى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى} (طـه:65)

كقوله في «الأعراف»: [2683] {قَالُواْ يامُوسٰى إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ} . وقد بين تعالى أيضاً في موضع آخر أن ماألقوا هو حبالهم وعصيهم، وذلك في قوله في «الشعراء»: [2684] {فَأَلْقَوْاْ حِبَـالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَونَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَـالِبُونَ}

{قَالَ بَلْ أَلْقُوا} (طـه:66)

كما صرح به في «الشعراء» في قوله تعالى: [2685]{قَالَ لَهُمْ مُوسٰى أَلْقُواْ مَآ أَنتُمْ مُّلْقُونَ} وفي «الأعراف» [2686]{قَالَ أَلْقَوْاْ فَلَمَّآ أَلْقُوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ}

{ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى} (طـه:66)

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {يُخَيَّلُ} كقوله تعالى: [2687] {فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ}

{وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} (طـه:69)

كقوله في «الأعراف»: [2688] {وَأَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسٰى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَـاغِرِينَ}، وقوله تعالى في «الشعراء»: [2689]{فَأَلْقَى مُوسٰى عَصَـاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ}

[2680] الاعراف 111– 112
[2681] الشعراء 38
[2682] يونس 79
[2683] الاعراف 115
[2684] الشعراء 44
[2685] الشعراء 43
[2686] الاعراف 116
[2687] الاعراف 116
[2688] الاعراف 117– 119
[2689] الشعراء 45

{فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ } (طـــه:70)

كقوله في «الأعراف»:[2690] {وَأَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ وَأُلْقِىَ السَّحَرَةُ سَـــاجِدِينَ قَالُواْ ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَـــالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـــارُونَ}، وقوله في «الشعراء»: [2691]{فَأَلْقَى مُوسَىٰ عَصَـــاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَأُلْقِىَ السَّحَرَةُ سَـــاجِدِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِرَبِّ الْعَـــالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـــارُونَ}

{قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ} (طـــه:71)

كقوله في سورة «الشعراء»: [2692]{قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ}. وقوله: [2693]{قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَـــذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} «وقوله في «طه»: {وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ}

{وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى} (طـــه:71)

وهذا كقوله:[2694] {أَنَاْ رَبُّكُمُ الأَعْلَى}وقوله:[2695] {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرِى}، وقوله: [2696]{لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِى لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ}

{قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} (طـــه:72)

كقوله في «الشعراء»[2697] {قَالُواْ لاَضَيْرَ إِنَّآ إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ}. وقوله في «الأعراف»: [2698]{قَالُواْ إِنَّآ إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلاَ أَنْ ءَامَنَّا بِأايَـــاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ}

[2690] الاعراف 117-122
[2691] الشعراء 45-48
[2692] الشعراء 49
[2693] الاعراف 123-124
[2694] النازعات 24
[2695] القصص 28
[2696] الشعراء 29
[2697] الشعراء 50

{إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا} (طـــه:73)

كقوله تعالى في «الشعراء» عنهم: [2699]{إِنَّآ إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـايَـانَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ} وقوله عنهم في «الأعراف»: [2700] {رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ}

{ وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} (طـــه:73)

يدل على أنهم أكرههم عليه، مع أنه دلت آيات أخر على أنهم فعلوه طائعين غير مكرهين، كقوله في «طه»: [2701] {فَتَنَـازَعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ النَّجْوَى قَالُواْ إِنْ هَـذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفّاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَى} وكذلك قوله عنهم في «الشعراء»: [2702]{قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ إِنَّ لَنَا لأَجْراً إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَـالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} والجواب أنه أكرههم على الشخوص من أماكنهم ليعارضوا موسى بسحرهم، فإكراههم بالنسبة إلى أول الأمر، وطوعهم بالنسبة إلى آخر الأمر، ويدل لهذا قوله: [2703] {وَابْعَثْ فِى الْمَدَآئِنِ حَـاشِرِينَ} وقوله: [2704] {وَأَرْسِلْ فِى الْمَدَآئِنِ حَـاشِرِينَ}

{إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى} (طـــه:74)

كقوله: [2705]{وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ}وقوله تعالى: [2706]{وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ} وقوله تعالى: [2707]{كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَـاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ} وقوله تعالى: {وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا}، وقوله تعالى: [2708] {وَنَادَوْاْ يامَـالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّـاكِثُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

[2698] الاعراف 125– 126

[2699] الشعراء 50– 51

[2700] الاعراف 126

[2701] طه 62– 64

[2702] الشعراء 41–42

[2703] الشعراء 36

[2704] الاعراف 111

[2705] فاطر 36

[2706] ابراهيم 15– 17

[2707] النساء 56

[2708] الزخرف 77

{وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسٰى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخَافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى} (طـــه:77)

كقوله في سورة «الشعراء»:[2709] {وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰمُوسٰى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى إِنَّكُم مّتَّبِعُونَ فَأَرْسَلَ فِرْعَونُ فِى الْمَدَآئِنِ حَـــاشِرِينَ إِنَّ هَـــؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـــاذِرُونَ فَأَخْرَجْنَـــاهُمْ مِّن جَنَّـــاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَـــاهَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ[2710] فَلَمَّا تَرَآءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـــابُ مُوسٰى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسٰى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ} قوله في «الدخان»: [2711]{فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَـــؤُلاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ}

{فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ} (طـــه:78)

قوله تعالى في «الشعراء»:[2712] {وَأَوْحَيْنَآ إِلَى مُوسٰى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى إِنَّكُم مّتَّبِعُونَ} وبين كيفية اتباعه لهم فقال {فَأَرْسَلَ فِرْعَونُ فِى الْمَدَآئِنِ حَـــاشِرِينَ إِنَّ هَـــؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَـــاذِرُونَ فَأَخْرَجْنَـــاهُمْ مِّن جَنَّـــاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَـــاهَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ فَلَمَّا تَرَآءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـــابُ مُوسٰى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ} قوله تعالى في «يونس»:[2713] {وَجَاوَزْنَا بِبَنِى إِسْرَاءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا}، وقوله في «الدخان»: [2714]{فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ} وأما غرقه هو وجميع قومه فقد أوضحه تعالى كقوله في «الشعراء»: [2715]{فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰمُوسٰى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الاٌّخَرِينَ وَأَنجَيْنَا مُوسٰى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الاٌّخَرِينَ إِنَّ فِى ذَلِكَ لأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ} وقوله في «الأعراف»:[2716] {فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـــاهُمْ فِي الْيَمِّ} وقوله في «الزخرف»:[2717] {فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـــاهُمْ أَجْمَعِينَ} وقوله في «البقرة»: [2718]{وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـــاكُمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ} وقوله في «يونس»: [2719]{ وَجَاوَزْنَا

[2709] الشعراء 52- 63
[2710] الشعراء 61- 62
[2711] الدخان 22- 24
[2712] الشعراء 52-63
[2713] يونس 90
[2714] الدخان 23
[2715] الشعراء 63-67
[2716] الاعراف 136
[2717] الزخرف 55
[2718] البقرة 50
[2719] يونس 90

ببَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} وقوله في «الدخان»: [2720]{وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ} إلى غير ذلك من الآيات }

{وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى} (طـــه:79)

ومن الآيات الموضحة لذلك قوله تعالى: [2721]{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَـــاتِنَا وَسُلْطَـــانٍ مُّبِينٍ إِلَي فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَـــامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ}

{يَا بَنِي إِسْرائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ} (طـــه:80)

كقوله في «سورة البقرة»: [2722]{وَإِذْ نَجَّيْنَـــاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَالِكُمْ بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ} وقوله في «الأعراف»: [2723]{وَإِذْ أَنْجَيْنَـــاكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذالِكُمْ بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ}وقوله في «الدخان»:[2724] {وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِّنَ الْمُسْرِفِينَ} وقوله في سورة «إبراهيم»: [2725]{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجاكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذالِكُمْ بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ} وقوله في «الشعراء» [2726]{كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَـــاهَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ}، وقوله في «الدخان» [2727]{كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَـــاهَا قَوْماً ءَاخَرِينَ} وقوله في «الأعراف»:[2728] {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـــارِقَ الأَْرْضِ وَمَغَـــارِبَهَا} وقوله في «القصص»: [2729]{وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ فِى الأَْرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً} إلى قوله {يَحْذَرونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى} (طـــه:80)

كقوله في «البقرة»: [2730]{وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَن وَالسَّلْوَى} وقوله في «الأعراف» [2731]{ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَـــامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى}

[2720] الدخان 24

[2721] هود 96–98

[2722] البقرة 49

[2723] الاعراف 141

[2724] الدخان 30–31

[2725] ابراهيم 6

[2726] الشعراء 59

[2727] الدخان 28

[2728] الاعراف 137

[2729] القصص 5– 6

[2730] البقرة 57

{كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى} (طــه:81)

كقوله في «البقرة»[2732] {وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} وقوله في «الأعراف»: [2733] {وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}

{وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى} (طــه:82)

كقوله:[2734] {قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ} وقوله تعالى: [2735] {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ الله إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنِيبُواْ إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى} (طــه:83) {قَالَ هُمْ أُولاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى} (طــه:84)

كقوله في «الأعراف»:[2736] { وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ}

{قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ} (طــه:85)

كقوله:[2737] {إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ} وهذه الفتنة بعبادة العجل جاءت مبينة في آيات متعددة.
كقوله:[2738] {وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ} ونحو ذلك من الآيات.

[2731] الاعراف 160
[2732] البقرة 57
[2733] الاعراف 160
[2734] الانفال 38
[2735] الزمر 53– 54
[2736] الاعراف 142– 143
[2737] الاعراف 155
[2738] البقرة 51

{ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ} (طــه:85)

أوضح كيفية إضلاله لهم في غير هذا الموضع. كقوله: {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ} ـــ إلى قوله ـــ [2739]{اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَــالِمِينَ} وقوله هنا [2740]{فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَي فَنَسِيَ}

{فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي} (طــه:86)

كقوله في «الأعراف»: [2741] {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَــانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِن بَعْدِى} وقد بين تعالى آثار غضب موسى كما قال في «الأعراف»: [2742]{وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ} وقال في «طه» مشيراً لأخذه برأس أخيه: {قَالَ يَبْنَؤُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلاَ بِرَأْسِى}

{أَفَلا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً} (طــه:89)

كقوله في «الأعراف» [2743]{أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَــالِمِينَ} ونظير ذلك قوله تعالى عن إبراهيم: [2744]{ياأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يَبْصِرُ وَلاَ يُغْنِى عَنكَ شَيْئاً}وقوله تعالى عنه أيضاً:[2745] {قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ}، وقوله تعالى: [2746]{أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} وقوله تعالى: [2747]{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَــامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَــافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَــافِرِينَ} وقوله تعالى: [2748]{ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍإِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا اسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَــامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِــكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}

[2739] الاعراف 184
[2740] طه 87 – 88
[2741] الاعراف 150
[2742] الاعراف 150
[2743] الاعراف 148
[2744] مريم 42
[2745] الشعراء 72– 73
[2746] الاعراف 195
[2747] الاحقاف 5–6
[2748] فاطر 13– 14

{ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي} (طــه:93)

الظاهر أن أمره المذكور في هذه الآية هو المذكور في قوله تعالى: [2749]{وَقَالَ مُوسَي لأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}

{قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي } (طــه:94)

وقد بين تعالى في «الأعراف» [2750]{وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ}

{إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً} (طــه:98)

كقوله تعالى: [2751]{اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ}، وقوله: [2752]{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لآ إِلَـٰهَ إِلاَّ اللهُ} إلى غير ذلك من الآيات. وقوله في إحاطة علمه بكل شيء: [2753]{وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِىالسَّمَآءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذالِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ}، وقوله تعالى: [2754]{وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ} والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً.

{ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ} (طــه:99)

كقوله تعالى في سورة «النساء»: [2755] {وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ} وقوله في سورة «المؤمن»: [2756]{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ}، وقوله في سورة «إبراهيم» [2757]{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَـٰتِ}. كقوله في «آل عمران»: [2758]{ذالِكَ مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ} وقوله تعالى في سورة «هود» [2759] {تِلْكَ مِنْ أَنْبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ} وقوله في «هود» [2760]{وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} وقوله تعالى في سورة «يوسف»: [2761]{ذَلِكَ مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ}، وقوله في

[2749] الاعراف 142

[2750] الاعراف 150

[2751] البقرة 255

[2752] محمد 19

[2753] يونس 61

[2754] الانعام 59

«يوسف»[2762] {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَـافِلِينَ} وقوله في القصص»:[2763] {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ الأَمْرَ} وقوله فيها: [2764]{وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا}وقوله: [2765]{وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِى أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَـاتِنَا}إلى غير ذلك من الآيات }

{ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً} (طـه:99)

كقوله: طسم} وقوله تعالى: [2766]{ذالِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَـاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ} وقوله تعالى:[2767] {مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ} وقوله:[2768] {وَقَالُواْ ياأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ} وقوله تعالى: [2769]{ص وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ} وقوله تعالى: [2770]{وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ} وقوله: [2771]{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـافِظُونَ} إلى غير ذلك من الآيات. وفي تسمية القرآن بالذكر وجه يشهد له قرآن. ــ أنه يذكر أنواع آلاء الله ونعمائه تعالى. ففيه التذكير والمواعظ كقوله تعالى: [2772]{كِتَـابٌ أَنزَلْنَـاهُ إِلَيْكَ مُبَـارَكٌ لِّيَدَّبَّرُواْ ءَايَـاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُو الأَلْبَـابِ}، وقوله تعالى: [2773]{وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً}

[2755] النساء 164
[2756] غافر 78
[2757] ابراهيم 9
[2758] ال عمران 44
[2759] هود 49
[2760] هود 120
[2761] يونس 102
[2762] يوسف 3
[2763] القصص 44
[2764] القصص 46
[2765] القصص 45
[2766] ال عمران 58
[2767] الانبياء 2
[2768] الحجر 6
[2769] ص 1
[2770] الزخرف 44
[2771] الحجر 9
[2772] ص 29
[2773] طه 113

{مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً} (طـــه:100)

كقوله في سورة «الأنعام»: [2774]{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ الله حَتَّى إِذَا جَآءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَاحَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ} وقوله في «النحل»: [2775]{لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَـــامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ} وقوله في «العنكبوت»:[2776] {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَـــامَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} وقوله في «فاطر»: [2777]{وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى}

{خَالِدِينَ فِيهِ} (طـــه:101)

كقوله:[2778] {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَـــالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً}

{ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً} (طـــه:101)

وذلك في قوله:[2779] {فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً} وبين أنه يسيرها في الهواء بين السماء والأرض. وذلك في قوله [2780]{وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى السَّمٰوَات وَمَن فِى الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَآءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِين وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ الله الَّذِى أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} وقوله: [2781]{ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً} وقوله: {وإِذَا الْجِبَال سُيِّرَت} وقوله تعالى: [2782]{وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً} وقوله تعالى: [2783]{يَوْمَ تَمُورُ السَّمَآءُ مَوْراًوَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً}. ثم بين أنه يفتنها ويدقها كقوله [2784]{وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً} وقوله:[2785] {وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً} ثم بين أنه يصيرها كالرمل المتهايل، وذلك في قوله: [2786]{يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ

[2774] الانعام 31
[2775] النحل 25
[2776] العنكبوت 13
[2777] فاطر 18
[2778] الجن 23
[2779] الحاقة 13– 14
[2780] النمل 87– 88
[2781] الكهف 47
[2782] النبأ 20
[2783] الطور 10
[2784] الواقعة 5
[2785] الحاقة 14
[2786] المزمل 14

وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً} وقوله تعالى: [2787]{يَوْمَ تَكُونُ السَّمَآءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ} ثم بين أنها تصير كالهباء المنبث في قوله: [2788]{وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاًفَكَانَتْ هَبَآءً مُّنبَثّاً} ثم بين أنها تصير سراباً، وذلك في قوله: {وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً}

{فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً} (طـــه:106) {لا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً} (طـــه:107)

قوله: {فَيَذَرهَا} راجع إلى الأرض وإن لم يجر لها ذكر. ونظير هذا القول في هذه الآية قوله تعالى: [2789]{مَا تَرَكَ عَلَىظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ} وقوله: {مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ}

{يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً} (طـــه:108)

كقوله تعالى [2790]{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُو الدَّاعِ إِلَى شَىْءٍ نُّكُرٍخُشَّعاً أَبْصَـــارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَـــافِرُونَ هَـــذَا يَوْمٌ عَسِرٌ وقوله تعالى:[2791]{وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ} وقوله تعالى:[2792] {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ} إلى غير ذلك من الآية كقوله: {وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِىَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَـــاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَـــاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ}وقوله: {وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِى إِلَيْهِمْ} وقوله: {وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الأَسْوَاقِ}

[2787] المعارج 8- 9
[2788] الواقعة 5- 6
[2789] النحل 61
[2790] القمر 6- 8
[2791] ق 41- 42
[2792] الاسراء 52

{ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً} (طــه:108)

كقوله: [2793]{رَّبِّ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُم الرَّحْمَـــنِ لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباًيَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَـــكَةُ صَفّاً لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَـــنُ وَقَالَ صَوَاباً}

{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً} (طــه:111)

المراد بالوجوه التي ذلت وخشعت للحي القيوم: وجوه العصاة خاصة وذلك يوم القيامة:ومما يدل على هذا المعنى من الآيات القرآنية قوله تعالى: [2794]{فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ}وقوله: [2795] {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَبِهَا فَاقِرَةٌ}، وقوله تعالى: [2796]{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـــاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً}

{وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْماً وَلا هَضْماً} (طــه:112)

كقوله تعالى: [2797] {إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـــاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً} وقوله: [2798]{ إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }،وقوله تعالى: [2799]{وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلاَيَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} إلى غير ذلك من الآيات،.

{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً} (طــه:114)

كقوله في «القيامة»: [2800] {لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأْنَـــاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}

[2793] النبأ 37- 38

[2794] الملك 27

[2795] القيامة 24- 25

[2796] الغاشية 2- 4

[2797] النساء 40

[2798] يونس 44

[2799] الكهف 49

[2800] القيامة 16- 19

{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً} (طـــه:115)

كقوله في سورة «البقرة»:[2801] {وَقُلْنَا يَاءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـــذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّـــالِمِينَ}وقوله في «الأعراف»:[2802] {وَيَا آدَمُ سْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـــذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّـــالِمِينَ} وقوله تعالى: {فَنَسِيَ} فيه للعلماء **وجهان معروفان**: أحدهما: المراد بالنسيان الترك، فلا ينافي كون الترك عمداً كما يشير إليه قوله:[2803] {وَعَصَىءَ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} والثانى: المراد بالنسيان في الآية: النسيان الذي هو ضد الذكر، كما يشير إليه قوله تعالى: {وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّـــاصِحِينَ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ} سورة اعراف22

[2801] **البقرة 35**

[2802] **الاعراف 19**

[2803] **طه 121**

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى} (طـــه:116)

وذكر عنه الإباء أيضاً في «الحجر» في قوله: [2804]{إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّـــاجِدِينَ}. وكما أشار إلى ذلك في «الأعراف» في قوله: [2805]{إِلاَ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّـــاجِدِينَ} وذكر عنه في سورة «ص» الاستكبار وحده في قوله: [2806]{إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِن الْكَـــافِرِينَ} وذكر عنه الإباء والاستكبار معاً في سورة «البقرة» في قوله: [2807] {إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَـــافِرِينَ}

{فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى} (طـــه:117)

{إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى} (طـــه:118) {وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى} (طـــه:119)

والدليل على أن المراد بالشقاء في هذه الآية: التعب في اكتساب المعيشة قوله تعالى بعده: {إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَؤُا فِيهَا وَلاَ تَضْحَى}

{فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَـــانُ قَالَ ياآدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىشَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْك لاَّ يَبْلَى }(طـــه:120)

الوسوسة والوسواس: الصوت الخفي. كما في قوله تعالى: [2808] {مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ} وقد أوضح في سورة «الأعراف» وبين أنه وسوس إلى حواء أيضاً مع آدم، وذلك في قوله: **[2809]**{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَـــانُ} إلى قوله [2810]{وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّـــاصِحِينَ فَدَلاهُمَا بِغُرُورٍ}

[2804] **الحجر 31**

[2805] **الاعراف 11**

[2806] **ص 74**

[2807] **البقرة 34**

[2808] **الناس 4**

[2809] **الاعراف 20**

[2810] **الاعراف 21–22**

{فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى} (طـــه:121)

كقوله تعالى: [2811] {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَـانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ}وقوله تعالى: [2812]{يَـابَنِيآدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَـانُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ} وقوله: {فَدَلَّـاهُمَا بِغُرُورٍ} إلى غير ذلك من الآيات. كقوله في «الأعراف»: {فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا}، وقوله فيها. أيضاً: {أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَآ}

{ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى} (طـــه:122)

وذلك في قوله: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} والكلمات المذكورة هي المذكورة في سورة «الأعراف» في قوله تعالى: {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَـاسِرِينَ}

{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} (طـــه:123)

كقوله في سورة «البقرة»: [2813] {وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِىالأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـاعٌ إِلَى حِينٍ} وقوله فيها أيضاً: [2814] {قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}، وقوله في «الأعراف»: [2815] {قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـاعٌ إِلَىحِينٍ}

{ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى} (طـــه:123)

كقوله في «البقرة»: {فإما يأتينكم مني هدى، فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون}

{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً} (طـــه:124)

المعيشة الضنك في الآية: شاملة لمعيشته في الدنيا والبرزخ والآخرة. كما قال تعالى: [2816]{وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ ذَالِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَـاتِ اللهِ} كقوله: {لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ}وقوله: {إن شجرة الزقوم طعام الأثيم}ونحو ذلك من الآيات. وعن أبي سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود وأبي هريرة: المعيشة الضنك: عذاب القبر وضغطته.

[2811] البقرة 26

[2812] الاعراف 27

[2813] البقرة 36

[2814] البقرة 38

[2815] الاعراف 24

[2816] البقرة 61

{ وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } (طـــه:124)

المراد بقوله {أَعْمَى} أي أعمى البصر، والقرينة هي قوله تعالى:[2817] {قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً} وقد زاد جل وعلا في سورة «بني إسرائيل» أنه مع ذلك العمى يحشر أصم أبكم أيضاً، وذلك في قوله تعالى:[2818]{ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَـامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}

{وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ} (طـــه:127)

كما قوله تعالى: [2819]{وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَـابُ النَّارِ} وبين في موضع آخر: أن محل ذلك إذا لم يُنيبوا إلى الله ويتوبوا إليه، وذلك في قوله: {قُلْ ياعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىا أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللهِ} إلى قوله: [2820]{وَأَنِـيبُواْ إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ}

{ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى } (طـــه:127)

كقوله تعالى: [2821]{وَلَعَذَابُ الأٌّخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ الله مِن وَاقٍ} وقوله تعالى [2822]{وَلَعَذَابُ الأٌّخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لاَ يُنصَرُونَ} وقوله تعالى: [2823]{وَلَعَذَابُ الأٌّخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَقَالُوا لَوْلا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى} (طـــه:133)

عبر عن هذا القرآن العظيم بأنه بينة ما في الصحف الأولى. لأن القرآن برهان قاطع على صحة جميع الكتب المنزلة من الله تعالى، فقوله في «العنكبوت»: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَـابَ يُتْلَىعَلَيْهِمْ} هو معنى قوله في «طه»: {أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِى الصُّحُفِ الأٍّولَى} كما قال تعالى: [2824]{وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَـابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَـابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ} وقال تعالى:[2825] {إِنَّ هَـذَا الْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَى بَنِىإِسْرائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}، وقال تعالى:[2826] {قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا} إلى غير ذلك من الآيات.

[2817] طه 125

[2818] الاسراء 97

[2819] غافر 43

[2820] الزمر 53– 54

[2821] الرعد 24

[2822] فصلت 16

[2823] الزمر 26

[2824] المائدة 48

[2825] النمل 76

{وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى} (طــه:134)

آية «طه» هذه تشير إلى معناها آية «القصص» التي هي قوله تعالى: [2827]{وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءايَــاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}

{ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا } (طــه:135)

كقوله تعالى: [2828]{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلاَ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ} وقوله: [2829]{وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ} إلى غير ذلك من الآيات}

{ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى } (طــه:135)

كقوله:[2830] {وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً} وقوله: [2831]{سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ} وقوله:[2832] {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينِ} إلى غير ذلك من الآيات

[2826] **ال عمران 93**

[2827] **القصص 47**

[2828] **التوبة 52**

[2829] **التوبة 98**

[2830] **الفرقان 42**

[2831] **القمر 26**

[2832] **ص 88**

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الأنبياء

{لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} (الانبياء:3)

كقوله: [2833]{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَّسُولاً} وقوله: [2834]{فَقَالُواْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّاسْتَغْنَى اللهُ}، وقوله: [2835]{أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّآ إِذاً لَّفِى ضَلالٍ وَسُعُرٍ} وقوله: [2836]{مَا هَـذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَـاسِرُونَ}،وقوله تعالى: [2837] {مَالِ هَـذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى الأٌّسْوَاقِ}وقوله تعالى: [2838]{قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا} والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً.

{أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ} (الانبياء:3)

كقوله عن بعضهم: [2839] {إِنْ هَـذَآ إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ} وقوله تعالى: [2840] {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ}

{بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ} (الانبياء:5)

أي فليس بشعر ولا كهانة، ولا سحر ولا أساطير الأولين، كما دل لهذا المعنى قوله تعالى: **[2841]**{وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّاتَذَكَّرُونَ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَـالَمِينَ}والآيات المصرحة بأن القرآن منزل من رب العالمين كقوله {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَـالَمِينَ}،وقوله: {تَنزِيلُ الْكِتَـابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}وقوله: {تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَـانِ الرَّحِيمِ} والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً.

{ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ} (الانبياء:5)

[2833] **الاسراء 94**
[2834] **التغابن 6**
[2835] **القمر 24**
[2836] **المئمنون 33– 34**
[2837] **الفرقان 7**
[2838] **ابراهيم 10**
[2839] **المدثر 24**
[2840] **الذاريات 52**
[2841] **الحاقه41–47**

كقوله تعالى: [2842]{وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالآْيَـــاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُون وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا}، وكقوله تعالى: [2843]{وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَـــانِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآْيَـــاتُ عِندَ اللهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ} وأشار إلى ذلك هنا في قوله: [2844]{مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـــاهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ} يعني أن الأمم الذين اقترحوا الآيات من قبلهم وجاءتهم رسلهم بما اقترحوا، لم يؤمنوا كما قال تعالى: [2845]{إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَآءَتْهُم كُلُّ ءايَةٍ} إلى غير ذلك من الآيات.

[2842] الاسراء 59

[2843] الانعام 109

[2844] الانبياء 6

[2845] يونس 96-97

{ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ} (الانبياء:9)

كقوله تعالى [2846]{حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ}، وقوله: [2847]{فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}، وقوله تعالى: [2848]{فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ}، وقوله: [2849]{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِين إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}، وقوله تعالى: [2850]{وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا}، وقوله تعالى: [2851]{فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا} وقوله: [2852]{وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ} (الانبياء:11)

كقوله تعالى: [2853]{وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}، وقوله: [2854]{فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا}، وقوله: [2855]{وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابا شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ} (الانبياء:26) {لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} (الانبياء:27)

كقوله في «البقرة»: [2856]{وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ}، وقولهإِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً(171) [النساء : 171]

[2846] يوسف 110

[2847] ابراهيم 47

[2848] ابراهيم 14

[2849] الصافات 171– 173

[2850] هود 58

[2851] هود 66

[2852] هود 94

[2853] الاسراء 17

[2854] الحج 45

[2855] الطلاق 8–9

[2856] البقرة 116

كقوله تعالى. [2857] {عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللهَ مَآ أَمَرَهُم وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}،وقوله تعالى: [2858] {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}، وقوله تعالى: [2859] {وَلَهُ مَن فِي السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰـهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} (الانبياء:29)

ومما يوضح ذلك قوله تعالى: [2860] {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ}، وقوله تعالى [2861] {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَىكَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}

{أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمٰوَات وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا} (الانبياء:30)

اعلم أن العلماء اختلفوا في المراد بالرتق والفتق في هذه الآية على أقوال. والذى يشهد له قرآن هو — أن معنى {رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا} أن السماء كانت لا ينزل منها مطر، والأرض كانت لا ينبت فيها نبات، ففتق الله السماء بالمطر، والأرض بالنبات. وقد دلت عليه قرائن من كتاب الله تعالى. الأولى — أن قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُواْ} يدل على أنهم رأوا ذلك لأن الأظهر أنها بصرية، والذي يرونه بأبصارهم هو أن السماء تكون لا ينزل منها مطر، والأرض ميتة هامدة لا نبات فيها. فيشاهدون بأبصارهم إنزال الله المطر، وإنباته به أنواع النبات. القرينة الثانية — أنه أتبع ذلك بقوله: {مِنَ}. والظاهر اتصال هذا الكلام بما قبله. أي وجعلنا من الماء الذي أنزلناه بفتقنا السماء، وأنبتنا به أنواع النبات بفتقنا الأرض كل شيء حي. القرينة الثالثة — أن هذا المعنى جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: [2862] {وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ} وكقوله تعالى: [2863] {فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} {ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً}

{ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ} (الانبياء:30)

كقوله: [2864] {وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مُّسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ} وقوله: [2865] {وَيُمْسِكُ السَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ}، وقوله: [2866] {وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَآءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ}، وقوله تعالى: [2867] {إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ

[2857] التحريم 11

[2858] الانفطار 10-12

[2859] الانبياء 19-20

[2860] ال عمران 79-80

[2861] ال عمران 64

السَّمٰوَات وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ} وقوله: [2868]{وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَات وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِي الْعَظِيمُ}، وقوله [2869]{وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ} وقوله تعالى: [2870]{أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ} وبين أن ذلك السقف المذكور محفوظ من كل شيطان رجيم. كقوله: [2871]{وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ}

{وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ} (الانبياء:34) {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} (الانبياء:35)

كقوله: [2872]{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ}،وقوله في سورة «آل عمران»: [2873]{كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}،وقوله في سورة «العنكبوت»: [2874]{يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}، وقوله تعالى في سورة «النساء»: [2875]{أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} إلى غير ذلك من الآيات.

{ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} (الانبياء:35)

كقوله تعالى: [2876]{وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}،وقوله تعالى: [2877] {وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلا إِذْ جَآءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىإِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُواْ أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُّبْلِسُون

[2862] الطارق 11-12
[2863] عبس 24-26
[2864] الطور 1-5
[2865] الحج 15
[2866] الروم 25
[2867] فاطر 41
[2868] البقرة 255
[2869] المئومنون 17
[2870] ق 6
[2871] الحجر 17
[2872] الرحمن 27
[2873] ال عمران 185
[2874] العنكبوت 56- 57
[2875] النساء 78
[2876] الاعراف 168
[2877] الانعام 42-45

فَقُطِعَ دَابِرُالْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ}، وقوله تعالى: [2878]{وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَامَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىعَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّآءُ وَالسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَـاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ} (الانبياء:36)

كقوله تعالى: [2879]{وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُواً أَهَـذَا الَّذِى بَعَثَ اللّهُ رَسُولاً إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلاَ أَن صَبْرَنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلاً}.

{خُلِقَ الْأِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلا تَسْتَعْجِلُونِ} (الانبياء:37)

كقوله تعالى: [2880]{وَيَدْعُ الإِنْسَـانُ بِالشَّرِّ دُعَآءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنْسَـانُ عَجُولاً}

{لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ} (الانبياء:39)

كقوله تعالى: [2881]{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَآءَت مُرْتَفَقًا}، وقوله تعالى: [2882]{لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} وقوله تعالى: [2883]{لَهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَالِكَ يُخَوِّفُ اللّهُ بِهِ عِبَادَهُ ياعِبَادِ فَاتَّقُونِ}وقوله تعالى: [2884]{سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ}.
وقوله تعالى: [2885]{تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـالِحُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

[2878] الاعراف 94-95
[2879] الفرقان 41-42
[2880] الاسراء 11
[2881] الكهف 29
[2882] الاعراف 41
[2883] الزمر 16
[2884] ابراهيم 50
[2885] المئومنون 104

{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (الانبياء:41)

كقوله تعالى: [2886]{مَّا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ}وقوله تعالى: {فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ}، وقوله تعالى: [2887]{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰمَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰأَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ الله وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ}، وقوله تعالى:**[2888]**{وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ}،وقوله تعالى: [2889]{وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى الله تُرْجَعُ الأُمُورُ} والآيات بمثل ذلك كثيرة.

{قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ} (الانبياء:42)

كقوله تعالى: [2890]{لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِالله}وقوله تعالى: [2891]{قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ الله شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوأَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً}، وقوله تعالى: [2892]{قُلْ مَن ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِّنَ الله إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ الله وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً}، وقوله تعالى: [2893]{قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ الله شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِى الأَرْضِ جَمِيعاً}، وقوله تعالى:**[2894]**{وَهُوَ يُجْيِرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ} (الانبياء:43)

كقوله تعالى: [2895]{أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَوَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ الله عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْصَادِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ}،وقوله تعالى: [2896]{وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ

[2886] **فصلت 43**

[2887] **الانعام 24**

[2888] **فاطر 25-26**

[2889] **فاطر 4**

[2890] **الرعد 11**

[2891] **الفتح 11**

[2892] **الاحزاب 17**

[2893] **المائدة 17**

[2894] **المئمنون 88**

يَنصُرُونَ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ}، وقوله تعالى: [2897]{ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِمَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَاسْتَجَابُواْ لَكُمْ}.

{بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ} (الانبياء:44)

كقوله: [2898]{وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُو إِثْماً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ}، وقوله تعالى: [2899]{سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ}، وقوله تعالى: [2900]{قَالُواْ سُبْحَـانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّى نَسُواْ الذِّكْرَ وَكَانُواْ قَوْماً بُوراً}، وقوله تعالى: [2901]{بَلْ مَتَّعْتُ هَـؤُلاَءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّى جَآءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ وَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ قَالُواْ هَـذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَـافِرُونَ} والآيات بمثل ذلك كثيرة.

{أَفَلاَ يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى الأَّرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ الْغَـالِبُونَ}

معنى {نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ} أي ننقص أرض الكفر ودار الحرب، ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها، وردها دار إسلام. والقرينة الدالة على هذا المعنى هي قوله بعده {أَفَهُمُ الْغَـالِبُونَ}.ومما يدل لهذا الوجه قوله تعالى: [2902]{وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِىَ وَعْدُ اللهِ}وقوله: [2903]{أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى الأَّرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ}.وقوله تعالى: [2904]{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِّنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الأَّيَـاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}.

[2895] الاعراف 191– 195
[2896] الاعراف 198– 197
[2897] فاطر 13–14
[2898] ال عمران 178
[2899] الاعراف 182–183
[2900] الفرقان 18
[2901] الزخرف 29–30
[2902] الرعد 31
[2903] الرعد 41
[2904] الانبياء 44–46

{وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} (الانبياء:47)

كقوله تعالى: [2905]{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ} وقوله تعالى: [2906]{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَالِدُونَ}، وقوله تعالى: [2907]{فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} إلى غير ذلك من الآيات. وما ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: من أن موازين يوم القيامة موازين قسط ـــ ذكره في «الأعراف» في قوله: [2908]{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ} وكقوله تعالى: [2909]{إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَـكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}، وقوله تعالى: [2910]{وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}

{وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ} (الانبياء:50)

كقوله تعالى في «الأنعام»: [2911]{وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}، وقوله فيها أيضاً: [2912]{وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ}. وقوله تعالى في «ص» [2913]{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُواْ ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُو الأَلْبَابِ}، إلى غير ذلك من الآيات.

{قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} (الانبياء:68)

وقد ذكر في سورة «العنكبوت» أنهم [2914]{قَالُواْ اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ} تفصيلا لقولهم هنا.

[2905] الاعراف 8–9
[2906] المئمنون 101–301
[2907] القارعة 6–9
[2908] الاعراف 8
[2909] يونس 44
[2910] الكهف 49
[2911] الانعام 155
[2912] الانعام 95
[2913] ص 29
[2914] العنكبوت 24

{قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ} (الانبياء:69)

وقد أشار تعالى إلى ذلك أيضاً في سورة «الصافات» في قوله: [2915]{فَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَـاهُم الأَسْفَلِينَ}.

{وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ} (الانبياء:71)

كقوله في «العنكبوت» [2916] {فَأمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّى}، وقوله في «الصافات:» [2917]{وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ}. الأرض المذكورة، التي هي الشام على قول الجمهور كقوله: [2918]{وَلِسُلَيْمَـانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا}، وقوله تعالى: [2919]{سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَىالْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ}.

{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلّاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ} (الانبياء:72)

كقوله تعالى: [2920]{وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـاهَا بِإِسْحَـاقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـاقَ يَعْقُوبَ}، وقوله: [2921] {وَبَشَّرْنَـاهُ بِإِسْحَـاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّـالِحِينَ} وقوله: [2922]{فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاًّ جَعَلْنَا نَبِيّاً}

{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ} (الانبياء:73)

وهذه الآية الكريمة تبين أن طلب إبراهيم الإمامة لذريته المذكور في سورة «البقرة» أجابه فيه بالنسبة إلى بعض ذريته دون بعضها، وذلك في قوله تعالى: [2923]{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَـاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَـاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّـالِمِينَ}

[2915] الصافات 98

[2916] العنكبوت 26

[2917] الصافات 99

[2918] الانبياء 17–18

[2919] الاسراء 1

[2920] هود 71

[2921] الصافات 212

[2922] مريم 49

[2923] البقرة 124

تفسيرالفاروق

{وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ} (الانبياء:74) {وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} (الانبياء:75)

كما قال تعالى [2924]{أَتَأْتُونَ الْفَـاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَـالَمِينَ} ،وقال [2925]{أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَـالَمِين وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ} . ومن الخبائث المذكورة ما قال تعالى: [2926]{أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ} . وتهديدهم لوط بالإخراج كما قال تعالى عنهم: [2927]{قَالُواْ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ}، وقال تعالى: [2928]{فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُواْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات

[2924] الاعراف 80

[2925] الشعراء 165- 166

[2926] العنكبوت 29

[2927] الشعراء 167

[2928] النمل 56

{وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} (الانبياء:76)

وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ}

وقد أوضح الله هذا النداء بقوله: [2929]{وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارا إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُواْ إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً} وقوله تعالى:[2930] {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَفَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْففَتَحْنَآ أَبْوَابَ السَّمَآءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ} .وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ} يعني إلا من سبق عليه القول من أهله بالهلاك مع الكفرة الهالكين، كما قال تعالى:[2931]{قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ}.

{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ} (الانبياء:79)

تسبيح الجبال والطير مع داود المذكور تسبيح حقيقي كما قال: [2932]{وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ}وقال تعالى:[2933] {وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ} ،وقال تعالى: [2934]{إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا}

{وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ} (الانبياء:80)

وقد أوضح هذا المعنى بقوله: [2935]{وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِى السَّرْدِ} . وتقدم إيضاحه في سورة «النحل» في الكلام على قوله تعالى {وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ}

{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ} (الانبياء:81)

[2929] نوح 26-27
[2930] القمر 9-11
[2931] هود 40
[2932] الاسراء 44
[2933] البقرة 74
[2934] الاحزاب 72
[2935] سبأ 10-11

Form 39 Front HL

كقوله تعالى: [2936]{وَلِسُلَيْمَـــانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ} وقوله: [2937]{فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ}

{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (الانبياء:83) {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ} (الانبياء:84)

كقوله تعالى في «ص» [2938]{واذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِيَ الشَّيْطَـــانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} وقوله: [2939]{ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَـــذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} وقوله، [2940]{ووَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لأُوْلِى الأَلْبَـــابِ}

{وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} (الانبياء:87)

كما قال تعالى: {فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ}. وقال تعالى في «الصافات»: [2941]{وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَـــاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَنَبَذْنَـــاهُ بِالْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ وَأَرْسَلْنَـــاهُ إِلَى مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَأمَنُواْ فَمَتَّعْنَـــاهُمْ إِلَى حِينٍ}

{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} (الانبياء:92) {وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ} (الانبياء:93)

والمراد بالأمة هنا: الشريعة والملة. ومن إطلاق الأمة بمعنى الشريعة والدين كما في هذه الآية: قوله تعالى عن الكفار: {إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ} أي على شريعة وملة. وما ذكره جل وعلا في هاتين الآيتين الكريمتين أوضحه في سورة {قد أفلح المؤمنون} وذلك في قوله تعالى: [2942]{ياأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ الطَّيِّبَـــاتِ وَاعْمَلُواْ صَـــالِحاً إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإِنَّ هَـــذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطَّعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ}

[2936] سبأ 12

[2937] ص 36

[2938] ص 41

[2939] ص 42

[2940] ص 43

[2941] الصافات 139-148

[2942] المؤمنون 51-54

{لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ} (الانبياء:100)

كقوله في «هود»: [2943] {فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا}

{ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ} (الانبياء:100)

كقوله في «الإسراء»: [2944] {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا} وقوله: [2945] {وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} وقوله: [2946] {وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لاَ يَنطِقُونَ}

Form 39 Back HL

{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} (الانبياء:101)

كقوله: [2947] {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}، وقوله: [2948] {هَلْ جَزَآءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ} ونحو ذلك من الآيات.

{لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} (الانبياء:103)

كقوله في «فصلت»: [2949] {ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِير نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَفِى الأٌّخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِى أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ} وقوله في «النحل»: [2950] {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَـئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

[2943] هود 106-107

[2944] الاسراء 97

[2945] طه 124

[2946] النمل 85

[2947] يونس 26

[2948] الرحمن 60

[2949] فصلت 30-32

[2950] النحل 32

{يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} (الانبياء:104)

كقوله: [2951]{وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعـاً قَبْضَـتُهُ يَوْمَ الْقِيَـامَةِ وَالسَّمَـاوَاتُ مَطْوِيَّـاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَـانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}

{وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} (الانبياء:105)

فيه للعلماء وجهان: الأول ـــ أنها أرض الجنة يورثها الله يوم القيامة عبادة الصالحين. وهذا القول يدل له قوله تعالى: [2952]{وَقَـالُواْ الْحَـمْدُ للهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَـامِلِينَ} الثاني ـــ أن المراد بالأرض: أرض العدو يورثها الله المؤمنين في الدنيا: ويدل لهذا قوله تعالى: [2953]{وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً}، وقوله: [2954]{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـارِقَ الأَرْضِ وَمَغَـارِبَهَا}، وقوله تعالى: [2955]{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُواْ بِاللهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَـاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} وقوله تعالى: [2956]{وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ} وقوله تعالى [2957]{فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّـالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّـكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ} إلى غير ذلك من الآيات.

{إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عَابِدِينَ} (الانبياء:106)

كقوله: [2958]{هَـذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَـابِ}

[2951] الزمر 67

[2952] الزمر 74

[2953] الاحزاب 27

[2954] الاعراف 137

[2955] الاعراف 128

[2956] النور 55

[2957] ابراهيم 13-14

[2958] ابراهيم 52

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} (الانبياء:107)

ويوضح ذلك قوله تعالى: [2959]{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ} كقوله تعالى: [2960]{أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَـابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذالِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} وقوله: [2961]{وَمَا كُنتَ تَرْجُوأَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَـابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ}

{فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ} (الانبياء:109)

كقوله: [2962]{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَآءٍ} وقوله تعالى: [2963]{وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِىءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ}

{إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ} (الانبياء:110)

كقوله تعالى: [2964]{وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُواْ بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} وقوله: [2965]{وَ اللّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} وقوله: {مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ}، وقوله تعالى: [2966]{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ}، وقوله:[2967] {وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} إلى غير ذلك من الآيات.

{قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} (الانبياء:112)

قوله: [2968]{رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَـاتِحِينَ} وقوله: {وَرَبُّنَا الرَّحْمانُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}

[2959] ابراهيم 28
[2960] العنكبوت 51
[2961] القصص 86
[2962] الانفال 58
[2963] يونس 41
[2964] الملك 13
[2965] المائدة 99
[2966] ق 16
[2967] طه 7
[2968] الاعراف 89

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الحج

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ} (الحج: 1) {يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ} (الحج: 2)

كقوله في أول سورة النساء [2969] {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} إلى قوله {وَاتَّقُواْ اللهَ الَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ} والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً.وما بينه هنا من شدة أهوال الساعة،كقوله تعالى [2970] {إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَاوَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الإِنسَـانُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّث أَخْبَارَهَا} وقوله تعالى [2971] {وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً} وقوله تعالى [2972] {إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً} وقوله تعالى [2973] {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَـارُهَا خَـاشِعَةٌ} وقوله تعالى [2974] {ثَقُلَتْ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ} (الحج: 3) {كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} (الحج: 4)

كقوله في هذه السورة الكريمة [2975] {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَـادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِعِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَـابٍ مُّنِيرٍ} [2976] {ثَانِىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ} وقوله تعالى في لقمان [2977] {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَـادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَـابٍ مُّنِيرٍ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَاوَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا أَوَلَوْ كَانَ [2978] الشَّيْطَـانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} ومن الآيات الدالة على مجادلة الكفار في الله بغير علم قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَـانُ أَنَّا خَلَقْنَـاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا

[2969] النساء 1
[2970] الزلزال 1–4
[2971] الحاقة 14
[2972] الواقعة 4–5
[2973] النازعات 6–9
[2974] الاعراف 187
[2975] الحج 8
[2976] الحج 9
[2977] لقمان 20–12
[2978] الحج 4

مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحىِ الْعِظَــامَ وَهِىَ رَمِيمٌ} وقوله في أول النحل [2979] {خَلَقَ الإِنْسَــانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} وقوله تعالى [2980] {وَيُجَــادِلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِالْبَــاطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقَّ} . وقوله تعالى: [2981] {الَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى اللهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ}وقوله تعالى: [2982] {ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَاضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاَ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}وقوله تعالى: [2983] {وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآءُوكَ يُجَــادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَــذَآ إِلاَّ أَسَــاطِيرُ الأَوَّلِينَ}والآيات بمثل ذلك كثيرة. وما ذكره الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة، من أنه قدر وقضى أن من تولى الشيطان، فإن الشيطان يضله ويهديه إلى عذاب السعير، بينه في غير هذا الموضع كقوله تعالى: [2984] {إِنَّ الشَّيْطَــانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَــابِ السَّعِيرِ}وقوله تعالى: [2985] {أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَــانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} وقوله تعالى عن نبيه وخليله إبراهيم: [2986] {ياأَبَتِ إِنِّى أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَــنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَــانِ وَلِيّاً} وقوله تعالى: [2987] {وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَــانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ وَالْمُنْكَرِ}إلى غير ذلك من الآيات.

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً} (الحج:5)

هذه الآية الكريمة والآيات التي بعدها، تدل على أن جدال الكفار المذكور في قوله[2988] {وَمِنَ النَّاسِمَن يُجَــادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ} يدخل فيه جدالهم في إنكار البعث،فقال جل وعلا {ياأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَالْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَــاكُمْ مِّن تُرَابٍ} وكقوله [2989] {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُ} وكقوله {وَيَقُولُ الإِنْسَــانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنْسَــانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً} وجاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله [2990] {وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} وقوله [2991] {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} وقوله تعالى [2992] {كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا

[2979] النحل 4

[2980] الكهف 56

[2981] الشورى 16

[2982] الزخرف 58

[2983] الانعام 25

[2984] فاطر 6

[2985] لقمان 21

[2986] مريم 45

[2987] النور 21

[2988] لقمان 20

[2989] يسين 78

[2990] الروم 27

[2991] يسين 79

[2992] الانبياء 104

فَـــاعِلِينَ} وقوله [2993]{فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} وقوله تعالى [2994]{أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} وقوله تعالى [2995]{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ} وقوله [2996]{أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى} إلى قوله [2997]{أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَـــادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى} والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً. ومن الآيات التي ذكر فيها ذلك من غير تفصيل لتلك الأطوار قوله تعالى [2998]{كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَـــاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ} وقوله تعالى [2999]{مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً} وقوله تعالى [3000]{خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ الأَنْعَـــامِ ثَمَـــانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـــاتِكُـــمْ خَلْقاً مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـــاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لاإِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ}. ومن الآيات التي أوضح فيها تلك الأطوار على التفصيل قوله تعالى [3001]{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَـــانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَـــاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَـــاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَـــامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَـــاهُ خَلْقاً ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَـــالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَـــامَةِ تُبْعَثُونَ} وقد ذكر تعالى تلك الأطوار مع حذف بعضها في قوله في سورة المؤمن [3002]{هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَـــبْلُغُواْ أَشُدَّكُـــمْ ثُمَّ لِتَكُـــونُواْ شُيُوخاً وَمِنكُمْ مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُواْ أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّـــكُمْ تَعْقِلُونَ} وقوله تعالى في الكهف [3003]{قَالَ لَهُ صَـــاحِبُهُ وَهُوَ يُحَـــاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً} وقوله تعالى [3004]{خَلَقَ الإِنْسَـــانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} وقوله: [3005]{أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَـــانُ أَنَّا خَلَقْنَـــاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} وقوله تعالى {إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَـــانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ} وقوله تعالى {خَلَقَ الإِنسَـــانَ مِنْ عَلَقٍ} وقوله تعالى {مِنْهَا خَلَقْنَـــاكُمْ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} (الحج:5)

كقوله تعالى [3006]{وَمِنْ ءَايَـــاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَـــاشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِى أَحْيَـــاهَا لَمُحْىِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} وقوله تعالى [3007]{وَيُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} وقوله تعالى [3008]{رِزْقًا لِّلْعِبَادِ

[2993] الاسراء 51
[2994] ق 15
[2995] الواقعة 62
[2996] القيامة 37–40
[2997] القيامة 37
[2998] المعارج 39
[2999] نوح 13–14
[3000] الزمر 6
[3001] المئومنون 12–16
[3002] غافر 67
[3003] الكهف 37
[3004] النحل 4
[3005] يسين 77
[3006] فصلت 39

وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ {وَيُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} وقوله تعالى [3009] {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} وقوله [3010] {فَانظُرْ إِلَى ءَاثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} وقوله تعالى [3011] {فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ} وقوله تعالى [3012] {فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}.

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُّنِيرٍ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ} (الحج:8)

كقوله تعالى [3013] {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا} وقوله تعالى [3014] {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ} وقوله تعالى [3015] {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَآ أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً} وقوله تعالى عن لقمان في وصيته لابنه [3016] {وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ} وقوله تعالى عن فرعون [3017] {وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ} وقوله تعالى [3018] {وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ} إلى غير ذلك من الآيات. وكقوله تعالى [3019] {إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ} وقوله في إبليس لما استكبر {فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ}

{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ} (الحج:10)

كقوله تعالى: [3020] {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَآءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ إِنَّ هَذَا مَا كُنتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ} وقوله تعالى: [3021] {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنتُمْ لاَتُبْصِرُونَ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُواْ أَوْ لاَ تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً.

[3007] الروم 19
[3008] ق 11
[3009] الاعراف 57
[3010] الروم 50
[3011] فاطر 9
[3012] الزخرف 11
[3013] لقمان 7
[3014] المنافقون 5
[3015] النساء 61
[3016] لقمان 18
[3017] الزاريات 38– 39
[3018] فصلت 51
[3019] الاعراف 13
[3020] الدخان 47–50
[3021] الطور 13–16

{ يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُ وَمَالاَ يَنفَعُهُ ذلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ } (الحج:12)

كقوله تعالى: [3022]{وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاءِ شُفَعَـاؤُنَا عِندَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَـاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} وقوله تعالى عن نبيه إبراهيم [3023]{قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَلِك يَفْعَلُونَ}

{مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ} (الحج:15)

حاصل هذا القول: أن الله يقول لحاسديه صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، ، الذين يتربصون به الدوائر، ويظنون أن ربه لن ينصره: موتوا بغيظكم، فهو ناصره لا محالة على رغم أنوفكم، ومما يشهد لهذا المعنى من القرآن: قوله تعالى. [3024]{وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ} والمعنى الاخر: أنه إن أعمل كل ما في وسعه، من كيد النّبي صلى الله عليه وسلم ليمنع عنه نصر الله، فإنه لا يقدر على ذلك، ولا يذهب كيده ما يغيظه من نصر الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ومما يشهد لهذا القول من القرآن قوله تعالى [3025]{أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُواْ فِى الأَسْبَابِ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّن الأَحْزَابِ}

{هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ} (الحج:19) {يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ} (الحج:20) {وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ} (الحج:21)

كقوله فيهم [3026]{سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ} وكقوله [3027]{لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} كقوله[3028] {ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} وكقوله تعالى [3029]{وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوجُوهَ} كقوله تعالى [3030]{وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ}.

[3022] يونس 18
[3023] الشعراء 72-74
[3024] ال عمران 119
[3025] ص 10-11
[3026] ابراهيم 50
[3027] الاعراف 41
[3028] الدخان 48-49
[3029] الكهف 29
[3030] محمد 15

{كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} (الحج:22)

كقوله في المائدة [3031]{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَـامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَـارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} وقوله في السجدة [3032]{كُلَّمَآ أَرَادُواْ أَن يَخْرُجُواُ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا} .

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} (الحج:25)

كقوله تعالى [3033]{وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللهِ} وقوله تعالى [3034]{هُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْىَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ} وقوله تعالى [3035]{وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ} إلى غير ذلك من الآيات .

[3031] المائده36-37

[3032] السجدة 20

[3033] البقرة 217

[3034] الفتح 25

[3035] المائدة 2

{وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} (الحج:26)

كقوله تعالى [3036]{وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحَـاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفَاً} وقوله [3037]{وَالَّذِينَ هَـاجَرُواْ فِى اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً} .

{وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} (الحج:27)

كقوله تعالى: [3038]{وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَـاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِىٌّ عَنِ الْعَـالَمِينَ} وقوله تعالى: [3039]{وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}وقوله تعالى: [3040]{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} .

{ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} (الحج:32)

هذه الآية الكريمة عام في جميع شعائر الله، ومن أنواع البيان التي تضمنها أن يذكر لفظ عام، ثم يصرح في بعض المواضع بدخول بعض أفراد ذلك العام فيه، فيكون ذلك الفرد قطعي الدخول لا يمكن إخراجه بمخصص، كقوله: [3041]{وَالْبُدْنَ جَعَلْنَـاهَا لَكُمْ مِّن شَعَـائِرِ اللهِ} وبقوله: [3042]{إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ} .

{وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} (الحج:34) {الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} (الحج:35)

كقوله تعالى: [3043]{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} وقوله تعالى: [3044]{وَبَشِّرِ الصَّـابِرِينَ الَّذِينَ إِذَآ أَصَـابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـآ إِلَيْهِ رَاجِعونَ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبْهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} ووجل القلوب عند ذكر الله أي خوفها من الله عند سماع ذكره لا ينافي ما ذكره جل وعلا، من أن المؤمنين تطمئن قلوبهم بذكر الله كما

[3036] العنكبوت 58
[3037] النحل 41
[3038] ال عمران 97
[3039] البقرة 196
[3040] البقرة 158
[3041] الحج 36
[3042] البقرة 158
[3043] الانفال 2
[3044] البقرة 155– 157

في قوله تعالى: [3045]{الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ الله أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} ووجه الجمع بين الثناء عليهم بالوجل مع الثناء عليهم بالطمأنينة بذكره، قوله تعالى: [3046]{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} وقوله تعالى: [3047]{تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ الله} .

{كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (الحج:36)

كقوله تعالى: [3048] {وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـافِعُ وَمَشَـارِبُ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ} وقوله تعالى قريباً: [3049]{كَذالِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ اللهَ عَلَىٰ مَاهَدَاكُمْ} .

{إِنَّ اللهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ امَنُو} (الحج:38)

كقوله تعالى: [3050]{وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ}

وقوله: [3051]{أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} وقوله تعالى: [3052]{قَـاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ} وقوله تعالى: [3053]{إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ} وقوله: [3054]{وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنينَ} وقوله: [3055] {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَـالِبُونَ} إلى غير ذلك من الآيات .

{إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} (الحج:38)

كقوله تعالىفي الخائن: [3056]{وَإِمَّا تَخَافَنَ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَآءٍ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الخَـائِنِينَ} وقال في الكافر: [3057]{قُلْ أَطِيعُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْكَـافِرِينَ} .

[3045] الرعد 28
[3046] المؤمنون 60
[3047] الزمر 23
[3048] يسين 71-73
[3049] الحج 37
[3050] الطلاق 3
[3051] الزمر 36
[3052] التوبة 14-15
[3053] غافر 51
[3054] الروم 47
[3055] الصافات 32
[3056] الانفال 58
[3057] ال عمران 32

{أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} (الحج:39)

كقوله تعالى: [3058]{فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} وقوله تعالى: [3059]{وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً} وقوله: [3060]{تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج:40)

كقوله تعالى: [3061]{ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِن تَنصُرُواْ اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْساً لَّهُمْ وَأَضَل أَعْمَالَهُمْ} وقوله تعالى: [3062]{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} وقوله تعالى: [3063]{كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِي} وقوله: [3064]{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى الأَرْضِ} إلى غير ذلك من الآيات .

{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ)} (الحج:42) {وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ} (الحج:43) {وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} (الحج:44)

كما قال تعالى: [3065]{وَكُـلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ} وقوله تعالى: [3066]{مَّا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ} وقوله: [3067]{وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ} إلى غير ذلك من الآيات. وذكر تعالى في هذه الآيات سبع أمم كل واحدة منهم كذبت رسولها. الأولى: قوم نوح في قوله: {فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ} كقوله: [3068]{كَذَّبَتْ قَوْمُ

[3058] التوبة 5
[3059] التوبة 36
[3060] الفتح 16
[3061] محمد 7-8
[3062] الصافات 171-173
[3063] المجادلة 21
[3064] النور 55
[3065] هود 120
[3066] فصلت 43
[3067] فاطر 4
[3068] الشعراء 105

نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} وقوله: [3069] {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ} إلى غير ذلك من الآيات. الثانية: عاد، كقوله تعالى: [3070] {كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ} وقوله: [3071] {قَالُواْ ياهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ } الثالثة: ثمود كقوله تعالى: [3072] {كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ} وقوله: [3073] {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا} إلى غير ذلك من الآيات. الرابعة: قوم إبراهيم، كقوله تعالى: [3074] {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللهُ مِنَ النَّارِ} وقوله: [3075] {قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَانصُرُواْ ءَالِهَتَكُمْ} وكقوله: [3076] {أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي ياإِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِى مَلِيّاً} إلى غير ذلك من الآيات. الخامسة: قوم لوط كقوله: [3077] {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ} وقوله: [3078] {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُواْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ} إلى غير ذلك من الآيات. السادسة: أصحاب مدين، كقوله: [3079] {أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ} وقوله: [3080] {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ ياقَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ} إلى قوله: [3081] {قَالُواْ ياشُعَيْبُ أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءابَاؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِى أَمْوَالِنَا مَا نَشَؤُا إِنَّكَ لأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} وقوله: [3082] {قَالُواْ ياشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَـٰكَ} . إلى غير ذلك من الآيات. السابعة: من كذبوا موسى وهم فرعون وقومه، كقوله: [3083] {لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِى لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} وقوله: [3084] {أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَـٰفِرِينَ} وقوله: [3085] {وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ} (الحج:45)

[3069] القمر 9

[3070] الشعراء 123

[3071] هود 53

[3072] الشعراء 141

[3073] الشمس 14

[3074] العنكبوت 24

[3075] الانبياء 68

[3076] مريم 46

[3077] الشعراء 160

[3078] النمل 56

[3079] هود 95

[3080] هود 84

[3081] هود 87

[3082] هود 91

[3083] الشعراء 29

[3084] الشعراء 18-19

[3085] الاعراف 132

كقوله تعالى: [3086] {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً} وقوله تعالى: [3087] {وَكَذَالِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}.

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} (الحج:46)

كقوله تعالى: [3088] {أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ} وكقوله في قوم لوط: [3089] {وَإِنَّكُمْ لَّتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ وَبِالَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} وكقوله فيهم: [3090] {وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ} وكقوله في قوم لوط وقوم شعيب: [3091] {أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَام مُّبِينٍ}.

{وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ} (الحج:47)

كقوله تعالى: [3092] {وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ} وقوله: **[3093]** {يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} وقوله: [3094] {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلاَ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ الْعَذَابُ}.

{وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ} (الحج:47)

كقوله: [3095] {يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْم كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} وذكر في سورة المعارج أن مقدار اليوم خمسون ألف سنة وذلك في قوله: [3096] {تَعْرُجُ الْمَلَـئِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ}.فيوم القيامة يطول على الكفار ويقصر على المؤمنين، ويشير لهذا قوله تعالى [3097] {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَـنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً} وكما دل عليه قوله تعالى: [3098] {مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَـذَا يَوْمٌ عَسِر}.

[3086] **الطلاق 8-10**
[3087] **هود 102**
[3088] **محمد 10**
[3089] **الصافات 137-138**
[3090] **الحجر 76**
[3091] **الحجر 78-79**
[3092] **ص 16**
[3093] **العنكبوب 53**
[3094] **العنكبوت 53**
[3095] **السجدة 5**
[3096] **المعارج 4**
[3097] **الفرقان 26**
[3098] **القمر 8**

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} (الحج:49)

كقوله تعالى [3099]{فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَ غُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} وقوله [3100]{إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ} وقوله [3101]{إِنْ أَنا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} وقوله [3102]{فَمَآ أَرْسَلْنَـاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَ غُ} وقوله[3103] {إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} وقوله [3104]{تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَـالَمِينَ نَذِيراً} والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً .

{فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} (الحج:50) {وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} (الحج:51)

كقوله تعالى [3105]{نَبِّىءْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ} وقوله [3106]{غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ} إلى غير ذلك من الآيات .

{الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} (الحج:56)

كقوله [3107]{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} وقوله [3108]{الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَـنِ} وقوله [3109]{لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} وقوله تعالى [3110]{وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّوَرِ} إلى غير ذلك من الآيات.

[3099] الرعد 40
[3100] الرعد 7
[3101] الشعراء 115
[3102] الشورى 48
[3103] سبأ 46
[3104] الفرقان 1
[3105] الحجر 49-50
[3106] غافر 3
[3107] الفاتحة 4
[3108] الفرقان 26
[3109] غافر 16
[3110] الانعام 73

{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقاً حَسَناً وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (الحج:58)

كقوله تعالى [3111]{وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} وقوله [3112]{وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلىَ اللّهِ}

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (الحج:61) {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} (الحج:62)

كقوله في سورة لقمان، [3113]{مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} وقوله: [3114]{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ}.

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} (الحج:63)

كقوله تعالى [3115]{وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ}وقوله: [3116]{إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى} وكقوله: [3117]{فَانظُرْ إِلَى ءَاثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ} وقوله: [3118]{إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} وقوله: [3119]{وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِّزْقاً لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً} كقوله: [3120]{وَيُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} وقوله: [3121]{وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً كَذالِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} والآيات بمثل هذا كثيرة .

[3111] ال عمران 169

[3112] النساء 100

[3113] لقمان 28

[3114] لقمان 29– 30

[3115] فصلت 39

[3116] فصلت 39

[3117] الروم 50

[3118] الروم 50

[3119] ق 9– 11

[3120] الروم 19

[3121] الاعراف 57

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ} (الحج:65)

كقوله: [3122]{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى السَّمَـاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ} وكقوله: [3123]{وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ}

{وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (الحج:65)

كما قال: [3124]{إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِّنَ السَّمَآءِ} كقوله تعالى: [3125]{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ} وكقوله: [3126]{وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَـافِلِينَ.

{وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ} (الحج:66)

بقوله: [3127]{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَـاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُم يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} وقوله تعالى: [3128]{قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ} وقوله في الجاثية: [3129]{قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَـامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ.

{لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكاً هُمْ نَاسِكُوهُ فَلا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ} (الحج:67)

قوله تعالى: [3130]{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُواْ اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَـامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُواْ}.

[3122] الجاثية 13

[3123] يسين 41–42

[3124] سبأ 9

[3125] فاطر 41

[3126] المؤمنون 17

[3127] البقرة 28

[3128] غافر 11

[3129] الجاثية 26

[3130] الحج 34

{ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدىً مُسْتَقِيمٍ} (الحج:67)

كقوله [3131]{وَلاَ يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَـاتِ الله بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} وقوله تعالى [3132]{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ} وقوله تعالى [3133]{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} قوله تعالى [3134]{وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} وقوله [3135]{وَإِنَّكَ لَتَهْدِىإِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ .

{وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ} (الحج:68)

قوله تعالى [3136]{وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ } وكقوله [3137]{هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ} وقوله [3138]{فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُورَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} قوله [3139]{وَجَـادِلْهُم بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ} وقوله[3140] {وَلاَ تُجَـادِلُواْ أَهْلَ الْكِتَـابِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ } .

{مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحج:74)

كقوله في الأنعام [3141]{وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ} وكقوله في الزمر [3142]{وَمَا قَدَرُواْ اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعـاً قَبْضَـتُهُ يَوْمَ الْقِيَـامَةِ وَالسَّمَـاوَاتُ مَطْوِيَّـاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَـانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } .

{اللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (الحج:75)

كقوله في رسل الملائكة [3143]{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} وقوله في جبريل [3144]{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} قوله تعالى: [3145]{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ

[3131] القصص 87
[3132] الشورى 15
[3133] النحل 125
[3134] المئومنون 73
[3135] الشورى 52
[3136] يونس 41
[3137] الاحقاف 8
[3138] الانعام 147
[3139] النحل 125
[3140] العنكبوت 46
[3141] الانعام 91
[3142] الزمر 67
[3143] فاطر 1
[3144] التكوير 19

وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ} وكقوله في رسل بني آدم [3146]{اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} وقوله [3147]{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ} وقوله [3148]{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً

{وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ} (الحج:78)

كقوله [3149]{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}.

{ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} (الحج:78)

كقوله تعالى [3150]{يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} وقوله [3151]{يُرِيدُ اللهُ أَن يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً}.

{ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا} (الحج:78)

كقوله تعالى [3152]{قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}.

{ لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} (الحج:78)

قوله [3153]{وَكَذَالِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}

[3145] الانعام 61
[3146] الانعام 124
[3147] البقرة 253
[3148] النحل 36
[3149] ال عمران 110
[3150] البقرة 185
[3151] النساء 28
[3152] الانعام 161
[3153] البقرة 143

تفسير الفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المؤمنون

{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} (المؤمنون:1)

كقوله[3154] {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللهِ فَضْلاً كَبِيراً} وقوله في الأحزاب [3155] {وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ} إلى قوله [3156] {أَعَدَّ اللهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}. وبين أن من لم يتصف بهذا الخشوع تصعب عليه الصلاة في قوله [3157] {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ}.

{وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ} (المؤمنون:3)

كقوله[3158] {وَإِذَا مَرُّواْ بِاللَّغْوِ مَرُّواْ كِراماً} وقوله تعالى [3159] {وَإِذَا سَمِعُواْ اللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ}.

{وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ} (المؤمنون:4)

المراد بالزكاة هنا: زكاة النفس أي تطهيرها من الشرك، والمعاصي وعلى هذا فالمراد بالزكاة كالمراد بها في قوله[3160] {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا} وقوله [3161] {قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى} وقوله [3162] {وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً} وقوله [3163] {خَيْراً مِّنْهُ زَكَـوةً} وقوله [3164] {وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَوةَ}. ويستدل لهذا القول بثلاث قرائن. الأولى: أن هذه السورة مكية، بلا خلاف، والزكاة إنما فرضت بالمدينة كما هو معلوم. القرينة الثانية: هي أن المعروف في زكاة الأموال: أن يعبر عن أدائها بالإيتاء كقوله تعالى[3165] {وَآتُواْ الزَّكَوةَ} وقوله [3166] {وَإِيتَآءَ الزَّكَـوةِ} ونحو ذلك. وهذه الزكاة المذكورة هنا، لم يعبر عنها بالإيتاء، بل قال تعالى فيها {وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَـوةِ فَـاعِلُونَ}. الثالثة: أن زكاة

[3154] الاحزاب 47
[3155] الاحزاب 35
[3156] الاحزاب 35
[3157] البقرة 45
[3158] الفرقان 72
[3159] القصص 55
[3160] الشمس 9-10
[3161] الاعلى 14
[3162] النور 21
[3163] الكهف 81
[3164] فصلت 6-7
[3165] البقرة 43
[3166] الانبياء 73

الأموال تكون في القرآن عادة مقرونة بالصلاة، من غير فصل بينهما كقوله [3167]{وَأَقِيمُواْ الصَّلوةَ وَآتُواْ الزَّكَوةَ}[3168] وقوله {وَأَقَامُواْ الصَّلَوةَ وَآتَوُاْ الزَّكَوةَ} وقوله[3169] {وَإِقَامَ الصَّلوة وَإِيتَآءَ الزَّكَـوةِ} وهذه الزكاة المذكورة هنا فصل بين ذكرها، وبين ذكر الصلاة بجملة {وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُّعْرِضُونَ}.

{فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} (المؤمنون:7)

بين معنى العادين في هذه الآية قوله تعالى في قوم لوط:[3170] {أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَـالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ}.

{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} (المؤمنون:8)

كقوله تعالى {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الاَمَـانَـاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} وقوله تعالى: [3171]{يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَـانَـاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} وقوله تعالى في سأل سائل [3172]{وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَـانَـاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} وقوله في العهد [3173]{وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً} وقوله تعالى: [3174]{يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ}. وقوله: [3175]{وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـاهَدَ عَلَيْهِ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} وقوله تعالى: [3176]{وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ الله إِذَا عَـاهَدتُّمْ}

{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} (المؤمنون:5)

قوله تعالى: [3177]{حَـافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَوةِ الْوُسْطَى}. وقال تعالى في سورة المعارج [3178]{وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ} وقال فيها أيضاً [3179]{إِلاَّ الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ دَآئِمُونَ}. وتوعد من لم يحافظ عليها في قوله

[3167] البقرة 43
[3168] البقرة 277
[3169] الانبياء 73
[3170] الشعراء 165– 166
[3171] الانفال 27
[3172] المعارج 32
[3173] الاسراء 34
[3174] المائدة 1
[3175] الفتح 10
[3176] النحل 91
[3177] البقرة 238
[3178] المعارج 34
[3179] المعارج 22–23

[3180]{فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ الصَّلَــوةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً} . وقال تعالى في ذم المنافقين [3181]{وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَوةِ قَامُواْ كُسَالَىٰيُرَآءُونَ النَّاسَ} .

{أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} (المؤمنون:10) {الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (المؤمنون:11)

كقوله تعالى: [3182]{تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً} وقوله: [3183]{وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} وقوله تعالى: [3184]{وَقَـالُواْ الْحَـمْدُ لله الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ}وقوله: [3185]{تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً} .

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ} (المؤمنون:12) {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (المؤمنون:14)

كما أوضح تعالى هذا المعنى في سورة السجدة في قوله تعالى [3186]{ذلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَــادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَــانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَــارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَــارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ}وأشار إلى ذلك بقوله تعالى: {ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون}.وما ذكره هنا من أطوار خلقه الإنسان، جاء في قوله: [3187]{فَلْيَنظُرِ الإِنسَــانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ}. وقد أشار في آيات كثيرة، إلى كمال قدرته بنقله الإنسان في خلقه من طور إلى طور، كما أوضحه هنا وكما في قوله تعالى: [3188]{مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لله وَقَاراً وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً} قوله جل وعلا: [3189] {يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَــاتِكُــمْ خَلْقاً مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَــاتٍ ثَــلاثٍ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَــٰهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} وقال تعالى: [3190] {هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ} وقال: [3191]{ياأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ

[3180] مريم 59
[3181] النساء 142
[3182] مريم 63
[3183] الاعراف 43
[3184] الزمر 74
[3185] مريم 63
[3186] السجدة 6-9
[3187] الطارق 5-6
[3188] نوح 13-14
[3189] الزمر 6
[3190] ال عمران 6

فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـــاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ}وقال في سورة المؤمن [3192]{هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَــبْلُغُواْ أَشُدَّكُـــمْ ثُمَّ لِتَكُـــونُواْ شُيُوخاً} وقال تعالى: [3193]{أَيَحْسَبُ الإِنسَـــانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَق فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَـــادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى} والآيات بمثل هذا كثيرة

{ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ} (المؤمنون:15) {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ} (المؤمنون:16)

ذكر الجميع في قوله تعالى: [3194]{كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَـــاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} وقوله: [3195] {قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ}

[3191] الحج 5

[3192] غافر 67

[3193] القيامة 36-40

[3194] البقرة 28

[3195] غافر 11

{وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ} (المؤمنون:18)

كونه: أنزله بقدر أشار إليها في قوله: [3196]{وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ}. أما إسكانه الماء المنزل من السماء في الأرض بينها في قوله جل وعلا [3197] {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِى الأَرْضِ} وقوله: [3198]{فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَآأَنْتُمْ لَهُ بِخَـازِنِينَ}. أما قدرته على إذهابه أشار لها في قوله تعالى: [3199]{قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَّعِينٍ} وقوله تعالى: [3200]{لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـاهُ أُجَاجاً فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ}. وقد بين كيفية إنزاله الماء من السماء في قوله تعالى [3201]{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِى سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ} وبين أن السحابة تمتلىء من الماء في قوله تعالى: [3202]{حَتَّى إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَـاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ} وقوله تعالى: [3203]{وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَالَ}

{وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ} (المؤمنون:20)

كما أشار له تعالى بقوله [3204]{يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ}

{وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ} (المؤمنون:22)

كقوله تعالى [3205]{اللهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَـامَ لِتَرْكَـبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـافِعُ وَلِتَـبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ}وقوله في الأنعام [3206]{أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـاماً فَهُمْ لَهَا مَـالِكُونَ وَذَلَّلْنَـاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ}وقوله فيها [3207]{وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىبَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَـالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} وقوله في الفلك والأنعام معاً [3208]{وَالَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَـامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُواْ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـذَا وَمَاكُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ

[3196] الحجر 21
[3197] الزمر 21
[3198] الحجر 22
[3199] الملك 30
[3200] الواقعة 70
[3201] النور 43
[3202] الاعرف 57
[3203] الرعد 12
[3204] النور 35
[3205] غافر 79–80
[3206] يسين 71–72
[3207] النحل 7
[3208] الزخرف 12–14

وَإِنَّآ إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ} وقوله في السفن [3209]{وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} وقوله: [3210]{سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ} وقوله تعالى: [3211]{وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ} والآيات بمثل هذا كثيرة

{ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ} (المؤمنون:44)

كقوله تعالى [3212]{وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} وقوله تعالى: [3213]{وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّآءُ وَالسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً} والآيات بمثل هذا كثيرة جداً.

{فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ} (المؤمنون:54)

كقوله [3214]{ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} وقوله تعالى: [3215]{فَمَهِّلِ الْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً} وقوله: [3216]{قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ} وقوله: [3217]{قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ النَّارِ} قوله تعالى: [3218]{ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ}

{وَلا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} (المؤمنون:62)

قوله تعالى **[3219]**{هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}قوله: **[3220]**{وَوُضِعَ الْكِتَـٰبُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ} قوله: **[3221]**{وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ كِتَابًا يَلْقَـٰهُ مَنْشُوراً}

[3209] يسين 41-42
[3210] الحج 65
[3211] فاطر 12
[3212] سبأ 34
[3213] الاعراف 94- 95
[3214] الحجر 3
[3215] الطارق 17
[3216] ابراهيم 30
[3217] الزمر 8
[3218] الحجر 3
[3219] الجاثية 29
[3220] الكهف 49
[3221] الاسراء 13

{حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ} (المؤمنون:64) {لا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لا تُنْصَرُونَ} (المؤمنون:65)

كقوله: [3222]{وَذَرْنِى وَالْمُكَذِّبِينَ أُوْلِى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالاً وَجَحِيماً وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً}كقوله تعالى: [3223]{وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ [3224] وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ}وكقوله تعالى: [3225] {وَنَادَوْاْ يامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ}،وكقوله تعالى: [3226]{وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً لاَّ تَدْعُواْ الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُواْ ثُبُوراً كَثِيراً} وقوله: [3227]{وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوجُوهَ بِئْسَ الشَّرَاب وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا}

.{قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ} (المؤمنون:66)كقوله تعالى [3228]{قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِىَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لله الْعَلِىِّ الْكَبِيرِ}قوله تعالى: [3229]{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا} .

[3222] المزمل 11–13

[3223] فاطر 36–37

[3224] فاطر 37

[3225] الزخرف 77

[3226] الفرقان 13–14

[3227] الكهف 29

[3228] غافر 11–12

[3229] الحج 72

{أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ} (المؤمنون:68)

كقوله تعالى: [3230]{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً} وقوله: [3231]{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ}.

{أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ} (المؤمنون:69)

كقوله تعالى: [3232]{وَمَاصَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ} وقوله تعالى: [3233]{فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلاَ مَجْنُونٍ}.

{وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ} (المؤمنون:71)

قال بعضهم: الحق: هو الله تعالى، ومعلوم أن الحق من أسمائه الحسنى، كما في قوله تعالى: [3234]{وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} وقوله: [3235]{ذلِكَ بِأَن اللهَ هُوَ الْحَقُّ}. ومن الآيات الدالة على أن أهواءهم لا تصلح، لأن تكون متبعة قوله تعالى: [3236]{وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ هَـذَا الْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} وقد رد الله عليهم بقوله: [3237]{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ} وقال تعالى: [3238]{قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّى إِذًا لأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإِنْسَانُ قَتُورًا} وقال تعالى: [3239]{أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً}

[3230] النساء 82
[3231] محمد 24
[3232] التكوير 22
[3233] الطور 29
[3234] النور 25
[3235] الحج 62
[3236] الزخرف 31
[3237] الزخرف 32
[3238] الاسراء 100
[3239] النساء 53

قال بعضهم: الذكر هو ما كانوا يتمنونه في قوله: [3240]{لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْراً مِّنَ الأَوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ الله الْمُخْلَصِينَ} وعليه، فالآية كقوله تعالى: [3241]{وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ} وكقوله: [3242]{أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّآ أَهْدَى مِنْهُمْ} والآيات بمثل هذا كثيرة .

{وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ)} (المؤمنون:74)

المراد بالصراط، قوله قبله: {وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} كقوله تعالى في سورة الروم: [3243]{وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِأَيَـاتِنَا وَلِقَآءِ الآخِرَةِ فَأُوْلَـئِكَ فِى الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} .

{وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ} (المؤمنون:76)

كقوله تعالى في سورة الأنعام: [3244]{وَلَقَدْ أَرْسَلنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـاهُمْ بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلا إِذْ جَآءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَـانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} وقوله في سورة الأعراف: [3245]{وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلاَ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ وَالضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّآءُ وَالسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَـاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات .

{وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (المؤمنون:79)

كقوله في أول هذه السورة [3246]{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَـانَ مِن سُلَـالَةٍ مِّن طِينٍ} إلى قوله: [3247]{ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَـامَةِ تُبْعَثُونَ} وقوله تعالى: [3248] {قُلْ هُوَ الَّذِى أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَـارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَيَقُولُونَ مَتَى هَـذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـادِقِينَ} والآيات في هذا المعنى كثيرة .

{وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ} (المؤمنون:80)

[3240] الصافات 168–169

[3241] فاطر 42

[3242] الانعام 157

[3243] الروم 16

[3244] الانعام 42–43

[3245] الاعراف 94–95

[3246] المئومنون 12

[3247] المئومنون 16

[3248] الملك 23– 25

كقوله تعالى [3249]{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَـامَةِ مَنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَـامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفلاَ تُبْصِرُونَ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} كقوله تعالى: [3250]{وَمِنْ ءَايَـاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ} وقوله: [3251]{وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ} وقوله [3252]{يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ} وقوله [3253]{وَلاَ لَّيْلُ سَابِقُ لنَّهَارِ} وقوله تعالى: [3254]{وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} وقوله تعالى: [3255]{إِنَّ فِى اخْتِلاَفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِى السَّمَٰوَات وَالأٌّرْضِ لآيَـاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ} والآيات بمثل هذا كثيرة جداً .

{بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ} (المؤمنون:81) {قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} (المؤمنون:82)

والآيات الدالة على إنكارهم للبعث كثيرة كقوله تعالى عنهم: [3256]{مَن يُحىِ الْعِظَـامَ وَهِىَ رَمِيمٌ} وكقوله عنهم: [3257]{وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} [3258]{وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ}وقوله عنهم: [3259]{أَءِذَا كُنَّا عِظَـاماً نَّخِرَةً قَالُواْ تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَـاسِرَةٌ} . والآيات بمثل هذا في إنكارهم البعث كثيرة .

{لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} (المؤمنون:83)

ذكر مثله في سورة النمل في قوله: [3260]{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَءِذَا كُنَّا تُرَاباً وَءَابَآؤُنَآ أَءِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا هَـذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـذَآ إِ ّلا أَسَـاطِيرُ الأٌّوَّلِينَ} .

{قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ}(المؤمنون:93) {رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (المؤمنون:94)

[3249] القصص 71– 73
[3250] فصلت 37
[3251] يسين 37
[3252] الاعراف 54
[3253] يسين 40
[3254] ابراهيم 33
[3255] يونس 6
[3256] يسين 78
[3257] الانعام 29
[3258] الدخان 35
[3259] النازعات 11–12
[3260] النمل 67–68

قد بين تعالى في مواضع أخر: أنه لا ينزل بهم العذاب، وهو فيهم وذلك في قوله تعالى: [3261]{وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ}، وبين هنا أنه قادر على أنه يره العذاب، الذي وعدهم به في قوله: [3262]{وَإِنَّا عَلَى أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ} وبين في سورة الزخرف، أنه إن ذهب به قبل تعذيبهم، فإنه معذب لهم ومنتقم منهم لا محالة، وأنه إن عذبهم، وهو حاضر فهو مقتدر عليهم. وذلك في قوله تعالى: {فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ}.

{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ} (المؤمنون:99) {لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} (المؤمنون:100)

كقوله تعالى: [3263]{وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ وَلَن يُؤَخِّرَ اللّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا}. وقوله تعالى: [3264]{وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُمْ مِّن قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ} إلى غير ذلك من الآيات، وقوله تعالى: [3265]{يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} وقوله تعالى: [3266]{وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ} وقوله تعالى: [3267]{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} وقوله تعالى: [3268]{وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ} وقوله تعالى: [3269]{قَالُواْ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ} وقوله تعالى: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ} وقوله تعالى: [3270]{وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُواْ فَلاَ فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالُواْ آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِ مِن قَبْلُ}.

[3261] الانفال 33
[3262] المئومنون 95
[3263] المنافقون 10-11
[3264] ابراهيم 44
[3265] الاعراف 53
[3266] السجدة 12
[3267] الانعام 27-28
[3268] الشورى 44
[3269] غافر 11
[3270] سبأ 51-53

{تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ} (المؤمنون:104)

كقوله تعالى: [3271]{يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ}. وقوله تعالى: [3272]{وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ}. وقوله تعالى: [3273]{لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَن ظُهُورِهِمْ}. وقوله تعالى: [3274]{سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ}ز. وقوله تعالى: [3275]{أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَـامَةِ} وقوله: [3276]{يَشْوِى الْوجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ} إلى غير ذلك من الآيات .

{رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ} (المؤمنون:107) {قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ} (المؤمنون:108)

كقوله تعالى [3277]{يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَـارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} وقوله تعالى: [3278]{كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} وقوله تعالى: [3279]{كُلَّمَآ أَرَادُواْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا}وقوله تعالى: [3280]{كُلَّمَآ أَرَادُواْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا}إلى غير ذلك من الآيات. وقد جاء في القرآن أجوبة متعددة لطلب أهل النار فهنا قالوا: {رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا} فأجيبوا {اخْسَئُواْ فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ} وفي السجدة [3281]{رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـالِحاً} فأجيبوا [3282]{وَلَـكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ}،وفي سورة المؤمن [3283]{قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىخُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ} فأجيبوا [3284]{ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِىَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُواْ فَالْحُكْمُ للهِ الْعَلِىِّ الْكَبِيرِ} وفي الزخرف [3285]{وَنَادَوْاْ يامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} فأجيبوا ـــ {إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ} وفي سورة إبراهيم [3286]{فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىأَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ} فيجابون {أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّن

[3271] الاحزاب 66
[3272] النمل 90
[3273] الانبياء 39
[3274] ابراهيم 50
[3275] الزمر 24
[3276] 29
[3277] المائدة 37
[3278] البقرة 167
[3279] الحج 22
[3280] السجدة 20
[3281] السجدة 12
[3282] السجدة 13
[3283] غافر 11
[3284] غافر 12
[3285] الزخرف 77
[3286] ابراهيم 44

قَبْلُ مَا لَكُمْ مِّن زَوَالٍ} وفي سورة فاطر [3287]{وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ} فيجابون [3288]{أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّـالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ} إلى غير ذلك من الآيات الدالة على مثل هذه الأجوبة.

{إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} (المؤمنون:109)

{ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيّاً حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ} (المؤمنون:110)

كقوله تعالى: [3289] {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ} وكقوله تعالى: [3290] {وَكَذَالِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَـؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَآ} وكقوله تعالى: [3291]{أَهَـؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ} وقوله تعالى عنهم: [3292]{لَوْ كَانَ خَيْراً مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ}

{إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ} (المؤمنون:111)

كقوله تعالى:[3293] {أَهَـؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لاَ يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ} وقوله: [3294]{زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَـامَةِ} إلى غير ذلك من الآيات

{قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ} (المؤمنون:112)

{قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فاسْأَلِ الْعَادِّينَ} (المؤمنون:113)

دلت آيات أخر على أنهم أجابوا بغير هذا الجواب كقوله تعالى: [3295]{يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً} وكقوله تعالى: [3296]{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ}وقوله:[3297]{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَـاهَا}وقوله: [3298]{كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ} وقوله تعالى: [3299] {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَـاسِقُونَ} . قوله تعالى: [3300]{يَتَخَـافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْراً

[3287] فاطر 37
[3288] فاطر 37
[3289] المطففين 29-30
[3290] الانعام 53
[3291] الاعراف 49
[3292] الاحقاف 11
[3293] الاعراف 49
[3294] البقرة 212

نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِ ّ َلا يَوْماً}. وقد صدقهم الله جل وعلا في قلة لبثهم في الدنيا بقوله: [3301]{قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِ ّ َلا قَلِيلاً لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}

{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ} (المؤمنون:115)

{فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} (المؤمنون:116)

كقوله تعالى: [3302]{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـــاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النَّارِ} وقوله تعالى: [3303]{وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَات وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ مَا خَلَقْنَـــاهُمَآ إِ ّ َلا بِالْحَقِّ} وقوله تعالى: [3304]{أَيَحْسَبُ الإِنسَـــانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى} وقوله: [3305]{أَيَحْسَبُ الإِنسَـــانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى} قوله تعالى: [3306]{وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَات وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ}.

{وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} (المؤمنون:117)

كقوله[3307] {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَـــاناً} كقوله: [3308]{وَلاَ تَجْعَلُواْ مَعَ اللهِ إِلهاً ءَاخَرَ إِنِّى لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ} وقوله: [3309] {وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَـــهاً ءَاخَرَ لاَ إِلَـــٰهَ إِ ّ َلا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِ ّ َلا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} وقوله تعالى: [3310]{لاَّ تَجْعَل مَعَ اللهِ إِلَـــهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً} والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً

[3295] طه 103
[3296] الروم 55
[3297] النازعات 46
[3298] يونس 45
[3299] الاحقاف 35
[3300] طه 103- 104
[3301] المؤمنون 110
[3302] ص 27
[3303] الدخان 38–39
[3304] القيامة 36–39
[3305] القيامة 36
[3306] الدخان 38
[3307] الحج 71
[3308] الذاريات 51
[3309] القصص 88
[3310] الاسراء 22

تفسير الفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النور

{سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (النور:1) {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (النور:2)

{وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (النور:22)

كقوله تعالى:[3311] {وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً}، وقد قال تعالى في آية أخرى [3312]{والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير}.ومن آيات الرجاء قوله تعالى: [3313]{قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً}. وقوله تعالى:[3314] {الله لطيف بعباده}.

{يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النور:24)

وبين في غير هذا الموضع أن بعض أجزاء الكافر تشهد عليه يوم القيامة غير اللسان كقوله تعالى: [3315]{اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون} وقوله تعالى: {حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء}إلى قوله تعالى: [3316]{وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين}.

{يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} (النور:25)

[3311] الاحزاب 47

[3312] الشورى 22

[3313] الزمر 53

[3314] الشورى 19

[3315] يسين 65

[3316] فصلت 20– 23

المراد بالدين هنا الجزاء، كقوله تعالى: [3317]{ثم يجزاه الجزاء الأوفى} وقوله تعالى: {ملك يوم الدين} وقوله تعالى: [3318]{وإنما توفون أجوركم يوم القيامة}وقوله. [3319]{وتوفى كل نفس ما كسبت} إلى غير ذلك من الآيات. كقوله تعالى:[3320] {إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها}وقوله: [3321]{إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون}وقوله: [3322]{ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين}إلى غير ذلك من الآيات .

{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} (النور:30) {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} (النور:31)

كقوله تعالىفي سورة «المؤمنون» و «سأل سائل»، [3323] {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} وقوله تعالى: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ}إلى قوله تعالى: [3324] {وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} كقوله تعالى: [3325]{وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً} وقوله تعالى: [3326]{وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ} إلى غير ذلك من الآيات. وأوضح لزوم حفظ الفرج عن اللّواط، وبيّن أنه عدوان في آيات متعدّدة في قصّة قوم لوط؛ كقوله: [3327] {أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ} إلى غير ذلك من الآيات

{وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ

[3317] النجم 41

[3318] ال عمران 185

[3319] ال عمران 161

[3320] النساء 40

[3321] يونس 44

[3322] الانبياء 47

[3323] المومنون 5–6

[3324] الاحزاب 35

[3325] الاسراء 32

[3326] الفرقان 68–69–70

[3327] الشعراء 165–166

أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْأِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ} (النور: 31)

لفظ الزينة يكثر تكرّره في القرءان العظيم مرادًا به الزينة الخارجة عن أصل المزين بها، ولا يراد بها بعض أجزاء ذلك الشيء المزيّن بها؛ كقوله تعالى: [3328]{يَا بَنِي ءآدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}، وقوله تعالى: [3329]{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ}،وقوله تعالى: [3330]{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا} وقوله تعالى: [3331]{وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَزِينَتُهَا}، وقوله تعالى: [3332]{إِنَّا زَيَّنَا الْسَّمَآءَ الْدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ} وقوله تعالى: [3333]{وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً}،وقوله تعالى: [3334]{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ} وقوله تعالى:**[3335]**{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا}، وقوله تعالى: [3336]{أَنَّمَا الْحَيَاةُ الْدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ} وقوله تعالى: [3337]{قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ} وقوله تعالى عن قوم موسى:[3338] {وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ} وقوله تعالى: {وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ}

{وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (النور: 31)

كقوله تعالى: [3339]{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}.

{وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (النور:32)

كقوله تعالىفي أيامى الكفّار الذكور: [3340]{وَلاَ تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىيُؤْمِنُوا} وقوله في أياماهم الإناث: {وَلاَ تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ} وقوله فيهما جميعًا: [3341]{ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَي الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ

[3328] الاعراف 31
[3329] الاعراف 32
[3330] الكهف 7
[3331] القصص 60
[3332] الصافات 6
[3333] النحل 8
[3334] القصص 79
[3335] الكهف 46
[3336] الحديد 20
[3337] طه 59
[3338] طه 87
[3339] التحريم 8
[3340] البقرة 221

يَحِلُّونَ لَهُنَّ } . وقوله: [3342]{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالْصَّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْن نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى } ومن الآيات الدالّة على أن طاعة الله تعالى سبب للرزق، قوله تعالى:[3343] {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَا تَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ الْسَّمَآءِ وَلأَرْضِ } وقوله تعالى: [3344]{وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ } ، وقوله تعالى: [3345]{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً } وقد قدّمنا أنه جلّ وعلا وعد بالغنى عند التزويج وعند الطلاق. أمّا التزويج، ففي قوله هنا: [3346]{إِنْ يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ } وأمّا الطلاق ففي قوله تعالى: [3347]{وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلاًّ مِنْ سِعَتِهِ } .

{وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (النور:33)

هذا الاستعفاف المأمور به في هذه الآية الكريمة، هو المذكور في قوله:[3348] {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذالِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } وقوله تعالى:[3349] {وَلاَ تَقْرَبُوا الْزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً } ونحو ذلك من الآيات

{وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ} (النور:34)

كقوله تعالى: [3350]{سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون} وقوله تعالى: [3351]{وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون} وعموم قوله تعالى: [3352]{كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب} وقوله تعالى: {آلمص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين} إلى غير ذلك من الآيات.

[3341] الممتحنة 10
[3342] طه 132
[3343] الاعراف 96
[3344] المائدة 66
[3345] النحل 97
[3346] النور 32
[3347] النساء 130
[3348] النور 30
[3349] الاسراء 33
[3350] النور 1
[3351] النور 1
[3352] ص 29

{رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} (النور: 37)

كقوله تعالى: [3353]{قلوب يومئذٍ واجفة أبصارها خاشعة}وقوله تعالى: [3354]{وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ} وقوله تعالى: [3355]{وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر}.

{لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (النور: 38)

قوله تعالى: [3356]{من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها}، وقوله تعالى: [3357]{إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها}، وقوله تعالى: [3358]{والله يضاعف لمن يشاء}.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (النور: 39)

كقوله تعالى: [3359] {مَثَلَ لّذِيْنَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ ِناشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَ يَقْدِرُوْنَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰشَىْءٍ}، وقوله تعالى: [3360]{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مَنْثُورًا} إلى غير ذلك من الآيات. وقد دلّت آيات من كتاب الله على انتفاع الكافر بعمله في الدنيا، دون الآخرة؛ كقوله تعالى: [3361]{مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الْدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ}، وقوله تعالى: [3362] {مَنْ كَانَ يُرِيْدُ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا وَزِيْنَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيْهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُوْنَ أُولئِكَ الَّذِيْنَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِ ّلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُوْنَ}،وذلك في قوله تعالى: [3363]{مَنْ كَانَ يُرِيْدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيْهَا مَا نَشَآءُ لِمَنْ نُرِيْدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا.

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} (النور: 41)

كقوله تعالى في الحجارة: [3364]{وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ}، وقوله تعالى: [3365]{لَوْ أَنْزَلْنَا هذَا الْقُرْءانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاْشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ} وقوله تعالى: [3366]{إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ

[3353] النازعات 8– 9

[3354] ابراهيم 42

[3355] غافر 18

مِنْهَا} وقوله تعالى: [3367] {أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ صَآفَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمنُ}، وقوله تعالى: [3368] {أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُوْنَ}

{وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} (النور:55)

كقوله تعالى: [3369] {وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنْتُمْ قَلِيْلٌ مُسْتَضْعَفُوْنَ فِي الأَرْضِ تَخَافُوْنَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ}وقوله تعالى: [3370] {وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيْزٌ الَّذِيْنَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوْفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلله عَاقِبَةُ الأُمُورِ} وقوله تعالى: [3371] {إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ}، إلى غير ذلك من الآيات. وقوله تعالى: [3372] {وَنُرِيْدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُوْنَ} وقوله تعالى عن موسى عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسّلام: [3373] {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُوْنَ} وقوله تعالى: [3374] {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُوْنَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيْهَا} إلى غير ذلك من الآيات.

[3356] الانعام 160
[3357] النساء 40
[3358] البقرة 261
[3359] ابراهيم 18
[3360] الفرقان 23
[3361] الشورى 20
[3362] هود 15-16
[3363] الاسراء 18
[3364] البقرة 74
[3365] الحشر 21
[3366] الاحزاب 72
[3367] الملك 19
[3368] النحل 79
[3369] الانفال 26
[3370] الحج 40-41
[3371] محمد 7
[3372] القصص 5-6
[3373] الاعراف 129
[3374] الاعراف 137

{وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (النور:55)

قوله تعالى {هَـذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} قوله: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ} قوله: {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُوراً}.

{وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (النور:56)

قوله تعالى: [3375]{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيْمُوْنَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَيُطِيْعُوْنَ اللهَ وَرَسُوْلَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ}.

{لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (النور:57)

كقوله تعالى: [3376]{وَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِيْنَ} وقوله تعالى: [3377]{وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} وقوله تعالى: [3378]{أَمْ حَسِبَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُوْنَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ} وقوله تعالى: [3379]{قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ} وقوله تعالى: [3380]{يُعَذِّبُ مَنْ يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُوْنَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَآءِ} وقوله في «الشورى»: [3381]{وَمَآ أَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُوْنِ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيْرٍ} إلى غير ذلك من الآيات}

{لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذاً} (النور:63)

[3375] التوبة 71
[3376] التوبة 2
[3377] التوبة 3
[3378] العنكبوت 4
[3379] يونس 53
[3380] العنكبوت 21– 22
[3381] الشورى 31

كقوله: [3382]{يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُواْ لاَ تَرْفَعُواْ أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيوَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تَشْعُرُوْنَ إِنَّ الَّذِيْنَ يَغُضُّوْنَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُوْلِ اللهِ أُولئِكَ الَّذِيْنَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوْبَهُمْ لِلتَّقْوَى} وقوله تعالى: [3383]{إِنَّ الَّذِيْنَ يُنَادُوْنَكَ مِنْ وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُوْنَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ} وقوله تعالى: [3384]{يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لاَ تَقُوْلُواْ رَاعِنَا}

{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (النور: 63)

كقوله تعالى: [3385]{وَإِذَا قِيْلَ لَهُمُ ارْكَعُواْ لاَ يَرْكَعُوْنَ}،

وكقوله تعالى: [3386]{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُوْنَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}،وقوله بعده: [3387]{وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلًا مُّبِينًا} دلّ استقراء القرءان العظيم أن الفتنة فيه أطلقت على أربعة معان: الأول: أن يراد بها الإحراق بالنار؛ كقوله تعالى: [3388]{يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُوْنَ} وقوله تعالى: [3389]{إِنَّ الَّذِيْنَ فَتَنُواْ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} أي: أحرقوهم بنار الأخدود على القول بذلك. الثاني: وهو أشهرها إطلاق الفتنة على الاختبار؛ كقوله تعالى: [3390]{وَنَبْلُوْكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً}، وقوله تعالى: [3391]{وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُواْ عَلَى الْطَّرِيْقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَآءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيْهِ}. والثالث: إطلاق الفتنة على نتيجة الاختيار إن كانت سيّئة؛ كقوله تعالى: [3392]{وَقَاتِلُوْهُمْ حَتَّى لاَ تَكُوْنَ فِتْنَةً وَيَكُوْنَ الْدِّيْنُ للهِ}. وفي «الأنفال»: [3393]{وَيَكُوْنَ الْدِّيْنُ كُلُّهُ للهِ} والرابع: إطلاق الفتنة على الحجّة في قوله تعالى: [3394]{ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَنْ قَالُواْ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِيْنَ} والأظهر أن الفتنة في قوله هنا: {أَنْ تُصِيْبَهُمْ فِتْنَةٌ} أنه من النوع الثالث.

{أَلا إِنَّ للهِ مَا فِي السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ} (النور: 64)

[3382] الحجرات 2–3
[3383] الحجرات 4–5
[3384] البقرة 104
[3385] المرسلات 48
[3386] الاحزاب 36
[3387] الاحزاب 36
[3388] الذاريات 13
[3389] البروج 10
[3390] الانبياء 35
[3391] الجن 16–17
[3392] البقرة 193
[3393] الانفال 39
[3394] الانعام 23

كقوله تعالى: [3395]{وَمَا تَكُوْنُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلاَ تَعْمَلُوْنَ مِنْ عَمَلٍ إِ ّ َلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوْدًا إِذْ تُفِيْضُوْنَ فِيْهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَآءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِ ّ َلا فِي كِتَابٍ مُبِيْنٍ} وقوله تعالى: [3396]{أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُوْنَ صُدُوْرَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلاَ حِيْنَ يَسْتَغْشُوْنَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَ إِنَّهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الْصُّدُوْرِ}وقوله تعالى: [3397]{أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىكُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} وقوله تعالى: [3398]{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيْزِ الرَّحِيْمِ الَّذِي يَرَاكَ حِيْنَ تَقُوْمُ وَتَقَلُّبَكَ فِي الْسَّاجِدِيْنَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ} وقوله تعالى: [3399]{سَوَآءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالْلَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالْنَّهَارِ} وقوله تعالى: [3400]{وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الْصُّدُوْرِ} وقوله تعالى: [3401]{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِ ّ َلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِ ّ َلا يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِ ّ َلا فِي كِتَابٍ مُبِيْنٍ} وقوله تعالى: [3402]{وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِ ّ َلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِيْنٍ} وقوله تعالى: [3403]{أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيْفُ الْخَبِيْرُ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (النور:64)

كقوله تعالى: [3404]{يُنَبَّؤُا الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} وقوله تعالى: [3405]{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِيْنَ مُشْفِقِيْنَ مِمَّا فِيْهِ وَيَقُوْلُوْنَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيْرَةً وَلاَ كَبِيْرَةً إِ ّ َلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} والآيات بمثل ذلك كثيرة، والعلم عند الله تعالى.

[3395] يونس 61

[3396] هود 5

[3397] الرعد 33

[3398] الشعراء 217– 220

[3399] الرعد 10

[3400] الملك 13

[3401] الانعام 59

[3402] هود 6

[3403] الملك 14

[3404] القيامة 13

[3405] الكهف 49

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الفرقان

{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً} (الفرقان:1)

كقوله تعالى: {قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُوْلُ الله إِلَيْكُمْ جَمِيْعًا} وقوله تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِلنَّاسِ} وقوله تعالى: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهُ شَهِيْدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْءَانُ لانْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} وقوله تعالى: {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لاَ تَنْفُذُوْنَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمْا تُكَذِّبَانِ} وقوله تعالى: {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُوْنَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوْهُ قَآلُواْ أَنْصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىقَوْمِهِم مُنْذِرِيْنَ قَالُواْ يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوْسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيْقٍ مُسْتَقِيْمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيْبُواْ دَاعِيَ الله وَآمِنُواْ بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوْبِكُمْ وَيُجِركُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيْمٍ وَمَنْ لاَ يُجِبْ دَاعِيَ الله فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ}

{الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً} (الفرقان:2)

أثنى جلَّ وعلا على نفسه في هذه الآية الكريمة بخمسة أمور،الأول: منها أنه هو الذي له ملك السماوات والأرض. كقوله تعالى في سورة «المائدة»: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ} وقوله تعالى في سورة «النور»: {وَلله مُلْكُ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَإِلَى الله الْمَصِيْرُ} وقوله تعالى: {ذالِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيْرٍ} وجميع الآيات التي ذكر فيها جلَّ وعلا أن له الملك كقوله تعالى: {قُلِ اللّٰهُمَّ مَـــالِكَ الْمُلْكِ} وقوله تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِه الْمُلْكُ} وقوله تعالى: {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}وقوله تعالى: {وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الْصُّوْرِ}وقوله تعالى: {مَـــالِكِ يَوْمِ الْدِّيْنِ} والثاني: أنه لم يتّخذ ولدًا، سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا. كقوله تعالى: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} وقوله تعالى: {وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا} وقوله تعالى: {بَدِيعُ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ} وقوله تعالى: {وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّماوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمنِ وَلَدًا وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوَات وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمنِ عَبْدًا} وقوله تعالى: {وَيُنْذِرَ الَّذِيْنَ قَالُواْ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُوْلُوْنَ إِلاَّ كَذِبًا}وقوله تعالى: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِيْنَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُوْلُوْنَ قَوْلاً عَظِيْمًا}وقوله تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ}إلى قوله: {سُبْحَانَ الله عَمَّا يَصِفُوْنَ}. والثالث: أنه لا شريك له في ملكه.كقوله تعالى في آخر سورة «بني إسرائيل»: {وَقُلِ الْحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيْكٌ فِي الْمُلْكِ} وقوله تعالى في سورة «سبأ»: {قُلِ ادْعُواْ الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُوْنِ الله لاَ يَمْلِكُوْنَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَات وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيْهِمَا مِنشِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيْرٍ}

وقوله تعالى: {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}. والرابع: أنه هو خالق لكل شيء. كقوله تعالى: {بَدِيْعُ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُوْنُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءَ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ذالِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيْلٌ} وقوله تعالى: {ذالِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُوْنَ كَذلَكَ يُؤْفَكُ الَّذِيْنَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُوْنَ}. والخامس: أنه قدّر كل شيء خلقه تقديرًا، كقوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى}وقوله تعالى: {وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} وقوله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}.

{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلا نَفْعاً وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلا حَيَاةً وَلا نُشُوراً} (الفرقان:3)

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن الآلهة التي يعبدها المشركون من دونه، متّصفة بستّة أشياء. الأول منها: أنها لا تخلق شيئًا، أي: لا تقدر على خلق شيء. كقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ} وقوله تعالى: {وَالَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ لاَ يَخْلُقُوْن شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُوْنَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُوْنَ أَيَّانَ يُبْعَثُوْنَ} وقوله تعالى في سورة «فاطر»: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ أَرُوْنِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوَات أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِد الظَّالِمُوْنَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلاَّ غُرُوْرًا}. وقوله تعالى في سورة «لقمان»: {هذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُوْنِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِيْنَ مِنْ دُوْنِهِ بَلِ الظَّالِمُوْنَ فِي ضَلاَلٍ مُبِيْنٍ}، وقوله تعالى في «الأحقاف»: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ أَرُوْنِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوَات ائْتُوْنِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ}وقوله تعالى: {مَآ أَشْهَدْتُّهُمْ خَلْقَ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّيْنَ عَضُدًا}وقوله تعالى: {أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لاَ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُوْنَ}وقوله تعالى: {أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}وقوله تعالى: {أَيُشْرِكُوْنَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُوْنَ}. والثاني منها: أنها مخلوقة كلّها، أي: خلقها خالق كل شيء. قوله تعالى: {وَالَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ لاَ يَخْلُقُوْنَ شَيْئًا وَهُم يُخْلَقُوْنَ}، قوله تعالى: {أَيُشْرِكُوْنَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُوْنَ}. والثالث: أنها لا تملك لأنفسها ضرًّا ولا نفعًا. كقوله تعالى: {قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُوْنِهِ أَوْلِيَآءَ لاَ يَمْلِكُوْنِ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاضَرًّا}، وكقوله تعالى: {أَيُشْرِكُوْنَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُوْنَ وَلاَ يَسْتَطِيْعُوْنَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُوْنَ} وقوله تعالى: {وَالَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ لاَ يَسْتَطِيْعُوْنَ نَصْرَكُمْ وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُوْنَ} وقوله تعالى: {وَإِنْ تَدْعُوْهُمْ إِلَىالْهُدَىلاَ يَتَّبِعُوْكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُوْنَ إِنَّ الَّذِيْنَ تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيْبُواْ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُوْنَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُوْنَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُوْنَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُوْنَ بِهَا} الرابع والخامس والسادس: أنها لا تملك موتًا، ولا حياة، ولا نشورًا. كقوله تعالى: {اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمْ يُحْيِيْكُمْ هَل مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذالِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ}.

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً} (الفرقان:4)

كقوله تعالى: {وَعَجِبُواْ أَنْ جَآءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُوْنَ هذا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} وقوله تعالى: {وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُوْنَ}وقوله تعالى: {بَلْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيْجٍ} وقوله تعالى: {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ} والآيات في ذلك كثيرة معلومة. } .

{وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} (الفرقان:5)

كقوله تعالى: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلاَّ أَسَاطِيْرُ لأَوَّلِيْنَ}.

{قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ} (الفرقان:6)

كقوله تعالى: {وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}وقوله تعالى: {وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِجْهَرُواْ بِهِ إِنَّهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ} وقوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللهَ عَلاَّمُ الْغُيُوْبِ} وقوله تعالى: {أَمْ يَحْسَبُوْنَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُوْنَ}وقوله تعالى: {ذلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالْشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيْمُ}وقوله تعالى: {وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَآ فِي السَّمٰوَات وَمَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوْهُ} وقوله تعالى: {وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي الْسَّمَآءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِيْنٍ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة. }

{إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً} (الفرقان:6)

كقوله تعالى: {قُلْ لِلَّذِيْنَ كَفَرُواْ إِنْ يَنْتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} وقوله تعالى: {وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً} (الفرقان:7)

كقوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا مَا هذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُوْنَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُوْنَ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُوْنَ} وقوله تعالى: {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَنْ قَالُواْ أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولاً} وقوله تعالى عنهم: {قَالُواْ أَنُؤْمِنُ لبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا} وقوله تعالى: {أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ} وقوله: {فَقَالُواْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَىاللهُ} وقوله تعالى: {قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيْدُوْنَ أَنْ تَصُدُّوْنَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} .

{وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً} (الفرقان:7) {أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا} (الفرقان:8)

كقوله تعالى: {فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير} وقوله تعالى: {وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً} وهذا شبيه بقول فرعون في موسى: {فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين} وقال تعالى: {ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذينكفروا إن هذا إلا سحر مبين} وقال تعالى: {ولو فتحناعليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون، لقالوا إنما سكرتأبصارنا بل نحن قوم مسحورون} وقال تعالى: {ولو أننا نزلناإليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيءقبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله} الآية وقال تعالى: {إن الذين حقتعليهم كلمة ربك لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية}إلى غير ذلك من الآيات.

{وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً} (الفرقان:8) {انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً} (الفرقان:9)

كقوله تعالى: {نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمونأن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً، انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً}.ومعنىضربوا لك الأمثالأنهم تارة يقولون إنك ساحر، وتارةمسحور، وتارة مجنون، وتارة شاعر، وتارة كاهن، وتارة كذاب، ومن ذلك ما ذكر الله عنهم من قوله هنا:{وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه}وقوله: {وقالوا أساطير الأولين} وقوله: {وقالالظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً}.

{بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً} (الفرقان:11)

كقوله تعالى: {إن هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين} وقوله تعالى: {من يحيي العظام وهي رميم} وكقوله تعالى: {وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين} إلى قوله: {ومأواكم النار وما لكم من ناصرين}وكقوله تعالى: {وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أئنالفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلالفي أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون}إلى غير ذلك من الآيات.

{إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً} (الفرقان:12)

كقوله تعالى: {إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور، تكاد تميز من الغيظ}

{وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً} (الفرقان:13)

كقوله تعالى: {إنها عليهم مؤصدة في عمد ممددة} وقوله تعالى: {والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة} وقوله تعالى في سورة إبراهيم {وترى المجرمين يومئذٍ مقرنين فيالأصفاد}

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ} (الفرقان:17) {قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً} (الفرقان:18)

العلماء اختلفوا في المعبودين. فقال بعضهم: المراد بهم الملائكة وعيسى وعزير قالوا: هذا القول يشهد له القرآن، لأن فيه سؤال عيسى والملائكة عن عبادة عن عبدهم، كما قال في الملائكة: {ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون، قالوا: سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون} وقال في عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام {وإذ قال الله: يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس: اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال: سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب} والأظهر شمول المعبودين المذكورين للأصنام، مع الملائكة وعيسى، وعزير لأن ذلك تدل عليه قرينتانقرآنيتان.الأولى: أنه عبر عن المعبودين المذكورين بما التي هي لغير العاقل في قوله: {ويوم يحشرهم وما يعبدون مندون الله}.القرينة الثانية:قوله تعالى في سورة يونس {وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون،فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين}وكقوله تعالى في الأحقاف: {ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عندعائهم غافلون، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين}وكقوله تعالى في العنكبوت {وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودةبينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكمبعضاً}وكقوله تعالى: {كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً} إلى غيرذلك من الآيات..

{فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلا نَصْراً} (الفرقان:19)

كقوله تعالى: {وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين} وكقوله تعالى: {وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون} وقوله: {فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون} وقوله تعالى: {كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا} والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة. }

{وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً} (الفرقان:19)

كقوله تعالى: {والكافرون هم الظالمون} وقوله تعالى: {ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين} وقوله تعالى: {إن الشرك لظلم عظيم} وقد ثبت في صحيح البخاري أن النبي
صلى الله عليه وسلم فسر الظلم في قوله تعالى: {ولم يلبسوا إيمانهم بظلم} فقال: أي بشرك }

{وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً} (الفرقان:20)

كقوله تعالى: {وكذلك فتنا بعضهم ببعضٍ ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا}

{وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً} (الفرقان:21)

كقوله تعالى: {أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً} وقولهم: {لولا أنزل علينا الملائكة} قوله تعالى: {قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله} وقوله تعالى: {أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً}

{يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلائِكَةَ لا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً} (الفرقان:22)

كقوله تعالى: {ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم} وقوله تعالى: {ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون} وقوله تعالى: {فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم} قوله تعالى: {ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا ينظرون}.

{أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً} (الفرقان:24)

قوله تعالى: {فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً. وينقلب إلى أهله مسروراً}

{وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلائِكَةُ تَنْزِيلاً} (الفرقان:25)

كقوله تعالى: {فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان} وقوله تعالى: {فيومئذٍ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذٍ واهية} وقوله: {إذا السماء انشقت} وقوله تعالى: {فإذا النجوم طمست، وإذا السماء فرجت} كقوله، {إذا السماء انفطرت}

وقوله تعالى: {وفتحت السماء فكانت أبواباً} قوله تعالى: {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة} كقوله {وجاء ربك والملك صفاً صفاً} وقوله تعالى: {هل ينظرون إلا أن تأتيه الملائكة أو يأتي ربك} الآية وقوله تعالى: {ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين}. }

{الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً} (الفرقان:26)

كقوله جلا وعلا: {ملك يوم الدين} وقوله: {لمن الملك اليوم لله الواحد القهار} وقوله تعالى: {وله الملكيوم ينفخ في الصور} إلى غير ذلك من الآيات. }

{وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً} (الفرقان:27) {يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً} (الفرقان:28) {لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي} (الفرقان:29)

كقوله تعالى في سورة يونس: {وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط}وقوله تعالى في سورة سبأ: {وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا}وقوله تعالى: {قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها}.وقوله تعالى: {كذلك يريهم الله أعماله حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار} إلى غير ذلك من الآيات، كقوله تعالى: {يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا}وقوله تعالى: {يقول يا ليتني قدمت لحياتي} وقوله تعالى: {ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين} إلىغير ذلك من الآيات. }

{وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولاً} (الفرقان:29)

كقوله تعالى: {وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل} وقوله تعالى: {وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال: إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون}.

{وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً} (الفرقان:30)

استنبط السبكي من هذه الآية الكريمةأن الكف عن الفعل فعل بدليل قوله تعالى: {لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّوْنَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهُمُ لإِثْم وَأَكْلِهِمُ الْسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُوْنَ}وقوله تعالى: {كَانُواْ لاَ يَنَتاهُوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوْهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُوْنَ}

{الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ سَبِيلاً} (الفرقان:34)

كقوله تعالى: {وَمَنْ جَآءَ بِالْسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوْهُهُمْ فِي النَّارِ}، وقوله تعالى: {يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوْهُهُمْ فِي النَّارِ} وقوله تعالى: {يَوْمَ يُسْحَبُوْنَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوْقُوا مَسَّ سَقَرَ}قال في سورة «بني إسرائيل»: {وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوْهِهِمْ عُمْيًاوَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا} وقال في سورة «طه»: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيْشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةأَعْمى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا قَالَ كَذلِكَ أَتَتْكَآيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا }.

{وَعَاداً وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً} (الفرقان:38)

كقوله تعالى: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوْحٍ وَعَادٍ وَثَمُوْد وَالَّذِيْنَ مِنْ بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاّ اللهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَات فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهوَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُوْنَنا إِلَيْهِ مُرِيْبٍ }.

{وَكُلّاً ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلّاً تَبَّرْنَا تَتْبِيراً} (الفرقان:39)

كقوله تعالى في سورة «إبراهيم»: {أَوَ لَمْ تَكُوْنُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنزَوَالٍ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِيْنَ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْففَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ لأَمْثَالَ}. كقوله تعالى في سورة «الأعراف»: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلاّ أَخَذْنَاأَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالْضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُوْنَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مكانالْسَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَآءَنَا الْضَّرَّآءوَالْسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُوْنَ} وقوله تعالى في سورة «سبأ»: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيْرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوْهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمبِهِ كَافِرُوْنَ} وقوله في «الزخرف»: {وَكَذلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِننَذِيْرٍإِلا قَالَ مُتْرَفُوْهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىآثَارِهِمْ مُقْتَدُوْنَ}، وقوله تعالى: {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَأُمَّةً رَسُوْلُهَا كَذَّبُوْهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيْثَ} إلىغير ذلك من الآيات

{وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً} (الفرقان:40)

كقوله تعالى: {وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِيْنَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُوْنَ}وكقوله تعالى في آية «الفرقان» هذه: {أَفَلَمْ يَكُوْنُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لاَ يَرْجُوْن نُشُورًا}وكقوله تعالى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيْلٍ إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَات لِلْمُتَوَسِّمِيْنَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيْلٍ مُقِيْمٍ} وكقوله تعالى: {فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ}وبيّن في سورة «الذاريات»، أن السجيل المذكور نوع من الطين، وذلك في قوله تعالى: {إِنَّا أُرْسِلْنَاإِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِيْنَ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِيْنٍ}وكقوله تعالى: {وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِيْنَ} وقوله تعالى: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُوْنَ فَأَخَذَتْهُمُ الْصَّيْحَةُ مُشْرِقِيْنَ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيْلٍ }

{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} (الفرقان:43)

كقوله: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلاهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيْهِ مِنْ بَعْدِاللهِ} وقوله تعالى: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوْءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَآءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَآءُ}.

{أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً} (الفرقان:43)

كقوله تعالى: {إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَآءُ} وقوله تعالى: {إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ} وقوله تعالى: {أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ}، وقوله تعالى: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُوْنُوْا مُؤْمِنِيْنَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ}، وقوله في آية «فاطر» المذكورة آنفا: {فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَآءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَآءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ} وقوله تعالى في آية «الجاثية» المذكورة آنفًا أيضًا: {فَمَنْ يَهْدِيْهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً} (الفرقان:44)

كقوله تعالى في سورة «الأعراف»: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيْرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوْبٌ لاَ يَفْقَهُوْنَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُوْنَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانلاَ يَسْمَعُوْنَ بِهَا أُولئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغَافِلُوْنَ} وقوله تعالى في «البقرة»: {وَمَثَلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُوْنَ}

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً} (الفرقان:47)

كقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا} وكقوله: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ} وكقوله تعالى: {اللهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِيْنَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِيمَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلمُسَمًّى} وقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا} وقوله تعالى في «القصص»: {وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوْا فِيْهِ وَلِتَبْتَغُوْا مِنْ فَضْلِهِ} وقوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيْكُمْ بِضِيَآءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُوْنَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةمَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيْكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُوْنَ فِيْهِ أَفَلاَ تُبْصِرُوْنَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوْا فِيْهِ وَلِتَبْتَغُوْا مِنفَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ}. وقوله تعالى: {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوْا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوْا عَدَدَ السِّنِيْنَ وَالْحِسَابَ}. وكقوله تعالى: {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} وقوله تعالى: {وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} إلى غير ذلكمن الآيات.

{وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً} (الفرقان:50)

الضمير في: {صَرَّفْنَاهُ} عائد إلى ماء المطر. قوله تعالى: {وَتَجْعَلُوْنَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُوْنَ} فقوله: {رِزْقَكُمْ} أي: المطر كما قال تعالى: {وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَآءِ رِزْقًا}.

{وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً} (الفرقان:51) {فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً} (الفرقان:52)

كقوله تعالى: {قُلْ يَآأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُوْلُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيْعًا} وقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلْنَّاسِ} وقوله: {وَأُوْحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْءانُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} وقوله: {وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ}. وكقوله تعالى: {وَلاَ تُطِعِ الْكَافِرِيْنَ وَالْمُنَافِقِيْنَ} وقوله: {وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا} وقوله تعالى: {وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} وقوله تعالى: {وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِيْنٍ}.

{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً} (الفرقان:53)

كقوله تعالى في سورة «فاطر»: {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُ وَهذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} وقوله تعالى: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَ يَبْغِيَانِ} قوله جلّ وعلا: {أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُوْنَ}.

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً} (الفرقان:54)

قوله تعالى: {أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى}

{وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً} (الفرقان:55)

كقوله تعالى: {الَّذِيْنَ آمَنُوا يُقَاتِلُوْنَ فِي سَبِيْلِ اللهِ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوا يُقَاتِلُوْنَ فِي سَبِيْلِ الطَّاغُوْتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ} وقوله تعالى: {وَاتَّخَذُواْ مِنْ دُوْنِ اللهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُوْنَ لاَ يَسْتَطِيْعُوْنَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُوْنَ} قوله تعالى: {مَنْ كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيْلَ وَمِيْكَال فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِيْنَ} وقوله تعالى: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوْزَعُوْنَ}

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً} (الفرقان:60)

كقوله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هذَا الْقُرْءانِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيْدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا} وقوله تعالى: {بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ} وكقوله تعالى: {لاَ تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُواْ لله الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُوْنَ}. وقوله تعالى: {فَاسْجُدُواْ لله وَاعْبُدُوا} وقد وبّخهم تعالى على عدم امتثال ذلك في قوله تعالى: {وَإِذَا قُرِىءَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءانُ لاَيَسْجُدُوْنَ}وقوله تعالى: {وَإِذَا قِيْلَ لَهُمُ ارْكَعُواْ لاَ يَرْكَعُوْنَ}وقوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوْا الْرَّحْمنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَه الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}

{تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً} (الفرقان:61)

كقوله تعالى: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي الْسَّمَآءِ بُرُوْجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِيْنَ} وقوله تعالى: {وَالْسَّمَآءِ ذَاتِ الْبُرُوْجِ} وقولهتعالى: {وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا}وقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سَماوَاتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيْهِنَّ نُوْرًا وَجَعَلَ الْشَّمْسَ سِرَاجًا}قال تعالى: {وَلَقَدْ زَيَّنَا الْسَّمَآءَ الْدُّنْيَا بِمَصَابِيْحَ}

{وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً} (الفرقان:64)

كقوله تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَآءَ الْلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ} وقوله تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوْبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُوْنَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} وقوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُحْسِنِيْنَ كَانُوا قَلِيْلاً مِنَ الْلَّيْلِ مَا يَهْجَعُوْنَ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُوْنَ}

{وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً} (الفرقان:65)

كقوله تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيْمٌ} وقوله: {لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيه مُبْلِسُوْنَ}وقوله: {فَسَوْفَ يَكُوْنُ لِزَامًا} وقوله تعالى: {فَلَنْ نَزِيْدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا}وقوله: {لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْظَرُوْنَ} وقوله: {وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذلِكَ نُجْزِي كُلَّ كَفُوْرٍ} وقوله تعالى: {كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيْرًا} وقوله تعالى: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُوْدُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوْدًا غَيْرَهَا لِيَذُوْقُوالْعَذَابَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً} (الفرقان:67)

كقوله تعالى: {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوْلَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} وقوله: {وَآتِ ذَا الْقُرْبَىحَقَّهُ وَالْمِسْكِيْنَ وَابْنَ الْسَّبِيْلِ وَلاَ تُبَذِّرتَبْذِيرًا} وقوله تعالى: {وَيَسْأَلُوْنَكَ مَاذَ يُنْفِقُوْنَ قُلِ الْعَفْوَ}

{وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً} (الفرقان:72)

كقوله: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِيْنَ}

{وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً} (الفرقان:73)

كقوله تعالى: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيْمَانًا} وكقوله تعالى: {وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُوْرَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُوْلُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِيْنَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُم مُسْتَبْشِرُوْنَ} وقوله تعالى: {اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيْثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنهُ جُلُوْدُ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِيْن جُلُوْدُهُمْ وَقُلُوْبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ الله} إلى غير ذلك من الآيات.

{أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً} (الفرقان:75)

قوله تعالى: {وَهُمْ فُي الْغُرُفَاتِ آمِنُوْنَ} وقوله تعالى: {لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}.

{قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً} (الفرقان:77)

كقوله تعالى في أوّل سورة «هود»: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَات وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَن عَمَلاً} وقوله تعالى في أوّل سورة «الكهف»: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِيْنَةً لَهَا لِنَبْلُوَنَّهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} وقوله في أوّل سورة «الملك»: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}. القول بأن معنى: {لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ} أي: إخلاصكم الدعاء له أيّها الكفار عند الشدائد والكروب فقددلّت على معناه آيات كثيرة كقوله تعالى: {فَإِذَا رَكِبُواْ فِي الْفُلْكِ دَعُواْ اللّهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ} وقوله تعالى: {جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيْطَ بِهِمْ دَعَوُا اللّهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ}. وأمّا على القول بأن المعنى: ما يصنع بعذابكم، {لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ} معه آلهة أخرى؛ فقد دلّ علىمعناه قوله تعالى: {مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ}.

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الشعراء

{طسم}(الشعراء:1) {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ}(الشعراء:2)

{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} (الشعراء:3)

قد قدّمنا الآيات الموضحة له في أوّل سورة «الكهف» في الكلام على قوله تعالى: [3406]{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيْثِ أَسَفًا}،وفي آخر سورة «الحجر» في الكلام على قوله تعالى:[3407]{وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} وقوله تعالى:[3408]{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيْقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُوْلُوْنَ }

{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} (الشعراء:7)

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ} (الشعراء:8)

قد أوضحنا ذلك في سورة «البقرة» في الكلام على قوله تعالى: [3409]{يَآأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}، إلى قوله:

[3410]{ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ } وفي أوّل سورة «النحل»، في الكلام على قوله تعالى:[3411] {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ الْسَّمَآءِ مَآءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيْهِ تُسِيْمُوْنَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الْزَّرْعَ وَالْزَّيْتُوْنَ وَالْنَّخِيْلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الْثَّمَرَاتِ}

[3406] الكهف 6

[3407] الحجر 88

[3408] الحجر 97

[3409] البقرة 21

{وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}(الشعراء:10)

{قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ} (الشعراء:11)

قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «مريم» في الكلام على قوله تعالى:[3412] {وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا }.

{قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ} (الشعراء:12)

كما في قوله تعالى: [3413]{قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُوْنِ}.

{وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلا يَنْطَلِقُ لِسَانِي} (الشعراء:13)

من أجل العقدة المذكورة في قوله تعالى عن موسى: [3414]{وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي}، كما قدّمنا في الكلام على آية «طه»،

[3410] البقرة 22
[3411] النحل 10– 11
[3412] مريم 52
[3413] القصص 33
[3414] طه 27– 28

{فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ} (الشعراء:13)

قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «مريم»، في الكلام على قوله تعالى:[3415] {وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هارُوْنَ نَبِيًّا }

{وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ} (الشعراء:14)

بيّن في غير هذا الموضع أن الذنب المذكور هو قتله لصاحبهم القبطي، في قوله تعالى: [3416]{قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُوْنِ}،وبقوله في «القصص»:[3417]{وَدَخَلَ الْمَدِيْنَةَ عَلَى حِيْنِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيْهَا رَجُلَيْنَ يَقْتَتِلاَنِ هذَا مِنْ شِيْعَتِهِ وَهذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيْعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوْسَى فَقَضَى عَلَيْهِ}،وقد بيّن تعالى أنه غفر لنبيّه موسى ذلك الذنب المذكور،وذلك في قوله تعالى:[3418]{قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ}.

{قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآياتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ} (الشعراء:15)

كقوله تعالى:[3419] {قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}،وقوله تعالى:[3420] {قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيْكَ وَنَجْعَلُ لَكُمْا سُلْطَانًا فَلاَ يَصِلُوْنَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُوْنَ }.

[3415] مريم 53
[3416] القصص 33
[3417] القصص 15
[3418] القصص 16
[3419] طه 46
[3420] القصص 35

{فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء:16)

[3421]قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «مريم»، و «طه»،

{قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ} (الشعراء:18)

تربية فرعون لموسى هذه التي ذكرها له هي التي ذكر مبدؤها في قوله تعالى: [3422]{وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوْهُ عَسَىٰأَنْ يَنْفَعَنَا أَونَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُوْنَ}، وقوله تعالى: [3423]{وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰعَيْنِي }.

{وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} (الشعراء:19)

كقوله تعالى: [3424]{فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَىٰعَلَيْهِ} وقوله تعالى: [3425]{قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا} وقوله عن الإسرائيلي الذي استغاث بموسى مرّتين: [3426]{قَالَ يَا مُوْسَى أَتُرِيْدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيْدُ إِ ّ لا أَنْ تَكُوْنَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيْدُ أَنْ تَكُوْنَ مِنَ الْمُصْلِحِيْنَ}

[3421] طه 47
[3422] القصص 9
[3423] طه 39
[3424] القصص 15
[3425] القصص 33
[3426] القصص 19

{قَالَ فَعَلْتُهَا إِذاً وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ} (الشعراء:20)

لفظ الضلال يطلق في القرءان، وفي اللغة العربية ثلاثة إطلاقات:الإطلاق الأوّل: يطلق الضلال مرادًا به الذهاب عن حقيقة الشيء،ومن هذا المعنى قوله هنا: [3427]{قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ }،ومنه على التحقيق: {وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى}،ومن هذا المعنى قوله تعالى: {قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى}، وقوله تعالى:[3428] {فَإِنْ لَمْ يَكُوْنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الْشُّهَدَآءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى}، وقوله تعالى عن أولاد يعقوب:[3429] { إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُبِيْنٍ}،وقوله:[3430] {قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيْمِ}. والإطلاق الثاني: وهو المشهور في اللغة، وفي القرءان هو إطلاق الضلال على الذهاب عن طريق الإيمان إلى الكفر، وعن طريق الحقّ إلى الباطل، ومنه قوله تعالى: [3431]{غَيْرِ الْمغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الْضَّالِّيْنَ }.والإطلاق الثالث: هو إطلاق الضلال على الغيبوبة والاضمحلال،ومن هذا المعنى قوله تعالى: {وَقَالُوا أَإِذا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ} .

{فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْماً وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ} (الشعراء:21)

كقوله:[3432] {وَجَآءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِيْنَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُوْنَ بِكَ لِيَقْتُلُوْكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِيْنَ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَاْلَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِيْنَ}، وبيّن خوفه المذكور بقوله تعالى:[3433]{فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِيْنَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ }

[3427] شعرآء 20
[3428] البقرة 282
[3429] يوسف 8
[3430] يوسف 95
[3431] الفاتحة 7
[3432] القصص 20-21

{قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء: 23)

ظاهر هذه الآية الكريمة أن فرعون لا يعلم شيئًا عن ربّ العالمين، وكذلك قوله تعالى عنه: [3434]{قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى}،وقوله: [3435]{مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي}، وقوله: [3436]{لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُوْنِيْنَ} ولكن الله جلّ وعلا بيّن أن سؤال فرعون في قوله: {وَمَا رَبُّ الْعَالَمِيْنَ}،وقوله: {فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوْسَى}، تجاهل عارف أنه عبد مربوب لربّ العالمينبقوله تعالى:[3437]{قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِ ّلا رَبُّ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا} وقوله تعالى عن فرعون وقومه: [3438]{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}.

{قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ}(الشعراء: 96) {تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ}(الشعراء: 97)

{إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}(الشعراء: 98)

كقوله تعالى: [3439]{هذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لاَ مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ قَالُواْ بَلْ أَنْتُمْ لاَ مَرْحَبًا بِكُمْ} إلى قوله تعالى: [3440]{إِنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ }.وقد قدّمنا إيضاح هذا بالآيات القرءانية في سورة «الأعراف»، في الكلام على قوله تعالى:[3441] {حَتَّى إِذَ ادَّارَكُواْ فِيْهَا جَمِيْعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُوْلاَهُمْ رَبَّنَا هؤُلاءِ أَضَلُّوْنَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ} وفي سورة «البقرة»، في الكلام على قوله تعالى:[3442]{إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِيْنَ اتُّبِعُواْ}.

[3433] القصص 18
[3434] طه 49
[3435] القصص 38
[3436] الشعراء 29
[3437] الاسراء 102
[3438] النمل 14
[3439] ص 59 – 60

{قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ} (الشعراء:117)

كقوله:[3443] {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا}

{فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً} (الشعراء:118)

كقوله تعالى:[3444] {فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ} وقوله تعالى: [3445]{وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِيْنَ دَيَّارًا}

{وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (الشعراء:118)

كقوله هنا:[3446] {فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُوْنِ}،وقوله تعالى: {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِيْنَةِ}، وقوله تعالى: [3447]{وَلَقَدْ نَادَانَا نُوْحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيْبُوْنَ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيْمِ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

[3440] ص 64
[3441] الاعراف 38
[3442] البقرة 166
[3443] نوح 5– 7
[3444] القمر 10
[3445] نوح 26
[3446] العنكبوت 15
[3447] الصافات 75– 76

{ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ} (الشعراء:120)

كقوله تعالى: [3448]{فَأَخَذَهُمُ الطُّوْفَانُ وَهُمْ ظَالِمُوْنَ}، وقوله تعالى: [3449]{ وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِيْنَ ظَلَمُواْ إِنَّهُمْ مُغْرَقُوْنَ}، إلى غير ذلك من الآيات

{كَذَّبَ أَصْحَابُ لْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ} (الشعراء:176)

هذه الآية بيّنتها الآيات الموضحة لقصّة شعيب مع مدين،ومما استدلّ به أهل هذا القول، أنّه قال هنا لأصحاب الأيكة:[3450] {أَوْفُواْ الْكَيْلَ وَلاَ تَكُوْنُوا مِنَ الْمُخْسِرِيْنَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيْمِ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِيْنَ}،كقوله في «هود»:[3451] {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنْقُصُوا الْمِكْيَال وَالْمِيْزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِيْنَ بَقِيَّتُ الله خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ}،وقد قدّمنا بعض الآيات الموضحة لهذا في سورة «الحجر» في الكلام على قوله تعالى: [3452]{وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِيْنَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ}

{وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء:192) {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} (الشعراء:193)

[3448] العنكبوت 14
[3449] هود 37
[3450] الشعراء 181 – 183
[3451] هود 84– 86
[3452] الحجر 78– 79

{عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ}(الشعراء:194) {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}(الشعراء:195)

كقوله تعالى:[3453] {إِنَّه لَقُرْءانٌ كَرِيْمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُوْنٍ لاَ يَمَسُّهُ إِ ّلا الْمُطَهَّرُوْنَ تَنْزِيْلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ}،وقوله تعالى: [3454]{وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيْلاً مَا تُؤْمِنُوْنَ وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيْلاً مَا تَذَكَّرُوْنَ تَنْزِيْلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ}،وقوله تعالى: {طهَ[3455] مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِ ّلا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى تَنْزِيْلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمٰوَات الْعُلَى} وقوله تعالى: [3456]{تَنْزِيْلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيْزِالْحَكِيْمِ}، وقوله: [3457]{حم تَنْزِيْلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِيْمِ كِتَابٌ فِصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءانًا عَرَبِيًّا}،وقوله تعالى: [3458]{يٰس وَالْقُرْآنَ الْحَكِيْمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ تَنْزِيْلُ الْعَزِيزِ الرَّحِيْمِ لِتُنْذِرَ قَوْمًامَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُوْنَ} والآيات بمثل ذلك كثيرة.

{كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ}(الشعراء:200)

{لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} (الشعراء:201)

قدّمنا إيضاحه بالآيات القرآنيّة والشواهد العربية في سورة «هود»، في الكلام على قوله تعالى: [3459]{قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ}، كما يدلّ لذلك قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِيْنَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيْمَ}.

{فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ} (الشعراء:203)

[3453] الواقعة 77– 80
[3454] الحاقة 41–43
[3455] طه 1– 4
[3456] الزمر 1
[3457] فصلت 1– 3
[3458] يسين 1– 6
[3459] هود 40

كقوله تعالى: [3460]{وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيْهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيْبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُوْنُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ} كقوله تعالى: [3461] {فَلاَ يَسْتَطِيْعُوْنَ رَدَّهَا وَلاَ هُمْ يُنْظَرُوْنَ}، وقوله تعالى: [3462]{وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِيْنَ}، إلى غير ذلك من الآيات.

{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (الشعراء:214)

كقوله تعالى: [3463]{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُوْنَ لِلْعَالَمِيْنَ نَذِيْرًا} وقوله تعالى: [3464] {وَأُوْحِيَ إِلَيَّ هذَا الْقُرْآنُ لأنْذِرُكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ}، وقوله تعالى: [3465]{وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا}، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (الشعراء:215)

قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «المائدة»، في الكلام على قوله تعالى: [3466]{فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْنَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِيْنَ}، وفي «الحجر»، في الكلام على قوله تعالى: [3467]{واخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِيْنَ}،

[3460] ابراهيم 44
[3461] الانبياء 40
[3462] الحجر 8
[3463] الفرقان 1
[3464] الانعام 19
[3465] مريم 97
[3466] المائدة 54
[3467] الحجر 88

{وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ} (الشعراء: 217)

يدلّ على الاعتناء به صلى الله عليه وسلم ، ويوضح ذلك قوله تعالى: [3468]{ وصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا } . وقد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «الفاتحة»، في الكلام على قوله تعالى: [3469]{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ}،

{وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ} (الشعراء: 224)

قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُوْنَ} يدلّ على أن اتباع الشعراء من اتّباع الشيطان، بدليل قوله تعالى: [3470]{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِ لا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِيْنَ} . وما ذكره تعالى في هذه الآية الكريمة، في قوله: {وَالْشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُوْنَ}، يدل على تكذيب الكفار في دعواهم، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم شاعر؛ لأن الذين يتبعهم الغاوون، لا يمكن أن يكون النبيّ صلى الله عليه وسلم منهم. وقد ذكره تعالى في قوله عنهم: [3471]{بَلْ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ} ، وقوله تعالى: [3472]{وَيَقُوْلُوْنَ أَئِنَّا لَتَارِكُواْ آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُوْنٍ}، وقوله تعالى: [3473] {أَمْ يَقُوْلُوْنَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُوْنِ} .وأمّا تكذيب الله لهم في ذلك، فقد ذكره في قوله تعالى: [3474] {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيْلاً مَا تُؤْمِنُوْنَ}، وقوله تعالى: [3475] {وَمَا عَلَّمْنَاهُ الْشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِ لا ذِكْرٌ وَقُرآنٌ مُبِيْنٌ}، وقوله تعالى: [3476]{وَيَقُوْلُوْنَ أَئِنَّا لَتَارِكُواْ الِهَتِنَا لَشَاعِرٍ مَجْنُوْنٍ بَلْ جَآءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِيْنَ}

[3468] الطور 48
[3469] الفاتحة 5
[3470] الحجر 42
[3471] الانبياء 5
[3472] الصافات 36
[3473] الطور 30
[3474] الحاقة 41
[3475] يسين 69
[3476] الصافات 36–37

تفسيرالفاروق

{وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ} (الشعراء:226)

كقوله تعالى: [3477]{يَآأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لِمَ تَقُوْلُوْنَ مَا لاَ تَفْعَلُوْنَ كَبُر مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُوْلُوا مَا لاَ تَفْعَلُوْنَ}،

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ} (الشعراء:227)

قال تعالى: [3478]{وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيْرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ}، وقال تعالى: [3479]{يَآأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوْهُ بُكْرَةً وَأَصِيْلاً}، وقال تعالى: [3480]{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ الَّذِيْنَ يَذْكُرُوْنَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُوْدًا وَعَلَى جُنُوْبِهِمْ}، وقال تعالى: [3481] {والذَّاكِرِيْنَ اللهَ كَثِيْرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيْمًا }.

[3477] الصف 2-3
[3478] الجمعة 10
[3479] الاحزاب 41-42
[3480] ال عمران 190-191
[3481] الاحزاب 35

تفسير الفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النمل

{طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ} (النمل:1)

{قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ} (النمل:40)

كقوله تعالى:[3482] {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ} وقوله: [3483]{وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنفُسِهِم يَمْهَدُوْنَ} وقوله تعالى:[3484] {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ}.

{وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} (النمل:40)

كقوله تعالى: [3485]{وَقَالَ مُوْسَى إِنْ تَكْفُرُواْ أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيْعًا فَإِن الله لَغَنِيٌّ حَمِيْدٌ} وقوله تعالى: [3486] {فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى الله وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيْدٌ} وقوله تعالى: [3487]{يَآأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَآءُ إِلَى الله وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيْدُ} وقوله تعالى: [3488]{وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُم الْفُقَرَآءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُوْنُوا أَمْثَالَكُمْ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ} (النمل:45)

قوله تعالى:[3489] {قَالَ الْمَلأُ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُوْنَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُوْنَ قَالَ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِيْ آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُوْنَ}

{قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ} (النمل:47)

كقوله تعالى في تشاؤم فرعون وقومه بموسى: [3490]{فَإِذَا جَآءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوْسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ الله وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُوْنَ} وقوله تعالى في تطيّر كفار قريش بنبيّنا صلى الله عليه وسلم : [3491]{وَإِنْ

[3482] فصلت 46– الجاثية 45

[3483] الروم 44

[3484] الاسراء 7

[3485] ابراهيم 8

[3486] التغابن 6

[3487] فاطر 15

[3488] محمد 38

[3489] الاعراف 75–76

تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُوْلُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُوْلُواْ هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ الله فَمَالِ هاؤُلاَءِ الْقَوْمِ لاَ يَكَادُوْنَ يَفْقَهُوْنَ حَدِيثًا} وكقوله تعالى: [3492]{قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيْمٌ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ}

{قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} (النمل:49)

قوله تعالى: [3493]{قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيْراً مِمَّا تَقُوْلُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِيْنَا ضَعِيْفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ} وقوله تعالى: [3494] {إِنَّ هَذَا الْقُرءانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}.

{فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ} (النمل: 51) {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (النمل:52)

{وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} (النمل:53)

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآيات الكريمة، ثلاث أمور: الأول: أنه دمّر جميع قوم صالح، ومن جملتهم تسعة رهط الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون وذلك في قوله: [3495]{إِنَّا دَمَّرْنَا هُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِيْنَ} الثاني: أنه جلَّ وعلا جعل إهلاكه قوم صالح آية، أي: عبرة يتّعظ بها من بعدهم وذلك في قوله: {إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُوْنَ}. الثالث: أنه تعالى أنجى الذين آمنوا وكانوا يتّقون من الهلاك والعذاب وهو نبيّ الله صالح ومن آمنبه من قومه وذلك في قوله تعالى: {وَأَنْجَيْنَا الَّذِيْنَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُوْنَ} وهذه الأمور الثلاثة التي ذكرها جلَّ وعلا هنا جاءت موضحة في آيات أُخر. أما إنجاؤه نبيّه صالحًا، ومن آمن به وإهلاكه ثمود، فقد أوضحه جلَّ وعلا في مواضع من كتابه كقوله في سورة «هود»: [3496]{فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِيْنَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيْزُ وَأَخَذ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِيْنَ} وأمّا كونه جعل إهلاكه إياهم أية فقد أوضحه أيضًا في غير هذا الموضع كقوله تعالى فيهم: [3497]{فَعَقَرُوْهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِيْنَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِيْنَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُ}

[3490] **الاعراف 131**

[3491] **النساء 78**

[3492] **يسين 18- 19**

[3493] **هود 91**

[3494] **الاسراء 9**

[3495] **النمل 51**

[3496] **هود 66- 68**

[3497] **الشعراء 157- 159**

{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} (النمل:76)

ومن ذلك اختلافهم في عيسى، فقد قدّمنا في سورة «مريم»، ادّعاءهم على أُمّه الفاحشة، مع أن طائفة منهمآمنت به؛ كما يشير إليه قوله تعالى: [3498]{يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا كُوْنُوا أَنْصَارَالله كَمَا قَالَ عِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى الله قَالَ الْحَوَارِيُّوْنَ نَحْنُ أَنْصَارُ الله فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرا ئِيْلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ}وقد قصّ الله عليهم في سورة «مريم» و سورة «النساء» وغيرهما حقيقة عيسى ابن مريم، وهي أنه {عَبْد الله} ورسوله {وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ}ولمّا بيّن لهم حقيقة أمره مفصّلة في سورة «مريم»، قال: [3499]{ذلِكَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيْهِ يَمْتَرُوْنَ}

{إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ} (النمل:80)

أقوال العلماء منها تفسيران: الأول: أن المعنى: {إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى} أي: لا تسمع الكفار الذين أمات الله قلوبهم وكتب عليهم الشقاء في سابق علمه إسماع هدى وانتفاع لأن الله كتب عليهم الشقاء ومن القرائن القرءانية الدالّة على ما ذكرنا أنّه جلّ وعلا قال بعده: [3500]{إِنْ تُسْمِعُ إِ ّ لا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُوْنَ}. كقوله تعالى: [3501]{إِنَّمَا يَسْتَجِيْبُ الَّذِيْنَ يَسْمَعُوْنَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ الله ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُوْنَ} وكقوله تعالى:[3502] {أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوْرًا يَمْشِيبِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِيْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُوْنَ }وكقوله: [3503]{لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِيْنَ} وكقوله تعالى: [3504]{وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاءُ وَلاَ الأَمْوَاتُ} أي: لا يستوي المؤمنون والكافرون. التفسير الثاني: هو أن المراد بالموتى الذين ماتوا بالفعل، ولكن المراد بالسماع المنفي في قوله: {إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى} خصوص السماع المعتاد الذي ينتفع صاحبه به، وأن هذا مثل ضرب للكفار والكفار يسمعون الصوت لكن لا يسمعون سماع قبول بفقه واتّباع كما قال تعالى: [3505]{وَمَثَلُ الَّذِين كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِ ّ لا دُعَآءً وَنِدَآءً}كقوله تعالى في المنافقين: [3506]{صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُوْنَ}

[3498] الصف 14
[3499] مريم 34
[3500] النمل 81
[3501] الانعام 36
[3502] الانعام 122
[3503] يسين 70
[3504] فاطر 22
[3505] البقرة 171
[3506] البقرة 18

{وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآياتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ} (النمل:83)

وقوله تعالى: [3507]{وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا} وقوله تعالى: [3508]{وَيَوْم نَحْشُرُهُمْ جَمِيْعًا} وقوله تعالى: [3509] {وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيْر بِجَنَاحَيْهِ إِلّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُوْنَ} إلى غير ذلك من الآيات. كقوله تعالى: [3510]{فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِيْنَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمنِ عِتِيًّا}

{حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآياتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْماً أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (النمل:84)

كقوله تعالى: [3511]{فَلاَصَدَّقَ وَلاَ صَلَّى وَلكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى}

{وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنْطِقُونَ} (النمل:85)

كقوله تعالى: [3512]{وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ} ونحو ذلك من الآيات وكما يفهم من قوله تعالى: [3513] {هذَا يَوْمُ لاَ يَنْطِقُوْنَ وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُوْنَ} وقوله تعالى: [3514]{وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا}

{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} (النمل:88)

جميع الآيات التي فيها حركة الجبال كلّها في يوم القيامة كقوله تعالى: [3515]{يَوْمَ تَمُوْرُ الْسَّمَآءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا} وقوله تعالى: [3516]{ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً} وقوله تعالى: [3517]{وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا} وقوله تعالى: [3518]{وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ }. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: [3519]{صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ} جاء نحوه في آيات كثيرة كقوله تعالى: [3520]{فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِيْنَ} وقوله تعالى: [3521]{مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفَاوُتٍ}

[3507] الكهف 47
[3508] الانعام 22- يونس 28
[3509] الانعام 38
[3510] مريم 68- 69
[3511] القيامة 31-32
[3512] السجدة 13
[3513] المرسلات 35- 36
[3514] الاسراء 97
[3515] الطور 9-10
[3516] الكهف 47
[3517] النبأ 20
[3518] التكوير 3

{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا} (النمل:89)

الحسنة في هذه الآية الكريمة تشمل نوعين من الحسنات: الأول: حسنة هي فعل خير من أفعال العبد وهذا المعنى توضحه آيات من كتاب الله كقوله تعالى:[3522] {مَنْ جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} وكقوله تعالى: [3523]{وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا} وقوله تعالى: [3524]{مَثَلُ الَّذِيْنَ يُنْفِقُوْن أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيْلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُل سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَآءُ}. وأمّا النوع الثاني من الحسنة: فكقول من قال من أهل العلم: إن المراد بالحسنة في هذه الآية: لا إله إلاّ الله ولا يوجد شيء خير من لا إله إلا الله بل هي أساس الخير كلّه وأن المعنى: {فَلَهُ خَيْرٌ} عظيم عند الله حاصل له منها فكلمة لا إله إلاّ الله تعبَّد بها العبد في دار الدنيا وتعبُّده بها فعله المحض وقد أثابه الله في الآخرة على تعبُّدِهِ بها وإثابة الله فعله جلَّ وعلا ولا شكّ أن فعل الله خير من فعل عبده والعلم عند الله تعالى.

{وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} (النمل:89)

كقوله تعالى في أمنهم من الفزع: [3525]{لاَ يَحْزُنُ هُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ} وقوله تعالى في أمنهم:[3526] {فَأُولئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ الْضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُوْنَ} وقوله تعالى: [3527]{أَفَمَنْ يُلْقَى فِي الْنَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ} وقوله تعالى: {وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ}

{وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (النمل:90)

وهذه الآية الكريمة تضمّنت أمرين: الأول: أن من جاء ربّه يوم القيامة بالسيئة كالشرك يكبّ وجهه في النار. والثاني: أن السيّئة إنما تجزى بمثلها من غير زيادة، وهذان الأمران جاءا موضحين في غير هذا الموضع كقوله تعالى في الأوّل منهما: [3528]{إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوْتُ فِيْهَا وَلاَ يَحْيَى} وكقوله تعالى في الثاني منهما: [3529]{وَمَنْ جَآءَ بِالْسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِ ّ لا

[3519] النمل 88

[3520] المئومنون 14

[3521] الملك 3

[3522] الانعام 160

[3523] النساء 40

[3524] البقرة 261

[3525] الانبياء 103

[3526] سبأ 37

[3527] فصلت 40

[3528] طه 74

[3529] الانعام 160

مِثْلَهَا} وقوله تعالى: [3530]{وَمَنْ جَآءَ بِالْسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِيْنَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُوْنَ}وقوله تعالى: [3531]{جَزَآءً وِفَاقًا}وإذا علمت أن السيئات لا تضاعف فاعلم أن السيئة قد تعظم فيعظم جزاؤها بسبب حرمة المكان كقوله تعالى: [3532]{وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}أو حرمة الزمان كقوله تعالى في الأشهر الحرام: [3533]{فَلاَ تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} .وقد دلَّت آيات من كتاب الله أن العذاب يعظم بسبب عظم الإنسان المخالف كقوله تعالى في نبيّنا صلى الله عليه وسلم : [3534]{وَلَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ}وقوله تعالى: [3535]{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِيْنِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِيْنَ} وكقوله تعالى في أزواجه صلى الله عليه وسلم : [3536]{يَا نِسَآءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ}

[3530] القصص 84

[3531] النبأ26

[3532] الحج 25

[3533] التوبة 36

[3534] الاسراء 74– 75

[3535] الحاقة 44–46

[3536] الاحزاب 30

تفسير الفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة القصص

{طسم}(القصص:1){ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ}(القصص:5)

قوله هنا: {وَنُرِيْدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىالَّذِيْنَ تُضْعِفُواْ}، هو الكلمة في قوله تعالى :[3537]{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرائِيْلَ}، ولم يبيّن هنا السبب الذي جعلهم به أئمة ولم يبيّن هنا أيضًا الشيء الذي جعلهم وارثيه، ولكنّه تعالى بيّن جميع ذلك في غير هذا الموضع؛ في قوله تعالى :[3538]{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ}وقوله تعالى :[3539]{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِيْنَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُوْنَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبهَا}، وقوله تعالى:[3540]{كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيْمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِيْنَ كَذالِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِيْنَ} وقوله تعالى :[3541]{فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذالِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرائِيلَ}

{وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ}(القصص:42)

بيّنه أيضًا في سورة «هود»، بقوله فيهم:[3542]{وَأُتْبِعُوا فِي هَـــذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ}.

{إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}(القصص:56)

[3537] الاعراف 137

[3538] السجدة 24

[3539] الاعراف 137

[3540] الدخان 25– 28

[3541] الشعراء 57– 59

[3542] النحل 37

كقوله تعالى : [3543]{إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ}، وقوله: [3544]{وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ}، إلى غير ذلك من الآيات. كقوله: [3545]{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ }

[3543] **النحل 37**

[3544] **المائدة 41**

[3545] **النجم 30**

تفسير الفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة العنكبوت

{أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ} (العنكبوت:2)

كقوله تعالى:[3546] { أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَّثَلُ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُوْلَ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيْبٌ}، وقوله: [3547]{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِيْنَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِيْنَ} وقوله وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِيْنَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِيْنَ} وقوله تعالى: [3548]{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِيْن وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ} وقوله تعالى: [3549]{مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ}، وقوله تعالى: [3550]{وَلِيَبْتَلِي اللهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ} وقوله تعالى: [3551]{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِيْنَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُوْنِ اللهِ وَلاَ رَسُوْلِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِيْنَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ} إلى غير ذلك من الآيات،

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ} (العنكبوت:10)

كقوله تعالى: [3552]{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِيْنُ }.

{ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ}

(العنكبوت:10)

[3546] البقرة 214

[3547] ال عمران 142

[3548] محمد 31

[3549] ال عمران 179

[3550] ال عمران 154

[3551] التوبة 16

[3552] الحج 11

كقوله تعالى: [3553]{الَّذِيْنَ يَترَبَّصُوْنَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللهِ قَالُوآ أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِيْنَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ}

وقوله تعالى: [3554]{وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيُبطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيْبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَّعَهُمْ شَهِيدًا وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوْزَ فَوْزًا عَظِيْمًا} وقد بيّن تعالى أنهم كاذبون في قولهم: {إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ} بقوله: {أَوَ لَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِيْنَ.

{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} (العنكبوت: 27)

الضمير في قوله: {ذُرِّيَّتِهِ} راجع إلى إبراهيم وذلك في قوله تعالى: [3555]{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوْحًا وَإِبْرَاهِيْمَ وَجَعَلنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ }.

{وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} (العنكبوت: 27)

كقوله تعالى: [3556]{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} وقوله تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وفَّى} وقوله تعالى: [3557]{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الْصَّالِحِيْن}.

{وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ} (العنكبوت:38) {وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ} (العنكبوت:39) {فَكُلّاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِباً

[3553] النساء 141
[3554] النساء 72–73
[3555] الحديد 26
[3556] البقرة 124
[3557] النحل 120–122

وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} (العنكبوت:40)

كقوله فى عاد:[3558]{وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيْحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ}وقوله:[3559]{وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الْرِّيحَ الْعَقِيْمَ}وقوله تعالى فى ثمود{وَأَخَذَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا الْصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِيْنَ كَأَنْ لَّمْ يَغْنَوْا فِيْهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِثَمُوْدَ}وقوله تعالى فى قارون:[3560]{فَخَسَفْنَا بِهِ وبِدَارِهِ الأَرْضَ}.قوله تعالى فى فرعون وهامان:[3561]{ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآخَرِيْنَ}ونحو ذلك من الآيات. أماقوله في هذه الآية:{وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِيْنَ}أناستبصارهم المذكورهنابالنسبةإلىالحياةالدنيا كمادلّعليهقولهتعالى:[3562]{يَعْلَمُوْنَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُوْنَ}وقوله تعالى:{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ الْسَّعِيْرِ}ونحو ذلك من الآيات.وقوله:[3563]{وَمَا كَانُوا سَابِقِيْنَ}كقوله تعالى:{أَمْ حَسِبَ الَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ الْسَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُوْنَا سَآءَ مَا يَحْكُمُوْنَ }.

{يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} (العنكبوت:56)

[3558] الحاقة 6
[3559] هود 67-68
[3560] القصص
[3561] الشعراء 66
[3562] الروم 7
[3563] العنكبوت 4

كقوله تعالى: [3564]{إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيْمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِيْنَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيْهَا} وقوله تعالى:

[3565]{وَأَرْضُ الله وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الْصَّابِرُوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ }.

{وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (العنكبوت:60)

قوله تعالى: [3566]{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَي اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}.

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ الله يَكْفُرُونَ} (العنكبوت:67)

كقوله تعالى في «القصص»: [3567]{وَقَالُوا إِنْ نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا} وقوله تعالى: [3568]{وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا}،وقوله تعالى:

[3569]{جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ}،وقوله تعالى: [3570]{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِّنْجُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ }.

{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} (العنكبوت:69)

كقوله تعالى: [3571]{وَالَّذِيْنَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى} وقوله تعالى: [3572]{فَأَمَّا الَّذِيْنَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا}

[3564] النساء 97
[3565] الزمر 10
[3566] هود 6
[3567] القصص 57
[3568] ال عمران 97
[3569] المائدة 97
[3570] قريش 3-4
[3571] محمد 17
[3572] التوبة 124

تفسيرالفاروق

{وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (العنكبوت:69)

قد قدّمنا إيضاحه في آخر سورة «النحل»، في الكلام على قوله تعالى: [3573]{ إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا وَالَّذِيْنَ هُمْ مُّحْسِنُوْنَ }.

[3573] النحل 128

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الروم(اجمالاً)

{وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} (الروم:6)
{يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} (الروم:7)

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أربعة أمور: الأول منها: وهو كونه لا يخلف وعده، فقد جاء في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: [3574]{إِنَّ اللهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيْعَادَ}. كقوله تعالى: [3575]{قَالَ لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيْدِ مَايُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ}. وكقوله تعالى: [3576]{كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيْدِ} وقوله: [3577]{إِنْ كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ}،وأما الثاني منها: وهو أن أكثر الناس وهم الكفار لا يعلمون، فقد جاء موضحًا في آيات كثيرة، فقد بيّنتعالى في آيات أن أكثر الناس هم الكافرون؛ كقوله تعالى: [3578]{وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُوْنَ} وقوله تعالى: [3579]{وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَر الأَوَّلِيْنَ} وقوله تعالى: [3580]{إِنَّ فِي ذالِكَ لاَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْمُّؤْمِنِيْنَ} وقوله تعالى: [3581]{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوْكَ}،وقوله تعالى: [3582]{وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِيْنَ} إلى غير ذلك من الآيات. وقد بيّن جلّ وعلا أيضًا في آيات من كتابه أن الكفار لا يعلمون؛ كقوله تعالى: [3583]{أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُوْنَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُوْنَ} وقوله تعالى: [3584]{أَوَ لَوْكَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُوْنَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُوْنَ}، وقوله تعالى: [3585]{وَمَثَلُ الَّذِيْن كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌعُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُوْنَ} وقوله تعالى: [3586]{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُوْنَ أَو يَعْقِلُوْنَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيْلاً} وقوله تعالى: [3587]{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوْبٌ لاَ يَفْقَهُوْنَبِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُوْنَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُوْنَبِهَا أُوْلئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغَافِلُوْنَ}، وقوله تعالى: [3588]{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيْرِ}

[3574] الرعد 31
[3575] ق 28-29
[3576] ق 14
[3577] ص 14
[3578] هود 17
[3579] الصافات 71
[3580] الشعراء 8-68-103-121-158-174-190
[3581] الانعام 116
[3582] يوسف 103
[3583] البقرة 170
[3584] المائدة 104
[3585] البقرة 171
[3586] الفرقان 44
[3587] الاعراف 179
[3588] الملك 10

إلى غير ذلكمن الآيات. وأمّا الثالث منها: وهو كونهم يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا، فقد جاء أيضًا في غير هذا الموضع؛ كقوله تعالى: {وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيْلِ وَكَانُوا وقوله تعالى: [3589] {فَأَعْرِضْ عَنْ مَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَاوَلَمْ يُرِدْ إِ ّ َلا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذالِكَ مَبْلَغُهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ }.وأما الرابع منها: وهو كونهم غافلين عن الآخرة، فقد جاء في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى عنهم: [3590] {هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوْعَدُوْنَ إِنْ هِيَ إِ ّ َلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا }.وقوله تعالى عنهم: [3591] {وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِيْنَ} [3592] {وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوْثِيْنَ} [3593] {مَنْ يُحْيِـــيالْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيْمٌ} والآيات في ذلك كثيرة معلومة.

{أَوَلَمْ يَتفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمٰوَات وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} (الروم:8)

كقوله تعالى: [3594] {وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَات وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِيْنَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِ ّ َلا بِالْحَقِّ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُوْنَ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيْقَاتُهُمْ أَجْمَعِيْنَ} وقوله تعالى: [3595] {وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَات وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِ ّ َلا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ }.وقد أوضحه تعالى في قوله: [3596] {وَلِلّهِ مَا فِي السَّمٰوَات وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيُجْزِيَ الَّذِيْنَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى}وقوله تعالى: [3597] {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَآءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذالِكَ ظَنُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} وقوله تعالى: [3598] {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُوْنَ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلهَ إِ ّ َلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيْمِ}

{ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ} (الروم:10)

كقوله تعالى: [3599] {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوْبَهُمْ}، وقوله: [3600] {فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا} وقوله: [3601] {بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ }.وكقوله تعالى: [3602] {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوْبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوْهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا}.وقوله تعالى: [3603] {فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ}

[3589] النجم 29–30
[3590] المؤمنون 36–37
[3591] الدخان 35
[3592] الانعام 29– و المئومنون 37
[3593] يسن 78
[3594] الدخان 38– 40
[3595] الحجر 85
[3596] النجم 31
[3597] ص 27
[3598] المئومنون 115– 116
[3599] الصف 5
[3600] البقرة 10
[3601] النساء 135

{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ} (الروم:22)

كقوله تعالى :[3604] {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيْبُ سُوْدٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذالِكَ} . وقد أوضح تعالى إبطال تأثير الطبيعة غاية الإيضاح في سورة «الرعد»:[3605] {وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ} إلى قوله: {لِقَوْمٍ يَعْقِلُوْنَ} .

{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ} (الروم:43)

أي: يتفرّقون فريقين، أحدهما: في الجنة، والثاني: في النار. كقوله تعالى في هذه السورة الكريمة:[3606] {وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُوْنَ فَأَمَّا الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُوْنَ وَأَمَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَآءِ الآخِرَةِ فَأُوْلئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُوْنَ}، وقوله تعالى:[3607] {وَتُنْذِرُ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيْهِ فَرِيْقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيْقٌ فِي السَّعِيْرِ}،ويدلّ لهذا قوله بعده:[3608] {مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُوْنَ لِيَجْزِيَ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِيْنَ} وقوله تعالى :[3609] {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ} .

{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} (الروم:54)

قد بيّن تعالى الضعف الأول الذي خلقهم منه في آيات من كتابه، وبيّن الضعف الأخير في آيات أُخر؛ قال في الأوّل:[3610] {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّآءٍ مَّهِيْنٍ}، وقال:[3611] {خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيْمٌ مُّبِيْنٌ}، وقال تعالى :[3612] {أَوَ لَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُّطْفَةٍ}، وقال:[3613] {فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّآءٍ دَافِقٍ} وقال:[3614] {كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُوْنَ}،إلى

[3602] الاسراء 46
[3603] الاعراف 101
[3604] فاطر 27-28
[3605] الرعد 4
[3606] الروم 14-16
[3607] الشورى 7
[3608] الروم 44-45
[3609] الزلزلة 6
[3610] المرسلات 20
[3611] النحل 4
[3612] يسن 77
[3613] الطارق 5-6

غير ذلك من الآيات. وقال في الضعف الثاني: [3615]{وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ} وقال: [3616]{وَمَنْ نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلاَ يَعْقِلُوْنَ} إلى غير ذلك من الآيات. وأشار إلى القوة بين الضعفين في آيات من كتابه؛ كقوله: [3617]{فَإِذَا هُوَ خَصِيْمٌ مُّبِيْنٌ}

{وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْأِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} (الروم:56)

كقوله تعالى: [3618] {قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا}

[3614] المعارج 39

[3615] النحل 70– و الحج 5

[3616] يسن 68

[3617] النحل 4

[3618] يسن 52

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة لقمان

{الۤـمۤ * تِلْكَ ءايَـٰتُ الْكِتَـٰبِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ بِالاٌّخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَـٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىۤ أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ جَنَّـٰتُ النَّعِيمِ * خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى الاٌّرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ} (لقمان 1:-10)

قوله تعالىٰ: { الۤـمۤ * تِلْكَ ءايَـٰتُ الْكِتَـٰبِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ } . قد قدّمنا الآيات الموضحة لقوله: { هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِيْنَ } ، في أوّل سورة «البقرة»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { الم * ذٰلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيْهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ } . { وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } . ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكافر إذا تتلى عليه آيات الله، وهي هذا القرءان العظيم: { وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا } ، أي: متكبّرًا عن قبولها، كأنه لم يسمعها { كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا } ، أي: صممًا وثقلاً مانعاً له من سماعها، ثم أمر نبيّه ﷺ أن يبشّره بالعذاب الأليم. وقد أوضح جلّ وعلا هذا المعنى في آيات كثيرة؛ كقوله تعالىٰ: { وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيْمٍ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيْمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيْنٌ * مِنْ وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلاَ يُغْنِي عَنْهُمْ مَّا كَسَبُوا شَيْئًا وَلاَ مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُوْنِ اللهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ } ، وقد قال تعالىٰ هنا: { كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقَرًا } ، على سبيل التشبيه، وصرّح في غير هذا الموضع أنه جعل في أذنيه الوقر بالفعل في قوله: { إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوْبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوْهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقَرًا } ، والظاهر أن الوقر المذكور على سبيل التشبيه الوقر الحسّي؛ لأن الوقر المعنوي يشبه الوقر الحسّي والوقر المجعول على آذانهم بالفعل، هو الوقر المعنوي المانع من سماع الحقّ فقط، دون سماع غيره، والعلم عند الله تعالىٰ. { خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا } . قد قدّمنا إيضاحه بالآيات القرءانيّة في أوّل سورة «الرعد»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا } .

{هَـٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لاِبْنِهِ

وَهُوَ يَعِظُهُ يٰبُنَىَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الإِنْسَـٰنَ بِوٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِى وَلِوٰلِدَيْكَ إِلَىَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَـٰحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّمَـٰوٰتِ أَوْ فِى الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يٰبُنَىَّ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوٰتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ * أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى السَّمَـٰوٰتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ * وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَىٰ اللَّهِ عَـٰقِبَةُ الأُمُورِ * وَمَن كَفَرَ فَلاَ يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوۤاْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ * لِلَّهِ مَا فِى السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ * وَلَوْ أَنَّمَا فِى الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وٰحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ الَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِى الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىۤ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَـٰطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِىُّ الْكَبِيرُ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِّنْ ءَايَـٰتِهِ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّـٰهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِأَايَـٰتِنَآ إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ * يٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَاخْشَوْاْ يَوْماً لاَّ يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيمٌ خَبِيرٌ} (لقمان:34-11)

{ هَـٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ } . قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «الرعد»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ }، وفي أوّل سورة «الفرقان». { وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لاِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يٰبُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ } . دلّت هذه الآية الكريمة على أن الشّرك ظلم عظيم. وقد بيّن تعالىٰ ذلك في آيات أُخر؛ كقوله تعالىٰ: { وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِيْنَ }، وقوله تعالىٰ: { وَالْكَافِرُوْنَ هُمُ الظَّالِمُوْنَ }، وقد ثبت في الصحيح عن النبيّ ﷺ أنه فسّر الظلم في قوله تعالى: { الَّذِيْنَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَـٰنَهُمْ بِظُلْمٍ }، بأنه الشرك، وبيّن ذلك بقوله هنا: { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيْمٌ }، وقد أوضحنا هذا سابقًا. { وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ } . معناه: لا تتكبّر على الناس، ففي الآية نهي عن التكبّر على الناس، والصعر: الميل، والمتكبّر يميل وجهه عن الناس، متكبّرًا عليهم، معرضًا عنهم، والصعر: الميل، وأصله: داء يصيب البعير يلوي منه عنقه، ويطلق على المتكبّر يلوي عنقه ويميل خدّه عن الناس تكبّرًا عليهم، ومنه قول عمرو بن حني التغلبي:

وكنّا إذا الجبار صعّر خدّه
أقمنا له من ميله فتقوّما

وقول أبي طالب:

وكنّا قديمًا لا نقرّ ظلامة
إذا ما ثنوا صعر الرءُوس نقيمها

ومن إطلاق الصعر على الميل، قول النمر بن تولب العلكيّ:

إنا أتيناك وقد طال السفر
نقود خيلاً ضمّرًا فيها صعر

وإذا علمت أن معنى قوله: { وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ }، لا تتكبّر عليهم. فاعلم أنّا قدّمنا في سورة «الأعراف»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { فَمَا يَكُوْنُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِيْنَ }، الآيات القرءانية الدالّة على التحذير من الكبر المبيّنة لكثرة عواقبه السيّئة، وأوضحنا ذلك مع بعض الآيات الدالّة على حسن التواضع، وثناء اللَّه على المتواضعين. { وَلاَ تَمْشِ فِى الأَرْضِ مَرَحاً } . قد قدّمنا إيضاحه وتفسير الآية في سورة «بني إسرٰئيل»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً } . { وَاقْصِدْ فِى مَشْيِكَ } . قد قدّمنا الآيات الموضحة له في مواضع؛ كقوله: { وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِيْنَ يَمْشُوْنَ عَلَىٰ الأَرْضِ هَوْنًا }، وقوله تعالىٰ: { وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا } . { وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ } . قد قدّمنا إيضاحه في أوّل سورة «الحجّ». وكذلك قوله تعالىٰ: { أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَـٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ } . قدّمنا الآيات الموضحة له أيضًا في أوّل سورة «الحجّ»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيْهِ إِلَىٰ عَذَابِ الْسَّعِيْرِ } . { وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ }. قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «بني إسرائيل»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { إِنَّ هَـٰذَا الْقُرءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ }. { وَلَوْ أَنَّمَا فِى الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ اللَّهِ }. قد قدّمنا إيضاحه في سورة «الكهف»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي }. { مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وٰحِدَةٍ }. قد قدّمنا إيضاحه في أوّل سورة «البقرة»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { كَذٰلِكَ يُحْيِــي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ }. { وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُاْ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ }. قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «بني إسرائيل»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُوْنَ إِلاَّ إِيَّاهُ }، وفي «الأنعام»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ الْسَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُوْنَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِيْنَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُوْنَ }، وفي غير ذلك. { إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَـداً وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلَيمٌ خَبِيرٌ }. قد قدّمنا في سورة «الأنعام»، أن هذه الخمسة المذكورة في خاتمة سورة «لقمان»، أنها هي مفاتح الغيب المذكورة في قوله تعالىٰ: { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ }، وأن النبيّ ﷺ أوضح ذلـك بالسنّة الصحيحة.

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة السجدة

{الٓمٓ * تَنزِيلُ الْكِتَٰبِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أَتَٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ * اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَاتِوَالاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ الاٌّمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الاٌّرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ * ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَـٰدَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَٰنِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَٰرَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ * وَقَالُوۤاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى الاٌّرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُم بِلقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ}(السجدة: 1-10)

قوله تعالىٰ: { أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أَتَـٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ }. قد قدّمنا إيضاحه في سورة «بني إسرائيل»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِيْنَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُوْلاً }. { يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الاَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ }. ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض، وأنه يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة. وأشار تعالىٰ إلى هذا المعنى في قوله: { اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ }، وقد بيّن في سورة «الحجّ»، أن اليوم عنده تعالىٰ كألف سنة مما يعدّه الناس، وذلك في قوله تعالى: { وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّوْنَ }، وقد قال تعالىٰ في سورة «سأل سائل»: { تَعْرُجُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوْحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍ الجمع بين هذه الآيات من وجهين: الأول: هو ما أخرجه ابن أبي حاتم، من طريق سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس من أن يوم الألف في سورة «الحجّ»، هو أحد الأيام الستّة التي خلق الله فيها السمٰوات والأرض، ويوم الألف في سورة «السجدة»، هو مقدار سير الأمر وعروجه إليه تعالىٰ، ويوم الخمسين ألفًا هو يوم القيامة. الوجه الثاني: أن المراد بجميعها يوم القيامة، وأن الاختلاف باعتبار حال المؤمن والكافر، ويدلّ لهذا الوجه قوله تعالى: { فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيْرٌ * عَلىٰ الْكَافِرِيْنَ غَيْرُ يَسِيْرٍ }، وقوله تعالىٰ: { يَقُوْلُ الْكَافِرُوْنَ هٰذَا يَوْمٌ عَسِيْرٌ }. وقد أوضحنا هذا الوجه في سورة «الفرقان»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيْلاً }، : أن أبا عبيدة روى عن إسمٰعيل بن إبرٰهيم، عن أيّوب، عن ابن أبي مليكة أنه حضر كلاًّ من ابن عباس وسعيد بن المسيّب سئل عن هذه الآيات، فلم يدرِ ما يقول فيها، ويقول: لا أدري.

{قُلْ يَتَوَفَّـٰكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ * وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ * وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ

هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنْسى لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰـذَآ إِنَّا نَسِينَٰـكُمْ وَذُوقُـواْ عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِأآيَـتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّداً وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ * تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَٰـهُمْ يُنفِقُونَ * فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَ يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوۤاْ أَن يَخْرُجُواُ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (السجدة: 11-21)

{ قُلْ يَتَوَفَّـٰكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ }. ظاهر هذه الآية الكريمة أن الذي يقبض أرواح الناس ملك واحد معين، وهذا هو المشهور، وقد جاء في بعض الآثار أن اسمه عزرائيل. وقد بيّن تعالىٰ في آيات أخر أن الناس تتوفّاهم ملائكة لا ملك واحد؛ كقوله تعالىٰ: { إِنَّ الَّذِيْنَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ }، وقوله تعالىٰ: { فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُوْنَ وُجُوْهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ }، وقوله تعالىٰ: { وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ الظَّالِمُوْنَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلاَئِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيْهِمْ }، وقوله تعالىٰ: { حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُوْنَ }، إلى غير ذلك من الآيات. وإيضاح هذا عند أهل العلم: أن الموكل بقبض الأرواح ملك واحد، هو المذكور هنا، ولكن له أعوان يعملون بأمره ينتزعون الروح إلى الحلقوم، فيأخذها ملك الموت، أو يعينونه إعانة غير ذلك. وقد جاء في حديث البراء بن عازب الطويل المشهور: أن النبيّ ﷺ ذكر فيه: «أن ملك الموت إذا أخذ روح الميت أخذها من يده بسرعة ملائكة فصعدوا بها إلى السماء»، وقد بيّن فيه ﷺ ما تعامل به روح المؤمن وروح الكافر بعد أخذ الملائكة له من ملك الموت حين يأخذها من البدن، وحديث البراء المذكور صححه غير واحد، وأوضح ابن القيّم في كتاب «الروح»، بطلان تضعيف ابن حزم له. والحاصل: أن حديث البراء المذكور، دلَّ على أن مع ملك الموت ملائكة أخرين يأخذون من يده الروح، حين يأخذه من بدن الميّت. وأمّا قوله تعالى: { اللهُ يَتَوَفَّىٰ الأَنْفُسَ حِيْنَ مَوْتِهَا }، فلا إشكال فيه؛ لأن الملائكة لا يقدرون أن يتوفّوا أحدًا إلاّ بمشيئته جلَّ وعلا: { وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوْتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلاً }. فتحصل: أن إسناد التوفي إلى ملك الموت في قوله هنا: { قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ }، لأنه هو المأمور بقبض الأرواح، وأن إسناده للملائكة في قوله تعالىٰ: { فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ }، ونحوها من الآيات؛ لأن لملك الموت أعوانًا يعملون بأمره، وأن إسناده إلى الله في قوله تعالىٰ: { اللهُ يَتَوَفَّىٰ الأَنْفُسَ حِيْنَ مَوْتِهَا }، لأن كل شيء كائنًا ما كان لا يكون إلا بقضاء الله وقدره، والعلم عند الله تعالىٰ. { وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ }. قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «الأعراف»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيْلُهُ يَقُوْلُ الَّذِيْنَ نَسُوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَآءَ }، وفي سورة «مريم»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ

يَأْتُونَنَا }. { وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَـٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّى لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ }. قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «يونس»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيْعًا }.

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِأايَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَٰبَ فَلاَ تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِ وَجَعَلْنَٰـــهُ هُدًى لِّبَنِىۤ إِسْرَٰءِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِأايَٰتِنَا يُوقِنُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لأَيَاتٍ أَفَلاَ يَسْمَعُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ الْمَآءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لاَ يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوۤاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُمْ مُّنتَظِرُونَ} (السجدة:22-30)

{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِأايَـٰــتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ }. قد قدّمنا الآيات الموضحة له مع بيان الآيات الدالَّة على العواقب السيّئة الناشئة عن الإعراض، عن التذكير بآيات الله في سورة «الكهف»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ }. { أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَاكِنِهِمْ }. قد قدّمنا بعض الآيات الموضحة له في آخر سورة «مريم»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا }. { أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ الْمَآءَ إِلَى الاَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـــٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ }. قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «طه»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيْهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَّآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْعوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِاوْلِي النُّهَىٰ }، وقد أوضحنا تفسير الأرض الجرز مع بعض الشواهد العربية في سورة «الكهف»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَإِنَّا لَجَاعِلُوْنَ مَا عَلَيْهَا صَعِيْدًا جُرُزًا }. { وَيَقُولُونَ مَتىٰ هـــٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صـــٰدِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لاَ يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِيمـٰـــنُهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ }. أظهر أقوال أهل العلم عندي هو أن الفتح في هذه الآية الكريمة هو الحكم والقضاء، وقد قدّمنا أن الفتاح: القاضي، وهي لغة حميرية قديمة، والفتاحة: الحكم والقضاء، ومنه قوله:

ألا من مبلغ عمرًا رسولا

بأني عن فتاحتكم غني

وقد جاءت آيات تدلّ على أن الفتح الحكم؛ كقوله تعالى عن نبيّه شعيب: { عَلىٰ الله تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِيْنَ }، أي: احكم بيننا بالحق، وأنت خير الحاكمين. وقوله تعالىٰ عن نبيّه نوح: { قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُوْنِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا }، أي: احكم بيني وبينهم حكمًا. وقوله تعالىٰ: { قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيْمُ }، وقوله تعالىٰ: { إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَآءَكُمُ الْفَتْحُ }، أي: إن تطلبوا الحكم بهلاك الظالم منكم، ومن النبيّ ﷺ فقد

جاءكم الفتح، أي: الحكم بهلاك الظالم وهو هلاكهم يوم بدر؛ كما قاله غير واحد. وقد ذكروا أنهم لما أرادوا الخروج إلى بدر، جاء أبو جهل، وتعلّق بأستار الكعبة، وقال: اللّٰهمّ إنا قطان بيتك نسقي الحجيج، ونفعل ونفعل، وإن محمّدًا قطع الرحم وفرّق الجماعة، وعاب الدّين، وشتم الآلهة، وسفّه أحلام الآباء، اللهم أهلك الظالم منّا ومنه، فطلب الحكم على الظالم، فجاءهم الحكم على الظالم فقتلوا ببدر، وصاروا إلى الخلود في النار، إلى غير ذلك من الآيات. وعلى قول من قال من أهل العلم: إن المراد بالفتح في الآية الحكم والقضاء بينهم يوم القيامة، فلا إشكال في قوله تعالىٰ: { قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لاَ يَنْفَعُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ }، وعلى القول بأن المراد بالفتح في الآية الحكم بينهم في الدنيا بهلاك الكفّار، كما وقع يوم بدر. فالظاهر أن معنى قوله تعالى: { قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لاَ يَنْفَعُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ }، أي: إذا عاينوا الموت و شاهدوا القتل، بدليل قوله تعالىٰ: { فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِيْنَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُوْنَ }، وقوله تعالىٰ: { وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِيْنَ يَعْمَلُوْنَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ }، وقوله تعالىٰ في فرعون: { حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّه لاَ إِلٰهَ إِ ّ لا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرٰئِيْلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ * آلآنَ وَقَدَ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِيْنَ }. ولا يخفى أن قول من قال من أهل العلم: إن الفتح في هذه الآية فتح مكّة أنه غير صواب، بدليل قوله تعالىٰ: { قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لاَ يَنْفَعُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ } ومعلوم أن فتح مكّة لا يمنع انتفاع المؤمن في وقته بإيمانه، كما لا يخفى. ف.ه=''مق'' {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ }. جاء معناه موضحًا في آيات أُخر؛ كقوله تعالىٰ: { أَمْ يَقُوْلُوْنَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُوْنِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِيْنَ }، ومعلوم أن التربّص هو الانتظار. وقوله تعالى: { قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مْنْتَظِرُوْنَ }، إلى غير ذلك من الآيات.جعة

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الاحزاب(اجمالاً)

{مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ }(الأحزاب:4)

{النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} (الأحزاب:6)

{وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ الله مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفاً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً} (الأحزاب:6) {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً} (الأحزاب:7)

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً} (الأحزاب:9) {وَلَمَّا رَأى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً} (الأحزاب:22) {وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً} (الأحزاب:25)

{وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لله وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً } (الأحزاب:31) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيرا} (الأحزاب:41)

كقوله تعالى في سورة «المجادلة»: [3619]{الَّذِيْنَ يُظَاهِرُوْنَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَآئِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ}. وقد بيّن الكفارة اللازمة في ذلك عند العود وذلك في قوله تعالى: [3620]{الَّذِيْنَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَآئِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُوْلُوْنَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُوْرًا وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُوْرٌ وَالَّذِيْنَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُوْدُوْنَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَآسَّا ذلِكُمْ تُوْعَظُوْنَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَآسَّا ذلِكُمْ تُوْعَظُوْنَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ خَبِيْرٌ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَآسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّيْنَ مِسْكِيْنًا ذلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِالله وَرَسُوْلِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ الله وَلِلْكَافِرِيْنَ عَذَابٌ أَلِيْمٌ }.المراد بكون أزواجه صلى الله عليه وسلم أُمّهات المؤمنين هو حرمتهن عليهم، كحرمة الأُم واحترامهم لهن كاحترام الأُم إلخ. واضح لا إشكال فيه. ويدلّ له قوله تعالى: [3621]{وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَآءِ حِجَابٍ} لأن الإنسان لا يسأل أُمّه الحقيقية من وراء حجاب. وقوله

[3619] المجادلة 2–4

[3620] المجادلة 2

[3621] الاحزاب 53

تعالى:[3622] {إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ}. كقوله تعالى:[3623] {وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللهِ }. بيّن الميثاق المأخوذ على جميع النبيّين بقوله تعالى في سورة «آل عمران»:[3624] {وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيْثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَماا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُوْلٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِيْنَ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفَاسِقُوْنَ}. وقد بيّن جلّ وعلا الميثاق الذي أخذه على خصوص الخمسة الذين هم أُولوا العزم من الرسل في سورة «الشورى» في قوله تعالى:[3625] {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّيْنِ مَا وَصَّى بِهِ نُوْحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْراهِيْمَ وَمُوْسَى وَعِيْسَى أَنْ أَقِيْمُوا الدِّيْنَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيْهِ} كقوله تعالى:[3626] {وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِيْنَ ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِيْنَتَهُ عَلَى رَسُوْلِهِ وَعَلَىالْمُؤْمِنِيْنَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} وهذه الجنود التي لم يروها هي الملائكة وقد بيّن اللّه جلّ وعلا في «براءة» أنّه أيّد بها نبيّه صلى الله عليه وسلم وهو في الغار، وذلك في قوله:**[3627]** {إِلاَّ تَنْصُرُوْهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُوْلُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا}

لم يبيّن هنا الآية التي وعدهم إياه فيها ولكنّه بيّن ذلك في سورة «البقرة»، في قوله تعالى:[3628] {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالْضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُوْلَ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلاا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيْبٌ}. وقوله في هذه الآية الكريمة: {وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيْمَانًا} كقوله تعالى:[3629] {لِيَزْدَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ} وقوله تعالى:[3630] {فَأَمَّا الَّذِيْنَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا} إلى غير ذلك من الآيات. }لم يبيّن هنا السبب الذي ردّ به الذين كفروا وكفى به المؤمنين القتال ولكنه جلّ وعلا بيّن ذلك بقوله:[3631] {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيْحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا}. كقوله تعالى:[3632] {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُوْنَ الَّذِيْنَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُوْنَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِيْنَ أُولئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ}. ومن ذلك وعده لجميع المطيعين من أُمّته صلى الله عليه وسلم بإيتائهم كفلين من رحمته تعالى وذلك في قوله جلّ وعلا:[3633] {يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُوْلِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا

[3622] المجادلة 2
[3623] الانفال 75
[3624] ال عمران 81-82
[3625] الشورى 13
[3626] التوبة 25- 26
[3627] التوبة 40
[3628] البقرة 214
[3629] الفتح 4
[3630] التوبة 124
[3631] الحزاب 9
[3632] القصص 51- 54
[3633] الحديد 28

تَمْشُوْنَ بِه وَيَغْفِرْ لَكُمْ} كقوله تعالى: [3634]{فَاذْكُرُواْ اللّٰهَ قِيَامًا وَقُعُوْدًا وَعَلَى جُنُوْبِكُمْ} وقوله تعالى: [3635]{الَّذِيْنَ يَذْكُرُوْنَ اللّٰهَ قِيَامًا وَقُعُوْدًا وَعَلَى جُنُوْبِهِمْ} وقوله تعالى: [3636]{وَالْذَّاكِرِيْنَ اللّٰهَ كَثِيْرًا وَالْذَّاكِرَاتِ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَبَشِّرْ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنْ اللهِ فَضْلاً كَبِيرًا} (الأحزاب: 47)

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الكَبِيرُ} [الشورى: 22]

{وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ}(الأحزاب: 53)

{وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلا مَا ظَهَرَ مِنْهَا(}النور:)31

{يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنّ} (الأحزاب: 59)

{وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ(}الأحزاب: 60)

{لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً} (الأحزاب60){مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً(}الأحزاب:60-61)

{فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ} (الأحزاب: 32)

{إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: 9]

{ذلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ (}الأحزاب:) 59

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ} [ق: 20]

{وَالْقَوَاعِدُ مِنْ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: 60]

{وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ} [النور:60]

{وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الاوَّلِينَ} [الشعراء: 184]

{فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} (الأحزاب: 53)

[3634] النساء 103

[3635] ال عمران 191

[3636] الاحزاب 35

{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: 31]

{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} [النحل: 44]

{يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ}(36){رِجَالٌ} [النور: 36-37]

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: 21]

{يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنْ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ} [63]

{إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ} [لقمان: 34]

{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ} [الأنعام: 59]

{يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} [الأعراف: 187]

{يَسْأَلُونَكَ عَنْ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا}(42){فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا}(43){إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا}(44)[النازعات: 42-44]

{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ [فصلت: 47]

{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا}(الأحزاب: 63)

وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ(17)[الشورى: 17]

اقْتَرَبَتْ السَّاعَةُ [القمر: 1]

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ [الأنبياء: 1]

أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ [النحل: 1]

{إِنَّ اللهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا}(الأحزاب:64)

{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا }(الأحزاب:65)

{يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُول}(الأحزاب:66) {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ}(الأحزاب:67){رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنْ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا}(الأحزاب:68)

{إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً}(الأحزاب:72)

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ [البقرة: 74]

تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [الإسراء: 44]
وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ [الأنبياء: 79]
وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ [الإسراء: 44]
إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً [الأحزاب: 72]

{لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا}(الأحزاب: 73)

وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلا فِي كِتَابٍ [فاطر: 11]
وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا [الفرقان: 61]

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة سبأ

{ الْحَمْدُ لله الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوَات وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} (ســبأ:1) {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ} (ســبأ:2)

كقوله فى سورة «الحديد»، في قوله: {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَايَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ الْسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيْهَا وَهُوَمَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ} وكما أوضحه بقوله تعالى : [3637]{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ الْسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيْعَ فِي الأَرْضِ} وقوله: [3638]{وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْسَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ}، كما قال جلّ وعلا: [3639]{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيْهَا نُعِيْدُكُمْ} وقال: [3640]{أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْض كِفَاتًا أَحْيَآءً وَأَمْوَاتًا}، كما قال تعالى : [3641]{وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِيْنٍ} وبقوله: [3642]{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الْطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الْصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} كما قال تعالى : [3643]{تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالْرُّوْحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُه خَمْسِيْنَ أَلْفَ سَنَةٍ }

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَات وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (ســبأ:3)

هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابعة لهنّ، ممّا أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربّه العظيم على وقوع المعاد، فإحداهنّ في سورة «يونس» عليه السّلام، وهي قوله تعالى: {وَيَسْتَنْبِؤُنَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُم بِمُعْجِزِيْنَ}، والثانية هذه: والثالثة في سورة «التغابن»، وهي قوله تعالى: {زَعَمَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا أَنْ لَّنْ يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ }. وهىكقوله تعالى: [3644]{وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ وَلاَ يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوْتُ} وقوله تعالى : [3645]{وَضَرَبَ لَنَا

[3637] الزمر 21

[3638] المئومنون 18

[3639] طه 55

[3640] المرسلات 25– 26

[3641] الانعام 59

[3642] فاطر 10

[3643] المعارج 4

[3644] النحل 38

[3645] يسين 78

مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِـــي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيْمٌ} وقوله تعالى : [3646]{وَيَقُوْلُ الإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا} ، وقوله تعالى عنهم: [3647]{وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِيْنَ} [3648]{وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِيْنَ} والآيات بمثل ذلك كثيرة جدًّا .

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَات وَلا فِي الْأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} (ســبأ:3)

كقوله تعالى : [3649]{وَمَا تَكُوْنُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْءانٍ وَلاَ تَعْمَلُوْنَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوْدًا إِذ تُفِيْضُوْنَ فِيْهِوَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَّبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَآءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِيْنٍ}،وقوله تعالى : [3650]{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِيالْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَات الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَآبِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِيْنٍ} والآيات بمثل ذلك كثيرة .

[3646] **مريم 66**

[3647] **الانعام 29**

[3648] **الدخان 35**

[3649] **يونس 61**

[3650] **الانعام 59**

{وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ)} (سبأ:5)

لم يبيّن هنا نوع هذا العذاب، ولكنّه بيّنه بقوله في «الحجّ»: [3651]{وَالَّذِيْنَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِيْنَ أُوْلئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيْمِ}، كما قال: [3652]{فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوا رِجْزًا}

{ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} (سبأ:9)

كقوله تعالى : [3653]{أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوْجٍ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيْهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيْجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيْبٍ}، وقوله تعالى : [3654]{أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوْتِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُوْنَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ} وقوله تعالى : [3655]{وَكَأَيِّنْ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمٰوَات وَالأَرْضِ يَمُرُّوْنَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُوْنَ} والآيات بمثل ذلك كثيرة معروفة.

{إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ)} (سبأ:9)

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أمرين: أحدهما: أنه إن شاء خسف الأرض بالكفار، خسفها بهم لقدرته على ذلك. كقوله تعالى : [3656]{أَأَمِنْتُمْ مَّنْ فِي السَّمَآءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُوْرُ} وقوله تعالى : [3657]{أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ}، وقوله تعالى :[3658] {لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا} وقوله تعالى في «الأنعام»: [3659]{أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ }. والثاني: أنه إن شاء أن يسقط عليهم كسفًا من السماء، فعل ذلك أيضًا لقدرته عليه. كقوله تعالى عن الكفّار: [3660]{أَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا}.

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ)} (سبأ:10)

[3651] الحج 51
[3652] البقرة 59
[3653] ق 6-8
[3654] الاعراف 185
[3655] يوسف 105
[3656] الملك 16
[3657] الاسراء 68
[3658] القصص 82
[3659] الانعام 65
[3660] الاسراء 92

كقوله تعالى: [3661]{وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوْتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَآءُ} وقوله تعالى: [3662]{وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ} وقوله تعالى : [3663]{وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} وقوله تعالى : {فَغَفَرْنَا لَهُ ذلِكَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} وقوله تعالى: [3664]{فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَي وَحُسْنَ مَآبٍ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَي فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } وقوله تعالى : [3665]{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمانَ عِلْمًا وَقَال الْحَمْدُ لله الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيْرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِيْنَ} وقوله تعالى : [3666] {وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّيْنَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا} إلى غير ذلك من الآيات

{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ قُلِ اللهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}(سبأ:24)

كقوله تعالى : [3667]{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُوْلُوْنَ اللهُ قُل لاَّ تُسْأَلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلاَ نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ }وكقوله تعالى: [3668]{وَإِنْ كَذَّبُوْكَ فَقُلْ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيْئُوْن مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُوْنَ} وقوله تعالى : [3669]{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُوْنَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُوْنَ} إلى قوله: {لَكُمْ دِيْنُكُمْ وَلِيَ دِيْنِ} وكقوله تعالى عن نبيّه هود عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسّلام: [3670]{قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُوْا أَنِّي بَرِيْءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُوْنِهِ فَكِيْدُوْنِي جَمِيْعًا ثُمَّ لاَ تُنْظِرُوْنِ } .

[3661] البقرة 25
[3662] ص 20
[3663] ص 30
[3664] ص 25
[3665] النمل 15
[3666] الاسراء 55
[3667] يونس 31
[3668] يونس 41
[3669] الكافرون 1–6
[3670] هود 54–55

كما قال تعالى : [3671]{إِنْ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ إِلاَّ إِنَاثًا} قوله تعالى : [3672]{وَجَعَلُوا لله شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوْهُمْ أَمْ تُنَبِّؤُنَهُ بِمَا لاَ يَعْلَم فِي الأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِيْنَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيْلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ }

{وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} (سبأ:45)

كقوله تعالى : [3673]{كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ} قوله تعالى : [3674]{وَأَثَارُواْ الأَرْضَ وَعَمَرُوْهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوْهَا}

[3671] النساء 117

[3672] الرعد 33

[3673] غافر 82

[3674] الروم 9

تفسيرالفاروق

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة فاطر

{الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (فاطر:1)

كقوله تعالى في أوّل سورة «الأنعام»: [3675]{الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَالسَّمٰوَات وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّوْرَ}، وقوله في أوّل سورة «سبأ»: [3676] {الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوَات وَمَا فِي الأَرْضِ} وقوله تعالى في أوّل سورة «الفاتحة»: [3677] {الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ}. وكقوله تعالى: [3678]{وَسَلاَمٌ عَلَى الْمُرْسَلِيْنَ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ}،وقوله: [3679]{وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. وأمّا استحقاقه للحمد على خلقه بخلق السماوات والأرض، كقوله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمٰوَات وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيْعًا مِّنْهُ}، وقوله تعالى: [3680]{وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنَ}وقوله تعالى: [3681]{وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُوْمَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِأَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ}.

{مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (فاطر:2)

كما قال تعالى: [3682]{فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْد مَوْتِهَا}. وقوله تعالى: [3683]{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} وقوله تعالى: [3684]{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ} ومن رحمته إرسال الرسل، وإنزال الكتب؛ كقوله تعالى: [3685] {وَمَا كُنْتَ تَرْجُواْ أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ} وقوله تعالى: [3686]{فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا}. وكقوله تعالى: [3687]{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ

[3675] الانعام 1
[3676] سبأ 1
[3677] الفاتحة 2
[3678] الصافات 181– 182
[3679] الزمر 75
[3680] ابراهيم 33
[3681] الاعراف 54
[3682] الروم 50
[3683] الاعراف 57
[3684] الشوراى
[3685] القصص 86
[3686] الكهف 65
[3687] يونس 107

يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ} وقوله تعالى : [3688]{قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا}، وقوله تعالى : [3689]{قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً} إلى غير ذلك من الآيات. و قوله تعالى :[3690]{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ}

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} (فاطر:3)

كقوله تعالى : [3691]{أَمْ جَعَلُوا للهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ}. وفي سورة «الفرقان»، في قوله تعالى : [3692]{وَاتَّخَذُواْ مِنْ دُوْنِهِ آلِهَةً لاَّ يَخْلُقُوْنَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُوْنَ} وكقوله تعالى : [3693]{أَمَّنْ هذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ} وقوله:[3694]{فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ}. و قوله تعالى : [3695]{إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}.

{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} (فاطر:4)

كقوله تعالى: [3696]{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوْذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا} وقوله تعالى: [3697]{مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيْلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ} والآيات بمثل ذلك كثيرة معروفة.

{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} (فاطر:6)

قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «الحجّ» في الكلام على قوله تعالى: [3698]{كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاَّهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيْهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيْرِ}.

[3688] الفتح 11
[3689] الاحزاب 17
[3690] الانعام 17
[3691] الرعد 16
[3692] الفرقان 3
[3693] الملك 21
[3694] العنكبوت 17
[3695] الاسراء 9
[3696] الانعام 34
[3697] فصلت 43
[3698] الحج 4

{أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} (فاطر:8)

قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «الأنعام»، في الكلام على قوله تعالى : [3699]{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُوْلُوْنَ} . وفي «الكهف»، في الكلام على قوله تعالى : [3700]{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ} وغير ذلك من المواضع.

{وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ} (فاطر:9)

ما تضمّنته هذه الآية الكريمة من أن إحياءه تعالى الأرض بعد موتها المشاهد في دار الدنيا برهان قاطع على قدرته على البعث، قد تقدّم إيضاحه بالآيات القرءانية في مواضع كثيرة في سورة «البقرة»، و «النحل» و «الأنبياء» وغير ذلك، وقد تقدّمت الإحالة عليه مرارًا

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} (فاطر:10)

كقوله تعالى : [3701] {وَاتَّخَذُواْ مِنْ دُوْنِ اللهِ آلِهَةً لِّيَكُوْنُواْ لَهُمْ عِزًّا كَلاَّ سَيَكْفُرُوْنَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُوْنُوْنَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} وقوله تعالى : [3702]{الَّذِيْنَ يَتَّخِذُوْنَ الْكَافِرِيْنَ أَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ أَيَبْتَغُوْنَ عِنْدَهُم الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيْعًا} وقوله تعالى : [3703]{وَلاَ يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيْعًا هُوَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ}وقوله تعالى : [3704]{يَقُوْلُوْنَ لَئِنْ رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِيْنَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُوْلِهِ} وقوله تعالى : [3705]{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُوْنَ}

{وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ} (فاطر:10)

قد تقدّم بعض الكلام عليه في سورة «النحل»،وقد قدّمنا في مواضع أُخر أن من مكرهم السيئات كفرهم بالله وأمرهم أتباعهم به؛ كما قال تعالى: [3706]{وَقَالَ الَّذِيْنَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُوْنَنَا أَنْ نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا}

[3699] الانعام 33
[3700] الكهف 6
[3701] مريم 81– 82
[3702] النساء 139
[3703] يونس 65
[3704] المنافقون 8
[3705] الصافات 180

وكقوله تعالى: [3707]{وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا }، والعلم عند الله تعالى}

{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً} (فاطر:11)

قد تقدّم إيضاحه بالآيات القرءانيّة في أوّل سورة «الحجّ»، في الكلام على قوله تعالى:[3708] {يَآأَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ.

{ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} (فاطر:11)

قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «الرعد»، في الكلام على قوله تعالى: [3709]{اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيْضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ}

{وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (فاطر:11)

قد قدّمنا بعض الكلام عليه في آخر سورة «الأحزاب» في الكلام على قوله تعالى: [3710]{وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوْمًا جَهُوْلاً}. وفي سورة «الفرقان» في الكلام على قوله تعالى: [3711]{وَجَعَلَ فِيْهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيْرًا }.

{وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} (فاطر:12)

تقدّم إيضاحه في سورة «الفرقان»، في الكلام على قوله تعالى: [3712]{وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ }

[3706] سبأ 33
[3707] نوح 22–23
[3708] الحج 5
[3709] الرعد 8
[3710] الاحزاب 72
[3711] الفرقان 61
[3712] الفرقان 53

{وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (فاطر:12)

قد تقدّم الكلام عليه مع بسط أحكام فقهية تتعلق بذلك في سورة «النحل»، في الكلام على قوله تعالى [3713]{وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْه حِلْيَةً تَلْبَسُوْنَهَا }.

{إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} (فاطر:14)

قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «مريم»، في الكلام على قوله تعالى :[3714] {كَلاَّ سَيَكْفُرُوْن بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُوْنُوْنَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا}

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} (فاطر:15)

كقوله تعالى : [3715]{وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَآءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} وقوله تعالى : [3716]{فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللهُ وَاللهُ غَنِيٌّ حَمِيْدٌ} وقوله تعالى: [3717]{وَقَالَ مُوْسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيْعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيْدٌ} إلى غير ذلك من الآيات. وبذلك تعلم عظم افتراء {الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقَيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} وقد هدّدهم الله على ذلك، بقوله: [3718]{سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُوْلُ ذُوْقُوا عَذَابَ الْحَرِيْقِ }.

{إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ}(فاطر:16) {وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ} (فاطر:17)

قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «النساء»، في الكلام على قوله تعالى : [3719]{إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُم أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِيْنَ وَكَانَ اللهُ عَلَى ذلِكَ قَدِيْرًا }.

[3713] النحل 14

[3714] مريم 82

[3715] محمد 38

[3716] التغابن 6

[3717] ابراهيم 8

[3718] ال عمران 181

[3719] النساء 133

{وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ} (فاطر:18)

قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «بني إسرائيل»، في الكلام على قوله تعالى : [3720]{وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِيْنَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُوْلاً }.

{ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى } (فاطر:18)

قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «النحل»، في الكلام على قوله تعالى : [3721]{لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِيْنَ يُضِلُّوْنَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَآءَ مَا يَزِرُوْنَ} ووجه الجمع بين أمثال هذه الآية وبين قوله تعالى: [3722]{وَلَيَحْمِلُن أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أَثْقَالِهِمْ} ونحوها من الآيات.

{إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ} (فاطر:18)

كقوله تعالى: [3723]{وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُوْنَ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الْذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ} وقوله: [3724]{إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا} وقوله تعالى: [3725]{فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَنْ يَخَافُ وَعِيْدِ} وقد قدّمنا معنى الإنذار وأنواعه موضحًا في سورة «الأعراف»، في الكلام على قوله تعالى : [3726]{فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِيْن}

{وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} (فاطر:19)

قد قدّمنا إيضاحه بالآيات في أوّل سورة «هود»، في الكلام على قوله تعالى: [3727]{مَثَلُ الْفَرِيْقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيْرِ وَالْسَّمِيْعِ }.

[3720] الاسراء 15
[3721] النحل 25
[3722] العنكبوت 13
[3723] يسين 10–11
[3724] النازعات 45
[3725] ق 45
[3726] الأعراف 2
[3727] هود 24

{وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} (فاطر:22)

{الأَحْيَاءُ} هنا: المؤمنون، و {الأَمْوَاتُ}: الكفار؛ فالحياة هنا حياة إيمان، والموت موت كفر. كقوله تعالى : [3728]{أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} وكقوله تعالى : [3729]{لِّيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِيْنَ}

[3728] الانعام 123

[3729] يسين 70

تفسير الفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة يٰس

{يٰسٓ} (يٰـس:1) {وَالْقُرْآنِ الْحَكِيم} (يٰـس:2) {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} (يٰـس:3)

موجب التوكيد لكونه من المرسلين، هو إنكار الكفار لذلك في قوله تعالى :[3730] {وَيَقُوْلُ الَّذِيْنَكَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً} في سورة «البقرة» في الكلام على قوله تعالى :[3731] {تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوْهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِيْنَ}

{لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ} (يٰـس:6)

كما أوضحنا في سورة «بني إسرائيل» في الكلام على قوله تعالى :[3732] {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِيْن حَتَّى نَبْعَثَ رَسُوْلاً}.

{لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} (يٰـس:7)

كقوله تعالى :[3733] {وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُواْ لَهُمْ مَّا بَيْنَ أَيْدِيْهِمْ وَمَاخَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} وفي قوله تعالى :[3734] {قَالَ الَّذِيْنَ حَقَّ عَلَيْهِم الْقَوْلُ رَبَّنَا هؤُلاءِ الَّذِيْنَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا} وفي قوله تعالى :[3735] {وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِيْنَ} وقوله تعالى :[3736] {فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُوْنَ} والكلمة في قوله تعالى :[3737] {إِنَّ الَّذِيْنَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ وَلَوْ جآءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيْمَ} وفي قوله تعالى :[3738] {قَالُوا بَلَى وَلكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِيْنَ}. والمراد بالقول والكلمة هو قوله تعالى :[3739] {لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ} كما دلّت على ذلك آيات من كتاب الله تعالى كقوله تعالى في آخر سورة «هود»:[3740] {وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِيْنَ إِلاَّ مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ} وقوله تعالى في «السجدة»:[3741] {وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ

[3730] الرعد 43
[3731] البقرة 252
[3732] الاسراء 15
[3733] فصلت 25
[3734] القصص 63
[3735] يسين 70
[3736] الصافات 31
[3737] يونس 96–97
[3738] الزمر 71
[3739] هود 119– السجدة 13
[3740] هود 118– 119
[3741] السجدة 13

جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ } . وقوله تعالى في أُخريات «ص»: [3742]{قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُوْلُ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وِمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ } . وقوله تعالى في هذه الآية الكريمةيدلّ على أن أكثر الناس من أهل جهنّم كما دلّت على ذلك آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: [3743]{وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُوْنَ} {وَمَا أَكْثَر النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِيْنَ} [3744]{وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِيْنَ} [3745]{إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِيْنَ

{إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ} (يــس:8) {وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ} (يــس:9)

ومنه قوله تعالى: [3746]{وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ} وقوله تعالى: [3747]{وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِه غِشَاوَةً} وهى كقوله تعالى: [3748]{إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوْبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوْهُ وَفِي آذَانِهِم } وقوله تعالى : [3749]{خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوْبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}، وقوله تعالى: [3750]{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىبَصَرِهِ غِشَاوَةً}، وقوله تعالى : [3751]{وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ}، وقوله تعالى : [3752]{وَمَنْ يَضْلِلِ اللهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ}، وقوله تعالى : [3753]{وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِيْنَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّر قُلُوْبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيْمٌ } وقوله تعالى : [3754]{أُولَئِكَ الَّذِيْنَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوْبِهِمْ وَسَمْعِهِم وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْغَافِلُوْنَ} وقوله تعالى : [3755]{وَمَا كَانَ لَهُمْ مِّنْ دُوْنِ اللهِمِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيْعُوْنَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُوْنَ} وقوله تعالى:[3756] {الَّذِيْنَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيْعُوْنَ سَمْعًا} والآيات بمثل ذلك كثيرة.

[3742] ص 84- 85

[3743] هود 17- الدعد 1-و غافر يوسف 103

[3744] الصافات 71

[3745] الشعراء 8- 7- 6- 103-121-174-190

[3746] البقرة 7

[3747] الجاثية 23

[3748] الكهف 57

[3749] البقرة 7

[3750] الجاثية 23

[3751] الانعام 125

[3752] الاعراف 186

[3753] المائدة 41

[3754] النحل 108

[3755] هود 20

[3756] الكهف 101

{إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} (يٰـــس:11)

قد قدّمنا الآيات التي بمعناه في مواضع من هذا الكتاب المبارك؛ كقوله تعالى: [3757]{إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ }.

{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} (يٰـــس:12)

ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أربعة أشياء:الأول: أنه يحيـــي الموتى، مؤكّدًا ذلك متكلّمًا عن نفسه بصيغة التعظيم.كقوله تعالى : [3758]{قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ} وقوله تعالى : [3759]{قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّه لَحَقٌّ} وقوله تعالى : [3760]{وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللهُ مَنْ يَمُوْتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا} والآيات بمثل ذلك كثيرة. الثاني: أنه يكتب ما قدّموا في دار الدنيا.كقوله تعالى : [3761]{أَمْ يَحْسَبُوْنَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُوْنَ }، وقوله تعالى : [3762]{ هَــذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ} وقوله تعالى :[3763] {وَكُلَّ إِنْسَان أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاه مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} وقوله تعالى: [3764]{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِيْنَ مُشْفِقِيْنَ مِمَّا فِيْهِ وَيَقُوْلُوْنَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيْرَةً وَلاَ كَبِيْرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا} وقوله تعالى : [3765]{مَّا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيْبٌ عَتِيْدٌ}. وقد قدّمنا بعض الكلام على هذا في سورة «الكهف». الثالث: أنه يكتب آثارهم. قوله: {وَآثَارَهُمْ} فيه وجهان من التفسير معروفان عند العلماء.الأوّل منهما: أن معنى {مَا قَدَّمُوا}: ما باشروا فعله في حياتهم، وأن معنى {آثَارَهُمْ}: هو ما سنّوه في الإسلام من سنّة حسنة أو سيّئة، فهو من آثارهم التي يعمل بها بعدهم.كما في قوله تعالى : [3766]{لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِيْنَ يُضِلُّوْنَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ}، وقوله تعالى : [3767]{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ } .وقد أوضحنا ذلك في سورة «النحل»، في الكلام على قوله تعالى : [3768]{وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِيْن بِغَيْرِ عِلْمٍ} الثاني: أن معنى {آثَارَهُمْ}: خطاهم إلى المساجد ونحوها من فعل الخير، وكذلك خطاهم إلى الشر،كقوله تعالى : [3769]{وَلاَ يَقْطَعُوْنَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ}. الرابع: أنه

[3757] فاطر 18
[3758] التغابن 7
[3759] يونس 53
[3760] النحل 38
[3761] الزخرف 80
[3762] الجاثية 29
[3763] الاسراء 13– 14
[3764] الكهف 49
[3765] ق 18
[3766] النحل 25
[3767] العنكبوت 13
[3768] النحل 25
[3769] التوبة 121

أحصى كل شيء {فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} كقوله تعالى : [3770]{وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا} وقوله تعالى : [3771]{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}

{قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا} (يٰــس:15)

قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «بني إسرائيل»، في الكلام على قوله تعالى : [3772]{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَّسُوْلاً }

{وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ} (يٰــس:15)

كقوله تعالى :[3773] {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيْرٌ قَالُوا بَلَى قَدْ جَآءَنَا نَذِيْرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ} قوله تعالى : [3774]{وَمَا قَدَرُوْا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ }

{أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنْقِذُونِ} (يٰــس:23)
{إِنِّي إِذاً لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (يٰــس:24)

كقوله تعالى [3775]:{قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِإِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُوْنَ} وقوله تعالى:[3776] {قُلِ ادْعُواْ الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُوْنِهِ فَلاَ يَمْلِكُوْنَ كَشْفَ الْضُّرِّ عَنْكُمْ وَلاَ تَحْوِيْلاً} وقوله تعالى: [3777]{قُلِ ادْعُوا الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُوْنِ اللهلاَ يَمْلِكُوْنَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي الْسَّماوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ} وقوله تعالى: [3778]{وَيَقُوْلُوْنَ هؤُلاَءِ شُفْعَاؤُنَا عِنْدَ اللهقُلْ أَتُنَبِّئُوْنَ اللهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي الْسَّماوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُوْنَ} وقوله تعالى: {وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُوْنِ اللهمَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِيْنَ} والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

[3770] الجن 28

[3771] الانعام 38

[3772] الاسراء

[3773] املك 98

[3774] الانعام 91

[3775] الزمر 38

[3776] الاسراء 56

[3777] سبأ 22

[3778] يونس 18

{يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (يٰــس:30)

قوله تعالى : [3779]{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوْهَا إِنَّابِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُوْنَ} وقوله تعالى: [3780]{وَكَذٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْقَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوْهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلىٰأُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُّقْتَدُوْنَ} وقوله تعالى: [3781] {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةمِّنْ نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَآءِ وَالْضَرَّآءِ} إلى قوله: {فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُوْنَ} .وقد قدّمنا الكلام على هذا في سورة «قد أفلح المؤمنون» في الكلام على قوله تعالى: [3782]{ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُوْلُهَا كَذَّبُوْهُ} .وقدّمنا طرفًا من الكلام عليه في سورة «الأنعام» في الكلام على قوله تعالى: [3783]{وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَافِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيْهَا} .وأمّاالأُمّة التي أُخرجت من هذا العموم فهي أُمة يونس، والآية التي بيّنت ذلك هي قوله تعالى:[3784]{فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُوْنُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰحِيْنٍ} .

{وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} (يٰــس:46)

كقوله تعالى في أوّل سورة «الأنعام»: [3785]{وَمَا تَأْتِيْهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِيْنَ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ} وقوله تعالى في آخر «يوسف»: [3786]{وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي الْسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّوْنَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُوْنَ} وقوله تعالى: [3787]{اقْتَرَبَتِ الْسَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُوْلُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ} وقوله تعالى: [3788]{وَإِذَا ذُكِّرُوا لاَ يَذْكُرُوْنَ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُوْنَ} .

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ} (يٰــس: 51)

كما قال تعالى: [3789]{يَوْمَ يَخْرُجُوْنَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوْفِضُوْنَ} وقال تعالى: [3790]{يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا} وكقوله تعالى: [3791]{يَخْرُجُوْنَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنْتَشِرٌ مُّهْطِعِيْنَ إِلَى الْدَّاعِ} كقوله تعالى : [3792]{وَنُفِخَ

[3779] سبأ 34
[3780] الزخرف 23
[3781] الاعراف 93-95
[3782] المومنون 44
[3783] الانعام 123
[3784] يونس 98
[3785] الانعام 4-5
[3786] يوسف 105
[3787] القمر 1-2
[3788] الصافات 13-14
[3789] المعارج 33
[3790] ق 44
[3791] القمر 7-8
[3792] الزمر 68

فِي الْصُّوْرِ فَصَعِقَ مَنْ فِي الْسَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَآءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فَيْهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُوْنَ} وقوله تعالى :[3793] {إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ لَدَيْنَا مُحْضَرُوْنَ} وهذه الصيحة هي النفخة الثانية؛ كقوله تعالى :[3794] {يَوْمَ يَسْمَعُوْنَ الْصَّيْحَةَ الْحَقِّ ذلِكَ يَوْمُ الْخُرُوْجِ}، وقوله تعالى :[3795] {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالْسَّاهِرَةِ} وكقوله تعالى:[3796] {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُوْنَ} وقوله تعالى:[3797] {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُوْمَ الْسَّمَآءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُوْنَ}

{وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ} (يٰــس:62)

كقوله تعالى:[3798] {وَاتَّقُواْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِيْنَ} كقوله تعالى:[3799] {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيْعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الإِنْسِ} وقد قال إبليس: {لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلا قَلِيلاً} وقوله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيْسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوْهُ إِلاَّ فَرِيْقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِيْنَ}

{الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (يٰــس:65)

كقوله تعالى في سورة «النور»:[3800] {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيْهِم وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُوْنَ} وقوله تعالى في «فصلت»:[3801] {حَتَّى إِذَا مَا جَآءُوْهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُوْدُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُوْنَ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُل شَيْءٍ}. وقد قدّمنا الكلام على هذا في سورة «النساء»، في الكلام على قوله تعالى :[3802] {وَلاَ يَكْتُمُوْنَ اللهَ حَدِيثًا }.

{وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ} (يٰــس:68)

كقوله تعالى :[3803] {اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ }، وقوله تعالى :[3804] {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيْمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِيْنَ} وقوله تعالى في

[3793] يسين 53

[3794] ق 42

[3795] النازعات 13–14

[3796] الصافات 19

[3797] الروم 25

[3798] الشعراء 184

[3799] الانعام 128

[3800] النور 24

[3801] فصلت 20–21

[3802] النساء 42

[3803] الروم 54

«الحجّ»: [3805] {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلاَ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا} وقوله تعالى في «النحل»: [3806] {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا} وقوله تعالى في سورة «المؤمن»: [3807] {ثُمَّ لِتَكُوْنُواْ شُيُوْخًا}.

{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (يٰـــس:82)

قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «النحل» في الكلام على قوله تعالى: [3808] {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَّقُوْلَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ}

[3804] التين 4-5
[3805] الحج 5
[3806] النحل 70
[3807] غافر 6-7
[3808] النحل 40

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الصافات

{وَالصّٰٓفّٰتِ صَفًّا * فَالزّٰجِرٰتِ زَجْراً * فَالتّٰلِيٰتِ ذِكْراً * إِنَّ إِلٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رَّبُّ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشٰرِقِ * إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوٰكِبِ * وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطٰنٍ مَّارِدٍ * لاَ يَسَّمَّعُونَ إِلىٰ الْمَلإِ الأَعْلٰى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذابٌ وَاصِبٌ * إِلَّاَ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ}(الصافات: 1-10)

{وَالصّٰٓفّٰتِ صَفًّا * فَالزّٰجِرٰتِ زَجْراً * فَالتّٰلِيٰتِ ذِكْراً * إِنَّ إِلٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رَّبُّ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشٰرِقِ}. أكثر أهل العلم على أن المراد به: { الصَّافَّاتِ } هنا، و { الزَّاجِرَاتِ }، و { التَّالِيَاتِ }: جماعات الملائكة، وقد جاء وصف الملائكة بأنهم صافّون، وذلك في قوله تعالى عنهم: { وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّوْنَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُوْنَ }، ومعنى كونهم صافين: أن يكونوا صفوفًا متراصّين بعضهم جنب بعض في طاعة الله تعالىٰ، من صلاة وغيرها. وقيل: لأنهم يصفون أجنحتهم في السماء، ينتظرون أمر الله، ويؤيّد القول الأول حديث حذيفة الذي قدّمنا في أوّل سورة «المائدة»، في صحيح مسلم، وهو قوله ﷺ: «فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا، وجعلت لنا تربتها طهورًا إذا لم نجد الماء»، وهو دليل صحيح على أن الملائكة يصفّون كصفوف المصلّين في صلاتهم، وقد جاء في بعض الآيات ما يدلّ على أنهم يلقون الذكر على الأنبياء، لأجل الإعذار والإنذار به؛ كقوله تعالى: { فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نُذْرًا }، فقوله: { فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا }، كقوله هنا: { فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا }، لأن الذكر الذي تتلوه تلقيه إلى الأنبياء، كما كان جبريل ينزل بالوحي على نبيّنا وغيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه على الجميع، وقوله: { عُذْرًا أَوْ نُذْرًا }، أي: لأجل الإعذار والإنذار، أي: بذلك الذكر الذي نتلوه وتلقيه، والإعذار: قطع العذر بالتبليغ. والإنذار قد قدّمنا إيضاحه وبيّنا أنواعه في أوّل سورة «الأعراف»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { آلمص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِيْنَ }، وقوله في هذه الآية: { فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا }، الملائكة تزجر السحاب، وقيل: تزجر الخلائق عن معاص الله بالذكر الذي تتلوه، وتلقيه إلى الأنبياء. وممن قال بأن { الصَّافَّاتِ } و { الزّجِرَاتِ } و { التَّالِيَاتِ } في أول هذه السورة الكريمة هي جماعات الملائكة: ابن عباس، وابن مسعود، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وقتادة؛ كما قاله القرطبي وابن كثير وغيرهما. وزاد ابن كثير وغيره ممن قال به: مسروقًا والسدي والربيع بن أنس، وقد قدّمنا أنه قول أكثر أهل العلم. وقال بعض أهل العلم: { الصَّافَّاتِ } في الآية الطير تصفّ أجنحتها في الهواء، واستأنس لذلك بقوله تعالى: { أَوَ لَمْ يَرَوْا إِلٰى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمٰنُ }، وقوله تعالىٰ: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرَ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاَتَهُ وَتَسْبِيْحَهُ }. وقال بعض العلماء: المراد به: { الصَّافَّاتِ } جماعات المسلمين يصفون في مساجدهم للصلاة،

ويصفون في غزوهم عند لقاء العدوّ؛ كما قال تعالى: { إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِيْنَ يُقَاتِلُوْنَ فِي سَبِيْلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوْصٌ }. وقال بعض العلماء أيضًا: المراد بـــ: { الزّاجِرَاتِ زَجْرًا }، و { التَّالِيَاتِ ذِكْرًا }: جماعات العلماء العاملين يلقون آيات الله على الناس، ويزجرون عن معاص الله بآياته، ومواعظه التي أنزلها على رسله. وقال بعضهم: المراد بـــ: { الزَّاجِرَاتِ زَجْرًا }: جماعات الغزاة يزجرون الخيل لتسرع إلى الأعداء، والقول الأول أظهر وأكثر قائلاً. ووجه توكيده تعالىٰ قوله: { إِنَّ إِلٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ }، بهذه الأقسام، وبأن اللام هو أن الكفار أنكروا كون الإلٰه واحدًا إنكارًا شديدًا وتعجّبوا من ذلك تعجّبًا شديدًا؛ كما قال تعالىٰ عنهم: { أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ }، ولما قال تعالىٰ: { إِنَّ إِلٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ } أقام الدليل على ذلك بقوله: { رَّبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ }، فكونه خالق السمٰوات والأرض الذي جعل فيها المشارق والمغارب، برهان قاطع على أنه المعبود وحده. وهذا البرهان القاطع الذي أقامه هنا على أنه هو الإلٰه المعبود وحده، أقامه على ذلك أيضًا في غير هذا الموضع؛ كقوله تعالىٰ في سورة «البقرة»: { وَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ }، فقد أقام البرهان على ذلك بقوله بعده متّصلاً به: { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَآءِ مِنْ مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيْهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيْفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُوْنَ }، والأظهر الذي لا يلزمه إشكال أن الترتيب بالفاء لمجرّد الترتيب الذكري والإتيان بأداة الترتيب لمجرد الترتيب الذكرى فقط، دون إرادة ترتيب الصفات أو الموصوفات أسلوب عربيّ معروف جاء في القرءان في مواضع، وهو كثير في كلام العرب. ومن أمثلته في القرءان العظيم، قوله تعالىٰ: { فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرٰكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيْمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِيْنًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِيْنَ آمَنُوا }، فلا يخفى أن { ثُمَّ } حرف ترتيب وأن المرتب به الذي هو كونه { مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا } لا ترتّب له على ما قبله إلا مطلق الترتيب الذكري، ومن ذلك أيضًا قوله تعالىٰ: { وَأَنَّ هٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيْمًا فَاتَّبِعُوْهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيْلِهِ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُوْنَ * ثُمَّ آتَيْنَا مُوسىٰ الْكِتَابَ تَمَامًا عَلىٰ الذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيْلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ }، كما لا يخفى أن الترتيب فيه ذكري. وقد قدّمنا الكلام على هذا في سورة «البقرة»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { ثُمَّ أَفِيْضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ }، ومن أمثلة ذلك في كلام العرب قوله:

إن من ساد ثم ساد أبوه
ثم قد ساد قبل ذلك جدّه

وقوله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة: { وَرَبُّ الْمَشَارِقِ }، لم يذكر في هذه الآية إلا المشارق وحدها، ولم يذكر فيها المغارب. وقد بيّنا في كتابنا «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب»: وجه اختلاف ألفاظ الآيات في ذلك، فقلنا فيه في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَ للهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ }، ما لفظه أفرد في هذه الآية الكريمة المشرق والمغرب، وثناهما في سورة «الرحمٰن»، في قوله تعالىٰ: { رَبُّ الْمَشْرِقَيْنَ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ }، وجمعهما في سورة «سأل سائل»، في قوله تعالىٰ: { فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ }، وجمع المشارق في سورة «الصافّات»، في قوله تعالىٰ: { رَّبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ }. والجواب: أن قوله هنا: { وَ للهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ }، المراد به جنس المشرق والمغرب، فهو صادق بكل مشرق من مشارق الشمس التي هي ثلاثمائة وستّون، وكل مغرب من مغاربها التي هي كذلك، كما روي عن ابن عباس وغيره. قال ابن جرير في تفسير هذه الآية الكريمة، ما نصّه: وإنما معنى ذلك: { وَ للهِ الْمَشْرِقُ } الذي تشرق منه الشمس كل يوم، { وَالْمَغْرِبُ } الذي

تغرب فيه كل يوم. فتأويله إذا كان ذلك معناه: ولله ما بين قطري المشرق وقطري المغرب إذا كان شروق الشمس كل يوم من موضع منه لا تعود لشروقها منه إلى الحول الذي بعده، وكذلك غروبها، انتهى منه بلفظه. وقوله: { رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ }، يعني مشرق الشتاء، ومشرق الصيف ومغربهما، كما عليه الجمهور. وقيل: مشرق الشمس والقمر ومغربهما. وقوله: { بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ }، أي: مشارق الشمس ومغاربها، كما تقدم. وقيل: مشارق الشمس والقمر والكواكب ومغاربها، والعلم عند الله تعالىٰ. { إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب }. قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «الأنعام»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا }. وقرأ هذا الحرف السبعة غير عاصم وحمزة، بإضافة { زِينَةِ } إلى { الكَوَاكِبِ }، أي: بلا تنوين في { زِينَةِ } مع خفض الباء في { الْكَوَاكِبِ }. وقرأه حمزة وحفص عن عاصم بتنوين { زِينَةِ }، وخفض { الْكَوَاكِبِ } على أنه بدل من { زِينَةِ }. وقرأه أبو بكر عن عاصم: { بِزِيْنَةً الْكَوَاكِبَ }، بتنوين { زِينَةِ }، ونصب { الكَوَاكِبِ }، وأعرب أبو حيان { الْكَوَاكِبِ } على قراءة النصب إعرابين: أحدهما: أن { الكَوَاكِبِ } بدل من { السَّمَآءَ } في قوله تعالىٰ: { إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ }. والثاني: أنه مفعول به لــ: { زِينَةِ } بناء على أنه مصدر منكر؛ كقوله تعالىٰ: { أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيْمًا }. والأظهر : أنه مفعول فعل محذوف، تقديره: أعني { الكَوَاكِبِ }، على حدّ قوله في «الخلاصة»:

ويحذف الناصبها إن علما

وقد يكون حذفه متلزما

قوله تعالىٰ: { وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ } إلى قوله: { شِهَابٌ ثَاقِبٌ }. قد قدّمنا الآيات الموضحة له في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيْمٍ * إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ الْسَّمْعَ }، في سورة «الحجر».

{فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ * بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ * وَإِذَا ذُكِّرُواْ لاَ يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ * وَقَالُوۤاْ إِن هَـٰذَآ إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَـٰماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلأَوَّلُونَ * قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ * فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ * وَقَالُواْ يٰوَيْلَنَا هَـٰذَا يَوْمُ الدِّينِ * هَـٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِى كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * احْشُرُواْ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ الله فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لاَ تَنَـٰصَرُونَ * بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ * قَالُوۤاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ * قَالُواْ بَلْ لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَـٰنٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْماً طَـٰغِينَ * فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ * فَأَغْوَيْنَـٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَـٰوِينَ * فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى الْعَذَابِ

مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوَاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلٰهإلاالله يَسْتَكْبِرُونَ }(الصافات: 11-35)

{ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ }. ذكر في هذه الآية الكريمة برهانين من براهين البعث، التي قدّمنا أنها يكثر في القرءان العظيم الاستدلال بها على البعث. الأوّل: هو المراد بقوله: { فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَّنْ خَلَقْنَا }، لأن معنى: { فَاسْتَفْتِهِمْ }، استخبرهم والأصل في معناه: اطلب منهم الفتوى، وهي الإخبار بالواقع فيما تسألهم عنه { أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا }، أي: أصعب إيجادًا واختراعًا، { أَمْ مَنْ خَلَقْنَا } من المخلوقات التي هي أعظم وأكبر منهم، وهي ما تقدّم ذكره من الملائكة المعبّر عن جماعاتهم بالصافات، والزاجرات، والتاليات، والسّمٰوَات والأرض، والشمس والقمر، ومردّة الشياطين؛ كما ذكر ذلك كلّه في قوله تعالى: { رَّبُّ الْسَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ * إِنَّا زَيَّنَّا الْسَّمَآءَ الْدُّنْيَا بِزِيْنَةِ الْكَوَاكِبِ * وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ }. وجواب الاستفتاء المذكور الذي لا جواب له غيره، هو أن يقال: من خلقت يا ربّنا من الملائكة، ومردة الجنّ، والسّمٰوَات والأرض، والمشارق، والمغارب، والكواكب، أشدّ خلقًا منّا؛ لأنها مخلوقات عظام أكبر وأعظم منا، فيتّضح بذلك البرهان القاطع على قدرته جلّ وعلا على البعث بعد الموت؛ لأن من المعلوم بالضرورة أن من خلق الأعظم الأكبر كالسمٰوات والأرض، وما ذكر معهما قادر على أن يخلق الأصغر الأقلّ؛ كما قال تعالى: { لَخَلْقُ الْسَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ الْنَّاسِ }، أي: ومن قدر على خلق الأكبر فلا شكّ أنه قادر على خلق الأصغر، كخلق الإنسان خلقًا جديدًا بعد الموت. وقال تعالىٰ: { أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ الْسَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيْمُ }، وقال تعالىٰ: { أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ الله الَّذِي خَلَقَ الْسَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلىٰ أَنْ يُحْيِــيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ }، وقال تعالىٰ: { أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّ الله الَّذِي خَلَقَ الْسَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ }، وقال تعالىٰ في «النازعات»، موضحًا الاستفتاء المذكور في آية «الصافّات» هذه: { أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ الْسَّمَآءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا * مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ }. وقد علمت أن وحه العبارة بمن التي هي للعالم، في قوله تعالىٰ: { أَمْ مَّنْ خَلَقْنَا }، عن السمٰوات والأرض والكواكب هو تغليب ما ذكر معها من العالم كالملائكة على غير العالم، وذلك أسلوب عربيّ معروف. وأما البرهان الثاني: فهو في قوله: { إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِيْنٍ لاَّزِبٍ }؛ لأن من خلقهم أوّلاً من طين، وأصله التراب المبلول بالماء لا يشكّ عاقل في قدرته على خلقهم مرة أخرى بعد أن صاروا ترابًا، لأن الإعادة لا يعقل أن تكون أصعب من البدء والآيات الموضحة لهذا المعنى كثيرة جدًا؛ كقوله تعالىٰ: { قُلْ يُحْيِيْهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ }، وقوله تعالىٰ: { وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ }، وقوله تعالىٰ: { يَاأَيُّهَا الْنَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ }. وقد قدّمنا الآيات الموضحة لهذين البرهانين وغيرهما من براهين البعث في سورة «البقرة»، و «النحل»، و «الحجّ» وغير ذلك. وقوله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة: { مِّنْ طِيْنٍ لاَّزِبٍ }، اللازب: هو ما يلزق باليد مثلاً إذا لاقته، وعبارات المفسّرين فيه تدور حول ما ذكرنا، والعرب تطلق اللازب واللاتب واللازم، بمعنى واحد، ومنه في اللازب قول عليّ رضي الله عنه:

تعلم فإن الله زادك بسطة

وأخلاق خير كلها لك لازب

وقول نابغة ذبيان:

ولا يحسبون الخير لا شرّ بعده

ولا يحسبون الشر ضربة لازب

فقوله: ضربة لازب، أي: شيئًا ملازمًا لا يفارق، ومنه في اللاتب قوله:

فإن يك هذا من نبيذ شربته

فإني من شرب النبيذ لتائب

صداع وتوصيم العظام وفترة

وغمّ مع الإشراق في الجوف لاتب

والبرهانان المذكوران على البعث يلقمان الكفار حجرًا في إنكارهم البعث المذكور بعدهما قريبًا منهما، في قوله تعالىٰ: { وَقَالُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَ * أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُوْنَ * قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُوْنَ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُوْنَ }. { بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ }. قرأ هذا الحرف عامة القراء السبعة غير حمزة والكسائي: { عَجِبْتَ } بالتاء المفتوحة وهي تاء الخطاب، المخاطب بها النبيّ ﷺ. وقرأ حمزة والكسائي: { بَلْ عَجِبْتُ }، بضم التاء وهي تاء المتكلم، وهو الله جلّ وعلا. وقد قدّمنا أن القراءتين المختلفتين يحكم لهما بحكم الآيتين. وبذلك تعلم أن هذه الآية الكريمة على قراءة حمزة والكسائي { وَقَالُواْ يٰوَيْلَنَا هٰذَا يَوْمُ الدِّينِ * هٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِى كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ }. قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «الروم»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَقَالَ الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْعِلْمَ وَالإِيْمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللهِ إِلٰى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ }. { احْشُرُواْ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرٰطِ الْجَحِيمِ }. المراد بـــ: { الَّذِينَ ظَلَمُوا } الكفار، كما يدلّ عليه قوله بعده: { وَمَا كَانُوا يَعْبُدُوْنَ * مِنْ دُوْنِ اللهِ }. وقد قدّمنا إطلاق الظلم على الشرك في آيات متعدّدة؛ كقوله تعالى: { إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيْمٌ }، وقوله تعالىٰ: { وَالْكَافِرُوْنَ هُمُ الظَّالِمُوْنَ }، وقوله تعالىٰ: { وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُوْنِ اللهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِيْنَ }. وقد ثبت في صحيح البخاري عن النبيّ ﷺ أنه فسّر الظلم بالشرك، في قوله تعالى: { وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيْمَانَهُمْ بِظُلْمٍ }، وقوله تعالىٰ: { وَأَزْوَاجَهُمْ }، جمهور أهل العلم منهم: عمر وابن عباس، على أن المراد به أشباههم ونظراؤهم، فعابد الوثن مع عابد الوثن، والسارق مع السارق، والزاني مع الزاني، واليهودي مع اليهودي، والنصراني مع النصراني، وهكذا وإطلاق الأزواج على الأصناف مشهور في القرءان، وفي كلام العرب؛ كقوله تعالىٰ: { وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا }، وقوله تعالىٰ: { سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِم وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُوْنَ }، وقوله تعالىٰ: { فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى }، وقوله تعالىٰ: { وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلٰى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ }، إلى غير ذلك من الآيات. فقوله تعالىٰ: { احْشُرُوا الَّذِيْنَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ }، أي: اجمعوا الظالمين وأشباههم ونظراءهم، فاهدوهم إلى النار ليدخلها جميعهم، وبذلك تعلم أن قول من قال: المراد بـــــ { أَزْوَاجَهُمْ } نساؤهم اللاتي على دينهم، خلاف الصواب. وقوله تعالىٰ: { وَمَا كَانُوا يَعْبُدُوْنَ * مِنْ دُوْنِ اللهِ }، أي: احشروا مع الكفار الشركاء التي كانوا يعبدونها من دون الله ليدخل العابدون والمعبودات جميعًا النار؛ كما أوضح ذلك بقوله تعالىٰ: { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ

حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُوْنَ * لَوْ كَانَ هٰؤُلاَءِ اٰلِهَةً مَا وَرَدُوْهَا وَكُلٌّ فِيْهَا خَالِدُوْنَ }. وقد بيّن تعالىٰ أن الذين عبدوا من دون الله من الأنبياء، والملائكة، والصالحين؛ كعيسى وعزير خارجون عن هذا، وذلك في قوله تعالىٰ: { إِنَّ الَّذِيْنَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنىٰ أُوْلٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُوْنَ }، إلى قوله: { هٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوْعَدُوْنَ }، وأشار إلى ذلك في قوله تعالىٰ: { وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّوْنَ * وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوْهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُوْنَ * إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ }. وقوله تعالىٰ: { أُولٰئِكَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ يَبْتَغُوْنَ إِلٰى رَبِّهِمُ الْوَسِيْلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُوْنَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُوْنَ عَذَابَهُ }. وقوله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة: { فَاهْدُوْهُمْ }، من الهدى العام، أي: دلّوهم وأرشدوهم { إِلٰى صِرَاطِ الْجَحِيمِ }، أي: طريق النار ليسلكوها إليها، والضمير في قوله تعالىٰ: { فَاهْدُوْهُمْ }، راجع إلى الثلاثة، أعني: { الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللهِ }. وقد دلَّت هذه الآية أن الهدى يستعمل في الإرشاد والدلالة على الشرّ، ونظير ذلك في القرءان قوله: { كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيْهِ إِلٰى عَذَابِ السَّعِيْرِ }، ولذلك كان للشرّ أئمّة يؤتمّ بهم فيه؛ كقوله تعالى: { وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُوْنَ إِلٰى النَّارِ }. { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ }. قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «الأعراف»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِيْنَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِيْنَ }، وبيّنا هناك وجه الجمع بين الآيات في نحو قوله تعالىٰ: { وَلاَ يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوْبِهِمُ الْمُجْرِمُوْنَ }، وقوله تعالىٰ: { فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلاَ جَانٌ }، مع قوله تعالىٰ: { فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُوْنَ }، وقوله تعالىٰ: { فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِيْنَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ }. وقوله هنا: { وَقِفُوْهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْؤُولُوْنَ }. { وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ }. قد قدّمنا الآيات الموضحة له مع التعرّض لإزالة إشكالين في بعض الآيات المتعلّقة بذلك، في سورة «قد أَفلح المؤمنون»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّوْرِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُوْنَ }. { فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ * فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ }. قد قدّمنا الآيات المبيّنة للمراد بالقول الذي حقّ عليهم في سورة «يس»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلىٰ أَكْثَرِهِمْ }، وما ذكره جلَّ وعلا عنهم من أنهم قالوا: إنه لما حقّ عليهم القول، الذي هو: { لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ }، فكانوا غاوين أغووا أتباعهم، لأن متبع الغاوي في غيّه لا بدّ أن يكون غاويًا مثله، ذكره تعالىٰ في غير هذا الموضع؛ كقوله تعالىٰ في سورة «القصص»: { قَالَ الَّذِيْنَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هٰؤُلاَءِ الَّذِيْنَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا }، والإغواء: الإضلال. { فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ }. ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن الضّالين والمضلين مشتركون في العذاب يوم القيامة، وبيّن في سورة «الزخرف»، أن ذلك الاشتراك ليس بنافعهم شيئًا؛ وذلك في قوله تعالىٰ: { وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُوْنَ }، وبيّن في مواضع أُخر أن الأتباع يسألون الله، أن يعذّب المتبوعين عذابًا مضاعفًا لإضلالهم إياهم؛ كقوله تعالىٰ: { حَتّٰى إِذَا ادَّارَكُوا فِيْهَا جَمِيْعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُوْلاَهُمْ رَبَّنَا هٰؤُلاَءِ أَضَلُّوْنَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ }، وقوله تعالىٰ: { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّوْنَا السَّبِيْلاَ * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيْرًا }. وقد قدّمنا الكلام على تخاصم أهل النار، وسيأتي إن شاء الله له زيادة إيضاح في سورة «ص»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { إِنَّ ذٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ }. { إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُواْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ }. بيّن جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أن ذلك العذاب الذي فعله بهؤلاء المعذبين، المذكورين في قوله تعالىٰ: { إِنَّا لَذَائِقُوْنَ }، أي: العذاب الأليم. وقوله تعالىٰ: { فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُوْنَ }، أنه يفعل مثله من التعذيب والتنكيل بالمجرمين، والمجرمون جمع مجرم، وهو مرتكب الجريمة وهي الذنب الذي يستحق صاحبه عليه

التنكيل الشديد، ثم بيّن العلّة لذلك التعذيب؛ لأنها هي امتناعهم من كلمة التوحيد التي هي لا إلٰه إلاّ الله، إذا طلب منهم الأنبياء وأتباعهم أن يقولوا ذلك في دار الدنيا. فلفظة إنّ في قوله تعالى: { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيْلَ لَهُمْ لاَ إِلٰهَ إِ ّ َلا الله يَسْتَكْبِرُوْنَ }، من حروف التعليل؛ كما تقرّر في الأصول في مسلك الإيماء والتنبيه. وعليه فالمعنى: { كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ } لأجل أنهم كانوا في دار الدنيا، إذا قيل لهم: { لاَ إِلٰهَ إِ ّ َلا الله يَسْتَكْبِرُوْنَ }، أي: يتكبّرون عن قبولها ولا يرضون أن يكونوا أتباعًا للرّسل. وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة، من كون ذلك هو سبب تعذيبهم بالنار، دلّت عليه آيات؛ كقوله تعالىٰ مبيّنًا دخولهم النار: { ذٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ الله وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ للهِالْعَلِيِّ الْكَبِيْرِ }، وقوله تعالىٰ في ذكر صفات الكفار وهم أهل النار: { وَإِذَا ذُكِرَ الله وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوْبُ الَّذِيْنَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِيْنَ مِنْ دُوْنِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُوْنَ }.

{وَيَقُولُونَ أَءِنَّا لَتَارِكُوٓ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ * بَلْ جَآءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ * إِنَّكُمْ لَذَآئِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِ ّ َلا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِ ّ َلا عِبَادَ الله الْمُخْلَصِينَ * أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِى جَنّٰتِ النَّعِيمِ * عَلىٰ سُرُرٍ مُّتَقٰبِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشّٰرِبِينَ * لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزفُونَ * وَعِندَهُمْ قٰصِرٰتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ * قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ * يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظٰماً أَءِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُّطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَالله إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلاَ نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِ ّ َلا مَوْتَتَنَا الإِولىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعٰمِلُونَ * أَذٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنٰهَا فِتْنَةً لِّلظّٰلِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيٰطِينِ * فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ * إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ * فَهُمْ عَلىٰ ءَاثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ * وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنذِرِينَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عٰقِبَةُ الْمُنذَرِينَ * إِ ّ َلا عِبَادَ الله الْمُخْلَصِينَ * وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبٰقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الاخِرِينَ * سَلٰمٌ عَلىٰ نُوحٍ فِى الْعٰلَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الاٰخِرِينَ * وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لإِبْرٰهِيمَ * إِذْ جَآءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَءِفْكاً ءَالِهَةً دُونَ الله تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعٰلَمِينَ * فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ *

فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَىٰ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لاَ تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوۤاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُواْ ابْنُواْ لَهُ بُنْيَـٰناً فَأَلْقُوهُ فِى الْجَحِيمِ * فَأَرَادُواْ بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَـٰهُمُ الاسْفَلِينَ * وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّـٰلِحِينِ * فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ يٰبُنَىَّ إِنِّىۤ أَرَىٰ فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يٰأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤمَرُ سَتَجِدُنِىۤ إِن شَآءَ اللهُ مِنَ الصَّـٰبِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يٰإِبْرٰهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَآ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الاخِرِينَ * سَلَـٰمٌ عَلَىٰ إِبْرٰهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّـٰلِحِينَ * وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَـٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَـٰلِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ} (الصـــافـــات: 36-113)

{ وَيَقُولُونَ أَءِنَّا لَتَارِكُو ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ }. قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «الشعراء»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَالْشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُوْنَ }. { لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ }. قد قدّمنا تفسيره مع ذكر الآيات الدالَّة على معناه في سورة «المائدة»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { يَاۤأَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الْشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوْهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ }، وبيّنا هنا كلام أهل العلم في نجاسة عين خمر الدنيا دون خمر الآخرة، وأن ذلك يشير إلى قوله تعالىٰ: { وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا }. { وعندهم قاصرات الطّرف عين * كأنهن بيض مكنون }. ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة ثلاث صفات من صفات نساء أهل الجنّة: الأولى: أنهن { قَاصِرَاتُ الْطَّرْفِ }، وهو العين، أي: عيونهن قاصرات على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم لشدة اقتناعهن واكتفائهن بهم. الثانية: أنهن { عِيْنٌ }، والعين جمع عيناء، وهي واسعة دار العين، وهي النجلاء. الثالثة: أن ألوانهن بيض بياضًا مشربًا بصفرة؛ لأن ذلك هو لون بيض النعام الذي شبّههن به، ومنه قول امرىء القيس في نحو ذلك:

كبكر المقانات البياض بصفرة

غذاها غير الماء نمير المحلّل

لأن معنى قوله: كبكر المقانات البياض بصفرة: أن لون المرأة المذكورة كلون البيضة البكر المخالط بياضها بصفرة، وهذه الصفات الثلاث المذكورة هنا، جاءت موضحة في غير هذا الموضع مع غيرها من صفاتهن الجميلة، فبيَّن كونهن قاصرات الطرف على أزواجهن، بقوله تعالىٰ في «ص»: { وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الْطَّرْفِ أَتْرَابٌ }، وكون المرأة قاصرة الطرف من صفاتها الجميلة، وذلك معروف في كلام العرب، ومنه قول امرىء القيس:

من القاصرات الطرف لو دبّ محمول

من الذرّ فوق الأتب منها لأثرا

وذكر كونهن عينًا في قوله تعالىٰ فيهن: { وَحُوْرٌ عِيْنٌ }، وذكر صفا ألوانهنّ وبياضها في قوله تعالى: { كَأَمْثَالِ الْلُّؤْلُؤِ الْمَكْنُوْنِ }، وقوله تعالىٰ: { كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوْتُ وَالْمَرْجَانُ }، وصافتهن كثيرة معروفة في الآيات القرءانية. واعلم أن الله أثنىٰ عليهن بنوعين من أنواع القصر: أحدهما: أنهن { قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ }، والطرف العين، وهو لا يجمع ولا يثنّى لأن أصله مصدر، ولم يأتِ في القرءان إلا مفردًا؛ كقوله تعالىٰ: { لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ }، وقوله تعالىٰ: { يَنْظُرُوْنَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ }، ومعنى كونهن { قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ } هو ما قدّمنا من أنهن لا ينظرن إلى غير أزواجهن بخلاف نساء الدنيا. والثاني من نوعي القصر: كونهن مقصورات في خيامهن، لا يخرجن منها؛ كما قال تعالىٰ لأَزواج نبيّه ﷺ: { وَقَرْنَ فِي بُيُوْتِكُنَّ }، وذلك في قوله تعالىٰ: { حُوْرٌ مَّقْصُوْرَاتٌ فِي الْخِيَامِ }، وكون المرأة مقصورة في بيتها لا تخرج منه من صفاتها الجميلة، وذلك معروف في كلام العرب؛ ومنه قوله:

من كان حربًا للنساء

فإنني سلم لهنه

فإذا عثرن دعونني

وإذا عثرت دعوتهنه

وإذا برزن لمحفل

فقصارهن ملاحهنه

فقوله: قصارهن، يعني: المقصورات منهن في بيوتهن اللاتي لا يخرجن إلا نادرًا، كما أوضح ذلك كثير عزّة في قوله:

وأنت التي حببت كل قصيره

إلى وما تدري بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد

قصار الخطا شر النساء البحاتر

والحجال: جمع حجلة، وهي البيت الذي يزين للعروس، فمعنى قصيرات الحجال: المقصورات في حجالهن. وذكر بعضهم أن رجلاً سمع آخر، قال: لقد أجاد الأعشى في قوله:

غراء فرعاء مصقول عوارضها

تمشي الهوينا كما يمشي الوجى الوحل

كأن مشيتها من بيت جارتها
مرّ السحابة لا ريث ولا عجل

ليست كمن يكره الجيران طلعتها
ولا تراها لسر الجار تختتل

فقال له: قاتلك الله، تستحسن غير الحسن هذه الموصوفة خراجة ولاجة، والخراجة الولاجة لا خير فيها ولا ملاحة لها، فهل لا قال كما قال أبو قيس بن الأسلت:
وتكسل عن جاراتها قيزنها
وتعتل من إنيانهن فتعذر

قوله تعالىٰ: { أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ }. قد قدّمنا إيضاحه بالقرءان في سورة «الفرقان»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { قُلْ أَذٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُوْنَ }. { إِنَّا جَعَلْنَـٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّـٰلِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ }. قد قدّمنا إيضاحه في سورة «بني إسرٰئيل»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلْنَّاسِ وَالْشَّجَرَةَ الْمَلْعُوْنَةَ فِي الْقُرْءَانِ }. { فَإِنَّهُمْ لاَكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ }. ما ذكره جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة من أن الكفار في النار يأكلون من شجرة الزقوم، فيملؤون منها بطونهم، ويجمعون معها: { شَوْبًا مِنْ حَمِيم }، أي: خلطًا من الماء البالغ غاية الحرارة، جاء موضحًا في غير هذا الموضع؛ كقوله تعالىٰ في«الواقعة»: { ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الْضَّآلُّوْنَ الْمُكَذِّبُوْنَ * لآكِلُوْنَ مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقُّوْمٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُوْنَ * فَشَارِبُوْنَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيْمِ * فَشَارِبُوْنَ شُرْبَ الْهِيْمِ }. وقوله: { شُرْبَ الْهِيْمِ }، الهيم: جمع أهيم وهيماء وهي الناقة مثلاً التي أصابها الهيام، وهو شدّة العطش بحيث لا يرويها كثرة شراب الماء فهي تشرب كثيرًا من الماء، ولا تزال مع ذلك في شدّة العطش. ومنه قول غيلان ذي الرمّة:
فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد
صداها ولا يقضى عليها هيامها

وقوله تعالىٰ في «الواقعة»: { فَشَارِبُوْنَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيْمِ * فَشَارِبُوْنَ شُرْبَ الْهِيْمِ }، يدلّ على أن الشوب، أي: الخلط من الحميم المخلوط لهم بشجرة الزقوم المذكور هنا في «الصافّات»، أنه شوب كثير من الحميم لا قليل. وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسير هذه الآية: { لَشَوْبًا مِنْ حَمِيْمً }، الشوب: الخلط، والشوب والشوب لغتان، كالفقر والفقر، والفتح أشهر. قال الفراء: شاب طعامه وشرابه إذا خلطهما بشيء يشوبهما شوبًا وشيابة، انتهى منه. { إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ * فَهُمْ عَلىٰ ءَاثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ }. ما دلّت عليه هذه الآية الكريمة من أن الكفار الذين أرسل إليهم نبيّنا ﷺ: { أَلْفُوا آبَاءَهُمْ ضَآلِّيْنَ }، أي: وجدوهم

على الكفر، وعبادة الأوثان، { فَهُمْ عَلىٰ آثَارِهِمْ يَهْرَعُوْنَ }، أي: يتبعونهم في ذلك الضلال والكفر مسرعين فيه، جاء موضحًا في غير هذا الموضع؛ كقوله تعالىٰ عنهم: { قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آباءَنَا }، وقوله عنهم: { قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آباءَنَا }، وقوله عنهم: { إِنَّا وَجَدْنَا آباءَنَا عَلىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُوْنَ }، وقوله عنهم: { إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيْدُوْنَ أَنْ تَصُدُّوْنَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا }. وردّ الله عليهم في الآيات القرءانية معروف؛ كقوله تعالىٰ: { أَوَ لَوْ كَانَ آباؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُوْنَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُوْنَ }، وقوله: { أَوَ لَوْ كَانَ آباؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُوْنَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُوْنَ }، وقوله تعالىٰ: { قَالَ أَوَ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُّمْ عَلَيْهِ آباءَكُمْ }. وقوله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة: { فَهُمْ عَلىٰ آثَارِهِمْ }، أي: فهم على اتّباعهم والاقتداء بهم في الكفر والضلال؛ كما قال تعالىٰ عنهم: { وَإِنَّا عَلىٰ آثَارِهِمْ مُّقْتَدُوْنَ }. وقوله تعالىٰ في هذه الآية الكريمة: { يُهْرَعُوْنَ }، قد قدّمنا في سورة «هود»، أن معنى: { يُهْرَعُوْنَ }: يسرعون ويهرولون، وأن منه قول مهلهل:

فجاءوا يهرعون وهم أسارى

تقودهم على رغم الأنوف

قوله تعالىٰ: { ولقد ضلّ قبلهم أكثر الأولين }. قد قدّمنا الآيات التي بمعناه في سورة «يس»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُوْنَ }، وفي سورة «الأنعام»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوْكَ عَنْ سَبِيْلِ الله }. { وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَـٰقِينَ }. تقدّم إيضاحه بالآيات القرءانية، وتفسيره في سورة «الأنبياء»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَنُوْحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيْمِ }. { إِذْ قَالَ لاَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَءِفْكاً ءَالِهَةً دُونَ الله تُرِيدُونَ }. قد قدّمنا إيضاحه بالآيات القرءانية بكثرة في سورة «مريم»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرٰهِيْمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيْقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لأَبِيْهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا }. { وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّـٰلِحِينِ فَبَشَّرْنَـٰهُ بِغُلَـٰمٍ حَلِيمٍ }، إلى قوله تعالىٰ: { وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ }. اعلم أوّلاً: أن العلماء اختلفوا في هذا الغلام الذي أمر إبرٰهيم في المنام بذبحه، ومعلوم أن رؤيا الأنبياء وحي، ثم لمّا باشر عمل ذبحه امتثالاً للأمر، فداه الله بذبح عظيم، هل هو إسمٰعيل أو إسحٰق؟ وفّقني الله وإياك، أن القرءان العظيم قد دلّ في موضعين، على أن الذبيح هو إسمعيل لا إسحٰق أحدهما في «الصافّات»، والثاني في «هود». أمّا دلالة آيات «الصافّات» على ذلك، فهي واضحة جدًا من سياق الآيات، وإيضاح ذلك أنه تعالىٰ قال عن نبيّه إبرهيم: { وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلىٰ رَبِّي سَيَهْدِيْنِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِيْنَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيْمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَآءَ الله مِنَ الصَّابِرِيْنَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِيْنِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرٰهِيْمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذٰلِكَ نُجزي الْمحْسِنِيْنَ * إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِيْنُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيْمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِيْنَ * سَلاَمٌ عَلىٰ إِبْرٰهِيْمَ * كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ }، قال بعد ذلك عاطفًا على البشارة الأولى: { وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحٰقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِيْنَ }، فدلّ ذلك على أن البشارة الأولى شيء غير المبشّر به في الثانية؛ لأنه لا يجوز حمل كتاب الله على أن معناه: فبشرناه بإسحٰق، ثم بعد انتهاء قصة ذبحه يقول أيضًا: { وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحٰقَ }، فهو تكرار لا فائدة فيه ينزّه عنه كلام الله، وهو واضح في أن الغلام المبشر به أوّلاً الذي فدي بالذبح العظيم، هو إسمٰعيل، وأن البشارة بإسحٰق نصّ الله

عليها مستقلّة بعد ذلك. وقد أوضحنا في سورة «النحل»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أُوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً }، أن المقرّر في الأصول: أن النص من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، إذا احتمل التأسيس والتأكيد معًا وجب حمله على التأسيس، ولا يجوز حمله على التأكيد، إلا لدليل يجب الرجوع إليه. ومعلوم في اللغة العربية، أن العطف يقتضي المغايرة، فآية «الصافّات» هذه، دليل واضح للمنصف على أن الذبيح إسمٰعيل لا إسحٰق، ويستأنس لهذا بأن المواضع التي ذكر فيها إسحٰق يقينًا عبّر عنه في كلّها بالعلم لا الحلم، وهذا الغلام الذبيح وصفه بالحلم لا العلم. وأمّا الموضع الثاني الدالّ على ذلك الذي ذكرنا أنه في سورة «هود»، فهو قوله تعالىٰ: { وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحٰقَ وَمِنْ وَرَآءِ إِسْحٰقَ يَعْقُوْبَ }؛ لأن رسل الله من الملائكة بشّرتها بإسحٰق، وأن إسحٰق يلد يعقوب، فكيف يعقل أن يؤمر إبرٰهيم بذبحه، وهو صغير، وهو عنده علم يقين بأنه يعيش حتى يلد يعقوب. فهذه الآية أيضًا دليل واضح على ما ذكرنا، فلا ينبغي للمنصف الخلاف في ذلك بعد دلالة هذه الأدلّة القرءانية على ذلك، والعلم عند الله تعالىٰ. تنبيـــــه اعلم أن قصّة الذبيح هذه تؤيّد أحد القولين المشهورين عند أهل الأصول في حكمة التكليف، هل هي للامتثال فقط، أو هي متردّدة بين الامتثال والابتلاء؟ لأنه بيّن في هذه الآية الكريمة أن حكمة تكليفه لإبرٰهيم بذبحه ولده ليست هي امتثاله ذلك بالفعل، لأنه لم يرد ذبحه كونًا وقدرًا، وإنما حكمة تكليفه بذلك مجرّد الابتلاء والاختبار، هل يصمّم على امتثال ذلك أو لا؟ كما صرّح بذلك في قوله تعالى: { إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْبَلاَءُ الْمُبِيْنُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيْمٍ }، فتبيّن بهذا أن التحقيق أن حكمة التكليف متردّدة بين الامتثال والابتلاء. وإلى الخلاف المذكور أشار في «مراقي السعود»، بقوله:

للامتثال كلف الرقيب

فموجب تمكنا مصيب

أو بينه والابتلا تردّدًا

شرط تمكن عليه انفقدا

وقد أشار بقوله: فموجب تمكنا مصيب، وقوله: شرط تمكن عليه انفقدا، إلى أن شرط التمكّن من الفعل في التكليف، مبني على الخلاف المذكور، فمن قال: إن الحكمة في التكليف هي الامتثال فقط اشترط في التكليف التمكّن من الفعل، لأنه لا امتثال إلا مع التمكن من الفعل، ومن قال إن الحكمة متردّدة بين الامتثال والابتلاء، لم يشترط من الفعل؛ لأن حكمة الابتلاء تتحقّق مع عدم التمكّن من الفعل، كما لا يخفى.

{وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ * وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُواْ هُمُ الْغَـٰلِبُونَ * وَءَاتَيْنَـٰهُمَا الْكِتَـٰبَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَـٰهُمَا الصِّرَٰطَ الْمُسْتَقِيمَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى الأَخِرِينَ * سَلَـٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلاَ تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَـٰلِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ

وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ الأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى الأْخِرِينَ * سَلَـٰمٌ عَلىٰ إِلْ يَاسِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ لُوطاً لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عَجُوزاً فِى الْغَـٰبِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الأْخِرِينَ * وَإِنَّكُمْ لَّتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ * وَبِالَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَٰهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَـٰهُ بِالْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَأامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ * فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَـٰئِكَةَ إِنَـٰثاً وَهُمْ شَـٰهِدُونَ * أَلاَ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلىٰ الْبَنِينَ * مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ * فَأْتُواْ بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَـٰنَ اللهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلاَّ عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ * فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ * إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ * وَمَا مِنَّآ إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّآفُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ * وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْراً مِّنَ الأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ * فَكَفَرُواْ بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَـٰلِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ * وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَ سَلَـٰمٌ عَلىٰ الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ } (الصـافـات:114-182)

{ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلىٰ مُوسىٰ وَهَـٰرُونَ }. ذكر جلّ وعلا منّته عليهما في غير هذا الموضع؛ كقوله فيه «طه»: { قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسىٰ * وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ }؛ لأن من سؤله الذي أوتيه إجابة دعوته في رسالة أخيه هٰرون معه، ومعلوم أن الرسالة من أعظم المنن. { وَنَجَّيْنَـٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ }. قوله: { وَقَوْمَهُمَا }، يعني بني إسرائيل. والمعنى: أنه نجّى موسى ومرون وقومهما من الكرب العظيم، وهو ما كان يسومهم فرعون وقومه من العذاب، كذبح الذكور من أبنائهم وإهانة الإناث، وكيفية إنجائه لهم مبيّنة في انفلاق البحر لهم، حتى خاضوه سالمين، وإغراق فرعون وقومه وهم ينظرون. وقد قدّمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة «البقرة»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ

وَأَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَ }، وقدّمنا تفسير الكرب العظيم في سورة «الأنبياء»، في الكلام على قوله تعالىٰ في قصّة نوح: { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيْمِ }. { وَنَصَرْنَـٰهُمْ فَكَانُواْ هُمُ الْغَـٰلِبُونَ }. بيّن جلّ وعلا أنه نصر موسى وهٰرون وقومهما على فرعون وجنوده، { فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِيْنَ }، أي: وفرعون وجنوده هم المغلوبون، وذلك بأن الله أهلكهم جميعًا بالغرق، وأنجى موسى وهٰرون وقومهما من ذلك الهلاك، وفي ذلك نصر عظيم لهم عليهم، وقد بيّن جلّ وعلا ذلك في غير هذا الموضع؛ كقوله تعالىٰ: { قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيْكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلاَ يَصِلُوْنَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُوْنَ }، إلى غير ذلك من الآيات. { وَءَاتَيْنَـٰهُمَا الْكِتَـٰبَ الْمُسْتَبِينَ }. { الكِتَابَ } هو التوارة، كما ذكره في آيات كثيرة؛ كقوله تعالىٰ: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسىٰ الْكِتَابَ فَلاَ تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرٰئِيلَ }، وقوله تعالىٰ: { ثُمَّ آتَيْنَا مُوسىٰ الْكِتَابَ تَمَامًا عَلىٰ الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَىْءٍ }، وقوله تعالىٰ: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُوْنَ }، وقوله تعالىٰ: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسىٰ وَهٰرُوْنَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِيْنَ }، إلى غير ذلك من الآيات. وقد قدّمنا بعض الكلام على ذلك في سورة «البقرة»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ }. { وَإِنَّكُمْ لَّتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ * وَبِالَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }. قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة «الحجر»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَإِنَّهَا لَبِسَبِيْلٍ مُّقِيْمٍ }. وفي سورة «المائدة»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلىٰ بَنِي إِسْرٰئِيْلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيْعًا }، وغير ذلك من المواضع. { فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }. تسبيح يونس هذا، عليه وعلى نبيّنا الصّلاة والسّلام المذكور في «الصافّات»، جاء موضحًا في «الأنبياء»، في قوله تعالىٰ: { وَذَا النُّوْنِ إِذْ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِ ّلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِيْنَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِيْنَ }. وقد قدّمنا تفسير هذه الآية وإيضاحها في سورة «الأنبياء». { فَـئامَنُواْ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَى حِينٍ }. ما ذكره في هذه الآية الكريمة من إيمان قوم يونس وأن الله متعهم إلى حين، ذكره أيضًا في سورة «يونس»، في قوله تعالىٰ: { فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِ ّلا قَوْمَ يُوْنُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلٰى حِيْنٍ }. { فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ }، إلى قوله: { مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }. قد قدّمنا الآيات الموضحة له بكثرة في سورة «النحل»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَيَجْعَلُوْنَ للهِ الْبَنَاتَ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُوْنَ }، إلى قوله تعالىٰ: { سَآءَ مَا يَحْكِمُوْنَ }. { وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْراً مِّنَ الأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ الله الْمُخْلَصِينَ * فَكَفَرُواْ بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ }. قد قدّمنا الكلام على ما في معناه من الآيات في سورة «الأنعام»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { أَوْ تَقُوْلُواْ لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ }. { وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَـٰلِبُونَ }. هذه الآية الكريمة تدلّ على أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وأتباعهم منصورون دائمًا على الأعداء بالحجّة والبيان، ومن أمر منهم بالجهاد منصور أيضًا بالسيف والسنان، والآيات الدالّة على هذا كثيرة؛ كقوله تعالىٰ: { كَتَبَ الله لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي }، وقوله تعالىٰ: { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِيْنَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الْدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُوْمُ الأَشْهَادُ }، وقوله تعالىٰ: { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ }، وقوله تعالىٰ: { فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الْظَّالِمِيْنَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ }. وقد قدّمنا إيضاح هذا بالآيات القرءانية في سورة «آل عمران»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَكَأَيِّنْ مِنْ نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيْرٌ }، وسيأتي له إن شاء الله زيادة إيضاح في آخر سورة «المجادلة». { أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ }. قد قدّمنا الآيات الموضحة له في سورة

«الرعد»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { وَيَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالْسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ الْمَثُلاَتُ } . وذكرنا بعض الكلام على ذلك في سورة «يونس»، في الكلام على قوله تعالىٰ: { أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ }، وفي غير ذلك من المواضع. { وَ سَلَـٰـمٌ عَلىٰ الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَـٰـلَمِينَ } . ختم هذه السورة الكريمة بالسلام على عباده المرسلين، ولا شكّ أنهم من عباده الذين اصطفى مع ثنائه على نفسه، بقوله تعالىٰ: { وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ }، معلمًا خلقه أن يثنوا عليه بذلك، وما ذكره هنا من حمده هذا الحمد العظيم، والسلام على رسله الكرام، ذكره في غير هذا الموضع؛ كقوله تعالىٰ في سورة «النمل»: { قُلِ الْحَمْدُ للهِ وَسَلاَمٌ عَلىٰ عِبَادِهِ الَّذِيْنَ اصْطَفَىٰ }، ويشبه ذلك قوله تعالىٰ: { دَعْوَاهُمْ فِيْهَا سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيْهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ } .

تفسير الفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة ص

{ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ} (صٓ:1)

قوله تعالى { ذي الذكر} كقوله تعالى { لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم } أي تذكيركم وقال ابن عباس رضي الله عنهما { ذي الذكر} ذي الشرف أي ذي الشأن والمكانة فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار.

{بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ} (صٓ:2)

وقوله تعالى هنا { في عزة} أي حمية واستكبار عند قبول الحق، وقد بين جل وعلا في سورة البقرة أن من أسباب أخذ العزة المذكورة بالإثم للكفار أمرهم بتقوى الله، وبين أن تلك العزة التي هي الحمية والاستكبار عن قبول الحق من أسباب دخولهم جهنم، وذلك في قوله عن بعض الكفار الذين يظهرون غير ما يبطنون { وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} .

{كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ} (صٓ:3)

أنه أهلك كثيراً من القرون الماضية، يهدد كفار مكة بذلك، قد ذكرها في آيات كثيرة ، كقوله تعالى: { وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ} وقوله تعالى: { فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْناها وَهِيَ ظَالِمَةٌ} . وقوله تعالى: { أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ } . والآيات بمثل ذلك كثيرة.
وقد ذكر جل وعلا أن سبب إهلاك تلك الأمم الكفر بالله وتكذيب رسله كقوله في هذه الآية الأخيرة مبيناً سبب إهلاك تلك الأمم التي صرح بأنه (لا يعلمهم إلا الله) { جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَـٰتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِى أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُواْ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِى

شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ} . وكقوله تعالى { وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَا سَبْنَـاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَـاهَا عَذَاباً نُّكْراً فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَـاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً} وقوله تعالى: { وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ الرُّسُلَ أَغْرَقْنَـاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً} إلى قوله: { وَعَاداً وَثَمُودَاْ وَأَصْحَـابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذلِكَ كَثِيراً وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيراً} وقوله تعالى: { إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ} . وقوله تعالى { كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ} والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقد بين تعالى أن المراد بذكر إهلاك الأمم الماضية بسبب الكفر وتكذيب الرسل تهديد كفار مكة، وتخويفهم من أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك إن تمادوا على الكفر وتكذيبه. ذكر تعالى ذلك في آيات كثيرة كقوله تعالى : { أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَـافِرِينَ أَمْثَالُهَا } لأن قوله تعالى: { وَلِلْكافِرِينَ أَمْثَـالُهَا} تهديد عظيم بذلك. وقوله تعالى: { جَعَلْنَا عالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِى مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} كقوله في قوم لوط: { وَإِنَّكُمْ لَّتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ وَبِالَّيْلِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} وقوله تعالى: { وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِى أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ نُشُوراً} . وقوله فيهم: { وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} . وقوله فيهم: { وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ} . وقوله فيهم وفي قوم شعيب { وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ} والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وأنهم نادوا أي عند معاينة أوائل الهلاك. وهي نداؤهم إذا أحسوا بأوائل العذاب فقد ذكر تعالى في آيات من كتابه نوعين من أنوا ع ذلك النداء. أحدهما: نداؤهم باعترافهم أنهم كانوا ظالمين، وذلك في قوله تعالى : { وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً ءَاخَرِينَ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُمْ مِّنْهَا يَرْكُضُونَ} إلى قوله { قَالُواْ ياوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـالِمِينَ فَمَا زَالَت تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَـاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ} وقوله تعالى: { وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـاهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَـاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلاَ أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَـالِمِينَ} . الثاني: نداؤهم بالإيمان بالله مستغيثين من ذلك العذاب الذي أحسوا أوائله، كقوله تعالى: { فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُواْ ءَامَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَـفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـانُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَـافِرُونَ} وهذا النوع الأخير هو الأنسب والأليق بالمقام، لدلالة قوله: { وَّلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ} عليه.

{وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ} (ص:4)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن كفار قريش عجبوا من أجل أن جاءهم رسول منذر منهم، وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة، من عجبهم المذكور، ذكره في غير هذا الموضع وأنكره عليهم وأوضح تعالى سببه ورده عليهم في آيات أخر، فقال في عجبهم المذكور { ق وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُواْ أَن جَآءَهُمْ مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ} . وقال تعالى في إنكاره عليهم في أول سورة يونس { الر تِلْكَ ءايَـاتُ الْكِتَـابِ الْحَكِيمِ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ} وذكر مثل عجبهم المذكور في سورة الأعراف عن قوم نوح وقوم هود، فقال عن نوح مخاطباً لقومه { أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى

رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} . وقال عن هود مخاطباً لعاد: { أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ} .

وبين أن سبب عجبهم من كون المنذر منهم أنه بشر مثلهم زاعمين أن الله لا يرسل إليهم أحداً من جنسهم. وأنه لو أراد أن يرسل إليهم أحداً لأرسل إليهم ملكاً لأنه ليس بشراً مثلهم وأنه لا يأكل ولا يشرب ولا يمشي في الأسواق. والآيات في ذلك كثيرة كقوله تعالى: { وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَّسُولاً قُل لَوْ كَانَ فِى الأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولاً} وقوله تعالى: { أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَــابِدُونَ} وقوله تعالى: { وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ للَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ الآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَــاهُمْ فِى الْحَياةِ الدُّنْيَا مَا هَـــذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ} . وقوله تعالى: { وَقَالُواْ مَا لِهَـــذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى الأَسْوَاقِ} . وقوله تعالى: {ذلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَات فَقَالُواْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا} . وقوله تعالى: { كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ فَقَالُواْ أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ إِنَّآ إِذاً لَّفِى ضَلالٍ وَسُعُرٍ } . وقوله تعالى: { قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا} . وقوله تعالى: { وَقَالُواْ لَوْلا أنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِىَ الأَمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَــاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ} وقوله تعالى: { فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُم صَــاعِقَةً مِّثْلَ صَــاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَآءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللهَ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لانزَلَ مَلٰئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلتُمْ بِهِ كَــافِرُونَ} وقوله تعالى: { فَقَالَ الْمَلَؤُا الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ اللهُ لانزَلَ مَلَــئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَــذَا فِى ءَابَآئِنَا الأَوَّلِينَ} وقوله تعالى: { وَقَالُواْ يأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَــئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّــادِقِينَ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَــئِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذًا مُّنظَرِينَ} . وقوله تعالى: { لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً} وقوله تعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَــئِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُواْ فِى أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَــئِكَةَ لاَ بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ} . وقوله تعالى عن فرعون مع موسى: { فَلَوْلاَ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلَــئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ} .

وقد رد الله تعالى على الكفار عجبهم من إرسال الرسل من البشر في آيات من كتابه. كقوله تعالى: { وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الأَسْوَاقِ} وقوله تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً} وقوله تعالى: { وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِى إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى} وقوله تعالى: { وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِى إِلَيْهِمْ فَاسْئَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ وَمَا جَعَلْنَــاهُم جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَــالِدِينَ} وقوله تعالى: { قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـــكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ} أي بالرسالة والوحي ولو كان بشراً مثلكم إلى غير ذلك من الآيات.

{ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} (صٓ:4)

كقوله تعالى: { إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} والإشارة إلى عامة الإهانة من القوم لنبيهم وردت بألفاظ أخرى كقوله تعالى { وَقَالُوا يَاأَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ} وقوله تعالى { قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ} وقوله تعالى { وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ} وقوله تعالى { ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ} وقوله تعالى { كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ} وقوله تعالى { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ}

{أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} (صٓ:5)

كقوله تعالى: { بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ }

{وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} (صٓ:6) {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ} (صٓ: 7) {أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} (صٓ:8)

كقوله تعالى عنهم: { وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ هَـذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} وقد رد جل وعلا ذلك عليهم في قوله تعالى: { أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ} لأن الهمزة في قوله: أهم يقسمون، للإنكار المشتمل على معنى النفي، وكقوله تعالى: { قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ اللهِ} . وقد رد الله تعالى ذلك عليهم في قوله: { اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ} وأشار إلى رد ذلك عليهم في آية ص هذه في قوله: { بْل هُمْ فَى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُواْ عَذَابِ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَينَهُمَا} . لأنه لا يجعل الرسالة حيث يشاء، ويخص بها من يشاء، إلا من عنده خزائن الرحمة. وله ملك السماوات والأرض.

وقوله تعالى: { أَءَنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا} قد بين في موضع آخر { أَءُلْقِىَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ} وقد رد الله تعالى عليهم ذلك في قوله: { سَيَعْلَمُونَ غَداً مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ} .

{أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ} (صّ:8) {أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ} (صّ:9) {أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} (صّ:10)

قد قدمنا الكلام عليه فى قوله تعالى: { وَحَفِظْنَـــاهَا مِن كُلِّ شَيْطَـــانٍ رَّجِيمٍ} .

{فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ} (صّ:10) {جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَالْأَحْزَابِ} (صّ:11)

كقوله جلت عظمته { أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر} وكان ذلك يوم بدر { بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر} .

{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ} (صّ:12) {وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ} (صّ:13)){إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ} (صّ:14){وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ} (صّ:16)

جاء في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: { مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ} . وفي سورة يونس في الكلام على قوله تعالى: { أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ} وفي سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى : { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ} . وفي سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: { وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ} .

{ اِصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ} (صّ:17) {إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ} (صّ:18) {وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ} (صّ:19)

في سورة الأنبياء، في الكلام على قوله تعالى: { وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ} . قوله تعالى: { وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّـــاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ} .

واعلم أن ما يذكره كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة، مما لا يليق بمنصب داود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، كله راجع إلى الإسرائيليات، فلا ثقة به، ولا معوّل عليه، وما جاء منه مرفوعاً إلى النبي لا يصح منه شيء.

{وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ} (صٓ:20) {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ} (صٓ: 21) {إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ} (صٓ:22) {إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ} (صٓ:23) {قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ} (صٓ:24) {فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ} (صٓ:25) {يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ} (صٓ:26)

قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: { إِنَّا جَعَلْنَـــاكَ خَلِيفَةً فِى الأَرْضِ} ، قد بينا الحكم الذي دل عليه، في سورة البقرة، في الكلام على قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً} . وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة { فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّك عَن سَبِيلِ اللهِ} قد أمر نبيه داود فيه، بالحكم بين الناس بالحق ونهاه فيه عن اتباع الهوى، وأن اتباع الهوى، علة للضلال عن سبيل الله، لأن الفاء في قوله فيضلك عن سبيل الله تدل على العلية.

{إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ} (صٓ:26)

ومعلوم أن نبي الله داود، لا يحكم بغير الحق، ولا يتبع الهوى، فيضله عن سبيل الله، ولكن الله تعالى، يأمر أنبياءه عليهم الصلاة والسلام، وينهاهم، ليشرع لأممهم. ولذلك أمر نبينا، بمثل ما أمر به داود، ونهاه أيضاً عن مثل ذلك، في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: { وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ} . وقوله تعالى: { وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَآ أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَآ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ} وكقوله تعالى: { وَلاَ تُطِعِ الْكَـافِرِينَ وَالْمُنَـافِقِينَ} وقوله تعالى: { وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً} وقوله تعالى: { وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} .

وبينا أن من أصرح الأدلة القرآنية الدالة على أن النبي يخاطب بخطاب، والمراد بذلك الخطاب غيره يقيناً قوله تعالى: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّـاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَـاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا} ، ومن المعلوم أن أباه توفي قبل ولادته، وأن أمه ماتت وهو صغير، ومع ذلك فإن الله يخاطبه بقوله تعالى: : { إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا} ومعلوم أنه لا يبلغ عنده الكبر أحدهما، ولا كلاهما لأنهما قد ماتا قبل ذلك بزمان.

فتبين أن أمره تعالى لنبيه ونهيه له في قوله { فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًاوَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} : إنما يراد به التشريع على لسانه لأمته، ولا يراد به هو نفسه ، وقد قدمنا هناك أن من أمثال العرب. إياك أعني واسمعي يا جارة

{وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً} (صٓ:27)

في آخر سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى: { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِالْحَقِّ} وفي آخر سورة قد أفلح المؤمنون في الكلام على قوله: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـاكُمْ عَبَثاً} .

{ ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا} (صٓ:27)

أما تنزيهه نفسه عنه ففي قوله تعالى: { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ} .

ثم نزه نفسه، عن كونه خلقهم عبثاً، بقوله تعالى: { فَتَعَـالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} أي تعالى وتقدس وتنزه عن كونه خلقهم عبثاً.

وأما تنزيه عباده الصالحين له عن ذلك، ففي قوله تعالى: { إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَـافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَـاتٍ لِأُوْلِى الأَلْبَـابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَـاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذا بَـاطِلاً سُبْحَـانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } ،

{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} (صٓ:27)

وقوله تعالى في هذه الآية يدل على أن من ظن بالله ما لا يليق به جل وعلا، فله النار. وقد بين تعالى في موضع آخر أن من ظن بالله ما لا يليق به أرداه وجعله من الخاسرين، وجعل النار مثواه. وذلك في قوله تعالى: { وَلَـكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِّنَ الُخَـاسِرِينَ فَإِن يَصْبِرُواْ فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ} .

{أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ}

(صٓ:28)

وقد بين جل وعلا هذا المعنى، في غير هذا الموضع، وذم حكم من يحكم به، وذلك في قوله تعالى فى الجاثية: { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُواْ السَّيِّئَـاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحَـاتِ سَوَآءً مَّحْيَـاهُمْ وَمَمَـاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ } .

{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} (صٓ:29)

قوله تعالى: كتاب خبر مبتدأ محذوف أي هذا كتاب، وقد ذكر جل وعلا، في هذه الآية الكريمة، أنه أنزل هذا الكتاب، معظماً نفسه جل وعلا، بصيغة الجمع، وأنه كتاب مبارك وأن من حكم إنزاله، أن يتدبر الناس آياته، أي يتفهموها ويتعقلوها ويمعنوا النظر فيها، حتى يفهموا ما فيها من أنواع الهدى، وأن يتذكر أولوا الألباب، أي يتعظ أصحاب العقول السليمة، من شوائب الاختلال. وكل ما ذكره في هذه الآية الكريمة جاء واضحاً في آيات أخر.
أما كونه جل وعلا، هو الذي أنزل هذا القرآن، فقد ذكره في آيات كثيرة كقوله تعالى: { إِنَّآ أَنزَلْنَـاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ} وقوله تعالى: { إِنَّآ أَنزَلْنَـاهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـارَكَةٍ} وقوله تعالى: { هُوَ الَّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَـابَ مِنْهُ آيَـاتٌ مُّحْكَمَـاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَـابِ وَأُخَرُ مُتَشَـابِهَـاتٌ} ، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

وأما كون هذا الكتاب مباركاً، كقوله تعالى: { وَهَـــذَا كِتَـــابٌ أَنزَلْنَـــاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ} . وقوله تعالى: { وَهَـــذَا كِتَـــابٌ أَنزَلْنَـــاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} . والمبارك كثير البركات، من خير الدنيا والآخرة.

وأما كون تدبر آياته، من حكم إنزاله: فقد أشار إليه في بعض الآيات، بالتحضيض على تدبره، وتوبيخ من لم يتدبره، كقوله تعالى { أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ} . وقوله تعالى: { أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَان مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَـــافاً كَثِيراً} وقوله تعالى: { أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ الْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُمْ مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ الأَوَّلِينَ} .

وأما كون تذكر أولي الألباب، من حكم إنزاله، فقد ذكره في غير هذا الموضع، مقترناً ببعض الحكم الأخرى، التي لم تذكر في آية ص هذه كقوله تعالى في سورة إبراهيم { هَـــذَا بَلَـــاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـــهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَـــابِ} فقد بين في هذه الآية الكريمة، أن تذكر أولي الألباب، من حكم إنزاله مبيناً منها حكمتين أخريين، من حكم إنزاله، وهما إنذار الناس به، وتحقيق معنى لا إله إلا الله، وكون إنذار الناس وتذكر أولي الألباب، من حكم إنزاله، ذكره في قوله تعالى: { المصكِتَـــابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ} لأن اللام في قوله لتنذر، متعلقة بقوله: أنزل، والذكرى اسم مصدر بمعنى التذكير، والمؤمنون في الآية لا يخفى أنهم هم أولوا الألباب.

وذكر حكمة الإنذار في آيات كثيرة كقوله { تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىعَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَـــالَمِينَ نَذِيراً} . وقوله تعالى: { وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـــذَا الْقُرْءَانُ لاٌّنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ} . وقوله تعالى: { تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ} . وقوله تعالى: { لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّاً} .

وذكر في آيات أخر، أن من حكم إنزاله، الإنذار والتبشير معاً، كقوله تعالى: { فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـــاهُ بِلَسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً} . وقوله تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَـــابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا قَيِّماً لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّـــالِحَاتِ} .

وبين جل وعلا أن من حكم إنزاله أن يبين للناس ما أنزل إليهم ولأجل أن يتفكروا، وذلك قوله تعالى: { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} . وقد قدمنا مراراً كون لعل من حروف التعليل، وذكر حكمة التبيين المذكورة مع حكمة الهدى والرحمة، في قوله تعالى: { وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَـــابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} .

وبين أن من حكم إنزاله، تثبيت المؤمنين والهدى والبشرى للمسلمين في قوله تعالى: { قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} .

وبين أن من حكم إنزاله، إلى النبي، أن يحكم بين الناس بما أراه الله، وذلك في قوله تعالى: { إِنَّآ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَـــابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَآ أَرَاكَ اللهُ } . والظاهر أن معنى قوله: { بِمَآ أَرَاكَ اللهُ } أي بما علمك من العلوم في هذا القرآن العظيم بدليل قوله تعالى: { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَـــابُ وَلاَ الإِيمَـــانُ وَلَـــكِن جَعَلْنَـــاهُ نُوراً نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا} . وقوله تعالى: { نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـــذَا الْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَـــافِلِينَ} .

وبين جل وعلا أن من حكم إنزاله إخراج الناس من الظلمات إلى النور وذلك في قوله تعالى: { الر كِتَابٌ أَنزَلْنَـــهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ لظُّلُمَـــا ت إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ} .

وبين أن من حِكَم إنزاله التذكرة لمن يخشى في قوله تعالى: { طه مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لِتَشْقَى إِلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى } أي ما أنزلناه إلا تذكرة لمن يخشى. وهذا القصر على التذكرة إضافي، وكذلك القصر في قوله تعالى الذي ذكرناه قبل هذا { وَمَآ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَـابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى اخْتَلَفُواْ فِيهِ} ، بدليل الحِكَم الأخرى التي ذكرناها.

وبين أن من حكم إنزاله قرآناً عربياً وتصريف الله فيه من أنواع الوعيد أن يتقي الناس الله، أو يحدث لهم هذا الكتاب ذكراً، أي موعظة وتذكراً، يهديهم إلى الحق، وذلك في قوله تعالى: { وَكَذلِكَ أَنزَلْنَـاهُ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً{ والعلم عند الله تعالى.

{وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ} (صٓ:30)

ذكر في هذه الآية الكريمة، أنه وهب سليمان لداود، وقد بين في سورة النمل أن الموهوب ورث الموهوب له، وذلك في قوله تعالى: { وَوَرِثَ سُلَيْمَـانُ دَاوُودَ} . وقد بينا في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى عن زكريا { فَهَبْ لِى مِن لَّدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ} أنها وراثة علم ودين لا وراثة مال.

{نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} (صٓ:30) {إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ} (صٓ:31) {فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ} (صٓ:32) {رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ} (صٓ:33) {وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ} (صٓ:34) {قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ} (صٓ:35) {فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ} (صٓ:36)

قوله تعالى: { فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ} . قد قدمنا الكلام عليه موضحاً بالآيات القرآنية في سورة الأنبياء في الكلام على قوله تعالى: { وَلِسُلَيْمَـانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِ} . وفسرنا هناك قوله هنا حيث أصاب وذكرنا هناك أوجه الجمع، بين قوله هنا: { رُخَآءً} ، وقوله هناك: { وَلِسُلَيْمَـانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً} ووجه الجمع أيضاً بين عموم الجهات المفهوم من قوله هنا { حَيْثُ أَصَابَ} أي حيث أراد وبين خصوص الأرض المباركة المذكورة هناك في قوله { تَجْرِى بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِى بَارَكْنَا فِيهَا} .

{وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ} (صٓ:37)

قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية في سورة الأنبياء في الكلام على قوله تعالى: {وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ} .

{وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ} (صٓ:38){هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (صٓ:39){وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ} (صٓ:40){وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} (صٓ:41){ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ} (صٓ:42){وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (صٓ:43){وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِبْ بِهِ وَلا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} (صٓ:44){وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ} (صٓ:45)

أمر الله جل وعلا، نبيه في هذه الآية الكريمة، أن يذكر عبده إبراهيم ولم يقيد ذلك الذكر بكونه في الكتاب، مع أنه قيده بذلك في سورة مريم، في قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً} .

{إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ} (صٓ:46){وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ} (صٓ:47)

{وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ} (صٓ:48)

أطلق هنا أيضاً الأمر بذكر إسماعيل وقيده في سورة مريم بكونه في الكتاب في قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ} ، وفي ذلك إشارة إلى أنه مأمور أيضاً بذكر جميع المذكورين في الكتاب. ولذلك جاء ذكرهم كلهم في القرآن العظيم كما لا يخفى.

{هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ} (صٓ:49){جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ}

(صٓ:50){مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ} (صٓ:51) {وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ

أَتْرَابٌ} (صٓ:52)

قد قدمنا الكلام عليه فى سورة الصافات فى الكلام على قوله تعالى { وَعِنْدَهُم قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ عِين}

{هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ} (صٓ:53){إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ} (صٓ:54)

ما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن نعيم الجنة، لا نفاد له، أي لا انقطاع له ولا زوال، ذكره جل وعلا في آيات أخر كقوله تعالى فيه: { عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} . وقوله تعالى : { مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ} .

{هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ} (صٓ:55){جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ} (صٓ:56){هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ

حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ} (صٓ:57){وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ} (صٓ:58){هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لا مَرْحَباً

بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ} (صٓ:59){قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لا مَرْحَباً بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ}

(صٓ:60){قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَاباً ضِعْفاً فِي النَّارِ} (صٓ:61){وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً

كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ} (صٓ:62){أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيّاً أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ} (صٓ:63){إِنَّ ذَلِكَ

لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ} (صٓ:64)

قوله تعالى: { إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ } وذكرنا بعضه في سورة الأعراف، في الكلام على قوله تعالى: { حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا } .

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (صٓ:65) {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ} (صٓ:66) {قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ} (صٓ:67) {أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ} (صٓ:68) {مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ} (صٓ:69) {إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ} (صٓ:70) {إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ} (صٓ:71) {فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} (صٓ:72) {فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ} (صٓ:73) {إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} (صٓ:74) {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ} (صٓ:75) {قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} (صٓ:76)

قد تقدم فى الكلام على قوله تعالى: { إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَـــافِرِينَ}

{قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ} (صٓ:77) {وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ} (صٓ:78) {قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} (صٓ:79) {قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ} (صٓ:80) {إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} (صٓ:81) { قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} (صٓ:82) { إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} (صٓ:83

هواعتراف الشيطان بقوله تعالى { إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـــانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ}

{قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ} (صٓ:84) {لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} (صٓ:85)

تفسير الفاروق

وهذه الآية كقوله تعالى { ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين} وكقوله عز وجل { قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا } .

{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ} (صٓ:86)

كقوله تعالى عن نبيه نوح { وَيَاقَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ} .

{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ} (صٓ:87)

يعني القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن وهذه الآية كقوله تعالى { لأنذركم به ومن بلغ } وكقوله عز وجل { ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده } .

{وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ} (صٓ:88)

الحين المذكور هنا، قال بعض العلماء: المراد به بعد الموت ويدل له ما قدمنا في سورة الحجر، في الكلام على قوله تعالى: { وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} .

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الزمر

{تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ } (الزمر:1)

قد دل استقراء القرآن العظيم، على أن الله جل وعلا، إذا ذكر تنزيله لكتابه، أتبع ذلك ببعض أسمائه الحسنى، المتضمنة صفاته العليا. ففي أول هذه السورة الكريمة، لما ذكر تنزيله كتابه، بين أنَّ مبدأ تنزيله كائن منه جل وعلا، وذكر اسمه الله، واسمه العزيز، والحكيم، وذكر مثل ذلك في أول سورة الجاثية، في قوله تعالى: {حم تَنزِيلُ الْكِتَـٰبِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ إِنَّ فِى السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ}، وفي أول سورة الأحقاف في قوله تعالى: {حـم تَنزِيلُ الْكِتَـٰبِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِالْحَقِّ}. كقوله في أول سورة غافر {حـم تَنزِيلُ الْكِتَـٰبِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} وقوله تعالى في أول فصلت {حـمتَنزِيلٌ مِّن الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}. وقوله تعالى في أول هود {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءايَـٰتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} وقوله في فصلت {وَإِنَّهُ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌلاَّ يَأْتِيهِ الْبَـٰطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} وقوله تعالى في صدر يس {تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ} وقوله تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ}. وقوله تعالى: {تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَـٰلَمِينَ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ}.

ولا يخفى أن ذكره جل وعلا هذه الأسماء الحسنى العظيمة، بعد ذكره تنزيل هذا القرآن العظيم، يدل بإيضاح، على عظمة القرآن العظيم، وجلالة شأنه وأهمية نزوله والعلم عند الله تعالى.

{إِنَّآ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} (الزمر:2)

{فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ} (الزمر:2)

أمر الله جل وعلا نبيه في هذه الآية الكريمة، أن يعبده في حال كونه، مخلصاً له الدين، أي مخلصاً له في عبادته، من جميع أنواع الشرك صغيرها وكبيرها، كما هو واضح من لفظ الآية. والإخلاص، إفراد المعبود بالقصد، في كل ما أمر بالتقرب به إليه، وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من كون الإخلاص في العبادة لله وحده، لا بد منه، جاء في آيات متعددة، وقد بين جل وعلا، أنه ما أمر بعبادة، إلا عبادة يخلص له العابد فيها. أما غير المخلص فكل ما أتى به من ذلك، جاء به من تلقاء نفسه، لا بأمر ربه، قال تعالى: {وَمَآ أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ}، وقال جل وعلا {قُلْ إِنِّى أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِاَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ} إلى قوله تعالى: {قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِىفَاعْبُدُواْ مَا شِئْتُمْ مِّن دُونِهِ}.

وقد قدمنا الكلام على العمل الصالح، وأنه لا بد فيه من الإخلاص، في أول سورة الكهف، في الكلام على قوله تعالى: {وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّـٰلِحَاتِ}.

{أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ} (الزمر:3)

أي التوحيد الصافي من شوائب الشرك، أي هو المستحق لذلك وحده، وهو الذي أمر به. وقول من قال من العلماء: إن المراد بالدين الخالص كلمة لا إله إلا الله موافق لما ذكرناه. والعلم عند الله تعالى.

{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} (الزمر:3)

ثم لما ذكر جل وعلا إخلاص العبادة له وحده، بين شبهة الكفار التي احتجوا بها، للإشراك به تعالى، في قوله تعالى هنا فبين أنهم يزعمون أنهم ما عبدوا الأصنام، إلا لأجل أن تقربهم من الله زلفى، والزلفى القرابة. فقوله: زلفى، ما ناب عن المطلق من قوله ليقربونا، أي ليقربونا إليه قرابة تنفعنا بشفاعتهم في زعمهم. ولذا كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. وقد صرح تعالى بذلك في سورة يونس في قوله جل وعلا {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـؤُلاءِ شُفَعَـاؤُنَا عِندَ اللهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَـاوَات وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}. فصرح تعالى بأن هذا النوع، من ادعاء الشفعاء شرك بالله، ونزه نفسه الكريمة عنه، بقوله جل وعلا {سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} وأشار إلى ذلك في آية الزمر هذه، لأنه جل وعلا لما قال عنهم: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللهِ زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} أتبع ذلك بقوله تعالى: {إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـاذِبٌ كَـفَّارٌ}.

{لَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (الزمر:4)

قد قدمنا ذلك فى الكلام على قوله تعالى: {وَيَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَـاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ}. كما قال عز وجل {لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين} و كما قال {قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين} كل هذا من باب الشرط ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد المتكلم وقوله تعالى {سبحانه هو الله الواحد القهار} أي تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد فإنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي كل شيء عبد لديه فقير إليه وهو الغنى عما سواه الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا.

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمّىً أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ} (الزمر:5)

يخبر تعالى أنه الخالق لما في السموات والأرض وما بين ذلك من الأشياء وبأنه مالك الملك المتصرف فيه يقلب ليله ونهاره {يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل} أي سخرهما يجريان متعاقبين لا يفتران كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا

كقوله تبارك وتعالى {يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا} وقوله عز وجل {وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى} أي إلى مدة معلومة عند الله تعالى ثم ينقضي يوم القيامة

{خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا} (الزمر:6)

كقوله تعالى في أول سورة النساء {يَـاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً} وقوله في الأعراف: {هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا}

{وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} (الزمر:6)

قد قدمنا إيضاح هذه الأزواج الثمانية بنص القرآن العظيم، في سورة آل عمران في الكلام على قوله تعالى {وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَـامِ وَالْحَرْثِ}.

{يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ} (الزمر:6)

كما قدمنا فى قوله تعالى: {ياأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـاكُمْ مِّن تُرَابٍ} وبينا هناك المراد بالظلمات الثلاث المذكورة هنا.

{ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} (الزمر:6) {إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ} (الزمر:7)

كقوله تعالى {وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِى الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ} وقوله تعالى: {فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّاسْتَغْنَى اللهُ وَاللهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ}، وقوله تعالى: {قَالُواْ اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحَـانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ}. وقوله تعالى: {ياأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَآءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ} وقوله تعالى: {وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الفقراء}، وقد أوضحنا هذا بالآيات في مواضع متعددة من هذا الكتاب المبارك.

{ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ} (الزمر:7) {وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (الزمر:7)

قد قدمنا إيضاحه مع إزالة الإشكال، والجواب عن الأسئلة الواردة، على تلك الآيات في سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى : {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}، وأوضحنا ذلك، مع إزالة الإشكال في بعض الآيات، في سورة النحل، في الكلام على قوله تعالى: {لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَـامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ}.

{وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ} (الزمر:8)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة يونس، في الكلام على قوله تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الإِنسَـانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا}.

{ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} (الزمر:8)

قد قدمنا الآيات الموضحة له مع الإشارة إلى بحث أصوله في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى {ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}.

{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}(الزمر:9){ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ} (الزمر:10)

كما قال تعالى {ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون}

{ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ} (الزمر:10)

الظاهر أن معنى الآية، أن الإنسان إذا كان في محل لا يتمكن فيه من إقامة دينه على الوجه المطلوب، فعليه أن يهاجر منه، في مناكب أرض الله الواسعة، حتى يجد محلاً تمكنه فيه إقامة دينه. وقد أوضح تعالى هذا المعنى في غير هذا الموضع كقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّـاهُمُ الْمَلَـائِكَةُ ظَـالِمِى أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى الأَرْضِ قَالْواْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَة فَتُهَـاجِرُواْ فِيهَا}. وقوله تعالى: {ياعِبَادِىَ لَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ أَرْضِى وَاسِعَةٌ فَإِيَّاىَ فَاعْبُدُونِ}، ولا يخفى أن الترتيب بالفاء في قوله: {فَإِيَّاىَ فَاعْبُدُونِ} على قوله: {إِنَّ أَرْضِى وَاسِعَةٌ} دليل واضح على ذلك.

{ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ}(الزمر:10) {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ} (الزمر:11){وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ}(الزمر:12) {قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ}(الزمر:13) {قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي}(الزمر:14) {فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ}(الزمر:15)

قد قدمنا الآيات الموضحة له، من أوجه في سورة يونس، في الكلام على قوله تعالى {قَدْ خَسِرَ الَّذِين كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ اللّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ}.

{لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ} (الزمر:16)

قد قدمنا الآيات الموضحة له، في سورة الأنبياء، في الكلام على قوله تعالى: {لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لاَ يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلاَ عَن ظُهُورِهِمْ}، وذكرنا طرفاً من ذلك، في سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا} كما قال عز وجل {لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين} وقال تعالى {يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون}

{وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ} (الزمر:17)

ما تضمنته هذه الآية الكريمة، من تحقيق معنى لا إله إلا الله، قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة الفاتحة، في الكلام على قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ}.

{الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} (الزمر:18)

أظهر الأقوال في الآية الكريمة، أن المراد بالقول، ما جاء به النبي، من وحي الكتاب والسنة، ومن إطلاق القول على القرآن قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ الْقَوْلَ}. وقوله تعالى : {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هوَ بِالْهَزْلِ}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} أي يقدمون الأحسن، الذي هو أشد حسناً، على الأحسن الذي هو دونه في الحسن، ويقدمون الأحسن مطلقاً على الحسن. ويدل لهذا آيات من كتاب الله. أما الدليل على أن القول الأحسن المتبع. ما أنزل عليه من الوحي، فهو في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: {وَاتَّبِعُواْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ} وقوله تعالى لموسى يأمره بالأخذ بأحسن ما في التوراة {فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا}.

{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ}(الزمر:18) {أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ} (الزمر:19)

أظهر القولين في الآية الكريمة، أنهما جملتان مستقلتان، فقوله أفمن حق عليه كلمة العذاب جملة مستقلة، لكن فيها حذفاً، وحذف ما دل المقام عليه واضح، لا إشكال فيه. وقد قدمنا إيضاح مادلت عليه هذه الآية الكريمة فى الكلام فى أول سورة يس على قوله تعالى {لَقَد حَقَّ القَوْلُ عَلى أَكْثَرِهِم}.

{لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ} (الزمر:20)

كقوله تعالى في سورة سبأ {إِلاَّ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـالِحاً فَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى الْغُرُفَـاتِ ءَامِنُونَ}. وقوله تعالى في سورة التوبة: {وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَـارُ خَـالِدِينَ فِيهَا وَمَسَـاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ}. وقوله تعالى في سورة الصف: {يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَـارُ وَمَسَـاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، لأن المساكن الطيبة المذكورة في التوبة والصف صادقة بالغرف المذكورة في الزمر وسبأ، وقد قدمنا طرفاً من هذا في سورة الفرقان، في الكلام على قوله تعالى: {أُوْلَـئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ}.

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ} (الزمر:21)

الينابيع: جمع ينبوع، وهو الماء الكثير. وقد بيناه فى قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِى الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا}.

{ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ} (الزمر:21)

قد قدمنا الكلام على ما يماثله من الآيات في سورة الروم في الكلام على قوله تعالى : {وَمِنْ ءَايَـاتِهِ خَلْقُ السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ} وأحلنا عليه في سورة فاطر، في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا}

{ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (الزمر:21)

قوله ثم يهيج: أي ثم بعد نضارة ذلك الزرع وخضرته ييبس، ويتم جفافه ويثور من منابته فتراه أيها الناظر مصفراً يابساً، قد زالت خضرته ونضارته. ثم يجعله حطاماً أي فتاتاً، متكسراً، هشيماً، تذروه الرياح، إن في ذلك المذكور من حالات ذلك الزرع، المختلف الألوان، لذكري أي عبرة وموعظة وتذكيراً لأولي الألباب، أي لأصحاب العقول السليمة من شوائب الاختلال، فقد

ذكر جل وعلا مصير هذا الزرع على سبيل الموعظة والتذكير، وبين في موضع آخر، أن ما وعظ به خلقه هنا من حالات هذا الزرع شبيه أيضاً بالدنيا. فوعظ به في موضع وشبه به حالة الدنيا في موضع آخر، وذلك في قوله تعالى في سورة الحديد {اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الأَمْوَالِ وَالأَوْلٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاه مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً} . ويبين في سورة الروم أن من أسباب اصفراره المذكور إرسال الريح عليه، وذلك في قوله: {وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَّظَلُّواْ مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ} .

{أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ} (الزمر:22)

قد تقدم الكلام عليه فى قوله تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ} . كقوله عز وجل {أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}

{فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (الزمر:22){اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ} (الزمر:23)

{تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ} (الزمر:23)

أي هذه صفة الأبرار عند سماع كلام الجبار المهيمن العزيز الغفار لما يفهمون منه من الوعد والوعيد والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف {ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله} لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه كما قال تبارك وتعالى {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم} وقال تعالى {والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا} أي لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها بل مصغين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها

{وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} (الزمر:23)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى مَن يُضِلُّ} .

{أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ} (الزمر:24)
{كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ} (الزمر:25) {فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الْخِزْيَ فِي

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (الزمر:26) {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (الزمر:27)

أي بينا للناس فيه بضرب الأمثال {لعلهم يتذكرونٍ} كما قال تبارك وتعالى {ضرب لكم مثلا من أنفسكم} أي تعلمونه من أنفسكم وقال عز وجل {وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون}.

{قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} (الزمر:28)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة الكهف، في الكلام على قوله تعالى: {وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا قَيِّماً}. وقوله في هذه الآية الكريمة: قرآناً انتصب على الحال وهي حال مؤكدة، والحال في الحقيقة هو عربياً، وقرآناً توطئة له وقيل انتصب على المدح. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: عربياً، أي لأنه بلسان عربي كما قال تعالى: {لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ}. وقال تعالى في أول سورة يوسف {إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}. وقال في أول الزخرف {إِنَّا جَعَلْنَـاهُ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}. وقال في طه {وَكَذلِكَ أَنزَلْنَـاهُ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيد لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً} وقال تعالى في فصلت: {وَلَوْ جَعَلْنَـاهُ قُرْءَاناً أعْجَمِيّاً لَّقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتْ ءَايَـاتُهُ ءَاعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ} وقال تعالى في الشعراء {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَـالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ} وقال تعالى في سورة شورى {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا}. وقال تعالى في الرعد {وَكَذلِك أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِىٍّ وَلاَ وَاقٍ} إلى غير ذلك من الآيات. وهذه الآيات القرآنية تدل على شرف اللغة العربية وعظمها، دلالة لا ينكرها إلا مكابر.

{ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ} (الزمر:29) {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} (الزمر:30)

كقوله عز وجل {وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم}

{ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} (الزمر:31) {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ} (الزمر:32) {وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (الزمر:33)

أوضح جل وعلا، أن الذي في هذه الآية بمعنى الذين، بدليل قوله بعده {أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَآءُ الْمُحْسِنِينَ}.

{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ} (الزمر:34)

قد قدمنا الآيات الموضحة فى سورة النحل {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى من تحتها الأنْهارُ لهُم فِيها مايشَاؤون}

{لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الزمر:35)

قد قدمنا الآيات الموضحة له، في هذه السورة الكريمة، في الكلام على قوله تعالى: {فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَــتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} وفي سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}.

{أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} (الزمر:36)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الأنفال، في الكلام على قوله تعالى: {يَــاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} والمراد به، النبي. كقوله: {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ} وقوله تعالى: {يَــاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ}.

{أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ} (الزمر:36)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أن الكفار عبدة الأوثان، يخوفون النبي، بالأوثان التي يعبدونها من دون الله، لأنهم يقولون له: إنها ستضره وتخبله، وهذه عادة عبدة الأوثان لعنهم الله، يخوفون الرسل بالأوثان ويزعمون أنها ستضرهم وتصل إليهم بالسوء. ومعلوم أن أنبياء الله عليهم صلوات الله وسلامه، لا يخافون غير الله ولا سيما الأوثان، التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع، ولذا قال تعالى عن نبيه إبراهيم لما خوَّفوه بها {وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَــاناً فَأَىُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ}. وقال عن نبيه هود وما ذكره له قومه من ذلك {إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّى أُشْهِدُ اللهَ وَاشْهَدُواْ أَنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لاَ تُنظِرُونِ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ ءاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}. وقال تعالى في هذه السورة الكريمة، مخاطباً نبينا، بعد أن ذكر تخويفهم له بأصنامهم {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَــاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِىَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَــاشِفَــاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَــاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِىَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّــلُ الْمُتَوَكِّلُونَ}.

ومعلوم أن الخوف من تلك الأصنام من أشنع أنواع الكفر والإشراك بالله. وقد بين جل وعلا في موضع آخر، أن الشيطان يخوف المؤمنين أيضاً، الذين هم أتباع الرسل من أتباعه وأوليائه من الكفار، كما قال تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَــانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ}. والأظهر أن قوله {يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ} حذف فيه المفعول الأول، أي يخوفكم أولياءه، بدليل قوله بعده: {فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ}.

{وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} (الزمر:36) { وَمَنْ يَهْدِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ} (الزمر:37) { وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} (الزمر:38)

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ} (الزمر:38)

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن المعبودات من دونه، لا تقدر أن تكشف ضراً أراد الله به أحداً، أو تمسك رحمة أراد بها أحداً، جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى: {لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِى عَنكَ شَيْئاً} وقوله تعالى: {قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ}. وقوله تعالى : {مَّا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} وقوله تعالى {وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

{قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ}(الزمر:39) {مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ}(الزمر:40) {إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ}(الزمر:41)

أي بموكل أن يهتدوا كقوله تعالى {إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل} وقوله تعالى {إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب}.

{اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الزمر:42)

كما قال تبارك وتعالى {وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمى إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون}

{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لا يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلا يَعْقِلُونَ}(الزمر:43) {قُلْ للهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (الزمر:44){ وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}(الزمر:45)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الصافات، في الكلام على قوله تعالى {إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ إِنَّهُمْ كَانُواْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ}.

{قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} (الزمر:46){ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ}(الزمر:47)

وصرح فيها بأنه لا فداء ألبتة يوم القيامة كقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّـٰصِرِينَ}. وقوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} وقوله تعالى {فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلاَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِىَ مَوْلاَكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}. وقوله تعالى: {وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لاَّ يُؤْخَذْ مِنْهَآ أُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ}. فقوله {وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ} أي وإن تفتد كل فداء، وقوله تعالى {وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ}. وقوله {وَلاَ يُقْبل مِنْهَا عَدْلٌ}، والعدل الفداء وقوله تعالى {وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ أُوْلَـٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَـٰبِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}. قوله تعالى {فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ}.

{وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ}(الزمر:47) {وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}(الزمر:48)

أي جزاء سيئاتهم التي اكتسبوها في الدنيا، فالظاهر أنه أطلق السيئات هنا مراداً بها جزاؤها. ونظيره من القرآن قوله تعالى {وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا}. ونظير ذلك أيضاً إطلاق العقاب، على جزاء العقاب، في قوله تعالى {ذلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْه لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ}. وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أنهم يبدوا لهم يوم القيامة، حقيقة ما كانوا يعملونه في الدنيا جاء موضحاً في آيات أخر، كقوله تعالى {هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ} وقوله تعالى {يُنَبَّأُ الإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذِ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} وقوله تعالى {عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ}. وقوله تعالى: {وَيَقُولُونَ ياوَيْلَتَنَا مَا لِهَـٰذَا الْكِتَـٰبِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً

إلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا}. وقوله تعالى {وَكُلَّ إِنْسَـانٍ أَلْزَمْنَـاهُ طَـائِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَـامَةِ كِتَابًا يَلْقَـاهُ مَنْشُوراًاقْرَأْ كَتَـابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} إلى غير ذلك من الآيات.

{فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} (الزمر:49)

قوله تعالى: {فَإِذَا مَسَّ الإِنسَـان ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ}. قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة يونس، في الكلام على قوله تعالى {وَإِذَا مَسَّ الإِنسَـانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ}.

{قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}(الزمر:50) {فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ}(الزمر: 51) { أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (الزمر:52) { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (الزمر:53)

قال الله تعالى {ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده} وقال عز وجل {ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما} وقال جل وعلا في حق المنافقين {إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا إلا الذين تابوا واصلحوا} قال جلت عظمته {أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم} وقال تبارك وتعالى {إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا} قال الحسن البصري رحمة الله عليه انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة والآيات في هذا كثيرة جدا.

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل {قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا} قد دعا الله تعالى إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله ومن زعم أن المسيح هو ابن الله ومن زعم أن عزيرا ابن الله ومن زعم أن الله فقير ومن زعم أن يد الله مغلولة ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة يقول الله تعالى لهؤلاء {أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم} ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولا من هؤلاء من قال أنا ربكم الأعلى ومن قال { ما علمت لكم من إله غيري} قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل.

{وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ} (الزمر:54) { وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} (الزمر:55)

قد قدمنا الآيات الموضحة له فى قوله تعالى {فَبَشِّرْ العِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَــتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} وقوله تعالى: {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}.

{أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ} (الزمر:56) {أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ} (الزمر:57) {أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} (الزمر:58)

قد قدمنا الآيات الموضحة له من جهات في سورة الأعراف، في الكلام على قوله تعالى {يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ}.

{بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} (الزمر:59) { وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ} (الزمر:60)

قد قدمنا الآيات الموضحة له فى شرح قوله تعالى {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ}.

{أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ} (الزمر:60)

تقدم إيضاحه فى الكلام على قوله تعالى {قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّــاغِرِينَ}.

{وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ} (الزمر:61) {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (الزمر:62) {لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (الزمر:63) {قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ} (الزمر:64) { وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (الزمر:65)

تقدم إيضاحه فى الكلام على قوله تعالى {وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}. وقد ذكرنا في سورة المائدة الآية المتضمنة للقيد الذي لم يذكر في هذه الآيات على قوله تعالى {وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَــانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ}.

{بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ} (الزمر:66) {وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (الزمر:67) {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} (الزمر:68)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة يس، في الكلام على قوله تعالى {وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ}.

{وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا} (الزمر:69)

{وَوُضِعَ الْكِتَابُ} (الزمر:69)

قد قدمنا إيضاحه، بالآيات القرآنية، في سورة الكهف، في الكلام على قوله تعالى {وَوُضِعَ الْكِتَـابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ} وفي سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَـامَةِ كِتَابًا يَلْقَـاه مَنْشُوراً}.

{وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} (الزمر:69)

اختلف العلماء في المراد بالشهداء في هذه الآية الكريمة، فقال بعضهم: هم الحفظة من الملائكة الذين كانوا يحصون أعمالهم في الدنيا، واستدل من قال هذا بقوله تعالى {وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ}. وقال بعض العلماء: الشهداء أمة محمد، يشهدون على الأمم، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَـاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}. وقيل: الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، وأظهر الأقوال في الآية عندي، أن الشهداء هم الرسل من البشر، الذين أرسلوا إلى الأمم، لأنه لا يقضي بين الأمة حتى يأتي رسولها، كما صرح تعالى بذلك في سورة يونس في قوله تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} فصرح جل وعلا بأنه يسأل الرسل عما أجابتهم به أممهم، كما قال تعالى: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الرُّسُلَ فَيَقُول مَاذَآ أُجِبْتُمْ} وقال تعالى {فَلَنَسْـئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} وقد يشير إلى ذلك قوله تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاءِ شَهِيداً} لأن كونه هو الشهيد على هؤلاء الذين هم أمته، يدل على أن الشهيد على كل أمة هو رسولها.

وقد بين تعالى أن الشهيد على كل أمة من أنفس الأمة، فدل على أنه ليس من الملائكة، وذلك في قوله تعالى {وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ} والرسل من أنفس الأمم كما قال تعالى في نبينا محمد: {لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ}. وقال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ}.

{وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ} (الزمر:70)

{وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً} (الزمر:71)

الزمر الأفواج المتفرقة، واحده زمرة، وقد عبر تعالى عنها هنا بالزمر، وعبر عنها في الملك بالأفواج في قوله تعالى: {كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ}، وعبر عنها في الأعراف بالأمم في قوله تعالى: {قَالَ ادْخُلُواْ فِىۤ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِى النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ} . وقال في فصلت {وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمْ مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَـٰسِرِينَ} وقال تعالى: {هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لاَ مَرْحَباً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ}.

{حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} (الزمر:71)

لم يبين جل وعلا هنا عدد أبوابها المذكورة، ولكنه بين ذلك، في سورة الحجر في قوله {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ}.

{وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ} (الزمر:71)

قد قدمنا إيضاحه، بالآيات القرآنية، في الكلام على قوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}.

{قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} (الزمر:72)

{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} (الزمر:73)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النحل، في الكلام على قوله تعالى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّـٰهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}.

{وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} (الزمر:74)

وذكر هذا المعنى في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَـٰرُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ للهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}. وقوله تعالى: {وَنَادَى أَصْحَـٰبُ الْجَنَّةِ أَصْحَـٰبَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا}. وقوله تعالى: {جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ وَقَالُواْ الْحَمْدُ للهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}

{وَتَرَى الْمَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الزمر:75)

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة غافر

{حم} (غافر:1){تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} (غافر:2){غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} (غافر:3)

جمع جل وعلا في هذه الآية الكريمة، بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد، لأن مطامع العقلاء محصورة في أمرين، هما جلب النفع ودفع الضر، وهذ المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى: {نَبِّىءْ عِبَادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ} وقوله تعالى: {قَالَ عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ}. وقوله تعالى في آخر الأنعام: {إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ}. وقوله في الأعراف: {إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} والآيات بمثل ذلك كثيرة معروفة.

{مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا} (غافر:4)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه لا يجادل في آيات الله، أي لا يخاصم فيها محاولاً ردها، وإبطال ما جاء فيها، إلا الكفار. وقد بين تعالى في غير هذا الموضع الغرض الحامل لهم على الجدال فيها مع بعض صفاتهم، وذلك في قوله {وَيُجَـٰدِلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِالْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُواْ ءايَاتِى وَمَا أُنْذِرُواْ هُزُواً} وأوضح ذلك الغرض، في هذه السورة الكريمة، في قوله {وَجَـٰدَلُوا بِالْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقَّ}.

وقد قدمنا في سورة الحج أن الذين يجادلون في الله منهم، أتباع يتبعون رؤساءهم المضلين، من شياطين الإنس والجن، وهم المذكورون في قوله تعالى {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـٰنٍ مَّرِيدٍ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ}. وإن منهم قادة هم رؤساؤهم المتبوعون وهم المذكورون في قوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَـٰدِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَـٰبٍ مُّنِيرٍ ثَانِىَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللهِ}.

وبين تعالى في موضع آخر أن من أنواع جدال الكفار، جدالهم للمؤمنين الذين استجابوا لله وآمنوا به وبرسوله، ليردوهم إلى الكفر بعد الإيمان، وبين بطلان حجة هؤلاء، وتوعدهم بغضبه عليهم، وعذابه الشديد وذلك في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى اللهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ}.

{فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ} (غافر:4)

والمعنى: لا تغتر بإنعام الله عليهم تقلبهم في بلاده، في إنعام وعافية فإن الله جل وعلا يستدرجهم بذلك الإنعام، فيمتعهم به قليلاً، ثم يهلكهم فيجعل مصيرهم إلى النار. وقد أوضح هذا المعنى في آيات من كتابه كقوله تعالى: {لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِى الْبِلَادِ مَتَـاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ}. وقوله تعالى: {وَمَن كَفَرَ فَلاَ يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُم فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} وقوله تعالى: {قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرِ} وقوله تعالى {قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ مَتَـاعٌ فِى الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات. والفاء في قوله: فلا يغررك، سببية أي لا يمكن تقلبهم في بلاد الله. متنعمين بالأموال والأرزاق، سبباً لاغترارك بهم، فتظن بهم ظناً حسناً لأن ذلك التنعم، تنعم استدراج، وهو زائل عن قريب، وهم صائرون إلى الهلاك والعذاب الدائم.

{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ} (غافر:5)

{وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ} (غافر:6)

قد بيناها فى قوله تعالى فى سورة يس. {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ}.

{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (غافر:7){رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (غافر:8)

أي اجمع بينهم وبينهم لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة كما قال تبارك وتعالى {والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء} أي ساوينا بين الكل في المنزلة لتقر أعينهم وما نقصنا العالي حتى يساوي الداني بل رفعنا ناقص العمل فساويناه بكثير العمل تفضلا منا ومنة.

لم يبين هنا الآية المتضمنة لوعدهم بالجنات، هم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، ولكنه جل وعلا أوضح وعده إياهم بذلك في سورة الرعد في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلَوةَ وَأَنْفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً

وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّـاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ}.

{وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (غافر:9)

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْأِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ} (غافر:10) { قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ} (غافر:11)

التحقيق الذي لا ينبغي العدول عنه، أن المراد بالإماتتين في هذه الآية الكريمة، الإماتة الأولى، التي هي كونهم في بطون أمهاتهم نطفاً وعلقاً، ومضغاً. قبل نفخ الروح فيهم، فهم قبل نفخ الروح فيهم لا حياة لهم، فأطلق عليهم بذلك الاعتبار اسم الموت. والإماتة الثانية هي إماتتهم وصيرورتهم إلى قبورهم عند انقضاء آجالهم في دار الدنيا. وأن المراد بالإحياءتين، الإحياءة الأولى في دار الدنيا، والإحياءة الثانية، التي هي البعث من القبور إلى الحساب، والجزاء والخلود الأبدي. والدليل من القرآن على أن هذا القول في الآية هو التحقيق، أن الله صرح به واضحاً في قوله جل وعلا {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَـاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

{ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا} (غافر:11)

قد بين جل وعلا في غير هذا الموضع، أن الاعتراف بالذنب في ذلك الوقت لا ينفع، كما قال تعالى: {فَاعْتَرَفُواْ بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِاَصْحَـابِ السَّعِيرِ} وقال تعالى {رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{ فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ} (غافر:11)

قد قدمنا ايضاحه فى سورة الاعراف فى قوله تعالى {يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ}.

{ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا} (غافر:12)

قد تقدم الكلام عليه في سورة الصافات، في الكلام على قوله تعالى {إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ إِنَّهُمْ كَانُواْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ}.

{فَالْحُكْمُ للهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ} (غافر:12)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الكهف، في الكلام على قوله تعالى: {وَلاَ يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَدًا}.

{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ} (غافر:13)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه جل وعلا هو الذي يُري خلقه آياته، أي الكونية القدرية ليجعلها علامات لهم على ربوبيته، واستحقاقه العبادة وحده ومن تلك الآيات الليل والنهار والشمس والقمر كما قال تعالى: {وَمِنْ ءَايَـاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ}. ومنها السماوات والأرضون، وما فيهما والنجوم، والرياح والسحاب، والبحار والأنهار، والعيون والجبال والأشجار وآثار قوم هلكوا، كما قال تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْض وَاخْتِلَـافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} إلى قوله {لآيَـاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}. وقال تعالى: {إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَـاتٍ لِأُوْلِى الأَلْبَـابِ} . وقال تعالى: {إِنَّ فِى السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْض لآيَـاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَآ أَنَزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ءَايَـاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} وقال تعالى {إِنَّ فِى اخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِى السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَـاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ}. وما ذكره جل وعلا في آية المؤمن هذه، من أنه هو الذي يُري خلقه آياته، بينه وزاده إيضاحاً في غير هذا الموضع، فبين أنه يريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم، وأن مراده بذلك البيان أن يتبين لهم أن ما جاء به محمد حق، كما قال تعالى: {سَنُرِيهِمْ ءَايَـاتِنَا فِى الأَفَاقِ وَفِى أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰيَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}. والآفاق جمع أفق وهو الناحية، والله جل وعلا قد بين من غرائب صنعه، وعجائبه، في نواحي سماواته وأرضه، ما يتبين به لكل عاقل أنه هو الرب المعبود وحده. كما أشرنا إليه، من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والجبال، والدواب والبحار، إلى غير ذلك. وبين أيضاً أن من آياته التي يريهم ولا يمكنهم أن ينكروا شيئاً منها تسخيره لهم الأنعام ليركبوها ويأكلوا من لحومها، وينتفعوا بألبانها، وزبدها وسمنها، وأقطها ويلبسوا من جلودها، وأصوافها وأوبارها وأشعارها، كما قال تعالى: {اللهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَـامَ لِتَرْكَـبُواْ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـافِعُ وَلِتَـبْلُغُواْ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ وَيُرِيكُمْ ءَايَـاتِهِ فَأَىَّ ءَايَـاتِ اللهِ تُنكِرُونَ}. وبين في بعض المواضع، أن من آياته التي يريها بعض خلقه، معجزات رسله، لأن المعجزات آيات، أي دلالات، وعلامات على صدق الرسل، كما قال تعالى في فرعون {وَلَقَدْ أَرَيْنَـاهُ ءَايَـاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى} وبين في موضع آخر، أن من آياته التي يريها خلقه، عقوبته المكذبين رسله، كما قال تعالى في قصة إهلاكه قوم لوط {وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}. وقال في عقوبته فرعون وقومه بالطوفان والجراد والقمل إلخ: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَـاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ}.

{ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقاً} (غافر:13)

أطلق جل وعلا في هذه الآية الكريمة، الرزق وأراد المطر، لأن المطر سبب الرزق، وإطلاق المسبب وإرادة سببه لشدة الملابسة بينهما أسلوب عربي معروف، وكذلك عكسه الذي هو إطلاق السبب وإرادة المسبب وإطلاق الرزق في آية المؤمن هذه على المطر جاء مثله، في غير هذا الموضع كقوله تعالى في أول سورة الجاثية {وَمَآ أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَآءِ مِّن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} فأوضح بقوله {فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} أن مراده بالرزق المطر، لأن المطر هو الذي يحيي الله به الأرض بعد موتها. وقد أوضح جل وعلا، أنه إنما سمي المطر رزقاً، لأن المطر سبب الرزق، في آيات كثيرة من كتابه، كقوله تعالى في سورة البقرة

{وَأَنزلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ}، والباء في قوله فأخرج به سببية كما ترى. وكقوله تعالى في سورة إبراهيم: {اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ}. وقوله تعالى في سورة ق: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً مُّبَـارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّـاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَـاسِقَـاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِّزْقاً لِّلْعِبَادِ}. وبين في آيات أخر أن الرزق المذكور، شامل لما يأكله الناس ، وما تأكله الأنعام، لأن ما تأكله الأنعام، يحصل بسببه للناس الانتفاع بلحومها، وجلودها وألبانها، وأصوافها وأوبارها، وأشعارها، كما تقدم كقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ الْمَآءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلاَ يُبْصِرُونَ} وقوله تعالى {هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً لَّكُم مَّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَـابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ}. وكقوله تعالى {وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَـاتٍ شَتَّى كُلُواْ وَارْعَوْا أَنْعَـامَكُمْ}. وقوله تعالى: {أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَـاهَاوَالْجِبَالَ أَرْسَـاهَامَتَـاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَـامِكُمْ} إلى غير ذلك من الآيات.

{ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ } (غافر:13)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أن الناس ما يتذكر منهم، أي ما يتعظ بهذه الآيات المشار إليها في قوله: {هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَآءِ رِزْقا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَن يُنِيبُ} أي من رزق الله الإنابة إليه. والإنابة: الرجوع عن الكفر والمعاصي، إلى الإيمان والطاعة. وهؤلاء المنيبون، المتذكرون، المتعظون، هم أصحاب العقول السليمة من شوائب الاختلال، المذكورون في قوله تعالى في أول سورة آل عمران {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَـابِ} وفي قوله تعالى في سورة إبراهيم {وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَـابِ} إلى غير ذلك من الآيات. وقد دلت آية المؤمن هذه، وما في معناها من الآيات، على أن غير أولي الألباب المتذكرين المذكورين آنفاً، لا يتذكر ولا يتعظ بالآيات، بل يعرض عنها أشد الإعراض. وقد جاء هذا المعنى موضحاً، في آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن ءَايَةٍ فِى السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ}. وقوله تعالى: {وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ} وقوله {وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ}. وقوله تعالى: {قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِى السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِى الآيَـاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ} وقوله {وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ} في الأنعام ويس إلى غير ذلك من الآيات.

{فَادْعُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (غافر:14)

قد قدمنا الكلام فى سورة الزمر فى قوله تعالى : {فَاعْبُدْ اللهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ* أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ}.

{رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلاقِ} (غافر:15){يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} (غافر:16)

قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في أول سورة النحل، في الكلام على قوله تعالى {يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُواْ أَنَّهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَ أَنَاْ فَاتَّقُونِ}. وكقوله تعالى {وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين} ولهذا قال عز وجل {لينذر يوم التلاق} قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يوم التلاق اسم من أسماء يوم القيامة حذر الله منه عباده يلتقي فيه آدم وآخر ولده وقيل يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض والخالق والخلق وقد يقال إن يوم التلاق يشمل هذا كله ويشمل أن كل عامل سيلقى ما عمله من خير و شر كما قاله آخرون.

وقوله تعالى في آية المؤمن هذه {يَوْمَ هُم بَـٰرِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ} جاء مثله في آيات كثيرة، كقوله في بروزهم ذلك اليوم {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَـٰوَاتُ وَبَرَزُواْ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} وقوله تعالى {وَبَرَزُواْ للهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا}. وكقوله في كونهم لا يخفى على الله منهم شيء ذلك اليوم {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ}. وقوله تعالى: {إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ}. وقوله تعالى: {إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَىْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِى السَّمَآءِ} والآيات بمثل ذلك كثيرة، وقد بيناها في أول سورة هود في الكلام على قوله تعالى {أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ}، وذكرنا طرفاً من ذلك، في أول سورة سبأ، في الكلام على قوله تعالى {عَـٰلِمِ الْغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى السَّمَـٰوَاتِ وَلاَ فِى الأَرْضِ}.

{الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (غافر:17)

أي يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفسا واحدة كما قال جل وعلا {ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة} وقال جل جلاله {وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر}.

{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ} (غافر:18)

الإنذار، والإعلام المقترن بتهديد خاصة، فكل إنذار إعلام، وليس كل إعلام إنذاراً. قوله تعالى {كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ}. وإنما عبر عن القيامة بالآزفة لأجل أزوفها أي قربها والمعنى {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الأَزِفَةِ} أي يوم القيامة القريب مجيؤها ووقوعها. وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من اقتراب قيام الساعة، جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى {أَزِفَتِ الأَزِفَةُ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ} وقوله تعالى {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ}. وقوله تعالى {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَـٰبُهُمْ}. وقوله تعالى في الأحزاب: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً} وقوله تعالى في الشورى {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ}. وقد قدمنا هذا في أول سورة النحل في الكلام على قوله تعالى {أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ}.

{ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ} (غافر:18)

المراد بكون القلوب، لدى الحناجر، بيان شدة الهول، وفظاعة الأمر، وعليه فالآية كقوله تعالى: {وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَـــارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَاهُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالاً شَدِيدا} وهو زلزال خوف وفزع لا زلزال حركة الأرض. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {كَـــاظِمِينَ} معناه مكروبين ممتلئين خوفاً وغماً وحزناً. والكظم: تردد الخوف والغيظ والحزن في القلب حتى يمتلىء منه، ويضيق به.

{مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ} (غافر:18)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة البقرة وسورة الأعراف، وأحلنا عليه مراراً.

{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} (غافر:19)

وأوضح هذا المعنى، في آيات كثيرة كقوله تعالى عن فرعون وقومه: {وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا}، وقوله تعالى عن فرعون {إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ}. وقوله تعالى: {قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَـــذَا لَسَـــاحِرٌ عَلِيمٌ}

{وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ} (غافر:20)

كقوله تبارك وتعالى {ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى}

{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (غافر:20){أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ} (غافر:21)

أو لم يسيروا} هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد {في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم} من الأمم المكذبة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما حل بهم من العذاب والنكال مع أنهم {كانوا أشد منهم قوة وآثارا في الأرض} أي أثروا في الأرض من البنايات والمعالم والديارات ما لا يقدر هؤلاء عليه كما قال عز وجل{ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه} وقال تعالى {وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها} أي مع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد أخذهم الله بذنوبهم وهي كفرهم برسلهم {وما كان لهم من الله من واق} فما دفع عنهم عذاب الله أحد ولا رده عنهم راد ولا وقاهم واق.

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (غافر:22) {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ} (غافر:23) {إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} (غافر:24)

وأوضح هذا المعنى، في آيات كثيرة كقوله تعالى عن فرعون وقومه: {وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا}، وقوله تعالى عن فرعون {إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ}. وقوله تعالى: {قَالَ لِلْمَلإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ} والآيات بمثل ذلك كثيرة.

{فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ} (غافر:25)

{فلما جاءهم بالحق من عندنا} أي بالبرهان القاطع الدال على أن الله عز وجل أرسله إليهم {قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم} وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل أما الأول فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم أو لمجموع الأمرين وأما الأمر الثاني فللعلة الثانية ولإهانة هذا الشعب ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام ولهذا قالوا {أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعدما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون}

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ} (غافر:26) {وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ} (غافر:27)

وسبب عياذ موسى بربه المذكور، أن فرعون قال لقومه: {ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّى أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُـمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى الأَرْضِ الْفَسَادَ}. ذكر نحوه في سورة الدخان في قوله تعالى عن موسى مخاطباً فرعون وقومه: {وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ}.

{وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} (غافر:28)

حين قال فرعون {ذَرُونِى أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ}. مع أنه لا ذنب له، يستحق به القتل، إلا أنه يقول: ربي الله. وقد بين في آيات أخر أن من عادة المشركين قتل المسلمين، والتنكيل بهم، وإخراجهم من ديارهم من غير ذنب، إلا أنهم يؤمنون بالله ويقولون: ربنا الله، كقوله تعالى في أصحاب الأخدود، الذين حرقوا المؤمنين {قُتِلَ أَصْحَـــابُ الأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُم عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُواْ بِاللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} وقوله تعالى {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـــاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـــارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا اللَّهُ}. وقوله تعالى: عن الذين كانوا سحرة لفرعون، وصاروا من خيار المؤمنين، لما هددهم فرعون قائلاً: {لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} أنهم أجابوه، بما ذكره الله عنهم، في قوله: {قَالُواْ إِنَّآ إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلاَّ أَنْ ءَامَنَّا بِـــايَـــاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا} إلى غير ذلك من الآيات.

{يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللهِ إِنْ جَاءَنَا * قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} (غافر:29)

كقوله تعالى في سورة النمل {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِى تِسْعِ ءَايَـــاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَـــاسِقِينَ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـــاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَـــذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـــاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ}. فقوله تعالى: في هذه الآية {وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً} دليل واضح على أن فرعون كاذب في قوله: {ما أريكم إلا ما أرى}. وكقوله تعالى في سورة بني إسرائيل: {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـــؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَـــاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لأَظُنُّكَ يافِرْعَونُ مَثْبُورًا} فقول نبي الله موسى لفرعون {لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـــؤُلاءِ إِلاَّ رَبُّ السَّمَـــاوَاتِ وَالأَرْضِ} دل أيضا أنه كاذب فى قوله: ما أريكم إلا ما أرى. وكان غرض فرعون بهذا الكذب، التدليس والتمويه ليظن جهلة قومه، أن معه الحق، كما أشار تعالى إلى ذلك في قوله: {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَـــاسِقِينَ}. وأما قوله: {وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَاد} فقد بين تعالى كذبه فيه في آيات من كتابه كقوله تعالى: {فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ}. وقوله تعالى: {وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى}. وقال بعض العلماء في قوله: {مَآ أُرِيكُمْ إِلاَّ مَآ أَرَى} أي ما أشير عليكم إلا بما أرى لنفسي، من قتل موسى. والعلم عند الله تعالى.

{وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ} (غافر:30) {مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ} (غافر:31) {وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ} (غافر:32)

يعني يوم القيامة وهو قوله تعالى {والملك على أرجائها} وقوله {يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان}. وسمي بذلك لمناداة أهل الجنة أهل النار {أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم} ومناداة أهل النار أهل الجنة {أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين} ولمناداة أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار كما هو مذكور في سورة الأعراف.

{يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} (غافر:33) {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ} (غافر:34) {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} (غافر:35) {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ} (غافر:36) {أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ} (غافر:37) {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ} (غافر:38) {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} (غافر:39) {مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ} (غافر:40)

هذه الآية الكريمة، وأمثالها من الآيات الدالة عن أن السيئات لا تضاعف، ولا تجزي إلا بمثلها بينها وبين الآيات الأخرى الدالة على أن السيئات ربما ضوعفت في بعض الأحوال، كقوله تعالى في نبينا {إِذًا لأَذَقْنَـــاكَ ضِعْفَ الْحَيَوةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ} وقوله تعالى في نسائه رضي الله عنهن {يانِسَآءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـــاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ} إشكال معروف. وقد قدمنا الجواب عنه موضحاً في سورة النمل، في الكلام على قوله تعالى: {وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}.

{وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ} (غافر:41){تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ} (غافر:42)

الظاهر أن جملة قوله تدعونني لأكفر بالله، بدل من قوله: وتدعونني إلى النار، لأن الدعوة إلى الكفر بالله والإشراك به دعوة إلى النار. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الكفر والإشراك بالله مستوجب لدخول النار، بينه تعالى في آياته كثيرة من كتابه كقوله: {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ}، وقد قدمنا ما فيه كفاية من ذلك، في سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: {وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَآءِ}.

{لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ} (غافر:43)

{لا جرم أنما تدعونني إليه} يقول حقا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس {لا جرم} يقول بلى إن الذي تدعونني إليه من الأصنام والأنداد {ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة} وهذا كقوله تبارك وتعالى {ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين} وكقوله تبارك وتعالى {إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم} وقوله {وأن مردنا إلى الله} أي في الدار الآخرة فيجازي كل بعمله ولهذا قال {وأن المسرفين هم أصحاب النار} أي خالدين فيها بإسرافهم وهو شركهم بالله عز وجل.

{فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (غافر:44){فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ} (غافر:45)

والآيات الدالة على مثل هذا من أن الكفار تنكشف لهم يوم القيامة حقائق ما كانوا يكذبون به في الدنيا كثيرة، كقوله تعالى: {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} وقوله تعالى: {وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ}. وقوله تعالى: {كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ} وقوله تعالى: {كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ}. وقوله تعالى: {فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} إلى غير ذلك من الآيات. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُواْ} دليل واضح على أن التوكل الصادق على الله، وتفويض الأمور إليه، سبب للحفظ والوقاية من كل سوء وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من كون التوكل على الله سبباً للحفظ، والوقاية من السوء، جاء مبيناً في آيات أخر، كقوله تعالى {وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}. وقوله تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ}. وقد ذكرنا الآيات الدالة على ذلك بكثرة، في أول سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى {أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلاً}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ} فقال في هلاكهم في الدنيا: {وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَونَ}، وأمثالها من

الآيات. وقال في مصيرهم في البرزخ {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً}. وقال في عذابهم في الآخرة: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُواْ ءَالَ فِرْعَوْن أَشَدَّ الْعَذَابِ}. وما دلت عليه هذه الآية الكريمة، من حيق المكر السيىء، بالماكر أوضحه تعالى في قوله {وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّىءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ}.

{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} (غافر:46) {وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ} (غافر:47) {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ} (غافر:48)

جاء موضحاً في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى {إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ} وقوله تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لَوْلاَ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ أَنَحْنُ صَدَدنَـٰكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُّجْرِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً}. وقوله تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـٰؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لاَّ تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ أُولَـٰهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ} وقوله تعالى، {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا} وقوله تعالى: {وَبَرَزُواْ للهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُمْ مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِن شَىْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ وَقَالَ الشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى فَلاَ تَلُومُونِى وَلُومُواْ أَنفُسَكُمْ مَّآ أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُمْ بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ} والآيات بمثل هذا كثيرة، وقد قدمنا الكلام عليها في مواضع متعددة من هذا الكتاب المبارك.

{وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذَابِ} (غافر:49)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أن أهل النار طلبوا من خزنة جهنم أن يدعوا لهم الله أن يخفف عنهم من شدة عذاب النار. وقد بين في سورة الزخرف أنهم نادوا مالكاً خاصة، من خزنة أهل النار، ليقضي الله عليهم، أي ليميتهم فيستريحوا بالموت من عذاب النار. وقد أوضح جل وعلا في آيات من كتابه، أنهم لا يحابون في واحد من الأمرين. فلا يخفف عنهم العذاب، الذي سألوا تخفيفه، في سورة المؤمن هذه. ولا يحصل لهم الموت الذي سألوه في سورة الزخرف، فقال تعالى في عدم تخفيف العذاب عنهم في هذه الآية. {قَالُواْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَـٰتِ قَالُواْ بَلَى قَالُواْ فَادْعُواْ وَمَا دُعَاءُ الْكَـٰفِرِينَ إِلاَّ فِى ضَلَالٍ} وقال تعالى {وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ} وقال تعالى: {فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً} وقال تعالى: {لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} وقال تعالى: {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً} وقال تعالى: {فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً} وقال تعالى {لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ}. وقال تعالى: {وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ}. وقال تعالى في عدم موتهم في النار: {لاَ يُقْضَى عَلَيْهِم فَيَمُوتُواْ}.

وقال تعالى: {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ}. وقال تعالى: {كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَـاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ}. وقال تعالى: {إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَه جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى}. وقال تعالى: {وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَا} ولما قالوا {لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} أجابهم بقوله: {قَالَ إِنَّكُمْ مَّـاكِثُونَ}.

{قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلالٍ} (غافر:50)

قد قدمنا الكلام عليه مع الآيات التي بمعناه في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}.

{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} (غافر:51)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة آل عمران في الكلام على قوله تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ}، وذكرنا طرفاً من ذلك في الصافات، في الكلام على قوله تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ} وستأتي له زيادة إيضاح إن شاء الله في سورة المجادلة.

{يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} (غافر:52) {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائيلَ الْكِتَابَ} (غافر:53) {هُدىً وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ} (غافر:54)

كقوله تعالى: {وَءَاتَيْنَآ مُوسَى الْكِتَـابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِى إِسْرَاءِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلاً}. وقوله تعالى: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـابَ فَلاَ تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِ وَجَعَلْنَـاهُ هُدًى لِّبَنِى إِسْرَاءِيلَ}. وقوله تعالى: {إِنَّآ أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ} وقوله تعالى: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَـابَ مِن بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} وقوله تعالى: {ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدىً ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون}. وقوله تعالى: {وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء} الآية. إلى غير ذلك من الآيات.

{إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (غافر:56)

تقدم فى الكلام على قوله تعالى: {قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا}، وذكرناهناك بعض النتائج السيئةالناشئة عن الكبر

{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} (غافر:57)

قد قدمنا أن هذه الآية من البراهين الدالة على البعث، وأوضحنا كل البراهين الدالة على البعث بالآيات القرآنية بكثرة في سورة البقرة، وسورة النحل، وأحلنا على مواضع ذلك مراراً.

{وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلا الْمُسِيءُ قَلِيلاً مَا تَتَذَكَّرُونَ} (غافر:58)

قوله تعالى في هذه الآية الكريمة، وما يستوي الأعمى والبصير، قد قدمنا الكلام عليه في سورة هود، في الكلام على قوله تعالى: {مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحَـاتِ وَلاَ الْمُسِىءُ} في سورة ص في الكلام على قوله تعالى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحَـاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ}.

{إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ} (غافر:59)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الفرقان، في الكلام على قوله تعالى: {بَلْ كَذَّبُواْ بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً}.

{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} (غافر:60)

قال بعض العلماء {ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ}: اعبدوني أثبكم من عبادتكم، ويدل لهذا قوله بعده: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}. وقال بعض العلماء: {ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ} أي اسألوني أعطكم. ولا منافاة بين القولين، لأن دعاء الله من أنواع عبادته. وقد أوضحنا هذا المعنى، وبينا وجه الجمع بين قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} مع قوله تعالى: {فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَآءَ} فأغنى ذلك عن إعادته هنا.

{اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ} (غافر:61)

قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً} وفي سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: {فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ}.

{ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} (غافر:62) {كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ} (غافر:63) {اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (غافر:64) {هُوَ الْحَيُّ لا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ} (غافر:65) {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (غافر:66) {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُسَمّىً وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (غافر:67)

تقدم فى بيان قوله تعالى: {ياأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ}، وفي غير ذلك من المواضع.

{هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (غافر:68)

تقدم فى بيان قوله تعالى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ} (غافر:69){الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} (غافر:70){إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ} (غافر:71){فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ} (غافر:72){ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ} (غافر:73){مِنْ دُونِ اللهِ} (غافر:74)

كما قال تبارك وتعالى {هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبن حميم آن} وقال تعالى بعد ذكر أكلهم الزقوم وشربهم الحميم {ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم} وقال عز وجل {وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم} – إلى أن قال – {ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين} وقال عز وجل {إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنك أنت العزيز الكريم إن هذا ما كنتم به تمترون} أي يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتحقير والتصغير والتهكم والاستهزاء بهم .

{ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ الْكَافِرِينَ} (غافر:74)

كقوله جلت عظمته {ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين} ولهذا قال عز وجل {كذلك يضل الله الكافرين} .

{ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ} (غافر:75){ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} (غافر:76)

لم يبين هنا جل وعلا عدد أبواب جهنم، ولكنه بين ذلك في سورة الحجر، في قوله تعالى: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ} .

{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} (غافر:77){وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ} (غافر:78)

ما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أن الله تبارك وتعالى قص على نبيه، أنباء بعض الرسل، أي كنوح وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وموسى، وأنه لم يقصص عليه أنباء رسل آخرين، بينه في غير هذا الموضع، كقوله في سورة النساء: {وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً}، وأشار إلى ذلك في سورة إبراهيم في قوله:

{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لاَ يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَـــاتِ}. وفي سورة الفرقان في قوله تعالى: {وَعَاداً وَثَمُودَاْ وَأَصْحَـــابَ الرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً} إلى غير ذلك من الآيات.

قوله هنا: فإذا جاء أمر الله أي قامت القيامة كما قدمنا إيضاحه في قوله تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ} أي فإذا قامت القيامة، قضي بين الناس بالحق الذي لا يخالطه حيف ولا جور، كما قال تعالى: {وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَـــابُ وَجِـــيءَ بِالنَّبِيِّيْنَ وَالشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ}. وقال تعالى: {وَتَرَى الْمَلاَئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ}. والحق المذكور في هذه الآيات: هو المراد بالقسط المذكور في سورة يونس في قوله تعالى: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ}. وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أنه إذا قامت القيامة يخسر المبطلون، أوضحه جل وعلا في سورة الجاثية في قوله تعالى: {وَللهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِوَالأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ}. والمبطل هو: من مات مصراً على الباطل. وخسران المبطلين المذكور هنا، قد قدمنا بيانه في سورة يونس، في الكلام على قوله تعالى: {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ اللهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ}.

{اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} (غافر:79) {وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ} (غافر:80)

قد قدمنا أن لفظة جعل، تأتي في اللغة العربية لأربعة معان، ثلاثة منها في القرآن. الأول: إتيان جعل بمعنى اعتقد، ومنه قوله تعالى: {وَجَعَلُواْ الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَـــنِ إِنَـــاثاً} أي اعتقدوهم إناثاً، ومعلوم أن هذه تنصب المبتدأ والخبر. الثاني: جعل بمعنى صيَّر، كقوله: {حَتَّى جَعَلْنَـــاهُمْ حَصِيداً خَـــامِدِينَ} وهذه تنصب المبتدأ والخبر أيضاً. الثالث: جعل بمعنى خلق، كقوله تعالى: {الْحَمْدُ للهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَـــاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَـــاتِ وَالنُّورَ} أي خلق السماوات والأرض وخلق الظلمات والنور. والظاهر، أن منه قوله هنا: {اللهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَـــامَ} أي خلق لكم الأنعام، ويؤيد ذلك قوله تعالى: {وَالأَنْعَـــامَ خَلَقَهَا لَكُمْ}، وقوله: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعـــاماً}. الرابع: وهو الذي ليس في القرآن جعل بمعنى شرع، ومنه قوله: وقد جعلت إذا ما قمت يثقلني ثوبي فانهض نهض الشارب السَّكِرِ. وما ذكره الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة، من الامتنان بهذه النعم الكثيرة، التي أنعم عليهم بها، بسبب خلقه لهم الأنعام وهي الذكور والإناث، من الإبل والبقر والضأن والمعز، كما قدمنا إيضاحه في سورة آل عمران في الكلام على قوله: والأنعام والحرث بينه أيضاً في مواضع أخر، كقوله تعالى: {وَالأَنْعَـــامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَـــافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَـــالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ}. والدفء ما يتدفؤون به في الثياب المصنوعة من جلود الأنعام وأوبارها وأشعارها وأصوافها. وقوله تعالى: {جَعَلَ لَكُمْ مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّن جُلُودِ الأَنْعَـــامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَـــامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـــاثاً وَمَتَـــاعاً إِلَى حِينٍ}. وقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعـــاماً فَهُمْ لَهَا مَـــالِكُونَ وَذَلَّلْنَـــاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـــافِعُ وَمَشَـــارِبُ}، وقوله تعالى: {وَإِنَّ لَكُمْ فِى الأَنْعَـــامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُمْ مِّمَّا فِى بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ}. وقوله تعالى: {وَإِنَّ لَكُمْ فِى

الأَنْعَــام لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُمْ مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ}. وقوله تعالى: {وَمِنَ الأَنْعَـام حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَـانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ثَمَـانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ} ــ إلى قوله: ــ {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّـاكُمُ اللهُ بِهَـذَا} وقوله تعالى: {وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ الأَنْعَـام ثَمَـانِيَةَ أَزْوَاجٍ}. وقوله تعالى: {جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الأَنْعَـامِ أَزْوَاجاً}. وقوله تعالى: {وَالَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَـامِ مَا تَرْكَبُونَ}، إلى غير ذلك من الآيات.

{وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنْكِرُونَ} (غافر:81){أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (غافر:82)

قد ذكرنا الآيات الموضحة له في مواضع متعددة من هذا الكتاب المبارك، وبينا مواضعها في سورة الروم، في الكلام على قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَسيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ}.

{فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (غافر:83)فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ) (غافر:84)

وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق {آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين} قال الله تبارك تعالى {الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين} أي فلم يقبل الله منه لأنه قد استجاب لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه عليه حين قال {واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم}.

{فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ} (غافر:85)

قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة يونس في الكلام على قوله تعالى: { أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَآلْنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ}، وفي سورة ص في الكلام على قوله تعالى {فَنَادَواْ وَّلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ}

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ فُصِّلَت

{حم} (فصلت:1) {تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (فصلت:2)

قد قدمنا الكلام عليه وعلى نظائره من الآيات، في أول سورة الزمر.

{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ} (فصلت:3)

كتاب خبر مبتدأ محذوف، أي هذا كتاب، والكتاب، فعال بمعنى مفعول، أي مكتوب. وإنما قيل له كتاب، لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى {بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ}. ومكتوب أيضاً في صحف عند الملائكة كما قال تعالى: {كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ فَى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ}. وقال تعالى في قراءة النبي، لما تضمنته الصحف المكتوب فيها القرآن: {رَسُولٌ مِّنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}. وقوله تعالى: في هذه الآية الكريمة: {فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُ}. التفصيل ضد الإجمال، أي فصل الله آيات هذا القرآن، أي بينها وأوضح فيها ما يحتاج إليه الخلق، من أمور دينهم ودنياهم. والمسوغ لحذف الفاعل في قوله تعالى: {فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُ} هو العلم بأن تفصيل آيات هذا القرآن، لا يكون إلا من الله وحده. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تفصيل آيات هذا الكتاب، جاء موضحاً في آيات أخر، مبيناً فيها أن الله فصله على علم منه وأن الذي فصله حكيم خبير، وأنه فصله ليهدي به الناس ويرحمهم، وأن تفصيله شامل لكل شيء، وأنه لا شك أنه منزل من الله كقوله تعالى: {وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُمْ بِكِتَـٰبٍ فَصَّلْنَـٰهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} وقوله تعالى: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءايَـٰتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}. وقوله تعالى {وَمَا كَانَ هَـٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَـٰلَمِينَ} وقوله تعالى {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} وقوله تعالى: {أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِى حَكَماً وَهُوَ الَّذِى أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَـٰبَ مُفَصَّلاً} والآيات بمثل ذلك كثيرة.

{ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} (فصلت:3) {بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْلايَسْمَعُونَ (فصلت:4)

قوله: قرآناً عربياً قد تكلمنا عليه وعلى الآيات التي بمعناه في القرآن في سورة الزمر، في الكلام على قوله تعالى: {قُرْءَاناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِى عِوَجٍ}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}، أي فصلت آياته، في حال كونه قرآناً عربياً لقوم يعلمون. وإنما خصهم بذلك، لأنهم هم المنتفعون بتفصيله، كما خصهم بتفصيل الآيات في سورة يونس في قوله تعالى: {مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}، وفي سورة الأنعام في قوله تعالى {قَدْ فَصَّلْنَا الأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الأَيَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} إلى غير ذلك من الآيات. وقد أوضحنا وجه تخصيص المنتفعين بالأمر المشترك دون غيرهم في سورة فاطر في الكلام على قوله تعالى {إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُواْ الصَّلَوٰةَ} وبينا هناك أن تخصيصهم بالإنذار دون غيرهم، في آية فاطر هذه، وفي قوله تعالى في يس {إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخشِىَ الرَّحْمَـٰنَ بِالْغَيْبِ} وقوله في النازعات: {إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَـٰهَا} وقوله في الأنعام {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن

يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ}. مع أن أصل الإنذار عام شامل للمذكورين وغيرهم كما يدل عليه قوله تعالى {تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَـــالَمِينَ نَذِيراً}. وإنما خص المذكورين بالإنذار، لأنهم هم المنتفعون به، لأن من لم ينتفع بالإنذار، ومن لم ينذر أصلاً سواء في عدم الانتفاع، كما قال الله تعالى {وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَءَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ}. وقوله تعالى، في هذه الآية الكريمة {بَشِيراً وَنَذِيراً} حال بعد حال. وقد قدمنا الكلام عليه وبعض شواهده العربية، في أول سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى {لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ}. وبسطنا الكلام عليه في أول سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى {كِتَــابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ} كما وضحنا فى سورة يس فى الكلام على قوله تعالى {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} وفي سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ} أي لا يسمعون سماع قبول وانتفاع كما وضحنا فى سورة النمل فى الكلام على قوله تعالى {إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ}.

{وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ} (فصلت:5)

ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أن الكفار صرحوا للنبي، بأنهم لا يستجيبون له ولا يؤمنون به، ولا يقبلون من ما جاءهم به فقالوا له قلوبنا التي نعقل بها، ونفهم في أكنة، أي أغطية. والأكنة، جمع كنان، وهو الغطاء والغلاف الذي يغطي الشيء ويمنعه من الوصول إليه. ويعنون أن تلك الأغطية، مانعة لهم من فهم ما يدعوهم إليه، وقالوا إن في آذانهم التي يسمعون بها وقراً أي: ثقلاً وهو الصمم. وأن ذلك الصمم مانع لهم من أن يسمعوا من النبي شيئاً، ومما يقول، كما قال تعالى عنهم: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَــذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْاْ فِيهِ}. وأن من بينهم وبينه حجاباً، مانعاً لهم من الاتصال والاتفاق، لأن ذلك الحجاب يحجب كلا منهما عن الآخر، ويحول بينهم وبين رؤية ما بيديه من الحق. قال تعالى في سورة بني إسرائيل: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالاٌّخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِى ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا}. وقال تعالى في الأنعام {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِى ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا}، وقال تعالى في الكهف: {إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِى ءَاذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُواْ إِذاً أَبَداً}. فيقال: فكيف يذمون على قول شيء، هو حق في نفس الأمر. والتحقيق في الجواب عن هذا الإشكال، هو ما ذكرناه مراراً، من أن الله إنما جعل على قلوبهم الأكنة، وطبع عليها وختم عليها، وجعل الوقر في آذانهم، ونحو ذلك من الموانع من الهدى، بسبب أنهم بادروا إلى الكفر، وتكذيب الرسل طائعين مختارين، فجزاهم الله على ذلك الذنب الأعظم، طمس البصيرة، والعمى عن الهدى، جزاء وفاقاً. فالأكنة والوقر والحجاب المذكورة إنما جعلها الله عليهم، مجازاة لكفرهم الأول. ومن جزاء السيئة، تمادي صاحبها في الضلال، ولله الحكمة البالغة في ذلك. والآيات المصرحة بمعنى هذا كثيرة في القرآن، كقوله تعالى: {وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ}. فقول اليهود في هذه الآية {قُلُوبُنَا غُلْفٌ} كقول كفار مكة: {قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ}

وقد رد الله على اليهود دعواهم ببل التي هي للإضراب الإبطالي، في قوله {بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ}. فالباء في قوله: بكفرهم سببية، وهي دالة على أن سبب الطبع على قلوبهم هو كفرهم، والأكنة والوقر والطبع كلها من باب واحد. وكقوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ}، والفاء في قوله: فطبع سببية أي ثم كفروا، فطبع على قلوبهم بسبب ذلك الكفر. وكقوله تعالى: {فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ} فبين أن زيغهم الأول، كان سبباً لإزاغة الله قلوبهم، وتلك الإزاغة قد تكون بالأكنة والطبع والختم على القلوب. وكقوله تعالى: {فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا} وقوله تعالى: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ}. وقوله تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُم رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ}، وقد قدمنا تفسيره وإيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا}.

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ} (فصلت:6)

أمر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة، نبيه، أن يقول للناس: {إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ}. والقصر في قوله: {إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ} إضافي أي لا أقول لكم إني ملك، وإنما أنا رجل من البشر. وقوله: {مِّثْلُكُمْ} في الصفات البشرية، ولكن الله فضلني بما أوحى إليَّ من توحيده. كما قال تعالى عن الرسل في سورة إبراهيم: {قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ} أي كان منَّ علينا بالوحي والرسالة. وما ذكره الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة ذكره في آخر سورة الكهف في قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَـالِحاً}. وقد أوضحنا وجه حصر ما أوحي إليه، في مضمون لا إله إلا الله، في قوله تعالى {قُلْ إِنَّمَآ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـهُكُمْ إِلَـهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ} في سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى {إِنَّ هَـذَا الْقُرْءَانَ يِهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ}.

{الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} (فصلت:7)

الآية تدل على خطاب الكفار بفروع الإسلام. أعني امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وما دلت عليه هذه الآية الكريمة، من كونهم مخاطبين بذلك وأنهم يعذبون على الكفر، ويعذبون على المعاصي، جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى عنهم مقرراً له: {مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَقَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الُخَآئِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَـانَا الْيَقِينُ}. ونظير ذلك قوله تعالى: {خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاْسْلُكُوهُ} ثم بين سبب ذلك فقال: {إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِالله الْعَظِيمِ وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَـهُنَا حَمِيمٌ وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ} ـــ إلى غير ذلك من الآيات.

{الذين لا يؤتون الزكاة} قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله وهذا كقوله تبارك وتعالى {قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها} وكقوله جلت عظمته {قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى} وقوله عز وجل {فقل هل لك إلى أن تزكى} والمراد بالزكاة ههنا طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه وتوفيقا إلى استعماله في الطاعات.

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} (فصلت:8)

كقوله تعالى في آخر سورة الانشقاق {إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}. وقوله تعالى في سورة التين {إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} وقوله تعالى في سورة هود {وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى الْجَنَّةِ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَـٰوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ}. فقوله: غير مجذوذ أي غير مقطوع، وبه تعلم أن غير مجذوذ وغير ممنون، معناهما واحد. وقوله تعالى في ص {إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ} أي ماله من انتهاء ولا انقطاع. وقوله في النحل {مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ}.

{قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (فصلت:9) {وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ} (فصلت:10) {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} (فصلت:11) {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} (فصلت:12)

المصابيح: النجوم. وما تضمنته هذه الآية من تزيين السماء الدنيا بالنجوم، قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية، في سورة الأنعام، في الكلام على قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {وَحِفْظاً} قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية في سورة الحجر، في الكلام على قوله تعالى: {وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ}.

{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} (فصلت:13) {إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ} (فصلت:14)

كقوله تعالى {واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه}

{ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} (فصلت:14)

قد قدمنا إيضاحه بالآيات القرآنية في سورة ص، في الكلام على قوله تعالى: {وَعَجِبُواْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ}.

{فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} (فصلت:15){فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ} (فصلت:16)

وقد بين تعالى في بعضها عدد الأيام والليالي التي أرسل عليهم الريح فيها، كقوله تعالى: {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ} وقوله تعالى: {وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ} وقوله تعالى: {إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحا صَرْصَراً فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّتنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ} وقوله تعالى: {هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا}. وهذه الريح الصرصر هي المراد بصاعقة عاد فى قوله تعالى: {فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ}.

{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} (فصلت:17)

قوله تعالى في هذه الآية الكريمة {فَهَدَيْنَـاهُمْ} المراد بالهدى فيه هدى الدلالة والبيان، والإرشاد، لا هدى التوفيق والاصطفاء. والدليل على ذلك قوله تعالى بعده {فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}، لأنها لو كانت هداية توفيق لما انتقل صاحبها عن الهدى إلى العمى. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} أي اختاروا الكفر على الإيمان، وآثروه عليه، وتعوضوه منه. وهذا المعنى الذي ذكرنا يوضحه قوله تعالى: {يَـأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَـانِ} فقوله في آية التوبة هذه: {إِنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَـانِ} موافق في المعنى لقوله هنا: فاستحبوا العمى على الهدى. ونظير ذلك في المعنى قوله تعالى: {الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا عَلَى الأٌّخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ}. فلفظة استحب في القرآن كثيراً ما تتعدى بعلى، لأنها في معنى اختار وآثر. وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أن الهدى يأتي في القرآن بمعناه العام، الذي هو البيان، والدلالة، والإرشاد، لا ينافي أن الهدى قد يطلق في القرآن في بعض المواضع، على الهدى الخاص الذي هو التوفيق،والاصطفاء، كقوله تعالى: {أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}. فمن إطلاق القرآن الهدى على معناه العام قوله هنا: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـاهُمْ} أي بينا لهم طريق الحق وأمرناهم بسلوكها، وطرق الشر ونهيناهم عن سلوكها على لسان نبينا صالح، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام {فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} أي اختاروا الكفر على الإيمان بعد إيضاح الحق لهم. ومن إطلاقه على معناه العام قوله تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَـاهُ السَّبِيلَ} بدليل قوله بعده {إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً}، لأنه لو كان هدى توفيق لما قال: {وَإِمَّا كَفُوراً}. ومن إطلاقه على معناه الخاص قوله تعالى: {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}. وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى}. وقوله: {مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ}. وبمعرفة هذين الإطلاقين تتيسر إزالة إشكال قرآني: وهو أنه تعالى: أثبت الهدى لنبينا في آية، وهي قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} ونفاه عنه في آية أخرى وهي قوله تعالى: {إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ}. فيعلم مما ذكرنا: أن الهدى المثبت له، هو الهدى العام الذي هو البيان، والدلالة والإرشاد، وقد فعل ذلك

فبين المحجة البيضاء، حتى تركها ليلها كنهارها لا يزيغ عنها هالك. والهدى المنفي عنه في آية: {إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ} هو الهدى الخاص الذي هو التفضل بالتوفيق، لأن ذلك بيد الله وحده، وليس بيده، كما قال تعالى: {وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ}. وقوله تعالى: {إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى مَن يُضِلُّ} والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة. وكذلك قوله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ}، لا منافاة فيه بين عموم الناس في هذه الآية. وخصوص المتقين في قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} لأن الهدى العام للناس هو الهدى العام، والهدى الخاص بالمتقين، هو الهدى الخاص كما لا يخفى.

{ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (فصلت:17)

الفاء في قوله: فأخذتهم سببية، أي فاستحبوا العمى على الهدى، وبسبب ذلك، أخذتهم صاعقة العذاب الهون. واعلم أن الله جل وعلا عبر عن الهلاك الذي به ثمود، بعبارات مختلفة، فذكره هنا باسم الصاعقة في قوله: {فَأَخَذَتْهُمْ صَـاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ} وقوله: {فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـاعِقَةً مِّثْلَ صَـاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}. وعبر عنه أيضاً كالصاعقة في سورة الذاريات في قوله تعالى: {وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّى حِينٍ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ}. وعبر عنه بالصيحة في آيات من كتابه، كقوله تعالى في سورة هود، في إهلاكه ثمود: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَارِهِمْ جَـاثِمِينَ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ} وقوله تعالى في الحجر: {وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ} وقوله تعالى في القمر: {إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ}. وقوله تعالى في العنكبوت {وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ} يعني به ثمودًا المذكورين في قوله قبله: {وَعَاداً وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَـاكِنِهِمْ}. وعبر عنه بالرجفة، في سورة الأعراف في قوله تعالى: {فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَاصَـالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ}. وعبر عنه بالتدمير في سورة النمل، في قوله تعالى: {فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ}. وعبر عنه بالطاغية في الحاقة في قوله تعالى: {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِالطَّاغِيَةِ}. وعبر عنه بالدمدمة في الشمس في قوله تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا}. وعبر عنه بالعذاب، في سورة الشعراء، في قوله تعالى: {فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لأَيَةً}.

ومعنى هذه العبارات كلها راجع إلى شيء واحد، وهو أن الله أرسل عليهم صيحة أهلكتهم، والصيحة الصوت المزعج المهلك. والصاعقة تطلق أيضاً على الصوت المزعج المهلك، وعلى النار المحرقة، وعليهما معاً، ولشدة عظم الصيحة وهو لها من فوقهم، رجفت بهم الأرض من تحتهم، أي تحركت حركة قوية، فاجتمع فيها أنها صيحة وصاعقة ورجفة، وكون ذلك تدميراً واضح. وقيل لها طاغية، لأنها واقعة مجاوزة للحد في القوة وشدة الإهلاك. والطغيان في لغة العرب: مجاوزة الحد. ومنه قوله تعالى: {إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَآءُ}. أي جاوز الحدود التي يبلغها الماء عادة. واعلم أن التحقيق، أن المراد بالطاغية في قوله تعالى: {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِالطَّاغِيَةِ} أنها الصيحة التي أهلكهم الله بها، كما يوضحه قوله بعده: {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ}. خلافاً

لمن زعم أن الطاغية، مصدر كالعاقبة، والعافية، وأن المعنى أنهم أهلكوا بطغيانهم، أي بكفرهم، وتكذيبهم نبيهم، كقوله: {كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَآ}.

{وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} (فصلت:18)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه أهلك ثمود بالصاعقة، ونجى من ذلك إهلاك الذين آمنوا وكانوا يتقون الله، والمراد بهم صالح ومن آمن معه من قومه. وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة، جاء مبيناً في غير هذا الموضع، كقوله تعالى في سورة هود {فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـالِحاً وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُوَأَخَذَ الَّذِين ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ}، وقوله تعالى في النمل: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـالِحاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ} إلى قوله تعالى في ثمود {فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُواْ إِنَّ فِى ذلِكَ لاَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ} أي وهم صالح ومن آمن معه.

{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} (فصلت:19)

فبين في بعضها أن له أعداء وأن أعداءه هم أعداء المؤمنين وأن جزاءهم النار كقوله تعالى {مَن كَانَ عَدُوًّا للهِ وَمَلَـئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَـالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـافِرِينَ} وقوله تعالى: {وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ} وقوله تعالى {ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ}. وقوله تعالى: {فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُ} وقوله تعالى: {ذَلِكَ جَزَآءِ أَعْدَآءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ}. إلى غير ذلك من الآيات

{حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (فصلت:20)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة يس في الكلام على قوله تعالى: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ}، وفي سورة النساء في الكلام على قوله تعالى: {وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً}. وبينا هناك وجه الجمع بين قوله تعالى: {وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً} مع قوله {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}.

{وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (فصلت:21){وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ} (فصلت:22){وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (فصلت:23){فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ} (فصلت:24)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة ص في الكلام على قوله تعالى: {ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النَّارِ}.

{وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ} (فصلت:24)

قد بينا معناه في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}.

{وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} (فصلت:25)

الله تبارك وتعالى هيأ للكافرين قرناء من الشياطين يضلونهم عن الهدى ويزينون لهم الكفر والمعاصي وقدرهم عليهم. والقرناء: جمع قرين وهم قرناؤهم من الشياطين على التحقيق. وقوله {فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ} أي من أمر الدنيا حتى آثروه على الآخرة: {وَمَا خَلْفَهُمْ} أي من أمر الآخرة، فدعوهم إلى التكذيب به، وإنكار البعث. وما تضمنته هذه الآية الكريمة، أنه تعالى قيض للكفار قرناء من الشياطين، يضلونهم عن الهدى، بينه في مواضع أخر من كتابه. وزاد في بعضها سبب تقييضهم لهم، وأنهم مع إضلالهم لهم، يظنون أنهم مهتدون، وأن الكافر يوم القيامة يتمنى أن يكون بينه وبين قرينه من الشياطين بعد عظيم، وأنه يذمه ذلك اليوم كما قال تعالى: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـــنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ حَتَّى إِذَا جَآءَنَا قَالَ يالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ}. فترتيبه قوله: نقيض له شيطاناً، على قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن، ترتيب الجزاء على الشرط يدل على أن سبب تقييضه له، هو غفلته عن ذكر الرحمن. ونظير ذلك قوله تعالى: {مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ} لأن الوسواس هو كثير الوسوسة ليضل بها الناس، والخناس هو كثير التأخر والرجوع عن إضلال الناس، من قولهم: خنس بالفتح يخنس بالضم إذا تأخر. فهو وسواس عند الغفلة عن ذكر الرحمن، خناس عند ذكر الرحمن، كما دلت عليه آية الزخرف المذكورة، ودل عليه قوله تعالى: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَـــانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} لأن الذين يتولونه، والذين هم به مشركون، غافلون عن ذكر الرحمن، وبسبب ذلك قيضه الله لهم فأضلهم. ومن الآيات الدالة على تقييض الشياطين للكفار ليضلوهم، قوله تعالى {أَنَّآ أَرْسَلْنَا الشَّيَـــاطِينَ عَلَى الْكَـــافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً}، وقد أوضحنا الآيات الدالة على ذلك في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى: {أَنَّآ أَرْسَلْنَا الشَّيَـــاطِينَ عَلَى الْكَـــافِرِينَ}. وبينا هناك أقوال أهل العلم في معنى {تَؤُزُّهُمْ أَزّاً}. وبينا أيضاً هناك أن من الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـــامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنْسِ} أي استكثرتم من إضلال الإنس في دار الدنيا، وقوله: {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى الْغَىِّ ثُمَّ لاَ يُقْصِرُونَ}. ومنها أيضاً قوله تعالى: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يابَنِى ءَادَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ الشَّيطَـــانَ} إلى قوله: {وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُم جِبِلاًّ كَثِيراً} إلى غير ذلك من الآيات. وقد دل قوله في آية الزخرف: {فَبِئْسَ الْقَرِينُ} على أن قرناء الشياطين المذكورين في آية فصلت، وآية الزخرف وغيرهما، جديرين بالذم الشديد،وقد صرح تعالى بذلك في سورة النساء في قوله: {وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَـــانُ لَهُ قَرِيناً فَسَآءَ قِرِيناً} لأن قوله: {فَسَآءَ قِرِيناً} بمعنى {فَبِئْسَ الْقَرِينُ}، لأن كلا من ساء وبئس فعل جامد لإنشاء الذم. واعلم أن الله تعالى بين أن الكفار الذي أضلهم قرناؤهم من الشياطين يظنون أنهم على هدى، فهم يحسبون أشد الضلال، أحسن الهدى، كما قال تعالى عنهم: {وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} وقال تعالى: {إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَـــاطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الله وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ}. وبين تعالى أنهم بسبب ذلك الظن الفاسد هم

أحسر الناس أعمالاً في قوله تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَـالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا}.

{ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} (فصلت:25)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة يس في الكلام على قوله تعالى: {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ}.

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُون}

وقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى {خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ}.

{فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} (فصلت:27)

{ذَلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَآءً بِمَا كَانُوا بِـايـاتِنَا يَجْحَدُون * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّـانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِين}

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} (فصلت:30) {نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ} (فصلت:31) {نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} (فصلت:32)

ما تضمنته هذه الآية الكريمة مما أعده الله في الآخرة للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، ذكره الله تعالى في الجملة، في قوله في الأحقاف {إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَـامُواْ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ أُوْلَـئِكَ أَصْحَـابُ الْجَنَّةِ خَـالِدِينَ فِيهَا جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} لأن انتفاء الخوف والحزن والوعد الصادق، بالخلود في الجنة المذكور في آية الأحقاف هذه، يستلزم جميع ما ذكر في هذه الآية الكريمة، من سورة فصلت.

{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (فصلت:33) {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} (فصلت:34)

قد أوضحنا مع الآيات التي بمعناه في آخر سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} إلى قوله {إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الإساءة فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم.

{وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} (فصلت:35) {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (فصلت:36)

وقد قدمنا أن هذا المقام لا نظير له في القرآن إلا في سورة الأعراف عند قوله تعالى {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم} وفي سورة المؤمنين عند قوله {ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون}.

{وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ} (فصلت:37)

وقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ}، وفي غير ذلك من المواضع.

{لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} (فصلت:37)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة النمل، في الكلام على قوله تعالى: {أَلاَّ يَسْجُدُواْ للَّهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ}.

{فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ} (فصلت:38)

قوله تعالى {فَإِنِ اسْتَكْبَرُواْ} أي فإن تكبر الكفار عن توحيد الله، والسجود له وحده، وإخلاص العبادة له، فالذين عند ربك وهم الملائكة، يسبحون له بالليل، أي يعبدونه وينزهونه دائماً ليلاً ونهاراً وهم لا يسأمون، أي لايملون من عبادة ربهم، لاستلذاذهم لها وحلاوتها عندهم، مع خوفهم منه جل وعلا كما قال تعالى: {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلْـئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ}. كقوله تعالى في الأنبياء: {وَلَهُ مَن فِى السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ الْلَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ} وقوله تعالى في آخر الأعراف {إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ} إلى غير ذلك من الآيات. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَهُمْ لاَ يَسْـأَمُونَ} أي لا يملون. كقوله عز وجل {فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين}.

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (فصلت:39)

ذكرنا ذلك في سورة البقرة وفي سورة النحل وغيرهما وأحلنا عليه مراراً.

)إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمَّنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ

{إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (فصلت:40){إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} (فصلت:41){لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} (فصلت:42){مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ} (فصلت:43){وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ} (فصلت:44)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة البقرة، في الكلام على قوله تعالى: {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}، وفي سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}.

{وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} (فصلت:44){وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ} (فصلت:45){مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا} (فصلت:46)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: {إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لاِنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا} وفي سورة النمل في الكلام على قوله تعالى: {وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ}.

{ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} (فصلت:46)

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من كونه ليس بظلام للعبيد، ذكره في مواضع أخر، كقوله تعالى في سورة آل عمران {ذلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّـــامٍ لِّلْعَبِيدِ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا}. وقوله في الأنفال {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّـــامٍ لِّلْعَبِيدِ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ}. وقوله في الحج: {ذلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّـــامٍ لِّلعَبِيدِ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ}. وقوله في سورة ق: {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَاْ بِظَلَّـــامٍ لِّلْعَبِيدِ}. ونفي صيغة المبالغة، إذا دلت أدلة منفصلة على أن يراد به نفي أصل الفعل، فلا إشكال لقيام الدليل على المراد. والآيات الدالة على ذلك كثيرة معروفة، كقوله تعالى: {إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَـــاعِفْهَا}. وقوله تعالى: {إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَـــكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}. وقوله تعالى: {وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}. وقوله تعالى: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَـــامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً}. إلى غير ذلك من الآيات كما قدمنا إيضاحه في سورة الكهف والأنبياء.

{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا} (فصلت:47)

تقدم الكلام على نحوه في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ} وفي الأنعام عند قوله تعالى: {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ}.

{ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ} (فصلت:47)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى: {اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ}.

{وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ} (فصلت:48)

الظن هنا بمعنى اليقين، لأن الكفار يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، وشاهدوا الحقائق، علموا في ذلك الوقت أنهم ليس لهم من محيص، أي ليس لهم مفر ولا ملجأ. إنهم يقولون يوم القيامة {رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ}. وقال تعالى: {أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا}. وقال تعالى: {فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}. وقال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَـذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا} وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل في الكلام على قوله تعالى: {بَلِ ادارَكَ عِلْمُهُمْ فِى الأَخِرَةِ}. أحدهما: الشك كقوله {إَنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا}، وقوله تعالى عن الكفار: {إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ}. والثاني: هو إطلاق الظن مراداً به العلم واليقين، ومنه قوله تعالى هنا: {وَظَنُّواْ مَا لَهُمْ مِّن مَّحِيصٍ} أي أيقنوا، أنهم ليس لهم يوم القيامة محيص، أي لا مفر ولا مهرب لهم من عذاب ربهم، ومنه بهذا المعنى قوله تعالى: {وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّواْ أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا} أي أيقنوا ذلك وعلموه، وقوله تعالى: {الَّذِينَ يَظُنُّون أَنَّهُم مُّلَـاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} وقوله تعالى: {قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاقُواْ الله كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٍ كَثِيرَةً بِإِذْنِ الله} وقوله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَؤُاْ كِتَابِيَهْ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـاقٍ حِسَابِيَهْ}، فالظن في الآيات المذكورة كلها بمعنى اليقين.

{لا يَسْأَمُ الْأِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ} (فصلت:49) {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} (فصلت:50)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: {وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّى لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً}.

{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْأِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ} (فصلت:51)

في سورة يونس في الكلام على قوله تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الإِنسَـانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ}.

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} (فصلت:52) {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (فصلت:53)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة المؤمن في الكلام على قوله تعالى: {هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَـاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَآءِ رِزْقاً}.

{أَلا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ} (فصلت:54)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من شك الكفار في البعث والجزاء، قد قدمنا الآيات الموضحة له، ولما يترتب عليه من الخلود في النار، في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: {بَلْ كَذَّبُواْ بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً}.

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ الشُّورى

{حم} (الشورى:1){عسق} (الشورى:2){كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الشورى:3)

قوله تعالى {وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ}كقوله تعالى فى سورة النساء {إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَآ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً}.

{لَهُ مَا فِي السَّمٰوَات وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (الشورى:4)

وصف نفسه جل وعلا في هذه الآية الكريمة، بالعلو والعظمة، وهما من الصفات الجامعة كما قدمناه في سورة الأعراف، في الكلام على قوله تعالى {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}. وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من وصفه تعالى نفسه بهاتين الصفتين الجامعتين المتضمنتين لكل كمال وجلال، جاء مثله في آيات أخر كقوله تعالى فى سورة البقرة {وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} وقوله تعالى فى سورة النساء {إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً}. وقوله تعالى فى سورة الرعد {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} وقوله تعالى فى سورة الجاثية {وَلَهُ الْكِبْرِيَآءُ فِى السَّمٰوَات وَالأَرْضِ}. إلى غير ذلك من الآيات.

{تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلا إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (الشورى:5)

ويستأنس لهذا الوجه بقوله تعالى فى سورة الأحزاب {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَات وَالأَرْضِ} إلى قوله: {وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا} لأن الإشفاق الخوف. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى الأَرْضِ} يعني لخصوص الذين آمنوا منهم وتابوا إلى الله واتبعوا سبيله، كما أوضحه تعالى بقوله فى سورة غافر {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ}. فقوله: {لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ} يوضح المراد من قوله: {لِمَن فِى الأَرْضِ}. ويزيد ذلك إيضاحاً قوله تعالى عنهم إنهم يقولون في استغفارهم للمؤمنين فى سورة غافر {فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَاتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ} لأن ذلك يدل دلالة واضحة على عدم استغفارهم للكفار. وقوله {تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ} أى من شدة عظم الفرية التى افتراها الكفار كما فى سورة مريم، في قوله تعالى: {وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَـٰنُ وَلَداً لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً تَكَادُ السَّمٰوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ

هَذّاً أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَـــنِ وَلَداً وَمَا يَنبَغِى لِلرَّحْمَـــنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً إِن كُلُّ مَن فِى السَّمْوَات وَالأْرْضِ إِ ّ َلا َ آتِى الرَّحْمْـــنِ عَبْداً}
وكما قدمنا إيضاحه.
{أَلاَ إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}
أما اختصاصه هو جل وعلا بغفران الذنوب، فقد ذكره في قوله تعالى فى سورة آل عمران {ُوَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِ ّ َلا َ اللهُ ُ}، والمعنى لا يغفر الذنوب إلا الله، وفي الحديث «رب إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت» الحديث. وفي حديث سيد الاستغفار: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني» الحديث. وفيه «وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».
ووجه دلالة هذه الآية على أن الله وحده هو الذي يغفر الذنوب، هو أن ضمير الفصل بين المسند والمسند إليه في قوله: {ُأَلاَ إِنَّ اللهَ هُو الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} يدل على ذلك كما هو معلوم في محله، وأما الأمر الثاني، هو توكيده تعالى أنه هو الغفور الرحيم فإنه أكد ذلك هنا بحرف الاستفتاح الذي هو ألا، وحرف التوكيد الذي هو إن. وقد أوضح ذلك في آيات كثيرة، كقوله تعالى فى سورة الزمر {ُإِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}. وقوله تعالى فى سورة طه {ُوَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ}. وقوله تعالى فى سورة النجم {ُإِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ} وقوله في الكفار فى سورة الأنفال {ُقُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ}. وقوله في الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة فى سورة المائدة {ُأَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى الله وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ ُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} والآيات بمثل ذلك كثيرة.

{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَآءَ اللهُ ُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} (الشورى:6)

قوله تعالى في هذه الآية الكريمة، {ُاتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ} أي أشركوا معه شركاء يعبدونهم من دونه، كما أوضح تعالى ذلك في قوله فى سورة الزمر {ُوَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِ ّ َلا َ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى الله زُلْفَى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـــاذِبٌ كَـــفَّارٌ} وقوله تعالى فى سورة البقرة {ُوَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّـــاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَـــاتِ أُولَئِكَ أَصْحَـــابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} وقوله تعالى فى سورة الأعراف {ُإِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَـــاطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ الله وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} وقوله تعالى فى سورة آل عمران {ُإِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَـــانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ} أي يخوفكم أولياءه. وقوله تعالى فى سورة النساء {ُفَقَـــاتِلُواْ أَوْلِيَآءَ الشَّيْطَـــانِ}. وقد وبخهم تعالى على اتخاذهم الشيطان وذريته أولياء من دونه تعالى في قوله فى سورة الكهف {ُأَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّـــالِمِينَ بَدَلاً}، ناهياً عن اتباع الأولياء المتخذين من دونه تعالى، في أول سورة الأعراف فى قوله تعالى {ُاتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}. وأولياء الكفار الذين اتخذوهم وعبدوهم من دون الله نوعان: الأول منهما: الشياطين، ومعنى عبادتهم للشيطان طاعتهم له فيما يزين لهم، من الكفر والمعاصي، فشركهم به شرك طاعة، والآيات الدالة على عبادتهم للشياطين بالمعنى المذكور كثيرة كقوله تعالى فى سورة يس {ُأَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يابَنِى ءَادَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ الشَّيْطَانَ}. وقوله تعالى عن إبراهيم فى سورة مريم {ُيَاأَبَتِ لاتَعْبُدِ الشَّيْطَـــانَ}. وقوله تعالى فى سورة النساء {ُإِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِ ّ َلا َ

إِنَــاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَــاناً مَّرِيداً} أي وما يعبدون إلا شيطاناً مريداً. وقوله تعالى فى سورة سبأ {قَالُواْ سُبْحَــانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْــثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ} وقوله تعالى فى سورة النحل {إِنَّمَا سُلْطَــانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ} وقوله تعالى فى سورة الأنعام {وَإِنَّ الشَّيَــاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَــادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} إلى غير ذلك من الآيات. والنوع الثاني: هو الأوثان، كما بين ذلك تعالى بقوله فى سورة الزمر {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللهِ زُلْفَى}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ}. أي رقيب عليهم حافظ عليهم كل ما يعملونه من الكفر والمعاصي، وفي أوله اتخاذهم الأولياء، يعبدونهم من دون الله. وفي الآية تهديد عظيم لكل مشرك. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ}. أي لست يا محمد، بموكل عليهم تهدي من شئت هدايته منهم، بل إنما أنت نذير فحسب، وقد بلغت ونصحت. والوكيل عليهم هو الذي يهدي من يشاء منهم ويضل من يشاء كما قال تعالى فى سورة هود {إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}. وقال تعالى فى سورة يونس {وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ} وقال تعالى فى سورةالأنعام {وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِن اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِــآيَةٍ وَلَوْ شَآءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَــاهِلِينَ} والآيات بمثل ذلك كثيرة. وبما ذكرنا تعلم أن التحقيق في قوله تعالى: {وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ}، وما جرى مجراه من الآيات ليس منسوخاً بآية السيف والعلم عند الله تعالى.

{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً} (الشورى: 7)

وقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الشعراء في الكلام على قوله تعالى {لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ}، وفي الزمر في الكلام على قوله تعالى: {قُرْءَاناً عَرَبِيّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ} وفي غير ذلك من المواضع.

{لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} (الشورى: 7)

خص الله تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة إنذاره بأم القرى ومن حولها، والمراد بأم القرى مكة حرسها الله. ولكنه أوضح في آيات أخر أن إنذاره عام لجميع الثقلين كقوله تعالى فى سورة الأعراف {قُلْ ياأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} وقوله تعالى فى سورة الفرقان {تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَــالَمِينَ نَذِيراً} وقوله تعالى فى سورة سبأ {وَمَآ أَرْسَلْنَــاكَ إِلاَّ كَآفَّةً لِّلنَّاسِ}، كما أوضحنا ذلك. وقد ذكرنا الجواب عن تخصيص أم القرى ومن حولها هنا وفي سورة الأنعام في قوله تعالى: {وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالأَخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ}، فقلنا فيه: والجواب من وجهين. الأول: أن المراد بقوله فى سورة الأنعام {وَمَنْ حَوْلَهَا} شامل لجميع الأرض، كما رواه ابن جرير وغيره، عن ابن عباس. الوجه الثاني: أنا لو سلمنا تسليماً جدلياً، أن قوله {وَمَنْ حَوْلَهَا} لا يتناول إلا القريب من مكة المكرمة حرسها الله، كجزيرة العرب مثلاً، فإن الآيات الأخر، نصت على العموم كقوله فى سورة الفرقان {لِيَكُونَ لِلْعَــالَمِينَ نَذِيراً} وذكر بعض أفراد العام بحكم العام، لا يخصصه عند عامة العلماء، ولم يخالف فيه إلا أبو ثور. وقد قدمنا ذلك واضحاً بأدلته في سورة المائدة، فالآية على هذا

القول كقوله فى سورة الشعراء { وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ } فإنه لا يدل على عدم إنذار غيرهم، كما هو واضح. والعلم عند الله تعالى.

{ وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ فِيهِ} (الشورى:7)

تضمنت هذه الآية الكريمة أمرين: أحدهما: أن من حكم إيحائه تعالى، إلى نبينا هذا القرآن العربي، إنذار يوم الجمع، فقوله تعالى: { وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ} معطوف على قوله: { لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى} أي لا بد أن تنذر أم القرى وأن تنذر يوم الجمع والتقدير «لتنذر أم القرى» أي أهل مكة ومن حولها، عذاباً شديداً إن لم يؤمنوا،وفى الثانى أي وتنذر الناس يوم الجمع وهو يوم القيامة أي تخوفهم مما فيه من الأهوال، والأوجال ليستعدوا لذلك في دار الدنيا. والثاني: أن يوم الجمع المذكور لا ريب فيه، أي لا شك في وقوعه، أما تخويفه الناس يوم القيامة، فقد ذكر في مواضع من كتاب الله كقوله تعالى فى سورة البقرة { وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ}. وقوله تعالى فى سورة غافر { وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ}. وقوله تعالى فى سورة المزمل { فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَان شِيباً السَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِ} وقوله تعالى فى سورة المطففين { أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} والآيات بمثل ذلك كثيرة. وأما الثاني منهما: وهو كون يوم القيامة لا ريب فيه فقد جاء في مواضع أخر كقوله تعالى فى سورة النساء { اللهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَـامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ} وقوله فى سورة آل عمران { فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ} وقوله تعالى فى سورة الحج { وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا}. وقوله تعالى فى سورة الجاثية { وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وعْدَ الله حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا السَّاعَةُ}. إلى غير ذلك من الآيات. وإنما سمي يوم القيامة يوم الجمع، لأن الله يجمع فيه جميع الخلائق. والآيات الموضحة لهذا المعنى، كثيرة كقوله تعالى فى سورة الواقعة { قُلْ إِن الأَوَّلِينَ وَالأَخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَـاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ} وقوله تعالى فى سورة المرسلات { هَـذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَـاكُمْ وَالأَوَّلِينَ}. وقوله تعالى فى سورة النساء { اللهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَـامَةِ}. وقوله تعالى فى سورة التغابن { يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ} وقوله تعالى فى سورة هود { ذلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ} وقوله تعالى فى سورة آل عمران { فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} وقوله تعالى فى سورة الكهف { وَحَشَرْنَـاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً}. وقد بين تعالى شمول ذلك الجمع لجميع الدواب والطير في قوله تعالى فى سورة الأنعام { وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْه إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَـالُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِى الكِتَـابِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}، والآيات الدالة على الجمع المذكورة كثيرة.

{فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} (الشورى:7)

ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن الله خلق الخلق، وجعل منهم فريقاً سعداء، وهم أهل الجنة، وفريقاً أشقياء وهم أصحاب السعير، جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى فى سورة التغابن { هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ} وقوله تعالى فى سورة هود { وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذلِكَ خَلَقَهُمْ} أي ولذلك الاختلاف، إلى مؤمن وكافر وشقي

وسعيد، خلقهم على الصحيح، ونصوص الوحي الدالة على ذلك كثيرة جداً. وقد ذكرنا في كتابنا دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، وجه الجمع بين قوله: {ُولذلك خلقهم} على التفسير المذكور، وبين قوله فى سورة الذاريات {ُوَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِ ّ َلا َ لِيَعْبُدُونِ}، وسنذكر ذلك إن شاء الله في سورة الذاريات. وقد قدمنا معنى السعير بشواهده العربية في أول سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: {ُوَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ}، والجنة في لغة العرب البستان. وفي اصطلاح الشرع هي دار الكرامة التي أعد الله لأوليائه يوم القيامة.

{وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} (الشورى:8){أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَآءَ فَاللهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الشورى:9){وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى الله ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} (الشورى:10)

ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن ما اختلف فيه الناس من الأحكام فحكمه إلى الله وحده، لا إلى غيره، جاء موضحاً في آيات كثيرة. فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك به في عبادته قال في حكمه فى سورة الكهف {ُوَلاَ يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَدًا}، وفي قراءة ابن عامر من السبعة {ُولا تشرك في حكمه أحداً} بصيغة النهي. وقال في الإشراك به في عبادته فى سورة الكهف {ُفَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَــالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا }، فالأمران سواء كما ترى إيضاحه إن شاء الله. وبذلك تعلم أن الحلال هو ما أحله الله، والحرام هو ما حرمه الله، والدين هو ما شرعه الله، فكل تشريع من غيره باطل، والعمل به بدل تشريع الله عند من يعتقد أنه مثله أو خير منه، كفر بواح لانزاع فيه. وقد دل القرآن في آيات كثيرة، على أنه لا حكم لغير الله، وأن اتباع تشريع غيره كفر به، فمن الآيات الدالة على أن الحكم لله وحده قوله تعالى فى سورة يوسف {ُإِنِ الْحُكْمُ إِ ّ َلا َ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِ ّ َلا َ إِيَّاهُ}، وقوله تعالى فى سورة يوسف {ُإِنِ الْحُكْمُ إِ ّ َلا َ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ}. وقوله تعالى فى سورة الأنعام {ُإِنِ الْحُكْمُ إِ ّ َلا َ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَــاصِلِينَ} وقوله فى سورة المائدة {ُوَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَــافِرُونَ}، وقوله تعالى فى سورة الكهف {ُوَلاَ يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَدًا}، وقوله تعالى فى سورة القصص {ُكُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِ ّ َلا َ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}، وقوله تعالى فى سورة القصص {ُلَهُ الْحَمْدُ فِى الأُولَى وَالاْخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} والآيات بمثل ذلك كثيرة. وقد قدمنا إيضاحها في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: {ُوَلاَ يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَدًا}. وأما الآيات الدالة على أن اتباع تشريع غير الله المذكور كفر فهي كثيرة جداً، كقوله تعالى فى سورة النحل {ُإِنَّمَا سُلْطَــانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ }، وقوله تعالى فى سورة الأنعام {ُوَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ }، وقوله تعالى فى سورة يس {ُأَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يابَنِى ءَادَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُواْ الشَّيطَــانَ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً، كما تقدم إيضاحه في الكهف. وإن ظهر يقيناً أنهم أحقر وأخس وأذل وأصغر من ذلك، فليقف بهم عند حدهم، ولا يجاوزه بهم إلى مقام الربوبية. سبحانه وتعالى أن يكون له شريك في عبادته، أو حكمه أو ملكه. فمن الآيات القرآنية التي أوضح بها تعالى صفات من له الحكم والتشريع قوله هنا:

{فَاطِرُ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَأُكُمْ فِيه} (الشورى:11)

قوله تعالى: {فَاطِرُ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ} تقدم تفسيره في أول سورة فاطر. وقوله {جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً}. أي خلق لكم أزواجاً من أنفسكم كما قدمنا الكلام عليه في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {وَاللهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً} وبينا أن المراد بالأزواج الإناث كما يوضحه قوله تعالى فى سورة الروم {وَمِنْ ءايَـاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}. وقوله تعالى فى سورة النجم {وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى} وقوله فى سورة القيامة {فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى} وقوله تعالى فى سورة الليل {وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىوَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى}. وقوله في آدم فى سورة النساء {يَـاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا}. وقوله تعالى فيه أيضاً فى سورة الأعراف {هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا}. وقوله تعالى فيه أيضاً فى سورة الزمر {خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا}. وقوله تعالى: {وَمِنَ الأَنْعَـامِ أَزْواجاً} هي الثمانية المذكورة في قوله تعالى فى سورة الأنعام {ثَمَـانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ}. وفي قوله فى سورة الزمر {خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ الأَنْعَـامِ ثَمَـانِيَةَ أَزْوَاجٍ} وهي ذكور الضأن والمعز والإبل والبقر وإناثها، كما قدمنا إيضاحه في سورة آل عمران في الكلام على قوله تعالى: {وَالأَنْعَـامِ وَالْحَرْثِ}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ} الظاهر أن ضمير الخطاب في قوله {يذرؤكم} شامل للآدميين والأنعام، وتغليب الآدميين على الأنعام في ضمير المخاطبين في قوله: يذرؤكم واضح لا إشكال فيه.

{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشورى:11)

وقد قدمنا الكلام عليه في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}.

{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (الشورى:12)

وكونه جل وعلا {لَهُ مَقَـالِيدُ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ} أي مفاتيحهما كناية عن كونه جل وعلا هو وحده المالك لخزائن السماوات والأرض لأن ملك مفاتيحها يستلزم ملكها. وقد ذكر جل وعلا مثل هذا في سورة الزمر في قوله تعالى: {اللهُ خَـالِقُ كُـلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُل شَيْءٍ وَكِيلٌ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ}. وما دلت عليه آية الشورى هذه وآية الزمر المذكورتان من أنه جل وعلا هو مالك خزائن السماوات والأرض، جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى فى سورة المنافقون: {وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ السَّمٰوَات وَالأَرْض وَلَـكِنَّ الْمُنَـافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ} وقوله تعالى فى سورة الحجر: {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ}. وبين في مواضع أخر أن خزائن رحمته لا يمكن أن تكون لغيره، كقوله تعالىفى سورة ص: {أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ} وقوله تعالى فى سورة الطور {أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ} وقوله

تعالى فى سورة الإسراء { قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّى إِذًا لأمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإنْسَـانُ قَتُورًا }. وقوله في هذه الآية الكريمة { يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ } جاء معناه موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى فى سورة سبأ { قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ }. وقوله تعالى فى سورة سبأ { قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ } وقوله تعالى فى سورة الرعد { اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقَدِرُ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا }. وقوله تعالى فى سورة النحل: { وَاللهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِى الْرِّزْقِ }. وقوله تعالى فى سورة الزخرف: { نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَوةِ الدُّنْيَا }. وقوله تعالى فى سورة النساء { إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا }. وقوله تعالى فى سورة الطلاق { لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَاهُ اللهُ }. وقوله تعالى: { ومن قدر عليه رزقه } أي ضيق عليه رزقه لقلته. وكذلك قوله { يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ } في الآيات المذكورة. أي يبسط الرزق لمن يشاء بسطه له ويقدر، أي يضيق الرزق على من يشاء تضييقه عليه كما أوضحناه في سورة الأنبياء في الكلام على قوله تعالى { فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ }. وقد بين جل وعلا في بعض الآيات حكمة تضييقه للرزق على من ضيقه عليه. وذكر أن من حكم ذلك أن بسط الرزق للإنسان، قد يحمله على البغي والطغيان كقوله تعالى فى هذه السورة { وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْاْ فِى الأَرْضِ وَلَـكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ }، وقوله تعالى فى سورة العلق: { كَلاَّ إِنَّ الإِنسَـانَ لَيَطْغَىأَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَى }.

{ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ } (الشورى:13)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الأحزاب في الكلام على قوله تعالى: { وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّيْنَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ }.

{ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } (الشورى:13)

الضمير في قوله: فيه، راجع إلى الدين في قوله: أن أقيموا الدين. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي عن الافتراق في الدين، جاء مبيناً في غير هذا الموضع، وقد بين تعالى أنه وصى خلقه بذلك، فمن الآيات الدالة على ذلك، قوله تعالى فى سورة آل عمران { وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ }. وقوله تعالى فى سورة الأنعام: { وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّـاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } وقد بين تعالى في بعض المواضع أن بعض الناس لا يجتنبون هذا النهي، وعددهم على ذلك كقوله تعالى فى سورة الأنعام: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ }، لأن قوله { لست منهم في شيء } إلى قوله { يفعلون } فيه تهديد عظيم لهم. وقوله تعالى في سورة قد أفلح المؤمنون { وَإِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُم فَاتَّقُونِ فَتَقَطَّعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ }. فقوله { وَإِنَّ هَـذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً } أي إن هذه شريعتكم شريعة واحدة ودينكم دين واحد، وربكم واحد فلا تتفرقوا في الدين. وقوله جل وعلا { فَتَقَطَّعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً } دليل على أنهم لم يجتنبوا ما نهوا عنه من ذلك. وقوله تعالى: { فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ } فيه تهديد لهم ووعيد عظيم على ذلك. ونظير ذلك قوله تعالى في سورة الأنبياء:

{ إِنَّ هَـــذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ وَتَقَطَّعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ} فقوله تعالى: { كل إلينا راجعون} فيه أيضاً تهديد لهم ووعيد على ذلك وقد أوضحنا تفسير هذه الآيات في آخر سورة الأنبياء في الكلام على قوله تعالى { إِنَّ هَـــذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} . وقد جاء في الحديث المشهور «افتراق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتراق النصارى إلى اثنتين وسبعين فرقة، وافتراق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، وأن الناجية منها واحدة، وهي التي كانت على ما كان عليه النبي وأصحابه».

{كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} (الشورى:13)

بين جل وعلا أنه كبر على المشركين أي شق عليهم وعظم ما يدعوهم إليه من عبادة الله تعالى وحده، وطاعته بامتثال أمره واجتناب نهيه، ولعظم ذلك ومشقته عليهم، كانوا يكرهون ما أنزل الله ويجتهدون في عدم سماعه لشدة كراهتهم له، بل يكادون يبطشون بمن يتلو عليهم آيات ربهم لشدة بغضهم وكراهتهم لها. والآيات الموضحة لهذا المعنى كثيرة في كتاب الله، وفيها بيان أن ذلك هو عادة الكافرين مع جميع الرسل من عهد نوح إلى عهد محمد. فقد بين تعالى مشقة ذلك على قوم ونوح وكبره عليهم في مواضع من كتابه كقوله تعالى فى سورة يونس: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِآيَاتِ الله فَعَلَى الله تَوَكَّلْتُ} . وقوله تعالى عن نوح فى سورة نوح {وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُواْ أَصَـــبِعَهُمْ فِى ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَاسْتَكْبَرُواْ اسْتِكْبَاراً} . فقوله تعالى {جَعَلُواْ أَصَـــابِعَهُمْ فِى ءَاذَانِهِم وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ} يدل دلالة واضحة على شدة بغضهم وكراهتهم لما يدعوهم إليه نوح، فهو واضح في أنهم كبر عليهم ما يدعوهم إليه من توحيد الله والإيمان به. وقد بين الله تعالى مثل ذلك في الكفار الذين كذبوا نبينا محمداً في آيات من كتابه كقوله تعالى فى سورة الحج {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَـــاتُنَا بَيِّنَـــاتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمُنْكَرَ يَكَـــادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـــاتُنَا} فقوله تعالى: {تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر} الآية. يدل دلالة واضحة، على شدة بغضهم وكراهيتهم لسماع تلك الآيات. وكقوله تعالى فى سورة فصلت: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـــذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْاْ فِيهِ} . وقوله تعالى في الزخرف. {لَقَدْ جِئْنَـــاكُم بِالْحَقِّ وَلَـــكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـــارِهُونَ} ، وقوله تعالى في قد أفلح المؤمنون {أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَآءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَـــارِهُونَ} وقوله تعالى في القتال {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـــالَهُمْ} ، وقوله تعالى فى سورة الجاثية: {تَلْكَ ءَايَـــاتُ الله نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ الله وَءايَـــاتِهِ يُؤْمِنُونَ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ ءَايَـــاتِ الله تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} وقوله تعالى فى سورة لقمان {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَـــاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} ، وقوله تعالى فى سورة فصلت: {وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِى ءَاذانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ} . والآيات بمثل ذلك كثيرة. واعلم أن هؤلاء الذين يكرهون ما أنزل الله، يجب على كل مسلم أن يحذر كل الحذر من أن يطيعهم في بعض أمرهم، لأن ذلك يستلزم نتائج سيئة متناهية في السوء، كما أوضح تعالى ذلك في قوله فى سورة محمد: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّواْ عَلَى أَدْبَـــارِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَـــانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ الأَمْرِ وَاللهُ يَعْلَمُ

إِسْرَارَهُمْ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَـــائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـــارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَانَهُ فَأَحْبط أَعْمَـــالَهُمْ} فعلى كل مسلم أن يحذر ثم يحذر ثم يحذر كل الحذر، من أن يقول للذين كفروا، الذين يكرهون ما أنزل الله سنطيعكم في بعض الأمر، لأن ذلك يسبب له ما ذكره الله في الآيات المذكورة، ويكفيه زجراً وردعاً عن ذلك قوله ربه تعالى {فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَـــائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـــارَهُمْ} إلى قوله {فَأَحْبَطَ أَعْمَـــالَهُمْ}.

{ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ } (الشورى:13)

الاجتباء في اللغة العربية معناه الاختيار والاصطفاء. وقد دلت هذه الآية الكريمة على أنه تعالى يجتبى من خلقه من يشاء اجتباءه. وقد بين في مواضع أخر بعض من شاء اجتباءه من خلقه، فبين أن منهم المؤمنين من هذه الأمة في قوله تعالى فى سورة الحج: {ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ ارْكَعُواْ وَاسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَافْعَلُواْ الْخَيْرَ} إلى قوله: {هُوَ اجْتَبَـــاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}. وقوله تعالى فى سورة فاطر: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَـــابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا}. وبين في موضع آخر أن منهم آدم وهو قوله تعالى فى سورة طه: {ثُمَّ اجْتَبَـــاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}. وذكر أن منهم إبراهيم في قوله فى سورة النحل: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً} إلى قوله {شَاكِراً لأَنْعُمِهِ اجْتَبَـــاهُ}. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على اجتباء بعض الخلق بالتعيين. وقوله تعالى: {وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ} أي من سبق في علمه أنه ينيب إلى الله أي يرجع إلى ما يرضيه، من الإيمان والطاعة، ونظير هذه الآية قوله تعالى في سورة الرعد {قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ}.

{وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ} (الشورى:14){فَلِذَلِكَفَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاتَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} (الشورى:15)

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلات كل منها منفصلة عن التي قبلها حكم برأسها قالوا ولا نظير لها سوى آية

الكرسي فإنها أيضا عشر فصول كهذه.

{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ} (الشورى:15)

تقدمت الآيات الموضحة له في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى {وَمَآ أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ}.

أي نحن برآء منكم كما قال سبحانه وتعالى {ُ وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون}.

{ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} (الشورى:15)

أي يوم القيامة كقوله {ُ قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم}.

{وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} (الشورى:16){اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ} (الشورى:17)

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه هو الذي أنزل الكتاب في حال كونه متلبساً بالحق الذي هو ضد الباطل، وقوله: {الْكِتَــابَ} اسم جنس مراد به جميع الكتب السماوية. يعني الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه "والميزان" وهو العدل والإنصاف وهذه كقوله تعالى {ُلقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط} وقوله {ُ والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان}.

{ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ} (الشورى:17)

قد قدمنا الآيات الموضحة له، في أول سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {أَتَى أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ}. وفي سورة الأحزاب في الكلام على قوله تعالى: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً} وفي سورة المؤمن في الكلام على قوله تعالى: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآْزِفَةِ}.

{يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ} (الشورى:18)

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة ثلاث مسائل: الأولى: أن الكفار الذين لا يؤمنون بالساعة، يستعجلون بها أي يطلبون تعجيلها عليهم، لشدة إنكارهم لها. والثانية: أن المؤمنين مشفقون منها، أي خائفون منها. والثالثة: أنهم يعلمون أنها الحق، أي أن قيامها ووقوعها حق لا شك فيه. وكل هذه المسائل الثلاث المذكورة في هذه الآية الكريمة جاءت موضحة في غير هذا الموضع. أما استعجالهم لها فقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَــاتُ} وفي غير ذلك من المواضع. وأما المسألة الثانية: التي هي إشفاق المؤمنين ن وخوفهم من الساعة، فقد ذكره في مواضع أخر كقوله تعالى فى سورة الأنبياء {الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ} وقوله تعالى فى سورة النور {يَخَــافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَــارُ} وقوله تعالى فى سورة الإنسان {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَــافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً}. وأما المسألة الثالثة: وهي علمهم أن الساعة حق، فقد دلت عليه الآيات المصرحة بأنها لا ريب فيها، لأنها

تتضمن نفي الريب فيها من المؤمنين. والريب: الشك كقوله تعالى فى سورة آل عمران عن الراسخين في العلم: {رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ}. وقوله تعالى فى سورة النساء {اللّهُ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ} وقوله تعالى فى سورة آل عمران {فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ}. وقوله تعالى فى سورة الشورى: {وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ}. وقوله تعالى فى سورة الحج {ذلِكَ بِأَنَّ اللّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللّهَ يَبْعَثُ مَن فِى الْقُبُورِ} إلى غير ذلك من الآيات.

{ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ} (الشورى:18)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى {بَلْ كَذَّبُواْ بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً}.

{اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} (الشورى:19)

يقول تعالى مخبرا عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم عن آخرهم لا ينسى أحدا منهم سواء في رزقه البر والفاجر كقوله عز وجل {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين} ولها نظائر كثيرة.

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} (الشورى:20)

هذه الآية ههنا مقيدة بالآية التي في سبحان وهي قوله تبارك وتعالى {من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا}.

{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (الشورى:21){تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} (الشورى:22) {ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} (الشورى:23)

قد بينا في سورة هود في الكلام على قوله تعالى: {وَيَاقَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً}. أن جميع الرسل عليهم الصلوات والسلام، لا يأخذون أجراً على التبليغ، وذكرنا الآيات الدالة على ذلك. وجه الجمع بين تلك الآيات، وآية شورى هذه فقلنا فيه: اعلم أولاً أن في قوله تعالى {إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى} أن معنى الآية أي لا تؤذوا قرابتي وعترتي واحفظوني فيهم، ويروى هذا القول عن سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب وعلي بن الحسين، وعليه فلا إشكال لأن المودة بين المسلمين واجبة فيما بينهم، وأحرى قرابة النبي، قال تعالى فى سورة التوبة: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ} وفي الحديث «مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم كالجسد الواحد إذا اصيب منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وقال «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» والأحاديث في مثل هذا كثيرة جدا. وإذا كان نفس الدين يوجب هذا بين المسلمين، تبين أنه غير عوض عن التبليغ. فمعناه على القول الأول {لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً} لكن أذكركم قرابتي فيكم. وعلى الثاني: لكن أذكركم الله في قرابتي فاحفظوني فيهم. القول الثالث: وبه قال الحسن إلا المودة في القربى أي إلا أن تتوددوا إلى الله وتتقربوا إليه بالطاعة والعمل الصلح، وعليه فلا إشكال. لأن التقرب إلى الله ليس أجراً على التبليغ. والتحقيق إن شاء الله أن معنى الآية هو القول الأول {إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى} أي إلا أن تودوني في قرابتي فيكم وتحفظوني فيها، فتكفوا عني أذاكم وتمنعوني من أذى الناس، كما هو شأن أهل القرابات.

{وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً} (الشورى:23)

الاقتراف معنا الاكتساب، أي من يعمل حسنة من الحسنات، ويكتسبها نزد له فيها حسناً، أي نضاعفها له. فمضاعفة الحسنات هي الزيادة في حسنها، وهذا المعنى توضحه آيات من كتاب الله تعالى كقوله تعالى فى سورة النساء {وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً} وقوله تعالى فى سورة الأنعام : {مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} وقوله تعالى فى سورة البقرة: {مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} وقوله تعالى فى سورة المزمل {وَأَقِيمُواْ الصَّلَوةَ وَءَاتُواْ الزَّكَوةَ وَأَقْرِضُواْ اللهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُواْ لِانفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْرا } فكونه خيراً وأعظم أجراً زيادة في حسنه، كما لا يخفى إلى غير ذلك من الآيات.

{إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ} (الشورى:23) {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً فَإِنْ يَشَأِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (الشورى:24)

أي لو افتريت عليه كذبا كما يزعم هؤلاء الجاهلون "يختم على قلبك" أي يطبع على قلبك وسلبك ما كان آتاك من القرآن كقوله

جل جلاله {ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين} أي لانتقمنا

منه أشد الانتقام وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه.

{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} (الشورى:25)

بين تعالى في هذه الآية الكريمة أنه هو وحده الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات. وقد جاء ذلك موضحاً في مواضع أخر كقوله تعالى فى سورة التوبة: {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَـاتِ وَأَنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} وقوله تعالى فى سورة التحريم: {ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُواْ إِلَى الله تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَـاتِكُمْ}. وقوله تعالى فى سورة آل عمران: {وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ الله} إلى غير ذلك من الآيات. وقد قدمنا معنى التوبة وأركانها وإزالة ما في أركانها من الإشكال، في سورة النور في الكلام على قوله تعالى {وَتُوبُواْ إِلَى الله جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

{وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} (الشورى:26) {وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} (الشورى:27)

كقوله تعالى فى سورة الحجر: {وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ} وقوله تعالى فى سورة الرعد: {وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ} (الشورى:28) {وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوَات وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ} (الشورى:29) {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} (الشورى:30) {وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ الله مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ} (الشورى:31)

كقوله تعالى فى سورة النور: {لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مُعْجِزِينَ فِى الأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ}.

{وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ} (الشورى:32)

قوله: ومن آياته أي من علاماته الدالة على قدرته واستحقاقه للعبادة وحده، الجواري وهي السفن واحدتها جارية، ومنه قوله تعالى فى سورة الحاقة: {إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَآءُ حَمَلْنَـاكُمْ فِى الْجَارِيَةِ} يعني سفينة نوح، وسميت جارية لأنها تجري في البحر. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن جريان السفن في البحر، من آياته تعالى الدالة على كمال قدرته، جاء موضحاً في غير هذا الموضع، كقوله تعالى فى سورة يس {وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلاَ صَرِيخَ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يُنقَذُونَ إِلاَّ رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ} وكقوله تعالى فى سورة العنكبوت {فَأَنْجَيْنَـاهُ وَأَصْحَـابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَـاهَآ ءَايَةً لِّلْعَـالَمِينَ} وقوله تعالى فى سورة البقرة: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَاخْتِلَـافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ} إلى قوله: {لآيَـاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}. وقوله تعالى في سورة النحل: {وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ}. وقوله في فاطر: {وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ}. والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

{إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} (الشورى:33) {أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ} (الشورى:34) {وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ} (الشورى:35) {فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} (الشورى:36) {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} (الشورى:37)

والأظهر عندي في ضابط الكبيرة أنها كل ذنب اقترن بما يدل على أنه أعظم من مطلق المعصية سواء كان ذلك الوعيد عليه بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب، أو كان وجوب الحد فيه، أو غير ذلك مما يدل على تغليظ التحريم وتوكيده.

{وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} (الشورى:39) {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (الشورى:40)

قد قدمناه فى الكلام على قوله تعالى فى سورة النحل: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ}. وفي سورة الزمر في الكلام على قوله تعالى: {فَبَشِّرْ عِبَادِالَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَـتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ}.

{وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} (الشورى: 41)

قد قدمناه فى الكلام على قوله تعالى فى سورة النحل وفي سورة الزمر المذكورتين آنفا.

{إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (الشورى:42) {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} (الشورى:43) {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ} (الشورى:44)

قد قدمناه فى الكلام على قوله تعالى فى سورة الأعراف {فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ}.

{وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ} (الشورى:45) {وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ} (الشورى:46) {اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ} (الشورى:47) {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْأِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْأِنْسَانَ كَفُورٌ} (الشورى:48)

قوله تعالى {فما أرسلناك عليهم حفيظا} أي {لست عليهم بمصيطر} كما قال عز وجل {ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء} وقال تعالى {فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب} وقال جل وعلا ههنا {إن عليك إلا البلاغ} أي إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله اليهم.

{لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ} (الشورى:49) {أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} (الشورى:50)

{يهب لمن يشاء إناثا} أي يرزقه البنات فقط ومنهم لوط عليه الصلاة والسلام {ويهب لمن يشاء الذكور} أي يرزقه البنين فقط كإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى. {أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَــاثاً} أي ويعطي لمن يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى أي من هذا وهذا كمحمد صلى الله عليه وسلم {ويجعل من يشاء عقيما} أي لا يولد له كيحيى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فجعل الناس أربعة أقسام منهم من يعطيه البنات ومنهم من يعطيه البنين ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورا وإناثا ومنهم من يمنعه هذا وهذا فيجعله عقيما لا نسل له ولا ولد له. وهذا المقام شبيه بقوله تبارك وتعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام {ولنجعله آية للناس} أي دلالة لهم على قدرته تعالى وتقدس حيث خلق الخلق على أربعة أقسام فآدم عليه الصلاة والسلام مخلوق من تراب لا من ذكر ولا أنثى وحواء عليها السلام مخلوقة من ذكر بلا أنثى وسائر الخلق سوى عيسى عليه

السلام من ذكر وأنثى وعيسى عليه السلام من أنثى بلا ذكر فتمت الدلالة بخلق عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ولهذا قال تعالى {ُ ولنجعله آية للناس} فهذا المقام في الآباء والمقام الأول في الأبناء وكل منهما أربعة أقسام فسبحان العليم القدير.

{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} (الشورى: 51) {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا} (الشورى:52)

قد قدمناه فى الكلام على قوله تعالى فى سورة النحل: {يُنَزِّلُ الْمَلَـائِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ}.

{ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الْأِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} (الشورى:52)

قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَـابُ وَلاَ الإِيمَـانُ}. يبين الله جل وعلا فيه مِنَّتِهِ على هذا النبي الكريم، بأنه علمه هذا القرآن العظيم ولم يكن يعلمه قبل ذلك، وعلمه تفاصيل دين الإسلام ولم يكن يعلمها قبل ذلك. وما ذكره هنا من أنه لم يكن يعلم هذه الأمور حتى علمه إياها بأن أوحى إليه هذا النور العظيم الذي هو كتاب الله، جاء في غير هذا الموضع كقوله تعالى فى سورة النساء: {وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ}. وقوله جل وعلا فى سورة يوسف {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـذَا الْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَـافِلِينَ}. فقوله في آية يوسف هذه: {وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَـافِلِينَ} كقوله هنا {مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَـابُ وَلاَ الإِيمَـانُ} وقوله تعالى فى سورة الضحى: {وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَى} على أصح التفسيرات كما قدمناه في سورة الشعراء في الكلام على قوله تعالى: {قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذاً وَأَنَاْ مِنَ الضَّآلِّينَ} إلى غير ذلك من الآيات. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَلَـكِن جَعَلْنَـاهُ نُوراً نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَآءُ}، الضمير في قوله: جعلناه راجع إلى القرآن العظيم المذكور في قوله: {رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا} وقوله: {مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَـابُ} أي ولكن جعلنا هذا القرآن العظيم نوراً نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا. وما ذكره هنا من أن هذا القرآن نور، جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى فى سورة النساء: {يَـأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً}. وقوله تعالى فى سورة الأعراف {وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ} وقوله تعالى فى سورة المائدة: {قَدْ جَآءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَـابٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَـامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِّنِ الظُّلُمَـاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} وقوله تعالى فى سورة التغابن: {فَـامِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنّورِ الَّذِى أَنزَلْنَا}. وما دلت عليه هذه الآيات الكريمة من كون هذا القرآن نوراً يدل على أنه هو الذي يكشف ظلمات الجهل، ويظهر في ضوئه الحق، ويتميز عن الباطل ويميز به بين الهدى والضلال والحسن والقبيح. فيجب على كل مسلم أن يستضيء بنوره، فيعتقد عقائده، ويحل حلاله، ويحرم حرامه ويمتثل أوامره ويجتنب ما نهى عنه ويعتبر بقصصه وأمثاله. والسنة كلها داخلة في العمل به، لقوله تعالى فى سورة الحشر: {وَمَآ ءَاتَـاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ}.

{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الشورى:52)

الصراط المستقيم، قد بينه تعالى في قوله فى سورة الفاتحة: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّآلِّينَ } . وقوله في هذه الآية الكريمة {وَإِنَّكَ لَتَهْدِى} ، قد بينا الآيات الموضحة له في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـاهُمْ} ، وبينا هناك وجه الجمع بين قوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} مع قوله فى سورة القصص {إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ} .

{صِرَاطِ اللهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوَات وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} (الشورى:53)

ما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون الأمور كلها تصير إلى الله، أي ترجع إليه وحده لا إلى غيره. جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى فى سورة هود: {وَللَّهِ غَيْبُ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ} وقوله تعالى فى سورة آل عمران: {وَللَّهِ مَا فِى السَّمٰوَات وَمَا فِى الأَرْضِ وَإِلَى الله تُرْجَعُ الأُمُورُ* كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} إلى غير ذلك من الآيات.

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الزخرف

{حم}(الزخرف:1) {وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ}(الزخرف:2) {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}(الزخرف:3)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الشعراء في الكلام على قوله تعالى: {لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} وفي سورة الزمر في الكلام على قوله تعالى: {قُرْءَاناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِى عِوَجٍ}.

{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}(الزخرف:4) {أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ}(الزخرف:5) {وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ}(الزخرف:6) {وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}(الزخرف:7) {فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ} (الزخرف:8)

كقوله تعالى فى سورة الروم: {أَوَلَمْ يَسيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ الأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا}. وقوله تعالى فى سورة غافر: {أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ أَكْـثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَاراً فِى الأَرْضِ}. وقوله تعالى فى سورة الأنعام: {أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَاراً} إلى قوله {فَأَهْلَكْنَـٰهُمْ بِذُنُوبِهِمْ}. وقوله تعالى فى سورة سبأ: {وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِى فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ}. وقوله تعالى فى سورة فاطر: {أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَىْءٍ فِى السَّمٰوَات وَلاَ فِى الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً}.

وقوله تعالى فى هذه الآية الكريمة {وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِين} كقوله تعالى فى سورة فاطر: {فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُوراً اسْتِكْبَاراً فِى الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّىءِ وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّىءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً} وقوله تعالىفى سورة غافر: {فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُمْ مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُواْ ءَامَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَـفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّةَ اللهِ الَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَـٰفِرُونَ} وقوله تعالى فى سورة الكهف: {وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ}. وقوله تعالى فى سورة الزخرف: {فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَـٰهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِّلآخِرِينَ}. وقد قدمنا بعض الآيات الدالة على هذا في سورة المائدة في الكلام على قوله تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِى إِسْرائيلَ}.

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَات وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ}(الزخرف:9)

وقد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة في سورة بني إسرائيل، في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْءَانَ يِهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ}.

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}(الزخرف:10)

كونه تعالى جعل الأرض فراشاً لبني آدم وجعل لهم فيها الطرق، لينفذوا من قطر إلى قطر كقوله تعالى فى سورة نوح: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً}، وكقوله تعالى فى سورة الأنبياء: {وَجَعَلْنَا فِى الأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ}. كون الأرض فراشاً لبني آدم في آيات كثيرة كقوله تعالى فى سورة الذاريات: {وَالأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ الْمَـٰهِدُونَ} وقوله تعالى فى سورة البقرة: {الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقا لَّكُمْ}. وقوله تعالى فى سورة غافر: {اللَّهُ الَّذِى جَعَـلَ لَكُـمُ الأَرْضَ قَـرَاراً وَالسَّمَآءَ بِنَـآءً}.

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {وَأَلْقَى فِى الأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَـاراً وَسُبُلا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}.

{وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}(الزخرف:11)

كقوله تعالىفى سورة البقرة: {وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ} مع بقية براهين البعث في القرآن. وأوضحنا ذلك أيضاً في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ}. وقوله تعالى {بِقَدَرٍ} أى بمقدار يكون به إصلاح البشر كما قال تعالى فى سورة المؤمنون: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِى الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَـٰدِرُونَ}.

{وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ}(الزخرف:12)

قال تعالى فى سورة يس: {سُبْحَـٰنَ الَّذِى خَلَق الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لاَ يَعْلَمُونَ}. وقال تعالى فى سورة طه: {وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَـٰتٍ شَتَّى} وقال تعالى فى سورة الحج: {فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ} وقال تعالى فى سورة لقمان: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ}. وقوله تعالى فى سورة ص: {وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ}. وقوله تعالى فى سورة طه: {وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ}. وقد قدمنا طرفاً من ذلك في سورة الصافات في الكلام على قوله تعالى {احْشُرُواْ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ}.

{لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}(الزخرف:13)

قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة في سورة المؤمن، في الكلام على قوله تعالى {اللَّهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُواْ مِنْهَا}.

{وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ}(الزخرف:14)

قال تعالى في ركوب الفلك فى سورة يس: {وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ}. وقال تعالى فى سورة النحل: {وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا}. وقال تعالى فى سورة الجاثية: {اللَّهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ}. وقال تعالى فى سورة ابراهيم: {وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ}. وقال تعالى فى سورة البقرة: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ}. وقال تعالى فى سورة الحج: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة. وقال تعالى في تسخير الأنعام فى سورة يس: {وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ} وقال تعالى فى سورة الحج: {فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَآؤُهَا وَلَـكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ}(الزخرف:15) {أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ}(الزخرف:16)

كقوله فى سورة الزخرف {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـنِ مَثَلاً} يعني الأنثى، كما أوضحه بقوله فى سورة النحل: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} وكقوله تعالى هنا {أَوَمَن يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} وكقوله تعالى فى سورة النحل: {وَيَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ}. وقوله تعالى فى سورة النحل: {وَيَجْعَلُونَ للهِ مَا يَكْرَهُونَ}. وقوله تعالى فى سورة الاسراء: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا} وقوله تعالى فى سورة النجم {أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى}. وقوله تعالى فى سورة الذاريات الصافات: {فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ أَلا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيقولون وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ فَأْتُواْ بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}. وقد قدمنا كثيراً من الآيات الموضحة لهذا المعنى في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {وَيَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ}

{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ}(الزخرف:17) {أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ}(الزخرف:18) {وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلونَ}(الزخرف:19)

كونهم اعتقدوا الملائكة إناثاً، فقد ذكرها تعالى في مواضع من كتابه كقوله تعالى فى سورة الاسراء {أَفَأَصْفَـاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَـائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيمًا}. وكقوله تعالى فى سورة النجم: {إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَـائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَى}، وقوله تعالى فى سورة الصافات {فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَـائِكَةَ إِنَـاثاً}. إلى غير ذلك من الآيات.أما سؤاله تعالى لهم على وجه الانكار والتوبيخ هل شهدوا خلق الملائكة حتى علموا انهم خلقوا اناثا فذكرها فى قوله تعالى فى سورة الصافات: {أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَـائِكَةَ إِنَـاثاً وَهُمْ شَـاهِدُونَ} وبين تعالى أنه لم يشهد الكفار خلق شيء في قوله فى سورة الكهف: {مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ}. وأن شهادتهم بذلك الكفر ستكتب عليهم كقوله تعالى فى سورة الانفطار: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـافِظِينَ كِرَاماً كَـاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}، وقوله تعالى فى سورة الجاثية : {هَـذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّ كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}، وقوله تعالى فى سورة الزخرف: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}، وقوله تعالى فى سورة يونس: {إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ} وقوله تعالى فى سورة الاسراء: {وَكُلَّ إِنْسَـانٍ أَلْزَمْنَـاهُ طَـائِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَـامَةِ كِتَاباً يَلْقَـاهُ مَنْشُوراًاقْرَأْ كَتَـابَكَ}. وقوله تعالى فى سورة مريم: {سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً}. كونهم يسألون عن ذلك الافتراء والكفر كقوله تعالى فى سورة العنكبوت: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} وقوله تعالى فى سورة الحجر: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْـأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}، وقوله تعالى فى سورة الزخرف: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـأَلُونَ} وقوله تعالى فى سورة النحل: {وَيَجْعَلُونَ لِمَا لاَ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمّا رَزَقْنَـاهُمْ تَاللهِ لَتُسْـأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}(الزخرف:20) {أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ}(الزخرف:21)

كقوله تعالى في سورة فاطر {قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمٰوَات أَمْ ءَاتَيْنَـاهُمْ كِتَـاباً فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ}. وقوله تعالى في الأحقاف {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمٰوَات إِيْتُونِى بِكِتَـابٍ مِّن قَبْلِ هَـذَآ أَوْ أَثَـارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـادِقِينَ}. وقوله تعالى في الروم: {أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَـاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِ يُشْرِكُونَ}. وقوله تعالى في الصافات: {أَمْ لَكُمْ سُلْطَـانٌ مُّبِينٌ فَأْتُواْ بِكِتَـابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـادِقِينَ}. وقوله تعالى في النمل: {أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ

أَءِلَـــهٌ مَّعَ اللهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـــانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـــادِقِينَ}. وقوله تعالى في الحج ولقمان: {ومِنَ النَّاسِ مَن يُجَـــادِلُ فِى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَـــابٍ مُّنِيرٍ}. وقوله تعالى في الأنعام: {قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِ ّ لا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِ ّ لا تَخْرُصُونَ}.

{بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ}(الزخرف:22) {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} (الزخرف:23) {قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} (الزخرف:24)

وقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة قد أفلح المؤمنون، في الكلام على قوله تعالى {ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ}. وفي سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: {وَكَذلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـــابِرَ مُجْرِمِيهَا}، وقوله تعالى: {قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ}. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تسفيه رأي الكفار وبيان شدة ضلالهم في تقليدهم آباءهم هذا التقليد الأعمى، جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى في البقرة: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ}، وكقوله تعالى في المائدة: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَآ أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ}. وأوضح تعالى في آية لقمان أن ما وجدوا عليه آباءهم من الكفر والضلال طريق من طرق الشيطان يدعوهم بسلوكها إلى عذاب السعير، وذلك في قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُواْ مَآ أَنَزلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَـــانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} كقوله تعالى في الصافات: {إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ فَهُمْ عَلَى ءَاثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ}، وقوله تعالى فى الانبياء: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَـــالِمِينَ إِذْ قَالَ لاًّبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَـــذِهِ التَّمَـــاثِيلُ الَّتِى أَنتُمْ لَهَا عَـــاكِفُونَ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَـــابِدِينَ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ} والآيات بمثل ذلك كثيرة.

{فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}(الزخرف:25) {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ}(الزخرف:26) {إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} (الزخرف:27)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قال لأبيه وقومه: إنه براء أي بريء، من جميع معبوداتهم التي يعبدونها، من دون الله أي يعني أنه بريء من عبادة كل معبود، إلا المعبود الذي خلقه وأوجده فهو وحده معبوده. وقد أوضح تعالى هذا المعنى الذي ذكره عن إبراهيم في مواضع أخر من كتابه كقوله تعالى فى الشعراء: {قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ الاٌّقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِى إِ ّ لا رَبَّ الْعَـــالَمِينَ الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ}. وكقوله تعالى فى الانعام: {فَلَماَّ

رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـــذَا رَب هَـــذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ ياقَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمٰوَات وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَآ أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} .

وزاد جل وعلا في سورة الممتحنة براءته أيضاً من العابدين وعداوته لهم وبغضه لهم في الله، وذلك في قوله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءآؤاْ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ الله كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُواْ بِالله وَحْدَهُ} .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} ذكر نحوه في قوله فى الشعراء: {الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ} وقوله تعالى فى الصافات: {وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ} وقوله تعالى فى الانعام: {فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ} . وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة، دلت عليه آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى فى البقرة: {يَـــأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِىْ خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ} ، وقوله تعالى فى الشعراء: {وَاتَّقُواْ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الأَوَّلِينَ} وقوله تعالى فى الرعد: {أَمْ جَعَلُواْ لله شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَـــالِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّـــارُ} وقوله تعالى فى النحل: {أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ} ، وقوله تعالى فى الاعراف: {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ} وقوله تعالى فى الفرقان: {الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى المُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}(الزخرف:28) {بَلْ مَتَّعْتُ هَــٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ}(الزخرف:29)

وقد جعل الله الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته، كما قال تعالى في سورة العنكبوت {وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَـــاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ} ، وقال عنه وعن نوح في سورة الحديد {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَـــابَ} وقد بين تعالى في آية الزخرف هذه، أن الله لم يجب دعوة إبراهيم في جميع ذريته، ولم يجعل الكلمة باقية في جميع عقبه، لأن كفار مكة الذين كذبوا بنبينا من عقبه بإجماع العلماء، وقد كذبوه وقالوا إنه ساحر. وكثير منهم مات على ذلك. وذلك في قوله تعالى {بَلْ مَتَّعْتُ هٰــؤلاءِ } يعني كفار مكة وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين، هو محمد {وَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ قَالُواْ هَـــذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَـــافِرُونَ} . وما دلت عليه آية الزخرف هذه من أن بعض عقب إبراهيم لم يجعل الله الكلمة المذكورة باقية فيهم، دلت عليه آيات أخر من كتاب الله، كقوله تعالى في البقرة: {قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّـــالِمِينَ} أي الظالمين من ذرية إبراهيم. وقوله تعالى في الصافات {وَبَـــارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَـــالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ} . فالمحسن منهم هو الذي الكلمة باقية فيه، والظالم لنفسه المبين منهم ليس كذلك. وقوله تعالى في النساء {فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَـــابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـــاهُمْ مُّلْكاً عَظِيماً فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً} .

وقد بين تعالى في الحديد أن غير المهتدين منهم كثيرون وذلك في قوله {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَـــابَ فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـــاسِقُونَ} .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} أي جعل الكلمة باقية فيهم لعل الزائغين الضالين منهم يرجعون إلى الحق بإرشاد المؤمنين لمهتدين منهم، لأن الحق ما دام قائماً في جملتهم فرجوع الزائغين عنه إليه مرجو مأمول كما دل عليه قوله {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}.

{وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ}(الزخرف:31){أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}(الزخرف:32)

وقد بين تعالى في هذه الآية الكريمة، شدة جهلهم، وسخافة عقولهم، بقوله {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ} والظاهر المتبادر أن المراد برحمة ربك النبوة وإنزال الوحي. وإطلاق الرحمة على ذلك متعدد في القرآن كقوله تعالى في الدخان {إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَة مِّن رَّبِّكَ}، وقوله في آخر القصص {وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَـابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ}، وقوله في آخر الأنبياء {وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}. وقد قدمنا الآيات الدالة، على إطلاق الرحمة: والعلم على النبوة في سورة الكهف، في الكلام على قوله تعالى: {فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا}. وقدمنا معاني إطلاق الرحمة، في القرآن في سورة فاطر، في الكلام على قوله تعالى {مَّا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا}. زعمهم أن محمداً أنقص شرفاً، وقدراً من أن ينزل عليه الوحي، فقد ذكره الله عنهم في ص في قوله تعالى {أَءَنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بْل هُمْ فَى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى}. وقد قال قوم صالح، مثل ذلك لصالح، كما قال تعالى فى القمر {أَءُلْقِىَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ }. فقلوب الكفار متشابهة فكانت أعمالهم متشابهة. كما قال تعالى فى البقرة {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَـابَهَتْ قُلُوبُهُمْ} وقال تعالى فى الذاريات {أَتَوَاصَوْاْ بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَـاغُونَ}. وأما اقتراحهم إنزال الوحي على غيره منهم، وأنهم لا يرضون خصوصيته بذلك دونهم، فقد ذكره تعالى في سورة الأنعام في قوله تعالى: {وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ اللهِ} وقوله تعالى في المدثر {بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفاً مُّنَشَّرَةً}. وأما إنكاره تعالى عليهم، اقتراح إنزال الوحي على غير محمد فقد أشار تعالى إليه مع الوعيد الشديد في الأنعام لأنه تعالى لما قال {وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ اللهِ} أتبع ذلك بقوله، رداً عليهم، وإنكاراً لمقالتهم {اللهُ أَعْلَمُ حَيْث يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} ثم أوعدهم على ذلك فقوله {سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ اللهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ}. وأما كونه تعالى هو الذي تولى قسمة معيشتهم بينهم، فقد جاء في مواضع أخر كقوله تعالى فى النحل: {وَاللهُ فَضَّل بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِى الْرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ}. وقوله تعالى فى الاسراء {انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلاٌّخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَر تَفْضِيلاً} وقوله تعالى فى الرعد: {اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقَدِرُ} وقوله تعالى فى الضورى: {وَلَـكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرُ بَصِيرٌ} وقوله تعالى فى النساء: {إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللهُ أَوْلَى بِهِمَا}. وقوله تعالى هنا {وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}. يعني أن النبوة، والاهتداء يهدي الأنبياء، وما يناله المهتدون يوم القيامة، خير مما يجمعه الناس في الدنيا من حطامها. وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى، في غير هذا الموضع، كقوله في سورة يونس {قُلْ بِفَضْلِ اللهِ

وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} وقوله تعالى في آل عمران {وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}.

{وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} (الزخرف:33) {وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ} (الزخرف:34) {وَزُخْرُفاً وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ} (الزخرف:35)

وما دلت عليه هذه الآيات. من أنه تعالى يعطي الكفار من متاع الحياة الدنيا، دلت عليه آيات كثيرة من كتاب الله. كقوله تعالى فى البقرة {قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰعَذَابِ النَّارِ} وقوله فى لقمان {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} وقوله تعالى فى يونس {ياأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُمْ مَّتَاعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} وقوله تعالى فى يونس {قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ مَتَـاعٌ فِى الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ} والآيات بمثل هذا كثيرة. وقد بين تعالى في آيات من كتابه، أن إنعامه على الكافرين ليس لكرامتهم عليه، ولكنه للاستدراج، كقوله تعالى فى القلم {فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَـذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ} وقوله تعالى فى الانعام {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُواْ أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُّبْلِسُونَ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَـالَمِينَ} وقوله تعالى فى الاعراف {ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّآءُ وَالسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} وقوله تعالى فى مريم {قُلْ مَن كَانَ فِى الضَّلاَلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً} على أظهر التفسيرين. وقوله تعالى فى آل عمران: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمَاً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} وقوله تعالى فى الحج: {فَأمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ}.

ودعوى الكفار، أن الله ما أعطاهم المال ونعيم الدنيا إلا لكرامتهم عليه واستحقاقهم لذلك، وأنه إن كان البعث حقاً أعطاهم خيراً منه في الآخرة قد ردها الله عليهم في آيات كثيرة كقوله تعالى فى المؤمنون {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ}، وقوله تعالى فى سبأ {وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلَـادُكُمْ بِالَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً}، وقوله تعالى الاعراف {قَالُواْ مَآ أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ}، وقوله تعالى فى المسد: {مَآ أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} وقوله تعالى فى الليل: {وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى} وقوله تعالى فى الانعام {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَـاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَّا خَوَّلْنَـاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ} إلى غير ذلك من الآيات.

وقد قدمنا طرفاً من هذا في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: {وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّى لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً}.

{وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} (الزخرف:36){وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} (الزخرف:37){حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ} (الزخرف:38)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى: {وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ}.

{وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} (الزخرف:39)

قد قدمنا الكلام عليه في الصافات في الكلام على قوله تعالى: {فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ}.

{أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ} (الزخرف:40)

قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة في سورة النمل في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلاَ تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ}.

{فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ} (الزخرف:41)

لم يقبض الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم حتى أقر عينه من أعدائه وحكمه في نواصيهم وملكه ما تضمنته صياصيهم فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وبقيت النقمة ولم ير الله تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في أمته شيئا يكرهه حتى مضى ولم يكن نبي قط إلا وقد رأى العقوبة في أمته إلا نبيكم صلى الله عليه وسلم قال وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أري ما يصيب أمته من بعده فما رئي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله عز وجل.

{أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ} (الزخرف:42){فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (الزخرف:43)

أما أمره بالتمسك بالقرآن العظيم، فقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: {وَاتْلُ مَآ أُوْحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَـابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَـاتِهِ}. وأما إخباره له على صراط مستقيم فمن الآيات التي أوضح ذلك فيها قوله تعالى فى الجاثية: {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ}، وقوله تعالى فى الشورى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ}، وقوله تعالى فى المؤمنون: {وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَإِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالاْخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ} وقوله تعالى فى الحج: {فَلاَ يُنَـازِعُنَّكَ فِى الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ} وقوله تعالى فى النمل: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلونَ} (الزخرف:44)

معناه {وإنه لذكر لك ولقومك} أي لتذكير لك ولقومك وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم كقوله تعالى {لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون} وكقوله تبارك وتعالى {وأنذر عشيرتك الأقربين} أما قوله {وسوف تسئلون} أي عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له.

{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} (الزخرف:45)

ما تضمنته هذه الآية الكريمة. من أن جميع الرسل جاءوا بإخلاص التوحيد لله، الذي تضمنته كلمة لا إله إلا الله، جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالىفى النحل {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولا أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الْطَّـاغُوتَ}. وقوله تعالى فى الانبياء: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِ ّ َلا نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلـٰهَ إِ ّ َلا أَنَاْ فَاعْبُدُونِ}، وذلك التوحيد هو أول ما يأمر به كل نبي أمته. قال تعالى فى الاعراف: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَـا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلـٰهٍ غَيْرُهُ}، وقال تعالى فى الاعراف: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلـٰهٍ غَيْرُهُ}، وقال تعالى فى الاعراف {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـالِحًا قَالَ يَـاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلـٰهٍ غَيْرُهُ}، وقال تعالى فى الاعراف: {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَـاقَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ}. إلى غير ذلك من الآيات.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الزخرف:46){فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ} (الزخرف:47){وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا} (الزخرف:48)

قد قدمنا الكلام على قصة موسى وفرعون في سورة الأعراف وسورة طه.

{وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (الزخرف:48)

لم يبين هنا نوع العذاب الذي أخذهم به، ولكنه أوضحه في الأعراف في قوله تعالى: {وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَـاتٍ مّفَصَّلاَتٍ}، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءالَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ}.

{وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ} (الزخرف:49) {فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ} (الزخرف:50)

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أوضحه في الأعراف بقوله: {وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِى إِسْرائيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ}. والرجز المذكور في الأعراف هو بعينه العذاب المذكور في آية الزخرف هذه.

{وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ} (الزخرف:51) {أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ} (الزخرف:52)

قد تقدم الكلام عليه في طه في الكلام على قوله تعالى عن موسى {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى}.

{فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ} (الزخرف:53)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: {لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً}.

{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ} (الزخرف:54)

{فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ) (الزخرف:55)

آسفونا معناه أغضبونا، وأسخطونا وكون المراد بالأسف الغضب، يدل عليه إطلاق الأسف على أشد الغضب في قوله تعالى فى الاعراف: {وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا}

{فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ} (الزخرف:56)

قد قدمنا الكلام عليه في هذه السورة الكريمة، في الكلام على قوله تعالى: {فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ} {وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ وَقَالُواْ ءَأَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ}

{إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرائيلَ} (الزخرف:59)

لم يبين هنا شيئاً من الإنعام الذي أنعم به على عبده عيسى، ولكنه بين ذلك في المائدة، في قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِى وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ

الْمَوْتَى بِإِذْنِى وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِى إِسْرائيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَـــاتِ} وفي آل عمران، في قوله تعالى {إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} إلى قوله {وَمِنَ الصَّالِحِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ}(الزخرف:60) {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}(الزخرف:61) {وَلا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)} (الزخرف:62)

وقد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة مراراً كقوله فى فاطر: {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً}. وقوله فى الكهف {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ}. إلى غير ذلك من الآيات.

{وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ}(الزخرف:63) {إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ}(الزخرف:64) {فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ} (الزخرف:65)

قوله هنا {ظَلَمُواْ} أي كفروا، بدليل قوله في مريم، في القصة بعينها، {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ}.وقوله {مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ} يوضحه قوله هنا: {مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ}. وقد قدمنا مراراً الآيات الدالة على إطلاق الظلم على الكفر كقوله فى لقمان: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} وقوله فى البقرة: {وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} وقوله فى يونس: {وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ} وقوله تعالى فى الانعام {وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} أي بشرك.

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ} (الزخرف:66)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أن الساعة تأتيهم بغتة، جاء موضحاً في آيات من كتاب الله. كقوله تعالى في الأعراف: {ثَقُلَتْ فِى السَّمَوَات وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً}. وقوله تعالى في القتال {فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا} وقوله تعالى فى يس: {مَا يَنظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً}.

{الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ}(الزخرف:67) {يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ}(الزخرف:68) {الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ}(الزخرف:69) {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ}(الزخرف:70)

وقال كثير في أهل العلم: إن المراد بالشغل المذكور في الآية، هو افتضاض الأبكار. وقال تعالى فى الدخان: {وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ}. وقال تعالى فى الواقعة: {وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ}. وقال تعالى فى الرحمن: {فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ} إلى قوله: {حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِى الْخِيَامِ}، وقال فى الصافات: {وَعِندَهُمْ قَـاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ} وقال تعالى فى ص: {وَعِندَهُمْ قَـاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ} إلى غير ذلك من الآيات.

{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ} (الزخرف:71)

قد قدمنا الآيات الموضحة له، وجميع الآيات التي فيها الأنعام على أهل الجنة بأواني الذهب والفضة، والتحلي بهما، ولبس الحرير، ومنه السندس والإستبرق، وفي سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا}

{ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (الزخرف:71)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أن كل ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، أي أي تلتذ به الأعين أي برؤيته لحسنه، كما قال تعالى فى البقرة: {صَفْرَآءُ فَاقِـعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّـاظِرِينَ}. وأسند اللذة إلى العين، وهي في الحقيقة مسندة لصاحب العين، كإسناد الكذب والخطيئة إلى الناصية، وهي مقدم شعر الرأس، في قوله تعالى فى العلق: {نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ} وكإسناد الخشوع، والعمل والنصب، إلى الوجوه، في قوله تعالى فى الغاشية: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ}. ومعلوم أن الكذب والخطيئة مسندان في الحقيقة لصاحب الناصية، كما أن الخشوع والعمل، والنصب مسندات إلى أصحاب الوجوه. وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن الجنة، فيها كل مشتهى، وكل مستلذ، جاء مبسوطاً موضحة أنواعه في آيات كثيرة، من كتاب الله، وجاء محمد أيضاً إجمالاً شاملاً لكل شيء من النعيم. أما إجمال ذلك ففي قوله تعالى فى السجدة: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}. أما المآكل فقد قال تعالى فى الزخرف: {لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ}، وقال فى الواقعة: {وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ} وقال تعالى فى الواقعة: {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍلاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ} وقال تعالى فى البقرة: {كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَـٰذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً}. إلى غير ذلك من الآيات. أما المشارب، فقد قال تعالى فى الانسان: {إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً}. وقال تعالى فى الانسان: {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاًعَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً}، وقوله تعالى فى الواقعة: {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ}. وقال تعالى فى الصافات: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ}: وقال تعالى فى محمد: {فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ

وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ} وقال تعالى فى الحاقة {كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيئاً بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} وأما الملابس والأواني والحلي، فقد قدمنا الكلام عليها مستوفى في سورة النحل. وأما المناكح فقد قدمنا بعض الآيات الدالة عليها قريباً. وهي كثيرة كقوله تعالى فى البقرة: {وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ}. ويكفي ما قدمنا من ذلك قريباً. وأما ما يتكئون عليه من الفرش والسرر ونحو ذلك، ففي آيات كثيرة كقوله تعالى فى الرحمن: {مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ}. وقوله تعالى فى يس: {هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِى ظِلَـالٍ عَلَى الأَرَآئِكِ مُتَّكِئُونَ} وقوله تعالى فى الواقعة: {عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَة مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ}. والسرر الموضونة هي المنسوجة بقضبان الذهب. وقوله تعالى فى الحجر {إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ}. وقوله تعالى فى الغاشية: {فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ}. وقوله تعالى فى الرحمن: {مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ} إلى غير ذلك من الآيات. وأما خدمهم فقد قال تعالى في ذلك في الواقعة: {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ}. وقال تعالى في سورة الإنسان في صفة هؤلاء الغلمان: {إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً}، وذكر نعيم أهل الجنة بأبلغ صيغة في قوله تعالى: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً}. والآيات الدالة على أنواع نعيم الجنة وحسنها وكمالها كالظلال والعيون والأنهار وغير ذلك كثيرة جداً ولنكتف منها بما ذكرنا.

{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (الزخرف:72)

قد قدمنا الكلام على هذه الآية الكريمة، ونحوها من الآيات الدالة على أن العمل سبب لدخول الجنة كقوله تعالى فى الاعراف: {وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} وقوله تعالى فى مريم: {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً} وقوله تعالى فى السجدة: {فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}. وبينا أقرب أوجه الجمع بين هذه الآيات الكريمة وما بمعناها، مع وقوله «لن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل». وذكرنا في ذلك أن العمل الذي بينت الآيات كونه سبب دخول الجنة هو العمل الذي تقبله الله برحمة منه وفضل. وأن العمل الذي لا يدخل الجنة هو الذي لم يتقبله الله. والله يقول فى المائدة: {إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ}.

{لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ}(الزخرف:73) {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} (الزخرف:74) {لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}(الزخرف:75) {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ} (الزخرف:76) {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ} (الزخرف:77)

اللام في قوله {لِيَقْضِ} لام الدعاء. والظاهر أن المعنى، أن مرادهم بذلك سؤال مالك خازن النار، أن يدعو الله لهم بالموت. والدليل على ذلك أمران: الأول: أنهم لو أرادوا دعاء الله بأنفسهم أن يميتهم لما نادوا يا مالك، ولما خاطبوه في قولهم: {رَبُّكَ}. والثاني: أن الله بين في سورة المؤمن أن أهل النار، يطلبون خزنة النار، أن يدعو الله لهم ليخفف عنهم العذاب، وذلك في قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ فِى النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِّنَ الْعَذَابِ}. وقوله {لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} أي ليمتنا فنستريح بالموت من العذاب. ونظيره قوله تعالى فى القصص: {فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ} أي أماته. وقوله تعالى في هذه الآية

الكريمة: {قَالَ إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ} دليل على أنهم لا يجابون إلى الموت بل يمكثون في النار معذبين إلى غير نهاية. وقد دل القرآن العظيم على أنهم لا يموتون فيها فيستريحوا بالموت، ولا تغني هي عنهم، ولا يخفف عنهم عذابها، ولا يخرجون منها. أما كونهم لا يموتون فيها الذي دل عليه قوله هنا {قَالَ إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ} فقد دلت عليه آيات من كتاب الله كقوله تعالى فى طه: {إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَي}، وقوله تعالى فى الاعلى: {وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى الَّذِى يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرٰى ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَي}. وقوله تعالى فى فاطر: {وَالَّذِين كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضٰى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ}. وقوله تعالى فى ابراهيم: {وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ}. وأما كون النار لا تغني عنهم، فقد بينه تعالى بقوله فى الاسراء: {كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا}، فمن يدعي أن للنار خبوة نهائية وفناء رد عليه بهذه الآية الكريمة. وأما كون العذاب لا يخفف عنه فقد دلت عليه آيات كثيرة جداً كقوله فى فاطر: {وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا}. وقوله تعالى فى النحل: {فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ}، وقوله تعالى فى النبأ: {فَلَن نَّزِيدَكُم إِلاَّ عَذَاباً}، وقوله تعالى فى الزخرف: {لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ}. وقوله فى الفرقان: {إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً} وقوله تعالى فى الفرقان: {فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً} على الأصح في الأخيرين. وأما كونهم لا يخرجون منها فقد جاء موضحاً في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى في البقرة: {كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} وقوله تعالى في المائدة: {يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ}، وقوله تعالى في الحج: {كُلَّمَآ أَرَادُواْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا}. وقوله تعالى في السجدة: {كُلَّمَآ أَرَادُواْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا}، وقوله تعالى في الجاثية: {فَالْيَوْمَ لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ} إلى غير ذلك من الآيات. وقد أوضحنا في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى {قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَآ إِلاَّ مَا شَآءَ اللهُ} وفي سورة النبأ في الكلام على قوله تعالى: {لَابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَاباً}.

{لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} (الزخرف:78)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الشورى في الكلام على قوله تعالى: {كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ}.

{أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ} (الزخرف:79) {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} (الزخرف:80)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في هذه السورة الكريمة، في الكلام على قوله تعالى: {سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ}، وأكثرنا من الآيات الموضحة لذلك في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى: {كَلا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ}.

{قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ} (الزخرف:81)

{سُبْحَانَ رَبِّ السَّمٰوَات وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}

{فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} (الزخرف:83)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ}.

{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَـهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَـهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ} (الزخرف:84)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: {وَهُوَ اللَّهُ فِى السَّمَٰوَات وَفِى الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ}.

{وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَٰوَات وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (الزخرف:85)

قد بينا الآيات الموضحة في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ}. وفي الأعراف في الكلام على قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ} وفي غير ذلك من المواضع.

{وَلا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (الزخرف:86)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: {وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ}. وفي غير ذلك من المواضع.

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} (الزخرف:87)

قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة، في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْءَانَ يِهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ}.

{وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَـٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لا يُؤْمِنُونَ} (الزخرف:88)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من شكواه، إلى ربه عدم إيمان قومه، جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى فى الفرقان: {وَقَالَ الرَّسُولُ يارَبِّ إِنَّ قَوْمِى اتَّخَذُواْ هَذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُوراً}، وذكر مثله عن موسى في قوله تعالى في الدخان: {فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَـٰؤُلآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ}، وعن نوح قوله تعالى فى نوح: {قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهَاراً فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآئِى إِلاَّ فِرَاراً} إلى آخر الآيات.

{فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} (الزخرف:89)

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الدخان

{حم }* {وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ} (الدخان:2) {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ} (الدخان:3) { فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} (الدخان:4) {أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا} (الدخان:5) {أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} (الدخان:5) {رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (الدخان:6) {رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ} (الدخان:7){لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ} (الدخان:8){بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ} (الدخان:9){فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ} (الدخان:10){يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ}(الدخان:11) {رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ} (الدخان:12) {أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ}(الدخان:13) {ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ}(الدخان:14) {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ}(الدخان:15)

{يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ}(الدخان:16) {وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ}(الدخان:17) {أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ}(الدخان:18) {وَأَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ}(الدخان:19) {وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ}(الدخان:20) {وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ}(الدخان:21) {فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ} (الدخان:22) {فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ}(الدخان:23) {وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ}(الدخان:24) {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}(الدخان:25) {وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ}(الدخان:26) {وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ}(الدخان:27) {كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ}(الدخان:28){فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ}(الدخان:29) {وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرائيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ}(الدخان:30) {مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ}(الدخان:31) {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ}(الدخان:32) {وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ}(الدخان:33) {إِنَّ هَؤُلاءِ لَيَقُولُونَ}(الدخان:34) {إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ}(الدخان:35) {فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الدخان:36) {أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ

تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ}(الدخان:37) {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ} (الدخان:38) {مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ}(الدخان:39) {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ}(الدخان:40) {يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ}(الدخان:41) {إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ}(الدخان:42) {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ} (الدخان:43) {طَعَامُ الْأَثِيمِ}(الدخان:44) {كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ}(الدخان:45) {كَغَلْيِ الْحَمِيمِ}(الدخان:46) {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ} (الدخان:47) {ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ}(الدخان:48) {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}(الدخان:49) {إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ}(الدخان:50) {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ}(الدخان:51) {فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}(الدخان:52) {يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ}(الدخان:53) {كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ}(الدخان:54) {يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ} (الدخان:55) {لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (الدخان:56) {فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}(الدخان:57) {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}(الدخان:58) {فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ}(الدخان:59)

وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة، يدل أيضاً على أن الليلة المباركة هي ليلة القدر فهو بيان قرآني آخر. وإيضاح ذلك أن معنى قوله {إِنَّا أَنزَلْنَـــاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ} أي في ليلة التقدير لجميع أمور السنة، من رزق وموت، وحياة وولادة ومرض، وصحة وخصب وجدب، وغير ذلك من جميع أمور السنة. قال بعضهم: حتى إن الرجل لينكح ويتصرف في أموره ويولد له، وقد خرج اسمه في الموتى في تلك السنة. وعلى هذا التفسير الصحيح لليلة القدر، فالتقدير المذكور هو بعينه المراد بقوله {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ}. وقد قدمنا في سورة الأنبياء في الكلام على قوله تعالى: {فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ} أن قدر بفتح الدال مخففاً يقدر ويقدر بالكسر والضم كيضرب وينصر قدراً بمعنى قدر تقديراً، وأن ثعلباً أنشد لذلك قول الشاعر:

فليست عشيات الحمى برواجع لنا أبداً ما أروق السلم النضر

ولا عائد ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر

وبينا هناك، أن ذلك هو معنى ليلة القدر، لأن الله يقدر فيها وقائع السنة. وبينا أن ذلك هو معنى قوله تعالى: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} وأوضحنا هناك أن القدر بفتح الدال والقدر بسكونها هما ما يقدره الله من قضائه: ومنه قول هدبة بن الخشرم:

ألا يا لقومي للنوائب والقدر وللأمر يأتي المرء من حيث لا يدري

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الكهف، في الكلام على قوله تعالى {فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا} . وفي سورة فاطر في الكلام على قوله تعالى {مَّا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا} .

قوله سبحانه وتعالى {ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون} أي يقول الكافرون إذا عاينوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم كقوله جلت عظمته {ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بأيات ربنا ونكون من المؤمنين} وكذا قوله جل وعلا {وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال} .

هذا الذي ادعوه على النبي افتراء، من أنه معلم، يعنون أن هذا القرآن علمه إياه بشر، وأنه مجنون، قد بينا الآيات الموضحة لإبطاله. أما دعواهم أنه معلم فقد قدمنا الآيات الدالة على تلك الدعوى في سورة النحل، في الكلام على قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} وفي سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ} إلى قوله {فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً} . وبينا الآيات الموضحة لافترائهم وتعنتهم في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ} . وفي الفرقان في الكلام على قوله تعالى: {فَقَدْ جَآءُوا ظُلْماً وَزُوراً وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا} . وأما دعواهم أنه مجنون، فقد قدمنا الآيات الموضحة لها. ولإبطالها في سورة قد أفلح المؤمنون في الكلام على قوله تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَآءَهُمْ بِالْحَقِّ} .

قوله تعالى {إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون} يحتمل معنيين "أحدهما" أنه يقول تعالى ولو كشفنا عنكم العذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا لعدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب كقوله تعالى {ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون} وكقوله جلت عظمته {ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون} "والثاني" أن يكون المراد إنا مؤخرو العذاب عنكم قليلا بعد أنعقاد أسبابه ووصوله إليكم وأنتم مستمرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم كقوله تعالى {إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين} ولم يكن العذاب باشرهم واتصل بهم بل كان قد انعقد سببه عليهم.

الرسول الكريم هو موسى، والآيات الدالة على أن موسى هو الذي أرسل لفرعون وقومه كثيرة ومعروفة. وقوله: {أَدُّواْ إِلَيَّ} أي سلموا إلى عباد الله يعني بني إسرائيل، وأرسلوهم معي. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن موسى طلب فرعون أن يسلم له بني إسرائيل ويرسلهم معه جاء موضحاً في آيات أخر، مصرح فيها بأن عباد الله هم بنو إسرائيل، كقوله تعالى في طه: {فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا

رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ} وقوله تعالى في الشعراء {فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ} .

قد قدمنا الكلام عليه في سورة المؤمن في الكلام على قوله تعالى: {وَقَالَ مُوسَى إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُـمْ مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لاَّ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ} .

كما قال تعالى {ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى}.

لم يبين هنا من هؤلاء القوم الذين أورثهم ما ذكره هنا، ولكنه بين في سورة الشعراء أنهم بنو إسرائيل وذلك في قوله تعالى: {كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ} كما تقدم في الترجمة، وفي الأعراف.

{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـنِ مَثَلاً ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ}

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أنه نجى بني إسرائيل من العذاب المهين الذي كان يعذبهم به فرعون وقومه، جاء موضحاً في آيات أخر، مصرح فيها بأنواع العذاب المذكور، كقوله تعالى في سورة البقرة {وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَلِكُمْ بَلاَءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ} إلى قوله {وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ}. وقوله في الأعراف {وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَونَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ} . وقوله تعالى في المؤمن {فَلَمَّا جَآءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ اقْتُلُواْ أَبْنَآءَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ} . وقوله تعالى في إبراهيم: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجاكُمْ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ} . وقوله في الشعراء: {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِى إِسْرَاءِيلَ} . وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة، من أن فرعون كان عالياً من المسرفين، أوضحه أيضاً في غير هذا الموضع، كقوله تعالى في يونس: {وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ} وقوله تعالى في أول القصص {إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِى الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا} أي لا ينفع قريب قريبا كقوله سبحانه وتعالى{فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون} وكقوله جلت عظمته {ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم} أي لا يسأل أخا له عن حاله وهو يراه عيانا.

قد قدمنا الآيات الموضحة في سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: {يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ}.

قد قدمنا الآيات الموضحة في سورة مريم في الكلام على قوله: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلَسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ}.

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الجاثية

{حم } {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}(الجاثية:2) {إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ}(الجاثية:3) {وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}(الجاثية:4){ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (الجاثية:5)

ذكر جل وعلا، في هذه الآيات الكريمة، من أول سورة الجاثية ستة براهين، من براهين التوحيد الدالة على عظمته وجلاله، وكمال قدرته، وأنه المستحق للعبادة وحده تعالى.

الأول: منها خلقه السماوات والأرض.

الثاني: خلقه الناس.

الثالث: خلقه الدواب.

الرابع: اختلاف الليل والنهار.

الخامس: إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به.

السادس: تصريف الرياح.

وذكر أن هذه الآيات والبراهين، إنما ينتفع بها المؤمنون، الموقنون الذين يعقلون عن الله حججه، وآياته. فكأنهم هم المختصون بها دون غيرهم. ولذا قال: {لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ}، ثم قال: {ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}، ثم قال: {ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}.

أما الأول منها وهو خلقه السماوات والأرض المذكور في قوله: {إِنَّ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ} فقد جاء في آيات كثيرة كقوله تعالى فى ق {أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ } وقوله تعالى فى سبأ: {أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِّنَ لسَّمَآءِ وَلأَرْضِ}. وقوله فى يونس: {قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِى الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ }. وقوله فى الاعراف: {أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}. وقوله فى الروم وشورى : {وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}. وقوله فى البقرة: {الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً} وقوله تعالى فى غافر: {اللهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً}، وقوله تعالى فى الذاريات: {وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ }. وقوله تعالى فى النبأ: {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً } إلى قوله {وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً} والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً معروفة.

وأما الثاني منها: وهو خلقه الناس المذكور في قوله: {وَفِى خَلْقِكُمْ}، فقد جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى فى الروم {وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ}. وقوله فى البقرة: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِىْ خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ}. وقوله تعالى عن نبيه نوح فى نوح: {مَّا لَكُمْ لاَ تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً}، وقوله تعالى فى الزمر: {يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُــمْ خَلْقاً مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} وقوله فى الذاريات {وَفِى أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة ومعلومة.

وأما الثالث منها: وهو خلقه الدواب المذكور في قوله: {وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ} فقد جاء أيضاً موضحا في آيات كثيرة أيضاً من كتاب الله كقوله تعالى في سورة الشورى. {وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ}. وقوله تعالى في البقرة: {وَمَآ أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ}. وقوله تعالى فى النور: {وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَى بَطْنِهِ وَمِنهُم مَّن يَمْشِى عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِى عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ}، وقوله تعالى فى الزمر {وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ} والآيات بمثل ذلك كثيرة ومعلومة.

وأما الرابع منها: وهو اختلاف الليل والنهار المذكور في قوله: واختلاف الليل والنهار. فقد جاء موضحاً أيضاً في آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى في البقرة: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ} إلى قوله: {لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}. وقوله تعالى في آل عمران: {إِنَّ فِى خَلْقِ السَّماوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لاَيَاتٍ لِأُوْلِى الأَلْبَابِ}. وقوله تعالى في فصلت: {وَمِنْ ءَايَاتِهِ الَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ}، وقوله تعالى فى يس: {وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَـــا}. وقوله تعالى فى النور: {يُقَلِّبُ اللهُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِى ذلِك لَعِبْرَةً لأُوْلِى الأَبْصَارِ}، وقوله تعالى فى القصص: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَآءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ * وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، وقوله تعالى فى المؤمنون: {وَهُوَ الَّذِى يُحْيِ وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

وأما الخامس منها وهو: إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض به وإنبات الرزق فيها المذكور في قوله: {وَمَآ أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَآءِ مِّن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} فقد جاء موضحاً أيضاً في آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى في البقرة: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} إلى قوله {لآيَاتٍ لِّقَوْمِ يَعْقِلُونَ}، وقوله تعالى فى عبس: {فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَّا صببنا الماء صبا ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً وَعِنَباً} إلى قوله {مَّتَاعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ}.

وإيضاح هذا البرهان باختصار أن قوله تعالى: {فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} أمر من الله تعالى لكل إنسان مكلف أن ينظر ويتأمل في طعامه كالخبز الذي يأكله، ويعيش به من خلق الماء الذي كان سبباً لنباته.

هل يقدر أحد غير الله أن يخلقه؟

الجواب: لا.

ثم هب أن الماء قد خلق بالفعل، هل يقدر أحد غير الله أن ينزله إلى الأرض، على هذا الوجه الذي يحصل به النفع، من غير ضرر بإنزاله على الأرض رشاً صغيراً، حتى تروى به الأرض تدريجاً. من غير أن يحصل به هدم، ولا غرق كما قال تعالى فى النور والروم: {فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ} .

الجواب: لا.

ثم هب أن الماء قد خلق فعلاً، وأنزل في الأرض، على ذلك الوجه الأتم الأكمل، هل يقدر أحد غير الله أن يشق الأرض، ويخرج منها مسمار النبات؟

الجواب: لا.

ثم هب أن النبات خرج من الأرض، وانشقت عنه فهل يقدر أحد غير الله أن يخرج السنبل من ذلك النبات؟

الجواب: لا.

ثم هب أن السنبل خرج من النبات فهل يقدر أحد غير الله أن ينمي حبه وينقله من طور إلى طور حتى يدرك ويكون صالحاً للغذاء والقوت؟

الجواب: لا.

وقد قال تعالى فى الانعام : {انْظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِى ذلِكُمْ لأَيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} ، وكقوله تعالى فى النبأ: {وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَآءً ثَجَّاجاً لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً} . وقوله تعالى فى يس: {وَءَاية لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ} ، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

واعلم أن إطلاقه تعالى الرزق على الماء، في آية الجاثية هذه، قد أوضحنا وجهه في سورة المؤمن في الكلام على قوله تعالى: {هُو الَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَآءِ رِزْقاً} .

وأما السادس منها: وهو تصريف الرياح المذكور في قوله {وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ} فقد جاء موضحاً أيضاً في آيات من كتاب الله كقوله في البقرة: {وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} وقوله تعالى فى الروم: {وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ} ، وقوله تعالى فى الحجر {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{تَلْكَ ءَايَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَق}

أشار جل وعلا لنبيه إلى آيات هذا القرآن العظيم، وبين لنبيه أنه يتلوها عليه، متلبسة بالحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه. وما ذكره جل وعلا في آية الجاثية هذه، ذكره في آيات أخر بلفظه كقوله تعالى في البقرة: {وَلَوْلاَ دَفْعُ اللهِ النَّاس بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} وقوله تعالى في آل عمران: {وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ تِلْكَ ءَايَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِّلْعَالَمِينَ} وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {تلك} بمعنى هذه. وأسند جل وعلا تلاوتها إلى نفسه لأنها كلامه الذي أنزله على رسوله بواسطة الملك، وأمر الملك أن يتلوه عليه مبلغاً عنه جل وعلا. ونظير ذلك قوله تعالى فى القيامة: {لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} . فقوله: فإذا قرأناه أي قرأه عليك الملك المرسل به، من قبلنا مبلغاً عنا، وسمعته منه، فاتبع قرآنه أي فاتبع قراءته واقرأه كما سمعته يقرؤه. وقد أشار تعالى إلى ذلك في قوله فى طه:

{وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْءانِ}. وسماعه القرآن من الملك المبلغ عن الله كلام الله وفهمه له هو معنى تنزيله إياه على قلبه في قوله تعالى فى البقرة: {قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ} وقوله تعالى فى الشعراء: {وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} وقوله تعالى في هذه الآية: {تَلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ} يعني آياته الشرعية الدينية.

واعلم أن لفظ الآية، يطلق في اللغة العربية إطلاقين، وفي القرآن العظيم إطلاقين أيضاً.

أما إطلاقاه في اللغة العربية.

فالأول منهما وهو المشهور في كلام العرب، فهو إطلاق الآية بمعنى العلامة وأما الثاني منهما فهو إطلاق الآية بمعنى الجماعة، يقولون: جاء القوم بآيتهم أي بجماعتهم. وأما إطلاقاه في القرآن العظيم:

فالأول منهما إطلاق الآية على الشرعية الدينية كآيات هذا القرآن العظيم، ومنه قوله هنا:)تِلْكَ آيَاتُ اللهِ

{نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ} (الجاثـــية:6)

وأما الثاني منهما: فهو إطلاق الآية على الآية الكونية القدرية كقوله تعالى فىآل عمران: {إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُوْلِى الأَلْبَابِ}.

أما الآية الكونية القدرية فهي بمعنى الآية اللغوية التي هي العلامة، لأن الآيات الكونية علامات قاطعة، على أن خالقها هو الرب المعبود وحده.

وأما الآية الشرعية الدينية، فقال بعض العلماء: إنها أيضاً من الآية التي هي العلامة، لأن آيات هذا القرآن العظيم، علامات على صدق من جاء بها، لما تضمنته من برهان الإعجاز، أو لأن فيها علامات يعرف بها مبدأ الآيات ومنتهاها. وقال بعض العلماء إنها من الآية بمعنى الجماعة، لتضمنها جملة وجماعة من كلمات القرآن وحروفه.

{وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ}(الجاثـــية:7) {يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}(الجاثـــية:8)

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن من كفر بالله وبآيات الله ولم يؤمن بذلك مع ظهور الأدلة والبراهين على لزوم الإيمان بالله، وآياته أنه يستبعد، أن يؤمن بشيء آخر، لأنه لو كان يؤمن بحديث لآمن بالله وبآياته لظهور الأدلة على ذلك، وأن من لم يؤمن بآيات الله متوعد بالويل، وأنه أفاك أثيم، والأفاك: كثير الإفك وهو أسوأ الكذب، والأثيم: هو مرتكب الإثم بقلبه وجوارحه، فهو مجرم بقلبه ولسانه وجوارحه، قد ذكره تعالى في غير هذا الموضع فتوعد المكذبين لهذا القرآن، بالويل يوم القيامة، وبين استبعاد إيمانهم، بأي حديث بعد أن لم يؤمنوا بهذا القرآن، وذلك بقوله في آخر المرسلات: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُواْ لاَ يَرْكَعُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} فقوله تعالى: {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} كقوله هنا {وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ}.

وقد كرر تعالى وعيده المكذبين بالويل في سورة المرسلات كما هو معلوم وقوله في آخر المرسلات: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} كقوله هنا في الجاثية: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَءايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ}. ومعلوم أن الإيمان بالله على الوجه الصحيح، يستلزم

الإيمان بآياته، وأن الإيمان بآياته كذلك يستلزم الإيمان به تعالى، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} يدل على أن من يسمع القرآن يتلى ثم يصر على الكفر والمعاصي في حالة كونه متكبراً عن الانقياد إلى الحق الذي تضمنته آيات القرآن كأنه لم يسمع آيات الله، له البشارة يوم القيامة بالعذاب الأليم وهو الخلود في النار، وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى في لقمان: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِى أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ} وقوله تعالى في الحج: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} وقوله تعالى فى محمد: {وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفاً أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَآءَهُمْ}، فقوله تعالى عنهم: ماذا قال آنفاً. يدل على أنهم ما كانوا يبالون بما يتلو عليهم النبي من الآيات والهدى.

وقد ذكرنا كثيراً من الآيات المتعلقة بهذا المبحث في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى: {فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِى أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِى ءَاذانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ}.

{وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} (الجاثـــية:9)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة توعد الأفاك الأثيم بالويل، والبشارة بالعذاب الأليم. وقد قدمنا قريباً أن من صفاته، أنه إذا سمع آيات الله تتلى عليه أصر مستكبراً كأن لم يسمعها، وذكر في هذه الآية الكريمة أنه إذا علم من آيات الله شيئاً اتخذها هزواً أي مهزوءاً بها، مستخفاً بها، ثم توعده على ذلك بالعذاب المهين. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الكفار يتخذون آيات الله هزواً، وأنهم سيعذبون على ذلك يوم القيامة، قد بينه تعالى في غير هذا الموضع كقوله تعالى في آخر الكهف: {ذٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَاتَّخَذُواْ ءَايَـــاتِى وَرُسُلِى هُزُواً} وقوله تعالى في الكهف أيضاً: {وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُواْ ءايَاتِى وَمَا أُنْذِرُواْ هُزُواً وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِايـــاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَض عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ}. وقوله تعالى في سورة الجاثية هذه: {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنساكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّـــاصِرِينَ ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللهِ هُزُواً}.

{مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (الجاثـــية:10)

قوله تعالى: {مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ} قد قدمنا الآيات الموضحة له مع الشواهد العربية في سورة إبراهيم في الكلام على قوله تعالى: {وَاسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ}. وبينا هناك أن أصح الوجهين أن وراء بمعنى أمام. فمعنى من ورائه جهنم أي أمامه جهنم يصلاها يوم القيامة كما قال تعالى فى الكهف: {وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً} أي أمامهم ملك. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {وَلاَ يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْئاً وَلاَ مَا اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَآءَ}، أوضح فيه أن ما كسبه الكفار في دار الدنيا من الأموال والأولاد لا يغني عنهم شيئاً يوم القيامة أي لا ينفعهم بشيء فلا يجلب لهم بسببه نفع ولا يدفع عنهم بسببه ضر، وإنما اتخذوه من الأولياء في دار الدنيا من دون الله، كالمعبودات التي كانوا يعبدونها، ويزعمون أنها شركاء لله

لا ينفعهم يوم القيامة أيضاً بشيء. وهاتان المسألتان اللتان تضمنتهما هذه الآية الكريمة، قد أوضحهما الله في آيات كثيرة من كتابه.

أما الأولى منهما: وهي كونهم لا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً فقد أوضحها في آيات كثيرة كقوله تعالى فى المسد: {تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّمَآ أَغْنىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} وقوله تعالى فى الليل: {وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدّىٰ} وقوله تعالى فى الهمزة: {الَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ}. وقوله تعالى فى الزمر: {قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}. وقوله تعالى فى الحاقة: {ياليْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَمَآ أَغْنىٰ عَنِّى مَالِيَهْ}. وقوله تعالى فى الاعراف: {قَالُواْ مَآ أَغْنىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ}. وقوله تعالى عن إبراهيم فى الشعراء: {وَلاَ تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ}. وقوله تعالى فى سبأ: {وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى}. وقوله تعالى فى آل عمران: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئًا وَأُولَـٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ}. وقوله تعالى فى آل عمران: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَنْ تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ مِّنَ اللهِ شَيْئاً وَأُولَـٰئِكَ أَصْحَـٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}. وقوله تعالى في المجادلة {اتَّخَذُواْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُم مِّنَ اللهِ شَيْئاً}.

وأما الثانية منهما، وهي كونهم لا تنفعهم المعبودات، التي اتخذوها أولياء من دون الله، فقد أوضحها تعالى في آيات كثيرة، كقوله تعالى في هود: {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتَهُمُ الَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ}. وقوله تعالى فى الاحقاف {فَلَوْلاَ نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللهِ قُرْبَاناً ءَالِهَةَ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ وَذٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ}. وقوله تعالى فى القصص: {وَقِيلَ ادْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ}: وقوله تعالى فى الكهف {وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآئِىَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً} وقوله تعالى فى الاحقاف: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً} وقوله تعالى فى فاطر: {ذَلِكُم اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا اسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِـكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}. وقوله تعالى فى مريم: {وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزّاً كَلاَّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً}، وقوله تعالى فى العنكبوت: {وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللهِ أَوْثَاناً مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن نَّاصِرِينَ}، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {وَلاَ مَا اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَآءَ}، الأولياء جمع ولي. والمراد بالأولياء هنا، المعبودات التي يوالونها بالعبادة من دون الله.

{هَذَا هُدىً وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ} (الجاثـية: 11)

كون القرآن هدى، فقد ذكره تعالى، في آيات كثيرة كقوله تعالى فى الاعراف {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}. وقوله تعالى فى النحل: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرٰى لِلْمُسْلِمِينَ} وقوله تعالى فى الاسراء {إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يِهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ} وقوله تعالى فى البقرة {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى

لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدٰى وَالْفُرْقَانِ} وقوله فى البقرة {الم ذٰلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} وقوله تعالى فى فصلت: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

وأما كون من كفر بالقرآن يحصل له بسبب ذلك العذاب الأليم، فقد جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى فى هود {وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ}: وقوله تعالى فى طه {وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً خَالِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً} وقوله تعالى فى الكهف: {ذٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَاتَّخَذُواْ ءَايَاتِى وَرُسُلِى هُزُواً} والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة.

وقد قدمنا في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى: {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ}. وغير ذلك من المواضع، أن الهدى يطلق في القرآن إطلاقاً عاماً، بمعنى أن الهدى هو البيان والإرشاد وإيضاح الحق، كقوله {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ} أي بينا لهم الحق وأوضحناه وأرشدناهم إليه وإن لم يتبعوه، وكقوله فى البقرة {هُدًى لِّلنَّاسِ} وقوله هنا {هَـٰذَا هُدًى} وأنه يطلق أيضاً في القرآن بمعناه الخاص وهو التفضل بالتوفيق إلى طريق الحق والاصطفاء كقوله فى البقرة {هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} وقوله فى فصلت {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ} وقوله فى محمد {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى} وقوله فى الانعام {أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} إلى غير ذلك من الآيات.

وقد أوضحنا في سورة فصلت أن معرفة إطلاق الهدى المذكورين، يزول بها الإشكال الواقع في آيات من كتاب الله. والهدى مصدر هداه على غير قياس، وهو هنا من جنس النعت بالمصدر، وبينا فيما مضى مراراً أن تنزيل المصدر منزلة الوصف إما على حذف مضاف، وإما على المبالغة. وعلى الأول فالمعنى هذا القرآن ذو هدى أي يحصل بسببه الهدى لمن اتبعه كقوله فى الاسراء {إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يِهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ}. وعلى الثاني فالمعنى أن المراد المبالغة في اتصاف القرآن بالهدى حتى أطلق عليه أنه هو نفس الهدى.

{اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (الجاثـية:12)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا}، وفي سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: {وَالَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا} إلى قوله: {وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}.

{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (الجاثـية:13) {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (الجاثـية:14) {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} (الجاثـية:15)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: {إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لاِنفُسِكُمْ}، وفي غير ذلك من المواضع.

{وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرائيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} (الجاثـــية:16)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه فضل بني إسرائيل على العالمين. وذكر هذا المعنى في موضع آخر من كتابه كقوله تعالى في سورة البقرة: {يَابَنِى إِسْرَاءِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِى الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} في الموضعين. وقوله في الدخان: {وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ}، وقوله في الأعراف: {قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}. ولكن الله جل وعلا بين أن أمة محمد، خير من بني إسرائيل وأكرم على الله، كما صرح بذلك في قوله: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ}. فخير صيغة تفضيل والآية نص صريح في أنهم خير من جميع الأمم، بني إسرائيل وغيرهم. ومما يزيد ذلك إيضاحاً حديث معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه أن النبي قال في أمته: «أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»: وقد رواه عنه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وهو حديث مشهور. وقال ابن كثير: حسنه الترمذي، ويروى من حيث معاذ بن جبل وأبي سعيد نحوه. : ولا شك في صحة معنى حديث معاوية بن حيدة المذكور رضي الله عنه. لأنه يشهد له النص المعصوم المتواتر في قوله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}، وقد قال تعالى: {وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ}. وقوله: {وسطا} أي خياراً عدولاً. واعلم أن ما ذكرنا من كون أمة محمد أفضل من بني إسرائيل كما دلت عليه الآية والحديث المذكوران وغيرهما من الأدلة لا يعارض الآيات المذكورات آنفاً في تفضيل بني إسرائيل. لأن ذلك التفضيل الوارد في بني إسرائيل ذكر فيهم حال عدم وجود أمة محمد. والمعدوم في حال عدمه ليس بشيء حتى يفضل أو يفضل عليه.

ولكنه تعالى بعد وجود أمة محمد صرح بأنها هي خير الأمم. وهذا واضح لأن كل ما جاء في القرآن من تفضيل بني إسرائيل. إنما يراد به ذكر أحوال سابقة. لأنهم في وقت نزول القرآن كفروا به وكذبوا كما قال تعالى: {فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ}. ومعلوم أن الله لم يذكر لهم في القرآن فضلاً إلا ما يراد به أنه كان في زمنهم السابق لا في وقت نزول القرآن. ومعلوم أن أمة محمد لم تكن موجودة في ذلك الزمن السابق الذي هو ظرف تفضيل بني إسرائيل، وأنها بعد وجودها، صرح الله بأنها هي خير الأمم، كما أوضحنا. والعلم عند الله تعالى.

{وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ} (الجاثـــية:17) {ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} (الجاثـــية:18)

وقد قدمنا الآيات الموضحة في سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}.

وقد قدمنا في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: {لاَّ تَجْعَل مَعَ اللهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً} أنه جل وعلا يأمر نبيه محمداً وينهاه، ليشرع بذلك

الأمر والنهي، لأمته كقوله هنا: {وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ}. ومعلوم أنه لا يتبع أهواء الذين لا يعلمون، ولكن النهي المذكور، فيه التشريع لأمته كقوله تعالى

فى الانسان: {وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً}. وقوله تعالى فى القلم: {فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ}. وقوله فى القلم: {وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ}. وقوله فى الاسراء: {وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا ءَاخَرَ}. وقوله فى الزمر: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقد بينا الأدلة القرآنية على أنه يخاطب، والمراد به التشريع لأمته، في آية بني إسرائيل المذكورة. وما تضمنته آية الجاثية هذه، من النهي عن اتباع أهوائهم جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى في الشورى: {وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ} وقوله تعالى في الأنعام: {فَإِن شَهِدُواْ فَلاَ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ الَّذِين كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالأَخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ}. وقوله تعالى في القصص {فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّن اللهِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

وقد بين تعالى في قد أفلح المؤمنون أن الحق لو اتبع أهواءهم لفسد العالم وذلك في قوله تعالى: {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ}.

{إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ} (الجاثـــية:19)

الظلم في لغة العرب أصله وضع الشيء في غير موضعه. وأن أعظم أنواعه الشرك بالله لأن وضع العبادة في غير من خلق ورزق هو أشنع أنواع وضع الشيء في غير موضعه. ولذا كثر في القرآن العظيم، إطلاق الظلم بمعنى الشرك. كقوله تعالى فى البقرة: {وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} . وقوله تعالى فى يونس: {وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ}. وقوله تعالى فى الفرقان: {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يالَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً}. وقوله تعالى في لقمان: {يابُنَىَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}. وقد ثبت في صحيح البخاري أن النبي فسر قوله تعالى: {الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} «بأن معناه ولم يلبسوا إيمانهم بشرك».

وما تضمنته آية الجاثية هذه من أن الظالمين بعضهم أولياء بعض جاء مذكوراً في غير هذا الموضع كقوله تعالى في آخر الأنفال: {وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِى الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ}. وقوله تعالى فى الانعام: {وَكَذَلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}. وقوله تعالى فى البقرة: {وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ}. وقوله تعالى فى الاعراف: {إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اللهِ}. وقوله تعالى النساء: {فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ}. وقوله تعالى فى آل عمران: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ}، وقوله فى النحل {إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ}. إلى غير ذلك من الآيات.

{هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (الجاثـية:20)

الإشارة في قوله {هذا} للقرآن العظيم. والبصائر جمع بصيرة والمراد بها البرهان القاطع الذي لا يترك في الحق لبساً كقوله تعالى فى يونس: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِى أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ} أي على علم ودليل واضح. والمعنى أن هذا القرآن براهين قاطعة، وأدلة ساطعة، على أن الله هو المعبود وحده، وأن ما جاء به محمد حق. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن القرآن بصائر للناس جاء موضحاً في مواضع أخر من كتاب الله كقوله تعالى في أخريات الأعراف {قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يوحَى إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}، وقوله تعالى في الأنعام {قَدْ جَآءَكُمْ بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَاْ عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ}. وما تضمنته آية الجاثية من أن القرآن بصائر وهدى ورحمة، ذكر تعالى مثله في سورة القصص عن كتاب موسى الذي هو التوراة في قوله تعالى: {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الاٍّولَى بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}. وما تضمنته آية الجاثية هذه من كون القرآن هدى ورحمة جاء موضحاً في غير هذا الموضع. أما كونه هدى فقد ذكرنا الآيات الموضحة له قريباً. وأما كونه رحمة فقد ذكرنا الآيات الموضحة له في الكهف في الكلام على قوله تعالى {فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا}، وفي أولها في الكلام على قوله تعالى {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ}. وفي فاطر في الكلام على قوله تعالى {مَّا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا}. وفي الزخرف في الكلام على قوله: {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}، أي لأنهم هم المنتفعون به.

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (الجاثـية:21)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة (ص) في الكلام على قوله تعالى: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الاٌّرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ}.

{وَخَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} (الجاثـية:22) {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى} (الجاثـية:23)

قد أوضحنا معناه في سورة الفرقان، في الكلام على قوله تعالى: {أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً}.

{وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ} (الجاثـــية:23)

قد أوضحنا معناه في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: {خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ}.

{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} (الجاثـــية:24)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من إنكار الكفار للبعث بعد الموت، جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى عنهم فى الدخان {وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ}. وقوله فى المؤمنون {أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَاباً وَعِظاماً أَنَّكُمْ مُّخْرَجُونَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} وقوله تعالى عنهم فى ق {أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعُ بَعِيدٌ} وقوله تعالى عنهم فى النازعات {أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى الْحَافِرَةِ أَءِذَا كُنَّا عِظَاماً نَّخِرَةً قَالُواْ تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ}.

وقوله تعالى فى يس: {قَالَ مَن يُحيِ الْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ} والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

وقد قدمنا البراهين القاطعة القرآنية، على تكذيبهم في إنكارهم البعث، وبينا دلالتها على أن البعث واقع لا محالة، في سورة البقرة، وسورة النحل، وسورة الحج، وأول سورة الجاثية هذه، وأحلنا على ذلك مراراً.

وبينا في سورة الفرقان الآيات الموضحة أن إنكار البعث كفر بالله، والآيات التي فيها وعيد منكري البعث بالنار في الكلام على قوله تعالى: {بَلْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً}.

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الجاثـــية:25) {قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

لا يَعْلَمُونَ}(الجاثـــية:26) {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ}(الجاثـــية:27)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة المؤمن في الكلام على قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ}

{وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}(الجاثـــية:28)

قد قدمنا إيضاحه في سورة الكهف، في الكلام على قوله تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ}.

{هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}(الجاثـــية:29)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة مريم، في الكلام على قوله تعالى: {كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً}، وفي غير ذلك من المواضع.

{فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ}(الجاثـــية:30) {وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ}(الجاثـــية:31) {وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ}(الجاثـــية:32) {وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}(الجاثـــية:33) {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ}(الجاثـــية:34)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة طه في الكلام على قوله تعالى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَى ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً}.

{ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}(الجاثـــية:35)

قد أوضحنا معنى قوله: يستعتبون في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لاَ يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: فاليوم لا يخرجون منها، قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: {وَنَادَوْاْ يامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّاكِثُونَ}.

{فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الجاثية: 36)

أتبع الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة، حمده جل وعلا بوصفه بأنه رب السماوات والأرض ورب العالمين، وفي ذلك دلالة على أن رب السماوات والأرض، ورب العالمين مستحق لكل حمد ولكل ثناء جميل.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى في سورة الفاتحة {الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وقوله تعالى في آخر الزمر {وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وقوله تعالى: {فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وقوله تعالى في أول الأنعام {الْحَمْدُ للّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} وقوله تعالى في أول سبأ {الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الأَخِرَةِ وَهُو الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}. وقوله في أول فاطر {الْحَمْدُ للّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}.

{وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الجاثية: 37)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء مبيناً في آيات أخر كقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِى فِى السَّمآءِ إِلَهٌ وَفِى الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ وَتَبَارَكَ الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا}. فقوله {وَهُوَ الَّذِى فِى السَّمآءِ إِلَهٌ وَفِى الأَرْضِ إِلَهٌ} معناه أنه هو وحده الذي يعظم ويعبد في السماوات والأرض ويكبر ويخضع له ويذل. وقوله تعالى: {وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}. فقوله {وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} معناه أن له الوصف الأكمل، الذي هو أعظم الأوصاف، وأكملها وأجلها في السماوات والأرض.

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الأحقاف

{حم} (الاحقاف:3) {تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} (الاحقاف:2)

قد قدمنا الكلام على الحروف المقطعة. في أول سورة هود، وقدمنا الكلام على قوله تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم في أول سورة الزمر.

{مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمّىً وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ} (الاحقاف:3)

صيغة الجمع في قوله: خلقنا للتعظيم. وقوله: إلا بالحق أي خلقا متلبساً بالحق. والحق ضد الباطل، ومعنى كون خلقه للسماوات والأرض متلبساً بالحق أنه خلقهما لحكم باهرة، ولم يخلقهما باطلاً، ولا عبثاً، ولا لعباً، فمن الحق الذي كان خلقهما متلبساً به، إقامة البرهان، على أنه هو الواحد المعبود وحده جل وعلا، كما أوضح ذلك في آيات كثيرة لا تكاد تحصيها في المصحف الكريم كقوله تعالى في البقرة[3809] {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} ثم أقام البرهان على أنه هو الإله الواحد بقوله بعده: [3810]{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}. فتلبس خلقه للسماوات والأرض بالحق واضح جداً، من قوله تعالى:[3811] {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} إلى قوله {لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} بعد قوله [3812]{وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ}، لأن إقامة البرهان القاطع على صحة معنى لا إله إلا الله هو أعظم الحق. وكقوله تعالى فى البقرة[3813] {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِىْ خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ للهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}، لأن قوله: {اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ} فيه معنى الإثبات من لا إله إلا الله. وقوله {فَلاَ تَجْعَلُواْ للهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} يتضمن معنى النفي منها على أكمل وجه وأتمه. وقد أقام الله جل وعلا البرهان القاطع، على صحة معنى لا إله إلا الله، نفياً وإثباتاً، بخلقه للسماوات والأرض، وما بينهما في قوله {الَّذِىْ خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَالَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً}. وبذلك تعلم أنه ما خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا خلقاً متلبساً بأعظم الحق، الذي هو إقامة البرهان القاطع، على توحيده جل وعلا، ومن كثرة الآيات القرآنية، الدالة على إقامة هذا البرهان، القاطع المذكور، على توحيده جل

[3809] البقرة 163

[3810] البقرة 164

[3811] البقرة 164

[3812] البقرة 163

[3813] البقرة 21

وعلا، علم من استقراء القرآن، أن العلامة الفارقة من يستحق العبادة، وبين من لا يستحقها، هي كونه خالقاً لغيره، فمن كان خالقاً لغيره، فهو المعبود بحق، ومن كان لا يقدر على خلق شيء، فهو مخلوق محتاج، لا يصح أن يعبد بحال. فالآيات الدالة على ذلك كثيرة جداً كقوله تعالى في البقرة المذكورة آنفاً: [3814] {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِىْ خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ}. فقوله: {الَّذِىْ خَلَقَكُمْ} يدل على أن المعبود هو الخالق وحده، وقوله تعالى فى الرعد: [3815] {أَمْ جَعَلُواْ للهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللهُ خَالِق كُلِّ شَىْءٍ}. يعني وخالق كل شيء هو المعبود وحده. وقد أوضح تعالى هذا في سورة النحل، لأنه تعالى لما ذكر فيها البراهين القاطعة، على توحيده جل وعلا، في قوله {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالاَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ} إلى قوله {وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} أتبع ذلك بقوله [3816] {أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ}. وذلك واضح جداً في أن من يخلق غيره هو المعبود وأن من لا يخلق شيئاً لا يصح أن يعبد. ولهذا قال تعالى بعده قريباً منه [3817] {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ}. وقال تعالى في الأعراف [3818] {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ}. وقال تعالى في الحج [3819] {ياأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُواْ لَهُ} أي ومن لم يقدر أن يخلق شيئاً لا يصح أن يكون معبوداً بحال وقال تعالى فى الاعلى: [3820] {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الاَعْلَى الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى}. ولما بين تعالى في أول سورة الفرقان، صفات من يستحق أن يعبد، ومن لا يستحق ذلك. قال في صفات من يستحق العبادة: [3821] {الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً}. وقال في صفات من لا يصح أن يعبد [3822] {وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لاَّ يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ}. والآيات بمثل ذلك كثيرة جداً وكل تلك الآيات تدل دلالة واضحة على أنه تعالى ما خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا خلقاً متلبساً بالحق. من الحق الذي خلق السماوات والأرض وبينهما، خلقاً متلبساً به، تعليمه خلقه أنه تعالى على كل شيء قدير، وأنه قد أحاط بكل شيء علماً، وذلك في قوله تعالى فى الطلاق: [3823] {اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِّتَعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمَا}. فلام التعليل في قوله: لتعلموا متعلقة بقوله {خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ} وبه تعلم أنه ما خلق السماوات السبع، والأرضين السبع، وجعل الأمر يتنزل بينهن، إلا خلقاً متلبساً بالحق. ومن الحق الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما خلقاً متلبساً به، هو تكليف الخلق، وابتلاؤهم أيهم أحسن عملاً، ثم جزاؤهم على أعمالهم، كما قال تعالى في أول سورة هود: [3824] {وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ

[3814] البقرة 21
[3815] الرعد 16
[3816] النحل 3- 17
[3817] النحل 20
[3818] الاعراف 191
[3819] الحج 73
[3820] الاعلى 1- 2
[3821] الفرقان 2
[3822] الفرقان 3
[3823] الطلاق 12
[3824] هود 7

أَحْسَنُ عَمَلاً} فلام التعليل في قوله: ليبلوكم متعلقة بقوله {خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ} وبه تعلم أنه ما خلقهما إلا خلقاً متلبساً بالحق. ونظير ذلك قوله تعالى في أول الكهف [3825] {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُم أَحْسَنُ عَمَلاً}. وقوله تعالى في أول الملك: [3826] {الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيٰوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}.

ومما يوضح أنه ما خلق السماوات والأرض إلا خلقاً متلبساً بالحق، قوله تعالى في آخر الذاريات [3827] {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ}. سواء قلنا: إن معنى إلا ليعبدون أي لآمرهم بعبادتي فيعبدني السعداء منهم، لأن عبادتهم يحصل بها تعظيم الله وطاعته، والخضوع له كما قال تعالى فى الانعام: [3828] {فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ}. وقال تعالى فى فصلت: [3829] {فَإِنِ اسْتَكْبَرُواْ فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ}. أو قلنا: إن معنى إلا ليعبدون أي إلا ليقروا لي بالعبودية، ويخضعوا ويذعنوا لعظمتي، لأن المؤمنين يفعلون ذلك طوعاً، والكفار يذعنون لقهره وسلطانه تعالى كرهاً. ومعلوم أن حكمة الابتلاء والتكليف لا تتم إلا بالجزاء على الأعمال. وقد بين تعالى أن من الحق الذي خلق السماوات والأرض خلقا متلبساً به، جزاء الناس بأعمالهم، كقوله تعالى في النجم [3830] {وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَاءُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيِجْزِى الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى} فقوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ} أي هو خالقها ومن فيهما {لِيَجْزِىَ الَّذِينَ أَسَاءُواْ بِمَا عَمِلُواْ}. ويوضح ذلك قوله تعالى في يونس [3831] {إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ}. ولما ظن الكفار أن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، لا لحكمة تكليف وحساب وجزاء، هددهم بالويل من النار، بسبب ذلك الظن السيىء، في قوله تعالى فى ص: [3832] {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَآءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النَّارِ}. وقد نزه تعالى نفسه عن كونه خلق الخلق عبثاً، لا لتكليف وحساب وجزاء، وأنكر ذلك على من ظنه، في قوله تعالى فى المؤمنون [3833] {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}. فقوله (فتعالى الله) أي تنزه وتعاظم، وتقدس، عن أن يكون خلقهم لا لحكمة تكليف وبعث، وحساب وجزاء. وهذا الذي نزه تعالى عنه نفسه، نزهه عنه أولو الألباب، كما قال تعالى فى آل عمران: [3834] {إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لاَيَاتٍ لِأُوْلِى الأَلْبَابِالَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ} إلى قوله: {رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}، فقوله عنهم {سُبْحَانَكَ} أي تنزيهاً لك، عن أن تكون خلقت هذا الخلق، باطلاً لا

[3825] الكهف 7
[3826] الملك 2
[3827] الذاريات 56- 57
[3828] الانعام 89
[3829] فصلت 38
[3830] النجم 31
[3831] يونس 4
[3832] ص 27
[3833] المئومنون 115- 116
[3834] ال عمران 190- 191

لحكمة تكليف، وبعث وحساب وجزاء. وقوله جل وعلا في آية الأحقاف هذه: {مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِالْحَقِّ}، يفهم منه أنه لم يخلق ذلك باطلاً، ولا لعباً ولا عبثاً. وهذا المفهوم جاء موضحاً في آيات من كتاب الله كقوله تعالى [3835] {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا }، وقوله تعالى: {رَبَّنَآ مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً}، وقوله تعالى فى الدخان: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ }. وقوله تعالى في آية الأحقاف هذه {وَأَجَلٍ مُسَمّىً } معطوف على قوله: {بِالْحَقِّ} أي ما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا خلقاً متلبساً بالحق، وبتقدير أجل مسمى، أي وقت معين محدد ينتهي إليه أمد السماوات والأرض، وهو يوم القيامة كما صرح الله بذلك في أخريات الحجر في قوله تعالى[3836] {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ}. فقوله في الحجر: {وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ} بعد قوله {إِلاَّ بِالْحَقِّ} يوضح معنى قوله في الأحقاف {إِلاَّ بِالْحَق وَأَجَلٍ مُّسَمًّى}. وقد بين تعالى في آيات من كتابه أن للسماوات والأرض أمداً ينتهي إليه أمرهما. كما قال تعالى فى الزمر: [3837]{وَالأَرْضُ جَمِيعـاً قَبْضَـتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ}. وقال تعالى فى الانبياء:[3838] {يَوْمَ نَطْوِى السَّمَآءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ}. وقوله تعالى فى ابراهيم: [3839]{يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} وقوله فى التكوير: [3840]{وَإِذَا السَّمَآءُ كُشِطَتْ} وقوله تعالى فى المزمل[3841] {يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ}. إلى غير ذلك من الآيات.

{وَالَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ}

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن الكفار معرضون عما أنذرتهم به الرسل جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى في البقرة: [3842]{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} وقوله في يس [3843]{وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَءَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ}. وقوله تعالى فى الانعام ويس:[3844] {وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ}. والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة. والإعراض عن الشيء الصدود عنه. وعدم الإقبال إليه.

قال بعض العلماء: وأصله من العرض بالضم. وهو الجانب. لأن المعرض عن الشي يوليه بجانب عنقه. صاداً عنه. والإنذار: الإعلام المقترن بتهديد. فكل إنذار إعلام وليس كل إعلام إنذاراً. وقد أوضحنا معاني الإنذار في أول سورة الأعراف.

[3835] الدخان 38– 39
[3836] الحجر 85
[3837] الزمر 67
[3838] الانبياء 104
[3839] ابراهيم 48
[3840] التكوير 11
[3841] المزمل 14
[3842] البقرة 6
[3843] يسن 10
[3844] الانعام 4 –يسن 46

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الاحقاف:4)

قد ذكرنا قريباً أن قوله: {مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِالْحَقِّ} يتضمن البرهان القاطع على صحة معنى لا إله إلا الله. وأن العلامة الفارقة بين المعبود بحق. وبين غيره هي كونه خالقاً. وأول سورة الأحقاف هذه يزيد ذلك إيضاحاً لأنه ذكر من صفات المعبود بحق أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق. وذكر من المعبودات الأخرى التي عبادتها كفر. مخلد في النار أنها لا تخلق شيئاً. فقوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ} أي هذه المعبودات التي تعبدونها من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض. فقوله: أروني. يراد بها التعجيز والمبالغة في عدم خلقهم شيئاً. وعلى أن {ما} استفهامية. {وذا} موصولة.

فالمعنى أروني ما الذي خلقوه من الأرض. وعلى أن {ما} و {ذا} بمنزلة كلمة واحدة يراد بها الاستفهام. فالمعنى: أروني أي شيء خلقوه من الأرض وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن من لم يخلق شيئاً في الأرض ولم يكن له شرك في السماوات. لا يصح أن يكون معبوداً بحال جاء موضحاً في آيات كثيرة. كقوله تعالى في فاطر [3845]{قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى السَّمَاوَاتِ أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَاباً}. وقوله في لقمان: [3846]{هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ} وقوله في سبأ [3847]{قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِى الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ} والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة. وقد قدمنا طرفاً منها قريباً. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {ائْتُونِى بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَآ}، قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: [3848]{أَمْ ءَاتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ}.

{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} (الاحقاف:5) {وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} (الاحقاف:6)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الجاثية في الكلام على قوله تعالى: [3849] {وَلاَ يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْئاً وَلاَ مَااتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَآءَ}. وفي سورة مريم في الكلام على قوله تعالى: [3850] {وَاتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللهِ ءالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزّاً}.

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} (الاحقاف:7)

[3845] فاطر 40

[3846] لقمان 11

[3847] سبأ 22

[3848] الزخرف 21

[3849] الجاثية 10

[3850] مريم 81

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار إذا قرئت عليهم آيات هذا القرآن العظيم آيات هذا القرآن العظيم الذي هو الحق ادعوا أنها سحر مبين واضح. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من افترائهم على القرآن أنه سحر وعلى النبي أنه ساحر جاء موضحاً في آيات كثيرة.
كقوله تعالى في سبأ[3851])وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) (الاحقاف:7)
وقوله تعالى في الزخرف [3852]{وَلَمَّا جَآءَهُمُ الْحَقُّ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ} . وقوله تعالى فى الانبياء:[3853] {مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لاَهِيَةً قُلُوبُهُمْ} إلى قوله {أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ} . وقوله تعالى فى هود: [3854]{وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُمْ مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ} .
{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلاَ تَمْلِكُونَ لِى مِنَ اللهِ شَيْئاً}
أم هذه هي المنقطعة وقد قدمنا أنها تأتي بمعنى الإضراب. وتأتي بمعنى همزة الإنكار.
وتأتي بمعناهما معاً وهو الظاهر في هذه الآية الكريمة. فأم فيها على ذلك تفيد معنى الإضراب والإنكار معاً، فهو بمعنى د ع هذا، واسمع قولهم المستنكر لظهور كذبهم فيه، أن محمداً افترى هذا القرآن، وقد كذبهم الله في هذه الدعوى في آيات كثيرة كقوله تعالى فى يونس[3855] {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ} . وقوله فى هود [3856]{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ} : وقوله تعالى فى يونس [3857]{وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ} ، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلاَ تَمْلِكُونَ لِى مِنَ اللهِ شَيْئاً} أي إن كنت افتريت هذا القرآن على سبيل الفرض. والتقدير: عاجلني الله بعقوبته الشديدة، وأنتم لا تملكون لي منه شيئاً، أي لا تقدرون أن تدفعوا عني عذابه إن أراد أن يعذبني على الافتراء. فكيف أفتريه لكم، وأنتم لا تقدرون على دفع عذاب الله عني وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في غير هذا الموضع، كقوله تعالى فى الحاقة:[3858] {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الاٌّقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِين فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} . فقوله تعالى في آية الحاقة هذه: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الاٌّقَاوِيلِ} كقوله في آية الأحقاف {قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ} . وقوله في الحاقة: {فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} يوضح معنى قوله: {فلا تملكون لي من الله شيئاً} ، لأن معنى قوله: [3859]{فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} ، أنهم لا يقدرون على أن يحجزوا عنه أي يدفعوا عنه عقاب الله له بالقتل، لو تقول عليه بعض الأقاويل. وذلك هو معنى قوله: {فلا تملكون لي من الله شيئاً} أي لا تقدرون على دفع عذابه عني. ونظير ذلك في المعنى قوله تعالى فى المائدة: [3860]{قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ

[3851] سبأ 43
[3852] الزخرف 30
[3853] الانبياء 2-3
[3854] هود 7
[3855] يونس 38
[3856] هود 13
[3857] يونس 37
[3858] الحاقة 44-47
[3859] الحاقة 47
[3860] المائدة 17

وَأُمَّهُ وَمَن فِى الأَرْضِ جَمِيعاً} وأيضا قوله تعالى هناك: [3861]{وَمَن يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئاً}. وما تضمنته آية الأحقاف هذه وآية الحاقة المبينة لها من أنه لو افترى على الله أو تقول عليه عاجله بالعذاب، وأنه لا يقدر أحد على دفعه عنه. جاء معناه في بعض الآيات. كقوله تعالى في يونس: [3862]{قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآءِ نَفْسِى إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَى إِنِّى أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} أي إني أخاف إن عصيت ربي بالافتراء عليه بتبديل قرآنه أو الإتيان بقرآن غيره. عذاب يوم عظيم. وذكر الله تعالى مثل هذا عن بعض الرسل في آيات أخر كقوله عن صالح فى هود [3863]{قَالَ ياقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّى وَءَاتَانِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ}. وقوله تعالى عن نوح فى هود: [3864]{ وَياقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ اللهِ إِن طَرَدتُّهُمْ}.

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئاً هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}(الاحقاف:8) {قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ}(الاحقاف:9)

الأظهر في قوله {بدعا} أنه فعل بمعنى المفعول فهو بمعنى مبتدع، والمبتدع هو الذي أبدع على غير مثال سابق. ومعنى الآية قل لهم يا نبي الله: ما كنت أول رسول أرسل إلي البشر، بل قد أرسل الله قبلي جميع الرسل إلى البشر، فلا وجه لاستبعادكم رسالتي، واستنكاركم إياها، لأن الله أرسل قبلي رسلاً كثيرة. وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة، جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى فى الرعد: [3865]{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً} وقوله تعالى فى الروم: [3866]{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ}. وقوله تعالى فى النساء: [3867]{إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ}. وقوله تعالى فى الشورى [3868]{حــم عسق كَذَلِكَ يُوحِى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} وقوله تعالى فى فصلت: [3869]{مَّا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ}. وقوله تعالى فى آل عمران: [3870]{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ}. وقوله تعالى فى الانعام: [3871]{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا}، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

[3861] المائدة 41

[3862] يونس 15

[3863] هود 63

[3864] هود 30

[3865] الرعد 38

[3866] الروم 47

[3867] النساء 163

[3868] الشورى 1-3

[3869] فصلت 43

[3870] ال عمران 144

[3871] الانعام 34

{ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ} (الاحقاف:9

التحقيق إن شاء الله، أن معنى الآية الكريمة، ما أدري ما يفعل بي ولا بكم في دار الدنيا، فما أدري أأخرج من مسقط رأسي أو أقتل كما فعل ببعض الأنبياء. وما أدري ما ينالني من الحوادث والأمور في تحمل أعباء الرسالة. وما أدري ما يفعل بكم أيخسف بكم، أو تنزل عليكم حجارة من السماء، ونحو ذلك. وهذا المعنى في هذه الآية دلت عليه آيات من كتاب الله كقوله تعالى فى الاعراف : [3872]{وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ}. وقوله تعالى آمراً له فى الانعام :[3873] {قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ}.

إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ) (الاحقاف:9)

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (الاحقاف:10)

التحقيق: إن شاء الله، أن هذه الآية الكريمة جارية على أسلوب عربي معروف، وهو إطلاق المثل، على الذات نفسها، كقولهم: مثلك، لا يفعل هذا، يعنون لا ينبغي لك أنت أن تفعله. وعلى هذا فالمعنى، وشهد شاهد من بني إسرائيل على أن هذا القرآن، وحي منزل حقاً من عند الله، لا أنه شهد على شيء آخر مماثل له. ولذا قال تعالى {فَــامَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ}. ومما يوضح هذا، تكرر إطلاق المثل في القرآن مراداً به الذات كقوله تعالى فى الانعام {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ}. فقوله: كمن مثله في الظلمات، أي كمن هو نفسه في الظلمات، وقوله تعالى فى البقرة {فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ} أي فإن آمنوا بما آمنتم به لا بشيء آخر مماثل له على التحقيق. ويستأنس له بالقراءة المروية عن ابن عباس وابن مسعود {فَإِنْ آمَنُوا بِمَا آمَنْتُم بِهِ} الآية.

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ} (الاحقاف:11)

أظهر أقوال العلماء في هذه الآية الكريمة، أن الكافرين الذين قالوا للمؤمنين لو كان خيراً ما سبقونا إليه، أنهم كفار مكة، وأن مرادهم أن فقراء المسلمين، وضعفاءهم كبلال وعمار وصهيب وخباب ونحوهم، أحقر عند الله من أن يختار لهم الطريق التي

[3872] الاعراف 188

[3873] الانعام 50

فيها الخير. وهذا المعنى الذي استظهرناه في هذه الآية الكريمة تدل له آيات كثيرة من كتاب الله، وخير ما يفسر به القرآن القرآن. أما ادعاؤهم أن ما أعطوا من المال، والأولاد والجاه، في الدنيا دليل على أنهم سيعطون مثله في الآخرة، وتكذيب الله لهم في ذلك، فقد جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى فى المؤمنون [3874]{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ}، وقوله تعالى فى مريم [3875]{أَفَرَأَيْتَ الَّذِى كَفَرَ بِـايَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً}. وقوله تعالى فى سبأ[3876] {وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَـرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْن بِمُعَذَّبِينَ} مع قوله [3877]{وَمَآ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى}. وقوله تعالى فى فصلت: [3878]{وَلَئِن رُّجِّعْتُ إِلَى رَبِّى إِنَّ لِى عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ}. وقد أوضحنا الآيات الدالة على هذا في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: [3879]{وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّى لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً}.

{وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيّاً} (الاحقاف:12)

قد قدمنا الآيات الموضحة في سورة الشعراء في الكلام على قوله تعالى [3880]{لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ} وفي سورة الزمر في الكلام على قوله تعالى: [3881]

{قُرْءَاناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِى عِوَجٍ}.

{لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ} (الاحقاف:12)

قد قدمنا الآيات الموضحة له مع بيان أنواع الإنذار في القرآن في أول سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: [3882] {فَلاَ يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ}. وفي

أول سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى [3883]{لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ}.

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُون}

[3874] المئومنون 55– 56
[3875] مريم 77– 79
[3876] سبأ 35
[3877] سبأ 37
[3878] فصلت 50
[3879] الكهف 36
[3880] الشعراء 194– 195
[3881] الزمر 28
[3882] الاعراف 2
[3883] الكهف 2

قد قدمنا الكلام عليه في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى: [3884]{إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ}.

{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الاحقاف:14)

{وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً}

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذه الآية في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: [3885]{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً}

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً} (الاحقاف:15)

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من المشقة التي تعانيها الحامل، ودلت عليه آية أخرى، وهي قوله تعالى في لقمان: [3886]{وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ} أي تهن به وهناً على وهن أي ضعفاً على ضعف

وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً) (الاحقاف:15)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: {حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ}

{ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (الاحقاف:15) { أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ} (الاحقاف:16) { وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ

[3884] فصلت 30

[3885] الاسراء 33

[3886] لقمان 14

آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}(الاحقاف:17) {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} (الاحقاف:18)

فمن إطلاق الذي وإرادة الذين في القرآن، هذه الآية الكريمة من سورة الأحقاف. وقوله تعالى في سورة البقرة:[3887] {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً}. أي كمثل الذين استوقدوا بدليل قوله [3888]{ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُون } بصيغة الجمع في الضمائر الثلاثة التي هي {بِنُورِهِمْ} {وَتَرَكَهُمْ}، والواو في {لاَّ يُبْصِرُونَ} وقوله تعالى في البقرة أيضاً:[3889] {كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُ رِئَآءَ النَّاسِ} أي كالذين ينفقون بدليل قوله [3890]{لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ}. وقوله في الزمر:[3891] {وَالَّذِى جَآءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} وقوله في التوبة [3892]{وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُواْ} أي كالذين خاضوا. وقوله: {حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} أي وجبت عليهم كلمة العذاب. وقد قدمنا الآيات الموضحة لذلك في سورة يس في الكلام على قوله تعالى [3893]{لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤمِنُونَ}. وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن منكري البعث يحق عليهم القول لكفرهم، قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى [3894]{وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً}.

{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} (الاحقاف:19) {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ} (الاحقاف:20)

معنى هذه الآية هو أنها في الكفار وليست في المؤمنين الذين يتمتعون باللذات التي أباحها الله لهم، لأنه تعالى ما أباحها لهم ليذهب بها حسناتهم. أما كون الآية في الكفار فقد صرح الله تعالى به في قوله:{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ}. والقرآن والسنة الصحيحة، قد دلا على أن الكافر إن عمل عملاً صالحاً مطابقاً للشرع، مخلصاً فيه لله، كالكافر الذي يبر والديه، ويصل الرحم ويقري الضيف، وينفس عن المكروب، ويعين المظلوم يبتغي بذلك وجه الله يثاب بعمله في دار الدنيا خاصة بالرزق والعافية، ونحو ذلك ولا نصيب له في الآخرة. فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى فى هود: [3895]{مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الأَخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ

[3887] البقرة 17
[3888] البقرة 17
[3889] البقرة 264
[3890] البقرة 264
[3891] الزمر 33
[3892] التوبة 69
[3893] يسن 7
[3894] الفرقان 11
[3895] هود 15-16

فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} وقوله تعالى فى الشورى: [3896]{وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِى الْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ} . وقد قيد تعالى هذا الثواب الدنيوي المذكور في الآيات بمشيئته وإرادته، في قوله تعالى فى الاسراء: {مَّن كَانَ يُرِي الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا} . وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس أن النبي قال: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطي بها في الدنيا ويجزي بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسناته ما عمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها» هذا لفظ مسلم في صحيحه. وفي لفظ له عن رسول اللهَ: «إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة في الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته». وأما المؤمن الذي يجزي بحسناته في الدنيا والآخرة معاً، فلم يذهب طيباته في الدنيا، لأن حسناته مدخرة له في الآخرة، مع أن الله تعالى يثيبه بها في الدنيا كما قال تعالى فى الطلاق: [3897]{وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ} فجعل المخرج من الضيق له ورزقه من حيث لا يحتسب ثوباً في الدنيا وليس ينقص أجر تقواه في الآخرة.

{وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} (الاحقاف:21)

أبهم جل وعلا في هذه الآية الكريمة أخا عاد ولم يعينه ولكنه بين في آيات أخرى، أنه هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام كقوله تعالى: {وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} في سورة الأعراف وسورة هود وغير ذلك من المواضع.

{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} (الاحقاف:22)

كقوله تعالى في الأعراف[3898] {قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}.

{قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْماً تَجْهَلُونَ} (الاحقاف:23)

[3896] **الشورى 20**

[3897] **الطلاق 2–3**

[3898] **الاعراف 70**

كقوله تعالى في الأعراف: [3899]{قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّى وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} وقوله تعالى في سورة هود: [3900]{فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ}.

{فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ ٌمُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} (الاحقاف:24)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى: [3901]{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ}.

{تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} (الاحقاف:25) {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} (الاحقاف:26)

كقوله تعالى في المؤمن [3902]{أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ أَكْـثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَاراً فِى الأَرْضِ فَمَآ أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}. وقوله فيها أيضاً: [3903]{أَوَلَمْ يَسِيروُاْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَاراً فِى الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ}. وقوله تعالى في الروم: [3904]{أَوَلَمْ يَسيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ الأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا}. وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة الزخرف في السلام على قوله تعالى: [3905]{فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ}.

[3899] الاعراف 67-68
[3900] هود 57
[3901] فصلت 16
[3902] غافر 82
[3903] غافر 21
[3904] الروم 9
[3905] الزخرف 8

{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرٰى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (الاحقاف:27) {فَلَوْلا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ قُرْبَاناً آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (الاحقاف:28)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الجاثية في الكلام على قوله تعالى: [3906]{وَلاَ يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْئاً وَلاَ مَا اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}.

{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلٰى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ} (الاحقاف:29) {قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلٰى الْحَقِّ وَإِلٰى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ} (الاحقاف:30)

ذكر الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة من سورة الأحقاف، أنه صرف إلى النبي {نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ} والنفر دون العشرة {يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ} وأنهم لما حضروه، قال بعضهم لبعض {أَنصِتُواْ} أي اسكتوا مستمعين، وأنه لما قضى. أي انتهى النبي من قراءته {وَلَّوْاْ} أي رجعوا إلى قومهم من الجن في حال كونهم منذرين أي مخوفين لهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا بالله، ويجيبوا داعيه محمداً. وأخبروا قومهم، أن هذا الكتاب الذي سمعوه يتلى، المنزل من بعد موسى يهدي إلى الحق، وهو ضد الباطل ، وإلى طريق مستقيم، أي لا اعوجاج فيه. وقد دل القرآن العظيم أن استماع هؤلاء النفر من الجن، وقولهم ما قالوا عن القرآن كله وقع ولم يعلم به النبي، حتى أوحى الله ذلك إليه، كما قال تعالى في القصة بعينها، مع بيانها وبسطها، بتفصيل الأقوال التي قالتها الجن ، بعد استماعهم القرآن العظيم فى الجن: [3907]{قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُواْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَاناً عَجَباً يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَامَنَّا بِهِ وَلَن نُّشرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَداً} إلى آخر الآيات. ثم إنه تعالى فسر إنذار الجن لقومهم فقال مخبرا عنهم {قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى} ولم يذكروا عيسى لأن عيسى عليه السلام أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ وترقيقات وقليل من التحليل والتحريم وهو في الحقيقة كالمتمم لشريعة التوراة فالعمدة هو التوراة فلهذا قالوا أنزل من بعد موسى وهكذا قال ورقة بن نوفل حين أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بقصة نزول جبريل عليه عليه الصلاة والسلام أول مرة فقال بخ بخ هذا الناموس الذي كان يأتي موسى يا ليتني أكون فيها جذعا. وقولهم {يهدي إلى الحق} أي فى الاعتقاد والإخبار {وإلى طريق مستقيم} في الأعمال فإن القرآن مشتمل على شيئين خبر وطلب فخبره صدق وطلبه عدل كما قال تعالى {وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا} وقال سبحانه وتعالى {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق} فالهدى هو العلم النافع ودين الحق هو العمل الصالح وهذا قالت الجن {يهدي إلى الحق} في الاعتقادات {وإلى طريق مستقيم} أي فى العمليات.

{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} (الاحقاف:31)

[3906] الجاثية 10

[3907] الجن 1–2

منطوق هذه الآية أن من أجاب داعي الله محمداً وآمن به، وبما جاء به، من الحق غفر الله له ذنوبه. وأجاره من العذاب الأليم، ومفهومها، أعني مفهوم مخالفتها، والمعروف بدليل الخطاب، أن من لم يجب داعي الله من الجن، ولم يؤمن به لم يغفر له، ولم يجره، من عذاب أليم، بل يعذبه ويدخله النار، وهذا المفهوم جاء مصرحاً به مبيناً في آيات أخر، كقوله تعالى: [3908]{وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَامْلَانَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ}. وقوله تعالى: [3909]{وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِى لَامْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} وقوله تعالى [3910]{قَالَ ادْخُلُواْ فِى أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِى النَّارِ} وقوله تعالى [3911]{فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ} إلى غير ذلك من الآيات. أما دخول المؤمنين، المجيبين داعي الله من الجن، الجنة فلم تتعرض له الآية الكريمة بإثبات ولا نفي، وقد دلت آية أخرى على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة، وهي قوله تعالى في سورة الرحمن:[3912] {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ ءَالاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} جاء في آية أخرى، ما يدل على أن مؤمنيهم في الجنة وهي قوله تعالى {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}، لأنه تعالى بين شموله للجن والإنس، بقوله {فَبِأَيِّ ءَالاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}. ويستأنس لهذا بقوله تعالى[3913] {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنس قَبْلَهُمْ وَلاَ جَآنٌّ} فإنه يشير إلى أن في الجنة جناً يطمثون النساء كالإنس. والجواب عن هذا، أن آية الأحقاف، نص فيها على الغفران، والإجارة من العذاب، ولم يتعرض فيها لدخول الجنة، بنفي ولا إثبات، وآية الرحمن نص فيها على دخولهم الجنة، لأنه تعالى قال فيها: [3914]{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}.

{وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}(الاحقاف:32) {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الاحقاف:33)

قد قدمنا الآيات الموضحة لهذه الآية، وأنها من الآيات الدالة على البعث في البقرة والنحل والجاثية، وغير ذلك من المواضع وأحلنا على ذلك مراراً

{وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}(الاحقاف:34) {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ}(الاحقاف:35)

[3908] هود 119

[3909] السجدة 13

[3910] الاعراف 38

[3911] الشعراء 94- 95

[3912] الرحمن 46- 47

[3913] الرحمن 56

[3914] الرحمن 46

قدمنا ذكرهم في الأحزاب والشورى، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. كقوله تعالى: [3915] {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ}، فأمر الله جل وعلا نبيه في آية القلم هذه بالصبر، ونهاه عن أن يكون مثل يونس، لأنه هو صاحب الحوت وكقوله: [3916] {وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَى ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً} فآية القلم، وآية طه المذكورتان كلتاهما تدل على أن أولي العزم من الرسل الذين أمر النبي بأن يصبر كصبرهم ليسوا جميع الرسل والعلم عند الله تعالى.

{ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ} (الاحقاف:35)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي عن طلب تعجيل العذاب لهم جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى:[3917] {وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً}.

وقوله تعالى [3918]{فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً}. فإن قوله {وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً}، وقوله: {فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً} موضح لمعنى قوله {وَلاَ تَسْتَعْجِل لَّهُمْ}.

والمراد بالآيات، نهيه عن طلب تعجيل العذاب لهم، لأنهم معذبون، لا محالة عند انتهاء المدة المحدودة للإمهال، كما يوضحه قوله تعالى[3919] {فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً}. وقوله تعالى[3920] {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} وقوله تعالى [3921]{قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ}. وقوله تعالى: [3922]{لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِمَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} وقوله تعالى: [3923]{قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

[3915] **القلم 48**
[3916] **طه115**
[3917] **المزمل 11**
[3918] **الطارق 17**
[3919] **مريم 84**
[3920] **لقمان 24**
[3921] **البقرة 126**
[3922] **ال عمران 196–197**
[3923] **يونس 69–70**

{ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ } (الاحقاف:35)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة يونس في الكلام على قوله تعالى [3924]{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ} وفي سورة قد أفلح المؤمنون في الكلام على قوله تعالى: [3925]{قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَآدِّينَ} .

{ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ } (الاحقاف:35)

هذا بلاغ، أي هذا القرآن بلاغ من الله إلى خلقه.

ويدل لهذا قوله تعالى في سورة إبراهيم [3926]{هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ} وقوله في الأنبياء [3927]{إِنَّ فِى هَذَا لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ} وخير ما يفسر به القرآن القرآن.

[3924] يونس 45

[3925] المومنون 113

[3926] ابراهيم 52

[3927] الانبياء 106

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة محمد

{الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ}(محمد:1) {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (محمد:2) {ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ} (محمد:3)

قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} أي أبطل ثوابها، فما عمله الكافر من حسن في الدنيا، كقري الضيف، وبر الوالدين، وحمي الجار، وصلة الرحم، والتنفيس عن المكروب، يبطل يوم القيامة، ويضمحل ويكون لا أثر له، كما قال تعالى فى الفرقان: {وَقَدِمْنَآ إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مَّنثُوراً}، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ} أصله من الضلال بمعنى الغيبة، والاضمحلال فهو كقوله فى الانعام: {وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ}. وقد قدمنا معاني الضلال في القرآن واللغة، في سورة الشعراء في الكلام على قوله: {قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذاً وَأَنَاْ مِنَ الضَّآلِّينَ}، وفي آخر الكهف في الكلام على قوله تعالى: {الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَوةِ الدُّنْيَا}، وفي غير ذلك من المواضع. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ} قد قدمنا إيضاحه في أول سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى {وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ}، وفي سورة النحل في الكلام على قوله تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ}. قال فيه ابن كثير: هو عطف خاص على عام، وهو دليل على أنه شرط في صحة الإيمان، بعد بعثته. ويدل لذلك قوله تعالى فى هود: {وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ موعده فلا تك فى مرية منه انه الحق من ربك}، كما قال تعالى فى الانعام: {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ}، قال تعالى فى الحاقة: {وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ}. وقال تعالى فى يونس: {قُلْ ياأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنُ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ} وقال تعالى فى النساء: {ياأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من أن اختلاف الأعمال، يستلزم اختلاف الثواب، لا يتوهم استواءهما إلا الكافر الجاهل، الذي يستوجب الإنكار عليه، جاء موضحاً في آيات أخر، كقوله تعالى فى القلم: {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ}. وقوله تعالى فى ص: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ}. وقوله تعالى فى الجاثية: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُواْ السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ}.

{فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} (محمد:4)

ما تضمنته هذه الآية الكريمة، من الأمر بقتل الكفار حتى يثخنهم المسلمون، ثم بعد ذلك يأسرونهم جاء موضحاً في غير هذا الموضع، كقوله تعالى فى الانفال: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ}، وقد أمر تعالى بقتلهم في آيات أخر كقوله تعالى فى التوبة: {فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ}. وقوله فى الانفال: {فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}، وقوله تعالى فى التوبة: {وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً}. وقوله فى الانفال: {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ}، ولم يختلف المسلمون في جواز الملك بالرق. ومعلوم أن سببه أسر المسلمين الكفار في الجهاد، والله تبارك وتعالى في كتابه يعبر عن الملك بالرق بعبارة هي أبلغ العبارات، في توكيد ثبوت ملك الرقيق، وهي ملك اليمين لأن ما ملكته يمين الإنسان، فهو مملوك له تماماً، وتحت تصرفه تماماً، كقوله تعالى فى النساء: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} وقوله فى المؤمنون والمعارج: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} وقوله فى النساء: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَآءِ إِلاَّ مَا مَلَكْتَ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ}. وقوله فى النور: {وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ}. وقوله فى النساء: {وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}. وقوله فى الاحزاب: {لاَّ يَحِلُّ لَكَ النِّسَآءُ مِن بَعْدُ وَلاَ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ}. وقوله فى الاحزاب: {ياأَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِى ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ اللهُ عَلَيْكَ}. وقوله فى النور: {أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ}. وقوله فى النساء: {وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ}. وقوله فى النحل: {فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ}. وقوله فى الروم {هَلْ لَّكُمْ مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن شُرَكَآءَ}، فالمراد بملك اليمين في جميع هذه الآيات كلها الملك بالرق، والأحاديث والآيات بمثل ذلك يتعذر حصرها، وهي معلومة، فلا ينكر الرق في الإسلام، إلا مكابر أو ملحد أو من لا يؤمن بكتاب الله، ولا بسنة رسوله. وقد قدمنا حكمة الملك بالرق وإزالة الإشكال في ملك الرقيق المسلم في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ}.

{سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ} (محمد:5)

"سيهديهم" أي إلى الجنة كقوله تعالى {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم}

{وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ}(محمد:6) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} (محمد:7)

وقد أوضح هذا المعنى في آيات كثيرة، وبين في بعضها صفات الذين وعدهم بهذا النصر كقوله تعالى فى الحج {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ}، ثم بين صفات الموعودين بهذا النصر في قوله تعالى بعده {الَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلَوةَ وَآتَوُاْ الزَّكَــوةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ}، وكقوله تعالى فى الروم: {وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنينَ}، وقوله تعالى فى غافر: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى الْحَيَوةِ الدُّنْيَا}. وقوله تعالى فى الصافات: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} إلى غير ذلك من الآيات. وقوله تعالى في بيان صفات من وعدهم بالنصر في الآيات المذكورة: {الَّذِينَ إِنْ مَّكَّنَّاهُمْ فِى الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلَوةَ وَآتَوُاْ الزَّكَــوةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنْكَرِ}.

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ}(محمد:8) {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ}(محمد:9) {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا} (محمد:10)

قد قدمنا إيضاحه في سورة هود في الكلام على قوله تعالى: {وَمَا هِىَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ}، وأحلنا على الآيات الموضحة لذلك في سورة الروم في الكلام على قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَسيرُواْ فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ الأَرْضَ}. وأوضحناها في الزخرف في الكلام على قوله: {فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً} وفي الأحقاف في الكلام على قوله تعالى: {وَلَقَدْ مَكَّنَاهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ}.

{ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ}(محمد:11) {إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ}(محمد:12) {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلا نَاصِرَ لَهُمْ} (محمد:13)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة، من إخراج كفار مكة للنبي منها بينه في غير هذا الموضع، كقوله تعالى فى الممتحنة: {ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ}، وقوله تعالى فى الانفال {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ}.

{أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} (محمد:14)

كقوله تعالى {أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى} وكقوله تعالى {لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون}.

{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} (محمد:15)

أنهار الماء، وأنهار الخمر التي ذكرها الله في هذه الآية بين بعض صفاتها، في آيات أخرى كقوله تعالى فى البقرة {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} في آيات كثيرة، وقوله فى الواقعة {وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ}. وقوله فى المرسلات: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى ظِلَالٍ وَعُيُونٍ}، وقوله فى الغاشية {فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ}، وقد بين تعالى من صفات خمر الجنة أنها لا تسكر شاربها، ولا تسبب له الصداع الذي هو وجع الرأس في آيات من كتابه كقوله تعالى فى الواقعة: {لاَّ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ}، وقوله فى الصافات {لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ}. وقد قدمنا معنى هذه الآيات بإيضاح في سورة المائدة في الكلام على قوله تعالى {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ}. وقوله تعالى في الآية الكريمة {غَيْرِ ءَاسِنٍ} أي غير متغير اللون ولا الطعم.

{وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} (محمد:15)

قد بين تعالى في سورة البقرة أن الثمار التي يرزقها أهل الجنة يشبه بعضها بعضاً في الجودة والحسن والكمال، ليس فيها شيء رديء، وذلك في قوله تعالى: {كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً}.
قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الحج، في الكلام على قوله تعالى {يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِى بُطُونِهِمْ}.

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ}(محمد:16) {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} (محمد:17) {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ}(محمد:18)

قد قدمنا الآيات الموضحة له، في سورة الزخرف، في الكلام على قوله تعالى {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ}.

وهذا المعنى، الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة، من أن الكفار يوم القيامة يؤمنون، ولا ينفعهم إيمانهم جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى فى سبأ {وَقَالُواْ ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِ بَعِيدٍ}، وقوله تعالى فى الفجر: {وَجِىءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى}. وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ} ـ إلى قوله ـ {أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ}.

{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} (محمد:19)

أي يعلم تصرفكم في نهاركم ومستقركم في ليلكم كقوله تبارك وتعالى {وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار} وقوله سبحانه وتعالى {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين}.

{وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ} (محمد:20)

وقد صرح جل وعلا بأن ذلك من الخوف المذكور في قوله فى الاحزاب: {فَإِذَا جَآءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ}. وقد بين تعالى، أن الأغنياء من هؤلاء المنافقين، إذا أنزل الله سورة، فيها الأمر بالجهاد، استأذنوا النبي في التخلف عن الجهاد، وذمهم الله على ذلك، وذلك في قوله تعالى فى التوبة: {وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِاللَّهِ وَجَاهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُوْلُواْ الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ}.

{طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ} (محمد: 21) {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} (محمد:22) {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ} (محمد:23) {أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} (محمد:24)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من التوبيخ والإنكار على من أعرض عن تدبر كتاب الله، جاء موضحاً في آيات كثيرة، كقوله تعالى فى النساء {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً}، وقوله تعالى فى المءمنون {أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ الْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُمْ مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ الأَوَّلِينَ}، وقوله تعالى فى ص {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُواْ ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُو

الأَلْبَابِ} . وقد ذم جل وعلا المعرض عن هذا القرآن العظيم في آيات كثيرة كقوله تعالى فى الكهف: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِايِاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا} . وقوله تعالى فى السجدة: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِايَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ} . وهو كتاب ميسر، بتيسير الله، لمن وفقه الله للعمل به، والله جل وعلا يقول في سورة القمر مرات متعددة: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} . ويقول تعالى في الدخان: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} . ويقول في مريم: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلَسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً} .

{إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلٰى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ} (محمد:25) {ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللّٰهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ} (محمد: 26} فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ}(محمد:27) {ذٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللّٰهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} (محمد:28)

وقال بعض العلماء: هم اليهود الذين كانوا يؤمنون بنبينا محمد، فلما بعث وتحققوا أنه هو النبي الموصوف في كتبهم كفروا به. وعلى هذا القول فهذه الآية يوضحها قوله تعالى في سورة البقرة: {وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلٰى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلٰى الْكَافِرِينَ} لأن قوله: {فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ} مبين معنى قوله: {مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى} ، وقوله {كَفَرُواْ بِهِ} مبين معنى قوله: {ارْتَدُّواْ عَلٰى أَدْبَارِهِمْ} . والتحقيق الذي لا شك فيه أن هذه الآيات عامة في كل ما يتناوله لفظها، وأن كل ما فيها من الوعيد عام لمن أطاع من كره ما نزل الله. ومعنى: الشيطان {سَوَّلَ لَهُمْ} أي سهل لهم الكفر والمعاصي، وزين ذلك وحسنه لهم، والله جل وعلا أملى لهم: أي أمهلهم إمهال استدراج. وكون التسويل من الشيطان والإمهال من الله، قد تشهد لهم آيات من كتاب الله كقوله تعالى فى الانفال في تزيين الشيطان لهم {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُم الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} . وقوله تعالى فى النحل، {تَ اللهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَـنُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ، وقوله تعالى فى ابراهيم: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِىَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ} . إلى غير ذلك من الآيات. وكقوله تعالى فى الاعراف في إملاء الله لهم استدراجاً: {سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ} . وقوله تعالى فى آل عمران: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لاَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمَاً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} وقوله تعالى فى مريم: {قُلْ مَن كَانَ فِى الضَّلاَلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَانُ مَدّاً} وقوله تعالى فى الانعام: {فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُواْ أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُّبْلِسُونَ } وقوله تعالى فى الاعراف: {ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّآءُ وَالسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ} . وقوله تعالى فى المؤمنون {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ} . وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون الملائكة، يتوفون الكفار وهم يضربون وجوههم وأدبارهم جاء موضحاً

في مواضع أخر من كتاب الله كقوله تعالى في الأنفال: {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} وقوله في الأنعام: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}.وقوله: فأحبط أعمالهم أي أبطلها، لأن الكفر سيئة لا تنفع معها حسنة. وقد أوضحنا المقام في ذلك إيضاحاً تاماً في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى {وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا}. وفي سورة النحل في الكلام على قوله تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً}.

{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ}(محمد:29) {وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ}(محمد:30) {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} (محمد:31)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الله جل وعلا يبلو الناس أي يختبرهم بالتكاليف، كبذل الأنفس والأموال في الجهاد ليتميز بذلك صادقهم من كاذبهم، ومؤمنهم من كافرهم. جاء موضحاً في آيات أخر. كقوله تعالى فى البقرة: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ}. وقوله تعالى فى آل عمران {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}. وقوله تعالى فى التوبة {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}. وقوله تعالى فى العنكبوت {الـم أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُواْ أَن يَقُولُواْ ءَامَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}. وقوله تعالى فى آل عمران {مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ}.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ} (محمد:32)

وقد دلت هذه الآية الكريمة على أمرين أحدهما أن الذين كفروا وصدوا غيرهم عن الحق وخالفوه لن يضروا الله بكفرهم شيئاً، لأنه غني لذاته الغنى المطلق. والثاني أنهم إنما يضرون بذلك أنفسهم، لأن ذلك الكفر سبب لإحباط أعمالهم، كما قال تعالى: {وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ}. وهذان الأمران اللذان تضمنتهما هذه الآية الكريمة جاءا موضحين في آيات من كتاب الله. فمن الآيات الدالة على الأول الذي هو غنى الله عن خلقه، وعدم تضرره بمعصيتهم، قوله تعالى فى آل عمران: {وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}. وقوله تعالى فى الزمر: {إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ}. وقوله تعالى فى ابراهيم: {وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِى الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ}. وقوله تعالى فى يونس: {قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَات وَمَا فِى الأَرْضِ}. وقوله تعالى فى التغابن: {فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}. وقوله تعالى فى فاطر: {ياأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمْ

الْفُقَرَآءُ إِلَى ِاللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} إلى غير ذلك من الآيات. ومن الآيات الدالة على الثاني وهو إحباط أعمالهم بالكفر أي إبطالها به قوله تعالى فى الفرقان: {وَقَدِمْنَآ إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مَّنثُوراً}. وقوله تعالى فى ابراهيم: {مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ}.وقوله تعالى فى النور: {وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَآءً حَتَّى إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً}. وقوله تعالى فى هود: {أُولَٓئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} (محمد:33)

قد قدمنا كثيراً جداً من الآيات المماثلة له قريباً في جملة كلامنا الطويل على قوله تعالى {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ}.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ ِاللهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ} (محمد:34)

ما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن من مات على الكفر لن يغفر الله له، لأن النار وجبت له بموته على الكفر، جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله. كقوله تعالى فى آل عمران {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ}. وقوله تعالى فى البقرة {إِن الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ِاللهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ}. وقوله تعالى فى النساء: {وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً}. وقوله تعالى فى البقرة {وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}.

{فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} (محمد:35)

وقوله تعالى: {فَلاَ تَهِنُواْ} أي لا تضعفوا وتذلوا، ومنه قوله تعالى فى آل عمران: {فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ِاللهِ}. وقوله تعالى فى الانفال: {ذلِكُمْ وَأَنَّ اللهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ} أي مضعف كيدهم. وقوله تعالى: {وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ} جملة حالية فلا تضعفوا عن قتال الكفار وتدعوا إلى السلم والحال أنكم أنتم الأعلون أي الأقهرون والأغلبون لأعدائكم، ولأنكم ترجون من الله من النصر والثواب ما لا يرجون. وتدل عليه آيات من كتاب الله كقوله تعالى بعده {وَاللهُ مَعَكُمْ} لأن من كان

الله معه هو الأعلى. وكقوله تعالى فى الصافات: {وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}، وقوله تعالى فى غافر: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى الْحَيَوةِ الدُّنْيَا}، وقوله فى الروم {وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنينَ} وقوله تعالى فى التوبة {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ}. ومما يوضح معنى آية القتال هذه قوله تعالى فى النساء: {وَلاَ تَهِنُواْ فِى ابْتِغَآءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ِالله مَا لاَ يَرْجُونَ}، لأن قوله تعالى {وَتَرْجُونَ مِنَ ِالله مَا لاَ يَرْجُونَ} من النصر الذي وعدكم الله به والغلبة وجزيل الثواب. وذلك كقوله هنا {وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ} وقوله: {وَاللهُ مَعَكُمْ} أي بالنصر والإعانة والثواب. واعلم أن آية القتال هذه لا تعارض بينها وبين آية الأنفال، فالنهي في آية القتال هذه في قوله تعالى: {فَلاَ تَهِنُواْ وَتَدْعُواْ إِلَى السَّلْمِ} إنما هو عن الابتداء بطلب السلم. والأمر بالجنوح إلى السلم في آية الأنفال محله فيما إذا ابتدأ الكفار بطلب السلم والجنوح لها، كما هو صريح قوله تعالى: {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ِالله}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {وَاللهُ مَعَكُمْ} قد قدمنا الآيات الموضحة له في آخر سورة النحل في الكلام على قوله تعالى {إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} أي لن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم. وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة من عدم نقصه تعالى شيئاً من ثواب الأعمال جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى فى الحجرات {وَإِن تُطِيعُواْ اللهَ وَرَسُولَهُ لاَ يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً} أي لا ينقصكم من ثوابها شيئاً. وقوله تعالى فى الانبياء: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}. والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة، وقد قدمناها مراراً.

{إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ} (محمد:36)

هذه الأجور التي وعد الله بها من آمن واتقى جاءت مبينة في آيات كثيرة كقوله تعالى فى الحديد {ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُم وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} إلى غير ذلك من الآيات.

تفسيرالفاروق

{وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ} (محمد:36)

في هذه الآية الكريمة أوجه معلومة عند أهل التفسير منها أن المعنى: ولا يسألكم النبي أموالكم أجراً على ما بلغكم من الوحي المتضمن لخير الدنيا والآخرة. وهذا الوجه تشهد له آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى فى سبأ: {قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّن أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى ِ اللهِ}. وقوله تعالى فى ص: {قُلْ مَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَآ مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}. وقوله تعالى فى الطور: {أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ}. وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة هود في الكلام على قوله تعالى {وَياقَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى ِ اللهِ} وذكرنا بعض ذلك في سورة الشورى في الكلام على قوله تعالى {قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى}.

{إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ} (محمد:37) {هَا أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ} (محمد:38)

قد قدمنا الآيات الموضحة له قريباً في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ وَشَآقُّواْ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى}.

{وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} (محمد:38)

وقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النساء في الكلام على قوله تعالى {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِـاخَرِينَ وَكَانَ اللهُ عَلَى ذلِكَ قَدِيراً}.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ

سورة الفتح

{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً}(الفتح:1) {لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً}(الفتح:2) {وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً}(الفتح:3) {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ}(الفتح:4)

ما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن الإيمان يزيد دلت عليه آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى فى الانفال: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً}. وقوله تعالى فى التوبة: {فَأَمَّا الَّذِينَ ءامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ}، وقوله تعالى فى المدثر: {لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِيمَاناً} إلى غير ذلك من الآيات.

{ وَللهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً}(الفتح:4)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أن له جنود السماوات والأرض وبين في المدثر أن جنوده هذه لا يعلمها إلا هو، وذلك في قوله: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ}.

{لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ فَوْزاً عَظِيماً}(الفتح:5)

كقوله جل وعلا {فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز}.

{وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ}(الفتح: 6)

وهذه الآية شبيهة في المعنى بقوله تعالى في آخر الأحزاب: {وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً لِّيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلٰى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ}.

{عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً}(الفتح: 6)

بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة، أنه يجازي المشركين والمشركات والمنافقين والمنافقات بثلاث عقوبات وهي غضبه، ولعنته، ونار جهنم. وقد بين في بعض الآيات بعض نتائج هذه الأشياء الثلاثة، كقوله في الغضب فى طه: {وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَى}. وقوله في اللعنة فى النساء، {وَمَن يَلْعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً} وقوله في نار جهنم فى آل عمران: {رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ}.

{وَللهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً}(الفتح: 7) {إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً}(الفتح: 8)

قال تعالى في شهادته يوم القيامة على أمته فى النساء {فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلٰى هَؤُلاءِ شَهِيداً} وقوله تعالى فى النحل: {وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلٰى هَؤُلَآءِ}. فآية النساء وآية النحل المذكورتان الدالتان على شهادته يوم القيامة على أمته تبينان آية الفتح هذه. وما ذكرنا من أنه مبشر للمؤمنين ونذير للكافرين أوضحه في قوله تعالى فى مريم: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلَسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً}.وقد أوضحنا هذا في أول سورة الكهف، وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة، ذكره وزيادة في سورة الأحزاب في قوله تعالى: {ياأَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراًوَدَاعِياً إِلٰى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً}.

{لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً}(الفتح:9) {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلٰى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفٰى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً}(الفتح:10)

ثم قال عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم تشريفا له وتعظيما وتكريما {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله} كقوله جل وعلا {من يطع الرسول فقد أطا ع الله}. {يد الله فوق أيديهم} أي هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم}. وهذه فى الفتح هى كما قال عز وجل في الآية الأخرى {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا}.

{سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} (الفتح:11)

وهذا الذي تضمنته هذه الآية الكريمة. ما جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى في الأحزاب {قُلْ مَن ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِّنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِّن دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً}. وقوله تعالى في آخر يونس {وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ}. وقوله في الأنعام: {وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. وقوله تعالى في النساء {قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِى الأَرْضِ جَمِيعاً}. وقوله تعالى في فاطر: {مَّا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ}. وقوله تعالى في الملك {قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ اللهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ

أَلِيمٍ}. وقد ذكرنا بعض الآيات الدالة على هذا في أول سورة فاطر في الكلام على قوله تعالى {مَّا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ}. وفي سورة الأحقاف في الكلام على قوله تعالى: {قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلاَ تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللهِ شَيْئاً}.

{بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً}(الفتح:12) {وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً}(الفتح:13){ وَللهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً}(الفتح:14){ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلاً}(الفتح:15){ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللهُ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً}(الفتح:16) {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَاباً أَلِيماً}(الفتح:17) { لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ

وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً}(الفتح:18) {وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً}(الفتح:19) {وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً}(الفتح:20) {وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً}(الفتح:21) {وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً}(الفتح:22) {سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً}(الفتح:23) {وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً}(الفتح:24) {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَأُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً}(الفتح:25){ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً} (الفتح:26)

وقد ذكر جل وعلا إنزاله السكينة على رسوله وعلى المؤمنين في براءة في قوله تعالى: {ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} وذكر إنزال سكينته على رسوله في قوله في براءة: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ}. وذكر إنزاله سكينته على المؤمنين في قوله {فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ}. وهذه الآيات كلها لم يبين فيها موضع إنزال السكينة، وقد بين في هذه السورة الكريمة أن محل إنزال السكينة هو القلوب، وذلك في قوله: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ}.

{لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً}(الفتح:27) {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً} (الفتح:28)

ما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة ذكره في سورة التوبة وسورة الصف وزاد فيهما أنه فاعل ذلك، ولو كان المشركون يكرهونه، فقال في الموضعين {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}.

{مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ}(الفتح:29)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة المائدة في الكلام على قوله تعالى {فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}.

{ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ}(الفتح:29)

{ وَمَثَلُهُمْ فِي الْأَنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}(الفتح:29)

وما تضمنته الآية الكريمة من المثل المذكور في الإنجيل المضروب للنبي وأصحابه بأنهم يكونون في مبدأ أمرهم في قلة وضعف، ثم بعد ذلك يكثرون ويقولون. جاء موضحاً في آيات من كتاب الله تعالى كقوله فى الانفال {وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ}. وقوله تعالى فى آل عمران {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ} وقوله تعالى فى المائدة {الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ}.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الحجرات

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (الحجرات:1)

والمعنى لا تتقدموا أمام الله ورسوله: فتقولوا في شيء بغير علم ولا إذن من الله، وهذه الآية الكريمة فيها التصريح بالنهي عن التقديم بين يدي الله ورسوله، ويدخل في ذلك دخولاً أولياً تشريع ما لم يأذن به الله وتحريم ما لم يحرمه، وتحليل ما لم يحلله. وقد أوضحنا هذه بالآيات القرآنية بكثرة في سورة شورى في الكلام على قوله تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ} وفي سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: {وَلاَ يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَدًا} وفي سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يِهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ} وفي غير ذلك من المواضع.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ} (الحجرات:2)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من لزوم توقير النبي، وتعظيمه واحترامه جاء مبيناً في مواضع أخر كقوله تعالى فى الفتح: {لِّتُؤْمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ} على القول بأن الضمير في تعزروه وتوقروه للنبي. وقوله تعالى فى النور {لاَّ تَجْعَلُواْ دُعَآءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً} كما تقدم وقوله تعالى فى الاعراف {فَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ} .وقوله هنا: {وَلاَ تَجْهَرُواْ لَهُ بِالْقَوْلِ} أي لا تنادوه باسمه وقد دلت آيات من كتاب الله على أن الله تعالى لا يخاطبه في كتابه باسمه، وإنما يخاطبة بما يدل على التعظيم والتوقير، كقوله فى الانفال: {يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ} .فى المائدة {ياأَيُّهَا الرَّسُولُ} .فى المزمل {ياأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} .فى المدثر {ياأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} مع أنه ينادي غيره من الأنبياء بأسمائهم كقوله فى البقرة {وَقُلْنَا يَاءَادَمُ} . وقوله فى الصافات: {وَنَادَيْنَاهُ أَن ياإِبْرَاهِيمُ} وقوله فى هود: {قَالَ يانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} . {قيل يانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا} . وقوله فى الاعراف: {قَالَ يامُوسَى إِنْى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ} وقوله فى آل عمران: {إِذْ قَالَ اللهُ ياعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ} وقوله فى ص: {ياداوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً} . أما النبي فلم يذكر اسمه في القرآن في خطاب، وإنما يذكر في غير ذلك كقوله فى آل عمران: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ} . وقوله فى محمد: {وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ} . وقوله فى الفتح: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ} .

{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ}(الحجرات:3) {إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ}(الحجرات:4) {وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}(الحجرات:5) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ}(الحجرات:6)

وصرح تعالى في موضع آخر بالنهي عن قبول شهادة الفاسق، وذلك في قوله فى النور: {وَلاَ تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}

{وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ} (الحجرات: 7)

{واعلموا أن فيكم رسول الله} أي اعلموا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدبوا معه وانقادوا لأمره فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم كما قال تبارك وتعالى {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم} ثم بين أن رأيهم سخيف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم فقال {لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم} أي لو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحرجكم كما قال سبحانه وتعالى {ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون}

{وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْأِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٓئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ} (الحجرات: 7)

وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أنه هو الذي حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، جاء موضحاً في آيات كثيرة مصرح فيها بأنه تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء، كقوله تعالى فى الكهف: {مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا}. وقوله تعالى فى الاسراء: {وَمَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ}. وقوله تعالى فى الاعراف: {مَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٓئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}. وقوله تعالى فى الشمس: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة،

{فَضْلاً مِنَ اللهِ وَنِعْمَةً وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}(الحجرات:8) {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرٰى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتّٰى تَفِيءَ إِلٰى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (الحجرات:9)

{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرٰى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتّٰى تَفِيءَ إِلٰى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (الحجرات:9)

وقد بين تعالى أن الأخوة تكون في الدين في قوله تعالى فى الاحزاب {فَإِن لَّمْ تَعْلَمُواْ ءَابَاءَهُمْ فَإِخوَانُكُمْ فِى الدِّينِ}. وقد قدمنا في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يِهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ}، أن الأخوة الدينية أعظم وأقوى من الأخوة النسبية

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسٰى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسٰى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ}(الحجرات:11)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي عن السخرية جاء ذم فاعله وعقوبته عند الله في غير هذا الموضع، كقوله تعالى فى التوبة: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. وقد بين تعالى أن الكفار المترفين في الدنيا كانوا يسخرون من ضعاف المؤمنين في دار الدنيا، وأن أولئك يسخرون من الكفار يوم القيامة، كما قال تعالى فى البقرة: {زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} وقال تعالى فى المطففين: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ} إلى قوله تعالى: {فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ}.

{ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْأِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(الحجرات: 11)

تقدم إيضاحه في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يِهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ}. وقد أوعد الله جل وعلا الذين يلمزون الناس في قوله تعالى: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ}، وقد صرح الله تعالى بالنهي عن ذلك في قوله: {وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً} ونفر عنه غاية التنفير في قوله تعالى: {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ}

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}(الحجرات: 12) {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}(الحجرات: 13)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه خلق الناس من ذكر وأنثى، ولم يبين هنا كيفية خلقه للذكر والأنثى المذكورين ولكنه بين ذلك في مواضع أخر من كتاب الله. فبين أنه خلق ذلك الذكر الذي هو آدم من تراب، وقد بين الأطوار التي مر بها ذلك التراب، كصيرورته طيناً لازباً وحمأ مسنوناً وصلصالاً كالفخار. وبين أنه خلق تلك الأنثى التي هي حواء من ذلك الذكر الذي هو آدم فقال في سورة النساء: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً} وقال تعالى في الأعراف {هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} وقال تعالى: في الزمر {خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا}. قد دلت هذه الآيات القرآنية المذكورة على أن المرأة الأولى كان وجودها الأول مستنداً إلى وجود الرجل وفرعاً عنه. فجعل الرجل قائماً عليها وجعلها مستندة إليه في جميع شؤونها كما قال تعالى فى النساء: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ}. وذكرنا طرفاً من ذلك في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى {وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ}

{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْأِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}(الحجرات:14)

المراد به بعض الأعراب وهم من جنس الأعراب الذين قال الله فيهم فى التوبة: {وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ} وإنما قلنا إن المراد بعض الأعراب في هذه الآية، لأن الله بين في موضع آخر أن منهم من ليس كذلك، وذلك في قوله تعالى {وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِى رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

أي لا ينقصكم من أجوركم شيئا كقوله عز وجل {وما ألتناهم من عملهم من شيء}.

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}(الحجرات:15) {قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(الحجرات:16)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تقبيح تزكية النفس بالكذب جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى فى النجم: {هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

{يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}(الحجرات:17) {إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (الحجرات:18)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة هود في الكلام على قوله تعالى: {أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة ق

{ق{}وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ}(قّ:1) {بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ} (قّ:2)

كقوله جل جلاله {أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس}.

{أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} (قّ:3) {قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ} (قّ:4) {بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ} (قّ:5)

أي وهذا حال كل من خرج عن الحق كقوله تعالى {إنكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من أفك}.

{أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ} (قّ:6)

وكونها لا تصدع ولا شقوق فيها جاء كله موضحاً في آيات أخر كقوله جل وعلا في بنائه للسماء فى النازعات: {أَءَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَآءُ بَنَاهَارَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا}، وقوله تعالى فى الذاريات: {وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}، وقوله تعالى فى النبأ: {وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً}، وقوله تعالى فى الملك: {الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ}، وقوله تعالى فى المؤمنون: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ}، وقوله تعالى في أول الرعد: {اللهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، وقوله تعالى في لقمان: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا}. إلى غير ذلك من الآيات. وكقوله تعالى في تزيينه للسماء فى الملك {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ}، وقوله تعالى فى فصلت: {وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً}، وقوله تعالى فى الصافات: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ}، وقوله تعالى فى الحجر: {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ}. وكقوله تعالى في حفظه للسماء من أن يكون فيها فروج أي شقوق فى الملك: {فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ}، والفطور والفروج بمعنى واحد، وهو الشقوق والصدوع. وقوله تعالى فى الانبياء: {وَجَعَلْنَا السَّمَآءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ ءَايَاتِهَا مُعْرِضُونَ}، أما إذا كان يوم القيامة فإن السماء تتشقق وتتفطر، وتكون فيها الفروج كما قال تعالى فى الفرقان: {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَآءُ بِالْغَمَامِ}. وقال تعالى فى الرحمن: {فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً}. وقال تعالى فى الحاقة: {فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُوَانشَقَّتِ السَّمَآءُ}. وقال تعالى فى الانشقاق: {إِذَا السَّمَآءُ انشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ}، وقال تعالى فى الانفطار: {إِذَا السَّمَآءُ انفَطَرَتْ}، وقال تعالى فى المزمل: {يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباًالسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِ}. وقال تعالى فى المرسلات: {فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ وَإِذَا السَّمَآءُ فُرِجَتْ}.

{وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ}(قّ: 7) {تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ}(قّ:8)

وهذا الذي تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله، كقوله تعالى في الرعد: {وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} إلى قوله: {لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} وكقوله في لقمان: {خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِى الأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ هٰذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ} والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة

{وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ}(قّ:9) {وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ} (قّ:10) {رِزْقاً لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَلِكَ الْخُرُوجُ} (قّ:11)

وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث كقوله عز وجل {لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس} وقوله تعالى {أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير} وقال سبحانه وتعالى {ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير}.

{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ} (قّ:12)

يقول تعالى متهددا لكفار قريش بما أحله بأشباههم ونظرائهم وأمثالهم من المكذبين قبلهم كقوم نوح وما عذبهم الله تعالى به من الغرق العام لجميع أهل الأرض وأصحاب الرس وقد تقدمت قصتهم في سورة الفرقان.

{وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ} (قّ:13) {وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ} (قّ:14)

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات أخر، كقوله تعالى في هذه السورة الكريمة: {قَالَ لاَ تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَىَّ} وقوله تعالى في سورة ص {إِن كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ}. وبهذا تعلم أن الوعيد الذي لا يمتنع إخلافه هو وعيد عصاة المسلمين بتعذيبهم على كبائر الذنوب، لأن الله تعالى أوضح ذلك في قوله فى النساء: {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ} وهذا في الحقيقة تجاوز من الله عن ذنوب عباده المؤمنين العاصين، ولا إشكال في ذلك، وقد أوضحنا في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: {قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَآ إِلاَّ مَا شَآءَ اللهُ}.

{أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ} (قّ:15)

هذه الآية الكريمة من براهين البعث، لأن من لم يعي بخلق الناس ولم يعجز عن إيجادهم الأول لا شك في قدرته على إعادتهم وخلقهم مرة أخرى، لأن الإعادة لا يمكن أن تكون أصعب من البدء. والآيات الدالة على هذا كثيرة جداً، كقوله تعالى فى الروم: {وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}. وقوله تعالى فى يس: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ} وقوله فى الاسراء: {فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة،وقد أوضحنا الآيات الدالة على براهين البعث في البقرة والنحل والحج والجاثية وغير ذلك، وأحلنا على ذلك مراراً كثيرة.

{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} (قّ:16)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة هود في الكلام على قوله تعالى: {أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}.

{وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} (قّ:16)

يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه كما قال في المحتضر {ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون} يعني ملائكته وكما قال تبارك وتعالى {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن بإذن الله عز وجل.

{إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ} (قّ:17) {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (قّ:18)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الإنسان عليه حفظة من الملائكة يكتبون أعماله، جاء موضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله. كقوله تعالى فى الانفطار: {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَاماً كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ}. وقوله تعالى فى الزخرف: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ}. وقوله تعالى فى الجاثية: {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}. وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى {كَلاَّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ}. وفي سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: {سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ}.

{وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ}(قّ:19) {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ}(قّ:20) {وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ}(قّ:21) {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ}(قّ:22)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النمل في الكلام على قوله تعالى: {بَلِ ادارَكَ عِلْمُهُمْ فِى الأَخِرَةِ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ}.

{وَقَالَ قَرِينُهُ هٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ}(قّ:23) {أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ}(قّ:24) {مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ}(قّ:25) {الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ}(قّ:26) {قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ} (قّ:27)

{قال قرينه} هو الشيطان الذي وكل به {ربنا ما أطغيته} أي ما أضللته {ولكن كان في ضلال بعيد} أي بل كان هو في نفسه ضالا قابلا للباطل معاندا للحق كما أخبر سبحانه وتعالى في الآية الأخرى في قوله {وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم}.

{قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ}(قّ:28) {مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}(قّ:29) {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ}(قّ:30)

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة يس في الكلام على قوله تعالى: {لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ}، لأن إقسامه تعالى في هذه الآية المدلول عليه بلام التوطئة في لأملأن على أنه يملأ جهنم من الجنة والناس، دليل على أنها لا بد أن تمتلىء ولذا قالوا: إن معنى هل من مزيد، لا مزيد، لأني قد امتلأت فليس في محل للمزيد، وهذا هو الأصح، ولما ثبت في الصحيحين، وغيرهما عن النبي «أن جهنم لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط»لأن في هذا الحديث المتفق عليه التصريح بقولها قط قط، أي كفاني قد امتلأت، وأن قولها قبل ذلك هل من مزيد لطلب الزيادة، وهذا الحديث الصحيح من أحاديث الصفات، وقد قدمنا الكلام عليها مستوفى في سورة الأعراف والقتال. واعلم أن قول النار في هذه الآية: هل من مزيد، قول حقيقي ينطقها الله به وقد أوضحنا ذلك بأدلته في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: {إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً}.

{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ} (قّ:31)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من إزلاف الجنة للمتقين جاء في مواضع أخر من كتاب الله كقوله تعالى فى التكوير: {وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ}، وقوله تعالى فى الشعراء: {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ}.

{هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ}(قّ:32) {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ}(قّ:33) {ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ}(قّ:34) {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}(قّ:35)

قوله: {لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا} قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِى اللهُ الْمُتَّقِينَ}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ}. قال بعض العلماء: المزيد النظر إلى وجه الله الكريم، ويستأنس لذلك بقوله تعالى فى يونس: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}، لأن الحسنى الجنة، والزيادة النظر،

)وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ) (قّ:36)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى {فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ} .

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}(قّ:37) {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ}(قّ:38)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} وبينا هناك أن الله أوضح ذلك في فصلت في قوله تعالى: {قُلْ أَءِنَّكُمْ لَتَكْفُرُون بِالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ} إلى قوله ـــ {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ} . وأوضحنا ذلك في سورة فصلت.

{فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ} (قّ:39)

ما تضمنته هذه الآية الكريمة من أمره تعالى لنبيه بالصبر على ما يقوله الكفار والتسبيح بحمده جل وعلا أطراف النهار، قد ذكره الله في غير هذا الموضع كقوله تعالى في أخريات طه: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْس وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآءِ الَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى}، وأمره له بالتسبيح بعد أمره له بالصبر على أذى الكفار فيه دليل على أن التسبيح يعينه الله به على الصبر المأمور به، والصلاة داخلة في التسبيح المذكور كما قدمنا إيضاح ذلك، وذكرنا فيه حديث نعيم بن همار في آخر الحجر في الكلام على قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ}، وبينا هنالك أن الله أمر بالاستعانة بالصبر وبالصلاة كما قال تعالى: {وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوةِ} .

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ}(قّ:40) {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ} (قّ:41)

{يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ} (قّ:42)

قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة في سورة يس في الكلام على قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ}.

{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ}(قّ:43) {يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ} (قّ:44)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الناس يوم البعث يخرجون من قبورهم مسرعين إلى المحشر قاصدين نحو الداعي، جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى فى المعارج: {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ}، وقوله تعالى فى يس: {وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ}.وقوله: {يَنسِلُونَ} أي يسرعون، وقوله تعالى فى القمر {يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ}، فقوله {مُّهْطِعِينَ}: أي مسرعين مادي أعناقهم على الأصح، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة يس في الكلام على قوله: {فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ}.

{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} (قّ:45)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة يونس في الكلام على قوله تعالى: {أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}.

{ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ} (ق:45)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة فاطر في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُواْ الصَّلَوةَ}.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الذاريات

{وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً} (الذريات:1) {فَالْحَامِلاتِ وِقْراً} (الذريات:2) { فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً } (الذريات:3) {فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً} (الذريات:4) {إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ} (الذريات:5) {وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ} (الذريات:6)

المراد بالذاريات الرياح ويدل عليه أن الذرو صفة مشهورة من صفات الرياح. ومنه قوله تعالى {فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ}. المراد بالحاملات وقراً: السحاب. أي المزن تحمل وقراً ثقلاً من الماء. ويدل لهذا القول تصريح الله جل وعلا بوصف السحاب بالثقال، وهو جمع ثقيلة، وذلك لثقل السحابة بوقر الماء الذي تحمله كقوله تعالى: {وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَالَ}،وهو جمع سحابة ثقيلة، وقوله تعالى {حَتَّى إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ}.ولو قال قائل: إن الحاملات وقراً الرياح أيضاً كان وجهه ظاهراً. ودلالة بعض الآيات عليه واضحة، لأن الله تعالى صرح بأن الرياح تحمل السحاب الثقال بالماء، وإذا كانت الرياح هي التي تحمل السحاب إلى حيث شاء الله، فنسبة حمل ذلك الوقر إليها أظهر من نسبته إلى السحاب التي هي محمولة للرياح، وذلك في قوله تعالى {وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرىً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ}. فقوله تعالى: {حَتَّى إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً}: أي حتى إذا حملت الرياح سحاباً ثقالاً، فالإقلال الحمل، وهو مسند إلى الريح. ودلالة هذا على أن الحاملات وقراً هي الرياح ظاهرة كما ترى، ويصح شمول الآية لجميع ذلك. أكثر أهل العلم على أن المراد بالجاريات يسراً: السفن تجري في البحر يسراً أي جرياً ذا يسر أي سهولة. ويدل لهذا القول كثرة إطلاق الوصف بالجري على السفن كقوله تعالى: {وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِى

الْبَحْرِ}، وقوله: {إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَآءُ حَمَلْنَاكُمْ فِى الْجَارِيَةِ}، وقوله تعالى: {وَالْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ} وقوله تعالى: {اللهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِىَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ} إلى غير ذلك من الآيات. وقوله تعالى: {فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً}: هي الملائكة يرسلها الله في شؤون وأمور مختلفة، ولذا عبر عنها بالمقسمات، ويدل لهذا قوله تعالى: {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً}، فمنهم من يرسل لتسخير المطر والريح، ومنهم من يرسل لكتابة الأعمال، ومنهم من يرسل لقبض الأرواح ومنهم من يرسل لإهلاك الأمم، كما وقع لقوم صالح. والمراد بالدين هنا الجزاء، أي وإن الجزاء يوم القيامة لواقع لا محالة كما قال تعالى {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ} أي جزاءهم بالعدل والإنصاف، وكقوله تعالى: {وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَآءَ الأَوْفَى}. وقد نزه الله نفسه عن كونه خلق الخلق لا لبعث وجزاء، وبين أن ذلك ظن الكفار، وهددهم على ذلك الظن السيىء بالويل من النار، قال تعالى منكراً على من ظن عدم البعث والجزاء، ومنزهاً نفسه عن أنه خلقهم عبثاً لا لبعث وجزاء: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَاخَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}. وقال تعالى: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَآءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِين كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النَّارِ}.

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ}(الذريات: 7) {إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ}(الذريات: 8)

أي إنكم أيها الكفار لفي قول مختلف في شأن النبي وشأن القرآن، لأن بعضهم يقول: هو شعر، وبعضهم يقول: سحر، وبعضهم يقول: كهانة، وبعضهم يقول: أساطير الأولين. ويدل على أن الاختلاف إنما هو بين المكذبين دون المصدقين. قوله تعالى في ق {بَلْ كَذَّبُواْ بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِى أَمْرٍ مَّرِيجٍ} أي مختلط.

{يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ}(الذريات: 9)

فهذا القول المختلف الذي يحاول كفار مكة أن يصدوا به الناس عن الإسلام، الذي يقول فيه بعضهم: إن الرسول ساحر، وبعضهم يقول شاعر، وبعضهم يقول: كذاب. ظاهر البطلان لتناقضه وتكذيب بعضه لبعض، فلا يُصرف عن الإسلام بسببه إلا من صُرِف، أي صرفه الله عن الحق لشقاوته، وهذا المعنى جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى: {فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ إِلاَّ مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ}.

{قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ} (الذريات:10)

وقوله تعالي {قتل الخراصون} هي مثل التي في عبس {قتل الإنسان ما أكفره}. وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما {قتل الخراصون} أي لعن المرتابون. وهكذا كان معاذ رضي الله عنه يقول في خطبته هلك المرتابون.

{الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ} (الذريات: 11) {يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ} (الذريات:12) {يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ} (الذريات: 13) {ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ} (الذريات:14) {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ) (الذريات:15)

الإيماء والتنبيه على أن سبب نيل هذه الجنات والعيون هو تقوى الله والسبب الشرعي هو العلة الشرعية على الأصح، وكون التقوى سبب دخول الجنات الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة، جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: {تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً} وقد قدمنا الآيات الموضحة لذلك في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِى اللهُ الْمُتَّقِينَ}.

{آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ} (الذريات:16)

كقوله جل جلاله {كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية}.

{كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ}(الذريات:17) {وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} (الذريات:18) {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}(الذريات:19) {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ} (الذريات:20) {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ} (الذريات:21)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة الجاثية.

{وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} (الذريات:22)

ذهبت جماعة من أهل العلم، أن المراد أن جميع أرزاقهم منشؤها من المطر وهو نازل من السماء، ويكثر في القرآن إطلاق اسم الرزق على المطر، لهذا المعنى كقوله تعالى: {هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَآءِ رِزْقاً}. وقوله تعالى: {وَاخْتِلَافِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَآءِ مِّن رِّزْقٍ}. وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة المؤمن. وقال بعض أهل العلم: معنى قوله: {وَفِى السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ} أن أرزاقكم مقدرة مكتوبة، والله جل وعلا يدبر أمر الأرض من السماء، كما قال تعالى: {يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَآءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ}.

وقال بعض أهل العلم المراد بما يوعدون: الجنة، لأن الجنة فوق السماوات، فإطلاق كونها في السماء إطلاق عربي صحيح. وقال بعض أهل العلم: وما توعدون من الخير والشر كله مقدر في السماء، كما بيناه في القول الثاني في المراد بالرزق في الآية، وهذا المعنى فيما يوعدون به أنسب.

{فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ} (الذريات:23) {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ}(الذريات:24) {إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ} (الذريات:25)

قد قدمنا إيضاحه في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى {وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ} . وفي سورة هود في القصة المذكورة.

{فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ}(الذريات:26) {فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ}(الذريات:27) {فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ}(الذريات:28){فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ}(الذريات:29) {قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ} (الذريات:31) {قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ}(الذريات:32) {قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ

مُجْرِمِينَ}(الذريات:32) {لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ}(الذريات:33) {مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ

لِلْمُسْرِفِينَ} (الذريات:34)

{ مسومة} أي معلمة بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه فقال في سورة العنكبوت{ قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين}.

{فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}(الذريات:35) {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}

(الذريات:36) {وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ} (الذريات:37)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى: {وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ}، وفي غير ذلك من المواضع.

{وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ} (الذريات:38) {فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ

مَجْنُونٌ}(الذريات:39) {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ} (الذريات:40) {وَفِي عَادٍ

إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ} (الذريات:41)

قد قدمنا الآيات الموضحة لذلك في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً}

{مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ} (الذريات:42) {وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ} (الذريات:43) {فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ} (الذريات:44)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ}.

{فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ} (الذريات:46) {وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ} (الذريات:46) {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} (الذريات:47)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة ق في الكلام على قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا}.

{وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ} (الذريات:48) {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (الذريات:49) {فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} (الذريات:50) {وَلا تَجْعَلُوا مَعَ

اللهِ إِلَهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ} (الذريات:51) {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا

قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ} (الذريات:52) {أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} (الذريات:53)

وقد أوضح تعالى هذا المعنى في سورة البقرة: {كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ}.

{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ} (الذريات:54)

وقد أوضح هذا المعنى في غير هذا الموضع كقوله تعالى {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الأِسْلاَمَ دِيناً}. وقوله تعالى: {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ}،

{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} (الذريات:55)

هذه الآية الكريمة، فإنها تضمنت واحدة من حكم التذكير وهي رجاء انتفاع المذكر به. ومن حكم ذلك أيضاً خروج المذكر من عهدة التكليف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد جمع الله هاتين الحكمتين في قوله {قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}. ومن حكم ذلك أيضاً النيابة عن الرسل في إقامة حجة الله على خلقه في أرضه لأن الله تعالى يقول {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}. وقد بين هذه الحجة في آخر طه في قوله {وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَاهُمْ

بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ}. وأشار لها في القصص في قوله {وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}. وقد قدمنا هذه الحكم في سورة المائدة في الكلام على قوله تعالى {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}.

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (الذريات:56)

التحقيق إن شاء الله في معنى هذه الآية الكريمة {إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}، أي إلا لآمرهم بعبادتي وأبتليهم أي أختبرهم بالتكاليف ثم أجازيهم على أعمالهم، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وإنما قلنا إن هذا هو التحقيق في معنى الآية، لأنه تدل عليه آيات محكمات من كتاب الله، فقد صرح تعالى في آيات من كتابه أنه خلقهم ليبتليهم أيهم أحسن عملاً، وأنه خلقهم ليجزيهم بأعمالهم. قال تعالى في أول سورة هود: {وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَآءِ}، ثم بين الحكمة في ذلك فقال: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُمْ مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ}. وقال تعالى في أول سورة الملك: {الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}. وقال تعالى في أول سورة الكهف: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُم أَحْسَنُ عَمَلاً}. فتصريحه جل وعلا في هذه الآيات المذكورة بأن حكمة خلقه للخلق، هي ابتلاؤهم أيهم أحسن عملاً، يفسر قوله {لِيَعْبُدُونِ}. وخير ما يفسر به القرآن القرآن. ومعلوم أن نتيجة العمل المقصود منه لا تتم إلا بجزاء المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ولذا صرح تعالى بأن حكمة خلقهم أولاً وبعثهم ثانياً، هو جزاء المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، وذلك في قوله تعالى في أول يونس: {إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِىَ الَّذِينَ ءامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ}، وقوله في النجم: {وَلله مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ لِيَجْزِى الَّذِينَ أَسَاءُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيِجْزِى الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى}. والبراهين على البعث دالة على الجزاء، وقد نزه تعالى نفسه عن هذا الظن الذي ظنه الكفار به تعالى، وهو أنه لا يبعث الخلق ولا يجازيهم منكراً ذلك عليهم في قوله: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}. وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في أول سورة الأحقاف في الكلام على قوله تعالى: {مَاخَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى}.

{مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ} (الذريات:57)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: {وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ}.

{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} (الذريات:58) {فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلا يَسْتَعْجِلُونِ} (الذريات:59)

وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى: {قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَى عَنْهُمْ مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَالَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ هَؤُلاَءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ}.وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {فَلاَ يَسْتَعْجِلُونِ} قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى: {وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ}. وفي سورة مريم في الكلام على قوله: {فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدّاً} وغير ذلك من المواضع.

{فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} (الذريات:60)

ما تضمنته هذه الآية الكريمة من تهديد الكفار بالويل من يوم القيامة لما ينالهم فيه من عذاب النار، جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى في ص {فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النَّارِ}. وقوله في إبراهيم {وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ}. وقوله في المرسلات: {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الطور

{وَالطُّورِ}(الطور:1) {1وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ}(الطور:2) {فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ} (الطور:3) {وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ}(الطور:4) {وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ} (الطور:5){ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ}(الطور:6) {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ}(الطور:7) {مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ} (الطور:8)

والأظهر أن الطور هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى، وقد أقسم الله تعالى بالطور في قوله فى التين: {وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ}. والأظهر أن الكتاب المسطور هو القرآن العظيم، وقد أكثر الله من الإقسام به في كتابه كقوله تعالى فى الزخرف: {حـــم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ}. وقوله تعالى فى يس {يس وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ}. وقوله {وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ}: هو السماء، وقد أقسم بالله بها في كتابه في آيات متعددة كقوله فى الذاريات: {وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْحُبُكِ} وقوله فى البروج: {وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} وقوله تعالى فى الشمس {وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنَاهَا} والرق بفتح الراء كل ما يكتب فيه من صحيفة وغيرها، وقيل هو الجلد المرقق ليكتب فيه. وقوله: {مَّنْشُورٍ} أي مبسوط، ومنه قوله فى الاسراء: {كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُوراً}. وقوله فى المدثر: {بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفاً مُّنَشَّرَةً}.وقوله {وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ}: هو البيت المعروف في السماء المسمى بالضراح بضم الضاد، وقيل فيه معمور، لكثرة ما يغشاه من الملائكة المتعبدين، فقد جاء الحديث أنه يزوره كل يوم سبعون ألف ملك، ولا يعودون إليه بعدها. وقوله: {وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ} كما في قوله فى التكوير {وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ}. {إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ}، قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول الذاريات، وفي غير ذلك من المواضع.

{يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً}(الطور:9) {وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً}(الطور:10) {فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}(الطور:11) {الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ}(الطور:12){ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِإِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً}(الطور:13) {هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ} (الطور:14)

كونهم يدفعون إلى النار بقوة فقد ذكره الله جل وعلا في آيات من كتابه كقوله تعالى فى الدخان: {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَآءِ الْجَحِيمِ}. وقوله تعالى فى الرحمن: {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِى وَالأَقْدَامِ} وقد بين جل وعلا أنهم أيضاً يسحبون في النار على وجوههم في آيات من كتابه كقوله تعالى فى القمر: {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ}، وقوله تعالى فى غافر: {الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِالْكِـتَابِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْف يَعْلَمُونَ إِذِ الأَغْلاَلُ فِى أَعْنَاقِهِمْ والسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِى الْحَمِيمِ ثُمَّ فِى النَّارِ يُسْجَرُونَ}. كونهم يقال لهم {هَذِهِ النَّارُ الَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ}، وقد ذكره تعالى في آيات من كتابه كقوله في السجدة {كُلَّمَآ أَرَادُواْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} وقوله في سبأ {فَالْيَوْمَ لاَ يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلاَ ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ النَّارِ الَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ} وقوله تعالى في المرسلات: {انطَلِقُواْ إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَانطَلِقُواْ إِلَى ظِلٍّ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ لاَّ ظَلِيلٍ وَلاَ يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ}، إلى غير ذلك من الآيات.

{أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ}(الطور:15) {اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}(الطور:16)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار معذبون في النار لا محالة، سواء صبروا أو لم يصبروا، فلا ينفعهم في ذلك صبر ولا جزع، وقد أوضح هذا المعنى في قوله فى ابراهيم: {قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ}.

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ}(الطور:17) {فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}(الطور:18) {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (الطور:19) {مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ}(الطور:20){ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ}(الطور:21)

ظاهر هذه الآية الكريمة العموم في جميع الناس، وقد بين تعالى في آيات أخر أن أصحاب اليمين خارجون من هذا العموم، وذلك في قوله تعالى فى المدثر: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِى جَنَّاتٍ يَتَسَآءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ}

{وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ} (الطور:22)

لم يذكر هنا شيء من صفات هذه الفاكهة ولا هذا اللحم إلا أنه مما يشتهون. وقد بين صفات هذه الفاكهة في مواضع أخر كقوله تعالى فى الواقعة: {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ} وبين أنها أنواع في مواضع أخر كقوله فى محمد: {وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ} وقوله تعالى فى البقرة {كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا

الَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً}. وقوله تعالى فى الصافات {أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ} إلى غير ذلك من الآيات. ووصف اللحم المذكور بأنه من الطير، والفاكهة بأنها مما يتخيرونه على غيره، وذلك في قوله فى الواقعة {وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ}.

{يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ} (الطور: 23)

كما قال تعالى فى محمد: {وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ} وما تضمنته هذه الآية الكريمة من مخالفة خمر الآخرة لخمر الدنيا، جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى فى الصافات {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ} وقوله {لاَ فِيهَا غَوْلٌ}: أي ليس فيها غول يغتال العقول، فيذهبها كخمر الدنيا. {وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ}: أي لا يسكرون، وكقوله تعالى فى الواقعة: {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ لاَّ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ}: وقوله {لاَّ يُصَدَّعُونَ} أي لا يصيبهم الصداع الذي هو وجع الرأس بسببها. وقد أوضحنا معنى هذه الآيات في صفة خمر الآخرة، وبينا أنها مخالفة في جميع الصفات لخمر الدنيا. وذكرنا الشواهد العربية في ذلك في سورة المائدة في الكلام على قوله تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ}.

{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ} (الطور: 24)

وبين تعالى في الواقعة بعض ما يطوفون عليهم به في قوله {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ}. وزاد في هذه الآية كونهم مخلدين، وذكر بعض ما يطاف عليهم به في قوله فى الزخرف: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ}، وقوله تعالى فى الانسان: {وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاْ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً}. وذكر بعض صفات هؤلاء الغلمان في الإنسان في قوله تعالى: {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً}.

{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ}(الطور:25) {قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ}(الطور:26) {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ}(الطور:27)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة بمنطوقها ومفهومها جاء موضحاً في غير هذا الموضوع. فذكر تعالى أن السرور في الدنيا وعدم الخوف من الله سبب العذاب يوم القيامة، وذلك في قوله فى الانشقاق {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراًوَيَصْلَى سَعِيراًإِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ}. وقد ذكر جل وعلا أن الإشفاق من عذاب الله من أسباب دخول الجنة والنجاة من العذاب يوم القيامة، كما دل عليه منطوق آية الطور هذه، قال تعالى في المعارج {وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ} ـــ إلى قوله ـــ {أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ}، وذكر ذلك من صفات أهل الجنة في قوله تعالى فى المؤمنون {إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ} ـــ إلى قوله ـــ {أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ}، وقد قال تعالى فى الواقعة: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ }. وقوله في آية الواقعة المذكورة: {وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ}، أي يديمون ويعزمون على الذنب الكبير، كالشرك وإنكار البعث، وقيل المراد بالحنث: حنثهم في اليمين الفاجرة كما في قوله تعالى فى النحل: {وَأَقْسَمُواْ بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لاَ يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ}.

{إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ}(الطور:28) {فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ}(الطور:29) {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ} (الطور:30)

نفى الله جل وعلا عن نبيه في هاتين الآيتين الكريمتين ثلاث صفات قبيحة عن نبيه رماه بها الكفار، وهي الكهانة والجنون والشعر وقد جاءت آيات أخر بنفي هذه الصفات عنه كقوله تعالى في نفي الجنون عنه في أول القلم: {مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} وقوله في التكوير {وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ} وكقوله في نفي الصفتين

الأخيرتين أعني الكهانة والشعر فى الحاقة: {وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ}، وقد قدمنا بعض الكلام على هذا في سورة الشعراء وغيرها.

{قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ}(الطور:32) {أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ}(الطور:32) {أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ}(الطور:33){ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ}(الطور:34)

قد قدمنا أن الله تحداهم بسورة واحدة من هذا القرآن في سورة البقرة في قوله: {فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ اللهِ}. وفي سورة يونس في قوله تعالى {قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللهِ}. وتحداهم في سورة هود بعشر سور منه في قوله: {قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ}. وتحداهم في سورة الطور هذه به كله في قوله {فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ}. وبين في سورة بني إسرائيل أنهم لا يقدرون على شيء من ذلك في قوله {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْءَانِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ}. وقد أطلق جل وعلا اسم الحديث على القرآن في قوله هنا: {فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ} كما أطلق عليه ذلك في قوله فى الزمر {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً}، وقوله تعالى {مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ}.

{أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} (الطور:35)

قد قدمنا الكلام عليه وعلى الآيات المشابهة له في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى {أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً}.

{أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ}(الطور:36) {أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ}(الطور:37) {أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ}(الطور:38)

قد قدمنا الكلام عليه وعلى الآيات المشابهة له في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى {وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا}.

{أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ}(الطور:39)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {وَيَجْعَلُونَ لله الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ}، وفي مواضع أخر متعددة.

{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ}(الطور:40)

قد قدمنا الآيات الموضحة له وما يتعلق بها من الأحكام في سورة هود في الكلام على قوله تعالى {وَيَاقَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً}.

{أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ}(الطور:41) {أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ}(الطور:42) {أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ} (الطور:43) {وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ} (الطور:44)

قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ}، وفي غير ذلك من المواضع.

{فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ} (الطور:45) {يَوْمَ لا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ} (الطور:46)

بين جل وعلا في هذه الآية أن كيد الكفار لا يغني عنهم شيئاً في الآخرة في غير هذا الموضع، كقوله تعالى فى المرسلات {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ فَإِن كَانَ لَكمُ كَيْدٌ فَكِيدُونِ}. وبين أنه لا ينفعهم في الدنيا أيضاً كقوله تعالى في هذه السورة الكريمة {أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ الْمَكِيدُونَ} وقوله فى الطارق {إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً}، وقوله فى القلم {سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ} إلى غير ذلك من الآيات.

{وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ} (الطور:47)

الظاهر أن قوله {عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ} هو ما عذبوا به في دار الدنيا من القتل وغيره، كما دل على ذلك قوله فى السجدة {وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ}. وقوله تعالى فى التوبة {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ} إلى غير ذلك من الآيات، ولا مانع من دخول عذاب القبر في ذلك، لأنه قد يدخل في ظاهر الآية.

{وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ} (الطور:48){ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ} (الطور:49)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النجم

{وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ}(النجم:1) {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ}(النجم:2) {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ}(النجم:3)

المراد بالنجم إذا هوى هنا في هذه السورة، وبمواقع النجوم في الواقعة هو نجوم القرآن التي نزل بها الملك نجماً فنجماً، وذلك لأمرين أحدهما أن هذا الذي أقسم الله عليه بالنجم إذا هوى الذي هو أن النبي على حق وأنه ما ضل وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى موافق في المعنى لما أقسم عليه بمواقع النجوم، وهو قوله فى الواقعة: {إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ فِى كِتَابٍ مَّكْنُونٍ} ــ إلى قوله ــ {تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ}. والإقسام بالقرآن على صحة رسالة النبي وعلى صدق القرآن العظيم وأنه منزل من الله جاء موضحاً في آيات من كتاب الله كقوله تعالى فى يس: {يس وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ}. وقوله تعالى فى الزخرف: {حـــم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُم تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ} وخير ما يفسر به القرآن القرآن. والثاني: أن كون المقسم به المعبر بالنجوم، هو القرآن العظيم أنسب لقوله بعده فى الواقعة: {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ}، لأن هذا التعظيم من الله يدل على أن هذا المقسم به في غاية العظمة. ولا شك أن القرآن الذي هو كلام الله أنسب لذلك من نجوم السماء ونجم الأرض. والعلم عند الله تعالى. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ}، قال بعض العلماء: الضلال يقع من الجهل بالحق، والغيي هو العدول عن الحق مع معرفته، أي ما جهل الحق وما عدل

عنه، بل هو عالم بالحق متبع له. وقد قدمنا إطلاقات الضلال في القرآن بشواهدها العربية في سورة الشعراء في الكلام علىقوله تعالى: {قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذاً وَأَنَاْ مِنَ الضَّآلِّينَ } وفي سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ}. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كونه على هدى مستقيم، جاء موضحاً في آيات كثيرة، من كتاب الله كقوله تعالى فى النمل: {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ} وقوله تعالى فى الحج {فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِى الأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ} وقوله تعالى فى الشورى: {وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}. وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى} استدل به علماء الأصول على أن النبي لم يكن يجتهد، والذين قالوا إنه قد يقع منه الاجتهاد، استدلوا بقوله تعالى فى التوبة: {عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ}. وقوله تعالى فى الانفال: {مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ}. وقوله تعالى فى التوبة: {مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ}. قالوا: فلو لم يكن هذا عن اجتهاد، لما قال {عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ}. ولما قال: {مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى}، ولا منافاة بين الآيات، لأن قوله:

{إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} (النجم:4)

معناه أن النبي لا يبلغ عن الله إلا شيئاً أوحى الله إليه أن يبلغه، فمن يقول: إنه شعر أو سحر أو كهانة، أو أساطير الأولين هو أكذب خلق الله وأكفرهم، ولا ينافي ذلك أنه أذن للمتخلفين عن غزوة تبوك، وأسر الأسارى يوم بدر، واستغفر لعمه أبي طالب من غير أن ينزل عليه وحي خاص في ذلك، وقد أوضحنا هذا في غير هذا الموضع.

{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى} (النجم:5)

المراد بشديد القوى في هذه الآية: هو جبريل عليه السلام. وهذه الآية الكريمة قد تضمنت أمرين: أحدهما: أن هذا الوحي الذي من أعظمه هذا القرآن العظيم، علمه جبريل النبي بأمر من الله. والثاني: أن جبريل شديد القوة. وهذان الأمران جاءا موضحين في غير هذا الموضع.

أما الأول منهما وهو كون جبريل نزل عليه بهذا الوحي وعلمه إياه، فقد جاء موضحاً في آيات من كتاب الله كقوله تعالى فى البقرة: {قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلٰى قَلْبِكَ بِإِذْنِ الله}. وقوله تعالى فى الشعراء: {وَإِنَّهُ لَتنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلٰى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ}. وقوله تعالى فى طه: {وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْءانِ مِن قَبْلِ إَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}. وقوله تعالى فى القيامة: {لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ} وأما الأمر الثاني، وهو شدة قوة جبريل النازل بهذا الوحي، فقد ذكره في قوله فى التكوير: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ}. وقوله في آية التكوير هذه: {لَقَوْلُ رَسُولٍ} أي لقوله المبلغ له عن الله.

{ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوٰى}(النجم:6) {وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلٰى}(النجم:7){ثُمَّ دَنَا فَتَدَلّٰى} (النجم:8) {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنٰى}(النجم:9) {فَأَوْحٰى إِلٰى عَبْدِهِ مَا أَوْحٰى} (النجم:10) {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى}(النجم:11) {أَفَتُمَارُونَهُ عَلٰى مَا يَرٰى} (النجم:12) {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرٰى}(النجم:13) {عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهٰى} (النجم:14) {عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوٰى}(النجم:15) {إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشٰى}(النجم:16) {مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغٰى}(النجم:17)

قد قدمنا بعض الكلام عليه في أول سورة الإسراء.

{لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرٰى}(لنجم:18)

وله تعالى {لقد رأى من آيات ربه الكبرى} كقوله {لنريه من آياتنا الكبرى} أي الدالة على قدرتنا وعظمتنا وبهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع لأنه قال {لقد رأى من آيات ربه الكبرى} ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس وقد تقدم تقرير ذلك في سورة سبحان.

{أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى}(النجم:19) {وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرٰى}(النجم:20){ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثٰى}(النجم:21) {تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزٰى}(النجم:22)

قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {وَيَجْعَلُونَ للهِ الْبَنَاتِ}، وفي مواضع متعددة من هذا الكتاب المبارك.

{إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى}(النجم:23) {أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى}(النجم:24)

أي ليس كل من تمنى خيرا حصل له كقوله تعالى {ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب} ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال ولا كل من ود شيئا يحصل له.

{فَللهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى}(النجم:25)

بيّن هذا في غير هذا الموضع كقوله فى الليل {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَى} وبين في موضع آخر أن له كل شيء، وذلك في قوله فى النحل: {إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَىءٍ}،

{وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى}(النجم:26)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى: {وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ}، وفي غير ذلك من المواضع.

{إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى}(النجم:27)

وقد قدمنا الآيات الموضحة في سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: {وَجَعَلُواْ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً}، وفي غير ذلك من المواضع.

{وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً} (النجم:28) {فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} (النجم:29) {ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدٰى}(النجم:30) {وَلله مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنٰى}(النجم:31)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الأحقاف في الكلام على قوله تعالى {مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى}، وفي سورة الذاريات في الكلام على قوله تعالى: {وَمَاخَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}

{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْأِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ} (النجم:32)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة شورى في الكلام على قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ}.

{ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ} (النجم:32)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النساء في الكلام على قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ}، وفي غير ذلك من المواضع.

{هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقٰى}(النجم:32) {أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى}(النجم:33) {وَأَعْطٰى قَلِيلاً وَأَكْدٰى}(النجم:34) {أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرٰى}(النجم:35) {أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسٰى}(النجم:36) {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}(النجم:37){ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرٰى}(النجم:38) {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعٰى(}النجم:39){ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرٰى}(النجم:40) {ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفٰى} (النجم:41)

وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة سبعة أمور:

الأول: إنكار علم الغيب المدلول عليه بالهمزة في قوله: {أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ} والمراد نفي علمه للغيب.

الثاني: أن لكل من إبراهيم وموسى صحفاً لم ينبأ بما فيها هذا الكافر.

الثالث: أن إبراهيم وفَّى أي أتم القيام بالتكاليف التي كلفه ربه بها.

الرابع: أن في تلك الصحف، أنه لا تزر وازرة وزر أخرى.

الخامس: أن فيها أيضاً أنه ليس للإنسان إلا ما سعى.

السادس: أن سعيه سوف يُرى. السابع: أنه يجزاه جزاء الأوفى، أي الأكمل الأتم.

وهذه الأمور السبعة قد جاءت كلها موضحة في غير هذا الموضع.

أما الأول منها، وهو عدم علمهم الغيب، فقد ذكره تعالى في مواضع كثيرة كقوله تعالى فى الطور: {أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ}. وقوله فى مريم: {أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْداً}. وقوله فى آل عمران: {وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} وقوله {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُول} الآية. وقوله تعالى فى النمل: {قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ} والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة، وقد قدمناها مراراً.

والثاني: الذي هو أن لإبراهيم وموسى صحفاً لم يكن هذا المتولي المعطي قليلاً المكدي عالماً بها، ذكره تعالى في قوله فى الاعلى: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}.

والثالث: منها وهو إبراهيم وفي تكاليفه، فقد ذكره تعالى في قوله فى البقرة: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ}، وقد قدمنا أن الأصح في الكلمات التي ابتلى بها أنها التكاليف.

وأما الرابع منها: وهو أنه لا تزر وازرة وزر أخرى، فقد ذكره تعالى في آيات من كتابه كقوله تعالى فى العنكبوت: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} وقوله تعالى فى فاطر {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى}.

وأما الخامس منها: وهو أنه ليس للإنسان إلا ما سعى، فقد جاء موضحاً في آيات من كتاب الله، كقوله تعالى فى الاسراء: {إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا}. وقوله فى فصلت: {مَّنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا} وقوله فى الروم: {وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى} يدل على أن الإنسان لا يستحق أجراً إلا على سعيه بنفسه، ولم تتعرض هذه الآية لانتفاعه بسعي غيره بنفي ولا إثبات، لأن قوله: {وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى} قد دلت اللام فيه على أنه لا يستحق ولا يملك شيئاً إلا بسعيه، ولم تتعرض لنفي الانتفاع بما ليس ملكاً له ولا مستحقاً له. وقد جاءت آية من كتاب الله تدل على أن الإنسان قد ينتفع بسعي غيره وهي قوله تعالى فى الطور: {وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ}. وقد أوضحنا وجه الجمع بين قوله تعالى: {وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى} وبين قوله: {وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ} في سورة النجم. والأمر السادس والسابع: وهما أن عمله سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى، فقد جاءا موضحين في آيات كثيرة كقوله تعالى فى الاعراف: {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِك الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم}. وقوله تعالى فى الزلزلة: {فَمَن يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْـمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ}. وقوله تعالى فى الانبياء: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ}.

وقوله تعالى فى الاسراء: {وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} والآيات بمثل ذلك كثيرة

{وَأَنَّ إِلٰى رَبِّكَ الْمُنْتَهٰى}(النجم:42) {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكٰى}(النجم:43){ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا) (النجم:44)

كقوله {الذي خلق الموت والحياة}.

{وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثٰى} (النجم:45) {مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى} (النجم:46)

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أنه خلق الزوجين أي النوعين الذكر والأنثى من نطفة، وهي نطفة المني إذا تمنى أي تصب وتراق في الرحم، على أصح القولين. ويدل قوله تعالى فى الواقعة: {أَفَرَءَيْتُمْ مَّا تُمْنُونَ أَءَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَم نَحْنُ الْخَالِقُونَ} وقوله تعالى فى القيامة: {أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى}. وقد قدمنا الكلام على النطفة مستوفىً من جهات في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ}. وفي سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: {ياأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ}، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من الاستدلال بخلق النوعين، أعني الذكر والأنثى من النطفة جاء موضحاً في غير هذا الموضع، وأنه يستدل به على أمرين: هما قدرة الله على البعث، وأنه ما خلق الإنسان إلا ليكلفه ويجازيه، وقد جمع الأمرين قوله تعالى فى النحل: {أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًىأَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن

مَّنِيٍّ يُمْنَىٰثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰفَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَٰى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى} فذكر دلالة ذلك على البعث في قوله فى الحج: { أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَٰى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى}، وذكر أنه ما خلقه ليهمله من التكليف والجزاء، منكراً على من ظن ذلك بقوله: {أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى} أي مهملاً من التكليف والجزاء. وقد قدمنا بعض الكلام على هذا في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَآءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً}.

{وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ}(النجم:47)

قد قدمنا الآيات الموضحة له، وأحلنا عليها مراراً كثيرة.

{وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ}(النجم:48) {وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ}(النجم:49) {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الْأُولَىٰ}(النجم:50) {وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى}(النجم:51)

وقد قدمنا الآيات الموضحة لما أهلك به عاداً، والآيات الموضحة لما أهلك به ثمود في سورة فصلت في قوله تعالى في الكلام في شأن عاد: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً}. وقوله في شأن ثمود: {فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ} قوله تعالى:

{وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ}(النجم:52)

قوله: {وَقَوْمَ نُوحٍ } معطوف على قوله: {وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى} أي وأهلك قوم نوح ولم يبين هنا كيفية إهلاكهم، ولكنه بين ذلك في مواضع أخر من كتابه كقوله تعالى فى الفرقان: {وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ}. وقوله تعالى فى العنكبوت: {فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ}. وقوله تعالى فى الانبياء: {وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ}. وقوله تعالى فى نوح: {مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَاراً}. وقوله تعالى فى هود والمؤمنون: {وَلاَ تُخَاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ} والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون قوم نوح أظلم وأطغى، أي أشد ظلماً وطغياناً من غيرهم، قد بينه تعالى في آيات أخر كقوله تعالى فى نوح: {قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلاً وَنَهَاراًفَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآئِى إِلاَّ فِرَاراً وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُواْ أَصَابِعَهُمْ فِى ءَاذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَاسْتَكْبَرُواْ اسْتِكْبَاراً}. وقوله تعالى فى نوح: {قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَاتَّبَعُواْ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراًوَمَكَرُواْ مَكْراً كُبَّاراً} ــ إلى قوله ــ {وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيراً}. وقوله تعالى فى نوح: {إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُواْ إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً}. وقوله فى هود: {وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ}. ومن أعظم الأدلة على ذلك قوله تعالى: {فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً} لأن قوماً لم يتأثروا بدعوة نبي كريم ناصح في هذا الزمن الطويل، لا شك أنهم أظلم الناس وأطغاهم.

{وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ} (النجم: 53)

المؤتفكة، مفتعلة من الإفك، وهو القلب والصرف، والمراد بها قرى قوم لوط بدليل قوله في غير هذا الموضع فى التوبة والحاقة: {وَالْمُؤْتَفِكَاتِ} بالجمع. ومعنى أفكها أنه رفعها نحو السماء ثم قلبها جاعلاً أعلاها أسفلها وقد أوضح تعالى هذا المعنى في سورة هود في قوله تعالى: {فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً}. وقوله تعالى في سورة الحجر: {فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ}.

{فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى} (النجم:54) {فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى} (النجم:55) {هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى} (النجم:56)

{هذا نذير} يعني محمدا صلى الله عليه وسلم {من النذر الأولى} أي من جنسهم أرسل كما أرسلوا كما قال تعالى {قل ما كنت بدعا من الرسل}.

{أَزِفَتِ الْآزِفَةُ} (النجم:57)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة النحل في الكلام على قوله تعالى {أَتَى أَمْرُ الله}، وفي سورة المؤمن في قوله تعالى: {وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ}.

{لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ} (النجم:58)

أي لا يدفعها إذا من دون الله أحد ولا يطلع على علمها سواه والنذير الحذر لما يعاين من الشر الذي يخشى وقوعه فيمن أنذرهم كما قال {إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد} وهو مناسب لقوله {أزفت الآزفة} أي اقتربت القريبة يعني يوم القيامة كما قال في أول السورة التي بعدها {اقتربت الساعة}.

{أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ} (النجم:59)

قد قدمنا الآيات التي فيها إطلاق اسم الحديث على القرآن في سورة الطور. في الكلام على قوله تعالى: {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ}.

{وَتَضْحَكُونَ وَلا تَبْكُونَ} (النجم: 60)

{وتضحكون} منه استهزاء وسخرية {ولا تبكون} أي كما يفعل الموقنون به كما أخبر عنهم {ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا}.

{وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ} (النجم: 61) {فَاسْجُدُوا للهِ وَاعْبُدُوا} (النجم: 62)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة القمر

{اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} (القمر: 1)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة النحل في الكلام على قوله تعالى {أَتَى أَمْرُ اللهِ} وفي غير ذلك من المواضع.

{وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ} (القمر: 2)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الأنعام، في الكلام على قوله تعالى {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ}.

{وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ} (القمر:3) {وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ} (القمر:4) {حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ} (القمر:5)

أي في هدايته تعالى لمن هداه وإضلاله لمن أضله "فما تغني النذر" يعني أي شيء تغني النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة وختم على قلبه؟ فمن الذي يهديه من بعد الله؟ وهذه الآية كقوله تعالى {قل فالله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين} وكذا قوله تعالى{ وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون}.

{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ} (القمر:6) {خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ} (القمر:7) {مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ} (القمر:8)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة يسفي الكلام على قوله تعالى {فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ} وفي سورة ق في الكلام على قوله تعالى {يَوْمَ تَشَقَّقُ الأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً}.

{يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} (القمر:8)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الفرقان، في الكلام على قوله تعالى {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً} وفي سورة الحج في الكلام على قوله تعالى {وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ}.

{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ} (القمر:9){فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ* فَفَتَحْنَآ أَبْوَابَ السَّمَآءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى المَآءُ عَلٰى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ}(القمر:12-10)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من دعاء نوح ربه جل وعلا، أن ينتصر له، من قومه فينتقم منهم، وأن الله أجابه فانتصر له منهم فأهلكهم جميعاً بالغرق في هذا الماء المتلقى من السماء والأرض، جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى في الأنبياء: {وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِايَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ}. وقوله تعالى في الصافات {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} ـــ إلى قوله ـــ {ثُمَّ أَغْرَقْنَا الأَخَرِينَ}. وقد بين جل وعلا أن دعاء نوح فيه سؤاله الله أن يهلكهم إهلاكاً مستأصلاً، وتلك الآيات فيها بيان لقوله هنا: فانتصر وذلك كقوله تعالى {وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلاَ يَلِدُواْ إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً} وما دعا نوح على قومه إلا بعد أن أوحى الله إليه أنه لا يؤمن منهم أحد غير القليل الذي آمن، وذلك في قوله تعالى {وَأَوْحِىَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ ءَامَنَ}، وقد قال تعالى {وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ}.

{وَحَمَلْنَاهُ عَلٰى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ}(القمر:13)

فمن الآيات الدالة على أن ذات الألواح والدسر السفينة. قوله تعالى {إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَآءُ حَمَلْنَاكُمْ فِى الْجَارِيَةِ} أي السفينة كما أوضحناه في سورة شورى في الكلام على قوله تعالى {وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِى الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ}. وقوله تعالى: {فأَنْجَيْنَاهُ وأَصْحَابَ السَّفِينَةِ} وقوله تعالى {وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ} إلى غير ذلك من الآيات.

{تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ * وَلَقَدْ تَّرَكْنَاهَا ءايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}(القمر: 15-14)

وكون هذه الفعلة آية نص عليه تعالى بقوله {وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً} وقوله تعالى {فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ إِنَّ فِى ذَلِكَ لأيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ}. وقال بعض العلماء: الضمير في تركناها عائد إلى السفينة، وكون سفينة نوح آية بينه الله تعالى في آيات من كتابه كقوله تعالى {فأَنْجَيْناهُ وأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَآ ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ} وقوله تعالى {وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ}.

{فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}(القمر: 17-16)

قد قدمنا إيضاحه في سورة القتال في كلامنا الطويل على قوله تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ}.

{كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ}(القمر: 18)

{إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ}(القمر: 19)

قد قدمنا الآيات الموضحة له، وكلام أهل العلم في يوم النحس المستمر، في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ}.

{تنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ *فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا}(القمر:25-20)

وقد قدمنا الآيات الموضحة لهما في الكلام على قوله تعالى: {وَعَجِبُواْ أَن جَآءَهُم مٌّنذِرٌ مِّنْهُمْ} وقوله تعالى: {أَءَنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بْل هُمْ فَى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى}.

{بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ * سَيَعْلَمُونَ غدًا مَنْ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ * إِنَّا مُرْسِلُواْ النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُم}(القمر:25-27)

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن الله أرسل لهم هذه الناقة امتحاناً واختباراً، وأنهم إن تعرضوا لآية الله هذه، التي هي الناقة بسوء أهلكهم، جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى في سورة الأعراف: {قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ الله لكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِى أَرْضِ الله وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}، وقوله تعالى في سورة هود عن صالح {وَياقَوْمِ هٰذِهِ نَاقَةُ الله لكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِى أَرْضِ الله وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ}، وقوله تعالى في الشعراء: {قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍوَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ}. وقد بين تعالى: أنهم عقروا الناقة فجاءهم العذاب المستأصل في آيات من كتابه كقوله تعالى في الأعراف: {فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ}ـــ إلى قوله ـــ

{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ}، وقوله تعالى: {فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَادِمِينَ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ}، وقوله {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ}.

وقد أوضحنا هذا غاية الإيضاح في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى: {فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ}.

{فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَآءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَر (القمر: 27-28)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آية أخرى وهي قوله تعالى في الشعراء {قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ} وشرب الناقة هو الذي حذرهم

منه صالح لئلا يتعرضوا له في قوله تعالى: {فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ نَاقَةَ اللهِ وَسُقْيَاهَا}.

{فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ} (القمر: 29)

وهذه الآية الكريمة تشير إلى إزالة إشكال معروف في الآية، وإيضاح ذلك أن الله تعالى فيها نسب العقر لواحد لا لجماعة، لأنه نال: فتعاطى فعقر، بالإفراد مع أنه أسند عقر الناقة في آيات أخر إلى ثمود كلهم كقوله في سورة الأعراف: {فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ}، وقوله تعالى في هود {فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ} وقوله في الشعراء: {فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَادِمِينَ}، وقوله في الشمس: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا}. ووجه إشارة الآية إلى إزالة هذا الإشكال هو أن قوله تعالى {فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ} يدل على أن ثمود اتفقوا كلهم على عقر الناقة، فنادوا واحداً منهم لينفذ ما اتفقوا عليه، أصالة عن نفسه ونيابه عن غيره. ومعلوم أن المتمالئين على العقر كلهم عاقرون، وصحت نسبة العقر إلى المنفذ المباشر للعقر، وصحت نسبته أيضاً إلى الجميع، لأنهم متمالئون كما دل عليه ترتيب تعاطي العقر بالفاء في قوله: فتعاطا فعقر على ندائهم صاحبهم لينوب عنهم في مباشرة العقر في قوله تعالى: {فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ} أي نادوه ليعقرها.

{فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ} {إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً} (القمر: 30-31)

قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة في سورة فصلت، في الكلام على قوله تعالى {فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

{فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ * كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ} {إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ} (القمر: 31-34)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِى أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ}، وقوله: {إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ}

قد قدمنا الآيات الموضحة له إيضاحاً شافياً بكثرة. وقد تضمنت إيضاح قصة لوط وقومه في سورة هود وسورة الحجر في الكلام على القصة المذكورة في السورتين.

{نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ * وَلَقَدْ أَنذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ * وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ * فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ * وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ * كَذَّبُواْ بِايَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عِزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ} (القمر: 35-42)

تضمنت هاتان الآيتان ثلاثة أمور:

الأول: أن آل فرعون جاءتهم النذر.

الثاني: أنهم كذبوا بآيات الله.

الثالث: أن الله أخذهم أخذ عزيز مقتدر.

فقد بينت الآيات القرآنية بكثرة أن الذي جاءهم بذلك الإنذار هو موسى وهارون، وعلى أنه جمع نذير أي منذر، فالمراد به موسى وهارون، وقد جاء في آيات كثيرة إرسال موسى وهارون لفرعون كقوله تعالى في طه {فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِى إِسْرَاءِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ}. ثم بين تعالى إنذارهما له في قوله {إِنَّا قَدْ أُوْحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى} ونحوها من الآيات، وفي هذه الآية سؤال معروف، وهو أن الله تبارك وتعالى أرسل لفرعون نبيين هما موسى وهارون، كما قال تعالى: {فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ} وهنا جمع النذر في قوله {وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ} التحقيق في الجواب، أن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع المرسلين، ومن كذب نذيراً واحداً فقد كذب جميع النذر، لأن أصل دعوة جميع الرسل واحدة، وهي مضمون لا إله إلا الله كما أوضحه تعالى بقوله: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الْطَّاغُوتَ} وقوله تعالى: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِى إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ}. وقوله تعالى: {وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ}. وأوضح تعالى أن من كذب بعضهم فقد كذب جميع في قوله تعالى: {وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُولَـٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً}، وأشار إلى ذلك في قوله: {لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ}. وقوله {لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}. وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَـٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ}.

وقد أوضح تعالى في سورة الشعراء أن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل، وذلك في قوله: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ} ثم بين أن تكذيبهم للمرسلين إنما وقع بتكذيبهم نوحاً وحده، حيث فرد ذلك بقوله: {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ} ـــ إلى قوله ـــ {قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ} وقوله تعالى: {كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ}، ثم بين أن ذلك بتكذيب هود وحده، حيث فرده بقوله: {إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ} ونحو ذلك.

وأما الأمر الثاني: وهو كون فرعون وقومه كذبوا بآيات الله، فقد جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى: {وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ}، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى}. وقوله تعالى: {فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى فَكَذَّبَ وَعَصَى}. وقوله تعالى: {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ

بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِى تِسْعِ ءَايَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَاسِقِينَ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَجَحَدُواْ بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ}.

وأما الأمر الثالث وهو قوله تعالى {فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عِزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ}، فقد جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى: {وَفِى مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} ــ إلى قوله ــ {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَه فَنَبَذْنَاهُمْ فِى الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ} وقوله تعالى: {فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ} وقوله تعالى: {وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات. وقوله: {أَخْذَ عِزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ} يوضحه قوله تعالى {وَكَذلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِىَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}.

{أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ}

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الزخرف، في الكلام على قوله تعالى {فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشاً}، وفي صدر سورة الروم، وغير ذلك من المواضع.

{أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهٰى وَأَمَرُّ * إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى النَّارِ عَلٰى وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ}(القمر:48–43)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الطور في الكلام على قوله تعالى {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا}.

{إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}(القمر:49)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الزخرف في بعض المناقشات التي ذكرناها في الكلام على قوله تعالى {قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَاْ أَوَّلُ الْعَابِدِينَ}.

{وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}(القمر: 51-50)

يعني أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرسل "فهل من مدكر" أي فهل من متعظ بما أخزى الله أولئك وقدر لهم من العذاب كما قال تعالى {وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل}.

{وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ}(القمر: 53-52)

وهذا المعنى جاء موضحاً في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: {وَيَقُولُونَ ياوَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا} وقوله تعالى {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا}.

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ}(القمر: 54)

أي في جنات وأنهار كما أوضح تعالى ذلك في قوله {تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ}، وقوله تعالى {فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى}.

{فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ}(القمر: 55)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الرحمن

{الرَّحْمَنُ}(الرحمن: 1){ عَلَّمَ الْقُرْآنَ} (الرحمن: 2)

نزلت هذه الآية لما تجاهل الكفار الرحمن جل وعلا، كما ذكره الله عنهم في قوله تعالى [3928]{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُواْ لِلرَّحْمَنِ قَالُواْ وَمَا الرَّحْمَنُ} كما تقدم في الفرقان. وقد قدمنا معنى الرحمن وأدلته من الآيات في أول سورة الفاتحة. قوله تعالى: {عَلَّمَ الْقُرْءَانَ}. أي علم نبيه القرآن فتلقته أمته عنه، وهذه الآية الكريمة تتضمن رد الله على الكفار في قولهم إنه تعلم هذا القرآن من بشر كما تقدم في قوله: [3929]{وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ}، وقوله تعالى [3930]{فَقَالَ إِنْ هَذَآ إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ} أي يرويه محمد عن غيره. وقوله تعالى [3931]{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُوا ظُلْماً وَزُوراًوَقَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً}. فقوله تعالى هنا {الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ} أي ليس الأمر كما ذكرتم من أنه تعلم القرآن من بشر، بل الرحمن جل وعلا هو الذي علمه إياه، والآيات الدالة على هذا كثيرة جداً، كقوله تعالى[3932] {قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِى يَعْلَمُ السِّرَّ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} وقوله تعالى [3933]{الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءايَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}، وقوله تعالى [3934]{حـم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءايَاتُهُ قُرْءاناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيراً وَنَذِيراً} وقوله تعالى[3935] {وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} وقوله تعالى [3936]{وَكَذلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَاناً عَرَبِيّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً}. وقوله تعالى: [3937]{وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ

[3928] الفرقان 60
[3929] النحل 103
[3930] المدثر 24
[3931] الفرقان 4- 5
[3932] الفرقان 6
[3933] هود 1
[3934] فصلت 1- 4
[3935] الاعراف 52
[3936] طه 113

بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً} وقوله تعالى [3938]{إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} وقوله تعالى[3939] {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا} وقوله تعالى [3940]{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ} . وقوله تعالى [3941]{وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ} وتعليمه جل وعلا هذا القرآن العظيم، قد بين في مواضع أخر أنه من أعظم نعمه كما قال تعالى [3942]{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} ــ إلى قوله تعالى ــ {ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} . وقد علم الله تعالى الناس أن يحمدوه على هذه النعمة العظمى التي هي إنزال القرآن، وذلك في قوله تعالى [3943]{الْحَمْدُ لله الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا} ، وبين أن إنزاله رحمة منه لخلقه جل وعلا في آيات من كتابه كقوله تعالى [3944]{وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ} وقوله [3945]{إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ} وقد بينا الآيات الموضحة لذلك في الكهف والزخرف.

{خَلَقَ الأِنْسَانَ}(الرحمن:3) { عَلَّمَهُ الْبَيَانَ}(الرحمن:4)

اعلم أولاً أن خلق الإنسان وتعليمه البيان من أعظم آيات الله الباهرة، كما أشار تعالى لذلك بقوله، في أول النحل:[3946] {خَلَقَ الإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} ، وقوله: في آخر يس[3947] {أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} . وقوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة {خَلَقَ الإِنسَانَ } لم يبين هنا أطوار خلقه للإنسان، ولكنه بينها في آيات أخر كقوله تعالى في الفلاح [3948]{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} . والآيات المبينة أطوار خلق الإنسان كثيرة معلومة. وقد بينا ما يتعلق بالإنسان من

[3937] الفرقان 33
[3938] القيامة 17– 19
[3939] الشورى 52
[3940] يوسف 3
[39413941] النساء 113
[3942] فاطر 32
[3943] الكهف 1
[3944] القصص 86
[3945] الدخان 5– 6
[3946] النحل 4
[3947] يسن 77
[3948] المومنون 12–14

الأحكام في جميع أطواره قبل ولادته في أول سورة الحج في الكلام على قوله تعالى [3949]{ياأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ}، وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أنه علم الإنسان البيان قد جاء موضحاً في قوله تعالى {فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ} في سورة النحل ويس. وقد امتن الله جل وعلا على الإنسان بأنه جعل له آلة البيان التي هي اللسان والشفتان، وذلك في قوله تعالى [3950]{أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ}.

{الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} (الرحمن:**5**)

هذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى [3951]{هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَآءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}. وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: [3952]{فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ الَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ}.

{وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ} (الرحمن:**6**)

المراد بالنجم هو نجوم السماء، والدليل على ذلك أن الله جل وعلا في سورة الحج صرح بسجود نجوم السماء والشجر، ولم يذكر في آية من كتابه سجود ما ليس له ساق من النبات بخصوصه. ونعني بآية الحج قوله تعالى [3953]{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ}. فدلت هذه الآية أن الساجد من الشجر في آية الرحمن هو النجوم السماوية المذكورة مع الشمس والقمر في سورة الحج، وخير ما يفسر به القرآن القرآن، وقوله في هذه الآية الكريمة:

[3949] **الحج 5**
[3950] **البلد 8-9**
[3951] **يونس 5**
[3952] **الاسراء 12**
[3953] **الحج 18**

{يَسْجُدَانِ} قد قدمنا الكلام عليه مستوفى في سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى: [3954]{وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ}.

{وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ} (الرحمن:7)

قوله: {والسماء رفعها} قد بينا الآيات الموضحة له في سورة ق في الكلام على قوله تعالى: [3955] {أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا}. وقوله: {وَوَضَعَ الْمِيزَانَ}، قد قدمنا الكلام عليه في سورة شورى في الكلام على قوله تعالى: [3956]{اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ}.

{أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ}(الرحمن:8) { وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ}(الرحمن:9)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى: [3957]{وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} وذكرنا بعضه في سورة شورى.

{وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ}(الرحمن:10) { فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ}(الرحمن:11)

{وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ} (الرحمن:12)

[3954] الرعد 15

[3955] ق 6

[3956] الشورى 17

[3957] الانعام 152

تفسيرالفاروق

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من امتنانه جل وعلا على خلقه بوضع الأرض لهم بما فيها من المنافع، وجعلها آية لهم، دالة على كمال قدرة ربهم واستحقاقه للعبادة وحده، جاء موضحاً في آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى:[3958] {وَهُوَ الَّذِى مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنْهَاراً وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ}، وقوله تعالى:[3959] {هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ}. وقوله تعالى[3960] {وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَاهَاوَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ } وقوله تعالى [3961]{وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ} وقوله تعالى [3962]{الَّذِى جَعَلَ لَكُم الأَرْضَ فِرَاشاً}. وقوله تعالى [3963]{وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِىَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً مُّبَارَكاً}. وقوله تعالى [3964]{هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً} والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة. وقوله: {ذُو الْعَصْفِ}، قال أكثر العلماء: العصف ورق الزرع، ومنه قوله تعالى [3965]{فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ} وقيل العصف: التبن. المراد بالعصف ما تأكله الأنعام من ورق وتبن، والمراد بالريحان ما يأكله الناس من نفس الحب، فالآية على هذا المعنى كقوله {مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ} وقوله تعالى [3966]{فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ}. وقوله تعالى [3967] {فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى كُلُواْ وَارْعَوْاْ أَنْعَامَكُمْ} وقوله تعالى[3968] {لَّكُم مَّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {فِيهَا فَاكِهَةٌ} ما ذكره تعالى فيه من الامتنان بالفاكهة التي هي أنواع، جاء موضحاً في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى في سورة الفلاح [3969]{لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} وقوله تعالى: [3970]{وَفَاكِهَةً وَأَبّاً} إلى غير ذلك من الآيات. وما ذكره هنا من الامتنان بالحب جاء موضحاً في آيات أخر، كقوله تعالى:[3971] {فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} وقوله تعالى [3972]{فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاًوَعِنَباً} وقوله تعالى: [3973]{وَأَخْرَجْنَا

[3958] الرعد 3
[3959] الملك 15
[3960] النازعات 30–33
[3961] الذاريات 48
[3962] البقرة 22
[3963] ق 7–9
[3964] البقرة 29
[3965] الفيل 5
[3966] السجدة 27
[3967] طه 53– 54
[3968] النحل 10–11
[3969] المئومنون 19
[3970] عبس 31
[3971] ق 9
[3972] عبس 27– 28
[3973] يسن 33

مِنْهَا حَبّاً فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ} وقوله تعالى [3974]{نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُّتَرَاكِباً}. وقوله تعالى: [3975]{إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} إلى غير ذلك من الآيات. وما ذكره تعالى هنا من الامتنان بالنخل، جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى: [3976] {وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ رِّزْقاً لِّلْعِبَادِ}، وقوله تعالى [3977]{ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة. وما ذكره هنا من الامتنان بالريحان، على أنه الرزق كما في قراءة حمزة والكسائي، جاء موضحاً في آيات كثيرة أيضاً كقوله تعالى: [3978]{هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَآءِ رِزْقاً} وقوله تعالى: [3979]{قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ} وقوله تعالى: [3980] {أَمَّنْ هَذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ}. وقوله تعالى: [3981]{وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ}، والآيات بمثل ذلك كثيرة معلومة.

{فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} (الرحمن:**13**) { خَلَقَ الْأِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} (الرحمن:**14**)

{وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ} (الرحمن:**15**)

وهذه الآية بين الله فيها طوراً من أطوار التراب الذي خلق منه آدم، فبين في آيات أنه خلقه من تراب كقوله تعالى [3982]{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ} وقوله تعالى [3983]{يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فانا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ} وقوله تعالى [3984]{وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُمْ بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ} وقوله تعالى[3985] {هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ} وقوله تعالى [3986]{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُم}. وقد بينا في قوله تعالى {فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ} وقوله {مِنْهَا

[3974] الانعام 99
[3975] الانعام 95
[3976] ق 10– 11
[3977] المومنون 19
[3978] غافر 13
[3979] يونس 31
[3980] الملك 21
[3981] غافر 64
[3982] ال عمران 59
[3983] الحج 5
[3984] الروم 20
[3985] غافر 67
[3986] طه 55

خَلَقْنَاكُمْ} أن المراد بخلقهم منها هو خلق أبيهم آدم منها، لأنه أصلهم وهم فروعه، ثم إن الله تعالى عجن هذا التراب بالماء فصار طيناً، ولذا قال [3987]{أَءَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا} وقال[3988] {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِن سُلاَلَةٍ مِّن طِينٍ} وقال تعالى [3989]{وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِن طِينٍ}. وقال[3990] {أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ} وقال تعالى: [3991]{إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِّن طِينٍ } ثم خمر هذا الطين فصار حماً مسنوناً، أي طيناً أسود متغير الريح، كما قال تعالى [3992]{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ}. قال تعالى [3993]{إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} وقال عن إبليس [3994]{قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} والمسنون قيل المتغير وقيل المصور وقيل الأملس، ثم يبس هذا الطين فصار صلصالاً. كما قال هنا: [3995] {خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ} وقال {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ }. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أنه تعالى خلق الجان من النار، جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى في الحجر [3996]{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ} وقوله تعالى [3997] {قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}. وقد أوضحنا الكلام على هذا في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى [3998]{إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}.

{فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} (الرحمن:16) {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ} (الرحمن:17)

قد أوضحنا الكلام عليه في أول الصافات في الكلام على قوله تعالى [3999]{رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ}.

[3987] الاسراء 61
[3988] المئومنون 12
[3989] السجدة 7
[3990] الصافات 11
[3991] ص 71
[3992] الحجر 26
[3993] الحجر 28
[3994] الحجر 33
[3995] الرحمن 14
[3996] الحجر 26
[3997] الاعراف 12
[3998] البقرة 34
[3999] الصافات 5

{فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} (الرحمن:18) { مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ} (الرحمن:19) { بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لا يَبْغِيَانِ} (الرحمن:20)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى[4000] {وَهُوَ الَّذِى مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُوراً}.

{فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا الُّلؤْلُؤُ وَالمَرْجَانُ} (الرحمن:21-22)

الله صرح في سورة فاطر، في قوله تعالى [4001] {وَمَا يَسْتَوِى الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} أي من كل واحد من العذب والملح تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها، وهي اللؤلؤ والمرجان. وقد أوضحنا هذا في سورة الأنعام في الكلام على قوله تعالى [4002] {يامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ} واللؤلؤ الدر، والمرجان الخرز الأحمر.

{فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَئَاتُ فِى الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ} (الرحمن:23-24)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة شورى في الكلام على قوله تعالى[4003] {وَمِنْ ءَايَاتِهِ الْجَوَارِ فِى الْبَحْرِ كَالأَعْلَامِ}.

[4000] الفرقان 53
[4001] فاطر 12
[4002] الانعام 130
[4003] الشورى 32

{فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ} (الرحمن: 25-27)

ما تضمنته هذه الآية الكريمة من فناء كل من على الأرض وبقاء وجهه جل وعلا المتصف بالجلال والإكرام، جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى: [4004] {كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ}، وقوله تعالى: [4005] {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَىِّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ}. وقوله تعالى [4006] {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ} إلى غير ذلك من الآيات. والوجه صفة من صفات الله العلي وصف بها نفسه، فعلينا أن نصدق ربنا ونؤمن بما وصف به نفسه مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق. وقد أوضحنا هذا غاية الإيضاح بالآيات القرآنية في سورة الأعراف، وفي سورة القتال. والعلم عند الله تعالى.

{فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلاَنِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان * يامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالاٌّرْضِ فَانفُذُواْ لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ} (الرحمن: 28-33)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى: [4007] {وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ}.

[4004] القصص 88

[4005] الفرقان 58

[4006] ال عمران 185

[4007] الحجر 17

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ *فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ} (الرحمن: **34– 37**)

وما ذكره تعالى في هذه الآية الكريمة من انشقاق السماء يوم القيامة، جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى: [4008] {إِذَا السَّمَآءُ انشَقَّتْ} وقوله تعالى [4009] {فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُوَانشَقَّتِ السَّمَآءُ} وقوله: [4010] {وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَآءُ بِالْغَمَامِ} وقوله: [4011] {إِذَا السَّمَآءُ انفَطَرَتْ}، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة ق في الكلام على قوله تعالى: [4012] {وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ}.

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَآن} (الرحمن: **38–39**)

وبين هذا المعنى في قوله تعالى في القصص: [4013] {وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ}. وقد ذكر جل وعلا في آيات أخر أنه يسأل جميع الناس يوم القيامة الرسل والمرسل إليهم، وذلك في قوله تعالى [4014] {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ}، وقوله {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}. وقد جاءت آيات من كتاب الله مبينة لوجه الجمع بين هذه الآيات، اعلم أولاً أن للسؤال المنفي في قوله هنا {فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَآنٌّ} وقوله {وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِم الْمُجْرِمُونَ} أخص من السؤال المثبت في قوله {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}، لأن هذه فيها تعميم السؤال في كل عمل، والآيتان قبلها ليس فيهما نفي السؤال إلا عن الذنوب خاصة، وللجمع بين هذه الآيات أوجه معروفة عند العلماء. الأول منها: وهو الذي دل عليه القرآن، وهو محل الشاهد عندنا من بيان القرآن بالقرآن هنا، هو أن السؤال نوعان: أحدهما سؤال التوبيخ والتقريع وهو من أنواع العذاب، والثاني هو سؤال الاستخبار والاستعلام. فالسؤال المنفي في بعض الآيات هو سؤال الاستخبار والاستعلام،

[4008] **الانشقاق 1**
[4009] **الحاقة 15– 16**
[4010] **الفرقان 25**
[4011] **الانفطار 1**
[4012] **ق 6**
[4013] **القصص78**
[4014] **الحجر 92– 93**

لأن الله أعلم بأفعالهم منهم أنفسهم كما قال تعالى: {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ} . وعليه فالمعنى لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان، سؤال استخبار واستعلام لأن الله أعلم بذنبه منه.

والسؤال المثبت في الآيات الأخرى هو سؤال التوبيخ والتقريع، سواء كان عن ذنب أو غير ذنب، ومثال سؤالهم عن الذنوب سؤال توبيخ وتقريع قوله تعالى: [4015]{فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}، ومثاله عن غير ذنب قوله تعالى: [4016]{وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَّسْئُولُونَ مَا لَكُمْ لاَ تَنَاصَرُونَ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ} وقوله تعالى[4017] {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا هَذِهِ النَّارُ الَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ أَفَسِحْرٌ هَذَا}، وقوله {أَلَمْ يَأْتِكُم رُسُلٌ مِّنْكُمْ} .أما سؤال الموءودة في قوله:[4018] {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ} فلا يعارض الآيات النافية السؤال عن الندب، لأنها سئلت عن أي ذنب قتلت وهذا ليس من ذنبها، والمراد بسؤالها توبيخ قاتلها وتقريعه، لأنها هي تقول لا ذنب لي، فيرجع اللوم على من قتلها ظلماً. وكذلك سؤال الرسل، فإن المراد به توبيخ من كذبهم وتقريعه، مع إقامة الحجة عليه بأن الرسل قد بلغته، وباقي أوجه الجمع بين الآيات لا يدل عليه قرآن، وموضوع هذا الكتاب بيان القرآن بالقرآن، وقد بينا في أول سورة الأعراف. وقد قدمنا طرفاً في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: [4019]{فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} .

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِى وَالأَقْدَام}(الرحمن:40-41)

قوله: {بِسِيمَاهُمْ}: أي بعلامتهم المميزة لهم، وقد دل القرآن على أنها هي سواد وجوههم وزرقة عيونهم، كما قال تعالى [4020]{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ} وقال تعالى:[4021] {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ} وقال تعالى:[4022] {وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِّنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ

[4015] ال عمران 106
[4016] الصافات 24-26
[4017] الطور 13-15
[4018] التكوير 8
[4019] الاعراف 6
[4020] ال عمران 106
[4021] الزمر 60
[4022] يونس 27

وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ الَّيْلِ مُظْلِماً أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} وقال تعالى[4023] {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ} لأن معنى قوله {تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ } أي يعلوها ويغشاها سواد كالدخان الأسود، وقال تعالى في زرقة عيونهم:[4024] {وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِى وَالأَقْدَامِ}، وقد قدمنا تفسيره والآيات الموضحة له في سورة الطور في الكلام على قوله تعالى: [4025]{يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا} .

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ }(الرحمن:**42-44**)

أما قوله: {هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ} فقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الطور أيضاً في الكلام على قوله تعالى: [4026]{هَذِهِ النَّارُ الَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ} .

وأما قوله تعالى: [4027]{يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ} فقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الحج في الكلام على قوله: [4028]{يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِى بُطُونِهِمْ} .

{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَان }(الرحمن:**45-46**)

هذه الآية الكريمة فيها وجهان معروفان عند العلماء، كلاهما يشهد له قرآن:

[4023] **عبس 40- 42**
[4024] **طه 102**
[4025] **الطور 13**
[4026] **الطور 14**
[4027] **الرحمن44**
[4028] **الحج 19- 20**

أحدهما: أن المراد بقوله: {مَقَامَ رَبِّهِ} : أي قيامه بين يدي ربه، فالمقام اسم مصدر بمعنى القيام، وفاعله على هذا الوجه هو العبد الخائف، وإنما أضيف إلى الرب لوقوعه بين يديه، وهذا الوجه يشهد له قوله تعالى:[4029] {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} ، فإن قوله: {وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} : قرينة دالة على أنه خاف عاقبة الذنب حين يقوم بين يدي ربه، فنهى نفسه عن هواها.

والوجه الثاني: أن فاعل المصدر الميمي الذي هو المقام، هو الله تعالى: أي خاف هذا العبد قيام العبد قيام الله عليه ومراقبته لأعماله وإحصائها عليه، ويدل لهذا الوجه الآيات الدالة على قيام الله على جميع خلقه وإحصائه عليهم أعمالهم كقوله تعالى: [4030]{اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} ، وقوله تعالى:[4031] {أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} ، وقوله تعالى: [4032]{وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ} . إلى غير ذلك من الآيات. وقد قدمنا في سورة الأحقاف في الكلام على قوله تعالى في شأن الجن: [4033]{ياقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ الله وَءَامِنُواْ بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ} ، أن قوله: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} ، وتصريحه بالامتنان بذلك على الإنس والجن في قوله [4034]{فَبِأَىِّ ءَالاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} ، نص قرآني على أن المؤمنين الخائفين مقام ربهم من الجن يدخلون الجنة.

{فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * ذَوَاتَى أَفْنَانٍ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ} (الرحمن: **47-54**)

[4029] النازعات **40-41**

[4030] البقرة **255**

[4031] الرعد **33**

[4032] يونس **61**

[4033] الاحقاف **31**

[4034] الرحمن **13-16**

قد بينا في سورة النحل في الكلام على قوله تعالى:[4035] {وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} جميع الآيات القرآنية الدالة على تنعم أهل الجنة بالسندس والإستبرق، والحلية بالذهب والفضة، وبينا أن جميع ذلك يحرم على ذكور هذه الأمة في دار الدنيا.

{وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ *فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ} (الرحمن: **54– 56**)

قد قدمنا الكلام عليه مستوفى في سورة الصافات في الكلام على قوله تعالى: [4036] {وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ} .

{لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ *فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُدْهَامَّتَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِى الْخِيَام} (الرحمن: **72–56**)

قد قدمنا معنى القصر في الخيام، وقصر الطرف على الأزواج في سورة الصافات في الكلام على قوله تعالى: {وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ} وقدمنا الآيات الدالة على صفات نساء أهل الجنة في مواضع كثيرة من هذا الكتاب في سورة البقرة والصافات.

[4035] **النحل 14**

[4036] **الصافات 48**

{فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلاَلِ وَالْإِكْرَامِ} (الرحمن: **73– 78**)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الواقعة

{إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ}(الواقعة: 1){لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ}(الواقعة: 2)

وقوله في هذه الآية الكريمة: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} أي قامت القيامة، فالواقعة من أسماء القيامة كالطامة والصاخة والآزفة والقارعة. وقد بين جل وعلا أن الواقعة هي القيامة في قوله في قوله فى الحاقة: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الأَرْض وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُوَانشَقَّتِ السَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ} فالمعنى ليس لقيام القيامة كذب ولا تخلف بل هو أمر واقع يقيناً لا محالة؛ قد دلت عليه آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى فى النساء: {اللَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ}، وقوله تعالى فى الحج: {وَأَنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا}، وقوله تعالىفى ال عمران: {رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ}، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة شورى في الكلام على قوله تعالى: {وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ}. و الوجه الثاني أنه ليس في وقعة الواقعة نفس كاذبة بل جميع الناس يوم القيامة صادقون بالاعتراف بالقيامة مصدقون بها ليس فيهم نفس كاذبة بإنكارها ولا مكذبة بها. وهذا المعنى تشهد له في الجملة آيات من كتاب الله كقوله تعالى فى الشعراء: {لاَ يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ}، وقوله تعالى فى الحج: {وَلاَ

يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ}. وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل في الكلام على قوله تعالى: {بَلِ ادارَكَ عِلْمُهُمْ فِى الاٌّخِرَةِ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ}.

{خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ}(الواقعة: 3)

هي خافضة أقواماً في دركات النار، رافعة أقواماً إلى الدرجات العلى إلى الجنة، وهذا المعنى قد دلت عليه آيات كثيرة كقوله فى النساء: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الاٌّسْفَلِ مِنَ النَّارِ}، وقوله تعالى فى طه {وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ} وقوله تعالى فى الاسراء: {وَلَلاٌّخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً} والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة. وقال بعض العلماء: تقديره خافضة أقواماً كانوا مرتفعين في الدنيا رافعة أقواماً كانوا منخفضين في الدنيا، وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله تعالى، كقوله تعالى فى المطففين: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ} ـــ إلى قوله ـــ {فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الاٌّرَآئِكِ يَنظُرُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجّاً}(الواقعة: 4) {وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً}(الواقعة: 5)

ما دلت عليه هذه الآية من أن الأرض يوم القيامة تحرك تحريكاً شديداً جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى فى الزلزلة: {إِذَا زُلْزِلَتِ الاٌّرْضُ زِلْزَالَهَا}، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في أول سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ} وقوله تعالى: {وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً} في معناه لأهل العلم أوجه متقاربة، لا يكذب بعضها بعضاً وكلها حق، وكلها يشهد له قرآن. قال أكثر المفسرين {وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً} أي فتت تفتيتاً حتى صارت كالبسيسة، وهي دقيق ملتوت بسمن، وهذا الوجه يشهد له قرآن كقوله تعالى فىالمزمل: {يَوْمَ تَرْجُفُ الاٌّرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً}، فقوله: {كَثِيباً مَّهِيلاً} أي رملاً متهايلا ومشابهة الدقيق المبسوس بالرمل المتهايل واضحة، فقوله: {وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً} مطابق في المعنى لتفسير {وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً} بأن بسها هو تفتيتها

وطحنها كما ترى. وما دلت عليه هذه الآيات من أنها تسلب عنها قوة الحجرية وتتصف بعد الصلابة والقوة باللين الشديد الذي هو كلين الدقيق، والرمل المتهايل يشهد له في الجملة تشبيهها في بعض الآيات بالصوف المنفوش الذي هو العهن، كقوله تعالى فى القارعة {وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ}، وقوله تعالى فى المعارج: {يَوْمَ تَكُونُ السَّمَآءُ كَالْمُهْلِ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ}. والوجه الثاني: أن معنى قوله: {وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً} أي سيرت بين السماء والأرض، وعلى هذا فالمراد ببسها سوقها وتسييرها وهذا الوجه تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى فى الكهف: {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ}، وقوله فى الطور {وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً}. وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة النمل في الكلام على قوله: {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ}. الوجه الثالث: أن معنى قوله: {وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً} نزعت من أماكنها وقلعت، وقد أوضحنا أن هذا الوجه راجع للوجه الأول مع الإيضاح التام لأحوال الجبال يوم القيامة، وأطوارها، بالآيات القرآنية، وفي سورة طه في الكلام على قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفاً}، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة

{فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثّاً}(الواقعة:6)

كقوله تعالى فى النبأ: {وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً}، والهباء إذا انبث، أي تفرق، واضمحل وصار لا شيء، والسراب قد قال الله تعالى فيه فى النور: {حَتَّى إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً}.

{وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاثَةً}(الواقعة:7)

وقوله: {أَزْوَاجاً}: أي أصنافاً ثلاثة، ثم بين هذه الأزواج الثلاثة بقوله: {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ مَآ أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ} أما أصحاب الميمنة فهم أصحاب اليمين، كما أوضحه تعالى بقوله: {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَآ أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ}، وأصحاب المشأمة هم أصحاب الشمال كما أوضحه تعالى: بقوله {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَآ أَصْحَاب الشِّمَالِ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ}. وبين جل وعلا أن

السابقين هم المقربون، وذلك في قوله: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}، وهذه الأزواج الثلاثة المذكورة هي وجزاؤها في أول هذه السورة الكريمة جاءت هي وجزاؤها أيضاً في آخرها، وذلك في قوله: {فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّآلِّينَ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ}. والمكذبون هم أصحاب المشأمة وهم أصحاب الشمال. وذكر تعالى بعض صفات أصحاب الميمنة والمشأمة في البلد في قوله تعالى: {فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ} ـــ إلى قوله تعالى ـــ {أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ بِايَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِعَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةُ}.

{فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ}(الواقعة:8) {وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ}(الواقعة:9) {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ}(الواقعة:10) {أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}(الواقعة:11) {فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}(الواقعة:12) {ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ}(الواقعة:13) {وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ}(الواقعة:14)

ظاهر القرآن في هذا المقام: أن الأولين في الموضعين من الأمم الماضية، والآخرين فيهما من هذه الأمة، وأن قوله تعالى: {ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الأٌّخِرِينَ} في السابقين خاصة، وأن قوله: {ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِّنَ الأٌّخِرِينَ } في أصحاب اليمين خاصة. أما شمول الآيات لجميع الأمم فقد دل عليه أول السورة، لأن قوله: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} ـــ إلى قوله ـــ {فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنبَثّاً} لا شك أنه لا يخص أمة دون أمة، وأن الجميع مستوون في الأهوال والحساب والجزاء. فدل ذلك على أن قوله: {وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً} عام في جميع أهل المحشر، فظهر أن السابقين وأصحاب اليمين منهم من هو من الأمم السابقة، ومنهم من هو من هذه الأمة. وعلى هذا، فظاهر القرآن، أن السابقين من الأمم الماضية أكثر من السابقين من هذه الأمة، وأن أصحاب اليمين من الأمم السابقة ليست أكثر من أصحاب اليمين من هذه الأمة، لأنه عبر في السابقين من هذه الأمة بقوله: {وَقَلِيلٌ مِّنَ الأٌّخِرِينَ} وعبر عن أصحاب اليمين من هذه الأمة {وَثُلَّةٌ مِّنَ الأٌّخِرِينَ}.

{عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ}(الواقعة:15) {مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ}(الواقعة:16)

السرر جمع سرير، وقد بين تعالى: أن سررهم مرفوعة في قوله في الغاشية {فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ} وقوله تعالى {مَّوْضُونَةٍ} منسوجة بالذهب. وهذه السرر المزينة، هي المعبر عنها بالأرائك في قوله فى الكهف {مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَآئِكِ} وقوله فى يس: {هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِى ظِلَالٍ عَلَى الأَرَآئِكِ مُتَّكِئُونَ}. وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من كونهم على سرر متقابلين، أي ينظر بعضهم إلى وجه بعض، كلهم يقابل الآخر بوجهه، جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى في الحجر {وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ} وقوله في الصافات {أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ}.

{يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ}(الواقعة:17)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الطور في الكلام على قوله تعالى {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ}.

{بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ}(الواقعة:18) {لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ}(الواقعة:19)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الطور في الكلام على قوله تعالى {يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لاَّ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ} وفي المائدة في الكلام على قوله تعالى {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ}.

{وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ}(الواقعة:20) {وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ}(الواقعة:21)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الطور، في الكلام على قوله تعالى {وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ}.

{وَحُورٌ عِينٌ}(الواقعة:22) {كَأَمْثَالِ الْلُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ}(الواقعة:23)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة البقرة في الكلام على قوله تعالى {وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ}، وفي الصافات في الكلام على قوله تعالى {وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ} وفي غير ذلك من المواضع.

{جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}(الواقعة:24) {لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا تَأْثِيماً}(الواقعة:25) {إِلَّا قِيلاً سَلاماً سَلاماً}(الواقعة:26)

قد قدمنا الكلام عليه بإيضاح في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى {لاَّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلاَّ سَلَاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً}

{وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ}(الواقعة:27) {فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ}(الواقعة:28) {وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ}(الواقعة:29) {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ}(الواقعة:30) {وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ}(الواقعة:31) {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ}(الواقعة:32) {لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ}(الواقعة:33)

أما قوله {وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ } فقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة النساء في الكلام على قوله تعالى {وَنُدْخِلُهُمْ ظِـلاًّ ظَلِيلاً} وأما قوله {وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ} فقد دلت عليه آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى فى محمد {فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ } وقوله فى الحجر {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} وقوله فى الاعراف {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَآءِ}. إلى غير ذلك من الآيات. وأما قوله {وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ}: فقد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الطور في الكلام على قوله تعالى {وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ}.

{إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً}(الواقعة:35) {فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً}(الواقعة:36){عُرُباً أَتْرَاباً} (الواقعة:37) {لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ}(الواقعة:38)

وهذه الأوصاف الثلاثة التي تضمنتها هذه الآية الكريمة من صفات نساء أهل الجنة، جاءت موضحة في آيات أخر. أما كونهن يوم القيامة أبكاراً، فقد أوضحه في سورة الرحمن في قوله تعالى: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَآنٌّ} في الموضعين لأن قوله: {لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَآنٌّ} نص في عدم زوال بكارتهن، وأما كونهن عرباً أي متحببات إلى أزواجهن، فقد دل عليه قوله في الصافات: {وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ} لأن معناه أنهن قاصرات العيون على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم لشدة محبتهن لهم واقتناعهن بهم، كما قدمنا إيضاحه. وقوله في ص: {وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ}، وقوله في الرحمن: {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَآنٌّ}، وأما كونهن أتراباً فقد بينه تعالى في قوله في آية ص هذه، {وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ}، وقوله في الرحمن: {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَآنٌّ}، وأما كونهن أتراباً فقد بينه تعالى في قوله في آية ص هذه، {وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ}، وفي سورة النبأ في قوله تعالى: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً حَدَآئِقَ وَأَعْنَاباً وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً}.

{ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ}(الواقعة:39) {وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ}(الواقعة:40) {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ}(الواقعة:41) {فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ}(الواقعة:42) {وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ}(الواقعة:43)

قد قدمنا معنى أصحاب الشمال في هذه السورة الكريمة، وأوضحنا معنى السموم في الآيات القرآنية التي يذكر فيها في سورة الطور، في الكلام على قوله تعالى {فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ}. وقد قدمنا صفات ظل أهل النار وظل أهل الجنة في سورة النساء في الكلام على قوله تعالى {وَنُدْخِلُهُمْ ظِـــلاًّ ظَلِيلاً} وبينا هناك أن صفات ظل أهل النار هي المذكورة في قوله هنا {وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ} وقوله في المرسلات {انطَلِقُواْ إِلَى ظِلٍّ ذِى ثَلَاثِ شُعَبٍ لاَّ ظَلِيلٍ وَلاَ يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ}.

{لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ}(الواقعة:44) {)إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ}(الواقعة:45) {وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ}(الواقعة:46)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الطور في الكلام على قوله تعالى: {قَالُواْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِى أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا}.

{وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} (الواقعة:47)

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من كون إنكار البعث سبباً لدخول النار، لأن قوله تعالى لما ذكر أنهم في سموم وحميم وظل من يحموم، بين أن من أسباب ذلك أنهم قالوا {أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً} جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى فى الرعد {وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ

كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ}. وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى: {وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً}، وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من إنكارهم بعث آبائهم الأولين في قوله {أَوَ ءَابَآؤُنَا الأَوَّلُونَ} وأنه تعالى بين لهم أنه يبعث الأولين والآخرين في قوله، {قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالأَخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ} جاء موضحاً في غير هذا الموضع، فبينا فيه أن البعث الذي أنكروا، سيتحقق في حال كونهم أذلاء صاغرين، وذلك في قوله تعالى في الصافات {وَقَالُواْ إِن هَذَآ إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَ ءَابَآؤُنَا الأَوَّلُونَ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ}.

{أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ}(الواقعة:48) {قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ}(الواقعة:49) {لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ}(الواقعة:50)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من بعث الأولين والآخرين وجمعهم يوم القيامة جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله فى التغابن: {يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ}، وقوله تعالى فى النساء: {اللهُ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} وقوله تعالى فى ال عمران: {رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ}، وقوله تعالى فى هود: {ذلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ} وقوله تعالى فى المرسلات: {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ}، وقوله تعالى فى الكهف: {وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَم نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً}. وقد قدمنا هذا موضحاً في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى: {وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ}.

{ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ}(الواقعة:51) {لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ}(الواقعة:52) {فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ}(الواقعة:53) {فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ}(الواقعة:54) {فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ}(الواقعة:55)

قد قدمنا إيضاح هذا وتفسير في سورة الصافات في الكلام على قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ}.

{هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ} (الواقعة:56)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من إطلاق النزول على عذاب أهل النار، جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله في آخر هذه السورة الكريمة: {فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ}، وقوله تعالى في آخر الكهف: {إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً}.

{نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ} (الواقعة:57)

وهذا البرهان على البعث بدلالة الخلق الأول على الخلق الثاني، جاء موضحاً في آيات كثيرة جداً كقوله تعالى فى الروم {وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}، وقوله فى الانبياء: {كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ}، وقوله تعالى فى الحج: {ياأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ} وقوله تعالى فى يس: {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ}، وقوله تعالى فى الاسراء: {فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}، والآيات بمثل هذا

كثيرة معلومة، وقد ذكرناها بإيضاح وكثرة في مواضع كثيرة من هذا الكتاب المبارك في سورة البقرة والنحل والحج والجاثية، وغير ذلك من المواضع وأحلنا عليها كثيراً.

{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ} (الواقعة:58) {أَأَنْتُمْ تَخلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ} (الواقعة:59)

وهذا الذي تضمنته هذه الآية من البراهين القاطعة على كمال قدرة الله على البعث وغيره، وعلى أنه المعبود وحده، ببيان أطوار خلق الإنسان، جاء موضحاً في آيات أخر، وقد قدمنا الكلام على ذلك مستوفيً بالآيات القرآنية، وبينا ما يتعلق بكل طورمن أطواره من الأحكام الشرعية في سورة الحج في الكلام على قوله تعالى: {يَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ}. وذكرنا أطوار خلق الإنسان في سورة الرحمن أيضاً في الكلام على قوله تعالى: {خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ} وفي غير ذلك من المواضع. وبينا الآيات الدالة على أطوار خلقه جملة وتفصيلاً في الحج.

{نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} (الواقعة:60) {عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ} (الواقعة:61)

وهذا المعنى دلت عليه آيات كثيرة من كتاب الله كقوله تعالى فى الحج {ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا۟ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُمْ مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ} وقوله تعالى فى غافر {ثُمَّ لِتَكُـونُوا۟ شُيُوخاً وَمِنكُمْ مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا۟ أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّـكُمْ تَعْقِلُونَ} وقوله تعالى فى فاطر {وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِى كِتَابٍ} وقوله تعالى فى المنافقون {وَلَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْساً إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ} وقوله {وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} أي ما نحن بمغلوبين، وهذا المعنى دلت عليه آيات كثيرة كقوله تعالى فى الاعراف {فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} وقوله تعالى فى نوح {إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَآءَ لاَ يُؤَخَّرُ}، وقوله تعالى فى ال عمران {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً} إلى غير ذلك من الآيات. وعلى هذا القول، فقوله تعالى: {عَلَى أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ} ليس متعلقاً بمسبوقين بل بقوله

تعالى: {نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ} والمعنى: نحن قدرنا بينكم الموت على أن نبدل أمثالكم، وعلى هذا، فمعنى تبديل أمثالهم إيجاد آخرين من ذرية أولئك الذين ماتوا وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى في الانعام: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُمْ مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ} إلى غير ذلك من الآيات. الوجه الثاني: أن قدرنا بمعنى قضينا وكتبنا أي كتبنا الموت وقدرناه على جميع الخلق، وهذ الوجه تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى في القصص: {كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ}، وقوله تعالى ال عمران: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ}، وقوله تعالى في الفرقان: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَىِّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ}، وعلى هذا القول فقوله: {عَلَى أَن نُّبَدِّلَ}: متعلق بمسبوقين أي ما نحن مغلوبين والمعنى وما نحن بمغلوبين على أن نبدل أمثالكم. وهذا المعنى تشهد له آيات من كتاب الله كقوله تعالى في النساء: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِـــاخَرِينَ وَكَانَ اللهُ عَلَى ذلِكَ قَدِيراً} وقوله تعالى في الانعام: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ}، وقوله تعالى في ابراهيم: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ}. وقوله تعالى في محمد: {وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ}، وقد قدمنا هذا في سورة النساء في الكلام على قوله تعالى: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ}.

{وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلا تَذَكَّرُونَ} (الواقعة:62)

أي قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة فهلا تتذكرون وتعرفون أن الذي قدر على هذه النشأة وهي البداءة قادر على النشأة الأخرى وهي الإعادة بطريق الأولى والأخرى كما قال تعالى {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه} وقال تعالى {أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا} وقال تعالى {أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم} وقال تعالى {أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى}.

{أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ}(الواقعة:63) {أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}(الواقعة:64) {لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ}(الواقعة:65)

كون إنبات النبات بعد عدمه من براهين البعث، جاء موضحاً في آيات كقوله فى فصلت: {وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَآءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحْىِ الْمَوْتَى} وقوله تعالى فى الروم: {فَانظُرْ إِلَى ءَاثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْىِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ}، وقوله تعالى فى الاعراف: {حَتَّى إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا به الْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}. والآيات بمثل هذا كثيرة معلومة، وقد قدمناها مستوفاة مع سائر آيات براهين البعث في مواضع كثيرة في سورة البقرة والنحل والجاثية، وغير ذلك من المواضع، وأحلنا عليها مراراً.

{إِنَّا لَمُغْرَمُونَ}(الواقعة:66) {بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ}(الواقعة:67) {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ}(الواقعة:68) {أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ}(الواقعة:69) {لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ}(الواقعة:70)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من الامتنان على الخلق بالماء وأنهم يلزمهم الإيمان بالله وطاعته شكراً لنعمة هذا الماء، كما أشار له هنا بقوله: {فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ} جاء في آيات أخر من كتاب الله كقوله تعالى فى الحجر: {فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَاء فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَآ أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ}، وقوله تعالى فى النحل: {هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ}، وقوله تعالى فى الفرقان: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً طَهُوراً لِّنُحْيِىَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً وَنُسْقِيَهِ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَاماً وَأَنَاسِىَّ كَثِيراً}.

وقوله تعالى فى المرسلات: {وَأَسْقَيْنَاكُم مَّآءً فُرَاتاً} إلى غير ذلك من الآيات. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كونه تعالى. لو شاء لجعل الماء غير صالح للشراب، جاء معناه في آيات أخر كقوله تعالى فى الملك {قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَّعِينٍ} وقوله تعالى فى المؤمنون {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِى الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ}. وهذا المعنى الذي دلت عليه هذه الآية جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى فى الزمر {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِى الأَرْضِ} وقد قدمنا هذا في سورة الحجر في الكلام على قوله تعالى {فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَآ أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ} وفي سورة سبأ في الكلام على قوله تعالى {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِى الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا}

{أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ}(الواقعة: 71) {أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ}(الواقعة: 72) {نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ}(الواقعة: 73)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون خلق النار من أدلة البعث، وجاء موضحاً في يس في قوله تعالى {قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ الَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَآ أَنتُم مِّنْه تُوقِدُونَ} فقوله في آخر يس {تُوقِدُونَ} هو معنى قوله في الواقعة: {تُورُونَ} وقوله في آية يس {الَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً} بعد قوله {يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ} دليل واضح على أن خلق النار من أدلة البعث.

{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}(الواقعة: 74) {فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ}(الواقعة: 75) {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ}(الواقعة: 76)

قد قدمنا الكلام عليه في أول سورة النجم.

{إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ}(الواقعة:77) {فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ}(الواقعة:78) {لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ}(الواقعة:79) {تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}(الواقعة:80) {أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ}(الواقعة:81) {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ}(الواقعة:82) {فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ}(الواقعة:83)

وذلك حين الاحتضار كما قال تعالى {كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق}.

{وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ}(الواقعة:84) {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ}(الواقعة:85) {فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ}(الواقعة:86) {تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}(الواقعة:87) {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ}(الواقعة:88) {فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ}(الواقعة:89) {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ}(الواقعة:90) {فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ}(الواقعة:91) {وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ}(الواقعة:92) {فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ}(الواقعة:93) {وَتَصْلِيَةُ

جَحِيمٍ}(الواقعة:94) {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ}(الواقعة:95) {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}(الواقعة:96)

وهذا الذي تضمنته هذه الآية ذكره الله جل وعلا في آخر سورة الحاقة في قوله في وصفه للقرآن {وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}، والحق هو اليقين. وقوله {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} فالمعنى: سبح اسم ربك العظيم كما يوضحه قوله في الأعلى {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الاَعْلَى}.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الحديد

{سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الحديد:1)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أهل السماوات والأرض يسبحون لله، أي ينزهونه عما لا يليق، بينه الله جل وعلا في آيات أخر من كتابه كقوله تعالى في سورة الحشر {سَبَّحَ للهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} وقوله في الصف {سَبَّحَ للهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } وقوله في الجمعة {يُسَبِّحُ للهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}، وقوله في التغابن {يُسَبِّحُ للهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ}. وزاد في سورة بني إسرائيل أن السموات السبع والأرض يسبحن لله مع ما فيهما من الخلق وأن تسبيح السموات ونحوها من الجمادات يعلمه الله ونحن لا نفقهه أي لا نفهمه، وذلك في قوله تعالى: {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ} وهذه الآية الكريمة تدل دلالة واضحة على أن تسبيح الجمادات المذكور فيها وفي قوله تعالى: {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ} ونحو ذلك تسبيح حقيقي يعلمه الله ونحن لا نعلمه. وقد قدمنا إيضاحا لهذا في سورة الرعد في الكلام على قوله تعالى: {وَللهِ يَسْجُدُ مَن فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُم

بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ} وفي سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: {فوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ}، وفي سورة الأحزاب في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا} وفي غير ذلك من المواضع.

{لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(الحديد:2) {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(الحديد:3) {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}(الحديد:4)

قوله: {فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ}. قد قدمنا إيضاحه في سورة فصلت في الكلام على قوله تعالى: {قُلْ أَءِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ} ــ إلى قوله تعالى ــ {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ}، وفي سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ}. وقوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} قد قدمنا الآيات الموضحة له بكثرة في سورة الأعراف في الكلام على قوله تعالى {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ}. وذكرنا طرفاً صالحاً من ذلك في سورة القتال في كلامنا الطويل على قوله تعالى: {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ}.

{يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} (الحديد:4)

قد قدمنا إيضاحه في أول سورة سبأ في الكلام على قوله تعالى: {يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِى الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا ينزِلُ مِنَ السَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ}.

{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (الحديد: 4)

قد قدمنا إيضاحه وبينا الآيات القرآنية الدالة على المعية العامة. والمعية الخاصة، مع بيان معنى المعية في آخر سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ}.

{لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} (الحديد: 5)

أي هو المالك للدنيا والآخرة كما قال تعالى {وإن لنا للآخرة والأولى} وهو المحمود على ذلك كما قال تعالى {وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة} وقال تعالى {الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير} فجميع ما في السماوات والأرض ملك له وأهلهما عبيد أرقاء أذلاء بين يديه كما قال تعالى {إن كل ما في السماوات والأرض إلا آت الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا} ولهذا قال {وإلى الله ترجع الأمور} أي إليه المرجع يوم القيامة فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يجور ولا يظلم مثقال ذرة بل إن يكن عمل أحدهم حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها {ويؤت من لدنه أجرا عظيما} كما قال تعالى {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين}.

{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (الحديد: 6) {آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} (الحديد: 7)

{وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (الحديد:8) {هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (الحديد:9)

وهذا المعنى الذي تضمنته هذه الآية الكريمة جاء مبيناً في قوله تعالى في الطلاق: {فَاتَّقُواْ اللهَ يأُوْلِى الأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُواْ قَدْ أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَّسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} وآية الطلاق هذه بينت أن آية الحديد من العام المخصوص، وأنه لا يخرج بهذا القرآن العظيم من الظلمات إلى النور إلا من وفقهم الله للإيمان والعمل الصالح، فقوله في الحديد: {لِّيُخْرِجَكُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ} أي بشرط الإيمان والعمل الصالح بدليل قوله: {لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ}. فالدعوة إلى الإيمان بالقرآن والخروج بنوره من ظلمات الكفر عامة، ولكن التوفيق إلى الخروج به من الظلمات إلى النور خاص بمن وفقهم الله، كما دلت عليه آيات الطلاق المذكورة والله جل وعلا يقول: {وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون القرآن نوراً يخرج الله به المؤمنين من الظلمات إلى النور، جاء موضحاً في آيات من كتاب الله كقوله تعالى: {يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً} وقوله تعالى: {قَدْ جَآءَكُمْ مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} وقوله تعالى: {فَامِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنّورِ الَّذِى أَنزَلْنَا} وقوله تعالى: {فَالَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} وقوله تعالى: {وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا}.

{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ} (الحديد:10)

أي أنفقوا ولا تخشوا فقرا وإقلالا فإن الذي انفقتم في سبيله هو مالك السماوات والأرض وبيده مقاليدهما وعنده خزائنهما وهو مالك العرش بما حوى وهو القائل {وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين} وقال {ما عندكم ينفد وما عند الله باق} فمن توكل على الله أنفق ولم يخش من ذي العرش إقلالا وعلم أن الله سيخلفه عليه.

{وَلله مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} (الحديد:10)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة مريم في الكلام على قوله تعالى: {وإِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا}.

{لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}(الحديد:10) {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ}(الحديد:11) {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}(الحديد:12)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة مما ذكرنا، جاء موضحاً في آيات أخر، أما سعي نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، فقد بينه تعالى في سورة التحريم، وزاد فيها بيان دعائهم الذين يدعون به في ذلك الوقت وذلك في قوله تعالى: {يَوْمَ لاَ يُخْزِى اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا}. وأما

تبشيرهم بالجنات، فقد جاء موضحاً في مواضع أخر، وبين الله فيها أن الملائكة تبشرهم وأن ربهم أيضاً يبشرهم كقوله تعالى: {يُبَشِّرُهُم رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً إِنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ} ــ إلى قوله ــ {نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ} إلى غير ذلك من الآيات.

{يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} (الحديد:13) {يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ} (الحديد:14)

قد قدمنا مراراً معاني الفتنة وإطلاقاتها في القرآن، وبينا أن من معاني إطلاقاتها في القرآن الضلال كالكفر والمعاصي، وهو المراد هنا أي فتنتم أنفسكم: أي أضللتموها بالنفاق الذي هو كفر باطن، ومن هذا المعنى قوله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ} أي لا يبقى شرك كما تقدم إيضاحه، وقوله: {وَتَرَبَّصْتُمْ} التربص: الانتظار كقوله تعالى: في منافقي الأعراب المذكورين في قوله: {وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ}، {وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ} وقوله تعالى: {وَارْتَبْتُمْ} أي شككتم في دين الإسلام، وشكهم المذكور هنا وكفرهم بسببه بينه الله تعالى في قوله عنهم: {إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ}. وقوله تعالى: {وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِىُّ حَتَّى جَآءَ أَمْرُ اللهِ}. وهي ما يمنون به أنفسهم من الباطل، كزعمهم أنهم مصلحون في نفاقهم، وأن المؤمنين حقاً سفهاء في صدقهم، أي في إيمانهم، كما بين تعالى ذلك في قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِى الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ}، وقوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ آمَنَ السُّفَهَآءُ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَآءُ}، وما تضمنته هذه

الآية الكريمة، من كون الأماني المذكورة من الغرور الذي اغتروا به جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى {لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ} ـــ إلى قوله ـــ {وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً}. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {وَغَرَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ} هو الشيطان وعبر عنه بصيغة المبالغة، التي هي المفعول لكثرة غروره لبني آدم، كما قال تعالى {وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً}. وما ذكره جل وعلا وفي هذه الآية الكريمة، من أن الشيطان الكثير بالغرور غرهم بالله، جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى في آخر لقمان: {إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ الْغَرُورُ}، وقوله في أول فاطر {يأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَابِ السعير}.

{فَالْيَوْمَ لا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (الحديد: 15)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة آل عمران في الكلام على قوله تعالى: {فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ} وفي غير ذلك من المواضع.

{أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} (الحديد: 16)

فالآية كقوله تعالى: {اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ} وما نزل من الحق هنا كما ذكر، وقوله تعالى: {وَلاَ يَكُونُواْ كَالَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ} قد قدمنا في سورة البقرة في الكلام على قوله: {ثُمَّ قَسَتْ

قُلُوبُكُمْ} بعض أسباب قسوة قلوبهم، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كثرة الفاسقين، من أهل الكتاب جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى: {وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} وقوله تعالى: {فَاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} إلى غير ذلك من الآيات.

{اعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}(الحديد:17) {إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ} (الحديد:18) {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} (الحديد:19) {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً} (الحديد:20)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة الزمر في الكلام على قوله تعالى: {ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً}، وبينا هناك الآية الدالة على سبب اصفراره.

{وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} (الحديد:20) {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ

آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}(الحديد: 21) { مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ} (الحديد: 22)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من أنه لا يصيب الناس شيء من المصائب إلا وهو مكتوب عند الله قبل ذلك، أوضحه الله تعالى في غير هذا الموضع، كقوله تعالى: {قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } وقوله تعالى {مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ} وقوله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}،

{لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}(الحديد: 23) {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}(الحديد: 24) {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} (الحديد: 25)

قد قدمنا الكلام عليه في سورة شورى هذا الكلام على قوله: {اللهُ الَّذِى أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ}، وقدمنا هناك كلام أهل العلم في معناه.

{وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} (الحديد:25)

بين الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة والتي قبلها، أن إقامة دين الإسلام تنبني على أمرين: أحدهما هو ما ذكره بقوله {وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ} لأن في ذلك إقامة البراهين على الحق وبين الحجة وإيضاح الأمر والنهي والثواب والعقاب، فإذا أصر الكفار على الكفر وتكذيب الرسل مع ذلك البيان والإيضاح، فإن الله تبارك وتعالى أنزل الحديد أي خلقه لبني آدم ليردع به المؤمنون الكافرين المعاندين، وهو قتلهم إياهم بالسيوف والرماح والسهام، وعلى هذا فقوله هنا: {وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ} توضحه آيات كثيرة، كقوله تعالى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ}، وقوله تعالى {فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}، والآيات في مثل ذلك كثيرة معلومة، وقوله: {وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ}، لا يخفى ما في الحديد من المنافع للناس، وقد أشار الله إلى ذلك في قوله: {وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى النَّارِ ابْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ} لأن مما يوقد عليه في النار ابتغاء المتاع الحديد.

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} (الحديد:26)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الزخرف في الكلام على قوله تعالى: {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلاَءِ}.

{ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْأِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} (الحديد:27) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (الحديد:28)

وأن ما وعد الله به المؤمنين من هذه الأمة أعظم مما وعد به مؤمني أهل الكتاب وإتيانهم أجرهم مرتين كما قال تعالى فيهم: {الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُواْ ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ}. وكون ما وعد به المؤمنين من هذه الأمة أعظم أن إيتاء أهل الكتاب أجرهم مرتين أعطى المؤمنين من هذه الأمة مثله كما بينه بقوله: {يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ}، وزادهم بقوله: {وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ}.

{لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (الحديد:29)

ما تضمنته هذه الآية الكريمة من أن الفضل بيد الله وحده وأنه يؤتيه من يشاء جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى {وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ}. وقد قدمنا الآيات الموضحة له في أول سورة فاطر في الكلام على قوله تعالى: {مَّا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ}.

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المجادلة

{قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (المجادلة:**1**) **{الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ}** (المجادلة:**2**) **{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}** (القصص:**3**) **{فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** (المجادلة:**4**)

قد قدمنا الكلام عليه موضحاً في سورة الأحزاب في الكلام على قوله تعالى: {وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ}

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ}(المجادلة:5) {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (المجادلة:6) {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (المجادلة:7)

قد قدمنا الكلام عليه في آخر سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ}.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (المجادلة:8)

قد قدمنا الكلام عليه مع بيان الفرق بين النجوى بالخير، والنجوى بالإثم والعدوان في سورة النساء في الكلام على قوله تعالى {لاَّ خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} (المجادلة:9) {إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (المجادلة:10) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (المجادلة:11) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (المجادلة:12) {أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (المجادلة:13) {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (المجادلة:14)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون المنافقين ليسوا من المؤمنين، ولا من القوم الذين تولوهم وهم الذين غضب الله عليهم من اليهود، جاء موضحاً في غير هذا الموضع كقوله تعالى فى النساء {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} ــ إلى قوله ــ {مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاءِ}.

{أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (المجادلة:15) {اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} (المجادلة:16)

وهذان الأمران اللذان تضمنتهما هذه الآية الكريمة وهما كون المنافقين يحلفون الأيمان الكاذبة لتكون لهم جنة، وأنهم يصدون غيرهم عن سبيل الله جاءا موضحين في آيات أخر من كتاب الله، أما أيمانهم الكاذبة فقد بينها الله جل وعلا في آيات كثيرة، كقوله تعالى في هذه السورة {وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}، وقوله تعالى فى التوبة {يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ}، وقوله تعالى: {سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِم لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ}. وقوله تعالى {وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} وقوله تعالى فى المنافقين {اتَّخَذُواْ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}. وأما صدهم من أطاعهم عن سبيل الله فقد بينه الله في آيات من كتابه كقوله تعالى فى الاحزاب {قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَآئِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا}، وقوله تعالى فى ال عمران {يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِنْدَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ}، وقوله تعالى: {الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا}، وقوله تعالى فى النساء: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ}.

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ}، أي لأجل نفاقهم، كما قال تعالى فى النساء {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ}.

{لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}

(المجادلة:17)

قد قدمنا الآيات الموضحة له في سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ} ــ إلى قوله ــ {خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً}.

{يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ} (المجادلة:18) {اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (المجادلة:19)

ما تضمنته هذه الآية الكريمة من إسناد إنساء ذكر الله إلى الشيطان، ذكره تعالى في غير هذا الموضع كقوله تعالى فى الانعام: {وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}، وقوله تعالى فى يوسف {فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ}، وفي معناه قول فتى موسى فى الكهف: {وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ}.

{إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ} (المجادلة:20)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من كون الذين يحادون الله ورسوله هم أذل خلق الله، بينه جل وعلا في غير هذا الموضع، وذلك بذكره أنواع عقوبتهم المفضية إلى الذل والخزي والهوان، كقوله تعالى فى التوبة: {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْىُ الْعَظِيمُ} وقوله تعالى فى المجادلة: {إِنَّ

الَّذِينَ يُحَآدُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ}، وقوله تعالى فى الحشر {وَلَوْلاَ أَن كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاَءَ لَعَذَّبَهُم فِى الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَآقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} وقوله تعالى فى الانفال {فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ} إلى غير ذلك من الآيات.

{كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} (المجادلة: 21)

وقد دلت هذه الآية الكريمة، وأمثالها من الآية كقوله تعالى فى الصافات: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} أنه لن يقتل نبي في جهاد قط، لأن المقتول ليس بغالب، لأن القتل قسم مقابل للغلبة، كما بينه تعالى في قوله فى النساء: {وَمَن يُقَاتِلْ فِى سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ}. وقال تعالى فى غافر: {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا}. وقد نفى عن المنصور كونه مغلوباً نفياً باتاً في قوله تعالى فى ال عمران: {إِن يَنصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ}. وبهذا تعلم أن الرسل الذين جاء في القرآن أنهم قتلوا كقوله تعالى فى البقرة: {أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُم اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ} وقوله تعالى فى ال عمران: {قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ} ليسوا مقتولين في جهاد، وأن نائب الفاعل في قوله تعالى فى ال عمران: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ}، على قراءة قتل بالبناء للمفعول، هو ربيون لا ضمير النبي. وقد أوضحنا هذا غاية الإيضاح بالآيات القرآنية في سورة آل عمران في الكلام على قوله تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ} وذكرنا بعضه في الصافات في الكلام على قوله تعالى فى الصافات: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ}.

{لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (المجادلة:22)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي والزجر العظيم عن موالاة أعداء الله جاء موضحاً في آيات أخر كقوله تعالى فى الممتحنة: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِى إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءآؤاْ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُواْ بِاللهِ وَحْدَهُ}. وقوله تعالى فى الفتح: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ}، وقوله تعالى فى المائدة: {فَسَوْفَ يَأْتِى اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ}. وقوله تعالى فى التوبة: {وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً}. وقوله تعالى فى التوبة: {يَأَيُّهَا النَّبِىُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} إلى غير ذلك من الآيات. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تثبيت الإيمان في قلوبهم جاء موضحاً في قوله تعالى فى الحجرات: {وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْايمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَنِعْمَةً}.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الحشر

{سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الحشر: 1)

قد قدمنا الكلام على معنى التسبيح عند قوله تعالى فى الانبياء: {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ}.

شمل إسناد التسبيح لكل شيء في نطاق السماوات والأرض، عاقل وغير عاقل. وقد أكد هذا الشمول بصريح قوله تعالى فى الاسراء: {وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ}، وكلمة «شيء» أعم العمومات. وقد جاء في القرآن الكريم، والسنة المطهرة إثبات التسبيح من كل ذلك كل على حدة. أولاً: تسبيح الله تعالى نفسه فى الاسراء: {سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً}، وفى الروم{فَسُبْحَانَ الله حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيّاً وَحِينَ تُظْهِرُونَ}،وفى الانبياء {لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاَّ الله لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ الله رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}. ثانياً: تسبيح الملائكة فى البقرة {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} وقوله فى الزمر: {وَتَرَى الْمَلاَئِكَة حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ}. وفى الأنبياء {يُسَبِّحُونَ الْلَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ}. ثالثاً: تسبيح الرعد فى الرعد: {وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ}. رابعاً: تسبيح السماوات السبع والأرض فى الاسراء، {تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ}. خامساً: تسبيح الجبال فى ص: {إِنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ}. سادساً: تسبيح الطير فى الانبياء: {وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ}. سابعاً: تسبيح الإنسان فى الحجر: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِّنَ السَّاجِدِينَ}، وفى الواقعة {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}، وفى مريم {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً}.

{هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ} (الحشر:2)

أجمع المفسرون أنها في بني النضير، وقد تقدم بيان نظيره عند قوله تعالى الاحزاب: {وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً} ، فذكر جل وعلا أنه {رد الذين كفروا بغيظهم} الآية. ولم يبين هناك السبب الذي ردهم به. ولكنه جل وعلا بين ذلك بقوله: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا} وهنا أيضاً في هذه الآية أسند إخراجهم إليه تعالى مع حصار المسلمين إياهم، وقد بين تعالى السبب الحقيقي لإخراجهم في قوله تعالى: {فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ} وقد أكد هذا بقوله تعالى مخاطباً للمسلمين في خصوصهم: {فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَآءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} وتسليط الرسول هو بما بين في قوله: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» وهو ما يتمشى مع قوله تعالى: {وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ}. وجملة هذا السياق هنا يتفق مع السياق في سورة الأحزاب عن بني قريظة سواء بسواء، وذلك في قوله تعالى: {وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ}

{لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا} (الحشر:2)

إن غلبة استعمال القرآن بل عموم استعماله في الحشر إنما هو للجمع، منها قوله تعالى فى النمل: {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْس وَالطَّيْرِ}، وقوله فى الانعام: {وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً}، وقوله عن نبي الله داود فىص: {وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ}، وقوله تعالى عن فرعون فى طه: {قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى}، وقوله تعالى فى الاعراف: {قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ}. وقوله فى النازعات: {فَحَشَرَ فَنَادَى} فكلها بمعنى الجمع.

وإذا استعمل بمعنى يوم القيامة فإنه يأتي مقروناً بما يدل عليه، وهو جميع استعمالات القرآن لهذا، مثل قوله تعالى فى الكهف: {وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ} وذلك في يوم القيامة لبروز الأرض. وقوله تعالى فى مريم: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً}، وذلك في يوم القيامة لتقييده باليوم. وقوله تعالى فى طه: {يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً}. وقوله تعالى فى التكوير: {وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} وقوله تعالى فى فصلت: {وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ}. إلى غير ذلك مما هو مقيد بما يعين المراد بالحشر، وهو يوم القيامة.

{ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}

(الحشر:2)

منطوقه أن الرعب سبب من أسباب هزيمة اليهود، ومفهوم المخالفة يدل على أن العكس بالعكس، أي أن الطمأنينة وهي ضد الرعب، سبب من أسباب النصر، وهو ضد الهزيمة. وقد جاء ذلك المفهوم مصرحاً به في آيات من كتاب الله تعالى، منها قوله تعالى في الفتح: {لَّقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً}، ومنها قوله تعالى في التوبة: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَته عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذلِكَ جَزَآءُ الْكَافِرِينَ}، فقد ولوا مدبرين بالهزيمة، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين، وأُنزلَ جنوداً من الملائكة فكان النَّصر لهم ، وهزيمة أعدائهم المشار إليها بقوله تعالى: {وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ} أي بالقتل والسبي في ذلك اليوم. ومنها قوله تعالى في التوبة: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِىَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}.

{وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ} (الحشر: 3) {

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (الحشر: 4)

وهذا يدل على أن الله تعالى أوقع ما أوقعه ببني النضير من إخراجهم من ديارهم وتخريب بيوتهم، بسبب أنهم شاقوا الله ورسوله، وأن المشاقة المذكورة هي علة العقوبة الحاصلة بهم، ولا شك أن مشاقة الله ورسوله من أعظم أسباب الهلاك. و المشاقة قد وقعت من غير اليهود، فلم تقع بهم تلك العقوبة كما وقع من المشركين المنصوص عليها في قوله تعالى في بدر: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَآقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} فلما قدر على أهل مكة لم يوقع بهم ما أوقع باليهود من قتل، بل قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء. وذلك أن مشاقة غير اليهود كانت لجهلهم وشكهم، كما أشار تعالى لذلك عنهم بقوله تعالى فى يس: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} فهم في حاجة إلى زيادة بيان، وكذلك في قوله في أول سورة ص: {وَعَجِبُواْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجَعَلَ الأَلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ} بينما كان كفر اليهود جحود بعد معرفة، فكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم كما فى البقرة {وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}، وقد سمي لهم فيما أنزل كما قال عيسى عليه السلام فى الصف: {وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ} فلم ينفعهم بيان، ولكنه الحسد والجحود كما بين تعالى أمرهم بقوله عنهم فى البقرة: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ} وقوله فى ال عمران: {وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ}، وقوله فى البقرة: {وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}، وقوله فى ال عمران: {يأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}. وهكذا اليهود: إن داءهم الدفين هو الحسد والعجب بالنفس، فجرهم إلى

الكفر، ووقعوا في الخيانة، وكانت النتيجة القتل والطرد. فمشاقة اليهود هذه هي من الإفساد في الأرض الذي نهاهم الله عنه، وعاقبهم عليه مرتين، وتهددهم إن هم عادوا للثالثة عاد للانتقام منهم، وها هم قد عادوا، وشاقوا الله ورسوله، فسلط عليهم رسول الله والمسلمين كما في سورة الإسراء عند قوله تعالى: {وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا}.

{مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلٰى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ الله وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} (الحشر: 5)

الإذن المذكور في الآية، هو إذن شرعي، وهو ما يؤخذ من عموم الإذن في قوله تعالى فى الحج: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ اللهَ عَلٰى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ}، لأن الإذن بالقتال إذن بكل ما يتطلبه والحصار نوع من القتال، ولعل من مصلحة الحصار قطع بعض النخيل لتمام الرؤية إلى غير ذلك من الأغراض الحربية، والتي أشار الله تعالى إليها في قوله: {وَلِيُخْزِىَ الْفَاسِقِينَ} أي بعجزهم وإذلالهم وحسرتهم فالذي أذن بالقتال وهو سفك الدماء وإزهاق الأنفس وما يترتب عليه من سبي وغنائم لا يمنع في مثل قطع النخيل إن لزم الأمر كعمل الخضر في سفينة المساكين لما خرقها، أي أعابها بإتلاف بعضها ليستخلصها من اغتصاب الملك إياها، وقال فى الكهف: {وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى}.

{وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلٰى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلٰكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلٰى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الحشر:6)

وقد تقدم الكلام على كل ما فيها عند أول سورة الأنفال على قوله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ}

{مَا أَفَاءَ اللهُ عَلٰى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبٰى وَالْيَتَامٰى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ} (الحشر:7)

وقد تقدم الكلام على هذه المسألة في سورة الزخرف على قوله تعالى: {نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى الْحَيَوةِ الدُّنْيَا}.

{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (الحشر:7)

السنة كلها مندرجة تحت هذه الآية الكريمة، أي أنها ملزمة للمسلمين العمل بالسنة النبوية، فيكون الأخذ بالسنة أخذاً بكتاب الله، ومصداق ذلك قوله تعالى فى النجم: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى}. وقلنا في سورة الأنفال عند قوله تعالى: {يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اسْتَجِيبُواْللهِوَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}، ما نصه: وهذه الآية تدل بظاهرها على أن

الاستجابة للرسول التي هي طاعته لا تجب إلا إذا دعانا لما يحيينا، ونظيرها قوله تعالى فى الممتحنة: {وَلاَ يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ}. وقد جاء في آيات أخر ما يدل على وجوب اتباعه مطلقاً من غير قيد، كقوله: {وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُواْ} وقوله فى ال عمران: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ}، وفى النساء {مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ}. والظاهر: أن وجه الجمع والله تعالى أعلم: أن آيات الإطلاق مبينة أنه لا يدعونا إلا لما يحيينا من خيري الدنيا والآخرة، فالشرط المذكور في قوله: {إِذَا دَعَاكُمْ} متوفر في دعاء النَّبي لمكان عصمته، كما دل عليه قوله تعالى: {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْىٌ يُوحَى}. والحاصل: أن آية {إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} مبينة أنه لا طاعة إلا لمن يدعو إلى ما يرضي الله، وأن الآيات الأخر بينت أن النَّبي لا يدعو أبداً إلا إلى ذلك، صلوات الله وسلامه عليه.

{لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ الله وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (الحشر:8)

في هذه الآية الكريمة وصف شامل للمهاجرين في دوافع الهجرة: أنهم {يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ الله وَرِضْوَاناً}، وغايتها: وهي {وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ}، والحكم لهم بأنهم {أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}. ومنطوق هذه الأوصاف يدل بمفهومه أنه خاص بالمهاجرين، مع أنه جاءت نصوص أخرى تدل على مشاركة الأنصار لهم فيه: منها قوله تعالى فى الانفال: {إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ

وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ}، وقوله تعالى بعدها:

{وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً}.

{وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (الحشر:9) {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} (الحشر:10) {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} (الحشر:11) {لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ} (الحشر:12) {لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ} (الحشر:13)

أي يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله كقوله تعالى {إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية}.

{لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ} (الحشر:14) {كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (الحشر:15) {كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)(الحشر:16) {فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ} (الحشر:17) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (الحشر:18)

في هذه الآية الكريمة حث على تقوى الله في الجملة فقد دلت له عدة آيات من كتاب الله تعالى قوله تعالى فى البقرة: {يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِىْ خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}، ومعلوم أنه تعالى ما خلق الجن والإنس إلا لعبادته، فتكون التقوى بمضمون هاتين الآيتين. وقد جاء النص مفصلاً في حق كل أمة على حدة، منها في قوم نوح عليه السلام قال تعالى فى الشعراء: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطِيعُونِ}،

وفي قوم عاد قال تعالى فى الشعراء: {كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطِيعُونِ}، وفي قوم لوط فى الشعراء: {كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلا تَتَّقُونَ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطِيعُونِ}، وفي قوم شعيب، قوله تعالى فى الشعراء: {كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاَ تَتَّقُونَ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُواْ اللهَ وَأَطِيعُونِ}. فكل نبي يدعو قومه إلى التقوى كما قدمنا، ثم جاء القرآن كله دعوة إلى التقوى وهداية للمتقين، كما في مطلع القرآن الكريم: {الم ذلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}، وبين نوع هذه الهداية المتضمنة لمعنى التقوى بقوله تعالى: {الَّذِين يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالأْخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِم وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.وقد بيننا معنى التقوى عند قوله تعالى فى البقرة: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى}.ولم يبين هنا من المتقي، وقد بينه تعالى في قوله فى البقرة: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الأْخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَوةَ وَءَاتَى الزَّكَوةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِى الْبَأْسَآءِ والضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ}. وقد بينت آيات عديدة آثار التقوى في العاجل والآجل. منها في العاجل قوله تعالى فى الطلاق: {وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً}، وقوله فى الطلاق: {وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ}، وقوله فى البقرة: {وَاتَّقُواْ اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ}، وقوله فى النحل: {إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ}. أما في الآجل وفي الآخرة، فإنها تصحب صاحبها ابتداء إلى أبواب الجنة كما في قوله تعالى فى

الزمر: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَت أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}، فإذا ما دخلوها آخت بينهم وجددت روابطهم فيما بينهم وآنستهم من كل خوف، كما في قوله تعالى فى الزخرف: {الأَخِلاَءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ}، {ياعِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَايَاتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ} إلى قوله: {لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ} إلى أن تنتهي بهم إلى أعلى عليين، وتحلهم مقعد صدق، كما في قوله تعالى فى القمر: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّاتٍ وَنَهَرٍفِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ}. والخطاب في قوله تعالى: {وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ}، لكل نفس كما في قوله تعالى فى البقرة: {ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ}، وقوله فى ال عمران: {وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ}. فالنداء أولاً بالتقوى لخصوص المؤمنين، والأمر بالنظر لعموم كل نفس، لأن المنتفع بالتقوى خصوص للمؤمنين كما في أول سورة البقرة، والنظر مطلوب من كل نفس فالخصوص للإشفاق، والعموم للتحذير. ويدل للأول قوله تعالى فى الاحزاب: {وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً}. ويدل للثاني قوله فى ال عمران: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدَا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفُ بِالْعِبَادِ}. وما في قوله تعالى: {مَّا قَدَّمَتْ} عامة في الخير والشر، وفي القليل والكثير. ويدل للأول قوله تعالى فى ال عمران: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدَا بَعِيدًا}. ويدل للثاني قوله تعالى فى الزلزلة: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ}، والحديث «اتقوا النار ولو بشق تمرة». وهنا قد تكرر الأمر بتقوى الله مرتين، يكون الأول لفعل المأمور والثاني لترك

المحظور، مستدلين بمجيء موجب الفعل أولاً {وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ}، ومجيء موجب التحذير ثانياً {إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}. ويشهد للتأكيد قوله تعالى: {اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} وإن كانت نسخت بقوله فى التغابن: {فَاتَّقُواْ اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} فيدل لمفهومه قوله فى التوبة: {وَءَاخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَءَاخَرَ سَيِّئاً} أي بترك بعض المأمور، وفعل بعض المحظور.

{وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (الحشر:19)

وقد نص القرآن على أن الذين نسوا الله هم المنافقون في قوله تعالى في سورة التوبة: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} وهذا عين الوصف الذي وصفوا به في سورة الحشر. وقوله تعالى: {فَنَسِيَهُمْ} أي أنساهم أنفسهم، لأن الله تعالى لا ينسى {لاَّ يَضِلُّ رَبِّى وَلاَ يَنسَى}، {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً}. وقد جاء أيضاً: وصف كل من اليهود والنصارى والمشركين بالنسيان في الجملة، ففي اليهود يقول تعالى فى المائدة: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظَّا مِّمَّا ذُكِرُواْ به}.وفي النصارى يقول تعالى فى المائدة: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظّاً مِّمَّا ذُكِرُواْ بِهِ}. وفي المشركين يقول تعالى فى الاعراف: {الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا

نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُواْ بِـَايَاتِنَا يَجْحَدُونَ}، أما النسيان هنا، فهو بمعنى الترك، وقد تقدم عند الكلام على قوله تعالى فى طه: {وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ}. فالمراد من هذه الآية الترك قصداً كقوله فى الاعراف: {فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُواْ بِـَايَاتِنَا يَجْحَدُونَ}. أما النسيان الذي هو ضد الذكر، وهو الترك عن غير قصد، فليس داخلاً هنا، لأن هذه الأمة قد أعفيت من المؤاخذة عليه، كما في قوله تعالى فى البقرة: {رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا}.

{لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ} (الحشر:20)

وهذا البيان قد جاءت نظائره عديدة في القرآن كقوله تعالى فى ص: {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} وكقوله فى السجدة: {أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لاَّ يَسْتَوُونَ} أي في الحكم عند الله، ولا في الواقع في الحياة أو في الآخرة، كما قال تعالى فى الجاثية: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُواْ السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ}، وهنا كذلك {لاَ يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ} في المرتبة والمنزلة والمصير. كما جاء مثل هذا السياق كاملاً متطابقاً فيفسر بعضه بعضاً كما قدمنا، وذلك في سورة التوبة قال تعالى {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِىَ

حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ}. ثم جاء مقابلة تماماً في نفس السياق في قوله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}. ثم يأتي الختام في المقامين متحداً، وهو الحكم بالفوز لأصحاب الجنة، ففي آية التوبة {ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} وفي آية الحشر {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَآئِزُونَ}.

Form 72 Back HL

{لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلٰى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ} (الحشر: 21)

وقوله تعالى: {لَوْ أَنزَلْنَا} يدل على أنه لم ينزله على جبل ولم يتصدع منه. وقد جاء في القرآن ما يدل عليه: لو أنزله، من ذلك قوله تعالى فى الاحزاب: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلٰى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا}

{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الحشر: 21)

وفي آية أخرى فى العنكبوت: {وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلاَّ الْعَالِمُونَ}. وقد سبق الكلام عند قوله تعالى فى الكهف: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَىءٍ جَدَلاً}.

{هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} (الحشر:22) {هُوَ اللهُ الَّذِي لا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الحشر:23) {هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الحشر:24)

هذه الآيات الثلاث مشتملة على ثلاث قضايا توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتنزيه الله سبحانه وتعالى مع إقامة الأدلة عليها. فبدأ بكلمة التوحيد، لأنها الأصل {هُوَ اللهُ الَّذِى لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ} ثم أعقبه بالدليل على إفراده تعالى بالألوهية بما لا يشاركه غيره فيه بقوله تعالى: {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} وهذا الدليل نص عليه على أنه دليل لوحدانية الله تعالى في مواضع أخرى منها قوله تعالى فى طه {إِنَّمَآ إِلَهُكُمُ اللهُ الَّذِى لا إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْماً} ووسع كل شيء هنا تساوى عالم الغيب والشهادة، ومنها قوله تعالى فى النمل {أَلاَّ يَسْجُدُواْ للهِ الَّذِى يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِى السَّمَاوَاتِ وَالاٌّرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}. وقوله تعالى فى البقرة {اللهُ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ} إلى قوله {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ}. وجاء بدليل ثان، وهو قوله تعالى {هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} وقد نص عليه صراحة أيضاً كدليل على الوحدانية في قوله تعالى فى البقرة {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـٰهَ

إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} فهو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة. ومن رحمته التي اختص بها في الدنيا قوله فى الشورى: {وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ} وقوله فى الروم: {فَانظُرْ إِلٰى ءَاثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْىِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ} أي: بإنزاله الغيث وإنبات النبات ممالا يقدر عليه إلا هو فكان حقه على خلقه أن يعبدوه وحده لا إله إلا هو. وقد جمع الدليلين العلم والرحمة معاً في قوله تعالى فى غافر {رَبَّنَا وَسِعْتَ كُــلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً}. ثم جاءت كلمة التوحيد مرة أخرى، {هُوَ اللهُ الَّذِى لاَ إِلــٰهِ إِلاَّ هُوَ}، وجاء بعدها من الصفات الجامعة قوله: {الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ}،وهذا الدليل على وحدانيته تعالى نص عليه في موضع آخر صريحاً في قوله تعالى فى الاعراف {قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلــٰهِ إِلاَّ هُوَ يُحْىِ وَيُمِيتُ} فالذي له ملك السماوات والأرض هو الملك الحق الكامل الملك، وهو الذي يملك التصرف في ملكه كما يشاء بالإحياء والإماتة وحده، كما قال تعالى فى الملك {تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌالَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوةَ} وهو القدوس السلام المؤمن المهيمن على ملكه كما في قوله أيضاً {اللهُ لاَ إِلــٰهِ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ} فالقيوم هو المهيمن والقائم بكل نفس، العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون، ثم جاء بالدليل الأعظم في قوله تعالى {هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِىءُ الْمُصَوِّرُ} فهو وحده المتفرد بالخلق والإيجاد، والإبداع والتصوير، وقد نص على هذا الدليل في أكثر من موضع كما في قوله تعالى فى الانعام {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} ثم قال {ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلــٰهِ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ}. وذكر أيضاً الخلق مفصلاً

والملك مجملاً في قوله تعالى فى الزمر {خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ} ثم قال {ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} وقال فى غافر {ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ} ثم قال {لاَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} وجمع الملك والخلق معاً في قوله فى الفرقان {الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِى المُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً} إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى. وقد جاء هذا الدليل في القرآن جملة وتفصيلاً، فمن الإجمال ما جاء في أصل المخلوقات جميعاً فى الزمر {اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ} وقوله تعالى فى الملك: {تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ}، وقال فى يس: {إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} ثم قال {فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ} وقال فى الملك: {تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوٰةَ} أي خالق الإيجاد والعدم، وخلق العدم يساوي في الدلالة على القدرة خلق الإيجاد، لأنه إذا لم يقدر على إعدام ما أوجد يكون الموجود مستعصياً عليه، فيكون عجزاً في الموجد له، كمن يوجد اليوم سلاحاً ولا يقدر على إعدامه، وإبطال مفعوله، فقد يكون سبباً في إهلاكه، ولا تكتمل القدرة حقاً إلا بالخلق والإعدام معاً، وقال في خلق السماوات والأرض فى الانعام: {الْحَمْدُ للهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}. وقال في خلق الأفلاك وتنظيمها فى الانبياء: {وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ}. ثم في أصول الموجودات في الأرض بقوله فى البقرة: {هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً}. وفي أصول الأجناس: الماء والنار والنبات والإنسان، قال فى الواقعة: {أَفَرَءَيْتُمْ مَّا تُمْنُونَ أَءَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ

أَم نَحْنُ الْخَالِقُونَ}. وذكر معه القدرة على الإعدام: {نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ}. وفي أصول النبات: {أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ أَءَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزارِعُونَ}. وفي أصول الماء: {أَفَرَءَيْتُمُ الْمَآءَ الَّذِى تَشْرَبُونَ أَءَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ}. وفي أصول تطوير الحياة: {أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ أَءَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ}.

وفي جانب الحيوان فى الغاشية {أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ}

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الممتحنة

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} (الممتحنة: 1)

أما العدو المراد هنا فقد عم وخص في وصفه فوصفه أولاً بقوله {وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ} وخص بوصفه يخرجون الرسول وقد بين تعالى المراد بالذين أخرجوا الرسول والمؤمنين في عدة مواضع، منها قوله تعالى فى محمد: {وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِى أَخْرَجَتْكَ} أي مكة، ومنها قوله فى التوبة: {إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى الْغَارِ}. فعليه يكون المراد بعدوي وعدوكم هنا، خصوص المشركين بمكة. وإن كانت بصورة السبب قطعية الدخول إلا أن عموم اللفظ لا يهمل، فقوله {عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ}، وقوله: {وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُمْ مِّنَ الْحَقِّ} يشمل كل من كفر بما جاءنا من الحق كاليهود والنصارى والمنافقين ومن تجدد من الطوائف وقد جاء النص على كل طائفة مستقلة، ففي سورة المجادلة عن المنافقين قوله تعالى فى المجادلة: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ}. وعن اليهود في سورة الحشر كما تقدم، وعن اليهود والنصارى معاً قوله تعالى فى المائدة: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ

ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَآءَ}. وعن الطوائف ومما يتبع هذا العموم ما جاء في قوله تعالى فى المائدة: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ}.

{إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ} (الممتحنة:2)

قال تعالى فى البقرة: {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ}، وقال فى الانفال {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ} فهذه نصوص القرآن في أن الثقافة بمعنى الإدراك، ومن أدلة القرآن على وجود العداوة بالفعل لدى عموم من دون المؤمنين في قوله تعالى فى ال عمران: {ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} فقوله: من دونكم يشمل المشركين والمنافقين وأهل الكتاب، وقوله: {وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ} أي في الحاضر، وقوله: {قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} لم يتوقف على الشرط المذكور في إن يثقفوكم وعلى هذا تكون الآية إعلان المقاطعة بين المؤمنين، ومن دونهم وقوله: وودوا لو تكفرون، قد بين تعالى سبب ذلك بأنه الحسد كما في قوله تعالى فى البقرة: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ}. وقال تعالى فى النساء: {فَمَا لَكُمْ فِى الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُواْ} إلى قوله {وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً}.

{لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (الممتحنة:3)

الأرحام تستعمل في القرآن لعموم القرابة، كقوله تعالى فى الانفال: {وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ}، وقوله تعالى: {يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ} أي بتقطع الأنساب بينهم، كما بينه تعالى بقوله فى المؤمنون: {فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُم يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَآءَلُونَ}. وقد بين تعالى نتيجة هذا الفصل بينهم يوم القيامة في قوله تعالى فى عبس {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِه وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}، وقوله في موضع آخر فى المعارج: {وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِه الَّتِى

تُؤْيِهِ}، فعمت جميع الأقارب وبينت سبب الفصل بينهم، وما يترتب عليه. وهذه الآية بيان واضح في أن روابط الدين أقوى وألزم من روابط النسب. وهذا المعنى بالذات تقدم الكلام عليه عند قوله تعالى فى الاسراء: {إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يِهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ}.

{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} (الممتحنة:4)

الأسوة كالقدوة ولذا قال تعالى فى الاحزاب: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} وموضع التأسي المطلوب في إبراهيم عليه السلام هو ما قاله مع قومه المتقدم جملة، وما فصله تعالى في موضع آخر في قوله تعالى فى الزخرف: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لاَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ} وهذا التبرؤ جعله باقياً في عقبه، كما قال تعالى فى الزخرف: {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِ}. وقوله تعالى: {إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لاَبِيهِ لاَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ}. لم يبين هنا سبب هذا الاستثناء وهل هو خاص بإبراهيم لأبيه أم لماذا؟ وقد بينه تعالى في موضع آخر في قوله تعالى فى التوبة: {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لاَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} تلك الموعدة التي كانت له عليه في بادىء دعوته حينما قال له أبوه فى مريم {أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِى ياإِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِى مَلِيّاً قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِى حَفِيّاً} فكان قد وعده ووفَّى بعهده، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، فكان محل التأسي في إبراهيم في هذا التبرؤ من أبيه، لما تبين له أنه عدو لله. وقد جاء ما يدل على أنها قضية عامة وليست خاصة في إبراهيم عليه السلام كما في قوله تعالى فى التوبة: {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِى قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} نظير موقف إبراهيم من أبيه مواقف مماثلة في أمم متعددة، منها موقف نوح عليه السلام من ابنه لما قال فى هود {رَبِّ إِنَّ ابُنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} فلما تبين له أمره أيضاً من قوله تعالى: {يانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ} {قَالَ رَبِّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِ عِلْمٌ}. فكان موقف نوح من ولده كموقف إبراهيم من أبيه. ومنها موقف نوح ولوط من أزواجهما في قوله تعالى فى التحريم: {ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِينَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئاً}. ومنها موقف زوجة فرعون من فرعون في قوله تعالى فى التحريم: {وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِى

عِندَكَ بَيْتاً فِى الْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} فتبرأت الزوجة من زوجها، وهذا التأسي قد بين تمام البيان معنى قوله تعالى: {لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ} أي ولا آباؤكم ولا أحد من أقربائكم، يوم القيامة يفصل بينكم، وقول إبراهيم لأبيه {وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِن شَىْءٍ} وقوله فى الانعام: {يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمَانِهَا خَيْرًا}، وقوله فى الانفطار: {يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله}.

{رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الممتحنة:5)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تسلطهم علينا فيفتنونا.

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} (الممتحنة:6)

وقوله: {لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الأَخِرَ} يفسره ما تقدم من قوله: {إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِى سَبِيلِى وَابْتِغَآءَ مَرْضَاتِى}، وقوله تعالى: {وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ} مثله قوله تعالى فى التغابن: {فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّاسْتَغْنَى اللهُ}. وقد جاء بيان استغناء الله عن طاعة الطائعين عموماً وخصوصاً فجاء في خصوص الحج فى ال عمران {وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِىٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}. وجاء في العموم قوله تعالى فى ابراهيم: {إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِى الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ}، لأن أعمال العباد لأنفسهم، كما قال تعالى فى العنكبوت: {وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِىٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}. وقد بين تعالى غناه المطلق بقوله فى لقمان: {لله مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ}.

{عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللهُ قَدِيرٌ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (الممتحنة:7) { لا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ

وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (الممتحنة:8) {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (الممتحنة:9)

كقوله تعالى {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (الممتحنة:10) {وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ} (الممتحنة:11) {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (الممتحنة:12)

القيد بالمعروف هنا للبيان ولا مفهوم له، لأن كل ما يأمر به معروف وقد بيناه عند قوله تعالى فى الانفال: {إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} في دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، وتقدم الكلام عليه عند قوله تعالى فى الحشر {وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ}

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} (الممتحنة:13)

أنها نص في قوم غضب الله عليهم وقد خصهم تعالى في قوله فى المائدة: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ} وقوله فيهم فى البقرة: {فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ} وقد فرق الله بينهم وبين النصارى في قوله تعالى {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَالضَّآلِّينَ}، ولو قيل: إنها

في اليهود والمنافقين، لما كان بعيداً لأنه تعالى نص على غضبه على المنافقين في هذا الخصوص في سورة المجادلة في قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الصف

{سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الصف: 1) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ} (الصف: 2) {كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ} (الصف: 3)

وقد بين القرآن في عدة مواضع أن موضوع الآيتين فيما يتعلق بالجهاد وتمنيهم إياه من ذلك قوله تعالى عنهم فى سورة محمد: {وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَال رَأَيْتَ الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْت} ومنها قوله تعالى فى سورة النساء: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلَوةَ وَءَاتُواْ الزَّكَوةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيب} ومنها قوله تعالى فى الاحزاب: {وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ اللهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَـٰرَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولا}. ففي الآية الأولى تمنوا نزول سورة يؤذن فيها بالقتال، فلما نزلت صار مرضى القلوب كالمغشي عليه من الموت. وفي الثانية: قيل لهم كفوا أيديكم عن القتال، فتمنوا الإذن لهم فيه، فلما كتب عليهم رجعوا وتمنوا لو أخرجوا إلى أجل قريب. وفي الثالثة: أعطوا العهود على الثبات وعدم التولي، وكان عهد الله مسؤولاً، فلما كان في أحد وقع ما وقع وكذلك في حنين، ويشهد لهذا أيضاً قوله تعالى فى الاحزاب: {وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يأَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُواْ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ الْفِتْنَةَ لآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلاَّ يَسِيراً وَلَقَدْ كَانُواْ عَـٰهَدُواْ اللهَ مِن قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ الأَدْبَـٰرَ}، ففي هذا السياق بيان لعتابهم على نقض العهد، وهو معنى: لم تقولون ما لا تفعلون سواء بسواء، ويقابل هذا أن الله تعالى امتدح طائفة أخرى منهم حين

أوفوا بالعهد وصدقوا ما عاهدوا الله عليه في قوله تعالى فى الاحزاب: {مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـــاهَدُواْ اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلا} ثم بين الفرق بين الفريقين بقوله بعدها {لِّيَجْزِيَ اللّهُ الصَّـــادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَـــافِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً وَرَدَّ اللّهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرا}. فتبين بهذا أن الفعل المغاير للقول هنا هو عدم الوفاء بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم من قبل فاستوجبوا العتاب عليه، كما تبين أن الذين وفوا بالعهد استوجبوا الثناء على الوفاء، وقد استدل بالآية من عموم لفظها على الإنكار على كل من خالف قوله فعله، سواء في عهد أو وعد أو أمر أو نهي.

ففي الأمر والنهي كقوله تعالى فى البقرة: { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُم}. وكقوله عن نبي الله شعيب لقومه فى هود: {وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَآ أَنْهَـــاكُمْ عَنْهُ}. وفي العهد قوله فى الاسراء: {وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً}.

{إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ} (الصف: 4)

المراد بالتشبيه هنا هو استواء بنائهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص ويدل لهذا الآتي:

أولاً قوله تعالى فى آل عمران: { وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّىءُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيم}، فالمقاعد هنا هي المواقع للجماعات من الجيش، وهي التعبئة حسب ظروف الموقعة، كما فعل في وضع الرماة في غزوة أحد. حماية لظهورهم من التفاف العدو بهم لطبيعة المكان، وكما فعل في غزوة بدر ورصهم وسواهم بقضيب في يده أيضاً لطبيعة المكان. وثانياً قوله تعالى فى الأنفال: { يَـــا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَـــازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّـــابِرِين} وقد جاءت السنة بهذا التشبيه للتعاون في قوله: «المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً».

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} (الصف: 5)

قول موسى عليه السلام: لم تؤذونني؟ لم يبين نوع هذا الإيذاء وقد جاء مثل هذا الإجمال في قوله تعالى فى الاحزاب: {يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَى فَبرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُوا}، يكون إيذاؤهم إياه إيذاء شخصياً بادعاء العيب فيه خلقة، وهذا وإن صح في آية الأحزاب لقوله تعالى: {فَبرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُواْ}، فإنه لا يصح في آية الصف هذه لأن قوله لهم: {وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ} مما يشير إلى أن الإيذاء في جانب الرسالة لا في جانبه الشخصي، ويرشح له قوله تعالى بعده مباشرة: {فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ}. أي فلما زاغوا بما آذوا به موسى، فيكون إيذاء قومه له هنا إيذاء زيغ وضلال، وقد آذوه كثيراً في ذلك كما بينه تعالى في قوله عنهم فى البقرة: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَـامُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً}. وكذلك قوله تعالى فى البقرة : {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَـانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}. فها هم يؤخذ الميثاق عليهم ويرفع فوقهم الطور، ويقال لهم: {خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ} فكله يساوي قوله: {وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم}. لأن قد هنا للتحقيق، ومع ذلك يؤذونه بقولهم: {سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا} ويؤذونه بأن أشربوا في قلوبهم حب العجل وعبادته بكفرهم، ولذا قال لهم: {بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَـانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ}. ومن مجموع هذا يتبين أن الإيذاء المنصوص عليه هنا هو في خصوص الرسالة، ولا مانع من أنهم آذوه بأنواع من الإيذاء في شخصه، وفي ما جاء به فبرأه الله مما قالوا في آية الأحزاب وعاقبهم على إيذائه فيما أرسل به إليهم بزيغ قلوبهم، والعلم عند الله تعالى.

وقوله تعالى " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم " أي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى " ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون " وقال تعالى " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا " ولهذا قال تعالى في هذه الآية والله لا يهدي القوم الفاسقين. وقد تقدم الكلام عليه في سورة الروم، عند الكلام على قوله تعالى: {ثُمَّ كَانَ عَـاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُواْ السُّوءَى أَن كَذَّبُواْ بِـايَـاتِ اللهِ}.

{وَإِذْ قَالَ عِيسٰى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ} (الصف: 6)

وقد جاء صريحاً التعريف به وبالذين معه في التوراة في قوله تعالى فى الفتح: {مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلٰى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً} إلى قوله تعالى: {ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرَاةِ}. كما جاء وصفهم في الإنجيل في نفس السياق، في قوله تعالى: {وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَه فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلٰى سُوقِهِ} إلى آخر السورة.

وجاء النص في حق جميع الأنبياء في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَـاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلٰى ذٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُمْ مِّنَ الشَّـاهِدِينَ}. وكذلك دعوة نبي الله إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُم}. وقوله تعالى: {اسْمُهُ أَحْمَدُ} جاء النص أنه له عدة أسماء، وفي الصحيح قوله: «أنا لي أسماء أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب».

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلٰى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعٰى إلٰى الْإِسْلامِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (الصف: 7) {يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} (الصف: 8)

تقدم بيان ذلك عند قوله تعالىفى الشورى: { حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِم} وقوله فى الانبياء: { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلٰى الْبَـاطِلِ فَيَدْمَغُه}.

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلٰى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}

(الصف:9) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلٰى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} (الصف:10)

فسرت التجارة بقوله تعالى

{تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (الصف:11)

وبينها تعالى في قوله تعالى فى التوبة: {إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الّجَنة يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ الله فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْءانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ الله فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}

{يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}(الصف:12) {وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} (الصف:13)

أي إذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه تكفل الله بنصركم كما قال الله تعالى " يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " وقال تعالى " ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز " وقوله تعالى " وفتح قريب " أي عاجل فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه ولهذا قال تعالى وبشر المؤمنين.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسٰى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلٰى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلٰى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} (الصف:14)

في هذه الآية أيضاً إشعار المسلمين بالنصر في قوله تعالى: {فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلٰى عَدُوِّهِم فَأَصْبَحُواْ ظَـٰهِرِينَ} ولكن لم يبين فيها هل كانوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار الله أم لا؟

وقد جاء ما يدل على أنهم بالفعل أنصار الله كما تقدم في سورة الحشر في قوله تعالى: {لِلْفُقَرَآءِ الْمُهَـٰجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ}. وكذلك الأنصار في قوله تعالى: {وَالسَّـٰبِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَـٰجِرِينَ وَالأَنْصَـٰرِ} وكقوله تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّآءُ عَلٰى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً} فأشداء على الكفار هو معنى ينصرون الله ورسوله ثم جاء المثل المضروب لهم بالتآزر والتعاون في قوله تعالى: {وَمَثَلُهُمْ فِى الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَه فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلٰى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} فسماهم أنصاراً، وبين نصرتهم سواء من المهاجرين والأنصار رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الجمعة

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} (الجمعة: 1)

كما قال تعالى {وإن من شيء إلا يسبح بحمده}

{هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} (الجمعة: 2)

ومما يدل على أن المراد بالأميين هم العرب بعثة النَّبي منهم لقوله تعالى {رَسُولاً مِّنْهُمْ} كما يدل عليه قوله تعالى عن نبي الله إبراهيم فى سورة ابراهيم: [4037]{رَّبَّنَآ إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ} إلى قوله تعالى: [4038]{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَـــاتِك وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـــابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ}. وقوله تعالى: {رَسُولاً مِّنْهُمْ} هو النَّبي بدليل قوله تعالى عن أهل الكتاب فى الاعراف: [4039]{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ}. وقد بين تعالى أن المكتوب عندهم هو ما بشر به عيسى عليه السلام في قوله تعالى فى الصف: [4040] {وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِى مِن بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ}. وكونه أمياً بمعنى لا يكتب، بينه قوله تعالى فى العنكبوت: [4041] {وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَـــابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ}.

[4037] ابراهيم 37

[4038] البقرة 129

[4039] الاعراف 157

[4040] الصف 6

[4041] العنكبوت 48

وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر كما قال تعالى في قوله {وإنه لذكر لك ولقومك} وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به وكذا قال تعالى {وأنذر عشيرتك الأقربين} وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا} وقوله {لأنذركم به ومن بلغ} وقوله تعالى إخبارا عن القرآن {ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده} إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم وقد قدمنا تفسير ذلك في سورة الأنعام. وبين تعالى الحكمة في كونه أمياً مع أنه يتلو عليهم آياته ويزكيهم بنفي الريب عنه كما كانوا يزعمون أن ما جاء به:[4042] {أَسَـــاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَى عَلَيْهِ} كما فى سورة الفرقان فقال فى العنكبوت: [4043]{إِذاً لأَّرْتَـــابَ الْمُبْطِلُونَ}.

{وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (الجمعة: 3)

والمراد بقوله: وآخرين كل من يأتي بعد الصحابة من أهل الإسلام إلى يوم القيامة بدليل قوله فى الانعام: [4044]{وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـــذَا الْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَن بَلَغَ} وسبق أن قدمنا الكلام على هذا المعنى عند الكلام على قوله تعالى فى الحشر: [4045]{وَالَّذِينَ جَآءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَـــانِ}.

{ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (الجمعة: 4)

مرجع اسم الإشارة هنا وفي المراد بالمتفضل به عليهم، أهم الأمة الأميّة تفضل الله عليها ببعثة نبي منهم فيهم أم هو النّبي الأمّي تفضل الله تعالى عليه ببعثته معلماً هادياًأم هم الآخرون الذين لم يلحقوا زمن البعثة ووصلتهم دعوتها، وأدركوا فضلها وقد نص الأول بقوله فى ال عمران [4046]{لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـــاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـــابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ} وهذا عين ما في سورة الجمعة سواء، لأن الامتنان هو

[4042] الفرقان 5
[4043] العنكبوت 48
[4044] الانعام 19
[4045] الحشر 10
[4046] ال عمران 164

التفضل. ونص على الثاني بقوله تعالى فى النساء: [4047]{وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَـــابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً}. ونص على الثالث بقوله تعالى فى المائدة: [4048]{ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَـــافِرِينَ يُجَـــاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَـــافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}.

{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (الجمعة: 5)

وجه الشبه عدم الانتفاع بما تحملوه من التوراة وهم يعلمون ما فيها من رسالة محمد وقد أوضح الله تعالى هذا في موضع آخر في قوله تعالى فى البقرة: [4049]{الَّذِينَ آتَيْنَـــاهُمُ الْكِتَـــابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُم يَعْلَمُونَ} فقد جحدوا رسالة محمد وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فلم ينفعهم علمهم به. وقد أحلنا على هذا المثال فى عدة مواضع منها فى سورة الاعراف [4050]{فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ} وسورة ابراهيم [4051]{مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ} وسورة الكهف [4052]{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـــذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ}.

{قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُللهِمِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الجمعة: 6)

[4047] النساء 113
[4048] المائدة 54
[4049] البقرة 146
[4050] الاعراف 176
[4051] ابراهيم 18
[4052] الكهف 54

زعمهم المجمل في الآية وهو ما بينه تعالى بقوله عنهم وعن النصارى معهم فى المائدة [4053]{وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَـــارٰى نَحْنُ أَبْنَاءُ الله وَأَحِبَّاؤُهُ}. وقد ردّ زعمهم عليهم بقوله تعالى فى المائدة: [4054]{قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ}. ومثل هذه الآية "إن زعمتم" قوله تعالى فى البقرة: [4055] {قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ الله خَالِصَةً مِّن دُون النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَـــادِقِينَ}.

{وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} (الجمعة:7)

لا يتمنونه لشدة حرصهم على الحياة كما بينه تعالى قوله فى البقرة: [4056]{وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ} فشدة حرصهم على الحياة لعلمهم أنهم إذا ماتوا دخلوا النار، ولو تمنوا لماتوا من حينهم. وقوله: {بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ} قد بينه تعالى في موضع آخر صريحاً في قوله تعالى فى ال عمران: [4057]{لَّقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ ذلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ}. كما قال تعالى فى الممتحنة: [4058]{ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ تَتَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّـــارُ مِنْ أَصْحَـــابِ الْقُبُورِ} ولهذا كله لم يتمنوا الموت.

{قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلٰى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (الجمعة:8)

[4053] المائدة 18
[4054] المائدة 18
[4055] البقرة 94
[4056] البقرة 96
[4057] ال عمران 181- 182
[4058] الممتحنة 13

أي إن فررتم من الموت بعدم تمنيه فلن يجعلكم تنجون منه وهو ملاقيكم كما في قوله تعالى فى النساء: [4059]{أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} وقوله فى ال عمران: {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسَعَوْا إِلى ذِكْرِ اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (الجمعة:9) {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (الجمعة:10)

وهذا السياق يشبه في مدلوله وصورته قوله تعالى فى الحج: [4060]{وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِّيَشْهَدُواْ مَنَـــافِعَ لَهُمْ} مع قوله فى البقرة: [4061]{فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـــاتٍ فَاذْكُرُواْ اللهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ}.

ففي كل منهما نداء، وأذان الحج وصلاة وسعي وإتيان وذكر الله، ثم انتشار وإفاضة مما يربط الجمعة بالحج في الشكل وإن اختلف الحجم، وفي الكيف وإن تفاوتت التفاصيل والمراد بالنداء هو الأذان، كما في قوله تعالى فى المائدة: {وَإِذَا نَـــادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً}. وقد عرفنا الأذان لغة عند الكلام على قوله تعالى فى الحج: {وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالا} ومنه قوله تعالى فى التوبة: {وَأَذَانٌ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ}.

[4059] النساء 78
[4060] الحج 27- 28
[4061] البقرة 198

{وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِماً قُلْ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (الجمعة:11)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المنافقون

{إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} (المنافقون:1)

جاء قوله تعالى: {وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ} بين شهادتهم وتكذيبهم إيذاناً بأن الأمر كما قالوا على حد قوله تعالى فى الفتح: [4062] {وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ}.

{اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً} (المنافقون:2)

كما قال تعالى فى التوبة: [4063] {يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ}. وقال فى التوبة: [4064] {وَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ}. وقال فى التوبة: [4065] {يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ}. ونحو ذلك، فهذه نصوص تدل على أنهم يحلفون أيماناً على إيمانهم.

[4062] الفتح 28-29

{ فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ} (المنافقون:2)

صدهم الناس عن سبيل الله كتعويقهم عن الجهاد. كما بينه بقوله فى الاحزاب: [4066]{قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَآئِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا}. وبقوله فى التوبة: [4067]{وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ}. وقوله فى ال عمران: [4068]{الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا}.

{إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (المنافقون:2)

وقد بين تعالى تلك الإساءة من المنافقين في عدة جهات منها قوله تعالى فى البقرة:[4069] {يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا}. وقوله فى النساء: [4070]{إِنَّ الْمُنَـافِقِينَ يُخَـادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ}. وكان خداعهم بالقول وبالفعل، وخداعهم بالقول في قوله عنهم فى الفتح: [4071]{يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ}. وخداعهم في الفعل في قوله عنهم فى النساء : [4072]{وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلَوةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ}. وفي الجهاد قوله عنهم فى الاحزاب: [4073]{إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً}.

[4063] التوبة 74
[4064] التوبة 56
[4065] التوبة 62
[4066] الاحزاب 18
[4067] التوبة 18
[4068] ال عمران 168
[4069] البقرة 9
[4070] النساء 142
[4071] الفتح 11
[4072] النساء 142
[4073] الاحزاب 13

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ} (المنافقون: 3)

في هذه الآية نص على أن الطبع على قلوبهم نتيجة لكفرهم بعد إيمانهم، ومثله قوله تعالى فى النساء: [4074]{ بَلْ طَبَعَ اللهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ}. وكقوله فى الصف:[4075] {فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ}. وتقدم في أول سورة البقرة ختم الله على قلوبهم فهم لا يعقلون بعد هذا الطبع، ومع هذا الختم كقوله تعالى فى الكهف: [4076]{إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ}.

{وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ} (المنافقون: 4)

فيه ما يشعر بحصر العداوة في المنافقين مع وجودها في المشركين واليهود، ولكن إظهار المشركين شركهم ، وإعلان اليهود كفرهم مدعاة للحذر أما هؤلاء فادعاؤهم الإيمان وحلفهم عليه، قد يوحي بالركون إليهم وقد جاء في آخر السورة بيان شدة عداوتهم سواء في قولهم[4077] {لاَ تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنفَضُّواْ} أو في تآمرهم في قولهم: [4078]{لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ}.

[4074] النساء 155
[4075] الصف 5
[4076] الكهف 57
[4077] المافقون 7
[4078] المنافقون 8

{قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} (المنافقون:4) **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ}** (المنافقون:5) **{سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}** (المنافقون:6)

هم هنا المنافقون، كقوله تعالى فى التوبة:[4079] {إِنَّ الْمُنَـــافِقِينَ هُمُ الْفَـــاسِقُونَ}.

{هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَللهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ} (المنافقون:7)

تقدم بيانه عند الكلام على قوله تعالى فى الزمر:[4080] {لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَـــاوَاتِ وَالأَرْضِ}.

[4079] التوبة 67

[4080] الزمر 63

{يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ} (المنافقون:8) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} (المنافقون:9)

تقدم بيانه عند الكلام على قوله تعالى فى الكهف:[4081]{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا}

{وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} (المنافقون:10)

تقدم بيانه عند الكلام على قوله في أول سورة البقرة [4082]{وَمِمَّا رَزَقْنَـــاهُمْ يُنفِقُونَ}

[4081] الكهف 46

[4082] البقرة 3

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة التغابن

{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ}1

تقدم معنى التسبيح ومدلول ما في السماوات وما في الأرض في أول سورة الحشر والحديد. والتذييل هنا بصفات الكمال لله تعالى كما في قوله تعالى فى الملك: [4083] {تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ} وكقوله في سورة يس: [4084] {إِنَّمَآ أَمْرُهُ إِذَآ أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ فَسُبْحَـٰنَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} و كما في قوله فى القصص: [4085] {لَهُ الْحَمْدُ فِى الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}.

{ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}2

كما قال تعالى فى الاعلى: [4086] {وَالَّذِى قَدَّرَ فَهَدَى}. وقوله فى الانسان: {إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُورا} كقوله هنا: {فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ}.

---

1 الملك 1

[4084] يسين 82- 83

[4085] القصص 70

[4086] الاعلى 3

{ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَــاتِ فَقَالُواْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّاسْتَغْنَى اللّهُ وَاللّهُ غَنِيٌّ حَمِيد}3

كما قال تعالى فى الاسراء: [4087]{وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولا}. وقوله فى القمر:[4088] {أَبَشَراً مِّنَّا وَاحِداً نَّتَّبِعُهُ}. وشبهتهم هذه ردها الله تعالى فىايات كثيرة كقوله فى الانعام:[4089] {وَلَوْ جَعَلْنَــاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَــاهُ رَجُلاً} وقوله فى يوسف: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً} وقوله فى الفرقان: [4090]{وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الأَسْوَاقِ}. وقوله تعالى: {فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّاسْتَغْنَى اللّهُ وَاللّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ} قد تقدم الكلام عليه فى سورة ال عمران.

{ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُم وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِير}7

قوله: {وَرَبِّى} قسم بالرب على البعث ، وقد أقسم به عليه في القرآن ثلاث مرات. الأول هذا والثاني قوله فى سورة يونس: [4091]{وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ} و الثالث قوله فى سبأ: [4092]{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ}. وقوله: {ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ} بينه تعالى بقوله فى الاسراء: [4093]{وَكُلَّ إِنسَــانٍ أَلْزَمْنَــاهُ طَــائِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَــامَةِ كِتَابًا يَلْقَــاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كِتَــابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}. وقوله: {وَذَلِكَ عَلَى

[4087] الاسراء 94
[4088] القمر 24
[4089] الانعام 9
[4090] الفرقان 20
[4091] يونس 53
[4092] سبأ 3
[4093] الاسراء 13-14

الله يَسِير} كقوله فى يس : [4094]{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحىِ الْعِظَـامَ وَهِىَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ} وقوله فى لقمان: [4095]{مَّا خَلْقُكُمْ وَلاَ بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} وقوله فى الروم:[4096] {وَهُوَ الَّذِى يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ}.

{فَـَامِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنّورِ الَّذِى أَنزَلْنَا}8

النور هنا هو القرآن كما قال تعالى فى الشورى: [4097]{مَا كُنتَ تَدْرِى مَا الْكِتَـابُ وَلاَ الإِيمَـانُ وَلَـكِن جَعَلْنَـاهُ نُوراً نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}. و قد تقدم الكلام عليه عند قوله تعالى فى الحديد: [4098]{هُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ عَلٰى عَبْدِهِ ءَايَـاتٍ بَيِّنَـاتٍ}.

{يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ}9

كقوله فى الواقعة: [4099]{قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالأَخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلٰى مِيقَـاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ} وتقدم الكلام عليه في عدة مواضع منها عند قوله تعالى فى هود : [4100]{ذلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ} وفى الشورى: [4101]{وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيه}.

{مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ}11

[4094] يسن
[4095] لقمان 28
[4096] الروم 27
[4097] الشورى 52
[4098] الحديد 9
[4099] الواقعة 49-50
[4100] هود 103
[4101] الشورى 7

ومثل هذا قوله تعالى فى البقرة:[4102] {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّـابِرِينَ الَّذِينَ إِذَآ أَصَـابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّالله وَإِنَّــآ إِلَيْهِ رَاجِعونَ أُولَـئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُون}. وفي قوله تعالى: {يَهْدِ قَلْبَهُ} من نسبة الهداية إلى القلب بيان لقضية الهداية العامة والخاصة، كما قالوا في قوله تعالىفى الشورى عنه صلى الله عليه وسلم: [4103]{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} مع قوله تعالى فى القصص:[4104] {إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ}، فقالوا: الهداية الأولى دلالة إرشاد كقوله تعالى فى فصلت: [4105]{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـاهُمْ فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}، والثانية هداية توفيق وإرشاد ويشهد لذلك شبه الهداية من الله لقلب من يؤمن بالله.

{يأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُم}14

كما فى قوله تعالى فى الكهف: [4106]{الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا} وفى الانفال: {أَنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ} وفى المنافقون: {لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ الله} وقد تقدم تفصيل هذا المبحث فى سورة الكهف.

{ فَاتَّقُواْ اللهَ مَا اسْتَطَعْتُم}16

كقوله تعالى فى البقرة: [4107]{لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} وقوله أيضا {وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ}.

{إِن تُقْرِضُواْ اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَـاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ}17

[4102] البقرة 155- 157
[4103] الشورى 52
[4104] القصص 56
[4105] فصلت 17
[4106] الكهف 46
[4107] البقرة 286

بين تعالى أنه يضاعف الانفاق بقوله فى البقرة [4108]{مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فى كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء}.

{عَــالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَــادَةِ}18

كقوله فى البقرة [4109]{وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ}.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الطلاق

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لا تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً} (الطلاق: 1)

[4108] البقرة 261

[4109] الانعام 59

الخطاب الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام:الأول: قد يتوجه الخطاب إليه صلى الله عليه وسلم ولا يكون داخلاً فيه قطعاً، وإنما يراد به الأمة بلا خلاف من ذلك قوله تعالى في بر الوالدين: [4110]{إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًاوَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}. الثاني: أن يكون خاصاً به لا يدخل معه غيره قطعاً، نحو قوله تعالى: [4111]{وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ}. والثالث: هو الشامل له صلى الله عليه وسلم ولغيره بدليل هذه الآية، وأول السورة التي بعدها في قوله تعالى: [4112]{ياأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ}، وجاء بعدها مباشرة {قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ} ــ بخطاب الجميع ــ [4113]{تَحِلَّةَ أَيْمَـــانِكُمْ} فدل أن الآية داخلة في قوله تعالى: {ياأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ اللهُ لَكَ}،

{فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لله ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً}

(الطلاق:2)

تم بحثها رحمة بحثاً وافياً عند قوله تعالى: [4114]{الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ}

[4110] الاسراء 23-24

[4111] الاحزاب 51

[4112] التحريم 1

[4113] التحريم 2

[4114] البقرة 229

{وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً} (الطلاق: 3)

كما قال تعالى [4115]{وَلاَ تَعْزِمُواْ عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَـابُ أَجَلَهُ}. وقد جاءت آيات كثيرة دالة على هذا العموم عامة وخاصة، فمن الآيات العامة قوله تعالى: [4116]{إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـاهُ بِقَدَرٍ}. وقوله: [4117]{وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً}. وقوله: [4118]{وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ}.وقد جمع العام والخاص قوله: [4119]{وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ}.ومن التقدير الخاص في مخصوص قوله: [4120]{وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَـا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَـاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالعُرجُونِ الْقَدِيمِ لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَآ أَن تدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}. وكما في قوله تعالى: [4121]{وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ}. وقوله: [4122]{وَلَـكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرُ بَصِيرٌ} وكقوله: [4123]{وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِى كِتَـابٍ}

{اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً} (الطلاق: 12)

[4115] البقرة 235
[4116] القمر 49
[4117] الفرقان 2
[4118] الرعد 8
[4119] الحجر 21
[4120] يسين 30-38
[4121] المومنون 18
[4122] الشورى 27
[4123] فاطر 11

كما في قوله تعالى: [4124]{الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـــاوَاتٍ طِبَاقًا}. كما في قوله [4125]{وَالسَّمَآءِ وَمَا بَنَـــاهَا}. وقوله: [4126]{الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً}.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـــٰنِ الرَّحِيمِ

سورة التحريم

{إِنْ تَتُوبَا إِلٰى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} (التحريم:4)

تقدم عند قوله تعالى [4127]{وَتُوبُواْ إِلٰى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ}.

كما في قوله تعالى: [4128]{هُوَ الَّذِى أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} وقوله [4129]{إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ}. وكما في قوله تعالى: [4130]{وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ}.

وكقوله: [4131]{بَل للهِ الأَمْرُ جَمِيعًا}. وكقوله: [4132]{للهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ}.

[4124] الملك 3
[4125] الشمس 5
[4126] البقرة 22
[4127] النور 31
[4128] الانفال 62
[4129] التوبة 40

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (التحريم: 7)

كما فى قوله تعالى: [4133]{حتّى إِذ ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولَــاهُمْ رَبَّنَا هَــاؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَأاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ}. وكقوله تعالى: [4134]{ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِ ّلا أَن قَالُواْ وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِين انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلٰى أَنفُسِهِمْ}. وكقوله بعدها: [4135]{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلٰى النَّارِ فَقَالُواْ يالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَنُكَذِّبَ بِأايَــاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} كما في قوله: [4136]{إِذْ وُقِفُواْ عَلٰى النَّارِ فَقَالُواْ يالَيْتَنَانُرَدُّ} أي إلى الدنيا. وقد نهوا عن هذا الاعتذار لأنه لا ينفعهم كما في قوله تعالى: [4137]{فَيَوْمَئِذٍ لاَّ ينفعُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}. وقوله: {يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّــالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ}.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسٰى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعٰى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (التحريم: 8)

[4130] الحشر 8
[4131] الرعد 31
[4132] الروم 4
[4133] الاعراف 38
[4134] الانعام 23– 34
[4135] الانعام 27
[4136] الانعام 27
[4137] الروم 57

تقدم في سورة الحديد عند قوله تعالى: [4138]{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـــاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـــانِهِم}.

{وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} (التحريم:12)

بين تعالى المراد بالروح بأنه جبريل عليه السلام في قوله: [4139]{فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَآ رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً} وهو جبريل. كما في قوله:[4140] {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأٌّمِينُ}

وقوله تعالى فى قوله لها: [4141]{إِنَّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبِّكِ} ورسول ربها هو جبريل عليه السلام، قوله: [4142]{ لأَّهَبَ لَكِ غُلَـــاماً زَكِيّاً}

[4138] الحديد 12

[4139] مريم 17

[4140] الشعراء 193

[4141] مريم 19

[4142] مريم 19

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الملك(اجمالاً)

{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (الملك:1)

كقوله تعالى: [4143]{فَسُبْحَـانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}

{الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} (الملك:2)

تقدم عند الكلام على قوله تعالى [4144]{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} وقبلها في سورة هود على قوله تعالى: [4145]{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}.

{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَـٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ} (الملك:3)

تقدم عند الكلام على أول سورة قا عند قوله تعالى [4146]{أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـاهَا وَزَيَّنَّـاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ}

[4143] يسين 83

[4144] الذاريات 56

[4145] هود 7

تقدم عند قوله تعالى: [4147]{وَجَعَلْنَا السَّمَآءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً} وعند قوله: [4148]{أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ}

{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ})

(الملك:5)

تقدم عند قوله تعالى: [4149]{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـاهَا لِلنَّـاظِرِينَ وَحَفِظْنَـاهَا مِن كُلِّ شَيْطَـانٍ رَّجِيمٍ إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ }.

{ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ }

حقيقة النظر أربع مرات. الأولى في قوله: [4150]{مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَـٰنِ مِن تَفَـاوُتٍ}. والثانية في قوله: [4151] {فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ}. والثالثة والرابعة في قوله: [4152]{ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ}.

{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا}

كما قال: [4153]{بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ} قوله تعالى[4154]: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظاً مِّن كُلِّ شَيْطَـانٍ مَّارِدٍ}.

[4146] ق 6
[4147] الانبياء 32
[4148] ق 6
[4149] الحجر 16– 18
[4150] الملك 3
[4151] الملك 3
[4152] الملك 4
[4153] الصافات 6
[4154] الصافات 6– 7

{إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ} (الملك:7) {تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ} (الملك:8)

كما قال: [4155]{إِذَا رَأَتْهُمْ مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً}. وقال: [4156]{يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ}.

{كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا} (الملك:8)

كما في قوله تعالى : [4157]{عَلَيْهَا مَلَـئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}. كما بين عدتهم في قوله تعالى : [4158]{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}. وقال:

[4159]{ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَـابَ النَّارِ إِلاَّ مَلَـئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ}.

{أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} (الملك:8)

تقدم عند قوله تعالى: [4160]{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً}

{قَالُواْ بَلَى قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ}

وقد بين تعالى ذلك في قوله [4161]{ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ}.

[4155] الفرقان 12
[4156] ق 30
[4157] التحريم 6
[4158] المدثر 30
[4159] المدثر 31
[4160] الاسراء 15
[4161] فاطر 24

{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} (الملك:10)

وقد بين تعالى بقوله: [4162]{خَتَمَ اللهُ عَلٰى قُلُوبِهِمْ وَعَلٰى سَمْعِهِمْ}.

{إِنَّا جَعَلْنَا عَلٰى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِى ءَاذَانِهِمْ وَقْراً}

كقوله تعالى [4163]{إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَـانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـاه سَمِيعاً بَصِيراً}. وفي آخر سورة الملك هذه قوله [4164]{ قُلْ هُوَ الَّذِى أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَـارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ}. وكما في قوله: [4165]{سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ}.وقال تعالى: [4166]{قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـذَآ}.وقوله: [4167]{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْاْ فِيهِ}. وقوله تعالى: [4168]{ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ ءَايَـاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُم يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَإِذَا عَلِمَ مِن ءَايَـاتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً}. وقوله: [4169]{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَـاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا}.

{فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ} (الملك:11)

[4162] البقرة 7
[4163] الانسان 2
[4164] الملك 23
[4165] البقرة 93
[4166] الانفال 21
[4167] فصلت 26
[4168] الجاثية 7– 9
[4169] لقمان 7

تقدم عند قوله تعالى : [4170]{يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ} . كما جاء في حق فرعون في قوله تعالى : [4171]{حَتَّى إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ الَّذِى ءَامَنَتْ بِهِ بَنواْ إِسْرَاءِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} فقيل له: [4172]{آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} . قوله: [4173]{يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا} .

{إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} (الملك: 12)

كما قال تعالى: [4174]{الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ} . وبين تعالى محل تلك الخشية في قوله: [4175]{ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} وقد بين تعالى حقيقة خشية الله: [4176]{وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَـٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ} .

كما في قوله: [4177]{هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَـٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ} كما في قوله: [4178]{الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً} .

{وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} (الملك: 13)

[4170] الاعراف 53
[4171] يونس 90
[4172] يونس 91
[4173] الانعام 158
[4174] الانبياء 49
[4175] فاطر 28
[4176] البقرة 74
[4177] ق 32– 33
[4178] الاحزاب 39

كقوله تعالى: [4179]{ سَوَآءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ}.وقوله: [4180]{ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى}.وقوله تعالى : [4181]{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـــانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ}.وقد تقدم قوله تعالى:[4182] {قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى إِلَى اللهِ}.وكما قال في سورة التحريم: [4183]{قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَـــذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ}.

{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} (الملك: 15)

كقوله تعالى : [4184]{وَالْجِبَالَ أَرْسَـــاهَامَتَـــاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَـــامِكُمْ}.ومن إمكان الزرع فيها كقوله:[4185] {فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاًوَعِنَباً وَقَضْباً} إلى قوله أيضاً {مَّتَـــاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَـــامِكُمْ}،وقد جمع أكثرها في قوله: تعالى: [4186]{أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاًأَحْيَآءً وَأَمْوَاتاً وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِىَ شَـــامِخَـــاتٍ وَأَسْقَيْنَـــاكُم مَّآءً فُرَاتاً}.كما قال تعالى: [4187]{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ}.وفي قوله: [4188]{وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى السَّمَـــاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ} كما قال تعالى: [4189]{وَالْبُدْنَ جَعَلْنَـــاهَا لَكُمْ مِّن شَعَـــائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُواْ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْقَـــانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذالِكَ سَخَّرْنَـــاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} وقوله: [4190]{وَالَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَـــامِ مَا تَرْكَبُون لِتَسْتَوُواْ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ

[4179] الرعد 10
[4180] طه 7
[4181] ق 16
[4182] المجادلة 1
[4183] التحريم 3
[4184] النازعات 32-33
[4185] عبس 27- 32
[4186] المرسلات 25- 27
[4187] الحج 65
[4188] الجاثية 13
[4189] الحج 6- 3
[4190] الزخرف 12- 14

رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَـانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّآ إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ}. وكما في آية الجمعة: [4191]{فَانتَشِرُواْ فِى الأَرْضِ وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

{وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُواْ بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لأَّصْحَـٰبِ السَّعِيرِ * إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُواْ بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ * هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ * أَءَمِنتُمْ مَّن فِى السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مِّن فِى السَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَـٰصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ * وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} (الملك:10-18)

قوله تعالىٰ: {وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَـٰبِ السَّعِيرِ}. : أي قال أهل النار: لو كنا نسمع من يعقل عن الله حججه أو نعقل حجج الله ما كنا في أصحاب السعير، أي النار، فهم يسمعون، ولكن لا يسمعون ما ينفعهم في الآخرة، ويعقلون ولكن لا يعقلون ما ينفعهم في الآخرة، لأن الله قال: {خَتَمَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ}.

وقال: {إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِى ءَاذَانِهِمْ وَقْراً}.

وقد بين هذا الذي عدة نصوص صريحة في ذلك، منها أصل خلقتهم الكاملة في قوله تعالىٰ {إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعاً بَصِيراً}.

وفي آخر سورة الملك هذه قوله {قُلْ هُوَ الَّذِى أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَـٰرَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ}.

ولكنهم سمعوا وعصوا، كما في قوله: {سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ}.

وهذا، وإن كان في بني إسرائيل، إلا أنه قال لهذه الأمة: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ}.

وقال تعالى عنهم: {قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَـٰذَآ}.

وقوله عنهم: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا الْقُرْءَانِ وَالْغَوْاْ فِيهِ}.

[4191] الجمعة 10

وقد بين تعالى سبب عدم استفادتهم بما يسمعون في قوله تعالىٰ: {وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍيَسْمَعُ ءَايَـٰتِ الله تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍوَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْئاً اتَّخَذَهَا هُزُواً} .

وقوله: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَـٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا} .

فقولهم هنا: {لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ} أي سماع تعقل وتفهم. قوله تعالىٰ: {فَاعْتَرَفُواْ بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَـٰبِ السَّعِيرِ} . الاعتراف الإقرار، أي أقروا بذنبهم يوم القيامة حيث لا ينفع الإقرار والندم، ، بيان انتفاع الكفار بإقرارهم هذا بتوسع عند قوله تعالىٰ: {يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ} .

واستدل بهذه الآية، آية الملك هناك.

والظاهر أن الأصل في ذلك كله أن اعترافهم وإيمانهم بعد فوات الأوان بالمعاينة، كما جاء في حق فرعون في قوله تعالىٰ: {حَتَّىٰ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُ لا إِلَـٰهَ إِلاَّ الَّذِى ءَامَنَتْ بِهِ بَنواْ إِسْرَٰءِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} ، فقيل له: {ءَالئنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} .

وجاء أصرح ما يكون في قوله: {يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا} .

فلما جاء بعض آيات الله وظهر الحق، لم يكن للإيمان محل بعد المعاينة {لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا} أي من قبل المعاينة كحالة فرعون المذكورة، لأن حقيقة الإيمان التصديق بالمغيبات، فإذا عاينها لم تكن حينذاك غيباً، فيفوت وقت الإيمان والعلم عند الله، وعليه حديث التوبة: ما لم يغرغر. قوله تعالىٰ: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} . والخشية: شدة الخوف، كما قال تعالى: {الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ} .

وبين تعالى محل تلك الخشية في قوله: {إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} لأنهم يعرفون حق الله تعالىٰ ويراقبونه.

وقد بين تعالى حقيقة خشية الله: {وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَـٰرُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ الله} .

وقوله: {لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَـٰشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ الله} .

فالذين يخشون ربهم بالغيب هم الذين يعرفون حق الله عليهم ومراقبته إياهم في السر والعلن، ويعلمون أنه مطلع عليهم مهما تخسفوا وتستروا وهم دائماً منيبون إلى الله، كما في قوله: {هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍمَّنْ خَشِىَ الرَّحْمَـٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ} ، وهذه أعلى درجات السلوك مع الله تعالى، كما بين أنها منزلة العلماء.

وقد عاب تعالى أولئك الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله، ويخشون الناس ولا يخشون الله، فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.

وإفراد الله بالخشية منزلة الأنبياء، كما في قوله: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَـٰتِ الله وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللهَ وَكَفَىٰ بِالله حَسِيباً} .

والعرب تمدح من يكون في خلوته كمشهده مع الناس.

ومنه قول مسلم بن الوليد:

يتجنب الهفوات في خلواته

عف السريرة غيبه كالمشهد

والواقع أن هذه الصفة، وهي خشية الله بالغيب والإيمان بالغيب أساس عمل المسلم كله، ومعاملاته، لأنه بإيمانه بالغيب سيعمل كل خير طمعاً في ثواب الله، كما في مستهل المصحف {المذٰلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ} .

وبمخافة الله بالغيب سيتجنب كل سوء، فيسلم ويتحصل له ما قال الله تعالى عنهم: {مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، مغفرة من ذنوبه {وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} على أعماله. رزقنا الله خشيته في السر والعلن.

وليعلم أن المراد بالغيب مما هو من جانب العبد لا سيده، كما في الحديث في الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» وهذا الإحساس هو أقوى عامل على اكتساب خشية الله سبحانه. قوله تعالىٰ: {وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُواْ بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} . فيه دلالة على أن السر والجهر عند الله وفي علم الله على حد سواء، لأنه عليم بذات الصدور يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وقوله تعالىٰ: {سَوَآءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ} .

وقوله: {وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} .

من الآيتين بيان هذه الآية.

و قوله تعالىٰ: {قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِى تُجَادِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِى إِلَى اللهِ} .

وقوله تعالىٰ: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} .

و في سورة التحريم قبل هذه السورة مباشرة قوله تعالىٰ: {وَإِذَ أَسَرَّ النَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوٰجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ}، ففيه بيان عملي مشاهد بأنه تعالى يعلم السر وأخفى، ولذا قال تعالى هنا {أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} .

كما قال في سورة التحريم: {قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَـٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ} .

وقال القرطبي نقلاً عن أبي إسحاق الإسفرائيني: من أسماء صفات الذات ما هو للعلم منها العليم، ومعناه تفهيم جميع المعلومات، ومنها الخبير، ويختص بأن يعلم ما يكون قبل أن يكون، ومنها الحكيم ويختص بأنه يعلم دقائق الأوصاف، ومنها الشهيد ويختص بأن يعلم الغائب والحاضر، ومعناه ألا يغيب عنه شيء. ومنها الحافظ ويختص بأنه لا ينسى، ومنها المحصي ويختص بأنه لا تشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء النهار واشتداد الريح وتساقط الأوراق، فيعلم عند ذلك أجزاء الحركات في كل ورقة، وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق وقد قال: {أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}، ومن في قوله تعالىٰ: {أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ} أجازوا فيها أن تكون فاعل يعلم، وهو الله تعالى، أي إن الذي خلق يعلم ما خلق ومنه ما في الصدور.

وأجازوا أن تكون مفعولاً والفاعل ضمير مستتر في الفعل يعلم، ذكرهما القرطبي وأبو حيان، وهو واضح ومحتمل.

ولكن الذي نشهد له النصوص أنها مفعول كما في قوله: {إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ}، {يَعْلَمُ خَآئِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى الصُّدُورُ} .

وقوله: {وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ}، ومن أعمالهم ما يسرون، وما يجهرون. والعلم عند الله تعالى. قوله تعالىٰ: {هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ}. الذلول فعول بمعنى مفعول، وهو مبالغة في الذل.

تقول: دابة ذلول بينة الذل، وقيل في معنى تذليل الأرض عدة أقوال لا تنافي بينها، ومجموعها دائر على تمكين الانتفاع منها عن تسهيل الاستقرار عليها وتثبيتها بالجبال، كقوله تعالىٰ: {وَالْجِبَالَ أَرْسَـٰهَامَتَـٰعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ}.

ومن إمكان الزرع فيها كقوله: {فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاًوَعِنَباً وَقَضْباً} إلى قوله أيضاً {مَّتَـٰعاً لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ}، وقد جمع أكثرها في قوله: تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاًأَحْيَآءً وَأَمْوٰتاًوَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِىَ شَـٰمِخَـٰتٍ وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّآءً فُرَاتاً}.

إنها من تسخير الله تعالى للأرض أن جعلها كفاتاً للإنسان في حياته بتسهيل معيشته منها وحياته على ظهرها، فإذا مات كانت له أيضاً كفاتاً بدفنه فيها.

ويقول: لو شاء الله لجعلها حديداً ونحاساً فلا يستطيع الإنسان أن يحرث فيها ولا يحفر ولا يبني، وإذا مات لا يجد مدفناً فيها.

ومما يشير إلى هذه المعاني كلها قوله تعالىٰ: {فَامْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ} لترتبه على ما قبله بالفاء، أي بسبب تذليلها بتيسير المشي في أرجائها، وطلب الرزق في أنحائها بالتسبب فيها من زراعة وصناعة وتجارة إلخ.

والأمر في قوله تعالىٰ: {فَامْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ} للإباحة. ولكن التقديم لهذا الأمر بقوله تعالىٰ: {هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً} فيه امتنان من الله تعالى على خلقه مما يشعر أن في هذا الأمر مع الإباحة توجيهاً وحثاً للأمة على السعي والعمل والجد، والمشي في مناكب الأرض من كل جانب لتسخيرها وتذليلها، مما يجعل الأمة أحق بها من غيرها.

كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ}.

وفي قوله: {وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِى السَّمَـٰوٰتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ} وغير ذلك من الآيات.

ومن رأى هذا التسخير اعترف لله بالفضل والقيام لله بالحمد، وتقديم الشكر كما قال تعالى: {وَالْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُمْ مِّن شَعَـٰئِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُواْ اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْقَـٰنِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

وقوله: {وَالَّذِى خَلَقَ الأَزْوٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَلِتَسْتَوُواْ عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُواْ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُواْ سُبْحَـٰنَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَوَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ}.

أي مع شكر النعمة الاتعاظ والعبرة والاستدلال على كمال القدرة.

ومنها المعاد والمنقلب إلى الله تعالى، فقوله: {وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} بعد المشي في مناكب الأرض وتطلب الرزق وما يتضمن من النظر والتأمل في مسببات الأسباب وتسخير الله لها، كقوله تعالىٰ: {وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ} بعد ذكر {خَلَقَ الأَزْوٰجَ كُلَّهَا} أي الأصناف وتسخير الفلك والأنعام والبحر والبر فيه ضمناً إثبات القدرة على البعث، فيكون المشي في مناكب الأرض واستخدام مناكبها واستغلال ثرواتها والانتفاع من خيراتها لا لطلب الرزق وحده، وإلا لكان يمكن سوقه إليهم، ولكن للأخذ بالأسباب أولاً، وللنظر في المسببات والعبرة بالمخلوقات والتزود لما بعد الممات، كما في آية الجمعة: {فَانتَشِرُواْ فِى الأَرْضِ وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُواْ اللهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

أي عند مشاهدة آيات قدرته وعظيم امتنانه.

وعليه، فقد وضع القرآن الأمة الإسلامية في أعز مواضع الغنى، والاستغناء والاستثمار والإنتاج، فما نقص عليها من أمور دنياها إلا بقدر ما قصرت هي في القيام بهذا العمل وأضاعت من حقها في هذا الوجود.

وقد قال النووي في مقدمة المجموع: إن على الأمة الإسلامية أن تعمل على استثمار وإنتاج كل حاجياتها حتى الإبرة لتستغني عن غيرها، وإلا احتاجت إلى الغير بقدر ما قصرت في الإنتاج، وهذا هو واقع العالم اليوم، إذ القدرة الإنتاجية هي المتحكمة وذات السيادة الدولية.

وقد أعطى الله العالم الإسلامي الأولوية في هذا كله، فعليهم أن يحتلوا مكانهم ويحافظوا على مكانتهم ويشيدوا كيانهم بالدين والدنيا معاً. وبالله التوفيق. قوله تعالىٰ: {أَءَمِنتُمْ مَّن فِى السَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ}. ، والخسف ذهابها سفلاً، كما خسف بقارون، والمور الحركة المضطربة أو الحركة بسرعة، وقد ثبتها تعالى بالجبال أوتاداً كما قال: {وَالْجِبَالَ أَرْسَـٰهَامَتَـٰعاً لَّكُمْ}،

{أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰفَّـٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَـٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ بَصِيرٌ * أَمَّنْ هَـٰذَا الَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُمْ مِّن دُونِ الرَّحْمَـٰنِ إِنِ الْكَـٰفِرُونَ إِلاَّ فِى غُرُورٍ * أَمَّنْ هَـٰذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ * أَفَمَن يَمْشِى مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِى سَوِيّاً عَلَى صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * قُلْ هُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَـٰرَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ * قُلْ هُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللهِ وَإِنَّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَـٰذَا الَّذِى كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ * قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ اللهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * قُلْ هُوَ الرَّحْمَـٰنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ * قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَّعِينٍ} (الملك:19-30)

قوله تعالىٰ: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰفَّـٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَـٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ بَصِيرٌ}. الطير صافات، أي مادات أجنحتها. ويقبضن: أي يضمنها إلى أجسامها.

قال أبو حيان: عطف بالفعل ويقبضن على الاسم، صافات، ولم يعطف باسم قابضات، لأن الأصل في الطيران هو بسط الجناح، والقبض طارىء، وهذا الذي قاله أبو حيان: جار على القاعدة عندهم من أن الاسم للدوام والثبوت، والفعل للتجدد والحدوث، فالحركة الدائمة في الطيران هي صف الجناح، والجديد عليه هو القبض.

وقوله تعالىٰ: {مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ الرَّحْمَـٰنُ} دليل على قدرته تعالى وآية لخلقه، كما في قوله تعالىٰ: {أَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ الطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ السَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}.

فهي آية على القدرة، وقد جاء في آيات أخرى أنه تعالى هو الذي يمسك السماوات والأرض بقدرته جل وعلا، كما في قوله تعالىٰ: {إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً} .

فهو سبحانه ممسكهما بقدرته تعالى عن أن تزولا، ولو قدر فرضاً زوالهما لا يقدر على إمساكهما إلا هو، وكما في قوله: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} .تنبيه

ولعل مما يستدعي الانتباه توجيه النظر إلى الطير في الهواء صافات. ويقبضن: ما يمسكهن إلا الرحمٰن، بعد التخويف بخسف الأرض بأن معلقة في الهواء كتعلق الطير المشاهد إليكم ما يمسكها إلا الله، وإيقاع الخسف بها، كإسقاط الطير من الهواء، لأن الجميع ما يمسكه إلا الله تعالى، وهو القادر على الخسف بها، وعلى إسقاط الطير. قوله تعالىٰ: {أَمَّنْ هَـٰذَا الَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ}. يقول تعالى للمشركين: من هذا الذي غيره سبحانه يرزقكم، إن أمسك الله عنكم رزقه.

والجواب. لا أحد يقدر على ذلك ولا يملكه إلا الله.

وقد صرح تعالى بهذا السؤال وجوابه في قوله تعالىٰ: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ } .

أي لا أحد سواه سبحانه لا إله إلا هو، قال تعالى: {هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ اللهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ} .

وذلك لأن الذي يقدر على الخلق هو الذي يملك القدرة على الرزق، كما قال تعالى: {قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ} .

وكقوله: {اللهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} .

وهذا من كمال القدرة على الإحياء والإماتة والرزق، وقد بين تعالى أن ذلك لمن بيده مقاليد الأمور سبحانه، وتدبير شؤون الخلق كما في قوله تعالىٰ: {لَهُ مَقَـٰلِيدُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ} ثم قال: {يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ} ، أي يبسط ويقدر، يعلم لا عن نقص ولا حاجة، ولكن يعلم بمصالح عباده، {اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْقَوِىُّ الْعَزِيزُ} أي يعاملهم بلطفه وهو قوي على أن يرزق الجميع رزقاً واسعاً، وهو العزيز في ملكه، فهو يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، كما قال تعالى: {اللهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقَدِرُ} أي بمقتضى اللطف والعلم {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا} .

ومن هذا كله يرد على أولئك الذين يطلبون عند غيره الرزق، كما في قوله: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ} .

وقد جمع الأمرين توبيخهم وتوجيههم في قوله تعالىٰ: {إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ أَوْثَـٰناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُواْ عِندَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُواْ لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} .

وقد بين تعالى قضية الخلق والرزق والعبادة كلها في قوله تعالىٰ: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} .

وقد بين تعالى في الآيات المتقدمة أنه يرزق العباد من السماوات والأرض جملة.

وبين في آيات أخرى كيفية هذا الرزق تفصيلاً مما يعجز الخلق عن فعله، وذلك في قوله تعالىٰ: {فَلْيَنظُرِ الإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَآءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً * وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً * وَحَدَآئِقَ غُلْباً * وَفَـٰكِهَةً وَأَبّاً * مَّتَـٰعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَـٰمِكُمْ}.

فجميع أنواع الرزق في ذلك ابتداء من إنزال الماء من السماء، ثم ينشأ عنه إشقاق الأرض عن النبات بأنواعه حباً وعنباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق وفاكهة، وكلها للإنسان، وقضبا وأباً للأنعام، والأنعام أرزاق أيضاً لحماً ولبناً، وجميع ذلك قوامه إنزال الماء من السماء، ولا يقدر على شيء من ذلك كله إلا الله.

فإذا أمسكه الله عن الخلق لا يقوى مخلوق على إنزاله، فإذا علم المسلم أن الأرزاق بيد الخلاق، ومن بيده مقاليد السماوات والأرض لن يتجه برغبة ولا يتوجه بسؤال إلا إلى الله تعالى، موقناً حق اليقين أنه هو سبحانه هو الرزاق ذو القوة المتين.

وكما قال تعالى: {وَفِى السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ}.

وقد جاء عن عائشة رضي الله عنها قولها: «والله لا يكمل إيمان العبد حتى يكون يقينه بما عند الله أعظم مما بيده». قوله تعالىٰ: {قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُمْ بِمَآءٍ مَّعِينٍ}. قوله تعالىٰ: {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِى الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَـٰدِرُونَ} في سورة المؤمنون.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة القلم

{نْ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} (القلم: 1) {مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ} (القلم: 2) { وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ} (القلم: 3) {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم: 4)

تقدم عند قوله تعالى: [4192]{أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَآءَهُمْ بِالْحَقِّ}

[4192] المومنون 70

{فَلا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ}(القلم:8) {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}(القلم:9) {وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ}(القلم:10) { هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ}(القلم:11) {مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ}(القلم:12) {عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ}(القلم:13) {أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ} (القلم:14) {إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}(القلم:15){سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ}(القلم:16)

قوله تعالى : [4193]{ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ وَلاَ نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالأَلْقَـابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الايمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّـالِمُونَ ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُواْ وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}.

{وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} (القلم:9)

كما قال جل ثناؤه: [4194]{وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَـاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً} وهذا ما جاء في سبب نزول سورة الكافرون. [4195]{قُلْ ياأَيُّهَا الْكَـافِرُونَ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلاَ أَنتُمْ عَـابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ}. و قد جاء موضحاً في قوله تعالى: [4196]{وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَـابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِن بَعْدِ إِيمَـانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ}، ثم قال تعالى مبيناً موقف رسول الله

[4193] الحجرات 11– 12

[4194] الاسراء 74

[4195] الكافرون 1– 3

صلى الله عليه وسلم بقوله: [4197]{فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ}.

{أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ} (القلم:46)

كما قال تعالى: [4198] {قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} وقوله تعالى [4199]{وَيَاقَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللّهِ}

{فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ} (القلم:48)

وقد بين تعالى صاحب الحوت في الصافات في قوله تعالى: [4200]{وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ إلى قوله: {فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ}. وقد بينه تعالى في سورة الأنبياء عند قوله تعالى: [4201]{وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ}.

{لَوْلا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ} (القلم:49)

بين تعالى أنه لم ينبذ بالعراء على صفة مذمومة، كما في قوله تعالى: [4202]{وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ}.

[4196] البقرة 109
[4197] البقرة 109
[4198] الشورى 23
[4199] هود 29
[4200] الصافات 139 – 142
[4201] الانبياء 87 – 88

{فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ} (القلم: 50)

بينه تعالى بقوله: [4203]{ وَأَرْسَلْنَـــاهُ إِلٰى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَـــاهُمْ إِلٰى حِينٍ }.

[4202] الصافات 146
[4203] الصافات 147–148

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الحاقة(اجمالاً)

{الْحَاقَّةُ} (الحاقة:1) {مَا الْحَاقَّةُ} (الحاقة:2)

الحاقة من أسماءِ القيامة ومنها ماجاء بعدها [4204]{كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ} كما قال تعالى: [4205]{وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ}. كما سميت الواقعة [4206]{لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ}

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ} (الحاقة:4) {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ} (الحاقة:5)

قيل: الطاغية الصيحة الشديدة التي أهلكتهم، بدليل قوله تعالى : [4207]{إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ} كقوله تعالى: [4208]{وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّى حِينٍفَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ}.

{وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} (الحاقة:6) {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ} (الحاقة:7)

[4204] الحاقة 4

[4205] القارعة 3– 4

[4206] الواقعة 2

[4207] القمر 31

[4208] الذاريات 43– 44

تقدم بيان ذلك عند قوله تعالى[4209] { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ} وهو بيان لما أجمل في سورة الفجر، في قوله تعالى: [4210]{ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ}.

{وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ} (الحاقة:9)

تقدم تفصيل ذلك عند قوله تعالى في هود [4211]{فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـــالِيَهَا سَافِلَهَا}. وفي النجم عند قوله تعالى : {وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى }.

{وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً} (الحاقة:14)

تقدم في سورة الكهف عند قوله تعالى: [4212]{ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ}

{يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ}(الحاقة:18)

تقدم عند قوله تعالى: [4213]{وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا}.

[4209] فصلت 16

[4210] الفجر 13

[4211] هود 82

[4212] الكهف 47

[4213] الكهف 49

{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ} (الحاقة:19)

تقدم عند قوله تعالى : [4214]{ وَوُضِعَ الْكِتَـــابُ}

{إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ} (الحاقة:20)

تقدم بيانه عند قوله تعالى: [4215]{وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا}

{مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ} (الحاقة:28)

كقوله تعالى[4216]{يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ}. وقوله:[4217] {مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}.وقد تقدم في سورة الكهف على قوله تعالى: [4218]{وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى}.

وفي سورة الزخرف عند قوله تعالى :[4219] {وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا}.

{هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} (الحاقة:29)

[4214] الكهف 49

[4215] الكهف 53

[4216] الشعراء 88

[4217] المسد 2

[4218] الكهف 36

[4219] الزخرف 33

كما في قوله تعالى: [4220]{وَعُرِضُواْ عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} وقوله: [4221]{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَـاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ}.

{إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللهِ الْعَظِيمِ} (الحاقة: 33) {وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} (الحاقة: 34)

قد تقدم مبحث هذه المسألة في أول سورة فصلت عند قوله تعالى: [4222]{ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَوةَ}،

{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} (الحاقة: 40)

المراد به الرسول صلى الله عليه وسلم بقرينة. قوله تعالى: [4223]{وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ} وقد أشار لذلك في الآية الأولى في قوله [4224]{مُّطَـاعٍ ثَمَّ أَمِينٍوَمَا صَـاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ}.

{وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ} (الحاقة: 44)

تقدم عند الكلام على قوله تعالى: [4225]{ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلاَ تَمْلِكُون لِى مِنَ اللهِ شَيْئاً}

[4220] الكهف 48
[4221] الانعام 94
[4222] فصلت 6
[4223] الحاقة 41
[4224] التكوير 21–22

[4225] الحاقة 8

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المعارج(اجمالاً)

{سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} (المعارج:1)

تقدم عند الكلام على قوله تعالى [4226]{وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ

أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}

{تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} (المعارج:4)

تقدم في سورة الحج عند الكلام على قوله تعالى :[4227] {وَإِنَّ يَوْماً عِندَ رَبِّكَ}.

{يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ} (المعارج:8)

تقدم بيان ذلك في سورة الرحمن عند الكلام على قوله تعالى : [4228]{فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ}.

{وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ} (المعارج:9)

[4226] الانفال 32

[4227] الحج 47

[4228] الرحمن 37

تقدم تفصيل بيان كل ذلك عند قوله تعالى : [4229]{ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ }

{وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً} (المعارج:10)

الحميم: القريب والصديق والولي كما في قوله تعالى: [4230]{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}.

{إِنَّ الْأِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً} (المعارج:19)

وقد فسره الله في الآية [4231]{إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاًوَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً}.

{فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ}(المعارج:36) {عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ} (المعارج:37)

كقوله تعالى : [4232]{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ }.

{كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ} (المعارج:39)

تقدم بيان ذلك في أكثر من موضع، وأصرح نص في ذلك قوله تعالى [4233]{ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ} وقوله: [4234]{فَلْيَنظُرِ الإِنسَـانُ مِمَّ خُلِقَخُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ} كما في قوله تعالى : [4235]{هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَـانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَـانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ }.

[4229] القارعة 4–5

[4230] فصلت 34

[4231] المعارج 20– 21

[4232] المدثر 49– 51

[4233] المرسلات 20

{فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ} (المعارج:40)

وقد نص على نظيره في سورة الرحمن [4236]{ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ فَبِأَيِّ ءَالاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

[4234] الطارق 5– 7

[4235] الانسان 1– 2

[4236] الرحمن 17– 18

{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ * إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رٰعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَـٰدٰتِهِم قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَـٰئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ * فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ * عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ * فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَـٰرِقِ وَالْمَغَـٰرِبِ إِنَّا لَقَـٰدِرُونَ * عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُواْ يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ * يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ} (المعارج:29-44)

قوله تعالىٰ: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَإِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينفَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}.

تقدم عند {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}، وما بعدها، وفي سورة النساء، وبين أن كل مبتغ وراء الزوجة وملك اليمين فهو داخل تحت قوله: {فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}، وخاصة من قال: بنكاح المتعة. لأن المستمتع بها ليست زوجة وليست أمة مملوكة.تنبيه

.وبهذا يظهر أن مبتغى وراء ذلك، أي أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم هم العادون. قوله تعالىٰ: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رٰعُونَ}. تقدم بيانه في أول سورة {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}.

قوله تعالىٰ: {وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَـٰدٰتِهِم قَائِمُونَ}. قرىء بشهاداتهم بالجمع وقرىء بشهادتهم بالإفراد، فقيل: إن الإفراد يؤدي معنى الجمع للمصدر كما في قوله: {إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوٰتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ}. فأفرد في الصوت مراداً به الأصوات.

وقيل: الإفراد لشهادة التوحيد مقيمون عليها. والجمع لتنوع الشهادات بحسب متعلقها، ولا تعارض بين الأمرين فما يشهد لذلك قوله تعالىٰ: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَـٰمُواْ}.

قال أبو بكر رضي الله عنه: أي داموا على ذلك حتى ماتوا عليه.

وبدل للثاني عمومات آية الشهادة المتنوعة في البيع والطلاق والكتابة في الدين وغير ذلك، والله تعالى أعلم.

وفي هذه الآية عدة مسائل:

المسألة الأولى: أطلق القيام بالشهادة هنا وبين أن قيامهم بها إنما هو لله في قوله تعالىٰ: {وَأَقِيمُواْ الشَّهَـٰدَةَ لله}، وقوله: {يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءِ لله وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ}.

المسألة الثانية: قوله {بِشَهَـٰدٰتِهِم قَائِمُونَ} في معرض المدح، وإخراجهم من وصف {إِنَّ الإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعاً} يدل بمفهومه أن غير القائمين بشهاداتهم غير خارجين من ذلك الوصف الذميم.

وقد دلت آيات صريحة على هذا المفهوم، منها قوله تعالىٰ: {وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَـٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ}، وقوله: {وَلاَ نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ الله إِنَّآ إِذاً لَّمِنَ الأَثِمِينَ}.

وكذلك في معرض المدح في وصف عباد الرحمٰن في قوله: {وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ}.

وفي الحديث من عظم جرم شهادة الزور، وكان ﷺ متكئاً فجلس، فقال: «ألا وشهادة الزور، ألا وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت».تنبيه

قوله: {وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَـٰدٰتِهِم قَائِمُونَ} يفيد القيام بالشهادة مطلقاً، وجاء قوله: {وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ} فقيد القيام بالشهادة بالدعوة إليها.

وفي الحديث : «خير الشهود من يأتي بالشهادة قبل أن يسألها».

وفي حديث آخر في ذم المبادرة بها، ويشهدون قبل أن يستشهدوا. وقد جمع العلماء بين الحديثين بأن الأول في حالة عدم معرفة المشهود له بما عنده من شهادة، أو يتوقف على شهادته حق شرعي كرضاع وطلاق ونحوه، والثاني بعكس ذلك.

الأول: الإشهاد في البيع في قوله تعالىٰ: {وَأَشْهِدُواْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ}.

الثاني: الطلاق، والرجعة لقوله تعالىٰ: {فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ}. الثالث: كتابة الدّين لقوله تعالىٰ: {فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ}.

الرابع: الوصية عند الموت لقوله تعالىٰ: {يـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ}.

الخامس: دفع مال اليتيم إليه إذا رشد، لقوله تعالىٰ: {فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ}.

السادس: إقامة الحدود لقوله تعالىٰ: {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ}.

السابع: في السنة عقد النكاح لقوله ﷺ: «لا نكاح إلا بولي و شاهدي عدل»، وهذه كلها مواطن هامة تتعلق بحقّ الله وحق العباد من حفظ للمال والعرض والنسب، وفي حق الحي والميت واليتيم والكبير، فهي في شتى مصالح الأمة استوجبت الحث على القيام بها {وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَـٰدَٰتِهِم قَائِمُونَ} والتحذير من كتمانها {وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَـٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ}.

وقوله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُ مِنَ الله}.

وقوله: {وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ}.

المسألة الرابعة: قوله تعالىٰ: {وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَـٰدَٰتِهِم قَائِمُونَ} كلها صيغ الجمع، والشهادة قد تكون من فرد، وقد تكون من اثنين، وقد تكون من ثلاثة، وقد تكون من أربعة، وقد تكون من جماعة.

وجملة ذلك أن الشهادة في الجملة من حث الشاهد تكون على النحو الآتي: إجمالاً رجل واحد، ورجل يمين، ورجل وامرأتان، ورجلان، وثلاثة رجال، وأربعة، وطائفة من المؤمنين، وامرأة، وامرأتان، وجماعة الصبيان.

وقد جاءت النصوص بذلك صريحة. أما الواحد، فقال تعالى: {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ}.

فهو، وإن كان ملفت النظر إلى القرنية في شق القميص، إلا أنه شاهد واحد.

وجاء في السنة: شهادة خزيمة رضي الله عنه، لما شهد لرسول الله ﷺ بشراء الفرس من الأعرابي، وجعلها ﷺ بشهادة رجلين.

وجاءت السنة بثبوت شهادة الطبيب والقائف والخارص ونحوهم.

وجاء في ثبوت رمضان، فقد قبل ﷺ شهادة أعرابي، وقبل شهادة عبد الله بن عمر سواء كان قبولها اكتفاء بها أو احتياطاً لرمضان.

والعلم عند الله تعالى. قوله تعالىٰ: {فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَعَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ}. مهطعين: أي مسرعين نافرين، وعزين جمع عزة، وهم الجماعة، أي ما بال أولئك الكفار المنصرفين عنك متفرقين، وعليه قول الكميت:

ونحن وجندل باغ تركنا

كتائب جندل شتى عزين

وكذلك هنا فهم متفرقون عنه ﷺ جماعات من كل جهة عن اليمين وعن الشمال. تفرقت بهم الأهواء وأخذتهم الحيرة كقوله تعالىٰ: {فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ}.

ونقل ابن كثير عن أحمد رحمه الله في أهل الأهواء، فهم مخالفون للكتاب، مختلفون في الكتاب، متفقون على مخالفة الكتاب.

قوله تعالىٰ: {إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ}. أجمل ما يعلمون في ما الموصولة مما، وقد بينه تعالى في عدة مراحل من تراب أولاً ثم من نطفة.، وأصرح نص في ذلك قوله تعالىٰ {أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ} وقوله: {فَلْيَنظُرِ الإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَخُلِقَ مِن مَّآءٍ

دَافِقٍيَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ} أي ماء الرجل وماء المرأة يختلطان معاً، كما في قوله تعالىٰ: {هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراًإِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ}.

وقوله تعالىٰ: {كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ} ليس لمجرد الإخبار، لأنهم يعلمون، والعالم ليس في حاجة إلى إخبار، ولكن يراد بذلك لازم الخبر، وهو إفهامهم بأن من خلقهم من هذا الذي يعلمون قادر على إعادتهم وبعثهم ومجازاتهم، كما في سورة الدهر {إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعاً بَصِيراً}. ثم قال: {إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً}. ثم بين المصير {إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَلَـٰسِلَ وَأَغْلَـٰلاً وَسَعِيراًإِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَـٰفُوراً}.

قوله تعالىٰ: {فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَـٰرِقِ وَالْمَغَـٰرِبِ}. قوله تعالىٰ {فَلاَ أُقْسِمُ} ظاهر النفي، والحال أنه أقسم بدليل جواب القسم بعده {إِنَّا لَقَـٰدِرُونَعَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ}،

وقوله: {بِرَبِّ الْمَشَـٰرِقِ وَالْمَغَـٰرِبِ} فهو الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وقد نص على نظيره في سورة الرحمٰن {رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِفَبِأَىِّ ءَالاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

وقد جمعت المشارق هنا، وثنيت في الرحمٰن وأفردت في قوله تعالىٰ {وَللَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ}، فالجمع على مشارق الشمس في السنة لكل يوم مشرق، كما قال ابن عباس والتثنية لمشرق الشمس والقمر والإفراد على الجهة، . قوله تعالىٰ: {يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً}. بين هنا حالة الخروج من الأجداث وهي القبور، وهي أنهم يخرجون سراعاً، وبين في موضع آخر أنهم يخرجون مبعثرين هنا وهناك. في قوله تعالىٰ: {إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى الْقُبُورِ}، وفي قوله تعالىٰ: {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّـاسُ أَشْـتَاتاً لِّيُـرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ}. قوله تعالىٰ: {خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ}. حالة ثانية، وقد جمع الحالات في سورة اقتربت الساعة في قوله تعالىٰ {يَوْمَ يَدْعُو الدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ خُشَّعاً أَبْصَـٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌمُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

وفي ختام السورة الكريمة لهذا الوصف والوعيد الشديد تأييد للقول بأن سؤالهم في أولها بعذاب واقع، إنما هو استخفاف واستبعاد. فبين لهم تعالى بعد عرض السورة نهاية ما يستقبلون به ليأخذوا حذرهم ويرجعوا إلى ربهم. فارتبط آخر السورة بأولها.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة نوح(اجمالاً)

{إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلٰى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (نوح: **1**)

كقوله تعالى:[4237]{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} كما في قوله تعالى:[4238]{رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}

{أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ} (نوح: 3){يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً إِنَّ أَجَلَ اللهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (نوح: 4)

كما في قوله تعالى في سورة النساء [4239]{وَأَرْسَلْنَـــاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ}.

{قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً} (نوح: 5)

كما قال: [4240]{ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَـــاراً ثُمَّ إِنِّى أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً}.

{وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً} (نوح: 7)

[4237] الاسراء 15

[4238] النساء 165

[4239] النساء 79–80

[4240] نوح 8–9

كما في قوله تعالى : [4241] {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَسْمَعُواْ لِهَـذَا الْقُرْءَانِ}

{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً} (نوح:10){يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً} (نوح:11)

تقدم في سورة هود عند قوله تعالى : [4242] {وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعًا حَسَنًا}.

{وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً} (نوح:14)

هي المبينة في قوله تعالى : [4243]{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَـانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَـاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَـاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَـامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَـاهُ خَلْقاً ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَـالِقِينَ} .

{قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً} (نوح:21)

كما في قوله تعالى : [4244]{إِنَّ الإِنسَـانَ لَيَطْغَى أَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَى }

[4241] فصلت 26

[4242] هود 3

[4243] المئومنون 12–14

[4244] العلق 6–7

{وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً} (نوح:26) {إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً} (نوح:27)

لم يدع عليهم هذا الدعاء إلا بعد أن تحدوه في قولهم:[4245] {يانُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَا لَنَا فَأْتِنا بِمَا تَعِدُنَآ}.وقوله: [4246]{كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَفَدَعَا رَبَّهُ أَنُّى مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ}. وأما يأسه منهم فلقوله تعالى: [4247]{ وَأُوحِىَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ ءَامَنَ}. وهو دليل نبي الله موسى عليه السلام أيضاً على قومه. كما قال تعالى: [4248]{رَبَّنَآ إِنَّكَ ءاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلاّهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِى الْحَيَوة الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا طْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ}. لم يبين هنا هل استجيب له أم لا وبينه في مواضع أخر منها قوله:[4249] { وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ}.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الجن

{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً} (الجــن: 1)

[4245] هود 32

[4246] القمر 9-10

[4247] هود 36

[4248] يونس 88

[4249] الانبياء 76

كقوله تعالى: [4250]{وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ}

{وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً} (الجـــن:8)

كما في قوله:[4251] {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِوَحِفْظاً} وكما في قوله تعالى: [4252]{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَـــابِيحَ وَجَعَلْنَـــاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَـــاطِينِ}.

{وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً} (الجـــن:10)

فيه نص على أن الجن لا تعلم الغيب، وقد صرح تعالى في قوله: [4253]{فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى الْعَذَابِ الْمُهِينِ}.

{وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً} (الجـــن:16)

كما قال تعالى:[4254] {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ لاّكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم} وقوله:[4255] {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُواْ وَتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـــاتٍ مِّنَ ?لسَّمَآءِ وَالأَرْضِ}. ومثل ذلك قوله تعالى:[4256] { فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراًيُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مُدْرَاراًوَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـــاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً}.

[4250] الاحقاف 29

[4251] الصافات 6–7

[4252] الملك 5

[4253] سبأ 14

[4254] المائدة 66

[4255] الاعراف 96

{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللهِ أَحَداً} (الجــن:18)

كما قال تعالى: [4257]{فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَه فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالأْصَالِ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَــارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَواةِ}.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَــٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المزمل

{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} (المزمل:1){ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً} (المزمل:2)

كقوله تعالى : [4258]{وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ}.

{إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً} (المزمل:5)

القول هنا هو القرآن كما قال تعالى[4259] {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} وقوله: [4260]{وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}. وقوله: [4261]{إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ} وقوله [4262]{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً} ونحو ذلك من الآيات. وقد بين تعالى أن هذا الثقل قد يخففه الله على المؤمنين، كما في الصلاة في قوله:[4263] {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَــاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ}، وكما قال تعالى فى القرآن:[4264] {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ}

[4256] نوح 10-12
[4257] النور 36-37
[4258] الاسراء 79

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المدثر

{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} (المدثر: 1){قُمْ فَأَنْذِرْ} (المدثر: 2)

الإنذار قد يكون للكافرين، كما في قوله تعالى: [4265]{وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْماً لُّدّاً}وقد يكون للمؤمنين، كما في قوله: [4266]{إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخشِيَ الرَّحْمَـٰنَ بِالْغَيْبِ}. وقد يكون للجميع أي لعامة الناس كما في قوله تعالى : [4267]{ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءامَنُواْ}. وأما المنذر به فكما تقدم عند قوله تعالى : [4268]{لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرٰى لِلْمُؤْمِنِينَ}

[4259] التكوير 19
[4260] القصص 51
[4261] الطلاق 13
[4262] النساء 122
[4263] البقرة 45-46
[4264] القمر 17
[4265] مريم 97
[4266] يس 11
[4267] يونس 2
[4268] الاعراف 2

{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ} (المدثر:8){فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ} (المدثر:9){عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ} (المدثر:10)

كما جاء في وصفه في قوله تعالى :[4269] {ياأَيُّهَا النَّاسُ تَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَـارَى وَمَا هُم بِسُكَـارَى وَلَـكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ}، ومثل قوله تعالى [4270]{يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ} وكما قال تعالى عنهم [4271] {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبا السَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِ} بينما يكون على المؤمنين يسيراً، كما بين تعالى هذه الصورة بجانبها في قوله تعالى[4272]{وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى السَّمَـاوَاتِ وَمَن فِى الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَآءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} ــ إلى قوله ــ {مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة القيـــامة

{أَيَحْسَبُ الْأِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ} (القيامة:3)

[4269] الحج 1–2

[4270] عبس 34–35

[4271] المزمل 17–18

[4272] النمل 87–90

هذا الحسبان قد جاء مصرحاً به في قوله تعالى : [4273]{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحيِ الْعِظَـامَ وَهِيَ رَمِيمٌ}. وجاءه الجواب: [4274]{ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ}.

{فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ}(القيامة:7) {وَخَسَفَ الْقَمَرُ}(القيامة:8) {وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ}(القيامة:9)

{يَقُولُ الْأِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ}(القيامة:10) {كَلَّا لا وَزَرَ}(القيامة:11)

قد يشهد لهذا النص في سورة إبراهيم في قوله تعالى : [4275]{إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَـارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ}. وقد تقدم في سورة ص على قوله تعالى[4276] {كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ}.

{يُنَبَّأُ الْأِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} (القيامة:13)

كما في قوله تعالى: [4277]{يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَـانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} وتقدم بيانه عند قوله تعالى [4278]{وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُواْ}

{بَلِ الْأِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}(القيامة:14)

[4273] يسن 78

[4274] يسن 79

[4275] ابراهيم 42-43

[4276] ص 3

[4277] الفجر 23-24

[4278] الزمر 48

بينه قوله تعالى: [4279] {اقْرَأْ كَتَـابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} .وقوله: [4280]{وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا}

{وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}(القيامة:15)

كما في قوله تعالى: [4281]{يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّـالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ}. وقد بين تعالى بعض معاذيرهم تلك في مثل قوله تعالى : [4282]{قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَـؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَـاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُواْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ}. وقوله: [4283]{فَأَغْوَيْنَـاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَـاوِينَ}. وقوله: [4284]{قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَآلِّينَرَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـالِمُونَ قَالَ اخْسَئُواْ فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ}. وقوله: [4285]{وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِى أَصْحَـابِ السَّعِيرِ فَعْتَرَفُواْ بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لأَِّصْحَـابِ السَّعِيرِ}

{لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ}(القيامة:16) {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}(القيامة:17)

كما في قوله تعالى: [4286] {وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْءانِ مِن قَبْلِ إَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}. وقوله تعالى: [4287]{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَـافِظُونَ}.

{فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} (القيامة:18)

[4279] الاسراء 14
[4280] الكهف 49
[4281] غافر 52
[4282] القصص 63
[4283] الصافات 32
[4284] المومنون 106-108
[4285] الملك 10-11
[4286] طه 114
[4287]

تقدم بيانه عند قوله تعالى: [4288]{عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى}

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} (القيامة:22)

تقدم بيانه عند قوله تعالى: [4289] {قَالَ رَبِّ أَرِنِى أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِى}

{كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ} (القيامة:26)

كما في قوله تعالى: [4290]{فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ}ــ إلى قوله ــ [4291]{تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَـــادِقِينَ}

{أَيَحْسَبُ الْأِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً} (القيامة:36)

وقد تقدم بيان ذلك عند قوله تعالى: [4292]{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـــاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَفَتَعَـــالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}

[4288] النجم 5

[4289] الاعراف 143

[4290] الواقعة 83–84

[4291] الواقعة 87

[4292] المومنون 115–116

{أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنٰى}(القيامة:37) {ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى}(القيامة:38) {فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثٰى}(القيامة:39) {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلٰى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتٰى}(القيامة:40)

وقد تقدم بيان ذلك عند قوله تعالى: [4293]{وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثٰى مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرٰى }

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الانسان

[4293] النجم 45-47

{إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً} (الانسان:2)

تقدم بيان ذلك عند الآية الكريمة :[4294] {وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً}.

{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً} (الانسان:3)

الهداية هنا بمعنى البيان، كما في قوله تعالى :[4295] {وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّواْ الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}.

{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالاً وَسَعِيراً} (الانسان:4)

بين تعالى نوع هذه السلاسل بذرعها في قوله تعالى[4296] {فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً}.

{إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً} (الانسان:5)

يدل على انهم لا يشربون عن ظمإ كما في قوله تعالى لآدم[4297] {إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَؤُا فِيهَا وَلاَ تَضْحَى} وقوله[4298] {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً}

ويأتي قوله تعالى[4299] {وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً}.

[4294] مريم 9

[4295] فصلت 17

[4296] الحاقة 32

{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً} (الانسان:7)

تقدم مبحث النذر وافياً عند قوله تعالى: [4300]{وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ}

{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً} (الانسان:8)

كقوله [4301]{وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ} وقوله [4302]{ لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ }. وقوله تعالى بعدها [4303]{ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ الله لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلاشُكُوراً }.

{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً} (الانسان:8)

قوله (أسيرا) تقدم شيء من ذلك عند الكلام على قوله تعالى [4304]{لاَّ يَنْهَـاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَم يُقَـاتِلُوكُمْ فِى الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَـارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُواْ إِلَيْهِمْ}

4297 طه 118- 119

4298 الانسان 17

4299 الانسان 12

4300 الحج 29

4301 البقرة 177

4302 ال عمران 92

4303 الانسان 9

4304 الممتحنة 8

{فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً} (الانسان: 11)

تقدم معنى قوله تعالى [4305]{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ}

{وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا} (الانسان: 15) {قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً} (الانسان: 16)

بين تعالى أن الذي يطوف عليهم هم [4306]{ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً}. وتقدم في سورة الطور عند قوله [4307]{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ}

{وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً} (الانسان: 17)

وقبلها، قال تعالى: {كان مزاجها كافورا} قيل هما معاً، فهي في برد الكافور وطيب الزنجبيل }

[4305] القيامة 22

[4306] الانسان 19

[4307] الطور 24

{عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً}

(الانسان:21)

وقد تقدم بيان ذلك عند قوله تعالى [4308]{ لاَّ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ}

{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً} (الانسان:23)

وقد بين تعالى كيفية التنزيل في قوله تعالى: [4309]{وَقُرْءانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـــاهُ تَنْزِيلاً}. وتقدم بيان هذه المسألة في سورة الفرقان

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً} (الانسان:26)

تقدم بيان مقدار المطلوب قيامه من الليل في أول سورة المزمل في قوله تعالى: [4310]{ياأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ الَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ}.

{نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً} (الانسان:28)

وقد بين تعالى ذلك في قوله: [4311] {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـــانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} وقوله: [4312] {الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ}.

[4308] الواقعة 19

[4309] الاسراء 106

[4310] المزمل 1-4

{إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً} (الانسان:29)

كما قال تعالى: [4313]{قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} وفي النهاية قال: [4314]{وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ} كما في قوله تعالى: [4315]{وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ} كما تقدم في قوله تعالى: [4316]{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المرسلات

{وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً}(المرسلات:1) {فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفاً}(المرسلات:2) {وَالنَّاشِرَاتِ نَشْراً} (المرسلات:3)

كقوله تعالى: [4317]{وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ} وقوله: [4318]{وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرىً بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ}.

[4311] التين 4

[4312] السجدة 7

[4313] الانعام 151

[4314] الانعام 153

[4315] الشورى 52-53

[4316] الفاتحة 6

{فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْراً}(المرسلات: 5) {عُذْراً أَوْ نُذْراً}(المرسلات: 6)

تقدم في سورة الصافات عند قوله تعالى : [4319]{ فَالتَّـــالِيَـــاتِ ذِكْراً }.

{فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ}(المرسلات: 8)

كقوله: [4320]{ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ }

{وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ}(المرسلات: 9)

كما في قوله تعالى [4321]{ وَإِذَا السَّمَآءُ فُرِجَتْ } وكما في قوله تعالى: [4322]{ إِذَا السَّمَآءُ انشَقَّتْ } { إِذَا السَّمَآءُ انفَطَرَتْ }

{وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ}(المرسلات: 10)

[4317] الحجر 22

[4318] الاعراف 57

[4319] الصافات 3

[4320] التكور 2

[4321] المرسلات 9

[4322] الانشقاق1

تقدم في سورة ق عند قوله تعالى [4323]{ أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ }

{وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ}(المرسلات:11)

تقدم عند قوله تعالى: [4324]{ قُلْ إِنَّ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ }

{لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ}(المرسلات:12) {لِيَوْمِ الْفَصْلِ}(المرسلات:13)

كما بينه تعالى بقوله: [4325] {هَـذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ} وكقوله [4326]{ ذالِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَالِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ}

{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}(المرسلات:15)

تقدم عند قوله تعالى: [4327]{ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ الَّذِى يُوعَدُونَ }.

{أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ}(المرسلات:20) {فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ}(المرسلات:21)

[4323] ق 6
[4324] الواقعة 49-50
[4325] المرسلات 38
[4326] هود 103
[4327] الذاريات 60

{إِلٰى قَدَرٍ مَعْلُومٍ}(المرسلات:22)

تقدم التنويه عن ذلك في أول سورة الحج }

{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً}(المرسلات:25) {أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً}(المرسلات:26)

تقدم عند قوله تعالى: [4328]{ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً } وقد جمع المعنيين في قوله تعالى: [4329] { وَاللَّهُ أَنبَتَكُمْ مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً }

{انْطَلِقُوا إِلٰى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ}(المرسلات:29)

بينه بعد بقوله تعالى

{انْطَلِقُوا إِلٰى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ}(المرسلات:30) {لا ظَلِيلٍ وَلا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ}(المرسلات:31)

[4328] طه 53

[4329] نوح 17-18

{إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ}(المرسلات:32) {كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ}(المرسلات:33) {هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ}(المرسلات:35)

تقدم عند قوله تعالى: [4330]{ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لاَ يَنطِقُونَ }.

{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}(المرسلات:43)

ومثله قوله تعالى:[4331] { وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }.

{إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}(المرسلات:44)

تقدم عند قوله تعالى : [4332]{إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَالِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُم أَحْسَنُ عَمَلاً }.

{فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}(المرسلات:50)

كقوله تعالى: [4333]{ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَءايَـــاتِهِ يُؤْمِنُونَ }.

[4330] النمل 85
[4331] الاعراف 43
[4332] الكهف 7

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النبأ

{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً} (النبأ: 6)

تقدم بيان ذلك عند قوله تعالى : [4334]{الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً}.

{وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً} (النبأ: 9) {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً} (النبأ: 10)

{وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشاً} (النبأ: 11)

[4333] الجاثية 6

[4334] طه 53

تقدم عند الكلام على قوله تعالى من سورة الفرقان: [4335]{وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الَّيلَ لِبَاسا وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُوراً}.

{وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً} (النبأ:12)

تقدم عند قوله تعالى في سورة ق [4336]{ أَفَلَمْ يَنظُرُوا۟إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـــاهَا وَزَيَّنَّـــاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ }

{يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً} (النبأ:18)

مثل قوله تعالى : [4337]{ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعاً} وقوله: [4338]{ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌمُّهْطِعِينَإِلَى الدَّاعِ }

{وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً} (النبأ:20)

تقدم عند قوله تعالى من سورة طه: [4339] {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفاً} وعند قوله تعالى في سورة النمل: [4340] {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ }

[4335] الفرقان 47
[4336] ق 6
[4337] المعارج 43
[4338] القمر 7– 8
[4339] طه 105
[4340] النمل 88

{لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً} (النبأ: 23)

تقدم في سورة الأنعام على قوله تعالى :[4341] { قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَـالِدِينَ فِيهَآ إِلاَّ مَا شَآءَ اللَّهُ }

{وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً} (النبأ: 29)

كقوله تعالى: [4342]{وَوُضِعَ الْكِتَـابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ ياوَيْلَتَنَا مَا لِهَـذَا الْكِتَـابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}.

وقوله: [4343]{ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} وقوله: [4344]{ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَن يَعْـمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} وقوله: {أَحْصَـاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ}.

ويشهد له قوله تعالى:[4345] {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَـاهُ بِقَدَرٍ} وكقوله: [4346]{ وَكُلَّ شىْءٍ أَحْصَيْنَـاهُ فِى إِمَامٍ مُّبِينٍ} وتقدم في سورة الجن قوله تعالى: [4347]{ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً}.

{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً} (النبأ: 38)

تقدم عند الكلام على قوله تعالى من سورة الكهف: [4348]{وَعُرِضُواْ عَلَى رَبِّكَ صَفًا}.

[4341] الانعام 128

[4342] الكهف 49

[4343] ق 18

[4344] الزلزلة 7-8

[4345] القمر 49

[4346] يس 12

[4347] الجن 28

{ لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَاباً} (النبأ:38)

مثل قوله تعالى: [4349]{يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} ومثله قوله تعالى: [4350]{مَن ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ}.

{إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً}

(النبأ:40)

كما في قوله:[4351] {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفُ بِالْعِبَادِ }

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النازعات

{وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً} (النازعـــات:3)

وصف الله الشمس والقمر بالسابحات في قوله تعالى:[4352] { لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَآ أَن تدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }.

[4348] الكهف 48

[4349] هود 105

[4350] البقرة 255

[4351] ال عمران 30

{فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً} (النازعـــات:5)

اتفق المفسرون على أنها الملائكة، كما في قوله تعالى: [4353]{تَنَزَّلُ الْمَلَـــئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ} وكما وصف الله الملائكة بقوله: [4354]{لاَّ يَعْصُونَ اللهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}.

{يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ} (النازعـــات:6) {تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ} (النازعـــات:7)

كما في قوله تعالى: [4355] {وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى السَّمَـــاوَاتِ وَمَن فِى الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَآءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ}. وتقدم في سورة يس عند قوله تعالى: [4356]{وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ}

{أَإِذَا كُنَّا عِظَاماً نَخِرَةً} (النازعـــات:11)

كقوله تعالى: [4357]{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحىِ الْعِظَـــامَ وَهِىَ رَمِيمٌ}.

[4352] يس 40
[4353] القدر 4
[4354] التحريم 6
[4355] الزمر 68
[4356] يس 51
[4357] يس 78

{إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً} (النازعـــات:16)

بين القرآن الكريم، أنه الطور في قوله تعالى :[4358] {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ءَانَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً} ـــ إلى قوله ـــ {فَلَمَّآ أَتَـــاهَا نُودِىَ مِن شَاطِىءِ الْوَادِى الأَيْمَنِ فِى الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ} وفي سورة طه من أول قوله تعالى :[4359] {وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى [4360] إِذْ رَأَى نَاراً} ـــ إلى قوله ـــ {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ}. وتقدم في سورة مريم عند قوله تعالى: [4361]{ وَنَـــادَيْنَـــاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ}.

{فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى} (النازعـــات:20) {فَكَذَّبَ وَعَصَى} (النازعـــات:21)

وتقدم في سورة القمر قوله: [4362]{وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ كَذَّبُواْ بِأَيَـــاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـــاهُمْ أَخْذَ عِزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ }

{فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى} (النازعـــات:25)

الأَخِرَةِ وَالأَوْلَى هما الكلمتان العظيمتان اللتان تكلم بهما فرعون في قوله: [4363]{مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَـــهٍ غَيْرِى}. والثانية قوله: [4364]{ أَنَاْ رَبُّكُمُ الأَعْلَى }. والقرآن يشهد لهذا في قوله تعالى :[4365]{فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً }

[4358] القصص 29- 30

[4359] طه 9- 24

[4360] طه 9- 24

[4361] مريم 52

[4362] القمر 41-42

[4363] القصص 38

[4364] النازعات 24

[4365] يونس 92

{أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا} (النازعـــات:27)

جاء الجواب مصرحاً بأن السماء أشد خلقاً منهم في قوله تعالى:[4366]{لَخَلْقُ السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْـبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْـثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ } . وبين ضعف الإنسان في قوله في نفس المعنى [4367]{فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَـاهُم مِّن طِينٍ لاَّزِبٍ } . وتقدم الكلام عليه عند آية الصافات { فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَآ }.

{رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا} (النازعـــات:28)

تقدم في سورة ق عند قوله تعالى : [4368]{ أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـاهَا } .

{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} (النازعـــات:46)

تقدم عند قوله تعالى في سورة يونس: [4369]{ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُواْ إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ }

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة عبس

[4366] غافر 57
[4367] الصافات 11
[4368] ق 6
[4369] يونس 45

{وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى} (عبس: 7)

كقوله: [4370] { عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ } وكقوله : [4371] {فَلَعَلَّكَ بَـاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى ءَاثَـارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـذَا الْحَدِيث أَسَفاً }. وقد صرح تعالى بذلك في قوله: [4372] {إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ} وقوله: [4373] {إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَ غُ} وقوله: [4374] { لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ } ومثل ذلك وقد جمع الأمرين من الجانبين في قوله تعالى عن نوح عليه السلام [4375] {وَمَآ أَنَاْ بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ }.

{قُتِلَ الْأِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} (عبس: 17)

كقوله: [4376] { وَهُوَ الَّذِى أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الإِنْسَـانَ لَكَفُورٌ } وكما في قوله: [4377] { وَمَا يَجْحَدُ بِأَايَـاتِنَآ إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ }.

[4370] التوبة 128
[4371] الكهف 6
[4372] الرعد 7
[4373] الشورى 48
[4374] البقرة 272
[4375] الشعراء 114-115
[4376] الحج 66

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة التكوير

{إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَىِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَآءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ * فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَـٰعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَـٰحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ * لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَـٰلَمِينَ} (التكوير-29) 1:

{ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ }. اختلف في معنى كُوِّرَت هنا أكثر من عشرة أقوال ، وكلها تدور على نهاية أمرها : فقيل : كورت : لف بعضها على بعض ، فانطمس نورها . وقيل : حجبت بكارة ، أي لفت بها . وقيل : ألقيت في البحر . وقيل : دخلت في العرش . وقيل : اضمحلت . وقيل : نكست . وقال ابن جرير : نقول كما قال الله تعالى : {كُوِّرَتْ}. والذي يشهد له القرآن ، أن هذا كله راجع إلى تغير حالها في آخر أمرها ، لأن الله تعالى جعل لها أجلاً مسمى ، ومعنى ذلك أنها تنتهي إليه على الوجه الذي يعلمه سبحانه وتعالى ، كما في قوله تعالىٰ : {وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى}. فمفهومه : أنه إذا جاء هذا الأجل توقفت عن جريانها . وهو ما يشير إليها قوله تعالىٰ : {فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ }، أي بعد أن لم يجتمعا قط ، وما كان لهما أن يجتمعا قبل ذلك الوقت ، كما قوله تعالىٰ : {لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَآ أَن تدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }. ولعل أقرب الأقوال المنقولة في ذلك : هو القول بأنه بمعنى نكست . أي ردت إلى حيث

[4377] لقمان 32

أتت ، كما في الحديث ، فتطلع من مغربها ، وعليه فتجتمع مع القمر . { وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ } . قيل : انكدرت انصبت ، وقيل : تغيرت من الكدرة ، وكلّها متلازمة ولا تعارض . ويشهد للأول قوله تعالىٰ : {وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ } . ويشهد للثاني : {فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ }، لأنَّها إذا تناثرت وذهبت من أماكنها وتغير نظامها ، فقد ذهب نورها وطمست . { وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ } . أي ذهب بها من مكانها ، بيان حالة الجبال في نهاية الدنيا في عدة مواطن . من أهمها عند قوله تعالىٰ في سورة طه {وَيَسْـــئلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفاً }، وعند قوله تعالىٰ من سورة الكهف : {,,وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً} . { وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَىِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ } . الوأد : الثقل ، كما في قوله تعالىٰ : {وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا} . والموءودة : المثقلة بالتراب حتى الموت ، وهي الجارية ، كانت تدفن حية ، فكانوا يحفرون لها الحفرة ويلقونها فيها ، ثم يهيلون عليها التراب . وقوله تعالىٰ : {بِأَىِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ } إشعار بأنه لا ذنب لها ، فتقتل بسببه ، بل الجرم على قاتلها . ولكن لعظم الجرم يتوجه السؤال إليها تبكيتاً لوائدها . وقد جاء عن عمر رضي الله عنه قوله : أمران في الجاهلية . أحدهما : يبكيني والآخر يضحكني . أما الذي يبكيني : فقد ذهبت بابنة لي لوأدها ، فكنت أحفر لها الحفرة وتنفض التراب عن لحيتي وهي لا تدري ماذا أريد لها ، فإذا تذكرت ذلك بكيت . والأخرى : كنت أصنع إلهًا من التمر أضعه عند رأس يحرسني ليلاً ، فإذا أصبحت معافى أكلته ، فإذا تذكرت ذلك ضحكت من نفسي . أما سبب إقدامهم على هذه الجريمة الشنيعة وما دفعهم على ارتكابها ، فقد ناقشه بتوسع ، عند قوله تعالىٰ من سورة النحل {وَيَجْعَلُونَ لله الْبَنَـــٰتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرَابِ أَلاَ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ } . وقد رد القرآن عليهم في السبب الأول ، في قوله تعالىٰ : {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـــٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا } . وقوله : {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلَـــٰدَكُمْ مِّنْ إِمْلَـــٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} . وأخيراً كان هذا التساؤل شديد التوبيخ لهم ، {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ } . وفي هذه الآية أثيرت مرة أخرى وبشكل آخر أثارها أعداء المسلمين مكيدة للسذج ، فأثيرت من الناحية الاقتصادية . وكان مبدؤها المعروف عند كتاب هذا العصر بنظرية «مالتس» والآن لغرض عسكري لتقليل عدد جنود المسلمين ، حينما علم العدو أن الإسلام يبيح تعدد الزوجات مثنى وثلاث ورباع ، فأرادوا أن يوقفوا هذا النمو . ويكفي أن نورد هنا قوله ﷺ : « تناكحوا تناسلوا فإنِّي مباه بكم الأمم » . وفي رواية « مكاثر بكم الأمم » . وفيه « تزوجوا الولود الودود » ونحو ذلك ، عند قوله تعالىٰ : {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَآءِ} . { وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ، بيان هذا المعنى عند الكلام على قوله تعالىٰ من سورة الحج : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَـــٰدِلُ فِى الله بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَـــٰنٍ مَّرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاَّهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ } . { وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ } . الزلفى : القربى ، وأزلفت : قربت ، وتقدم بيان ذلك للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه في سورة ق عند قوله تعالىٰ : {وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ } . { عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ } . المراد بالنفس هنا : العموم ، أي كل نفس ، كما في قوله تعالىٰ : {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا} . { فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } . ظاهر قوله تعالىٰ : {فَلاَ أُقْسِمُ} نفى القسم ، ولكنه قسم قطعاً ، بدليل التصريح بجواب القسم في قوله تعالىٰ : {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } . وبهذا يترجح ما تقدم في أول سورة القيامة {لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَـــٰمَةِ } . ومثل الآتي {لاَ أُقْسِمُ بِهَـــٰذَا الْبَلَدِ} . والعلم عند الله تعالى .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الانفطار

{إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} (الانفطار: 1)

كما في سورة الانشقاق { إِذَا السَّمَآءُ نشَقَّتْ }وقد تقدم في سورة الشورى عند الكلام على قوله تعالى في وصف أهوال القيامة {يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباًالسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِ}.

{وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ} (الانفطار: 4)

كما في قوله تعالى : {أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِى الصُّدُورِ }. وتقدم في سورة ق عند قوله تعالى : {يَوْمَ تَشَقَّقُ الأٌّرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً}.

{الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ} (الانفطار: 7) {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} (الانفطار: 8)

تقدم في سورة الكهف عند قوله تعالى: {قَالَ لَهُ صَـــاحِبُهُ وَهُوَ يُحَـــاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً }

{وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ} (الانفطار:10)

{كِرَاماً كَاتِبِينَ} (الانفطار:11) {يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} (الانفطار:12)

تقدم في سورة ق عند الكلام على قوله تعالى : { إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } وفي سورة الأنعام عند الكلام على قوله تعالى: {وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً }

{إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ} (الانفطار:13)

كما في قوله تعالى: { يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّـاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ خَـالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً}.

{وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ} (الانفطار:16)

كقوله تعالى : {وَقَالَ الَّذِينَ تَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَالِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَـالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَـارِجِينَ مِنَ النَّارِ }.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المطففين

{وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ} (المطففين: 1)

فسره ما بعده في قوله تعالى : [4378]{ الَّذِينَ إِذَا كْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ } . كما في سورة الأنعام [4379]{قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئ [4380]وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا} وفي سورة الأعراف من قوله تعالى : [4381]{ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَـاقَوْمِ عْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُم فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ} وفي سورة هود، ومع شعيب أيضاً: [4382]{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ ياقَوْمِ اعْبُدُواْ اللهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ وياقَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ}. وفي سورة بني إسرائيل [4383]{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذالِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَن}

{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (المطففين: 14)

تقدم في سورة الكهف عند الكلام على قوله تعالى : [4384]{إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ}.

4378 المطففين 2-3

4379 الانعام 151

4380 الانعام 152

4381 الاعراف 85

4382 هود 84-86

4383 الاسراء 35

4384 الكهف 57

{إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ} (المطففين:29) {وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ}

(المطففين:30)

وتقدم في سورة البقرة بيان موجب آخرفي قوله تعالى :[4385] { زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ }.

{هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} (المطففين:36)

كما قال تعالى: [4386]{ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ}. وتقدم في سورة المؤمنون على الكلام على قوله: [4387]{ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُواْ أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ}

[4385] البقرة 212

[4386] البقرة 212

[4387] المومنون 111

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الانشقاق

{إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} (الانشقاق: 1)

تقدم الكلام عليه في أول سورة الانفطار، عند قوله تعالى : [4388]{إِذَا السَّمَآءُ نفَطَرَتْ}

{وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ} (الانشقاق: 3)

كما قال تعالى: [4389]{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفاً فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً لاَّ تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلا أَمْتاً } كما يشير إليه قوله تعالى: [4390]{كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً} . وقوله:[4391] { فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً}.

[4388] الانفطار 1

{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ} (الانشقاق:6)

كما في قوله تعالى :[4392] {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـانَ فِى كَبَدٍ }.

{فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ} (الانشقاق:7)

{فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً} (الانشقاق:8) {وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُوراً} (الانشقاق:9) {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ} (الانشقاق:10) {فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً} (الانشقاق:11) {وَيَصْلَى سَعِيراً} (الانشقاق:12) {إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً} (الانشقاق:13) {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ} (الانشقاق:14)

تقدم عند كل من قوله تعالى: {يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـامِهِمْ}إلى قوله تعالى ــ [4393]{فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـابَهُ بِيَمِينِهِ}وقوله: [4394]{وَوُضِعَ الْكِتَـابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ}

[4389] طه 105–107

[4390] الفجر 21

[4391] الحاقة 13–16

[4392] البلد 4

[4393] الاسراء 71

كما في قوله تعالى : [4395]{ وَأَصْحَـابُ الشِّمَالِ مَآ أَصْحَـابُ الشِّمَالِ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَـاماً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ}

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} (الانشقاق: 25)

كقوله تعالى : [4396]{عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} وقوله تعالى : [4397]{وَمَنْ عَمِـلَ صَـالِحاً مِّن ذَكَـرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـئِك يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ}. وقوله تعالى : [4398] {جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَاباً}

[4394] الكهف 49
[4395] الواقعة 41-47
[4396] هود 108
[4397] غافر 40
[4398] النبأ 36

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة البروج

{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ} (البروج:1)

تقدم عند الكلام على قوله تعالى [4399]{وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا} وعند قوله تعالى [4400]{تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَآءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجا وَقَمَراً مُّنِيراً}.

{وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ} (البروج:2)

كما قال تعالى في حق المؤمنين [4401]{لاَ يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُم الْمَلَـٰئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ}، وفي حق الكفار [4402]{فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّى يُلَـٰقُواْ يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوعَدُونَ}،

{وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ} (البروج:3)

[4399] الحجر 16

[4400] الفرقان 61

[4401] الانبياء 103

[4402] الزخرف 83

لم يصرح هنا من الشاهد وما المشهود، وقد ذكر الشاهد في القرآن بمعنى الحاضر، كقوله تعالى :[4403] {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ}، وقوله: [4404]{عَــالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَــدَةِ}.وذكر المشهود بمعنى المشاهد باسم المفعول، كقوله تعالى :[4405] {ذالِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌلَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ}. وتقدم بيان شهادة الأعضاء في سورة يس وفي سورة النساء عند قوله تعالى :[4406] {وَلاَ يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً}، وشهادة الملائكة وهم الحفظة كما في قوله تعالى : [4407]{وَقَالَ قَرِينُهُ هَــذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ}، وقوله: [4408]{وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ}، ثم شهادة الرسلكما في قوله عن عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم،[4409] {وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّادُمْتُ فِيهِمْ}وكقوله في عموم الأمم [4410]{وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ}.ومنها: شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم على جميع الرسل كما في قوله تعالى : [4411]{فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَــؤُلاءِ شَهِيداً }.ومنها: شهادة هذه الأمة على سائر الأمم، كما في قوله تعالى : [4412]{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَــكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ}.ومنها: شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه الأمة لقوله تعالى [4413]{ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}.ومنها: شهادة الله تعالى على الجميع كقوله:[4414] { وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ}

{إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ} (البروج:13)

[4403] البقرة 185
[4404] الانعام 73
[4405] هود 103
[4406] النساء 42
[4407] ق 23
[4408] ق 21
[4409] المائدة 117
[4410] النساء 41
[4411] النساء 41
[4412] البقرة 143
[4413] البقرة 143
[4414] البروج 9

كقوله تعالى : {إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ}. وقوله: [4415]{قُلِ اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}. وقوله:[4416] {كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ}. وقيل: يبدأ الكفار بالعذاب ويعيده عليهم، واستدل لهذا بقوله { كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ }.

{بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ} (البروج:19)

تقدم في سورة الانفطار قبلها [4417]{ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ }.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الطارق

{وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ}(الطارق:1) {وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ}(الطارق:2)

[4415] يونس 34

[4416] الانبياء 104

[4417] الانشقاق 22

{النَّجْمُ الثَّاقِبُ} (الطارق: 3)

تقدم في أول سورة النجم

{إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ} (الطارق: 4)

كما في قوله:[4418] {مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ }.

{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ} (الطارق: 5)

تقدم بيان هذه الآية عند قوله تعالى :[4419]{خَلَقَ الإِنْسَـــانَ مِن نُّطْفَةٍ} في سورة النحل، وفيوفي سورة الواقعة عند قوله تعالى : [4420]{ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ أَءَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَم نَحْنُ الْخَـــالِقُونَ} وقوله تعالى : [4421]{إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَـــانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ }

{إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ} (الطارق: 8)

كقوله تعالى في يس: [4422]{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِىَ خَلْقَهُقَالَ مَن يُحىِ الْعِظَـــامَ وَهِىَ رَمِيمٌقُلْ يُحْيِيهَا الَّذِى أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ }

[4418] ق 18

[4419] النحل 4

[4420] الواقعة 58–59

[4421] الانسان 2

{يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ} (الطارق:9)

تقدم بيانه عند الكلام على قوله تعالى : [4423]{هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ}

{فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ} (الطارق:10)

كقوله: [4424]{وَعُرِضُواْ عَلَى رَبِّكَ صَفًا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}. وكما في قوله: [4425]{ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِراً }وقوله:[4426] { يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لله }.

{إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً} (الطارق:15) {وَأَكِيدُ كَيْداً} (الطارق:16)

كقوله: [4427]{وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللهُ } وقوله:[4428] { إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَاللهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ}

[4422] يس 78-79
[4423] يونس 30
[4424] الكهف 48
[4425] الكهف 43
[4426] الانفطار 19
[4427] ال عمران 54
[4428] البقرة 14-15

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الاعلى

{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلٰى} (الأعلى: 1)

كقوله: [4429]{وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً}.ومثل: [4430]{فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ }. وقد تقدم في سورة الواقعة، عند قوله تعالى:[4431]

{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}

[4429] الانسان 26

[4430] الروم 17

[4431] الواقعة 74

{وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدٰى} (الأعلى: 3)

كما قال تعالى: [4432]{إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَــاهُ بِقَدَرٍ}، وقوله: [4433]{قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً}، وتقدم في سورة طه عند الكلام على قوله تعالى: [4434]{قَالَ رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}.

{سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسٰى} (الأعلى: 6)

تقدم في سورة طه في الكلام على قوله تعالى: [4435]{وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْءانِ مِنقَبْلِ إَن يُقْضٰى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}

{سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى} (الأعلى: 10)

تقدم في الكلام على قوله تعالى: [4436]{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرٰى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}

{وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقٰى} (الأعلى: 11) {الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرٰى} (الأعلى: 12)

[4432] القمر 49
[4433] الطلاق 3
[4434] طه 50
[4435] طه 114
[4436] الذاريات 55

كما قال تعالى: [4437]{فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ}.

{ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيٰى} (الأعلى:13)

كما في قوله تعالى : [4438]{لاَ يُقْضٰى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا}. وقوله: [4439]{وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ}. وتقدم بيان معنى ذلك في سورة طه عند الكلام على قوله تعالى: [4440]{إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيٰى}.

{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} (الأعلى:14) {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} (الأعلى:15)

تقدم بيان ذلك في سورة النور عند الكلام على قوله تعالى: [4441]{وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ}

{بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} (الأعلى:16) {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقٰى} (الأعلى:17) {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولٰى} (الأعلى:18) {صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسٰى} (الأعلى:19)

[4437] هود 106
[4438] فاطر 36
[4439] ابراهيم 17
[4440] طه 74
[4441] النور 21

كما في قوله: [4442]{أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى }. وقد جاءت آيات دالة على أسباب ذلك منها الجهل وعدم العلم بالحقائق، كما في قوله تعالى :{ وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} ومن أسباب ذلك أن الدنيا زينت للناس وعجلت لهم كما في قوله:{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَآءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ}.فمن هذا يظهر أن أسباب إيثار الناس للحياة الدنيا هو تزيينها وزخرفتها{ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً }.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الغاشية

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ} (الغاشية: 1)

قيل المراد بالغاشية: يوم القيامة كقوله: [4443]{يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ} وكقوله:[4444] {أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللهِ. وقيل: النار كقوله تعالى : [4445]{وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ}.

[4442] النجم 36-40

[4443] العنكبوت 55

[4444] يوسف 107

[4445] ابراهيم 50

{عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ} (الغاشية: 3)

قيل المراد بزمن العمل والنصب: أنه ماكان منهم في الدنيا، فلم ينفعهم يوم القيامة، كما في قوله: [4446]{وَقَدِمْنَآ إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مَّنثُوراً} . وقيل عمل ونصب في النار من جر السلاسل، كما في قوله: [4447]{سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً}، وقوله: [4448]{وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً}. والراجح من القولين في زمن {عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ} أنه يوم القيامة. فلقد ذكر الله وجوه الأشقياء ووجوه السعداء في السورة بعد ذلك [4449]{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ} فالواجب تناظر القسمين في الظرف. وايضا ما ذكر في موضع آخر في قوله:[4450] {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ وَوُجُوه يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ}، وفي موضع آخر في قوله: [4451]{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوه يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ} وهذا كله وصف للوجوه في الآخرة.

{تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ} (الغاشية: 5)

كقوله تعالى: [4452]{يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ}

[4446] الفرقان 23
[4447] المدثر 17
[4448] الجن 17
[4449] الغاشية 8-10
[4450] القيامة 22-25
[4451] عبس 38-42
[4452] الرحمن 44

{لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ} (الغاشية:6)

كقوله تعالى: [4453]{فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ}

{أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْأِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ} (الغاشية:17)

كما قال تعالى: [4454]{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلاَ يَشْكُرُونَ} وقوله: [4455]{وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىبَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ

{وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ} (الغاشية:18) {وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ} (الغاشية:19)

[4453] الحاقة 35-36

[4454] يس 71-73

[4455] النحل 5-7

{ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ} (الغاشية:20)

كما قال تعالى:[4456] {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً} وقوله [4457]{وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعاً لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ}. وقد تقدم عند قوله تعالى: [4458]{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}. وقوله: [4459]{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}. وايضاعند الكلام على قوله تعالى: [4460]{قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ}.

{إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ} (الغاشية:25) {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ} (الغاشية:26)

كما في قوله:[4461] {إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} وقوله تعالى :[4462] {ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ}. وقوله:[4463] {ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}.

[4456] النبا 6-7
[4457] النازعات 32-33
[4458] البقرة 164 ال عمران 190
[4459] غافر 57
[4460] يونس 101
[4461] المائدة 48
[4462] ال عمران 55
[4463] الانعام 164

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الفجر

{وَالْفَجْرِ} (الفجر: 1)

قيل المراد بالفجر انفجار النهار، كما في قوله تعالى : [4464]{وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } . وقيل: صلاة الفجر كما في قوله: [4465]{وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا

} ولكن في السياق ما يقرب القول الأول }

[4464] التكوير 18
[4465] الاسراء 78

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ} (الفجر:6) {إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ} (الفجر:7) {الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ} (الفجر:8) {وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ} (الفجر:9) {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ} (الفجر:10) {الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ} (الفجر:11)

كقوله تعالى :[4466] {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِالطَّاغِيَةِ} وقوله {وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ}ـــ إلى قولهـــ {فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً}.

{فَأَمَّا الْأِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ} (الفجر:15)

وَأَمَّآ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّى أَهَانَنِ }

كما في قوله تعالى :[4467] {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً}. وقوله:[4468] {وَعْلَمُواْ أَنَّمَآ أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ}.

{كَلَّا بَلْ لا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ} (الفجر:17) {وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} (الفجر:18) {وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمّاً} (الفجر:19) {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبّاً جَمّاً} (الفجر:20)

كقوله تعالى في سورة البلد[4469] {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَوَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ }.

[4466] الحاقة 5–10

[4467] الانبياء 35

[4468] الانفال 28

{كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً} (الفجر: 21) {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً} (الفجر: 22)

كقوله:[4470] {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً} ـــ إلى قوله ـــ {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَآئِهَآ} وتقدم عند قوله تعالى :[4471] { إِنِ سْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ}.

{ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً وَجَآءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً }

كقوله: {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَحِدَةٌ وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً} ـــ إلى قوله ـــ {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَآئِهَآ}. وكقوله تعالى : {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَـئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ}

{وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى} (الفجر: 23)

كقوله: {يَقُولُ يالَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى } . وتقدم عند قوله تعالى : {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّـالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يالَيْتَنِى اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً}

[4469] البلد 11-16

[4470] الحاقة 13-17

[4471] الرحمن 33

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة البلد

{لا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ} (البلد: 1)

تقدم عند قوله تعالى :[4472] {لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَـامَةِ} وهى كقوله تعالى : [4473]{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَـٰذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ}

{لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ فِي كَبَدٍ} (البلد: 4)

تقدم بيانه عند قوله تعالى :[4474] {ياأَيُّهَا الإِنسَـانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ } .

{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} (البلد: 10)

[4472] القيامة 1

[4473] التين 1–3

[4474] الانشقاق 6

كما تقدم في سورة الإنسان في قوله تعالى : [4475]{إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَـانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـاهُ سَمِيعاً بَصِيراً إِنَّا هَدَيْنَـاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً} وقوله تعالى: [4476]{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}.

{فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ} (البلد:11)

بينها بقوله تعالى: {فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ أَومِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْمَرْحَمَةِ }.

{أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ} (البلد:14)

كقوله تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً} وقوله: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الشمس

[4475] الانسان 2–3

[4476] الشمس 8

{وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا} (الشمس:1) {وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا} (الشمس:2) {وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا} (الشمس:3) {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} (الشمس:4) {وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا} (الشمس:5) {وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا} (الشمس:6)

كما قال تعالى:[4477] {وَءَايَةٌ لَّهُمُ الَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَـا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} قوله: [4478]{فَإِنَّ اللهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ}. وقوله تعالى : [4479]{وَالضُّحٰى وَالَّيْلِ إِذَا سَجٰى} . وقوله تعالى [4480]{لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِى لَهَآ أَن تدْرِكَ القَمَرَ وَلاَ الَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ }. وقوله:[4481] {كَلاَّ وَالْقَمَرِ وَالَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ}، وقوله: [4482]{وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ}، كقوله:[4483] {هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً}، وقوله: [4484]{وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِبَاساً وَالنَّوْمَ سُبَاتاً وَجَعَلَ النَّهَار نُشُوراً } . قوله تعالى: [4485]{وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشٰى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى }،كما في قوله:[4486] {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَداً إِلٰى يَوْمِ الْقِيَـمَةِ مَنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ قُل أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلٰى يَوْمِ

[4477] يسن 37-38
[4478] البقرة 258
[4479] الضحى 1-2
[4480] يس 40
[4481] المدثر 32-33
[4482] الانشقاق 18
[4483] يونس 67
[4484] الفرقان 47
[4485] الليل 1-2
[4486] القصص 71- 72

الْقِيَـــامَةِ مَنْ إِلَـــهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفلاَ تُبْصِرُونَ } . كما في قوله: [4487]{وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ}، كما في قوله تعالى :[4488] {وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَـــاهَا بِأَيْدٍ }،وقوله تعالى : [4489]{وَالأَرْضِ وَمَا طَحَـــاهَا}

{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا} (الشمس:7)

كما في قوله: [4490]{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَـــانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} وقال: [4491]{وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ} كما قال تعالى:[4492] { لَخَلْقُ السَّمَـــاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْـــبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}.

{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا} (الشمس:8) {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا} (الشمس:9) {وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} (الشمس:10)

كما في قوله: {وَهَدَيْنَـــاهُ النَّجْدَينِ} وقوله: {إِنَّا هَدَيْنَـــاهُ السَّبِيلَ}، وتقدم عند الكلام على قوله تعالى: {إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ} وقوله {قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ سْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى }.

[4487] الانشقاق 17
[4488] الذاريات 47
[4489] الشمس 6
[4490] التين 4
[4491] الذاريات 21
[4492] غافر 57

{كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا} (الشمس:11)

كما تقدم في قوله: {فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ}

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الليل

{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} (الليل:1) {وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى} (الليل:2)

عند قوله: [4493]{وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا}.

[4493] الشمس 3-4

{وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ} (الليل: 3)

تقدم عند قوله تعالى : [4494]{ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى } .

{إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} (الليل: 4)

فصل هذا الشتات في التفصيل الآتي [4495]{فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } .

مثل قوله تعالى : [4496]{ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } .

{وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى} (الليل: 11)

كما في قوله: [4497]{مَآ أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ} وقوله: [4498]{يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ } .

{وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ} (الليل: 13)

[4494] النجم 45–46

[4495] الليل 5– 10

[4496] الانعام 110

[4497] الحاقة 28

[4498] الشعراء 88

قد بينه تعالى في سورة الفاتحة [4499]{الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَـــالَمِينَ مَـــالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} وقوله [4500]{لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}.

{فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى} (الليل:14)

كما في قوله تعالى :[4501] {كَلاَّ إِنَّهَا لَظَى نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى}

{وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى} (الليل:17) {الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى} (الليل:18)

كقوله تعالى : [4502]{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا}

[4499] الفاتحة 2-4

[4500] غافر 16

[4501] المعارج 15-16

[4502] التوبة 103

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الضحىٰ

{وَالضُّحَىٰ} (الضحى: 1)

المراد به هنا النهار كله، كما في قوله: [4503]{ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ}.

{وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ} (الضحى: 5)

كقوله تعالى: [4504] {عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُودًا}.

{وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَىٰ} (الضحى: 7)

[4503] الاعراف 97–98

[4504] الاسراء 79

تقدم عند قوله تعالى: [4505]{إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ} وعند قوله تعالى: [4506]{الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيَوةِ الدُّنْيَا}. وعند قوله تعالى: [4507] {قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذاً وَأَنَاْ مِنَ الضَّآلِّينَ}.

{فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ} (الضحى:9)

وهذا القول المجمل تفصيله من القرآن بـــ: **1**- دفع المضار عن ماله، كقوله تعالى: [4508]{وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ}، وقوله تعالى : [4509]{وَءَاتُواْ الْيَتَـــامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً }. وقوله تعالى : [4510]{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَـــامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً }. وقوله تعالى :[4511] {وَابْتَلُواْ الْيَتَـــامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ}. **2**- جلب المصالح، كقوله تعالى: [4512]{قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالاٌّقْرَبِينَ وَالْيَتَـــامَى}. وكقوله: [4513]{وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَـــامَى وَالْمَسَـــاكِين فَارْزُقُوهُمْ مِّنْهُ}، وكقوله تعالى: [4514]{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ للهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَـــامَى وَالْمَسَـــاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنْتُم بِاللهِ}. **3**- عدم مساءتهم في نفسهم، قوله تعالى:[4515] {أَرَءَيْتَ الَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ فَذَلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ}. **4**- الإحسان إليهم،

[4505] يوسف 8
[4506] الكهف 104
[4507] الشعراء 20
[4508] الانعام 152
[4509] النساء 2
[4510] النساء 10
[4511] النساء 6
[4512] البقرة 215
[4513] النساء 8
[4514] الانفال 41
[4515] الماعون 1–3

كقوله تعالى: [4516]{لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى} وكقوله تعالى: [4517]{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ}.

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيمِ

سورة الشرح

{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} (الشرح: 1)

[4516] البقرة 83
[4517] البقرة 220

كما في قوله تعالى:[4518] {أَفَمَن شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ فَهُوَ عَلٰى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ} كما في قوله تعالى عن موسى علسه السلام: [4519]{ قَالَ رَبِّ شْرَحْ لِى صَدْرِى} .

{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} (الشرح: 4)

كقوله تعالى :[4520] {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِى أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ} .

{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ} (الشرح: 7)

مثل قوله تعالى :[4521] {وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسٰى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُودًا} وقوله:[4522] {إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً} وقوله: [4523]{ إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوابًا}

[4518] الزمر 22
[4519] طه 24–31
[4520] الزخرف 43–44
[4521] الاسراء 79
[4522] المزمل 6
[4523] النصر 1–3

تفسيرالفاروق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة التين

{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ} (التين: 1)

كما في قوله تعالى :[4524] {وَجَنَّـاتٍ مِّنْ أَعْنَـابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ} وقوله [4525]{وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ} وقوله تعالى :[4526] { فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبّاً وَعِنَباً وَقَضْباً وَزَيْتُوناً وَنَخْلاً}، وقوله [4527]{ اللهُ نُورُ السَّمَـاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَـارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ}.

{وَطُورِ سِينِينَ} (التين: 2)

كقوله تعالى :[4528] {وَنَـادَيْنَـاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ}، وقوله تعالى : [4529]{وَالطُّورِ وَكِتَـابٍ مُّسْطُورٍ}.

{وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} (التين: 3)

هو مكة لقوله تعالى: { وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِناً}، كما قال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءامِناً}

[4524] الانعام 99
[4525] المومنون 20
[4526] عبس 27-29
[4527] النور 35
[4528] مريم 52
[4529] الطور 1-2

{لَقَدْ خَلَقْنَا الْأِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} (التين:4)

كما في قوله: {أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَـادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى }.

{ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ} (التين:5) {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} (التين:6)

كما في قوله {وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَـانَ لَفِى خُسْرٍ إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحَـاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ} وقد تقدم فى الكلام على قوله تعالى :

{وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ}.

{أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} (التين:8)

كقوله تعالى :[4530] {أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّـالِحَـاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِى الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ} وكقوله:[4531] {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُواْ السَّيِّئَـاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ وَمَمَـاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ}

[4530] ص 28

[4531] الجاثية 21

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة العلق(اجمالاً)

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ} (العلق: 1)

كما في قوله تعالى : [4532]{ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ } .

[4532] النجم 3–4

{الَّذِي خَلَقَ} (العلق: 1)

كقوله تعالى: [4533] {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ}. وقوله [4534] {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ}. وقوله [4535] {اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}. وقوله [4536] {هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ}.

{عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} (العلق: 5)

كقوله تعالى: [4537] {وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا}.

{كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى} (العلق: 6) {أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} (العلق: 7)

كما في قولهتعالى: [4538] {فَأَمَّا مَن طَغَى وَءاثَرَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَافَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى}

{كَلَّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ} (العلق: 19)

[4533] لقمان 25

[4534] الزخرف 87

[4535] المزمر 62

[4536] الحشر 24

[4537] النحل 78

[4538] النازعات 37–39

تفسيرالفاروق

كما قال: [4539]{وَمِنَ الَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً} وقوله [4540]{تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً }

{ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَ بِالنَّاصِيَةِ}(15) {نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ}(16)

، أسند الكذب إلى الناصية ، وفي مواضع أخرى أسنده إلى غير الناصية ، كقوله : إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ الله وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ(105) النحل (105) .

وذكر الجواب بأنه أطلق الناصية وأراد صاحبها على أسلوب لإطلاق البعض وإيراد الكل ، وذكر الشواهد عليه من القرآن كقوله تعالى : تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ(1) المسد (1) .

تلك . ولم يقولوا : بث أرجله ولا رؤوساً ولا أيد ، لأنها كلها ليست كالعين في ذلك .

ومن هذا القبيل : قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ(8) النازعات (8) ، يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(27) الفجر (27) .

لأن القلب هو مصدر الخوف والنفس هي محط الطمأنينة ، على أن النفس جزء من الإنسان ، وهكذا ، ومنه الآتي : وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ(19) العلق (19) ، أطلق السجود وأراد الصلاة ، لأن السجود أخص صفاتها .

{ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}(19)

ربط بين السجود والاقتراب من الله كما قال : وَمِنْ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا(26) الإنسان (26) ، وقوله : في وصف أصحابه رضي الله عنهم : تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ الله وَرِضْوَانًا الفتح (29) ، فقوله : يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ الله وَرِضْوَانًا الفتح (29) في معنى يتقربون إليه بين قوله : وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ(19)

وهذا مما يدل لأول وهلة أن الصلاة أعظم قربة إلى الله ، حيث وجه إليها الرسول من أول الأمر ،كما بين تعالى في قوله : وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ البقرة (45) .

وقال : " اقرب مايكون العبد إلى الله وهو ساجد " .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

[4539] الانسان 26

[4540] الفتح 29

سورة القدر

{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} (القدر: 1)

تقدم عند قوله تعالى: [4541]{كِتَـابٌ أَنزَلْنَـاهُ إِلَيْكَ مُبَـارَكٌ لِّيَدَّبَّرُواْ ءَايَـاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُو الأَلْبَـابِ

{لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ} (القدر: 3)

سميت ليلة القدر، لأن الله تعالى يقدر فيها وقائع السنة، كما فى قوله تعالى: [4542]{إِنَّآ أَنزَلْنَـاهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينفِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍأَمْراً مِّنْ عِنْدِنَآ}.

وأن معنى القدر الشرف والرفعة وهو قوله: [4543]{وَمَآ أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ}.

{تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ} (القدر: 4)

كقوله تعالى فى سورة الدخان [4544]{فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَآ}.

{سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} (القدر: 5)

[4541] ص 29

[4542] الدخان 3–5

[4543] القدر 2–3

[4544] الدخان 3–5

كون إنزال القرآن هنا في الليل دون النهار، مشعر بفضل اختصاص الليل كقوله تعالى:[4545] {سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً}،ومنه قوله: [4546]{وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ}،[4547]{وَمِنَ الَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـارَ السُّجُودِ} [4548]{إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً}.وقوله: [4549]{كَانُواْ قَلِيلاً مِّن الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ }

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة البينة

{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ} (البينة:1){ مُنْفَكِّينَ}(البينة:1){ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ}(البينة:1) {رَسُولٌ مِنَ الله يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً}(البينة:2){فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}(البينة:3){وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ}(البينة:4){وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} (البينة:5){وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} (البينة:5){إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} (البينة:6){جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً} (البينة:8){ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} (البينة:8){ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} (البينة:8)

مسمى الشرك يشمل أهل الكتاب أيضاً، كما في قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَـارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَـاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَـاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُواْ أَحْبَـارَهُمْ وَرُهْبَـانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـٰهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَـانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }. وقد تقدم الايضاح عند قوله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ}

[4545] الاسراء 1
[4546] الاسراء 79
[4547] ق 40
[4548] المزمل 6
[4549] الذاريات 17

والمعنى: أن الله لا يخليهم ولا يتركهم وهذا كقوله: {أَيَحْسَبُ الإِنسَـــانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى}

كما في قوله: {وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} وقوله: {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ}. فكان في شخصه صلى الله عليه وسلم بينة لهم، ثم أكرمه الله بالرسالة، فكان رسولاً يتلو صحفًا مطهرة، من الأباطيل } كقوله تعالى عنه: {وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً}قيل إن الكتب بمعنى الأحكام، كقوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ} وقوله: {كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَاْ وَرُسُلِي}. ومدلول كتب على ظاهرها، وهو تضمن تلك الصحف المطهرة لكتب سابقة قيمة، كما ينص عليه قوله تعالى: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}، ثم قال: {إِنَّ هَـــذَا لَفِى الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}وكقوله في عموم الكتب الأولى: {قَالُواْ ياقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـــاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} وقوله: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَـــابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلمِن قَبْلُ}.

كقوله: {وَمَا تَفَرَّقُواْ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ}

كقوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ} . وقوله: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِى أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَاوَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلاَتَتَفَرَّقُواْ}. قوله تعالى: {يَـــابَنِى إِسْرَاءِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِى أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـــاىَ فَارْهَبُونِ * وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَـــاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّـــاىَ فَاتَّقُونِ * وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَـــاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ}. وقوله تعالى: {وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ}،

كما في قوله: {إِنَّ هَـــذَا الْقُرْءَانَ يِهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ}، وقال تعالى: {الْحَمْدُ للهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَـــابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَاقَيِّماً} وكقوله: {ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}، وقوله: {قُلْ إِنَّنِى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى للهِ رَبِّ الْعَـــالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}.

كما في قوله تعالى: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ}، وقوله: {أَوْلَـــئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَـــارَهُمْ}

وقد بين ذلك صريح قوله تعالى: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَآئِقَ وَأَعْنَـــاباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً * وَكَأْساً دِهَاقاً * لاَّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذَاباً * جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَاباً}

كما في قوله تعالى: {لَّقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} وكقوله تعالى: {وَالسَّـــابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَـــاجِرِينَ وَالأَنْصَـــارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـــتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَـــارُ خَـــالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}،

كما في قوله تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}،وقوله: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوٰى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى }.وقد عم الحكم في ذلك بقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ }

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الزلزلة

{إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَــٰنُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْاْ أَعْمَــٰلَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْــمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} (الزلزلة: 8-1)

{ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الإِنسَــٰنُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَـــا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْاْ أَعْمَــٰلَهُمْ }. الزلزلة : الحركة الشديدة بسرعة ، ويدل لذلك فقه اللغة مـــن وجهـــين : الأول : تكرار الحروف ، أو ما يقال تكرار المقطع الواحد ، مثل صلصل وقلقل وزقزق ، فهذا التكرار يدل على الحركة . والثاني : وزن فعّل بالتضعيف كغلّق وكسّر وفتح ، فقد اجتمع في هذه الكلمة تكرار المقطع وتضعيف الوزن . ولذا ، فإن الزلزال أشد ما شـــهد العالم من حركة ، وقد شوهدت حركات زلزال في أقل من ربع الثانية ، فدمر مدناً وحطم قصوراً . ولذا فقد جاء وصـــف هـــذا الزلزال بكونه شيئاً عظيماً في قوله تعالىٰ : {إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ} ، ويدل على هذه الشدة تكرار الكلمة في زلزلت وفـــي زلزالها ، كما تشعر به هذه الإضافة . ، إيراد النصوص المبينة لذلك في أول سورة الحج كقولـــه تعـــالىٰ : {وَحُمِلَـــتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وٰحِدَةً } ، وقوله : {إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجّاً * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسّاً } ، وقوله : {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَـــا الرَّادِفَةُ } ، وساق قوله : {وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا } . واختلف في الأثقال ما هي على ثلاثة أقوال : فقيل : موتاهـــا . وقيـــل : كنوزها ، وقيل : التحدث بما عمل عليها الإنسان . ولعل الأول أرجح هذه الثلاثة ، لأن إخراج كنوزها سيكون قبـــل النفخـــة ، والتحدث بالأعمال منصوص عليه بذاته ، فليس هو الأثقال . ورجحوا القول الأول لقوله تعالىٰ : {أَلَمْ نَجْعَـــلِ الأَرْضَ كِفَاتـــاً * أَحْيَآءً وَأَمْوٰتاً } . وقالوا : الإنس والجن ثقلان على ظهرها ، فهما ثقل عليها ، وفي بطنها فهم ثقل فيها ، ولذا سميا بالثقلين . قـــال الفخر الرازي وابن جرير . وروي عن ابن عباس : أنه موتاها . وشبيه بذلك قوله : {وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّـــتْ

}، ولا يبعد أن يكون الجميع إذا راعينا صيغة الجمع أثقالها ، ولم يقل ثقلها وإرادة الجمع مروية أيضاً عن ابن عباس . ذكره الألوسي ، وابن جرير عنه وعن مجاهد . وحكى الشيخ رحمه الله تعالى علينا وعليه القولين في إملائه : أي موتاها ، وقيل : كنوزها وقوله تعالىٰ : {وَقَالَ الإِنسَـٰنُ مَا لَهَا } ، لفظ الإنسان هنا عام وظاهره أن كل إنسان يقول ذلك ، ولكن جاء ما يدل على أن الذي يقول ذلك هو الكافر . أما المؤمن فيقول : {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمـٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} ، وذلك في قوله : {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ * قَالُواْ يَوَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمـٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ } . فالكافر يدعو بالويل والمؤمن يطمئن للوعد ، ومما يدل على أن الجواب من المؤمنين ، لا من الملائكة ، كما يقول بعض الناس ، ما جاء في آخر السياق قوله : {فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ} ــ أي كلا الفريقين ــ {لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ} . وقوله : {مَا لَهَا} سؤال استيضاح ، وذهول من هول ما يشاهد . وقوله : {يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا } ، التحديث هنا صريح في الحديث وهو على حقيقته ، لأن في ذلك اليوم تتغير أوضاع كل شيء وتظهر حقائق كل شيء ، وكما أنطق الله الجلود ينطق الأرض ، فتحدث بأخبارها ، {وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُواْ أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِى أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ} ، وتقدم تفصيل ذلك عند أول سورة الحشر ، لأن الله أودع في الجمادات القدرة على الإدراك والنطق ، والمراد بإخبارها أنها تخبر عن أعمال كل إنسان عليها في حال حياته . ومما يشهد لهذا المعنى حديث المؤذن « لا يسمع صوته حجر ولا مدر إلا وشهد له يوم القيامة » ، وذكر ابن جرير وجهاً آخر ، وهو أن إخبارها هو ما أخرجته من أثقالها بوحي الله لها والأول أظهر لأنه يثبت معنى جديداً . ويشهد له الحديث الصحيح . { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْـمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ } . في هاتين الآيتين مبحثان أحدهما في معنى من لعمومه ، والآخر في صيغة يعمل . أما الأول فهو مطروق في جميع كتب التفسير على حد قولهم : من للعموم المسلم والكافر ، مع أن الكافر لا يرى من عمل الخير شيئاً ، لقوله تعالىٰ : {وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مَّنثُوراً } ، وفي حق المسلم ، قد لا يرى كل ما عمل من شر ، لقوله تعالىٰ : {إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ} . أما المبحث الثاني فلم أر من تناوله بالبحث ، وهو في صيغة يعمل ، لأنها صيغة مضارع ، وهي للحال والاستقبال . والمقام في هذا السياق {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً} ، وهو يوم البعث ، وليس هناك مجال للعمل ، وكان مقتضى السياق أن يقال : فمن عمل مثقال ذرة خيراً يره . ولكن الصيغة هنا صيغة مضارع ، والمقام ليس مقام عمل ، ولكن في السياق ما يدل على أن المراد يعمل مثقال ذرة أي من الصنفين ما كان من ذلك ، لقوله تعالىٰ {يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْاْ أَعْمَـٰلَهُمْ } ، فهم إنما يروا في ذلك اليوم أعمالهم التي عملوها من قبل ، فتكون صيغة المضارع هنا من باب الالتفات ، حيث كان السياق أولاً من أول السورة في معرض الإخبار عن المستقبل : إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وإذا أخرجت الأرض أثقالها ، وإذا قال الإنسان ما لها . في ذلك اليوم الآتي تحدث أخبارها ، وفي ذلك اليوم يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم التي عملوها من قبل كما في قوله : {يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} ، وقوله : {وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا} . ثم جاء الالتفات بمخاطبتهم على سبيل التنبيه والتحذير ، فمن يعمل الآن في الدنيا مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل الآن في الدنيا مثقال ذرة شراً يره في الآخرة ، ومثقال الذرة ، قيل : هي النملة الصغيرة، لقول الشاعر :

من القاصرات الطرف لو دب محول

من الذر فوق الإتب منها لأثرا

والإتب : قال في القاموس : الإتب بالكسر ، والمئبتة كمكنسة برد يشق ، فتلبسه المرأة من غير جيب ولا كمين ، وقيل : هي الهباء التي ترى في أشعة الشمس ، وكلاهما مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما . وسيأتي زيادة إيضاح لكيفية الوزن في سورة القارعة إن شاء الله . ولعل ذكر الذرة هنا على سبيل المثال لمعرفتهم لصغرها ، لأنه تعالى عمم العمل في قوله : {يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} ، أيا كان هو مثقال ذرة أو مثاقيل القناطير ، وقد جاء النص صريحاً بذلك في قوله تعالىٰ : {وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِى السَّمَآءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذٰلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ} . وهنا تنبيهان : الأول من ناحية الأصول ، وهو أن النص على مثقال الذرة من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى ، فلا يمنع رؤية مثاقيل الجبال ، بل هي أولى وأحرى . وهذا عند الأصوليين ما يسمى الإلحاق بنفي الفارق ، وقد يكون المسكوت عنه أولى بالحكم من المنطوق به ، وقد يكون مساوياً له ، فمن الأول هذه الآية وقوله : {فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا} ، ومن المساوي قوله تعالىٰ : {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوٰلَ الْيَتَـٰمَىٰ ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً} ، فإن إحراق ماله وإغراقه ملحق بأكله ، بنفي الفارق وهو مساوٍ لأكله في عموم الإتلاف عليه ، وهو عند الشافعي ما يسمى القياس في معنى الأصل ، أي النص . التنبيه الثاني في قوله تعالىٰ : {وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِى السَّمَآءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذٰلِكَ} . رد على بعض المتكلمين في العصر الحاضر ، والمسمى بعصر الذرة ، إذ قالوا : لقد اعتبر القرآن الذرة أصغر شيء ، وأنها لا تقبل التقسيم ، كما يقول المناطقة : إنها الجوهر الفرد ، الذي لا يقبل الانقسام . وجاء العلم الحديث ، ففتت الذرة وجعل لها أجزاء. ووجه الرد على تلك المقالة الجديدة ، على آيات من كتاب الله هو النص الصريح من مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك إلا في كتاب . فمعلوم ذلك عند الله ومثبت في كتاب ما هو أصغر من الذرة ، ولا حد لهذا الأصغر بأي نسبة كانت ، فهو شامل لتفجير الذرة ولأجزائها مهما صغرت تلك الأجزاء . سبحانك ما أعظم شأنك ، وأعظم كتابك ، وصدق الله إذ يقول : {مَّا فَرَّطْنَا فِى الكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ} .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة العاديات

{وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا}(1) {فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا}(2) {فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا}(3)
{فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا }(4) {فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا} (5)(العاديات:5-1)

العاديات : جمع عادية ، والعاديات : المسرعات في مسيرها .

فمعنى العاديات : أقسم بالمسرعات في مسيرها .

ثم قال : وأكثر العلماء على أن المراد به الخيل ، تعدو في الغزو ، والقصد تعظيم شأن الجهاد في سبيل الله .

وقال بعض العلماء : المراد بالعاديات : الإبل تعدو بالحجيج من عرفات إلى مزدلفة ومنى .

ومعنى قوله : ضبحاً : أنها تضبح ضبحاً ، فهو مفعول مطلق ، والضبح : صوت أجواف الخيل عند جريها .

وهذا يؤيد القول الأول الذي يقول هي الآبل ، ولايختص الضبح بالخيل .

فالموريات قدحاً : أي الخيل توري النار بحوافرها من الحجارة ، إذا سارت ليلاً .

وكذلك الذي قال : العاديات : الإبـــل . قال : برفعها الحجارة فيضرب بعضها بعضاً

ويدل لهذا المعنى قول الشاعر :

تنقي يداها الحصا في كل هاجرة نفسي الدراهم تنقاد العباريـــف

فالمغيرات صبحاً ، الخيل تغير على العدو وقت الصبح .

وعلى القول الأول : فالإبل تغير بالحجاج صبحاً من مزدلفـــة إلى منى يوم النحر .

فأثرن به نقعاً : أي غباراً . قال بـــه . أي : بالصبح أو به . أي بالعدو .

والمفهوم من العاديات : توسطن به جمعاً ، أي دخلن في وسط جمع أي خلق كثير من الكفــــار .

ونظير هذا المعنى بشر بن أبي حازم :

فوسطن جمعهم وأفلت حاجـــب

نحت العجاجـــة في الغبار الأقــــتم

وعلى القول الثاني الذي يقول : العاديات الإبل تحمل ، الحجيج .

{فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا} (العاديات:5)

أي صرن بسبب ذلك العدو وسط جمع ، وهي المزدلفة ، وجمع اسم من أسماء المزدلفـــــة .

ويدل لهذا المعنى قول صفية بنت عبد المطلب ، عمة النبي وأم الزبير بن العوام رضي الله عنهما :

فلا والعاديات مغيرات جمـــع

بأيدهمــــا إذا ســـطع الغبـــــار

{إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}(6) {وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ}(7) {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ}(8) (العاديات:6-8)

هذا الجواب قال القرطبي : الكنــــود : الكفور الجحود لنعم الله ، وهو قول ابن عباس .

وروي أبو أمامة الباهلي قال : قال رسول الله: الكنود هو الذي يأكل وحده ، ويمنع رفــــده ويضرب عبده .

وروي ابن عباس قال : قال رسول الله: ألا أبشركم بشراركـــم ؟ قالوا : بلى يارســـول الله ، قال : من نزل وحده ، ومنع رفـــده ، وجـــلد عبده ، خرجهما الترمذي الحكيم في نوادر الأصـــول .

وروى ابن عباس أيضاً أنه قال : الكنود بلسان كندة وحضرموت : العاصي ، وبلسان ربيعة ومضر : الكفـــور ، وبلسان كنانـــة : البخيل السئ الملكـــة .

وقال مقاتل . وقال الشاعر :

كنـــود لنعمـــاء الرجال ومن يكن

كنـــــوداً لنعماء الرجال يُغـــــد

أي كفــــور .

ثم قيل : هو الذي يكفــر اليسير ، ولا يشكر الكثير .

وقيـــل : الجاحــــد للحــــق .

وقيـــل : ســـميت كندة كندة ، لأنها جحـــــدت إباهـــــا .

وقال إبراهيم بن هرمــــة الشاعر :

دع البخــلاء إن شمخوا وصــدوا وذكري بخــل غانيــــه كنـــــود

في نقول كثيرة وشواهد .

ومنها : الكنــــود الذي يتفق نعم الله في معصية الله .

وعن ذي النون : الهلوع والكنــود : هو الذي إذا مســـه الشر جزوعـــاً ، وإذا مســـه الخير منوعـــاً .

وقيل : الحســــود الحقــــــود .

ثم قال القرطبي رحمه الله في آخــر البحـــث :

قلت : هذه الأقــــوال كلها ترجــــع إلى معنى الكفران والجحـــــود .

وقد فســر النبي معنى الكنود بخصال مذمومــة ، وأحوال غير محمودة ، فإن صح فهو أعلى ما يقال ، ولا يبقى لأحــد معه مقال . أهـــ .

وهكذا كما قال : إن صح الأثر فلا قول لأحــد ، ولكن كل هذه الصفات من باب اختلاف التنوع ، لأنها داخلـــة ضمن معنى الجحـــود للحق أو للنعـــم .

وقد استدل ذو النون المصري بالآيـــة الكريمة ، وهي مفسرة للكنود على المعاني المتقدمـــة بأنه هو الهلـــــوع : إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا(20)وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا(21) المعارج (20-21) .

ومثلهـــا قولـــه : فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي(15)وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي(16) الفجر (15-16) .

وقد عقب عليه هناك بمثل ما عقب عليه هنا .

فهناك قال تعالى : كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ(17)وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ(18)وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا(19)وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا(20) الفجر (17-20) .

وهنا عقب عليه بقوله : وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ(8) العاديات (8) والله تعالى أعلم .

وقوله : إن الإنسان عام في كل إنسان ، ومعلوم أن بعض الإنسان ليس كذلك ، كما قال تعالى : فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ(5)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ(6) الليل (5-6) ، مما يدل على أنه من العام المخصوص .

وأن هذه الصفات من طبيعة الإنسان إلا ماهذبه الشـــرع ، كما قال تعالى : وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ النساء (128) .

وقوله : وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ(9) الحشـــر (9) .

ونص الشيخ في إملائه أن المراد به الكافر .

قوله تعالى : وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ(7)

اختلف في مرجع الضمير في : وإنه ، فقيل : راجع للإنسان مستدلاً بقوله تعالى بعده : وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ(8) العاديات (8)

وقيل : راجع إلى رب الإنســـان .

واختار هذا القرطبي وقدمـــه .

وجميع المفسرين يذكرون الخلاف ، وقد عرفت الراجح منها ، وعليه ، فعلى أنه راجح لرب الإنسان فلا إشكال في الآية ، وعلى أنه راجع للإنسان نفيه إشكال وأجاب عليه .

وهو أنه جاءت نصوص تدل على أنه يذكر ذلك ، وأنه كان يحب أنه يحسن صنعاً ، ونحو ذلك .

ومن الجواب عليه : إن شهادته بلسان الحال .

وقد أورد بعض المفسرين شهادتهم بلسان المقال في قوله تعالى : مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ التوبة (17) ، إلا أن هذه الشهادة بالكفر هي الشرك ، والله تعالى أعلم .

قوله تعالى : وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ(8)

الخير العام ، كما تقدم في قوله تعالى : فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه(7) الزلزلة (7) .

ولكن هنا خاص بالمال ، فهو من العام الذي أريد به الخاص ن قصر العام على بعض أفراده ، لأن المال فرد من أفراد الخير ، كقوله تعالى : إِنْ تَرَكَ خَيْرًا البقرة (180) ، أي مالاً ، لأن عمل الخير يصحبه معه ولا يتركه .

وفي معنى هذا وجهان : الأول وأنه لحب الخير أي بسبب حبه الخير لشديد بخيل ، شديد البخل .

كما قيل :

أرى الموت يعشام الكرام ويصطفي عقيلـــة مال الفاحش المتشـــــــدد

أي شديد البخل على هذه الرواية من هذا البيت .

والوجه الثاني : وإنه لشديد حب المال . قالهما ابن كثير .

وقال : كلاهما صحيح ، والواقع أن الثاني يتضمن الأول .

ويشهد للوجه الثاني ، قوله تعالى : وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا(19)وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا(20) الفجر (19-20) .

وقلنا : إن الثاني يتضمن الأول ، لأن من أحب المال حباً جماً سيحمله حبه على البخل

وفي هذا النص مذمة حب المال وهو جبلة في الإنسان ، إلا من هذبه الإسلام ، إلا أن الذم ينصب على شدة الحب التي تحمل صاحبها على ضياع الحقوق أو تعدي الحدود .

وهذه الآيـــة وما قبلها نازلة في الكفار كما قدمنا كلام الشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه في إملائـــــــه .

{أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ }(العاديات:9)

البعثرة : الانتشـــار .

وقال الزمخشري : إن هذه الكلمة مأخوذة من أصلين : البعث والنشر .

فالبعث : خروجهـــــم أحيــاء .

والنشر : الانتشار كثر الحب ، فهي تدل على بعثهـــــم منتشرين .

وقد نص تعالى على هذا المعنى في قوله : وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ(4) الإنفطار (4) ، أي بعثر من فيها .

وقوله : يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنْ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا المعارج (43) .

وقوله : كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ(7) القمر (7) .

وقوله : يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ(4) القارعة (4) .

{وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ}(العاديات:10)

قيـــل : حصل أي أبـــرز . قالـــه ابن عباس .

وقيل : ميز الخير من الشـــــر .

والحاصل من كل شئ ما بقي .

قال لبيـــد :

وكل أمرئ يوماً ســيعلم ســعيه

إذا حصلت عند الإلـــه الخصائـــل

والمراد بما في الصدور الأعمال ، وهذا كقولـــه : يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ(9) الطارق(9).

ونص على الصدور هنا ، مع أن المراد القلوب ، لأنها هي مناط العمل ومعقد النية .

والعقيدة وصحة الأعمال كلها مدارها على النية ، كما في حديث : " إنما الأعمال بالنيات " وحديث : " إلا إن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله " ، الحديث .

وقال الفخر الرازي : خصص القلب بالذكـــر ، لأنه محل لأصول الأعمال .

ولذا ذكره في معرض الذم ، فإنـــه : آثِمٌ قَلْبُهُ البقرة (283) ، وفي معرض المدح : وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ الأنفال (2) .

ويشهد لما قاله قوله : إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ(89) الشعراء (89) .

وقوله : ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ البقرة (74) .

وقوله : ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ الزمر (23) .

وقوله : أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ(28) الرعد (28) ونحو ذلك .

ومما يدل على أن المراد بالصدور ما فيها هو القلب .

قوله: فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ(46) الحج (46)

وقال الفخر الرازي : نص على الصدور ليشمل الخير والشر ، لأن القلب محل الإيمـــــان .

والصدر محل الوسوسة لقوله تعالى: الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ(5) الناس (5)

وهذا وإن كان وجيهاً ، إلا أن محل الوسوسة أيضاً هو القلب ، فيرجع إلى المعنى الأول والله أعلــــم .

{إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ} (العاديات: 11)

ذكر الظرف هنا يشعر بقصر الوصف عليه مع أنه سبحانه خبير بهم في كل وقت في ذلك اليوم ، وقيل ذلك اليوم ، ولكنه في ذلك اليوم يظهر ما كان خفياً ، فهو سبحانه يعلم السر وأخفى ، وهو سبحانه لا يخفي عليه خافيـــــة .

ولكن ذكر الظرف هنا للتحذير مع الوصف بخبير ، أخص من عليم ، كما في قوله : قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ(3) التحريم (3)

بِسْمِ الله الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة القارعة

{الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ * فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ} (القارعة: 1-11)

{ الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ }. وقال : كالطامة والصاخة ، والآزفة ، والقارعة . اهـ . أي وكذلك الصاخة والساعة. ومعلوم أن الشيء إذا عظم خطره كثرت أسماؤه . أو كما روي عن الإمام علي : كثرة الأسماء تدل على عظم المسمى . ومعلوم أن ذلك ليس من المترادفات ، فإن لكل اسم دلالة على معنى خاص به . فالواقعة لصدق وقوعها ، والحاقة لتحقق وقوعها ، والطامة لأنها تطم وتعم بأحوالها ، والآزفة من قرب وقوعها أزفت الآزفة مثل اقتربت الساعة ، وهكذا هنا . قالوا : القارعة : من قرع الصوت الشديد لشدة أهوالها . وقيل : القارعة اسم للشدة . قال القرطبي : تقول العرب : قرعتهم القارعة وفقرتهم الفاقرة ، إذا وقع بهم أمر فظيع . قال ابن أحمر :

وقارعة من الأيامِ لولا

سبيلهم لزاحت عندك حِينا

وقال تعالى : {وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ}، وهي الشديدة من شدائد الدهر . وقوله : {وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ }، تقدم قولهم : إن كل ما جاء وما أدراك أنه يدريه وما جاءِ وما يدريك لا يدريه . وقد أدراه هنا بقوله : {يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ

كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ }، وهذا حال من أحوالها . وقد بين بعض الأحوال الأخرى في الواقعة بأنها خافضة رافعة ، وفي الطامة والصاخة : ينظر المرء ما قدمت يداه . وقوله : {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ } . وأيضاً فإن كل حالة يذكر معها الحال الذي يناسبها ، فالقارعة من القرع وهو الضرب ، ناسب أن يذكر معها ما يوهن قوى الإنسان إلى ضعف الفراش المبثوث ، ويفكك ترابط الجبال إلى هباء العهن المنفوش . { يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ }. الفراش : جمع فراشة. وقيل : هي التي تطير وتتهافت في النار . وقيل : طير رقيق يقصد النار ولا يزال يتقحم على المصباح ونحوه حتى يحترق . قول جرير :

إن الفرزدق ما علمت وقومه

مثل الفراش غشين نار المصطلى

وقال الفراء : هو غوغاء الجراد الذي ينتشر في الأرض ويركب بعضه بعضاً من الهول . ونقل القرطبي عن الفراء : أنه الهمج الطائر من بعوض وغيره . ومنه الجراد . ويقال : هو أطيش من فراشة قال :

طويش من نفر أطياش

أطيش من طائرة الفراش

وفي صحيح مسلم عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها ، وهو يذُبُّهنَّ عنها . وأنا آخذ بِحُجزِكم عن النار وأنتم تفلَّتون من يدي» . والمبثوث : المنتشر . ومثله قوله : {يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ}. وتقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه ، بيانه في «سورة اقتربت الساعة »، سورة ق والقرآن ، وسورة يس والقرآن الحكيم . بما يغني عن إعادته هنا . وقد قيل : إن وصفها بالفراش في أول حالها في الاضطراب والحيرة. ووصفها كالجراد في الكثرة ووحدة الاتجاه {مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ}. { وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ }. في صورة الواقعة بيان أحوال الجبال يوم القيامة من بدئها بكثيب مهيل ، ثم كالعهن المنقوش ، ثم تسير كالسراب. وأحال فيها على غيرها ، كقوله : {تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ}. وتقدمت الإشارة إلى ذلك في سورة سأل سائل . { فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوٰزِينُهُ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ }. في قوله : {ثَقُلَتْ مَوٰزِينُهُ}، دلالة على وقع الوزن لكل إنسان . والموازين : يراد بها الموزون ، ويراد بها آلة الوزن ، كالمعايير ، وهما متلازمان . وتقدم أن المعايير بالذرة وأقل منها . وقد جاء نصوص على وضع الموازين وإقامتها بالعدل والقسط قوله تعالىٰ : {وَنَضَعُ الْمَوٰزِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ }. وقوله : {فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ }، قالوا : بمعنى مرضية ، وراضية أصلها مرضية ، كما في قوله : {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ }، إسناد الرضى للعيشة ، على أنها هي فاعلة الرضى ، لأن كلمة العيشة جامعة لنعيم الجنة وأسباب النعيم ، راضية طائعة لينة لأصحاب الجنة ، فتفجر لهم الأنهار طواعية ، وتدنو الثمار طواعية ، كما في قوله : {قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ }. فالقول الأول : هو المعروف في البلاغة بإطلاق المحل وإرادة الحال ، كقوله تعالىٰ {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ } . والنادي : مكان منتدى القوم ، أي ينادي بعضهم بعضاً للاجتماع فيه . والمراد : من يحل في هذا النادي ، ويكون هنا أطلق المحل وهو محل العيشة ، وأراد الحال

فيها . وعلى الثاني : فهو إسناد حقيقي من إسناد الرضى لمن وقع منه أو قام به . ومما هو جدير بالذكر أن حمله على الأسلوب البياني ليس متجهاً كالآية الأخرى ، لأن العيشة ليست محلاً لغيرها بل هي حالة ، والمحل الحقيقي هو الجنة والعيشة حالة فيها ، وهي اسم لمعاني النعيم كما تقدم ، فيكون حمل الإسناد على الحقيقة أصح . وقد جاءت الأحاديث: أن الجنة تحس بأهلها وتفرح بعمل الخير ، كما أنها تتزين وتبتهج في رمضان ، وأنها تناظرت مع النار . وكل يدلي بأهله وفرحه بهم ، حتى وعد الله كلاً بملئها . ونصوص تلقي الحور والولدان والملائكة في الجنة لأهل الجنة بالرضى والتحية معلومة . وقوله : {لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُمْ مَّا يَدَّعُونَ } ، أي لا يتأخر عنهم شيء . وقوله : {وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُـمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ}. وقوله : {فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَآنٌّ } . وقاصرات الطرف عن رضى بأهلهن . ومنه {حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى الْخِيَامِ } ، أي على أزواجهن . وقوله : {وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً } ، ونحو ذلك ، مما يشعر بأن نعيم الجنة بنفسه راض بأهل الجنة ، والله سبحانه وتعالى أعلم . { وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ } . وقع الخلاف في المراد من قوله : {فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ } ، هل المراد بأمه مأواه وهي النار ، وأن هاوية من أسمائها ، أم المراد بأمه رأسه وأن هاوية من الهوى ، فيلقى في النار منكساً رأسه يهوي في النار . ، ولا يبعد من يقول إنه لا تعارض بين القولين . فتكون أمه هاوية ، وهي النار ويلقى فيها منكساً تهوي رأسه والعياذ بالله . وحكى القرطبي على أن الأم بمعنى قول لبيد :

فالأرض معقلنا وكانت أمنا

فيها مقابرنا وفيها نولد

وعلى معنى الهاوية البعيدة والداهية ، قول الشاعر :

يا عمرو لو نالتك رماحنا

كنت كمن تهوى به الهاوية

والهاوية : مكان الهوى . كما قيل :

أكلت دماً إن لم أرعك بضرة

بعيدة مهوى القرط مياسة القد

أو طيبة النشر . وفي الحديث : « إن أحدكم ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها في النار سبعين خريفاً » . نسأل الله السلام . وقد فسر الهاوية بما بعدها : {وَمَآ أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ } . وقد فسر الهاوية بأنها أسفل دركات النار . عياذاً بالله . وقد جاء قوله تعالىٰ : {كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِى الْحُطَمَةِ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ } . والنبذ : الطرح ، مما يرجح ما قلناه من إمكان إرادة المعنيين كون أمه هي الهاوية أي النار ، يهوي فيها على أُم رأسه ، وذلك بالنبذ في الهاوية بعيدة المهوى ، وعادة الجسم إذا ألقى من شاهق بعيداً يسبغه إلى أسفل أثقله ، وأثقل جسم الإنسان رأسه . والله تعالى أعلم .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة التكاثر

{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ} (التكاثر: 1) {حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ} (التكاثر: 2)

التكاثر الذي ألهاهم، إنما هو في الجميع، كما في قوله تعالى: {اعْلَمُواْ أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً} وكقوله: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْر لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ}. وقوله: {وَمَا هَـذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَآ إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ}.

{كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ} (التكاثر: 3) {كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ} (التكاثر: 5) {لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ} (التكاثر: 6) {ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ} (التكاثر: 7)

كما في قوله: {وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّواْ أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا}

{ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} (التكاثر: 8)

كقوله تعالى: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ}. كما قال: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ الله لاَ تُحْصُوهَآ}

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة العصر

{إِنَّ الأِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} (العصر: 2)

كما في قوله تعالى. {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَـاسِرِين }. وقوله: {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ اللهِ} وكما في قوله تعالى:{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم} ومثله: {وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَـانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانا مُّبِيناً} وقد قال تعالى: {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَـاسِرِينَ }. وكما قال تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ }.

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (العصر: 3)

وقيل: الحق، هو القرآن، ويشهد لذلك قوله تعالى في حق القرآن {وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ}. وقوله: {إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَـابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَ مُخْلِصاً لَّهُ الدِّينِ }. وقد كانت هذه الوصية عمل الرسل لأممهم ومن بعدهم كما قال تعالى: {وَوَصَّى بِهَآ إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـابَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ لدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }. كما قال تعالى: {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَآئِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَـاعِيلَ وَإِسْحَـاقَ إِلَـهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }. وقوله تعالى عن نبي الله عيسى عليه السلام: {وَأَوْصَانِى بِالصَّلَوةِ وَالزَّكَوةِ مَا دُمْتُ حَيّاً وَبَرّاً بِوَالِدَتِى}.قوله تعالى: {ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ }. وتقدم بيان قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالتفصيل عند قوله تعالى: {ياأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ }

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الهمزة

{وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ} (الهمزة: 1)

وتقدم ذكر معنى ويل في سورة الجاثية عند قوله تعالى: {وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ}

{إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ} (الهمزة:8) {فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ} (الهمزة:9)

كما في قوله: {وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورا }

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الفيل

{تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ} (الفيل:4)

وتقدم ترجيح أنها من طين شديد القوة . كما في سورة الذاريات {قَالُواْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ *مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ}

وقوله: {فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ }

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة قريش

{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ} (قريش:3)

المراد برب البيت الله كما في قوله {رَّبَّنَآ إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ}

{الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ} (قريش: 4)

تقدم عند قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً ءامِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الماعون

{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ} (الماعون: 1) {فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ} (الماعون: 2)

{وَلا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ} (الماعون: 3)

الإيمان بيوم الدين يحمل صاحبه على إطعام اليتيم والمسكين في قوله تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً} . وقوله : {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلاَ شُكُوراً * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً } .

{فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ} (الماعون: 4) {الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ} (الماعون: 5)

المراد بالذين هم عن صلاتهم ساهون يظهر فى قوله تعالى: {الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ } . وقد تقدم بيان السهو عنها وإضاعتها عند قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ الصَّلَـٰوةَ وَاتَّبَعُواْ الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاًإِلاَّ مَن تَابَ} . وعند قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلاتِهِمْ يُحَـٰفِظُونَ}

بِسْمِ الله الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الكوثر

{إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} (الكوثر: 1)

كما جاء في قوله تعالى: {وَلَقَدْ ءاتَيْنَــاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءانَ الْعَظِيمَ} وقوله: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ} وسورة التين و سورة اقرأ وسورة القدر وسورة البينة وسورة الزلزلة وسورة العاديات وسورة التكاثر و سورة العصر }..

{فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} (الكوثر: 2)

كعموم قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاَتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لله رَبِّ الْعَــالَمِينَ}. وقد تقدم عند قوله تعالى: {فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ الْبَآئِسَ الْفَقِيرَ}

{إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ} (الكوثر: 3)

كما في قوله تعالى: في غزوة بدر {وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَــاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَالْكَــافِرِينَ}. ومثله عموم قوله تعالى: {فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَــالَمِينَ}

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَــٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الكافرون

تكرار في العبارات للتوكيد، كتكرار {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ} وتكرار: {فَبِأَيِّ ألاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}.

{وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ} (الكافرون:4) {وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} (الكافرون:5)

وقد فسره قوله تعالى: {فَقُل لِّى عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِىءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ}.

{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} (الكافرون:6)

كما في قوله تعالى: {أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَاْ بَرِىءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ}. وكقوله: {وَلَنَآ أَعْمَـالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـالُكُمْ}. وهو من قبيل التهديد والوعيد كقوله: {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا}

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة النصر

{إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ} (النصر:1)

اتفقوا على نزول هذه السورة بعد فتح مكة . وصلح الحديبية، سماه الله تعالى فتحاً في قوله: {فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً}. الفتح في الدين بانتشار الإسلام وأعظم الفتح فتحان: فتح الحديبية وفتح مكة . والنصر حق من الله كما فى قوله {وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}. وكما جاء في قوله تعالى: {مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ} ويكون في معارك القتال ويكون بالحجة والسلطان، ويكون بكف العدو، كما في الأحزاب. {وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيّاً عَزِيزاً}. وكما في اليهود قوله:

{وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَـاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَـابِ مِن صَيَاصِيهِم وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً * وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَـارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيراً }. وقد قال تعالى لموسى وأخيه {لاَ تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَى} فهو نصر معية وتأييد، فالنصر هنا عام }

{وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً} (النصر:2)

ويدل لهذا مجيء آية {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً} وكان نزولها في حج تلك السنة . }

{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً} (النصر:3)

كما في قوله تعالى: {فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} وقوله{رَّبِّ اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَـاتِ} . وقوله {وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة المسد

{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ} (المسد:1)

كقوله تعالى: {فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتَهُمُ الَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ}. وقوله تعالى: {وَمَا كَـيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِى تَبَابٍ}قوله تعالى: {فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ}. قوله تعالى بعده: {وَتَبَّ} كقوله: {قُتِلَ الإِنسَـانُ مَآ أَكْفَرَهُ}.

{مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ} (المسد:2)

كقوله {وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى } وتقدم الكلام عليه هناك وعند قوله تعالى: {مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلايُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُواْ شَيْئاً وَلاَ مَا اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الإخلاص

{ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ} (1)

الأحد : قال القرطبي : أي الواحد الوتر ، الذي لا شبيه له ولا نظير ، ولا صاحبة ، ولا ولد ، ولا شريك . أ هـــ .
ومعلوم أن كل هذه المعاني صحيحة ، في حقه تعالى .
وأصل أحد : وحـــد ، فلبث الواو همزة .
ومنه قول النابغة :
كأن رحلي وقد زال النهار بنا بذي الجليل على مستأنس وحـــد
وقال الفخر الرازي في أحد وجهان :
أحدهما : أنه بمعنى واحد .
قال الخليل : يجوز أن يقال : أحد اثنان ثلاثة ، ثم ذكر أصلها وحد ، وقلبت الواو همزة للتخفيف .
والثاني : أن الواحد والأحد ليسا اسمين مترادفين .
قال الأزهري : لا يوصف شئ بالأحديـــة غير الله تعالى، لا يقال : رجل أحد ولا درهم أحد ، كما يقال : رجل واحد أي فرد به ، بل أحد صفة من صفات الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها شئ .
ثم قال : ذكروا في الفرق بين الواحد والأحد وجوهـــاً .
أحدها : أن الواحد يدخل في الأحد ، والأحد لا يدخل فيه .
وثانيها : أنك لو قلت : فلان لا يقاومه واحد ، جاز أن يقال : لكنه يقاومه اثنان بخلاف الأحد .
فإنك لو قلت : فلان لا يقاومه أحد ، لا يجوز أن يقال : لكنه يقاومه اثنان .
وثالثها : أن الواحد ، يستعمل في الإثبات ، والأحد يستعمل في النفي .

تقول في الإثبات رأيت رجلاً واحداً .

وتقول في النفي : ما رأيت أحداً ، فيفيد العموم .

أما ما نقله عن الخليل ، وقد حكاه صاحب القاموس فقال : ورجل وحد واحد ، أي خلافاً لما قاله الأزهري .

وأما قوله : إن أحداً تستعمل في النفي فقد جاء استعمالها في الإثبات أيضاً .

كقوله تعالى : أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ الْغَائِطِ المائدة(6) .

وقد دلت الآية الكريمة ، على أن الله سبحانه وتعالى أحد ، أي في ذاته وصفاته لا شبيه ولا شريك ، ولا نظير ولا ند لـــه ، سبحانه وتعالى.

وقد فسره ضمناً قوله : وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(4)

وقوله : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ الشورى (11) ، ما المعنى العام فإن القرآن كله ، والرسالة المحمدية كلها ، بـــل وجميـــع الرسالات : إنما جاءت لتقرير هذا المعنى ، بأن الله سبحانه واحد أحد ، بل كل ما في الوجود شاهد على ذلك .

كما قيل :

وفي كل شئ له آيـــــة تدل على أنـــــه الواحـــــد

أما نصوص القرآن على ذلك فهي أكثر من أن تحصى ، لأنها بمعنى لا إله إلا الله .

وتقدم ، إشارة إلى ذلك في أول الصافات وفي غيرها ، وفي البقرة : وَإِلَهُكُمْ إِلَـــهٌ وَاحِـــدٌ لَا إِلَـــهَ إِلَّا هُـــوَ الرَّحْمَـــانُ الرَّحِيمُ(163) البقرة (163) .

وفي التوبة : وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ التوبة (31) ، فجاء مقروناً بلا إله إلا الله .

وفي ص قوله : قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ(65) ص (65) .

وكما قدمنا أن الرسالة كلها جاءت لتقرير هذا المعنى ، كما في قوله : هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَـــهٌ وَاحِدٌ إبراهيم (52) ، سبحانه جل جلاله وتقدست أسماؤه ، وتنزهت صفاته ، فهو واحد أحد في ذاته وفي أسمائه وفي صفاته وفي أفعاله .

وقد جاء القرآن بتقرير هذا المعنى عقلاً كما قرره نقلاً ، وذلك في قوله تعالى : قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَـــا يَقُولُـــونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا(42)سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا(43) الإسراء (42-43) .

وقوله تعالى : لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا الأنبياء (22) .

فدل على عدم فسادهما بعدم تعددهما ، وجمع العقل والنقل في قوله : مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِـــنْ إِلَـــهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ(91) المؤمنون (91) .

{اللهُ الصَّمَدُ}(2)

قال بعض المفسرين : يفسره ما بعده : لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(3)

وقال ابن كثير ، وهذا معنى حسن .

وقال بعض العلماء : هو المتناهي السؤدد ، وفي الكمال من كل شئ .

وقيل : من يصمد الخلائق إليه في حاجتهم ، ولا يحتاج هو إلى أحد .

و معنى الصمد في سورة الأنعام عند قوله تعالى : وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ الأنعام (14) فذكر شواهد هذه الأقوال كلها .

وبإمعان النظر في مبدأ يفسره ما بعده ، يتضح أن السورة كلها تفسير لأولها : قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ(1) لأن الأحديـــــة ، هي تفرده سبحانه بصفات الجلال والكمال كلها، ولأن لمولوه ليس بأحد ، لأنه جزء من والده .

والوالد ليس بأحد ، لأن جزءاً منه في ولده .

وكذلك من يكون له كفء ، فليس بأحد لوجود الكفء ، وهكذا السورة كلها لتقرير : قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ(1)

{لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}(3)

بيان شواهده عند قوله تعالى : الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ الفرقـــان (2) الآية من سورة الفرقان .

ولكن جاء في القرآن الكريم ذكر ادعاء الولد لله ، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً .

وجاء الرد من الله تعالى مع بيان المانع مفصلاً مع الإشعار بالدليل العقلي ، ولذا لزم التنويه عليه ، وذلك في قوله تعـــالى : وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ(116)بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(117) البقرة (116-117) .

فهذا نص صريح فيما قالوه : اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا

ونص صريح في تنزيـــــه الله سبحانه وتسبيحه عما قالوا .

ثم جاء حرف الإضراب عن قولهم : بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ(116) البقرة (116) ، ففيه بيـــان المانع عقلاً من اتخاذ الولد بما يلزم الخصم ، وذلك أن غاية اتخاذ الولد أن يكون باراً بوالده ، وأن ينتفع الوالـــد بولـــده ،كما في قوله تعالى : الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الكهف (46) ، أو يكون الولد وارثاً لأبيـــــه كما في قوله تعالى عن نبي الله تعالى زكريا عليه السلام : فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا(5)يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ مريم (5-6) .

والله سبحانه وتعالى حي باق يرث ولا يورث كما قال تعالى : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ(26) {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ} (الرحمن :26 -27) .

وقوله : وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ آل عمران (180) .

فإذا كان لله سبحانه وتعالى كل ما في السموات والأرض في قنوت وامتثال طوعاً وكرهاً ، كما قال تعالى : وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا(92)إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا(93) مريم (92-93) .

فهو سبحانه وتعالى ليس في حاجة إلى الولد لغناء عنه .

ثم بين سبحانه قدرته على الإيجاد والإبداع في قوله تعالى : بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(117) البقرة (117) .

وهذا واضح في نفي الولد عنه سبحانه وتعالى .

وقد تمنح سبحانه في قوله : وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنْ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا(111) الإسراء (111) .

أما أنه لم يولد ، فلم يدع أحد عليه ذلك ، لأنه ممتنع عقلاً ، بدليل الممانعة المعروف هو كالآتي :

لو توقف وجوده سبحانه على أن يولد لكان في وجوده محتاجاً إلى من يوحده ، ثم يكون من بلده في حاجة إلى والد ، وهكذا يأتي الدور والتسلسل وهذا باطل .

وكذلك فإن الحاجة إلى الولد بنفيها معنى الصمدية المتقدم ذكره ، ولو كان له والد لكان الوالد أسبق وأحق ، تعالى الله عن ذلك .

وقد يقال : من جانب الممانعة العقلية لو افترض على حد قوله : قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ(81) الزخرف (81) .

كما قال تعالى : كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا(5) الكهف (5) .

وقوله : وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا(88)لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا(89)تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا(90)أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا(91) مريم (88-91) .

فلشفاعة هذه القرية قد ذكرها ، ثم الرد على عدم إمكانها بقوله : وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا(92)إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا(93) مريم (92-93) .

وقد قدمنا دليل المنع عقلاً ونقلاً .

وهنا سؤال أيضاً ، وهو إذا كان إدعاء الولد قد وقع ، وجاء الرد عليه ، فإن إدعاء الولادة لم يقع ، فلماذا ذكر نفيه مع عدم ادعائه ؟

والجواب والله تعالى أعلم : أن جوز الولادة له وأن يكون له ولد ، فقد يجوز الولادة عليه ، وأن يكون مولوداً فجاء نفيها تتمة للنفي والتنزيه ، كما في حديث البحر ، كان السؤال عن الوضوء من مائة فقط ، فجاء الجواب عن مائة وميتته ، لأن ما احتمل السؤال في مائة يحتمل الاشتباه في ميتته ، والله تعالى أعلم .

{ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ }(4)

قالوا : كفؤاً و كفواً و كفاء ، بمعنى واحد ، وهو المثل .

وقد تعددت أقوال المفسرين في معنى الآية ، وكلها تدور على معنى نفي المماثلة .

فعن كعب وعطاء : لم يكن له مثل ولا عديل .

وروي ابن جرير عن ابن عباس : أنه بمعنى ليس كمثله شئ .

وعن مجاهد : أي لا صاحبة له .

وقد جاء نفي الكفء والمثل والند والعدل ، فالكفء في هذه السورة والمثل في قوله : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ الشورى (11) ، وقوله : فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ النحل (74) .

والند في قوله : فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ(22) البقرة (22) .

والعدل في قوله : ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1) الأنعام (1) .

هذا محلها وهو كما قال ، فقد أوردها ابن كثير والفخر الرازي والقرطبي وابن حجر في الإصابة في ترجمة معاذ بن جبل وغيرهم ، وليس هذا محل إيرادها ، اللهم إلا ماجاء في الصحيح ، أن تلاوتها تعدل ثلث القرآن لتعلق موضوعها بالتوحيد أما المبحث الآخر وهو سبب نزولها ، فقيل فيه ، إن المشركين طلبوا منه أن ينسب لهم ربه فنزلـــت .

وقوله فيها : لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(3) رد على إثبات النسب له سبحانه وتعالى .

وقد جاء مثل هذا المعنى حينما سأل فرعون موسى عن ربه ، فقال له : وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ(23) الشعراء (23) .

فجاء جوابه : قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ(24)قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ(25)قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ(26)قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ(27) الشعراء (24-27) .

، أن موجب قول فرعون عن موسى لمجنون ، لأنه سأله بما في قوله : قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ(23) الشعراء ، وما يسأل بها عن شرح الماهية فكان مقتضى السؤال بها أن يبين ماهية الرب سبحانه وتعالى ، من أي شئ هو ، كما يقال في جواب : ما الإنسان إنه حيوان ناطق .

ولكن موسى عليه السلام أعرض عن سؤال فرعون لجهله عن حقيقة الله تعالى أو لتجاهله ، كما فـــي قولـــه تعـــالى : وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ النمل (14) ، وأجابه عما يخصه ويلزمه الاعتراف به من أنه سبحانه وتعالى السماوات والأرض وما بينهما ، لا ربوبيـــــة فرعون الكاذبة .

ومثل ذلك في القرآن ، لا سألوا عن الأهلة ، ما بالها تبدو صغيرة ، ثم تكبر ؟ فهو سؤال عن حقيقة تغيرها ، فترك القــرآن جوابهم على سؤالهم وأجابهم بما يلزمهم وينفعهم .

وكذلك جواب الخليل عليه السلام للنمروذ حينما حاجه في ربه : إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ البقرة (258)
.

فذكره سبحانه بصفاته ، وفي هذه السورة لما سألوا عن حقيقة الله ونسبه جاء الجواب بصفاته ، لأن ما يسألون عنه إنما يكون في المخلوقات لا في الخالق سبحانه ، وفي الممكن لا في الواجب الوجود لذاتـــــه ، سبحانه من لا يدرك كنهه غيره ، وصدق الله العظيم في قوله : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ(11) الشورى (11) ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا(110) طه (110) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الفلق

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} (الفلق: 1)

قيل: إنه الصبح يتفلق عنه الليل كقوله تعالى: {إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذالِكُمُ اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ الَّيْلَ سَكَناً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً ذلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيم }..

{وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} (الفلق: 3)

الغاسق: قيل الليل، لقوله تعالى: {أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ الَّيْلِ}.

{وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} (الفلق: 4)

تقدم عند الكلام على قوله تعالى: {وَلاَ يُفْلِحُ السَّـــاحِرُ حَيْثُ أَتَى}

{وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} (الفلق: 5)

فأهل الكتاب حسدوا المسلمين على الإسلام في قوله تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَـابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِن بَعْدِ إِيمَـانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ}. والمشركون حسدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نعمة الوحي إليه، كما في قوله تعالى: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَآ ءَاتَـاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ}.

وقوله تعالى: {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلا مَ اللهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُواْ لاَ يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً}

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الناس

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَـٰهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} (الناس: 1-6)

{ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَـٰهِ النَّاسِ } . قوله تعالىٰ : {أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ اللهَ إِنَّنِى لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ } ، في سورة هود ، : فيها الدلالة الواضحة على أن الحكمة العظمى التي أنزل القرآن من أجلها هي أن يعبد الله تعالى وحده ولا يشرك به في عبادته شيء . وساق الآيات المماثلة لها : وقد أشرنا إلى هذا البحث في سورة الفاتحة ، وسنتقصى الكلام عليه إن شاء الله تعالى في سورة الناس ، لتكون خاتمة هذا الكتاب حسنى اهـ . لتنبيهاً على المعاني التي في هذه الإحالة اشتملتها هذه السورة الكريمة ، وتوجيهاً لمراعاة تلك الخاتمة آمل من الله تعالى وراج توفيقه ومعونته . أما الإحالة فالذي يظهر أن موجبها هو أنه في هذه السورة الكريمة اجتمعت ثلاث صفات لله تعالى من صفات العظمة والكمال : رب الناس ، ملك الناس ، إلٰه الناس ، ولكأنها لأول وهلة تشير إلى الرب الملك هو الإله الحق الذي يستحق أن يعبد وحده . ولعله ما يرشد إليه مضمون سورة الإخلاص قبلها : هو الله أحد ، الله الصمد ، وهذا هو منطق العقل والقول الحق ، لأن مقتضى الملك يستلزم العبودية ، والعبودية تستلزم التأليه والتوحيد في الألوهية ، لأن العبد المملوك تجب عليه الطاعة والسمع لمالكه بمجرد الملك ، وإن كان مالكه عبداً مثله ، فكيف بالعبد المملوك لربه وإلهه ، وكيف بالمسالك الإله الواحد الأحد الفرد الصمد ؟ وقد جاءت تلك الصفات الثلاث : الرب الملك الإله ، في أول

افتتاحية أول المصحف : {الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَـٰـلَمِينَ * الرَّحْمَـٰـنِ الرَّحِيمِ * مَـٰـلِكِ يَوْمِ الدِّينِ }، والقراءة الأخرى {مَـٰـلِكِ يَوْمِ الدِّينِ }. وفي أول سورة البقرة أول نداء يوجه للناس بعبادة الله تعالى وحده ، لأنه ربهم مع بيان الموجبات لذلك في قوله تعالىٰ : {يَـٰـأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ}. ثم بين الموجب لذلك بقوله : {الَّذِىْ خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ}. وقوله : {الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ}. وهذا كله من آثار الربوبية واستحقاقه تعالى على خلقه العبادة ، ثم بين موجب إفراده وحده بذلك بقوله : {فَلاَ تَجْعَلُواْ للهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ}. أي كما أنه لا ندَّ له في الخلق ولا في الرزق ولا في شيء مما ذكر ، فلا تجعلوا لله أنداداً أيضاً في عبادة ، وأنتم تعلمون حقيقة ذلك . وعبادته تعالى وحده ونفى الأنداد ، : معنى لا إلٰه إلا الله نفياً وإثباتاً . فالإثبات في قوله تعالىٰ : {وَاعْبُدُواْ اللهَ }. والنفي في قوله : {فَلاَ تَجْعَلُواْ للهِ أَندَاداً}. وكون الربوبية تستوجب العبادة ، جاء صريحاً في قوله تعالىٰ : {فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰـذَا الْبَيْتِ * الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خوْفٍ }. فالموصول وصلته في معنى التعليل لموجب العبادة ، وسيأتي لذلك زيادة إيضاح إن شاء الله تعالى في نهاية السورة . وقد جاء هنا لفظ {بِرَبِّ النَّاسِ}، بإضافة الرب إلى الناس ، بما يشعر بالاختصاص ، مع أنه سبحانه رب العالمين ورب كل شيء ، كما في أول الفاتحة : {الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَـٰـلَمِينَ }. وفي قوله : {قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ}. فالإضافة هنا إلى بعض أفراد العام . وقد أضيف إلى بعض أفراد أخرى كالسماوات والأرض وغيرها من بعض كل شيء ، كقوله : {قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَـٰـوَٰتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللهُ}. وقوله : {رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لاَ إِلَـٰـهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً }. وإلى البيت {فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰـذَا الْبَيْتِ }. وإلى البلد الحرام {إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ}. وإلى العرش {رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ}. وإلى الرسول {اتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ}. وقوله : {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ }، إلى غير ذلك . ولكن يلاحظ أنه مع كل إضافة من ذلك ما يفيد العموم ، وأنه مع إضافته لفرد من أفراد العموم ، فهو رب العالمين ، ورب كل شيء ، ففي إضافته إلى السماوات والأرض جاء معها {قُلِ اللهُ}. وفي الإضافة إلى المشرق والمغرب جاء {لاَ إِلَـٰـهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً}. وفي الإضافة إلى البيت جاء {الَّذِى أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خوْفٍ } وهو الله سبحانه. وفي الإضافة إلى البلدة جاء {الَّذِى حَرَّمَهَا}، وهو الله تعالى . وفي الإضافة إلى العرش جاء قوله تعالىٰ : {فَتَعَـٰـلَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَـٰـهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ}. وفي الإضافة إلى الرسول ﷺ جاء قوله : {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ}، وغير ذلك من الإضافة ، إلى أي فرد من أفراد العموم يأتي معها ما يفيد العموم ، وأن الله رب العالمين . وهنا رب الناس جاء معها {مَلِكِ النَّاسِ * إِلَـٰـهِ النَّاسِ }، ليفيد العموم أيضاً . لأن إطلاق الرب قد يشارك فيه السيد المطاع ، كما في قوله : {اتَّخَذُواْ أَحْبَـٰـرَهُمْ وَرُهْبَـٰـنَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ}. وقول يوسف لصاحبه في السجن {اذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ}، أي الملك على أظهر الأقوال ، وقوله : {ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ} . فجاء بالملك والإله للدلالة على العموم ، في معنى رب الناس ، فهو سبحانه رب العالمين ورب كل شيء ، ولكن إضافته هنا إلى خصوص الناس إشعار بمزيد اختصاص ، ورعاية الرب سبحانه لعبده الذي دعاه إليه ليستعيذ به من عدوه ، كما أن فيه تقوية رجاء العبد في ربه بأنه سبحانه بربوبيته سيحمي عبده لعبوديته ويعيذه مما استعاذ به منه . ويقوي هذا الاختصاص إضافة الرب للرسول ﷺ في جميع أطواره منذ البدأين : بدء الخلقة وبدء الوحي ، في قوله : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَـٰـنَ مِنْ عَلَقٍ }، ثم في نشأته {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ } ـــ إلى قوله {أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَىٰ }. وجعل الرغبة إليه في السورة بعدها {وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ }، تعداد النعم عليه من شرح الصدر ، ووضع الوزر ، ورفع الذكر ، ثم في المنتهى قوله

: {إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ } . {مَلِكِ النَّاسِ } ، في مجيء ملك الناس بعد رب الناس ، تدرج في التنبيه على تلك المعاني العظام ، وانتقال بالعباد من مبدإ الإيمان بالرب لما شاهدوه من آثار الربوبية في الخلق والرزق ، وجميع تلك الكائنات ، كما تقدم في أول نداء وجه إليهم {اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِىْ خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَالَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ} . كل هذه الآثار التي لمسوها وأقروا بموجبها ، بأن الذي أوجدها هو ربهم ، ومن ثم ينتقلون إلى الدرجة الثانية ، وهي أن ربه الذي هذه أفعاله هو ملكه وهو المتصرف في تلك العوالم ، وملك لأمره وجميع شؤونه ، ومالك لأمر الدنيا والآخرة جميعاً . فإذا وصل بإقراره إلى هذا الإدراك ، أقر له ضرورة بالألوهية وهي المرتبة النهاية . إله الناس أي مألوههم ومعبودهم وهو ما خلقهم إليه ، {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ } . وفي إضافة الملك إلى الناس من إشعار الاختصاص ، مع أنه سبحانه ملك كل شيء ، فيه ما في إضافة الرب للناس المتقدم بحثه ، فهو سبحانه مالك الملك كما في قوله : {قُلِ اللهمَّ مَـٰلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ} . وقوله تعالىٰ : {لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ} . وقوله : {لَهُ مُلْكُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ } ، وقوله : {الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ} . فهو سبحانه وتعالى المتفرد بالملك لا شريك له في ملكه ، كما قال تعالى : {وَقُلِ الْحَمْدُ لله الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِى الْمُلْكِ} فبدأ بالحمد أولاً . ومثله قوله : {فَسُبْحَـٰنَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ} ، بدأ بتسبيح نفسه وتنزيهه لعموم الملك ومطلق التصرف ونفي الشريك لأن ملكه ملك تصرف وتدبير مع الكمال في الحمد والتقديس . وكقوله : {تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ } . وبهذه النصوص يعلم كمال ملكه تعالى ، ونقص ملك ما سواه من ملوك الدنيا ، ونعلم أن ملكهم بتمليك الله تعالى إياهم كما في قوله تعالىٰ : {وَالله يُؤْتِى مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ} . وقوله : {قُلِ اللهمَّ مَـٰلِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِى الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ} . ومن المعلوم أن ملوك الدنيا ملكهم ملك سياسة ورعاية ، لا ملك تملك وتصرف ، وكما في قوله تعالىٰ : {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُو اْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَـٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَالله يُؤْتِى مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَالله وٰسِعٌ عَلِيمٌ } . والجدير بالتنبيه عليه بهذه المناسبة أن « بريطانيا » تحترم نظام الملكية إلى هذا الوقت الحاضر ، بدافع من هذا المعتقد ، وأنه لا ملك إلا بتمليك الله إياه ، وأن ملوك الدنيا باصطفاء من الله . والآية تشير إلى ما نحن بصدد بيانه ، من أن ملوك الدنيا لا يملكون أمر الرعية لأن طالوت ملكاً ، وليس مالكاً لأموالهم . بينما ملك الله تعالى ملك خلق وإيجاد وتصرف ، كما في قوله تعالىٰ : {لله مُلْكُ السَّمَـٰوٰتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ الذُّكُور * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَـٰثاً وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ } . وعليم قدير هنا من خصائصه سبحانه وتعالى ، فيتصرف في ملكه بعلم وعن قدرة كاملين سبحانه ، له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . وتظهر حقيقة ذلك إذا جاء اليوم الحق ، فيتلاشى كل ملك قلّ أو كثر ، ويذل كل ملك كبر أو صغر ، ولم يبق إلا ملكه تعالى يوم هم بارزون ، لا يخفى على الله منهم شيء ، لمن الملك اليوم لله الواحد القهار . وفي سورة الفاتحة {مَـٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } . والقراءة الأخرى {مَـٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ } . في القراءتين معاً إشعار بالفرق بين ملك الله وملك العباد ، كالفرق بين الملك المطلق والملك النسبي ، إذ الملك النسبي لا يملك ، والملك المطلق ، فهو الملك القدوس ، والذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجع الخلائق كلهم . ومن كانت هذه صفاته ، فهو المستحق لأن يعبد وحده سبحانه ، ولا يشرك معه أحد ، وهذا هو شعار العبد في الركن الخامس من أركان الإسلام ، حين يهلّ بالتلبية : إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك

. {إِلَـٰهِ النَّاسِ}. هذه هي المرتبة الثالثة في كمال العبودية، وإفراد الله تعالى بالألوهية. ، لأن العبد إذا أقر بأن الله ربه وخالقه، ومنعم عليه أوجده من العدم، ورباه بالنعم، لا رب له سواه، ثم تدرج بعلمه ويقينه إلى الإقرار بأن ربه هو مليكه والمتصرف في أمره وحده، وأنه لا يملك هو نفسه مع الله شيئاً، ولا يملك له أحد من الله شيئاً. وأن كل تصرفات العالم كله بأمره فلا يصل إليه خير إلا بإذنه، ولا يصرف عنه ضرر إلا بأمره. وعرف في يقين: أنه عبد مملوك لمن بيده ملكوت السماوات والأرض، توصل بعلمه هذا أن من كانت هذه صفاته، كان هو وحده المستحق لإفراده بالعبادة وبالألوهية، لا إله إلا هو. فيكون في خاتمة المصحف الشريف انتزاع الإقرار من العبد لله سبحانه بطريق الإلزام، بالمعنى الذي أرسل الله به رسله، وأنزل من أجله كتبه، وهو أن يعبد الله وحده، ، فإنا لو رجعنا إلى أول المصحف وآخره لوجدنا ربطاً بديعاً، إذ تلك الصفات الثلاث في سورة الناس موجودة في سورة الفاتحة، فاتفقت الخاتمة مع الفاتحة في هذا المعنى العظيم، إذ في الفاتحة الحمد لله رب العالمين، وملك يوم الدين، فجاءت صفة الربوبية والملك والألوهية في لفظ الجلالة. وتكون الخاتمة الشريفة من باب عود على بدء، وأن القرآن كله فيما بين ذلك شرح وبيان لتقدير هذا المعنى الكبير. وسيأتي لذلك زيادة إيضاح في النهاية، إن شاء الله تعالى. {مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ}. كلاهما صيغة مبالغة من الوسوسة والخنس، بسكون النون. بيان معنى الوسوسة، والوسواس لغة وشرعاً، أي المراد عند كلامه على قوله تعالىٰ: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ}. وبين مشتقاتهما وأصل اشتقاقهما، وهو يدور على أن الوسوسة: الحديث الخفي. والخنس: التأخر، كما تكلم على ذلك ، حيث اجتمع المعنيان المتنافيان. لأن الوسواس: كثير الوسوسة، ليضل بها الناس. والخناس: كثير التأخر والرجوع عن إضلال الناس . وأجاب بأن لكل مقام مقالاً، وأنه يوسوس عند غفلة العبد عن ذكر ربه، خانس عند ذكر العبد ربه تعالى، كما دل عليه قوله تعالىٰ: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَـٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}، إلى آخره. اهـ. {الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ}. اختلف في الظرف هنا، هل هو ظرف للوسواس حينما يوسوس، فيكون موجوداً في الصدور، ويوسوس للقلب، أو هو ظرف للوسوسة. ويكون المراد بالصدور القلوب، لكونها حالة في الصدور من باب إطلاق المحل، وإرادة الحال على ما هو جار في الأساليب البلاغية. وعلى حد قوله تعالىٰ: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ}، أطلق النادي، وأراد من يحل فيه من القوم. بحث تعدية الوسوسة تارة بإلى وتارة باللام، ففي سورة الأعراف {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَـٰنُ}، وفي طه: {فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَـٰنُ}. وحاصل ما ذكره في الجمع بينهما أحد أمرين: إما أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، وذكر شواهده، وإما أن يكون وسوس، أي لأجله ووسوس إليه أي أنهى إليه الوسوسة، ولكن هنا قال: {فِى صُدُورِ النَّاسِ}، ولم يقل: إلى صدور الناس، فهل هو من باب نيابة حروف الجر بعضها عن بعض أيضاً؟ أم هي ظرف محض؟ والظاهر أنها ظرف، ولكن هل من الظرف للوسواس، أو ظرف للوسوسة نفسها؟ وبالنظر إلى كلام المفسرين، فإن كلام ابن جرير يحتمل اعتبار المعنيين بدون تعيين. وأما القرطبي، والألوسي، فصرحا بما ظهر لهما ووصلا إليه وذكر الحديث «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه» . أما الألوسي فقد صرح بالتقسيم الذي أوردناه، فقال: الذي يوسوس في صدور الناس ، . وساق الحديث أيضاً « إن الشيطان يجري» إلى آخره . وذكر ابن كثير عن ابن عباس ومجاهد أن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس. والله تعالى أعلم: أن الصدر ظرف للوسواس، وأنه يوقع الوسوسة في القلب. على ما قاله ابن عباس ومجاهد رحمهم الله . أما الراجح في الوجهين في معنى الناس المتقدم ذكرهما. فهو الوجه الأول، وهو أنهم الإنس، وأن قوله تعالىٰ:

{مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ }، بيان لمن يقوم بالوسوسة ، أي بيان للوسواس الخناس وأنه من كل من وسواس الجنة ووسواس الناس . ويظهر ذلك من أمور : منها : أن الخطاب للرسول ﷺ ولأمته تبعاً له فهو في حق الناس أظهر . ومنها : أننا لو جعلنا الناس الأولى عامة لمن يوسوس إليه كان من الجنة ، والناس مصدر الوسوسة ، فيكون من وسواس الناس من يوسوس في صدور الجن . وهذا بعيد . ومنها : أنه لو كان لفظ الناس يشمل الجن والإنس ، لما احتيج إلى هذا التقسيم الجنة والناس ، واكتفى في الثانية بما اكتفى به في الأولى ، وكان يكون الذي يوسوس في صدور الناس من الناس ، ولكن جاء بيان محل الوسوسة صدور الناس ، ثم جاء مصدر الوسوسة الجنة والناس ، والله تعالى أعلم .تنبيه ذكر أبو حيان في آخر تفسيره مقارنة لطيفة بين سورتي المعوذتين ، فقال : ولما كانت مضرة الدين ، وهي آفة الوسوسة أعظم من مضرة الدنيا وإن عظمت ، جاء البناء في الاستعاذة منها بصفات ثلاث : الرب ، والملك ، والإله ، وإن اتحد المطلوب . وفي الاستعاذة من ثلاث : الغاسق ، والنفاثات ، والحاسد ، بصفة واحدة وهي الرب ، وإن تكثر الذي يستعاذ منه . وهذه الأخرى لفتة كريمة ، طالما كنت تطلعت إليها في وجهتي نظر ، إحداهما : بين السورتين ، والأخرى بين سورة الناس ونسق المصحف الشريف ، سيأتي إيرادهما إن شاء الله . إلا أنه على وجهة نظر أبي حيان ، وهي أنه تعالى في سورة الفلق جاء في الاستعاذة بصفة واحدة وهي رب الفلق . وفي سورة الناس جاء في الاستعاذة بثلاث صفات ، مع أن المستعاذ منه في الأولى ثلاثة أمور ، والمستعاذ منه في الثانية أمر واحد ، فلخطر الأمر الواحد جاءت الصفات الثلاث . ويقال أيضاً من جهة أخرى : إن المستعاذ منه في السورة الأولى أمور تأتي من خارج الإنسان ، وتأتيه اعتداء عليه من غيره ، وقد تكون شروراً ظاهرة ، ومثل ذلك قد يمكن التحرز منه أو اتقاؤه قبل وقوعه ، وتجنبه إذا علم به . بينما الشر الواحد في الثانية يأتيه من داخليته وقد تكون هواجس النفس وما لا يقدر على دفعه ، إذ الشيطان يرانا ولا نراه ، كما في قوله : {إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ}. وقد يثير عليه خلجات نفسه ونوازع فكره ، فلا يجد له خلاصاً إلا بالاستعاذة واللجوء إلى رب الناس ملك الناس إله الناس . أما الوجهتان اللتان نوهنا عنهما ، فالأولى بين السورتين وهي مما أورده أبو حيان : إذ في سورة الفلق قال : {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ }، ورب الفلق تعادل قوله : {رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ}. لأنه ما من موجود في هذا الكون إلا وهو مفلوق عن غيره . ففي الزرع : {فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ}. وفي الزمن {فَالِقُ الإِصْبَاحِ}. وفي الحيوانات : {الَّذِى خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً}. وفي الجمادات يشير إليه قوله تعالىٰ : {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوۤاْ أَنَّ السَّمَـٰوَٰتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَـٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَوَجَعَلْنَا فِى الأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ}. فرب الفلق تعادل رب العالمين ، فقابلها في الاستعاذة بعموم المستعاذ منه ، من شر ما خلق . ثم جاء ذكر الخاص بعد العام للاهتمام به ، وهو من شر غاسق إذا وقب ، والنفاثات في العقد ، وحاسد إذا حسد . فالمستعاذ به صفة واحدة ، والمستعاذ منه عموم ما خلق جملة وتفصيلاً ، بينما في السورة الثانية جاء بالمستعاذ به ثلاث صفات هي صفات العظمة لله تعالى : الرب والملك والإله . فقابل المستعاذ منه وهو شيء واحد فقط ، وهو الوسواس الخناس ، وهذا يدل على شدة خطورة المستعاذ منه . وهو كذلك ، لأننا لو نظرنا في واقع الأمر لوجدنا مبعث كل فتنة ومنطلق كل شر عاجلاً أو آجلاً ، لوجدناه بسبب الوسواس الخناس . وهو مرتبط بتاريخ وجود الإنسان . وأول جناية وقعت على الإنسان الأول ، إنما هي من هذا الوسواس الخناس ، وبعد سكناهما الأرض أتى ابنيهما قابيل وهابيل فلاحقهما أيضاً بالوسوسة ، حتى طوّعت نفس أحدهما قتل أخيه فأصبح من النادمين . وهكذا بسائر الإنسان في حياته بالوسوسة حتى يربكه في الدنيا ، ويهلكه في الآخرة ، فينتزعه عنهما في ظل بيت الله الحرام في

طوافهم قبل البعثة ولا يزال يغويه ، وعن طريق المرأة في كل زمان ومكان ليخرجه عن الاستقامة . ولا يزال يجلب على الإنسان بخيله ورجله باراً بقسمه بين يدي الله بعزته ليغوينهم أجمعين . وإن أخطر أبواب الفساد في المجتمعات لهي عن المال أو الدم أو العرض ، كما في الحديث في حجة الوداع : « ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا » إلى آخره . وهل وجدت جناية على واحد منها ، إلا من تأثير الوسواس الخناس . اللهم لا . وهكذا في الآخرة . وقد بين تعالى الموقف جلياً في مقالة الشيطان البليغة الصريحة : {وَقَالَ الشَّيْطَـٰنُ لَمَّا قُضِىَ الأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى فَلاَ تَلُومُونِى وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمْ مَّآ أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُمْ بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ} . ولقد علم عدو المسلمين أن أخطر سلاح على الإنسان ، هو الشك ولا طريق إليه إلا بالوسوسة ، فأخذ عن إبليس مهمته وراح يوسوس للمسلمين في دينهم وفي دنياهم ، ويشككهم في قدرتهم على الحياة الكريمة مستقلين عنه ، ويشككهم في قدرتهم على التقدم والاستقلال الحقيقي ، بل وفي استطاعتهم على الإبداع والاختراع ، ليظلوا في فلكه ودائرة نفوذه ، فيبقى المسلمون يدورن في حلقة مفرغة ، يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى . والمتشكك في نتيجة عمل لا يقدم عليه أبداً ، بل ما يبنيه اليوم يهدمه غدًا ، وما ذاك كله إلا حصاد ونتائج الوسواس الخناس . فلا غرو إذا أن تجمع الصفات الجليلة الثلاث : رب الناس ، ملك الناس ، إله الناس . هذه وجهة النظر الأولى بين سورتي الفلق والناس . أما الوجهة الثانية وهي بين سورة الناس ونسق المصحف الشريف ، بقوله تعالىٰ : {الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَـٰلَمِينَ * الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ * مَـٰلِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} . وفي هذه البداية الكريمة بث الطمأنينة في القلب المعبر عنها بالحمد ، عنوان الرضى والسعادة والإقرار لله بالربوبية ، ثم الإيمان بالبعث والإقرار لله بملك يوم الدين ، ثم الالتزام بالعبادة لله وحده والالتجاء إليه مستعيناً به ، مستهدياً الصراط المستقيم ، سائلاً صحبة الذين أنعم عليهم . ثم يأتي بعدها مباشرة في أول سورة البقرة {ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } ، أي إن الهدى الذي تنشده إلى الصراط المستقيم ، فهو في هذا الكتاب لا ريب فيه ، ثم بين المتقين الذين أنعم الله عليهم بقوله : {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبالأْخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ } . ومرة أخرى للتأكيد : أولئك لا سواهم على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون . ثم تترسل السورة في تقسيم الناس إلى الأقسام الثلاثة : مؤمنين وكافرين ومذبذبين بين بين ، وهم المنافقون . ثم يأتي النداء الصريح وهو أول نداء في المصحف لعموم الناس {يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ} ، ويقيم البراهين على استحقاقه للعبادة وعلى إمكان البعث بقوله : {الَّذِىْ خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرٰتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لله أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } . وبعد تقرير الأصل وهي العقيدة ، تمضي السورة في ذكر فروع الإسلام ، فتشتمل على أركان الإسلام كلها وعلى كثير من مسائل المعاملات والجهاد ، وقلّ باب من أبواب الفقه إلا وله ذكر في هذه السورة ، ويأتي ما بعدها مبيناً لما أجمل فيها أو لما يذكر ضمنها . وهكذا حتى ينتهي القرآن بكمال الشريعة وتمام الدين . ولما جاء في وصف المتقين المهتدين في أول المصحف ، أنهم يؤمنون بالغيب ومنه الإيمان باليوم الآخر وما فيه من حساب وعقاب وثواب ، أمور الغيب تستلزم اليقين ، لترتب الجزاء عليه ثواباً أو عقاباً . والثواب والعقاب هما نتيجة الفعل والترك . والفعل والترك : هما مناط التكليف ، لأن الإنسان يمتثل الأمر رجاء الثواب ، ويكف عن متعلق النهي مخافة العقاب . فلكأن نسق المصحف الشريف يشير إلى ضرورة ما يجب الانتباه إليه ، من أن القرآن بدأ بالحمد ثناءً

على الله بما أنعم على الإنسان بإنزاله ، وإرسال الرسول صاحبه به ، ثم نقله من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة ، وهو الأعظم قدراً وخطراً ، ثم رسم له الطريق الذي سلكه المهتدون أهل الإنعام والرضى ، ثم أوقفه عليه ليسلك سبيلهم . وهكذا إلى أن جاء به بعد كمال البيان والإرشاد والهداية ، جاء به إلى نهاية هذا الصراط المستقيم ، فاستوقفه ليقول له إذا اطمأننت لهذا الدين ، وآمنت بالله رب العالمين ، واعتقدت مجيء يوم الدين ، وعرفت طريق المهتدين ورأيت أقسام الناس الثلاث مؤمنين وكافرين ومنافقين ، ونهاية كل منهم ، فالزم هذا الكتاب ، وسر على هذا الصراط ورافق أهل الإنعام ، وجانب المغضوب عليهم والضالين ، وأحذر من مسلك المنافقين المتشككين ، وحاذر كل الحذر من موجب ذلك كله ، وهو الوسواس الخناس ، أن يشككك في متعلقات الإيمان ، أو في استواء طريقك واستقامته أو في عصمة كتابك وكماله ، وكن على يقين مما أنت عليه ، ، وكن كسلفك الصالح إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون . وقد علمت عداوته لك من بعد ، وعداوته ناشئة عن الحسد . ولكأن ارتباط السورتين ليشير إلى منشأ تلك العداوة وارتباطها بها التحذير ، إذ في الأولى : ومن شر حاسد إذا حسد ، فحسد الشيطان آدم على إكرام الله إياه كما أسلفنا . والعدو الحاسد لا يرضيه إلا زوال النعمة عن المحسود ، ولئن كانت توبة آدم هي سبيل نجاته ، كما في قوله تعالىٰ : {فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ} . فنجاتك أيضاً في كلمات تستعيذ بها من عدوك : برب الناس ملك الناس إله الناس ، لأن الرب هو الذي يرحم عباده ، وملك الناس هو الذي يحميهم ويحفظهم ويحرسهم . وإله الناس الذي يتألهون إليه ويتضرعون ويلوذون به سبحانه .تنبيه إذا كان هذا كله خطر الوسواس الخناس من الجنة والناس ، وهما عدو مشترك ومتربص حاقد حاسد ، فما طريق النجاة منه ؟ الذي يظهر ، والله تعالى أعلم : أن طريق النجاة تعتمد على أمرين : الأول : يؤخذ من عمومات الكتاب والسنة . : . أما الأول فهو : إذا كانت مهمة الوسوسة التشكيك والذبذبة والتردد ، فإن عمومات التكليف تلزم المسلم بالعزم واليقين والمضي دون تردد كما في قوله : {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ} ، وامتدح بعض الرسل بالعزم وأمر بالاقتداء بهم {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} . وقال ﷺ : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » . والقاعدة الفقهية « اليقين لا يرفع بشك » . والحديث : « يأتي الشيطان لأحدكم وهو في الصلاة فينفخ في مقعدته ، فيخيل إليه أنه أحدث ولم يحدث ، فلا ينصرف حتى يسمع صوتاً ، أو يجد ريحاً » . ومن هنا كانت التكاليف كلها على اليقين ، فالعقائد لا بد فيها من اليقين . والفروع في العبادات لا بد فيها من النية « إنما الأعمال بالنيات » . والشرط في النية الجزم واليقين ، ، كانت دوافع العزيمة مستقاة من التكاليف ، مما يقضي على نوازع الشك والتردد ، ولم يبق في قلب المؤمن مجال لشك ولا محل لوسوسة . وقد كان الشيطان يفر من طريق عمر رضي الله عنه . فقوله : لقد علمنا الله كيفية اتقاء العدو من الإنس ومن الجن . أما العدو من الإنس ففي قوله تعالىٰ : {وَلاَ تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ } . فدل على أن مقابلة إساءة العدو بالإحسان إليه تذهب عداوته ، وتكسب صداقته ، كما قال تعالى : {ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ} السيئة . وأما عدو الجن ففي قوله تعالىٰ : {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } . وهو ما يدل عليه ما تقدم من الآثار من أن الشيطان يخنس إذا سمع ذكر الله . : فإن شيطان الجن يندفع بالاستعاذة منه بالله ، ويكفيه ذلك ، لأن كيد الشيطان كان ضعيفاً . أما شيطان الإنس فهو في حاجة إلى مصانعة ومدافعة والصبر عليه ، كما يرشد إليه قوله تعالىٰ : {وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّاهَآ إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } . رزقنا الله تعالى وجميع المسلمين حظاً عظيماً في الدنيا والآخرة ، إنه المسؤول ، وخير مأمول . روى ابن كثير حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ « كان يتعوذ من أعين الجن والإنس

، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما » رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ، وقال الترمذي : حسن صحيح . وروي عن عبد الله الأسلمي ، أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال : «قل »: فلم أدر ما أقول . ثم قال لي : «قل ». فقلت : هو الله أحد ، ثم قال لي : قل . قلت : أعوذ برب الفلق من شر ما خلق حتى فرغت منها ، ثم قال لي قل . قلت : أعوذ برب الناس حتى فرغت منها . فقال رسول الله ﷺ : «هكذا فتعوّذ . وما تعوَّذ المتعوذون بمثلهن قط » .